الجـــامعـــــة الإسلاميـــــة – غـــزة
عـمـــادة الــدراســــات الـعـلـيـــا
كـــلــيـــة أصـــول الــديـــن
قســـم العقيدة والمذاهب المعاصـــرة

الأرض المقدّسة

بين اليهودية والنصرانية والإسلام

إعداد الطالب

حذيفة سمير الكحلوت

إشراف فضيلة الدكتور

أحمد جابر العمصي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

(1434هـ - 2013م)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا

إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

الأعراف/128

الإهداء

إلى أحدث قطرات الدماء في مسيرة الإسلام نحو بيت المقدس.. دماء شهداء رابعة العدوية في مصر الكنانة

وإلى القوي الأمين .. حامل همّ الأمة ورمز الحرية والكرامة .. سعادة الدكتور محمد مرسي رئيس جمهورية مصر العربية

وإلىّ كل مسلمٍ .. حُبّاً، وولاءً، وعرفاناً

وإلى كلّ يهوديٍ ونصرانيٍ .. حجةً، وبرهاناً، وإلزاماً

أقدّم هذا البحث المتواضع...

شكر وعرفان

أحمد الله العظيم أن وفقني لإنجاز هذا البحث، الذي تكبّدت فيه قدراً غير يسير من العناء والجهد، ولكنّه جهد المقلّ، وبضاعة الطالب المبتدئ، لا ادّعاء لي فيه بفضل إلا بتوفيق ربي ﷻ، فله الحمد والشكر كثيراً، أولاً وأخيراً..

وانطلاقاً من قول النبي ﷺ: **(مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللهَ عَزَّ وَجَلّ)**[1] فبعد شكر الله ﷻ، أتوجه بشكري العميق في هذا المقام إلى من كان لهما الفضل الأول بعد الله عليّ، **والديّ الفاضلين المربيين،** اللذين أفاضا عليّ من كرمهما وتربيتهما ودعائهما، فلهما كل حبّ وتقدير ووفاء، سائلاً المولى ﷻ أن يجزيهما الخير الكثير، والعطاء الوفير، والصحة والعافية.

ثم الشكرِ والعرفان **لزوجتي** الصالحة الناصحة، الواثقة المصابرة، التي أخذ هذا البحث من وقتها الكثير، وشاركتني في إنجازه بجهدها وصبرها ومثابرتها، فجزاها الله عني كل خير.

ومن واجبي أن أتوجه بالشكر والتقدير إلى فضيلة الدكتور: **أحمد جابر العمصي**؛ لصبره عليَّ، و لما أفادني من توجيهات طيلة فترة الإشراف، فجزاه الله خيراً .

كما أتوجه بالشكر إلى أستاذيَّ الكريمين؛ عضوي لجنة المناقشة: فضيلة الأستاذ الدكتور **أحمد يوسف أبو حلبية،** وفضيلة الدكتور **عماد الدين عبد الله الشنطي،** حفظهما الله، وذلك لقبولهما مناقشة الرسالة، ولجهدهما لرفع مستواها.

ولا يسعني أيضاً أن تمر منّي هذه الكلمات دون أن أخصّ بكلمة شكر ومحبة أستاذين كريمين، كان لهما فضل السبق في تشجيعي وحثّي ومساندتي منذ بداية دراستي للماجستير، شيخي الفاضل

---

1) **سنن الترمذي** : كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك, برقم: 1954، وقال الترمذي: حديث صحيح.

الجليل أبو عبد الله **زكريا طه شحادة**، وأستاذي الفاضل أبو أنس **إبراهيم عيسى صلاح**، سائلاً المولى لهما الثبات وطول العمر وحسن العمل.

ومسك الختام .. أشكر جامعتي الغراء، الصرح المبارك، والدرّة المضيئة في سماء أرض غزة الطيبة، الجامعة الإسلامية، وأخصّ كلّية أصول الدين وقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة فيها، أدامها الله منبراً للحق وشعاعاً للنور المبين ..

والحمد لله في الأولى والآخرة

وصلي اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المقدمة

اللهم لك الحمد منزلَ الكتاب مجريَ السحاب هازمَ الأحزاب،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وحاملي لوائه إلى يوم الدين، وبعد:

سُرقت أرض الإسراء والمعراج، ولا تزال، واستُبيحت، ولم تنعتق بعد، لكنها ليست سرقةً سياسية أو تاريخية، أو حاجةً إنسانية – كما يراد تصويرها– بل سُرقت واستبيحت في فترات التاريخ – والتي كان آخرها على يد بني صهيون– تحت شعارات دينية؛ توراتية تلمودية صليبية!! محاطة بهالة من "التقديس" والتدليس، الذي يراد منه زرع بذرة الشرّ على أرض الخير المقدّسة، ودارت دورة الأيام ولا تزال، والمسلمون متمسكون بهذه الأرض تمسكاً عقائدياً؛ لا سياسياً وثورياً وقومياً فحسب.

لكن أجيال المسلمين لابد أن تكون على بصيرة بحجم المعركة العقائدية على هذه الأرض، ولابد أن تعي أنّ ﴿ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ الذي يحاك لهذه الأرض منذ زمن بعيد، ليس تدافعاً لكسب حق تاريخي متنازع عليه، وأنه ليس صراعاً من أجل "دولة" أو "سيادة" أو "تقرير مصير" فحسب، بل هو صراع بين الحق والباطل، ساحته الأساس هي العقيدة، وميدانه الأهمّ هو الدين، مع المفارقة والمفاصلة بين أصحاب الدّين القويم الذي ارتضاه ربّ العالمين، وأصحاب الأديان المحرّفة المزيّفة التي تلاعبت بها أيدٍ خبيثة توعدها الله ﷻ بالويل والخسران المبين ..

وهذا البحث يتناول عقائد أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وعقيدة المسلمين، فيما يتعلق بقدسية أرض فلسطين وما يترتب عليها من منهجيات واقعية، عرضاً ونقداً وتحليلاً..

أسباب اختياري للموضوع:

1) رغبتي الكبيرة في التعرّف وتعريف الناس بخفايا معتقد اليهود وطوائف من النصارى – خاصة الإنجيليين الأصوليين والصهيونيين المسيحيين في الغرب– فيما يتعلق بأرض فلسطين وقدسيتها.

2) دراستي واطّلاعي على دراسات وأبحاث صهيونية وغربية سياسية ودينية وإعلامية مترجمة، وأخرى عربية تتعلق بأرض فلسطين والقضية الفلسطينية، والتي يتناول فيها الغربيون والصهاينة

مواضيع تتعلق بالحق التاريخي والديني والحضاري لليهود في أرض فلسطين، والدعم الأعمى من نصارى الغرب لهم، ورغبتي في استقصاء حقيقة تقديس الطائفتين لفلسطين.

3) رغبتي في تحقيق شيء بسيط من حلم شيخنا الأستاذ الدكتور الشهيد نزار ريان في كتابة أحد تلاميذه حول هذا الأمر، خاصة في التأصيل العقائدي الشرعي لحقنا في بلادنا المباركة من ربّ العالمين.

أهمية الموضوع:

1. أنه يتناول بالبحث والمقارنة قضية من أخطر قضايا المسلمين، بل أهمّها على الإطلاق في هذا الزمان، وهي قضية بلادنا فلسطين، الأرض المقدسة التي باركها الله وبارك ما حولها.

2. أنه يحاول إزالة الغشاوة عن أعين الناظرين إلى قضيتنا على أنها قضية سياسية بحتة، بلا جذور عقائدية دينية عميقة.

3. أنه يمسّ صلب عقيدة المسلمين، من منطلق أنّ التفريط بهذه الأرض- مع قدسيتها- هو تفريط بشيء من القرآن، فضلاً عن التنكر للموروث الحضاري العظيم لهذه الأمة.

4. استجدّت الحاجة إلى الموضوع أكثر -برأيي- حديثاً بعد ما تكشّف أخيراً من تنازلات من قبل بعض المنتسبين لهذه الأمة عن أجزاء من أعزّ وأشرف بقاع هذه الأرض لصالح اليهود.

الدراسات السابقة:

بحسب اطّلاعي لم أعثر على بحثٍ شاملٍ يتناول المقارنة بين الأديان الثلاثة (اليهودية والنصرانية والإسلام) فيما يتعلق بالأرض المباركة وعقيدة التقديس ومتعلقاتها ولوازمها، وهذا ما تميّز به هذا البحث المتواضع، من جهة توسّع الباحث في استقصاء عقيدة التقديس لدى الملل الثلاث، وأنواعها وما يترتب عليها من آثار ملموسة.

غير أنّ هناك الكثير ممن كتب عن الحقّ في فلسطين، وعن عقيدة اليهود خاصةً فيها، وعن الصهيونية، وزخرت المكتبات بالحديث عن عقائد اليهود والاحتلال الصهيوني لأرض فلسطين، على شكل كتب، أو كتيّبات لتوعية المسلمين، ومحاضرات ومقالات وندوات وغيرها، **ومنها** على سبيل

المثال: كتاب د. محمد عمارة " القدس بين اليهودية والإسلام"، وكتيّب للدكتور صالح الرقب بعنوان: "ليس لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين".

أما على صعيد الأبحاث العلمية فهناك رسالة ماجستير بعنوان: **عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين.. عرض ونقد،** لمحمد بن علي آل عمر– جامعة أم القرى بمكة المكرمة عام 1422هـ، ورسالة بعنوان: "**أثر الانحراف العقدي والفكري عند اليهود على الفكر الصهيوني المعاصر**" لعطا الله بخيت المعايطة– جامعة أم القرى 1409هـ، وهناك دراسات متفرقة حول اليهود وفلسطين وحق المسلمين في فلسطين.

منهج البحث:

الجمع بين المنهج الوصفي التحليلي والمقارن.

عملي في البحث:

1) تتبع الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وتخريجها، فيما يخدم موضوع البحث، والرجوع لكتب التفسير وأقوال العلماء السابقين والمعاصرين، واستنباط ما يصلح من هذين المصدرين العظيمين للاستدلال على موضوع الدراسة.

2) تتبع عقيدة اليهود والنصارى وأفكارهم الدينية من مصادرهم، وما يوضحها ويفسرها من مصادرهم الحديثة، في موضوع التقديس عموماً وفي الأرض المقدسة، ومناقشة تفسيراتهم، واستنباط ما يصلح من هذه المصادر للاستدلال على موضوع الدراسة.

3) الربط بين المصادر الدينية والسياسية لليهود والنصارى ومقارنتها فيما يتعلق بموضوع البحث.

4) إعداد فهارس للآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والأعلام، والأماكن، والمصطلحات، ووضعها في نهاية البحث.

ملاحظات:

يرغب الباحث في تسجيل جملة من التنويهات والملاحظات لكل قارئ أو مطّلع على هذا البحث المتواضع **وهي كالتالي:**

1) ما نصّ عليه الباحث بلفظة "التوراة" في ثنايا البحث؛ كأن يقول" جاء في التوراة" أو "تذكر التوراة" أو ما شابه ذلك، فإنّ المقصود هي توراة اليهود المحرّفة التي بين أيدينا وأيديهم اليوم، وهذا ينطبق كذلك على "الإنجيل" أو "الأناجيل" عند ذكرها، إذ المراد تلك الأناجيل المحرّفة الموجودة بين دفتي ما يسمى بالكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد.

2) حافظ الباحث على توازن الفصول في بيان مصادر العقيدة عند الملل الثلاث، وقد يكون في تفصيل بعض جوانب هذه المصادر نوع إطالة وتوسّع في غير صلب البحث، لكن هذا البيان مطلوب في الدراسات المقارنة، وقد حاول الباحث الاختصار بما لا يخل ولا يلتبس على القارئ العادي غير المختص.

3) اعتمد الباحث بشيء من الاستفاضة على الموسوعة القيّمة للمفكر د. عبد الوهاب المسيري؛ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، فيما احتوته من تراجم وافية لجلّ الشخصيات والمصطلحات ذات العلاقة بتاريخ اليهود وديانتهم وما يتصل بهم، كما نقل الباحث بعض تعقيبات المسيري على الموضوعات التي تناولها البحث، وهذه النقول لا تعني تبني الباحث لنظريات الدكتور حول اليهود واليهودية، بل هي استفادة علمية أمينة من عمل بحثي ضخم خلفه المسيري رحمه الله تعالى.

4) توسّع الباحث قليلاً في استخدام عبارات: "في فهم الباحث" أو " بحسب فهم الباحث" أو "في تقدير الباحث"، وذلك في بيان المعاني التي تبادرت إلى ذهن الباحث أثناء تناوله للموضوع، وللتمييز بين كلامه وما سبقه أو لحقه من نقول.

5) عند تناول الباحث للتعريف بالأماكن والبلدان، فإنه حاول الاعتماد على أقدم المصادر والمعاجم عملاً بالمنهج البحثي، لكن قد ترد بعض العبارات القديمة كوحدات قياس المسافة والمساحة وما شابه، فنقلها الباحث كما وردت، وحاول تقريبها إلى اللغة المعاصرة أحياناً.

خطة البحث

قسّم الباحث البحث إلى **أربعة فصول**، مسبوقة **بمقدمة**؛ بيّن فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج البحث وخطّته.

أما بقية الفصول والمباحث والمطالب فهي على النحو التالي:

❖ الفصل تمهيدي: التعريف بالقدسية والبركة وأثرهما في الاعتقاد عند أهل الملل

وفيه مبحثان:

المبحث الأول/ التعريف بالقدسية والبركة وبالأديان الثلاثة:

المطلب الأول: معنى القدسية والبركة لغة.

المطلب الثاني: معنى القدسية والبركة اصطلاحاً.

المطلب الثالث: تعريف بالأديان الثلاثة.

المبحث الثاني/ علاقة القدسية والبركة بالاعتقاد عند أهل الملل:

المطلب الأول: تقديس الأماكن والأشخاص لدى ملل وفرق مختلفة.

المطلب الثاني: أثر الاعتقاد بالقدسية والبركة على السلوك والواقع.

❖ الفصل الأول: عقيدة اليهود في الأرض المقدّسة

المبحث الأول/ العوامل المؤثرة على العقيدة اليهودية:

المطلب الأول: مصادر الفكر اليهودي.

المطلب الثاني: المؤثرات والظروف الموضوعية.

المطلب الثالث: مناقشة مصادر العقيدة اليهودية.

المبحث الثاني/ عقيدة اليهود في الأرض المقدسة والرد عليهم:

المطلب الأول: القدسية والبركة في العقيدة اليهودية.

المطلب الثاني: أنواع القدسية والبركة في التراث اليهودي.

المطلب الثالث: جغرافيا الأرض المقدسة في التراث اليهودي.

المطلب الرابع: اعتقاد اليهود بالحق الديني والتاريخي في الأرض المقدسة ومناقشتهم.

المطلب الخامس: اضطراب واختلاف الطوائف اليهودية في هذه العقيدة.

المبحث الثالث/ الصهيونية وعلاقتها بعقيدة اليهود في الأرض المقدّسة:

المطلب الأول: تعريف عام بالصهيونية وأساسها الديني والفكري.

المطلب الثاني: علاقة الفكر الصهيوني بعقيدة اليهود في الأرض المقدسة.

المبحث الرابع/ آثار العقيدة اليهودية في الأرض المقدسة:

المطلب الأول: مجازر الصهاينة في فلسطين وعلاقتها بعقيدة اليهود.

المطلب الثاني: التوسع الاستيطاني وجدار الفصل وعلاقتهما بعقيدة اليهود.

المطلب الثالث: تهويد القدس وعلاقته بعقيدة اليهود.

المطلب الرابع: هيكل سليمان في العقيدة اليهودية.

المطلب الخامس: فكرة المسيح عند اليهود وعلاقتها بالأرض المقدسة.

❖ الفصل الثاني: عقيدة النصارى في الأرض المقدّسة:

المبحث الأول/ العوامل المؤثرة على العقيدة النصرانية:

المطلب الأول: مصادر الفكر النصراني.

المطلب الثاني: المؤثرات والظروف الموضوعية.

المطلب الثالث: مناقشة مصادر العقيدة النصرانية.

المبحث الثاني/ عقيدة النصارى في الأرض المقدسة والرد عليهم:

المطلب الأول: القدسية والبركة في العقيدة النصرانية.

المطلب الثاني: أنواع القدسية والبركة في التراث النصراني.

المطلب الثالث: اعتقاد النصارى بالحق الديني والتاريخي في الأرض المقدسة ومناقشتهم.

المطلب الرابع: اضطراب وتباين الطوائف النصرانية في هذه العقيدة.

المبحث الثالث/ آثار العقيدة النصرانية في الأرض المقدّسة:

المطلب الأول: الحروب الصليبية على الأرض المقدسة.

المطلب الثاني: الصهيونية المسيحية ودورها في تثبيت اليهود في الأرض المقدّسة.

المطلب الثالث: مظاهر الدعم الغربي (النصراني) المعاصر لليهود في الأرض المقدسة.

❖ الفصل الثالث: عقيدة المسلمين في الأرض المقدسة:

المبحث الأول/ مصادر عقيدة المسلمين في الأرض المقدسة:

المطلب الأول: مصادر الحق الديني للمسلمين في الأرض المقدّسة.

المطلب الثاني: مصادر الحق التاريخي للمسلمين في الأرض المقدّسة.

المبحث الثاني/ عقيدة المسلمين في الأرض المقدسة:

المطلب الأول: مفهوم القدسية والبركة عند المسلمين.

المطلب الثاني: مكانة الأرض المقدسة في العقيدة الإسلامية.

المطلب الثالث: الأرض المقدسة وملاحم آخر الزمان.

المبحث الثالث/ آثار عقيدة المسلمين في الأرض المقدسة:

المطلب الأول: الفتح الإسلامي للأرض المقدسة.

المطلب الثاني: وقفيّة فلسطين في الإسلام.

المطلب الثالث: وجوب الجهاد لاسترداد الأرض المقدسة.

المطلب الرابع: حكم الإسلام في التفريط بشيء من الأرض المقدسة.

- **النتائج والتوصيات.**
- **الفهارس.**

وإنني بعد انتهائي من كتابة هذا البحث المتواضع، وصفت الأرض المقدّسة في عشرة أبيات من الشعر تبادرت إلى ذهني وبناني، من وحي ما قرأت وما كتبت، فقلت:

اختارها الجبارُ قدساً واصطفـى	فتباركت وتقدّست في كل ديـن
وتدافع الأغرابُ فوق تُرابهـــا	فتألّمت وتصبّرت عبر السنيـن
هبّ لها الفاروقُ يوم استصرخت	فـتـنـسّـمت حرّيــة بعـدَ الأنيـن
جـــاء الصليبيون يومـــاً غرّةً	فتحرّرت وتطهّرت بصلاح ديـن
دار الزمـــانُ ويـا لها من دولةٍ	عبث اليهودُ بإرث خير المرسلين
وتجبّــروا وتنمّــروا فــي غفلـة	وتزنّــروا بهـوان جندِ المسلميـن
هانت علــى قومٍ جثوا لعدوّهــا	لكنّهـا استلبت قلوبَ الصالحيـن
فتجهّزوا واستطيبوا بجهــادهــم	بذل الدّماء الغالياتِ بكـلّ حيــن
فاستبشرت أرضُ الرّسالات التي	طالت بهـا آمـاد ظلم الغاصبيـن
واستـعـذَبَـتْ نيرانَ جنـدِ اللهِ إذْ	بـالـكـيّ تَشفي كـلّ آلام السّنين

هذا، وما كان في هذا الجهد المتواضع من خيرٍ وصواب وحقّ، فهو من الله ﷻ، وما كان فيه من خطأ أو زلل فهو من نفسي والشيطان، وقد تعلّمت من مشواري في هذا البحث أنّ النقص صفةٌ ملازمة للمرء مهما حرص، ولو أنّه أعاد قراءة ما كتب في كل يوم مرّةً لوجد فيه نقصاً وثغرات، فسبحان المتفرد بالكمال والجلال .

والله أسأل أن يتقبّل مني هذا الجهد، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم لا مغيث إلّا هو سبحانه، وكذا في ميزان حسنات كل من ساهم فيه بكلمة أو نصيحة أو جهد، كما أسأل العليّ القدير أن ينفع به من قرأه وأن يكون بدايةً لكاتبه في الاجتهاد في طلب العلم.

وبعدد ما في هذا البحث من كلمات أبتهل إلى الله ﷻ أن يجعلني ومن قرأ هذه السطور من أوليائه المرابطين على ثغور الأرض المقدّسة، وأن يجعلنا ﷺ وقوداً وجنوداً لفتحها وتحريرها شبراً شبراً، وأن ينزّل علينا نصره وتمكينه، إنّه نعم المولى ونعم النصير ..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباحث: حذيفة سمير الكحلوت

الفصل التمهيدي

القدسية والبركة وعلاقتهما بالاعتقاد عند أهل الملل

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: **التعريف بالقدسيـــة والبركــة وبالأديـان الثلاثة**

المبحث الثاني: **علاقة القدسية والبركة بالاعتقاد عند أهل الملل**

المبحث الأول

التعريف بالقدسيـــة والبركـــة وبالأديـان الثلاثة

ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: معنى القدسية والبركة لغـــــــةً

المطلب الثاني: معنى القدسية والبركة اصطلاحاً

المطلب الثالث: تعريـف بالأديـــان الثلاثـــــة

المطلب الأول

معنى القدسية والبركة لغة

أولا: **معنى القدسية**:

القدسية: " (قاف ودال وسين) أصلٌ صحيح، وهو من الكلام الشرعيِّ الإسلاميّ، و يدلُّ على الطهْر؛ ومن ذلك: **الأرضُ المقدَّسة**، أي: المطهَّرة، وتسمَّى الجنَّة حَظِيرةَ القُدْس، أي: الطُّهر، وجَبْرَئيلُ ﷺ رُوح القُدُس، وكلُّ ذلك معناه واحدٌ " [1].

" وفي صِفَة الله ﷻ: القُدُّوس، فَعُّول من القُدْس وهو الطهارة، **قال الأَزهري**[2]: لم يجئ في صفات اللَّه ﷻ- أي في هذا الباب- غير القُدُّوس وهو الطاهر المُنَزَّه عن العُيوب والنَّقائص، والتَقْدِيس: التَّطْهِير والتَّبْريك، وتَقَدَّس أَي: تطهَّر، وفي التنزيل: **﴿ونحن نُسَبِّحُ بحمدك ونُقَدِّس لك﴾** (البقرة/30)، **قال الزجاج**[3]: معنى نُقدس لك: أَي نُطهِّر أَنفسنا لك وكذلك نفعل بمن أَطاعك نُقَدِّسه أَي نطهِّره " [4].

1) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط1، 1399هـ/1979م، (64/5)- بتصرف .

2) الأزهري (282-370هـ): محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، أحد الأئمة في اللغة والأدب، مولده ووفاته في هراة بخراسان، نسبته إلى جده "الأزهر"، عني بالفقه فاشتهر به أولاً، ثم غلب عليه التبحر في العربية، فرحل في طلبها وقصد القبائل وتوسع في أخبارهم [الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين/بيروت، ط15، 2002م، (311/5)- بتصرف يسير] .

3) الزجّاج (241-311هـ): إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج: عالم بالنحو واللغة، ولد ومات في بغداد، كان في فتوته يخرط الزجاج ومال إلى النحو فعلمه المبرد، وطلب عبيد الله بن سليمان (وزير المعتضد العباسي) مؤدباً لابنه القاسم، فدله المبرد على الزجاج، فطلبه الوزير، فأدب له ابنه إلى أن ولى الوزارة مكان أبيه، فجعله القاسم من كتابه، فأصاب في أيامه ثروة كبيرة، من كتبه: معاني القرآن و خلق الإنسان و الأمالي وإعراب القرآن، وغيرها [الأعلام، الزركلي (40/1)- بتصرف].

4) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، تحقيق: عبد الله الكبير وَ محمد حسب الله وَ هاشم الشاذلي، دار المعارف/القاهرة، ط (بدون)، (5/ 3549)- بتصرف .

" وحكى **ابن الأَعرابي**[1]: (لا قَدَّسه اللَّه) أَي: لا بارك عليه، قال: والمُقَدَّس المُبارَك، و ﴿**الأَرض المُقَدَّسة**﴾[المائدة/21]: المطهَّرة، **وقال الفرَّاء** [2]: الأَرض المقدَّسة: الطاهرة، وهي دِمَشْق[3]، وفِلَسْطين وبعض الأُرْدُنْ، ويقال: أَرض مقدَّسة، أَي: مباركة، وهو قول **قتادة**[4]، وإِليه ذهب ابن الأَعرابي، وقال الشاعر مخاطباً ناقته: لا نَومَ حتى تَهْبِطِي أَرضَ العُدُسْ * وتَشْرَبي من خير ماءٍ بِقُدُسْ، أَراد الأَرض المقدَّسة " [5].

أما في البلدان: " قُدْس بالضم ثم السكون، **قال الليث** [6]: هو جبل عظيم بأرض نجد" [7].

---

1) ابن الأعرابي (150-231هـ): إمام اللغة، أبو عبد الله محمد بن زياد بن الأعرابي الهاشمي مولاهم، الأحول، النسابة، انتهى إليه علم اللغة والحفظ، قال الأزهري:" ابن الأعرابي: صالح، زاهد، ورع، صدوق، حفظ ما لم يحفظه غيره، وسمع من بني أسد، وبني عقيل، فاستكثر، وصحب الكسائي في النحو" ، له مصنفات كثيرة أدبية، و(تاريخ القبائل)، وكان صاحب سنة واتباع، قيل: كان ربيب المفضل، صاحب (المفضليات)، فأخذ عنه **[** سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة/بيروت، ط3، 1405هـ/1985م، (687/10)- بتصرف **]** .

2) الفرّاء (144-207هـ): العلامة، صاحب التصانيف، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسدي مولاهم، الكوفي، النحوي، صاحب الكسائي، ثقة، ورد عن ثعلب أنه قال: لولا الفراء، لما كانت عربية، و لسقطت؛ لأنه خلصها، ولأنها كانت تتنازع ويدعيها كل أحد، قال ابن الأنباري: لو لم يكن لأهل بغداد والكوفة من النحاة إلا الكسائي والفراء، لكفى، وقال بعضهم: الفراء أمير المؤمنين في النحو، وقيل: عرف بالفراء لأنه كان يفري الكلام، مات الفراء بطريق الحج، وله ثلاث وستون سنة **[انظر:** سير أعلام النبلاء، الذهبي، (118/10-121) **]**.

3) دمشق: البلدة المشهورة قصبة الشام، قيل سميت بذلك لأنهم دمشَقوا في بنائها أي أسرعوا، فتحها المسلمون في رجب سنة 14 هـ **[** معجم البلدان، الحموي، (463/2)- بتصرف يسير **]** .

4) قتادة (61-118هـ): بن دعامة بن قتادة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري، مفسر، حافظ، ضرير، أكمه، قال الإمام أحمد ابن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة، وكان- مع علمه بالحديث- رأساً في العربية، ومفردات اللغة، وأيام العرب، والنسب، وكان يرى القدر، وقد يدلس في الحديث، مات بواسط في الطاعون **[** سير أعلام النبلاء، الذهبي، (269/5)- بتصرف ، **انظر أيضاً**: الأعلام، الزركلي، (189/5) **]**.

5) لسان العرب، ابن منظور، (5/ 3550)- بتصرف يسير .

6) الليث بن سعد (94-175هـ): بن عبد الرحمن، أبو الحارث الفهمي، الإمام، الحافظ، شيخ الإسلام، وعالم الديار المصرية، ، مولى خالد بن ثابت بن ظاعن. كان الليث -رحمه الله- فقيه مصر، ومحدثها، ومحتشمها، ورئيسها، ومن يفتخر بوجوده الإقليم، بحيث إن متولي مصر، وقاضيها، وناظرها من تحت أوامره، ويرجعون إلى رأيه، ومشورته، ولقد أراده المنصور على أن ينوب له على الإقليم، فاستعفى من ذلك **[** سير أعلام النبلاء، الذهبي، (136/8- 140)- بتصرف **]**.

7) معجم البلدان، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، دار صادر/بيروت، 1397هـ/1977م، (352/1) .

" وقال **ابن دريد**[1]: (قدس أوارة) جبل معروف، **وقال الأزهري:** جبلان لمزينة وهما معروفان بحذاء سقيا مزينة، **وقال عرام**[2]: بالحجاز جبلان يقال لهما القدسان قدس الأبيض وقدس الأسود، والقدس اسم للبيت المقدّس، وقَدس بفتح القاف؛ هي بحيرة بين حمص[3] وجبل لبنان[4]، تنصبّ إليها مياه تلك الجبال، ثم تخرج منها فتصير نهراً عظيماً وهو (العاصي)[5] الذي عليه مدينة حماة[6]، وشيزر[7]، ثم يصبّ في البحر قرب أنطاكية[8] " [9] .

---

1) **ابن دريد (223–321هـ):** العلامة، شيخ الأدب، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية الأزدي، البصري، صاحب التصانيف، تنقل في فارس وجزائر البحر يطلب الآداب ولسان العرب، ففاق أهل زمانه، ثم سكن بغداد، قال أحمد بن يوسف الأزرق: ما رأيت أحفظ من ابن دريد، ولا رأيته قرئ عليه ديوان قط إلا وهو يسابق إلى روايته، يحفظ ذلك، وقال أبو بكر الأسدي: كان يقال: ابن دريد أعلم الشعراء، وأشعر العلماء **[** سير أعلام النبلاء، الذهبي، (15/96–97)– بتصرف يسير **]** .

2) **عرام بن الأصبغ:** السلمي (ت: نحو 275 هـ): ثقة في معرفة جبال "تهامة" وقراها وسكانها، وأشجارها ومياهها، كان أعرابيا، من بني سليم، تنقل في جهات تهامة، ووضع كتابا سماه أو سمي من بعده " كتاب أسماء جبال تمامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الاشجار وما فيها من المياه" **[** الأعلام، الزركلي، (4/223 – 224) **]** .

3) **حمص:** بلد مشهور قديم كبير مسوّر، وفي طرفه القبلي قلعة حصينة على تلّ عال كبيرة، بين دمشق وحلب في نصف الطريق، بناه رجل يقال له حمص بن المهر بن جان بن مكنف **[** معجم البلدان، الحموي، (2/302) **]** .

4) **جبل لبنان:** جبل مطلّ على حمص، يجيء من العرج الذي بين مكة والمدينة حتى يتصل بالشام، فما كان بفلسطين فهو جبل الحمل، وما كان بالأردن فهو جبل الجليل، وبدمشق سنير، وبحلب وحماة وحمص لبنان **[** معجم البلدان، الحموي، (5/11) **]** .

5) **نهر العاصي:** وهو اسم نهر حماة وحمص، ويعرف بالميماس، مخرجه من بحيرة قدس، ومصبه في البحر قرب أنطاكية، واسمه قرب أنطاكية الأرند **[** معجم البلدان، الحموي، (4/67) **]** .

6) **حماة:** مدينة كبيرة عظيمة بالشام، يحيط بها سور محكم، مشرفة على نهرها المعروف بالعاصي، وفي طرف المدينة قلعة عظيمة عجيبة وإتقان عمارتها، وهي مدينة قديمة **[** معجم البلدان، الحموي، (2/300)– بتصرف **]** .

7) **شيزر:** قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرّة، بينها وبين حماة يوم، في وسطها نهر الأردن عليه قنطرة في وسط المدينة، أوله من جبل لبنان، تعدّ في كورة حمص، وهي قديمة **[** معجم البلدان، الحموي، (3/383) **]** .

8) **أنطاكية:** مدينة تجارية في تركيا (حاليا)، تقع في وادي العاص الأدنى، مركز لواء الإسكندرونة، وتبعد عن مدينة اللاذقية السورية نحو 110كم ومثلها عن مدينة حلب، ويخترقها نهر العاص. وأنطاكية مدينة تاريخية قديمة أسسها "سلوقس" عام 300 ق.م، حررها المسلمون عام 638م بقيادة أبي عبيدة عامر بن الجراح ﷺ، واحتلها الصليبيون فأصبحت إحدى الإمارات الصليبية الأربع لفترة 170 عاماً حتى حررها الظاهر بيبرس، ثم ضمها العثمانيون في 1516م **[انظر:** معجم البلدان، الحموي، (1/266)، **أيضاً:** مجلة البحوث الإسلامية، (50/81) **]**.

9) معجم البلدان، الحموي، (1/352، 4/311) .

ثانياً: **معنى البركة**:

أما البركة فمعناها قريب من القدسية، وإن كانت تتسع في اشتقاقها اللغوي إلى معنى الاستقرار والنماء والزيادة والكرامة والتشريف والسعادة والارتفاع وغيرها [1].

" **قال الخليل**[2]: البَرَكة من الزيادة والنماء، والتّبريك: أن تَدعُوَ بالبَرَكة، وتبارك الله ﷻ: تمجيدٌ وتجليل، وفُسِّر على: ﴿تعالى الله﴾(النمل/63)، والله أعلم بما أراد، **وقال أبو حاتم**[3]: طعامٌ بَريكٌ أي ذو بَرَكة ".[4]

قال الفراء في قوله ﷻ: ﴿رَحْمَتُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ (هود/73): "البركات السعادة، وقيل: كذلك قوله في التشهد: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته؛ لأن من أسعده الله بما أسعد به النبي ﷺ فقد نال السعادة المباركة الدائمة، ونُقل في تَفْسيرِ ﴿تَبَارَكَ اللهُ﴾ أي: ارْتَفَع، **وقال الزَّجّاجُ**: تَبارَكَ: تَفاعَلَ من البَرَكَةِ كذلك يَقولُ أَهلُ اللُّغَة".[5]

---

1) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، دار الهداية/الرياض، ط(بدون)، (27/ 57) .

2) الخليل (100- 170هـ): الخليل بن أحمد الفراهيدي أبو عبد الرحمن، الإمام، صاحب العربية، ومنشئ علم العروض، البصري، أحد الأعلام، كان رأساً في لسان العرب، ديناً، ورعاً، قانعاً، متواضعاً، كبير الشأن، وله كتاب (العين) في اللغة، وثقه ابن حبان **[** سير أعلام النبلاء، الذهبي، (7/429-431)- بتصرف **]** .

3) أبو حاتم: الإمام، العلامة، أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستاني، ثم البصري، (ت:250هـ) المقرئ، النحوي، اللغوي، صاحب التصانيف، له باع طويل في: اللغات، والشعر، والعروض، واستخراج المغمى، وله: كتاب (إعراب القرآن)، وكتاب (ما يلحن فيه العامة)، وكتاب (المقصور والممدود)، وغير ذلك **[** سير أعلام النبلاء، الذهبي، (12/268) **]** .

4) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (1/231) .

5) لسان العرب، ابن منظور، (1/266) .

" وقال **ابنُ الأَنْبارِيّ**[1]: تَبارَكَ اللّه أي: يُتَبَرَّكُ باسمِه في كُلِّ أَمرٍ، **وقال اللّيثُ:** في تَفْسِير ﴿**تَبَارَكَ اللهُ**﴾: تَمجِيدٌ وتَعْظِيمٌ. **وقيل:** تَبارَكَ اللّه أي: بارَكَ، **وقال الأَزْهَرِيُّ:** البركة من بَرَكَ البَعِيرُ إِذا أَناخَ في مَوضِعٍ فلَزِمَه... والقُرَى **المُبارَكَةُ:** قيلَ: بَيْتُ المَقْدِس[2]، وقيلَ: الشامُ " [3] .

وحاصل الأمر: أن لفظ القدس والقدسية في جميع اشتقاقاتها هي أصل يدل على الطهر وعلو الشأن، كما أن لفظ البركة أصل يدل على معان متعددة ومترابطة، أهمها الزيادة والنماء، والعلو، والتشريف والتمجيد، والسعادة، واللزوم والاستقرار.

ويجد الباحث أن القرآن الكريم قد ذكر القدسية والبركة في الكثير من المواضع، فقد جاء لفظ القدسية في عشرة مواضع: منها مرة واحدة بلفظ **(المقدّسة)** في قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ **المُقَدَّسَةَ** الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ﴾ (المائدة/21)،وفي **أربعة مواضع** بلفظ **(روح القدس)**، في الآيات:﴿ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ **بِرُوحِ الْقُدُسِ**﴾(البقرة/87 ، 253)، ﴿إِذْ

1) **ابن الأنباري (272-304هـ):** أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار ، الإمام، الحافظ، اللغوي، ذو الفنون، المقرئ، النحوي، قال أبو علي التنوخي: كان ابن الأنباري يملي من حفظه، ما أملى من دفتر قط، وقيل: إن من جملة محفوظه عشرين ومائة تفسير بأسانيدها، قال أبو بكر الخطيب: كان ابن الأنباري صدوقا دينا من أهل السنة، من كتبه: (الوقف والابتداء)، و(المشكل)، و(غريب الغريب النبوي)، و(شرح المفضليات)، و(شرح السبع الطوال)، و(الزاهر)، و(الكافي) في النحو، **[** سير أعلام النبلاء، الذهبي، (274/15-276)- بتصرف يسير **]** .

2) **بيت المقدس:** قال الإمام السخاوي: " هو بلد فضائله لا تستقصى، وشمائل بهجتها زائدة بمسجده الشريف الأقصى، ثالث الحرمين، وثاني المسجدين، وأول القبلتين، ذي الصخرة المعظمة، والقبة النضرة المحترمة، لا تشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه، ولا تعقد الخناصر بعد الموطنين إلا عليه، وبه صلى الرسول ﷺ بالأنبياء ليلة الإسراء، وعرج به منه إلى السماء، بدون شك وامتراء، الصلاة فيه مع الإخلاص وعدم الاشتباه، تفضل عليها في غير المسجدين بخمس مئة أو بألف صلاة، ولشرفه سأل الكليم موسى عليه السلام عند وفاته ربه الدنو منه، ليفوز بتلك القربة؛ بل استوطنه ووروده خلق من الأنبياء والصحابة والأعيان؛ جديرون بإفرادهم في ديوان، وكنت ممن تشرف بسلوكه، وتعرف بالأخذ عن أجلاء السند فيه وملوكه، تفضل الله الكريم بالعود إليه، وتطول بما المعول في تحقيقه عليه " **[** البلدانيات، الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: حسام القطان، دار العطاء/السعودية، ط1، 1422هـ/2001م، (ص63-64) **]** .

3) تاج العروس، الزبيدي، (58/27-59 ، 288/39)- بتصرف .

قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ **بِرُوحِ الْقُدُسِ** تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً ﴾ (المائدة/110) ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ **رُوحُ الْقُدُسِ** مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾ (النحل/102).

وفي **موضعين** بلفظ **(المقدّس)** وهما في قوله ﷻ لنبيه موسى عليه السلام: ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ **الْمُقَدَّسِ** طُوًى ﴾ (طه/12)، ﴿ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ **الْمُقَدَّسِ** طُوًى ﴾ (النازعات/16).

وبلفظ **(نقدّس)** في **موضع واحد** في قوله تعالى: ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ **وَنُقَدِّسُ** لَكَ ﴾ (البقرة/30).

وفي **موضعين** بلفظ **(القدوس)** وهو اسم من الأسماء الحسنى الله تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ **الْقُدُّوسُ** ﴾ (الحشر/23)، ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ **الْقُدُّوسِ** ﴾ (الجمعة/1).

أما لفظ البركة ومشتقاته فقد ورد في القرآن الكريم في اثنين وثلاثين(32) موضعاً [1]:

منها **اثنا عشر موضعاً** جاءت بألفاظ المباركة: (**مباركٌ، ومباركاً، ومباركةٌ، ومباركةً، ومباركةٍ، والمباركة**)، **وتسعة مواضع** بلفظ: ﴿**تبارك**﴾، و**ستة مواضع** بلفظ: ﴿**باركنا**﴾ **وثلاثة مواضع** بلفظ: ﴿**بركات**﴾، **وموضع واحد** بلفظ: ﴿**بورك**﴾، **وموضع واحد** بلفظ: ﴿**بارك**﴾.

أما في **الكتاب المقدّس** بعهديه القديم والجديد، فقد توسع واضعوه في ذكر القدسية والبركة، إذ بلغ **عدد مشتقات (قدس)** بألفاظها المتنوعة **سبعمائة وواحداً وثمانين (781)** موضعاً، منها **(630)** موضعاً في العهد القديم، و**(151)** موضعاً في العهد الجديد.

---

1) آل عمران/96، الأنعام/92، 155، الأعراف/137،96،54، هود/73،48، الإسراء/1، مريم/31، الأنبياء/81،71،50، المؤمنون/29،14، النور/61،35، الفرقان/61،10،1، النمل/8، القصص/30، سبأ/18، الصافات/113، ص/29، غافر/64، فصلت/10، الزخرف/85، الدخان/3، ق/9، الرحمن/78، الملك/1.

أما **لفظ البركة والمباركة ومشتقاتها** فقد بلغت في الكتاب المقدّس **ستمائة وسبعة وأربعين (647)** موضعاً، منها **(557)** موضعاً في العهد القديم و**(90)** موضعاً في العهد الجديد.

أي: أن مجموع ألفاظ البركة والقدسية في الكتاب المقدس بلغت **ألفاً وأربعمائة وثمانية وعشرين (1428)** موضعاً[(1)].

وقد تنوعت أسماء وأفعال التقديس والبركة في الكتاب المقدّس بين تقديس وبركة الأماكن والأشخاص والأوقات:

فالأماكن مثل: « **ولتكنْ أورشَليمُ مقدّسةً وحرّةً** هيَ وتخومُها وأحطُّ عنها العشورَ والضرائب»[(2)]، «حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ، **وَمُبَارَكٌ صَخْرَتِي**، وَمُرْتَفَعٌ إِلهُ صَخْرَةِ خَلاَصِي»[(3)].

والأشخاص مثل: «وَأُقَدِّسُ خَيْمَةَ الاجْتِمَاعِ وَالْمَذْبَحَ، **وَهَارُونُ وَبَنُوهُ أُقَدِّسُهُمْ** لِكَيْ يَكْهَنُوا لِي»[(4)]، «فَقَالَ شَاوُلُ لِدَاوُدَ: **مُبَارَكٌ أَنْتَ يَا ابْنِي دَاوُدُ**، فَإِنَّكَ تَفْعَلُ وَتَقْدِرُ»[(5)].

والأوقات مثل: « وَكَانَ اللاَّوِيُّونَ يُسَكِّتُونَ كُلَّ الشَّعْبِ قَائِلِينَ: اسْكُتُوا، **لأَنَّ الْيَوْمَ مُقَدَّسٌ** فَلاَ تَحْزَنُوا»[(6)]، « **وَبَارَكَ اللهُ الْيَوْمَ السَّابعَ وَقَدَّسَهُ**، لأَنَّهُ فِيهِ اسْتَرَاحَ مِنْ جَمِيعِ عَمَلِهِ الَّذِي عَمِلَ اللهُ خَالِقًا»[(7)].

---

1) بعد مقارنة عدد من النسخ للكتاب المقدس، ولاختلافها وتباين طبعاتها فإن من العسير أن تجد تطابقاً كاملاً بين نسخه، وفي ما أثبته الباحث من أعداد لألفاظ البركة والقدسية، (تم اعتماد نسخة كنيسة الأنبا تكلاهيمانوت القبطية الأرثوذكسية المصرية) عبر موقعها الرسمي، رابط: /www.st-takla.org، تم سحب النسخة بتاريخ 2011/5/20م .

2) المكابيين الأول 10 : 31

3) صموئيل الثاني 22 : 47

4) الخروج 29 : 44

5) صموئيل الأول 26 : 25

6) نحميا 8 : 11

7) التكوين 2 : 3

المطلب الثاني

معنى القدسية والبركة اصطلاحاً

لا شك أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للقدسية والبركة، حيث إن المفسرين للقرآن الكريم يعتمدون على اللغة العربية وأقوال العرب كركيزة أساسية لفهم المعاني القرآنية التي جاء فيها مصطلحات البركة والتقديس؛ لأن القرآن نزل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ (الشعراء/195) .

أولا: القدسية في الاصطلاح الشرعي:

قال القرطبي[(1)]**– رحمه الله:** " لقد جعل الله ﷻ لبعض الأماكن زيادة فضل على بعض؛ كما قد جعل لبعض الأزمان زيادة فضل على بعض، ولبعض الحيوان كذلك، ولله ﷻ أن يفضّل ما شاء، وعلى هذا فلا اعتبار بكونه مقدساً بإخراج الكافرين وإسكان المؤمنين؛ فقد شاركه في ذلك غيره" [(2)].

" لذا قال **مجاهد**[(3)]: الأرض المقدسة هي المباركة؛ والبركة التطهير من القحوط والجوع ونحوه، وقال: هي الطور وما حوله، وروي عن **قتادة:** أنها الشام كُلُّها، وعن ابن عباس: أنّها

---

1) **القرطبي:** محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي، (ت:671هـ) من كبار المفسرين، صالح متعبد، من أهل قرطبة، رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسيوط، بمصر) وتوفي فيها، من كتبه "الجامع لأحكام القرآن"، و"قمع الحرص بالزهد والقناعة" و "الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى" و "التذكار في أفضل الاذكار" و "التذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة" و "التقريب لكتاب التمهيد" وكان ورعا متعبداً، طارحا للتكلف **[** الأعلام، الزركلي، (5/321–322) **]**.

2) الجامع لأحكام القرآن، شمس الدين القرطبي، تحقيق: هشام البخاري– دار عالم الكتب، الرياض، ط(بدون)، 1423هـ/2003م، (11/175) .

3) **مجاهد(21– 104هـ):** بن جبر أبو الحجاج المكي الأسود، الإمام، شيخ القراء والمفسرين، أبو الحجاج المكي، الأسود، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، روى عن: ابن عباس – فأكثر وأطاب – وعنه أخذ القرآن، والتفسير، والفقه، وروى عن جمع من الصحابة منهم أبو هريرة وعائشة وابن عمر رضي الله عنهم، قال سفيان الثوري: خذوا التفسير من أربعة: مجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، والضحاك، وقال يحيى بن معين، وطائفة: مجاهد ثقة، قيل: مات ساجداً **[** سير أعلام النبلاء، الذهبي، (4/449–454)– بتصرف **]**.

أريحاء[1]، وعن **الزجاج** وغيره هي: دمشق وفلسطين وبعض الأردن، وقول قتادة – أي الشام– يجمع هذا كله" [2] .

" وقال **الضَّحَّاك**[3]: هي إيلِيَا وبَيْتُ المَقْدِسِ، **وقال كَعْبٌ** [4]: وجَدْتُ في كتاب اللَّه المُنَزَّل [أنَّ الشَّام] كَنْزُ الله من أرْضِه، وبِها كَثْرَةٌ من عِبَادِه" [5].

قال الحرالي[6]: "القدس طهارة دائمة لا يلحقها نجس ظاهر ولا رجس باطن"[7].

---

1) **أريحا:** هي مدينة في غور الأردنّ، بينها وبين بيت المقدس يوم للفارس في جبال صعبة المسلك (34 كلم شمال شرق القدس)، سمّيت فيما قيل بأريحا بن مالك بن أرفخشد بن سام بن نوح ﷺ **[** معجم البلدان، الحموي، (165/1)– بتصرف **]** .

2) الجامع لأحكام القرآن (125/6)– بتصرف.

3) **الضحاك:** ابن مزاحم الهلالي، أبو محمد، وقيل أبو القاسم، (ت: 105هـ) صاحب التفسير، كان من أوعية العلم، وليس بالمجود لحديثه، وهو صدوق في نفسه، وكان يكون ببلخ وبسمرقند، حدث عن ابن عباس ﷺ، وأبي سعيد الخدريﷺ، وابن عمرﷺ، وأنس بن مالكﷺ، وعن الأسود، وسعيد بن جبير، وعطاء، وطاووس، وطائفة، وثقه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وغيرهما، وحديثه في السنن لا في الصحيحين، وقد ضعفه يحيى بن سعيد، كان يؤدب الاطفال، ويقال: كان في مدرسته ثلاثة آلاف صبي، له كتاب في (التفسير)، توفي بخراسان **[** سير أعلام النبلاء، الذهبي، (598/4–600) **]**.

4) **كعب:** كعب بن ماتع الحميري اليماني، المعروف بكعب الأحبار (ت: 32هـ) العلامة الحبر، الذي كان يهوديًا فأسلم بعد وفاة النبي ﷺ، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر ﷺ، فجالس أصحاب محمد ﷺ، فكان يحدثهم عن الكتب الاسرائيلية، ويحفظ عجائب، ويأخذ السنن عن الصحابة، وكان حسن الاسلام، متين الديانة، من نبلاء العلماء، حدث عن: عمر، وصهيب، وغير واحد، وحدث عنه: أبو هريرة، ومعاوية، وابن عباس –رضي الله عنهم– وذلك من قبيل رواية الصحابي عن التابعي، وهو نادر عزيز **[** سير أعلام النبلاء، (489/3)– بتصرف **]**.

5) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وَ علي معوض، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط1، 1419هـ/1998م، (269/7) .

6) **الحرالي:** هو العلامة المتفنن أبو الحسن علي بن أحمد بن حسن التجيبي الاندلسي (ت: 637 هـ)، وحرالة: قرية من عمل مرسية، ولد بمراكش، وجال في البلاد، ولهج بالعقليات، وسكن حماة، وعمل تفسيراً عجيباً ملاه باحتمالات لا يحتمله الخطاب العربي أصلاً، وتكلم في علم الحروف والأعداد، ووعظ بحماة، وصنف في المنطق، وفي شرح الأسماء الحسنى، وكان يضرب بحلمه المثل **[** سير أعلام النبلاء، الذهبي، (47/23)– بتصرف **]**.

7) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية/بيروت، ط2، 1424هـ/2002م، (106/1) .

وقيل في التقديس في حق الله ﷻ: " هو لغة التطهير: واصطلاحا: تنزيه الحق ﷻ عن كل ما لا يليق بجنابه، وعن النقائص الكونية، وعن جميع ما يعدّ كمالاً بالنسبة إلى غيره من الموجودات، مجردة كانت أو غير مجردة، وهو أخصّ من التسبيح كيفية وكمية، أي أشدّ تنزيهاً منه وأكثر؛ ولذلك أخر عنه في قولهم: سبوح قدوس " [1].

ومن هنا فإن التقديس يستعمل للأماكن، ومن ذلك: ﴿ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ﴾ (المائدة/21)، يعني: أرض الشام، كما يستعمل التقديس في حق الآدميين؛ فيقال: فلان رجلٌ مقدس: إذا أريد تبعيده عن مسقطات العدالة ووصفه بالخير، ولا يقال: رجل مسبّح، بل ربما يستعمل في غير ذوي العقول أيضاً، فيقال: قدّس الله روح فلان، ولا يقال: سبّحه[2] .

إذاً، يتضح مما سبق أن المعنى الاصطلاحي الشرعي للقدسية والتقديس لا ينفك عن معناهما اللغوي إذ هو: طهرٌ وتشريف ثابت في ذات الله ﷻ ؛ فهو القدّوس، وكذا يهبه الله ﷻ للخاصة من عباده وأرضه وفق مقتضيات حكمته ﷻ.

ثانياً: **البركة في الاصطلاح الشرعي**:

ذُكر معنى البركة لغة في المطلب السابق، وتقرر أنها تحمل معانٍ قريبة من القدسية، إلا أنّها أكثر استخداماً في التعبير القرآني، وفي السنّة النبوية كذلك.

و مما جاء في المعنى الاصطلاحي للبركة، أنّها: " **دوام الخير، وزيادته، وكثرته، وثبوته أيضاً** "[3].

---

1) دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري، دار الكتب العلمية/بيروت، ط1، 1421هـ/2000م، (232/1) .

2) معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، مؤسسة النشر الإسلامي، ط1، 1412هـ، (ص 125) – بتصرف .

3) التعريف بنصه ذكره الشيخ محمد بن صالح المنجد، ضمن دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية على الإنترنت، رابط: www.islamweb.net، والاقتباس من الدرس المنشور على الشبكة تحت رقم: 213، سحب بتاريخ 25 /2011/05م.

قال الراغب[1]: " وتحقيق ذلك أن البركة في الأصل مأخوذة من (برك البعير) وهو صدره، ومنه برك البعير إذا ألقى بركه على الأرض، واعتبر فيه معنى **اللزوم** فقيل: براكاء الحرب وبروكاؤها للمكان الذي يلزمه الأبطال، وسمي محبس الماء بركة، ثم أطلقت على **ثبوت الخير الإلهي في الشيء**، كثبوت الماء في البركة، والمبارك ما فيه ذلك الخير، على ذلك: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ﴾ (الأنبياء/50)، تنبيهاً على ما يفيض عليه من الخيرات الالهية، ولما كان الخير الإلهي يصدر من حيث لا يحس وعلى وجه لا يحصى ولا يحصر، قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة هو مبارك وفيه بركة "[2].

أما عن مصدر البركة، فإن الله ﷻ هو خالق البركة، وهو الذي يمنحها من يشاء وما يشاء سبحانه.

قال ابن القيّم[3]**– رحمه الله:** " والبركة المضافة لله ﷻ نوعان، **أحدهما:** بركة هي فعله ﷻ، والفعل منها بارك، ويتعدى بنفسه تارة، وبأداة على تارة، وبأداة في تارة، والمفعول منها مبارك، وهو

---

1) **الراغب:** هو العلامة الماهر، المحقق الباهر، أبو القاسم، الحسين بن محمد ابن المفضل الاصبهاني، (ت 502هـ)، صاحب التصانيف، كان من أذكياء المتكلمين، من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، من كتبه: (محاضرات الأدباء) و (الذريعة إلى مكارم الشريعة) و (الاخلاق) و (جامع التفاسير) و (حل متشابهات القرآن) و (تفصيل النشأتين)، و (تحقيق البيان) ، وكتاب في (الاعتقاد) و (أفانين البلاغة)، [سير أعلام النبلاء، الذهبي، (120/18)، **أيضاً**: الأعلام، الزركلي، (255/2)] .

2) مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، دار القلم/ دمشق، ط(بدون)، (44/1) .

3) **ابن قيم الجوزية (691–751هـ):** محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين ، من أركان الإصلاح الاسلامي، وأحد كبار العلماء، مولده ووفاته في دمشق، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه، وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه، وطيف به على جمل مضروبا بالعصى، وأطلق بعد موت ابن تيمية، وكان حسن الخلق محبوبا عند الناس، أغري بحب الكتب، فجمع منها عدداً عظيماً، وكتب بخطه الحسن شيئا كثيراً، وألف تصانيف كثيرة منها: (إعلام الموقعين) و (الطرق الحكمية في السياسة الشرعية) و (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل) و (الداء والدواء) و(التفسير القيم) و (مدارج السالكين) و(هداية الحيارى) و(طريق الهجرتين) و(الروح) ... وغيرها الكثير، [الأعلام، الزركلي، (56/6–57)– بتصرف] .

ما جعل كذلك فكان مباركاً بجعله ﷻ، **والنوع الثاني:** بركة تضاف إليه إضافة الرحمة والعزة، والفعل منها تبارك، ولهذا لا يقال لغيره ذلك، ولا يصلح إلا له ﷻ فهو سبحانه المبارك" [1].

والبركة هي صفة ذات له ﷻ باعتبار، وصفة فعل باعتبار آخر، لقوله ﷻ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾ (الفرقان/1)، وغيرها من الآيات، فقد **قال ابن عباس** ﷺ في تفسيرها: " يقول: ذو بركة، ويقال: تبارك وتعالى وارتفع وتبرأ عن الولد والشريك [2] "، وبهذا الاعتبار هي صفة فعل.

" **وقال الحسين بن الفضل**[3]: تبارك في ذاته وبارك من شاء من خلقه، **قال ابن القيم:** وهذا أحسن الأقوال، فتباركه سبحانه، وصف ذات له، وصفة فعل، كما قال الحسين بن الفضل، **وقال ابن عطية**[4]: معناه عظم وكثرة بركاته، ولا يوصف بهذه اللفظة إلا الله ﷻ" [5]، وبهذا الاعتبار فهي صفة ذات له ﷻ.

وتكون البركة في بعض الأمكنة، والأزمنة، والأشخاص، والأقوال، والأفعال، والأشياء.

ففي الأمكنة كبركة المسجد الأقصى وما حوله لقوله ﷻ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء/1).

---

1) بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي/بيروت، ط(بدون)، (185/2- 186)- بتصرف.

2) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية/ لبنان، ط(بدون)، (ص 300).

3) الحسين بن الفضل: ابن عمير (ت: 282هـ)، العلامة، المفسر، الامام، اللغوي، المحدث، أبو علي البجلي الكوفي، ثم النيسابوري، عالم عصره، إمام عصره في معاني القرآن، عاش فوق المائة عام، قال الحاكم: سمعت إبراهيم بن مضارب، سمعت أبي يقول: كان علم الحسين بن الفضل بالمعاني إلهاماً من الله ﷻ، فإنه كان قد تجاوز حد التعليم [سير أعلام النبلاء، الذهبي، (414/13-415)- بتصرف] .

4) ابن عطية (481-542هـ) : الإمام العلامة، شيخ المفسرين، أبو محمد عبد الحق بن الحافظ أبي بكر غالب بن عطية المحاربي الغرناطي. وكان إماما في الفقه، وفي التفسير، وفي العربية، قوي المشاركة، ذكيا فطنا مدركا، من أوعية العلم، له شعر، ولي قضاء المرية، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملثمين، وتوفي بحصن لورقة، له كتاب التفسير المسمى: (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) [سير أعلام النبلاء، الذهبي، (587/19-588)، **أيضاً**: الأعلام، الزركلي، (282/3)] .

5) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، ابن القيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وَ عبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة /الكويت، ط2، 1407هـ/1987م، (ص 306) .

وفي الأزمنة: كبركة شهر رمضان، وخاصة ليلة القدر،قال ﷻ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ **مُّبَارَكَةٍ**﴾ (الدخان/3).

وفي الأشخاص: كبركة الأنبياء، قال ﷻ عن نوح عليه السلام: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا **وَبَرَكَاتٍ** **عَلَيْكَ** وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ (هود/ 48)، وقال عن عيسى عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي **مُبَارَكًا** أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ (مريم/31).

وفي خيار المؤمنين بركة، كلٌ على قدر إيمانه، ولهذا جاء في الحديث أن النبي – ﷺ– قال: **(إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ لَمَا بَرَكَتُهُ كَبَرَكَةِ المُسْلِمِ)** [1].

كما بارك ربنا ﷻ في بعض **الأشجار والمياه والأطعمة،** قال تعالى: ﴿يُوقَدُ مِن **شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ** زَيْتُونَةٍ﴾ (النور/35)، ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ **مَاءً مُّبَارَكًا**﴾ (ق/9).

كما أن **بعض الأقوال مباركة،** لقوله تعالى: ﴿**تَحِيَّةً** مِّنْ عِندِ اللَّهِ **مُبَارَكَةً** طَيِّبَةً﴾ (النور/61).

وقد ذكر الله ﷻ من الأعمال والأشياء ما يمكن **بفعله حدوث البركة،** ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا **لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ** مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف/96).

ومنه قوله ﷺ: **(فَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ عَنْ طَعَامِكُمْ، اجْتَمِعُوا عَلَيْهِ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ يُبَارِكْ لَكُمْ)** [2].

---

1) **صحيح البخاري**، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، ترتيب وترقيم: د. محمد فؤاد عبد الباقي، شركة مكتبة ألفا/ مصر، ط1، 1429هـ/2008م، كتاب الأطعمة، باب أكل الجمار، برقم: 5444، (ص 673).

2) **المستدرك على الصحيحين**، أبوعبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط1، 1411م/1990م، كتاب الجهاد، برقم: 2455، (113/2)، وحسّنه الألباني **[** صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، الإمام الألباني، المكتب الإسلامي/ بيروت، ط3، 1408هـ/1988م، برقم: 142، (92/1) **]** .

خلاصة المطلب:

أولاً: إن البركة تقترب في معناها من القدسية والقداسة، إذ إنّ كلاً منهما متعلق كصفة بذات الله ﷻ وأفعاله، كما أنهما يتعلقان بالموجودات من الكائنات.

ثانياً: إنّ القدسية والبركة لا توهب من إنسان لإنسان آخر أو من إنسان لمكان؛ بل إنّ منحها وهبتها تكون من الله ﷻ، بتقديره وحكمته، وبما علّق عليه حدوثها من أقوال وأفعال، وبما اختصه سبحانه بها من أماكن وأشخاص وغيرها.

ثالثاً: إنّ القدسية والبركة هي زيادة تفضيل وتخصيص ورفعة، فالقداسة هي الطهارة الدائمة التي لا يلحقها نجس أو فساد، والبركة هي ثبوت الخير الإلهي واختصاصه بالشيء.

رابعاً: إنّ أرض فلسطين خاصة، وأرض الشام عامة، هي من الأرض التي اختصها الله ﷻ بالقدسية والبركة، وذلك بنص ومفهوم القرآن والسنة النبوية، وأقوال العلماء، كما سيأتي في الفصل الثالث كاملاً [1] .

1) وهذا هو موضوع البحث الذي بين أيدينا، إذ إنّ القدسية والبركة في هذه الأرض كانت ولا تزال محور صراع أهل الأديان عليها، ومهما كانت الأطماع السياسية والمزايا الاقتصادية لهذه الأرض كتفاصيل لهذا الصراع، فإنّ أساس الصراع – كما سيتضح من خلال صفحات هذا البحث– هو صراع بصبغة دينية أصيلة لا تنفك عنه، وإن كانت تحيط به خلفيات تاريخية وغيرها.

المطلب الثالث

التعريف بالمسلمين وأهل الكتاب

بين يدي هذا البحث تقديم يعرّج فيه الباحث على تعريف موجز للملل الثلاث محل البحث؛ الإسلام واليهودية والنصرانية، وعلاقة كلّ منها بالأرض المقدّسة تاريخياً.

أولاً: **الإسلام** [1]:

أ- الإسلام لغة:

أصل مادة اشتقاقه هي السين واللام والميم، **يقول ابن فارس**[2]: " معظم بابه من الصحة والعافية، فالسلامة أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى، قال أهل العلم: الله ﷻ هو السلام؛ لسلامته مما يلحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء ... ومن الباب أيضاً: الإسلام، وهو: الانقياد؛ لأنه يسلم من الإباء والامتناع " [3].

ويقول الراغب الأصفهاني: " الإسلام هو الدخول في السلم، وهو أن يسلم كل واحد منهما من أن يناله من ألم صاحبه" [4] .

---

1) مقصود الباحث في هذا المطلب بيان الاصطلاح العام للفظة الإسلام في حال إطلاقها، واقتبس الباحث بعضاً من بحر أقوال العلماء في هذا الصدد، وإلا فإن الحديث عن الإسلام عقيدة وشريعة ومنهاجاً لا تستوعبه صفحات هذا البحث وليس مقصوداً بيانه هنا، وما كُتب في الإسلام أكثر وأشهر من أن يحصى والحمد لله.

2) ابن فارس (329-395هـ): الإمام العلامة، اللغوي المحدث، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد ابن حبيب القزويني، المعروف بالرازي، المالكي، اللغوي، نزيل همذان، كان رأسا في الأدب، بصيراً بفقه مالك، مناظراً، متكلماً على طريقة أهل الحق، وله مصنفات ورسائل، وتخرج به أئمة، من تصانيفه: (مقاييس اللغة) و(المجمل) و(الصاحبي) في علم العربية، و(جامع التأويل) في تفسير القرآن، وغيرها **[** سير أعلام النبلاء، الذهبي، (103/17-105)، **أيضاً**: الأعلام، الزركلي، (193/1) **]** .

3) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (90/3) .

4) مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، (ص 240) .

ب-الإسلام اصطلاحاً:

قال شيخ الاسلام ابن تيمية[1] – رحمه الله: " الإسلام: دين الله ﷻ، وهذا هو الإسلام العام الذي لا يقبل الله ﷻ من أحد غيره، قال الله ﷻ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ **الإِسْلاَمِ** دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (آل عمران/85)، وقال الله ﷻ: ﴿ شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ **الإِسْلاَمُ** ﴾ (آل عمران/18-19) "[2].

وقد اكتمل الإسلام قبل موت النبي محمد ﷺ، وارتضاه الله ﷻ لعباده ديناً إلى يوم يبعثون، ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ **الإِسْلاَمَ** دِيناً ﴾ (المائدة/3).

" ولفظ الإسلام في لسان الشرع يراد به الدين كله الذي جاء به محمد ﷺ من العقائد والأعمال والأحكام، ومعنى هذا اللفظ: الانقياد لله ﷻ ظاهراً وباطناً، والإخلاص له فيهما لقول الله ﷻ: ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة/112)، ويجيء الإسلام في لسان الشرع أيضاً بمعنى الأعمال الظاهرة الدالة بحسب الظاهر على الانقياد والإذعان، المبنية على التصديق التام؛ لما جاء في حديث سؤال جبريل عليه السلام: وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ**

---

1) **ابن تيمية(661-728هـ):** أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية، الإمام، شيخ الإسلام، ولد في حران، وتحول به أبوه إلى دمشق، فنبغ واشتهر، وطلب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها، فقصدها، فتعصب عليه جماعة من أهلها فسجن مدة، ونقل إلى الإسكندرية، ثم أطلق، فسافر إلى دمشق سنة 712هـ، واعتقل بها سنة 720هـ، وأطلق، ثم أعيد، ومات معتقلا بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته، كان كثير البحث في كل الفنون، أما تصانيفه فربما تزيد على أربعة آلاف كراسة [**انظر**: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية/صيدر أباد-الهند، ط1، 1392هـ/1972م، (168/1)، **أيضاً**: الأعلام، الزركلي، (144/1-145)].

2) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد/المملكة العربية السعودية، ط1، 1418هـ، (ص 56) .

اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)، قَالَ: صَدَقْتَ[1] [2] .

يقول العلماء[3]: الإسلام في الشرع على ضربين: **أحدهما:** دون الإيمان، وهو الاعتراف باللسان، وله يحقن الدم – حصل معه الاعتقاد أو لم يحصل– وإياه قصد بقوله ﷻ: ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ (الحجرات/14)، **والثاني:** فوق الإيمان: وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب ووفاء بالفعل واستسلام لله ﷻ في جميع ما قضى وقدّر، كما ذكر عن إبراهيم عليه السلام في قوله ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (البقرة/131)، وقوله ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (يوسف/101) أي اجعلني ممن استسلم لرضاك .

وحاصل الأمر – كما بين شيخ الإسلام– أنّ " الإسلام **يجمع بين أمرين**، أحدهما: الانقياد والاستسلام لله رب العالمين، والثاني: إخلاص ذلك وإفراده لله ﷻ، **وعنوانه وجوهره:** قول: لا إله إلا الله، **وله معنيان**، أحدهما: الدين المشترك، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، الذي بعث به جميع الأنبياء، والثاني: ما اختص به نبينا محمد ﷺ من الشرعة والمنهاج، وهو الشريعة والطريقة والحقيقة، **وله مرتبتان**، إحداهما: الظاهر من القول والعمل، وهو المباني الخمس أي أركان الإسلام، والثانية: أن يكون ذلك الظاهر مطابقاً للباطن، وهذا ما يميّز المؤمن من المنافق" [4].

---

1) **صحيح مسلم**، الامام الحافظ أبي الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار الفكر/ بيروت، ط1، 1424هـ/ 2003م، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، برقم: 2، (ص31) .

2) العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، عبد الحميد بن باديس، تحقيق: محمد الصالح رمضان، دار الفتح/الشارقة، ط1، 1416هـ/1995م، (ص37)– بتصرف .

3) **انظر**: تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي، تحقيق: عبد السلام هارون وآخرون، الدار المصرية/القاهرة، ط1، 1384هـ/1964م، (452/12)، **أيضاً**: مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، (ص241)، **أيضاً**: لسان العرب، ابن منظور، (2080/3) .

4) الفتاوى الكبرى، شيخ الاسلام ابن تيمية، تحقيق: حمد عبدالقادر عطا– مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية/بيروت، ط1، 1408هـ/1987م، (566/6)– بتصرف .

من خلال ما سبق بيانه يمكن أن يعرّف الإسلام بأنه: **الدين الحق الذي ارتضاه رب العالمين لعباده أجمعين، عقيدة وشريعة ومنهاجاً، منذ بعثة خاتم المرسلين إلى يوم الدين**[1].

ثانياً: **أهل الكتاب**:

ذكر الله ﷻ أهل الكتاب – بهذا اللفظ – في القرآن الكريم في **واحد وثلاثين موضعاً** في **تسع سور**[2].

يقول الإمام الشهرستاني[3]**:** أهل الكتاب: " الخارجون عن الملة الحنيفية، والشريعة الإسلامية، ممن يقول بشريعة وأحكام وحدود وأعلام وينقسم أهل الكتاب إلى قسمين: **الأول:** من له كتاب – كالتورة والإنجيل– وهم من يخاطبون في القرآن بأهل الكتاب، **والثاني:** من له شبهة كتاب – كالمجوس والمانوية–؛ وذلك لأنّ صحف إبراهيم رُفعت إلى السماء، فيتقدم ذكر أهل الكتاب لتقدمهم بالكتاب ويؤخر ذكر من له شبهة كتاب، واليهود والنصارى هما أكبر أمم أهل الكتاب "[4].

قال **ابن تيمية** – رحمه الله– في تفسير قوله ﷻ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(البقرة/62، المائدة/69) .: " إنّ لفظ ﴿الَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى﴾ يتناول جميع أهل الكتاب – التوراة والإنجيل – الذين كانوا قبل النسخ والتبديل، والذين كانوا بعد ذلك، فهذا الاسم لا يختص بالكفار منهم، كما أن

---

1) التعريف بهذا الاصطلاح هو من فهم الباحث لمجمل أقوال العلماء السابقة.

2) البقرة/ 105، 109 آل عمران/64، 65، 69، 70، 71، 72، 75، 98، 99، 110، 113، 199 النساء/ 123، 153، 159، 171، المائدة/15، 19، 59، 65، 68، 77، العنكبوت/46، الأحزاب/ 26، الحديد/29، الحشر/2، 11، البينة/1، 6.

3) الشهرستاني (479–548هـ): الأفضل، محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، أبو الفتح ، شيخ أهل الكلام والحكمة، وصاحب التصانيف، برع في الفقه، وقرأ الأصول، وصنف كتاب (نهاية الإقدام)، وكتاب (الملل والنحل)، وكان كثير المحفوظ، قوي الفهم، مليح الوعظ **[** سير أعلام النبلاء، الذهبي، (288/20)– بتصرف **]**.

4) الملل والنحل، الإمام الشهرستاني، تحقيق: محمد بن فتح الله بدران، مطبعة الأزهر– أضواء السلف/مصر، ط1، 1366هـ/1947م، (483/1– 485) بتصرف .

لفظ (بني إسرائيل) ولفظ (أهل الكتاب) ليس مختصاً بالكفار، ولكن كانوا مسلمين ومؤمنين مع كونهم من بني إسرائيل ومن أهل الكتاب، وكذلك من اليهود والنصارى"[1].

لذلك عندما يذكر في التنزيل أهل الكتاب كقوله ﷻ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ (المائدة/19) ؛ فالمراد به: أهل الكتابين: التوراة، والإنجيل، لكن ذكر الكتاب، وهو اسم الجنس، فينصرف إلى الفريقين؛ أي اليهود والنصارى، كما قال جمهور المفسرين[2].

إذاً، تتضافر آراء المفسرين والعلماء بأن أهل الكتاب هم اليهود والنصارى، وكذا قال جمهور الفقهاء، غير أنّ الحنفيّة توسّعوا في أهل الكتاب فقالوا: هم كلّ من يؤمن بنبي ويقرّ بكتاب، ويشمل اليهود والنصارى، ومن آمن بزبور داود عليه السلام، وصحف إبراهيم عليه السلام وغيره؛ وذلك لأنهم يعتقدون ديناً سماوياً منزلاً بكتاب [3] .

واستدل الجمهور بقوله ﷻ: ﴿أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ (الأنعام156) ، قالوا: ولأن تلك الصحف – أي غير الكتابين– كانت مواعظ وأمثالاً، لا أحكام فيها، فلم يثبت لها حكم الكتب المشتملة على أحكام[4].

---

1) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، (55/7) .

2) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة/بيروت، ط1، 1420هـ/2000م، (483/6)، **أيضا:** تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وَ غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن/الرياض، ط1، 1418هـ/1997م، (23/2)، **أيضاً:** تفسير القرآن "اختصار النكت للماوردي"، الإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي، تحقيق: عبد الله الوهبي، دار ابن حزم/ بيروت، ط1، 1416هـ/1996م، (268/1)، **أيضاً:** تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق: مروان محمد الشعار، دار النفائس/بيروت، 2005م، (398/1)، **أيضاً:** روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، دار إحياء التراث العربي/بيروت، ط(بدون)، (194/3).

3) انظر: حاشية رد المختار على الدر المختار، ابن عابدين، دار الفكر/بيروت، ط2، 1412هـ/1992م، (45/3).

4) انظر: الملل والنحل، الشهرستاني، (1/ 484) .

أما في تفصيل التعريف بأهل الكتاب فهم – كما سبق- على قسمين بحسب دينهم وكتابهم، وسيتناول الباحث كل قسم بشيء من التفصيل ضمن هذا المطلب:

القسم الأول: اليهودية:

قال الإمام الشهرستاني: " **اليهود:** هم أمة موسى عليه السلام، وكتابهم التوراة، وهو أول كتاب نزل من السماء – أعني أن ما كان ينزل على إبراهيم وغيره من الأنبياء –عليهم السلام- ما كان يسمى كتاباً بل صحفاً"[1].

وقد ذكر الله ﷻ اليهود في القرآن بهذا الاسم في **ثمانية** مواضع في أربع سور[2]، كلّها في مواطن الذم والقدح وبيان كفرهم؛ غير أنّ القرآن تحدث عن اليهود تصريحاً وإشارة في مئات الآيات من الذكر الحكيم، لكن بألفاظ أخرى (كبني إسرائيل، قوم موسى، وأهل الكتاب، وغيرها).

وعن أصل التسمية، فإن هناك خلافاً بين علماء الأديان والعقيدة والتاريخ في سبب تسميتهم بهذا الاسم وفي أصوله اللغوية والتاريخية، بل إنّ الخلاف قائم في تعريف اليهود واليهودية، في ظل الإشكاليات الكبيرة التي تحيط باليهود تاريخياً ودينياً.

ويستطيع الباحث إيجاز أقوال العلماء في أصل التسمية فيما يلي:

1) قيل: أصل التسمية من: هاد الرجل، إذا تاب ورجع، وسمّوا بذلك لقول موسى عليه السلام لربه ﷻ: ﴿ إنا هدنا إليك ﴾ (الأعراف/156).

غير أنه لا يقتصر في معنى "هاد" على التوبة، قال ابن الأَعرابي: هادَ إِذا رجَع من خير إِلى شرّ، أَو من شرّ إِلى خير، وهادَ إِذا عقل، ويَهُودُ اسم للقبيلة [3].

---

1) المصدر السابق، (491/1-492) .

2) المواضع هي: البقرة/113، 120، آل عمران/67، المائدة/18، 51، 64، 82، التوبة/30 .

3) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (4718/6)، وأوضح ابن منظور أن هذا القول هو قول مجاهد وسعيد بن جبير وإبراهيم، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا ﴾ (البقرة/62)، وقيل إنما اسم هذه القبيلة يَهُوذ فعرب بقلب الذال دالاً، وقالوا: اليهود فأَدخلوا الأَلف واللام فيها على إرادة النسب يريدون اليهوديين... وسميت اليهود اشتقاقاً من هادُوا أَي تابوا وأَرادوا باليَهُودِ اليَهُودِيِّينَ ولكنهم حذفوا ياء الإضافة، **انظر أيضاً:** الملل والنحل، الشهرستاني، (491/1) .

وفي فهم الباحث فإنّ في القول بأنّ سبب تسمية اليهود يعود إلى هذا الأصل نظر؛ وذلك لأن لفظة "اليهود" لم تستعمل في عهد موسى ﷺ، سواءً في القرآن الكريم أو حتى في أسفار الكتاب المقدس؛ إذ ذكرت للمرة الأولى في سفر الملوك الثاني[1]، كما أنّ إتيان وصفهم باليهود في معرض الذم في القرآن الكريم – كما أسلفنا– لا يستقيم مع معنى الهَود أي التوبة والرجوع إلى الله ﷻ، إذ ليست هذه من صفاتهم، والله أعلم.

2) وقيل: مصدرها: إقليم "يهودا"، الذي اكتسب هذا الاسم من أبناء وأحفاد "يهوذا"، وهو الابن الرابع ليعقوب ﷺ، حيث قدّمه على إخوته الأحد عشر، فصار حاكماً لهم إلى أن مات، وورث أولاد يهوذا رياسة الأسباط من بعده، إلى أن أرسل الله موسى ﷺ، ثم قدّمهم موسى ﷺ في حياته، وقدّمهم يوشع بن نون[2]، من بعده أيضاً، حتّى جاء داود ﷺ – وهو من سبط يهوذا كذلك– ثم ورثه ابنه سليمان ﷺ، فلما مات سليمان افترقت بنو اسرائيل، عشرة أسباط في شمرون (نابلس اليوم)، وسبطان في القدس، هما: سبط يهوذا وسبط بنيامين، وكان يقال لسكّان نابلس (بنو اسرائيل)، ولسكان القدس (بنو يهوذا)، إلى أن انقرضت دولة الجنوب على يد (سرجون)[3] ملك آشور سنة 721 ق.م، وبقي ملك بني اسرائيل في القدس تحت إمرة ملوك بني يهوذا، حتى جاء

---

1) سفر الملوك الثاني 16: 6، ونصّه: « فِي ذلِكَ الْوَقْتِ أَرْجَعَ رَصِينُ مَلِكُ أَرَامَ أَيْلَةَ لِلأَرَامِيِّينَ، وَطَرَدَ **الْيَهُودَ** مِنْ أَيْلَةَ. وَجَاءَ الأَرَامِيُّونَ إِلَى أَيْلَةَ وَأَقَامُوا هُنَاكَ إِلَى هذَا الْيَوْمِ» .

2) يوشع بن نون: هو نبي من أنبياء بني إسرائيل، وقد ثبتت نبوته في السنة النبوية المطهرة، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (غَزَا نَبِيٌّ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ فَقَالَ لِقَوْمِهِ لَا يَتْبَعْنِي رَجُلٌ ... فَغَزَا فَدَنَا مِنْ الْقَرْيَةِ صَلَاةَ الْعَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ لِلشَّمْسِ إِنَّكِ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا فَحُبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ... الحديث) [**متفق عليه، البخاري:** كتاب النكاح، باب من أحب البناء قبل الغزو، برقم:5157، (ص641)، **صحيح مسلم:** كتاب الجهاد والسير، باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة، برقم: 4446، (ص880)] وقال ابن حجر في فتح الباري: قوله: غزا نبي من الأنبياء أي: أراد أن يغزو، وهذا النبي هو يوشع بن نون [فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة/بيروت، ط1، 1379هـ، (221/6)] .

3) سرجون الثاني: وهو: "شاروكين" ملك آشور (721– 705 ق.م)، استولى على العرش بعد موت "شلمانصر"، وذلك أثناء حصاره السامرة، فأتمّ الحملة بنجاح، وهجّر سكانها، وقد هزم عام 720 ق.م تحالفاً عسكرياً من بقايا المملكة الشمالية، وبعد اغتياله خلفه "سناخريب" على العرش [موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق/القاهرة، ط1، 1999م، (93/4)] .

(بختنصر)[1] – وكان اسمه بالفارسية فيما قيل: "بخترشه"– سنة 586ق.م، وخرّب القدس، وجلا جميع بني إسرائيل إلى بابل[2]، فعرفوا هناك بين الأمم (ببني يهوذا)، وفي ذلك الزمان تفرقت بنو إسرائيل ونزل بعضهم أرض الحجاز بيثرب ووادي القرى وغيرها... ومن هنا جاءت تسميتهم، حيث صار يقال للواحد منهم (يهودي) حتى مجيء الإسلام، وبدّل العرب الذال وقلبوها دالاً مهملة؛ فسميت بنو إسرائيل (باليهود)، وبذا نزل القرآن.[3].

وهذا هو القول فيما يبدو للباحث هو الأقرب للصواب، والذي يتوافق مع الاستخدام التاريخي والديني للفظة اليهود، كما سيأتي، والله أعلم.

3) وقيل: إنّ سبب التسمية لأنهم يتهوّدون، أي يتحركون عند قراءة التوراة، قاله: أبو عمرو ابن العلاء[4]. [5].

---

1) بختنصر: ملك بابلي، قيل: هو أحد ملوك الدنيا الأربعة الذين ملكوا شرقها وغربها، وفي ذلك خلاف، جلا من كان ببيت المقدس من اليهود إلى عراق العجم، وأسكنهم أصفهان، خرب مدينة القدس وهدمها، ونقض المسجد (586 ق.م)، ثم لم يزل بيت المقدس خراباً إلى أن بني في الإسلام [**انظر:** نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، دار الكتب العلمية/بيروت، ط1، 1424هـ/2004م، (120/14)] .

2) بابل: مدينة قديمة، كان بابها مما يلي الكوفة، وكان الفرات يجري ببابل حتى صرفه (بختنصّر) إلى موضعه الآن مخافة أن يهدم عليه سور المدينة، ومدينة بابل بناها بيوراسب الجبار واشتق اسمها من اسم المشتري، لأن بابل باللسان البابلي الأول اسم للمشتري، فلم تزل عامرة حتى كان الإسكندر، وهو الذي خرّبها [معجم البلدان، الحموي، (310/1)– بتصرف] .

3) انظر: تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط1، 1407هـ، (382/1 وما بعدها)، **أيضاً:** تاريخ اليهود وآثارهم في مصر، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي، دراسة وتحقيق: د. عبد المجيد دياب، دار الفضيلة/ القاهرة، ط(بدون)، (ص101–103)، **أيضا:** بنو إسرائيل في القرآن والسنة، د. محمد سيد طنطاوي، الزهراء/مصر، ط1، 1407هـ/1987م. (ص19، 47–49) .

4) أبو عمرو بن العلاء (70–154هـ): بن عمار بن العريان، البصري، المقرئ، أحد الأئمة القراء السبعة، اختلف في اسمه كثيراً، وقال ابن مجاهد: كان أبو عمرو مقدماً في عصره عالماً بالقراءة ووجوهها قدوةً في العلم باللغة، إمام الناس في العربية، متواضعاً في علمه ... ولم تزل العلماء في زمانه تعرف له تقدمه وتقر له بفضله وتأتمّ في القراءة بمذاهبه [**انظر:** سير أعلام النبلاء، الذهبي، (407/6) –بتصرف، **أيضاً:** الأعلام، الزركلي، (41/3)] .

5) التفسير الكبير أو (مفاتيح الغيب)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين القرشي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية/بيروت، ط1، 1421هـ/2000م، (97/3) .

هذا ما أعان الله ﷻ الباحث على اختياره من الأقوال المشهورة في سبب تسمية (اليهود) بهذا الاسم، لكنهم – كما سلف- ذُكروا في مواطن كثيرةٍ بغير هذا اللفظ فمن أسمائهم أيضاً: **(العبرانيون، الإسرائيليون أو بنو إسرائيل).**

أما في سبب تسميتهم بالعبرانيين فالخلاف قائم كذلك فيه، واليهود يطلقون على أنفسهم العبرانيين، وعلى دولتهم الدولة العبرية؛ مدّعين انتسابهم إلى إبراهيم عليه السلام، الذي ورد وصفه في التوراة بالعبراني[(1)]، لأنه عبر نهر الفرات[(2)] وأنهاراً أخرى[(3)].

غير أن هذه الدعوى هي حلقة من حلقات التزوير التاريخي الذي يمارسه اليهود؛ إذ إن لفظ (العبري) أو العبراني، بمعنى العبور للنهر، ينطبق على غير إبراهيم عليه السلام، ولا وجه لاختصاصه به، بل إنّ التوراة ذاتها أطلقت اللفظ على غير إبراهيم عليه السلام [(4)].

بل إن د. عبد الوهاب المسيري[(5)] – رحمه الله- يذكر في موسوعته " أن مصطلح (عبراني) أو (عبري) يدلّ على معانٍ كثيرة وأحياناً متناقضة، والعبرانيون كتلة بشرية ضخمة يعود أصلها إلى الجزيرة العربية، استقرت في منطقة الهلال الخصيب وفلسطين في أوقات متفرقة، والكلمة في معناها العام تضمّ كل القبائل السامية التي تناسلت من صفوفها الشعوب المختلفة التي انتشرت في كنعان[(6)]، وسوريا وبلاد الرافدين، ومن بينها تلك القبيلة التي جاء منها إبراهيم عليه السلام ونسلـــه، وقـــد

---

1) سفر التكوين 14: 13 ، ونصّه: « فَأَتَى مَنْ نَجَا وَأَخْبَرَ **أَبْرَامَ الْعِبْرَانِيَّ**. وَكَانَ سَاكِنًا عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا الأَمُورِيِّ » .

2) الفرات: النهر الكبير المعروف بجانب نهر دجلة في العراق، والفرات في أصل كلام العرب أعذب المياه، عبره عتبة بن غزوان فاتحاً [**انظر:** معجم البلدان، الحموي، (242/4)] .

3) انظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، د. محمد سيد طنطاوي، (ص17) .

4) سفر الخروج 21 : 2، ونصه: « إِذَا **اشْتَرَيْتَ عَبْدًا عِبْرَانِيًّا**، فَسِتَّ سِنِينَ يَخْدِمُ، وَفِي السَّابِعَةِ يَخْرُجُ حُرًّا مَجَّانًا»

5) عبد الوهاب محمد أحمد المسيرى (1938-2008م): مفكر مصري إسلامي، صاحب موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية **[انظر:** سيرته الكاملة وأعماله عبر موقعه الرسمي/www.elmessiri.com **].**

6) كنعان: هو ابن حام الرابع، وحفيد نوح عليه السلام، وهو جد القبائل التي قطنت أراضي غربي الأردن، وأرض كنعان هي الأرض التي سكنتها ذريته، وأصل اشتقاقها حوري، بمعنى "الصبغ الأرجواني"، أما اسم فلسطين فقد كان يطلق في الأصل على الساحل الذي كان يقطنه الفلسطينيون(غرب فلسطين) إلا أنه يقصد به الآن ما كان يقصد بكنعان، **[انظر:** موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المسيري، 115/4، **أيضاً:** قاموس الكتاب المقدس، عدد من المؤلفين اللاهوتيين، باب الكاف مع النون، رابط: www.al-maktabeh.com/ar/open، بتاريخ 9-6-2011م **].**

سُمِّيت هذه القبيلة الأخيرة باسم (العبرانيين)، وذلك من قبيل إطلاق العامّ على الخاص" [1].

إذاً، فهم – أي اليهود– من خلال هذا الربط يحاولون الانتساب لعصر قديم ولنبي كريم، وهو منهم براء بنص التنزيل: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (آل عمران/67).

أما في سبب تسميتهم ببني إسرائيل، فإسرائيل: هو يعقوب عليه السلام، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم في موضعين هما: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ **وَإِسْرَائِيلَ** وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَن خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً﴾ (مريم/58).

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ **إِسْرَائِيلُ** عَلَى نَفْسِهِ ..﴾ (آل عمران93)

ومعنى إسرائيل: عبد الله وصفوته من خلقه، و"إيل" هو الله جل جلاله، و"إسرا" هو العبد، كما قيل: "جبريل" بمعنى عبد الله، وروي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه [2] .

وقد ذكر الله تعالى **بني إسرائيل** في القرآن بهذا اللفظ **أربعين مرةً** في ست عشرة سورة [3].

لكن.. لا يخفى أن اليهود الذين يسمون اليوم دولتهم باسم إسرائيل هم أكثر الناس بعداً عن مفهوم العبودية لله تعالى، كما أنهم بعقائدهم وأفعالهم لا ينتسبون إلى نبي الله يعقوب عليه السلام وحاشاه،

---

1) موسوعة اليهود، المسيري، (112/4)– بتصرف، **وانظر:** اليهودية والمسيحية في الميزان، د. عماد الدين الشنطي، ط1، 1425هـ 2004م، (ص 27) .

2) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (553/1) .

3) البقرة/40، 47، 83، 122، 211، 246، **آل عمران**/49، 93، **المائدة**/12، 32، 70، 72، 78، 110، **الأعراف**/105، 134، 137، 138، **يونس**/90، 93، **الإسراء**/2، 4، 101، 104، **طه**/ 47، 80، 94، **الشعراء**/17، 22، 59، 197، **النمل**/76، **السجدة**/23، **غافر**/53، **الزخرف**/59، **الدخان**/30، **الجاثية**/16، **الأحقاف**/10، **الصف**/6، 14.

فعقيدتهم تشوّه مفهوم العبودية ومقام النبوة؛ فهم لا يرعون حق نبي الله يعقوب "إسرائيل" عليه السلام، كما لا يعرفون حقّ الله بكمال ربوبيته وألوهيته جل جلاله. [1] .

مراحل تاريخ اليهود في الأرض المقدسة:

لا بد من عرض موجز لأبرز المحطات في تاريخ اليهود؛ وذلك لأن اليهود يربطون دينهم – وخاصة اعتقادهم في الأرض المقدسة– بأصول تاريخية، بل لا مجال لفهم دين اليهود سوى باستعراض مراحل تاريخهم، غير أنه لا بد من العلم بأن التاريخ اليهودي تشوبه إشكالات كثيرة واضطرابات حتى في تحديد الهوية اليهودية، وهذه الإشكالات والاضطرابات يكاد يجمع على وجودها كل من كتب في تاريخ اليهود ودوّن مراحلهم.

" بل إن اليهود أنفسهم فشلوا تاريخياً في الإجابة على سؤال، من نحن؟ ومن هم؟ أي: من الذي يقع ضمن نطاق الهوية اليهودية ومن يقع خارجها، وهذا الإشكال البيّن جعل الصهيونية تطرح نفسها كإطار جامع للشعب اليهودي، محاولةً إيجاد صيغة ما لتاريخ يهودي واحد، على أساس أن الشعب اليهودي هو شعبٌ منفي تربطه علاقة عضوية بأرض الميعاد، ثم ما لبث أن نشب الصراع داخل الصهيونية نفسها حول تحديد الهوية القومية، فهناك من يدعو إلى صهيونية دينية، وهناك من يدعو إلى صهيونية علمانية، وأصل الخلاف هو السؤال القائم، ما هو مصدر يهودية اليهودي؟، هل هو التطور التاريخي والانتماء العرقي؟ أم هو الاختيار الإلهي والتاريخ اليهودي المقدس؟ " [2].

---

1) اليهود لم يراعوا حق الأنبياء عليهم السلام، وعلى رأسهم النبي الذي يتسمَّون باسمه ويلصقون أنفسهم به وهو يعقوب عليه السلام، وأكبر دليل على ذلك القصة التي هي مصدر تسميتهم – بزعمهم– والتي تصف المعركة بين الربّ جل جلاله وبين يعقوب عليه السلام، والتي انتهت بإطلاق اسم اسرائيل عليه، وقد وردت في سفر التكوين، الإصحاح 32، ونصها: «فَبَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ. وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ. وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. وَقَالَ: أَطْلِقْنِي لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ، فَقَالَ: لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي، فَسَأَلَهُ: مَا اسْمُكَ؟، فَقَالَ: "يَعْقُوبُ". فَقَالَ: لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدِرْتَ، وَسَأَلَهُ يَعْقُوبُ: أَخْبِرْنِي بِاسْمِكَ، فَقَالَ: لِمَاذَا تَسْأَلُ عَنِ اسْمِي؟ وَبَارَكَهُ هُنَاكَ. فَدَعَا يَعْقُوبُ اسْمَ الْمَكَانِ "فَنِيئِيلَ" قَائِلاً: لأَنِّي نَظَرْتُ اللهَ وَجْهاً لِوَجْهٍ وَنُجِّيَتْ نَفْسِي » .

2) من هو اليهودي؟، د. عبد الوهاب المسيري، دار الشروق/القاهرة، ط3، 2003م، (ص6–7)– بتصرف .

ومما يجعل محاولة دراسة تاريخ اليهود شاقة وعسيرة أنهم – كما يقول المؤرخون الغربيون– ليس لهم في الحضارة البشرية نصيب يمكن أن يدلّ عليهم عبر التاريخ، ومما قيل فيهم: " **اليهود لم يكن لهم فنون ولا علوم ولا صناعة ولا أي شيء يمكن أن تقوم عليه حضارة، ولم يأتوا قط بأية مساعدة مهما صغرت في شيد المعارف البشرية** "[1].

وبما أن هذا البحث تحت عنوان: "الأرض المقدّسة"، ويحاول المقارنة بين اعتقاد الملل في مفهوم الأرض المقدّسة، فإنني اخترت – مستعيناً بالله– أن أقسّم المراحل التاريخية التي يربط بها اليهود أنفسهم بالأرض المقدّسة في ستّ مراحل كالتالي[2]:

1. مرحلة ما قبل دخول الأرض المقدسة.
2. مرحلة ما بعد دخول الأرض المقدسة.
3. مرحلة الإخراج من الأرض المقدسة.
4. مرحلة العودة إلى الأرض المقدسة.
5. مرحلة الشتات خارج الأرض المقدسة.
6. مرحلة احتلال الأرض المقدّسة.

المرحلة الأولى: مرحلة ما قبل دخول الأرض المقدّسة [3] :

---

1) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، جوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، دراسة وتعليق: د. محمود النجيري، دار طيبة/مصر، ط1، 2009م، (ص 25).

2) ذكر هذه المراحل لا يعني أن اليهود المتواجدين اليوم ينتمون ديناً ودماً إلى أولئك القوم من بني إسرائيل، بل إنّ الصحيح عكس ذلك، لكن هذه المراحل نستطيع من خلالها فهم الدعاوى اليهودية التاريخية والدينية والتي سيردّ عليها الباحث تفصيلاً في ثنايا هذا البحث بإذن الله ﷻ.

3) سمّيتها (ما قبل دخول الأرض المقدسة) على الرغم من أن يعقوب عليه السلام كان في أرض كنعان، أي أرض فلسطين المقدّسة، وذلك على اعتبار أن تاريخ بني إسرائيل – الذين سموا اليهود فيما بعد– الحقيقي يبدأ من أولاد يعقوب عليه السلام، وتحديداً من سبط يهوذا– كما أسلف الباحث في سبب التسمية المرجّح– أي أن تشكّلهم بدأ بعد خروج يعقوب عليه السلام، وذكرُ يعقوب عليه السلام في بداية هذه المرحلة هو تمهيد للتسلسل التاريخي ليس إلاّ.

وتبدأ هذه المرحلة من يعقوب – إسرائيل– ابن إسحاق بن إبراهيم –عليهم السلام–، الذي نشأ وعاش في أرض كنعان، (خاصة في مدينة الخليل) وقد ولد ليعقوب عليه السلام اثنا عشر ولداً، وهؤلاء الأولاد هم أصل أسباط بني إسرائيل، وقد فصّلت أسفار التوراة هذه الأسباط تفصيلاً دقيقاً [1].

ويعقوب عليه السلام كغيره من الأنبياء، جاء بدعوة الحق والتوحيد، قال الله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة/133).

ثم كانت قصة يوسف عليه السلام المشهورة المذكورة في القرآن الكريم في ﴿سورة يوسف﴾، والمذكورة كذلك في سفر التكوين[2]، والتي جاء فيها خروج يعقوب وأبنائه إلى أرض مصر للعيش في ظل يوسف عليه السلام بدعوة منه، حين قال: ﴿وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (يوسف/93). وتم ذلك: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ﴾ (يوسف/100).

في هذه الفترة عاش بنو إسرائيل في أمن ورخاء وكرامة في أرض مصر، والتي كان يحكمها الهكسوس[3] الغرباء عن أرض مصر [4].

ومع مرور الزمن تكاثر بنو إسرائيل في مصر، وازدادت أعدادهم وتبدّل حكّام مصر الهكسوس وقامت الإمبراطورية المصرية على أعقابهم في القرن 16 ق.م، فتبدّل حال بني إسرائيل في زمن الحكّام الجدد لمصر، إذ عاملهم ملك مصر الجديد بقسوة واضطهاد شديدين، وسخّرهم

---

1) تفصيل ذلك في سفر التكوين الإصحاح 35 .

2) الإصلاحات: من 37– 45.

3) الهكسوس: قبائل وجماعات قديمة كانت تسكن فلسطين والمناطق القريبة، واستقروا في مصر القديمة في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، واستولوا على السلطة في مصر تدريجيًا وأخذوها من الفراعنة الملوك، وبقيت تحت سيطرتهم حتى عام 1570ق.م، أدخلوا إلى مصر لأول مرة الحصان والعربة الحربية التي تجرها الخيول وأسلحة جديدة، وربما أقاموا نوعا جديداً من الحصون والقلاع، ساعدت هذه التغيرات مصر فيما بعد على بناء إمبراطورية واسعة، وكان يطلق على الهكسوس في بعض الأحيان اسم (الملوك الرعاة)، **[** الموسوعة العربية العالمية، شركة أعمال الموسوعة للإنتاج الثقافي، رابط: www.mawsoah.net، باب الألف مع اللام، **بتاريخ:** 25–5–2011م**]**

4) انظر: اليهودية، د. أحمد شلبي، النهضة المصرية/القاهرة، ط8، 1988م، (ص59) .

عبيداً[1] للبناء والأعمال الشاقة[2]، ويعتقد أن هذا الاضطهاد بلغ ذروته في عهد رمسيس الثاني[3][4].

وقد حكى القرآن الكريم اضطهاد واستعباد ملك مصر لبني إسرائيل، قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (البقرة/49) .

استمر الحال ببني اسرائيل على ذلك حتى بعث الله ﷻ موسى عليه السلام إلى فرعون وقومه، وكان أن كذّب فرعون وكفر وجحد هو وقومه، قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف/103)، وقال ﷻ: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ (الأعراف/127) .

وأمر الله ﷻ نبيه موسى عليه السلام بالخروج ببني إسرائيل من مصر، فخرج بهم، ولحقه فرعون وجنوده، فأهلك الله ﷻ فرعون وجنده، قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ (البقرة/50) .

---

1) يذكر سفر الخروج في الاصحاح الأول تكاثر بني إسرائيل في مصر، وامتلاء الأرض منهم كثرةً، وخشية المصريين من ذلك، ويذكر سفر العدد في الاصحاح الأول كذلك أن بني اسرائيل من عظم تكاثرهم بلغوا عند إحصاء موسى عليه السلام لهم عند خروجه بهم من مصر ما يربوا على مليون ونصف المليون نسمة!، وهذا العدد لا يعقل أبداً، مع التسليم بزيادة عددهم **[انظر:** تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، محمد عزة دروزة، مطابع الإعلانات الشرقية/مصر، ط1، (بدون تاريخ)، (83/1) **]** .

2) انظر: الخروج : الإصحاح الأول.

3) رمسيس الثاني (1303–): هو ثالث فراعنة الأسرة التاسعة عشر، وكان والده الملك سيتي الأول، حكم رمسيس مصر لمدة 67 سنة من 1279 ق.م. حتى 1212 ق.م. صعد إلى الحكم وهو في أوائل العشرينات من العمر، عاش حتى أصبح عمره 99 عاماً، الكتّاب الإغريق القدامى (مثل هيرودوت) نسبوا إنجازاته إلى الملك شبه الأسطوري سنوسرت الثالث، الذي عاش في عصر الدولة الوسطى، وسماه اليونانيون سيزوستريس **[** موسوعة ويكيبيديا الحرة، **رابط:** wikipedia.org/wiki/رمسيس_الثاني، بتاريخ: 2013/07/07م– بتصرف **]**.

4) انظر: تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، دروزة، (76/1) .

وهنا ينبغي الإشارة إلى أن هذا الخروج كان – وفق كثير من المؤرخين– عهد اختلاط الجنس اليهودي بغيره من الأجناس، فقد خرج مع بني اسرائيل العديد من المصريين وغيرهم من الساخطين على حكامهم، والعبيد والأسارى والفارّين ونحوهم[1] .

ونجا موسى عليه السلام ببني إسرائيل إلى أرض سيناء[2]، وقد سطّر القرآن الكريم حال موسى عليه السلام مع قومه في هذه الفترة، ومدى عصيانهم لربهم وشغبهم على نبيهم وتجاوزهم لأمر الله عز وجل، ومدى مماطلتهم ومراوغتهم في طاعة نبيهم، وقد بلغ بهم الحال إلى أن عبدوا العجل من دون الله جل جلاله[3] .

ثم كان أن أمرهم الله عز وجل بدخول الأرض المقدّسة، والحوار القرآني يحكي هذا المشهد: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ* يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ* قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ* قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ *قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبداً مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ* قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ *قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (المائدة/ 20-26) .

إذاً، عاقب الله عز وجل بني إسرائيل بالتيه في صحراء سيناء أربعين عاماً، ومات كل من هارون وموسى –عليهما السلام– في هذه الفترة، وفي هذه الفترة أيضاً هلك الجيل الذي تربّى على العبودية

---

1) **انظر**: اليهودية، د. شلبي، (ص65)، **أيضاً**: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، لوبون، (ص50) .

2) **سيناء:** (هي البلاد المعروفة اليوم جنوبي غرب فلسطين والمحاذية لغزة)، قال صاحب معجم البلدان: اسم موضع بالشام يضاف إليه الطور فيقال "طور سيناء"، وهو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى بن عمران عليه السلام ونودي فيه [معجم البلدان، الحموي، (300/3)] .

3) مواضع قرآنية ذات علاقة بهذه الفترة: [**البقرة**/51-61، **النساء**/153، **الأعراف**/171،149،148،139،138، يونس/92، طه/80،87،88 وغيرها..]، وشرحها مستفيض في كتب التفسير وقصص الأنبياء والتاريخ وغيرها.

والذل، ونشأ منهم جيل آخر عاش حياة الخشونة والبداوة في الصحراء، وتولّى يوشع بن نون عليه السلام أمر قيادة بني إسرائيل نحو دخول الأرض المقدّسة [1] .

ودخل يوشع بن نون عليه السلام ببني إسرائيل الأرض المقدّسة، وحاصر مدناً فيها[2]، وانتهى به الأمر إلى فتحها، وأشار القرآن الكريم إلى هذا الدخول بقوله ﷻ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة/58).

المرحلة الثانية: ما بعد دخولهم الأرض المقدّسة:

يسجّل المؤرخون حقيقة تاريخية مفادها أن بني إسرائيل لم يكونوا سوى (عابري سبيل) في تاريخ فلسطين الحافل[3] .

وسيناقش الباحث هذه المسألة من الناحية التاريخية في ثنايا هذا البحث بإذن الله، لكن المقصود هنا إيجاز هذه المرحلة التاريخية – أي مرحلة حكم "الإسرائيليين" في الأرض المقدّسة.

بدأت هذه المرحلة بعد موت يوشع بن نون عليه السلام، وقد اتّسمت هذه الفترة من تاريخ بني إسرائيل بالصراعات والاضطراب وعدم الاستقرار، ومكث فيها القوم على طباعهم القديمة المتجددة

---

1) انظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، طنطاوي، (ص30–31) .

2) يسطر سفر يشوع ملحمة دخول الأرض المقدسة ومقدماتها ونتائجها بصورة لا تليق بصورة نبي كريم، فهي تحكي قصة قائد في منتهى القسوة والجبروت والظلم، يقتل الرجال والنساء ولا يترك في طريقه شيئاً إلا أحرقه ودمّره، وهذا ما لا يجوز في حق داعية خير وإصلاح فضلاً عن نبي **[انظر**: سفر يشوع، إصلاحات 1– 10، **أيضاَ**: تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، دروزة، (133/1–140) **]** ، كما أنه –وللأسف– فإن هناك بعض الكتّاب من المسلمين يلجأ إلى ذكر هذا الحدث التاريخي بذات الصورة القاسية وغير اللائقة والموغلة في الخيال التي ذكرتها التوراة دون التنويه إلى تناقض ذلك مع عصمة الأنبياء – عليهم السلام – ومكانتهم العالية وترفّعهم عن مثل هذه الفظائع؛ خاصة مع ثبوت نبوة يوشع بن نون في السنة المطهرة .

3) انظر: تاريخ فلسطين القديم منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي، ظفر الإسلام خان، دار النفائس/ بيروت، ط3، 1401هـ/1981م، (ص 32) .

في كل فترة، وهي الكفر والجحود والارتداد عن منهج الأنبياء والانحرافات، والتي يصوّرها سفر القضاة [1] وما بعده من أسفار العهد القديم.

وينقسم عهد بني إسرائيل بعد دخولهم الأرض المقدّسة إلى ثلاث مراحل:

أ- عهد القضاة:

وهذا العهد يشير إلى القضاة الذين تولّوا حكم بني إسرائيل بعد يوشع بن نون ﷺ، هذه المدة يرجّح المحققون أنها لم تتجاوز المائة عام[2].

وخلال هذا العهد لم يكن بنو إسرائيل في دعة وأمان، بل يذكر سفر القضاة أن هناك تسلّطاً وعداء متتابعاً ومقاومة واجه بها أهل هذه الأرض ما اعتبروه غزواً خارجياً، ويحكي هذا السفر خلاص بني إسرائيل مرة بعد مرة من أيدي أعدائهم بقيادة قضاتهم، كما أن حالة الفوضى والاضطراب بلغت ذروتها بعد زعيمهم (شمعون)[3]، مما جعل الفلسطينيين – استغلالاً لهذا الضعف– يستعيدون قوتهم ويفكرون بإنشاء مملكة خاصة لهم، خاصة في جنوب البلاد[4].

ب- عهد الملوك:

نتيجة الحال الذي وصل إليه بنو إسرائيل، فقد طلبوا من (صموئيل)[5] أن يختار لهم ملكاً ليكون قدوةً لهم وإماماً، ليلمّ شملهم ويبني لهم هيبتهم المفقودة، وقد سطّر القرآن قصة هذا الطلب

---

1) **انظر**: سفر القضاة: الإصحاحات 1 – 6 .

2) **انظر**: تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، دروزة، (148/1) .

3) **شمعون:** اسم عبري معناه "سماع"، وهو اسم ابن ليعقوب ﷺ من "ليئة"، ويطلق هذا الاسم على إحدى القبائل العبرانية التي لم يحصل أفرادها على نصيب من الأرض التي فُتحت، فسكنوا مدناً في أرض "يهودا" ثم استولوا على بعض المواقع من جبل سعير (شمال الخليل). **[** موسوعة اليهود، المسيري، (143/4) **]** .

4) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، دروزة، (1/162–163) .

5) **صموئيل:** أو "شموئيل"، هو اسم عبري معناه: " اسم الإله"، وهو اسم لنبي من أنبياء بني إسرائيل، و هو آخر القضاة، وهو أول نبي لهم يقف إلى جوار الملوك، وقد ضمّت توراة اليهود سفرين باسم صموئيل (سفر صموئيل الأول وسفر صموئيل الثاني)، تدور أحداث السفر الأول حول صموئيل نفسه وشاؤول، أما الثاني فتدور أحداثه حول داود ﷺ. **[انظر**: سفرا صموئيل، **أيضاً**: موسوعة اليهود، المسيري، (117/5) **]** .

وأسبابه في سورة البقرة في قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ* وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة/246-247) .

والملك الذي ذكره القرآن الكريم باسم (طالوت)، ذكرته التوراة باسم آخر، وهو (شاول)[1] من سبط بنيامين[2][3]، وبتنصيبه ملكاً يكون بنو إسرائيل قد ختموا نحو مائتي سنة من الاضطرابات وعدم الاستقرار بعد دخولهم شرق وغرب الأردن.

وقد ذكر القرآن في سورة البقرة ملحمة طالوت مع أعدائه الوثنيين[4]، وكان داود عليه السلام من جنود طالوت، وهو الذي قتل جالوت زعيم الوثنيين.

ويأتي بعد طالوت، عهد داود ثم سليمان – عليهما السلام– ويتميز عهدهما بالرخاء والاستقرار، و يمكن أن يسمى بالعهد الذهبي لبني إسرائيل، وقد استمرّ حكم كلّ منهما أربعين سنة[5].

---

1) شاؤول: (1020–1004 ق.م)، اسم عبري معناه: "الذي سئل من الإله"، وشاؤول هو أول ملوك العبرانيين من قبيلة بنيامين، وكان أقرب إلى القائد العسكري منه إلى الملك، لم تمتد حدود مملكته الصغيرة إلى أبعد من منطقة قبيلته "بنيامين"، قام بحملات تأديبية ضد القبائل المعادية. [**انظر:** موسوعة اليهود، المسيري، (174/4)] .

2) بنيامين: هو اسم عبري بمعنى: "ابن يدي اليمنى"، وهو ابن ليعقوب عليه السلام من "راحيل"، وهو أخو يوسف عليه السلام من أبيه وأمه، وقد أطلق هذا الاسم على إحدى القبائل العبرانية التي استقرت في جنوب فلسطين، وكان أفرادها مشهورون بشدة بنيتهم وقوة بأسهم، كان منهم أول ملوك العبرانيين، وكانت مدينة القدس وبيت ايل داخل حدودهم، وقد انضمت قبيلة بنيامين إلى يهودا حين الانقسام في مملكة العبرانيين المتحدة. [موسوعة اليهود، المسيري، (143/4)– بتصرف] .

3) انظر: صموئيل الأول 13: 1، والأسفار التي تذكر حقبة ملوك بني إسرائيل هي ستة أسفار وهي: صموئيل الأول، والثاني، و الملوك الأول، والثاني، و أخبار الأيام الأول، والثاني.

4) البقرة: 249–251 .

5) انظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، طنطاوي، (ص38–39) .

وفي فضل هذين النبيين الكريمين قال ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النمل/15) .

" وقد ورد ذكر داود عليه السلام في القرآن ست عشرة مرة، وكذا سليمان عليه السلام، ونصّ القرآن على كتاب لداود وهو (الزبور)، قال ﷻ: ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ (الإسراء/55) .،ووصف الله ﷻ كلاً منهما بـ (الأوّاب): ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ **أَوَّابٌ** ﴾ (ص/17)، ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ **أَوَّابٌ** ﴾ (ص/30) [1].

ج- عهد الانقسام:

وهو العهد الذي تلا وفاة سليمان عليه السلام، حوالي سنة (975 ق.م)، ويسمّى حسب أسفار التوراة (عهد الملوك الثاني)، وفيه – كما قيل– انتهى النفوذ السياسي للإسرائيليين في فلسطين، وساد الانقسام والتفكك والتشرذم، وطفت على السطح مظاهر الانفصال والشقاء القديم بين بني إسرائيل من الأسباط الشمالية والأسباط الجنوبية، حيث انقسمت في هذا العهد مملكة بني إسرائيل إلى مملكتين وهما[2]:

1. **مملكة الجنوب (يهوذا)**، وعاصمتها "**أورشليم**"[3]:

---

1) هذا التكريم الرباني لداود وسليمان–عليهما السلام– ينفي جملةً وتفصيلاً ما ورد في توراة اليهود المحرّفة من شناعات وأكاذيب بحق هذين النبيين العظيمين، فقد اتُّهما –عليهما السلام– بارتكاب أكبر الكبائر والفواحش والعياذ بالله **[انظر مثلاً:** الطعن في داود عليه السلام في سفر صموئيل الثاني إصحاح 11، والطعن في سليمان عليه السلام في سفر الملوك الأول، إصحاح 11 **]**.

2) انظر: اليهود في العالم القديم، د. مصطفى كمال عبد العليم وَ د. سيد فرج راشد، دار القلم/دمشق وَ الدار الشامية/بيروت، ط1، 1416هـ/1995م، (ص88)، **أيضاً:** القدس عربية إسلامية، د. سيد فرج راشد، دار المريخ/الرياض، ط1، 1406هـ/1986م، (ص63)، **أيضاً:** اليهودية والمسيحية في الميزان، د. الشنطي، (ص25).

3) أورشليم: هي القدس، تسمى بالعبرانية "يورشالايم" المشتقة من الكلمة الكنعانية "يورشاليم" **[** موسوعة اليهود، المسيري، (125/4) **]** .

وأول ملوكها (رحبعام)[1]، وقد عمّرت ما يقرب من أربعة قرون، (975-586 ق.م) وسقطت على يد (بختنصر) البابلي.

2. **مملكة الشمال (إسرائيل)**، وعاصمتها "**شكيم**"[2]:

وأول ملوكها (يربعام)[3]، وعمّرت ما يقرب من قرنين ونصف، (975-721 ق.م) وسقطت على يد (سرجون) ملك آشور.

المرحلة الثالثة: مرحلة الإخراج من الأرض المقدسة:

كانت مملكة الشمال- كما سلف- قد سقطت تحت سلطة الآشوريين، وبقيت مملكة يهوذا الجنوبية تحاول البقاء وتنازع أعداءها من كل صوب، إلى أن اجتاحها فرعون مصر نحو عام 608 ق.م، فاحتلها، ثم واصل زحفه حتى احتل المناطق الشمالية التي سقطت سابقاً تحت حكم الآشوريين، ولم يرق ذلك للبابليين، الذين كانوا قد ورثوا حكم الآشوريين، فجاءوا بقيادة (بختنصر) الذي هاجم "أورشليم" وأحرق (المسجد) وهدمه، وأخذ من بقي من بني إسرائيل عبيداً إلى بابل، وهذا ما يعرف في تاريخ اليهود بـ (الأسر أو السبي البابلي)[4] سنة 586 ق.م.، وفيه وقع التدمير الأول

---

1) **رُحبعام:** هو ابن سليمان عليه السلام من نعمة العمونية، وهو اسم عبري بمعنى "اتسع الشعب"، انشقّت عن رحبعام القبائل الشمالية في عهده وقامت الحرب بينه وبين "يربعام" طيلة حكمه، وانتشرت العبادة الوثنية في مملكته. **[** موسوعة اليهود، المسيري، (184/4) **]** .

2) **شكيم:** هي مدينة نابلس الحالية، وهي – أي شكيم- كلمة عبرية معناها "كتف" أو "منكب"، وتطلق علماً على المدينة الكنعانية القديمة الواقعة بين جبل جرزيم وجبل عيبال بالضفة الغربية، تعود أقدم حوائطها إلى عام 2000ق.م. **[** موسوعة اليهود، المسيري، (118/4)- بتصرف **]** .

3) **يُربعام:** هو يُربعام الأول، وهو اسم عبري بمعنى "يربو ويكثر الشعب"، أول ملوك المملكة الشمالية بعد انقسام المملكة المتحدة، أظهر التمرد على سليمان عليه السلام فطلب قتله فهرب إلى فرعون مصر، ولم يعد سوى بعد موت سليمان، أشاع الوثنية ونادى بعبادة عجلين صنعهما من ذهب! **[انظر:** موسوعة اليهود، المسيري، (184/4) **]** .

4) **السبي أو النفي البابلي والآشوري** أصبحا يشكلان مفهوماً دينياً عند اليهود، وهو مصطلح يصف عملية تهجير النخبة الحاكمة من أبناء المملكة الشمالية والجنوبية، وكان بعض انبياء بني إسرائيل -مثل إرميا وحزقيال- يرون أن النفي والسبي هو تعبير عن غضب الإله على الشعب نظراً لعصيانه وانحرافه، وأن آشور وبابل ليستا سوى أداة غضب وعذاب، وأصبح هذا المفهوم وكلمة "بابل" تحملان في الفكر اليهودي دلائل وايحاءات أخرى، ذلك أن اليهود الذين رفضوا العودة من بابل أصبحوا مثلاً لليهود الذين يرفضون العودة إلى فلسطين في العصر الحاضر كالذين يعيشون في الولايات المتحدة ويلقبهم اليهود بسكان بابل**[** موسوعة اليهود، المسيري، (190/4-191)- بتصرف**]** .

للمسجد – الذي زعم اليهود فيما بعد بأنه (هيكل سليمان)–، وكان ذلك القضاء المبرم على حكم بني إسرائيل في الأرض المقدّسة[1].

قضى اليهود في السبي البابلي قرابة الخمسين عاماً، وخلت فلسطين تقريباً من اليهود، وعاش اليهود مع البابليين واندمجوا في المجتمع البابلي، حتى احتل الفرس[2] بابل عام 538 ق.م، ومن ثم صار للفرس السلطان على فلسطين خلفاً للبابليين، وعامل ملك الفرس (قورش)[3] اليهود معاملة حسنة، بل قيل: إنّ الفرس هم من أطلق اسم اليهود على بني إسرائيل، واليهودية على ديانتهم[4].

المرحلة الرابعة: مرحلة العودة إلى الأرض المقدسة:

وهذه العودة ليست على إطلاقها، إذ إن العودة ليست لدولة اليهود، بل لجماعات من اليهود عادت من بابل إلى أرض فلسطين بعد أن ملكها الفرس، وسمحوا لليهود بالعودة تحت الحكم الفارسي، ولكنّ كثيراً منهم فضّل البقاء في بابل[5]، ومعظم من عاد منهم كان من سبطي "يهوذا"

---

1) **انظر**: اليهودية، د. شلبي، (ص 84)، **أيضاً**: موجز تاريخ اليهود والرد على مزاعمهم الباطلة، د. محمود بن عبد الرحمن قدح، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد 107، (ص 257) .

2) **الفرس**: هم أهل فارس، وفارس القديمة: أرض تشمل أجزاء من كلٍّ من إيران وأفغانستان الحاليتين، وفي ظل حكم قورش الكبير وداريوس الأول وأحشورش –وغيرهم من القواد– أصبحت فارس موطنًا لحضارة مزدهرة ومركزًا لإمبراطورية واسعة، وأطلق الفرس على المنطقة اسم أرض الآريين الذي اشتق منه اسم إيران، كان الفرس الأوائل بدوًا جاءوا إلى المنطقة من جنوبي أراضي الأورال في القرن العاشر قبل الميلادي، استمرت الإمبراطورية التي أنشأوها أكثر من مائتي سنة **[** الموسوعة العربية العالمية، بتاريخ: 2011/08/02م– بتصرف **]** .

3) **قورش الأكبر**: (546–530 ق.م)، مؤسس الامبراطورية الفارسية (الأسرة الأخمينية)، فتح بابل وساعده اليهود المنفيين إليها في احتلالها، أصدر عام 538 ق.م مرسوماً بإعادة اليهود إلى فلسطين، لخدمة سياساته الخارجية، وسمح لهم بإعادة بناء الهيكل واعادة الصور والمحتويات للهيكل، لذلك اعتبر اليهود قورش (خليفة ملوك بيت داود الشرعي)، وهو الوحيد غير اليهودي الذي أشير إليه في العهد القديم بأنه الماشيّح، أي: المخلّص **[** موسوعة اليهود، المسيري، (196/4–197)– بتصرف] .

4) **انظر**: اليهودية، د. شلبي، (ص86)، **أيضاً**: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، طنطاوي، (ص47–48) .

5) هناك ما يبرر تفضيلهم البقاء في بابل، إذ إن الأجيال التي سكنت أرض فلسطين من بني إسرائيل لم تعرف الاستقرار على هذا الأرض منذ دخولها في عهد يوشع عليه السلام، فهم إما في نزاعات داخلية أو في حروب خارجية، كما أن مُلكهم – إلا نادراً– كان مُلكاً منقوصاً، ولم يمتلكوا السيادة على كامل الأرض البتة، كما أنهم عرف عنهم الكفر والعناد ومخالفة أوامر ربهم وعصيانهم لأنبيائهم، ومن كانت هذه حاله فلا رباط بينه وبين الأرض المقدّسة، فهو يفضّل العيش في ذل العبودية ببابل إذا وجد فيها شيئاً من الاستقرار.

و"بنيامين"، وساعدهم الفرس في إعادة بناء ما زعموا أنه (الهيكل)، وعلى الرغم من ذلك فإن المناوشات لم تنقطع بينهم وبين أسيادهم من الفرس، وقد فقدوا استقلالهم، ولم ينعموا به بعد ذلك إلا فترات قصيرة، وظلوا تحت سيطرة الفرس زهاء قرنين كاملين[1].

ومن بعد الفرس خضعت فلسطين وبلاد الشام لحكم الإسكندر المقدوني[2]، الذي غزا فلسطين نحو سنة 334 ق.م، ولم يلق الاسكندر أية مقاومة تذكر عند غزوه لفلسطين سوى من حامية غزة[3] وسكّانها، أما اليهود فقد دانوا له بالولاء والطاعة[4].

وبعد وفاة الإسكندر آل حكم فلسطين إلى البطالمة[5]، وعاش اليهود في عهد البطالمة بثقلهم في مصر، ولم تعد فلسطين تشكّل لهم محطّ الاهتمام الأكبر، وكانوا يدينون بالولاء لمعظم ملوك البطالمة، وعملوا كجماعة وظيفية مالية وقتالية، وكانوا محط كره الجماهير اليونانية والمصرية لهم[6].

---

1) **انظر:** الأسفار المقدّسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر/القاهرة، ط1، 1384هـ/1964م، (ص8)، **أيضاً:** اليهودية، د. شلبي، (ص87) .

2) **الإسكندر المقدوني:** الاسكندر بن فيلبس اليوناني، ملك مكدونيا المشهور بالظفر، مات سنة 323 ق.م، وصل قبل مماته أوربا بآسيا، وسادت اللغة اليونانية في زمانه، سيطر على سوريا وفلسطين ومصر، وتغلب على مملكة الفرس، وأقام مملكة اليونان، مات شاباً في بابل ودفن في الاسكندرية [**انظر:** قاموس الكتاب المقدّس، جورج بوست، المطبعة الأميركانية/بيروت، ط(بدون)، 1894م، (1/94-95)].

3) **غزّة:** مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر، بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقلّ (بضعة عشر كيلو متراً)، وهي من نواحي فلسطين غربي عسقلان [معجم البلدان، الحموي، (4/202)] .

4) **انظر:** موسوعة اليهود، المسيري، (4/203) .

5) **البطالمة:** يسمون أيضاً: "الأسرة المقدونية"، وهي الأسرة التي حكمت مصر في الفترة 323- 30 ق.م، وعدد ملوكها نحو 14- 16 ملكاً، وغزا البطالمة فلسطين مضياً على أثر السياسة الفرعونية التي ترى أن أمن فلسطين والشام هو أمن لمصر، وكان حكم البطالمة لفلسطين أطول الفترات في الحقبة التي تبدأ بسقوط فارس وحتى ظهور روما. [موسوعة اليهود، المسيري، (4/203)- بتصرف] .

6) **انظر:** موسوعة اليهود، المسيري، (4/204-206) .

واستمر حكم البطالمة لفلسطين حتى عام 200 ق.م تقريباً، حين سيطر السلوقيون[1] على فلسطين بعد معارك كر وفر مع حكامها، وبقيت تحت حكم السلوقيين حتى عام 167 ق.م، وقد عامل السلوقيون اليهود بشدة وقسوة وأذلوهم خلال مدة حكمهم لفلسطين، وانتقموا منهم شر انتقام، مما أدى إلى اندلاع الثورة ضدهم من جماعة من كهنة اليهود يعرفون بالمكابيين[2] [3] .

استطاع اليهود بقيادة المكابيين أن يحصلوا على شيء من الاستقلال، إلا أنه كان في غالب عهده تحت سيادة السلوقيين، وكان يضيق ويتسع حسب الظروف، ونشبت الخلافات بين زعماء المكابيين أنفسهم، وقامت بينهم نزاعات على الحكم، انتهت بانتهاز الرومان[4] لهذه الفرصة والانقضاض عليهم والقضاء على حكمهم المستقل نحو عام 63 ق.م[5].

وعاش اليهود تحت سيادة الحكم الروماني لفلسطين، وكان الرومان يستعملون بعض اليهود كولاة لهم على أجزاء من فلسطين بخضوع تام للدولة الرومانية، وهؤلاء الولاة نشبت بينهم النزاعات أيضاً في ظل حكمهم الذاتي تحت سيادة الرومان، فانقضَ عليهم أحد القادة الرومانيين عام 37 ق.م، وحاصر القدس، وارتكب فيها مذبحة رهيبة[6].

---

1) السلوقيون: يمثلون إحدى الأسر اليونانية الحاكمة، وقد تركزت الأسرة السلوقية (312–64 ق.م) في سوريا، وحكمت آسيا الصغرى، وقد عادت "يهودا" البطلمية إلى حكم السلوقيين عام 198 ق.م في عهد أنطيوخوس الثالث [موسوعة اليهود، المسيري، (206/4)– بتصرف] .

2) المكابيين = الحشمونيون: وهي أسرة من الكهنة الملوك حكمت اليهود في فلسطين بعد أن نجح التمرد الحشموني في تحقيق قدر من الاستقلال السياسي لليهود، وقد كان هذا التمرد ضد السلوقيين في عهد أنطوخيوس الرابع، وهذا الاستقلال الحشموني ما لبث أن اندمج ضمن الدولة الإغريقية الرومانية **[انظر:** موسوعة اليهود، المسيري، (209/4–210) **]** .

3) انظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، طنطاوي، (ص 50) .

4) الرومان: قوم ظهروا في مدينة روما التي أسست في القرن الثاني قبل الميلاد، وأسسوا امبراطورية مترامية الأطراف، ضمت معظم بلاد البحر الأبيض المتوسط، ومنها فلسطين ومصر وأجزاء من بلاد الرافدين أحياناً، كما ضمت أغلبية يهود العالم في ذلك الوقت في معظم أماكن تجمعهم في فلسطين ومصر وليبيا وقبرص وآسيا الوسطى، ولم يكن هناك تجمع يهودي كبير خارج هيمنتهم سوى في بابل **[** موسوعة اليهود، المسيري، (214/4)**]**

5) انظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، طنطاوي، (ص 51–52) .

6) التاريخ اليهودي العام، صابر طعيمة، دار الجيل/بيروت، ط3، 1411هـ/1991م، (150/1)– بتصرف.

المرحلة الخامسة: مرحلة الشتات خارج الأرض المقدسة:

دأب اليهود خلال حكم الرومان لفلسطين على مناوشة الرومان وخلق المشاكل لهم، ومحاولة الثورة عليهم، فقرر الامبراطور الروماني "فسبسيان"[1] حلّ هذه المشكلة جذرياً مع اليهود، فأرسل ابنه القائد "تيتوس"[2] في ديسمبر عام 70م، فخرّب القدس، وأجلى جميع اليهود عنها، وهدم الهيكل، وهو ما يسمى (السبي الثاني) أو (الخراب الثاني) لأورشليم[3].

يقول المؤرخ اليهودي شاهين مكاريوس[4]: " وإلى هنا ينتهي تاريخ الاسرائيليين كأمة، فقد تفرقوا في جميع بلاد الله، وتاريخهم فيما بقي من العصور ملحق بتاريخ الممالك التي استوطنوها، أو نزلوا فيها " [5].

لم يقف الأمر عند خراب المدينة وتدمير الهيكل على يد تيتوس، فقد حاول اليهود استعادة بعض ما فقدوا وحاولوا القيام بثورة جديدة عام 135م، بقيادة "بركوخبا"[6]؛ فكانت القاضية، إذ أقدم

---

1) **فسبسيان:** أحد أباطرة الرومان، واسمه الأصلي فلافيوس، بعثه نيرون عام 67م للقضاء على التمرد اليهودي الأول، فنجح في ذلك، لكنه عاد لروما بعد وفاة نيرون ليصبح امبراطورها، وقد اكمل ابنه الحملة من بعده **[**موسوعة اليهود، المسيري، (217/4)- بتصرف **]** .

2) **تيتوس:** أحد أباطرة الرومان، وهو ابن فسبسيان، قاد القوات الرومانية عام 70م في مقاطعة يهودا الرومانية، واستولى على القدس بعد حصار دام خمسة أشهر، وهدم الهيكل، (ينسب إليه هدم الهيكل وخرابه والمسئولية عن شتات اليهود، بالرغم من مساعدة أجريبا الثاني- ملك اليهود- له في حملته) **[** موسوعة اليهود، المسيري، (217/4)- بتصرف **]** .

3) **انظر:** التاريخ اليهودي العام، صابر طعيمة، (151/1) .

4) **شاهين مكاريوس (1853-1910م):** من مؤسسي جريدة (المقطم) بمصر، وأحد أصحاب (المقتطف) ومنشئ جريدة (اللطائف)، ولد في لبنان، ونشأ يتيما، قُتل أبوه في حادثة سنة 1860م، تعلم فن الطباعة، وتولى إدارة مجلة المقتطف ببيروت (سنة 1876م) ورحل إلى مصر، وخدم الماسونية بكتبه **[انظر:** الأعلام، الزركلي، (153/3) **]**.

5) تاريخ الإسرائيليين، شاهين مكاريوس، مطبعة المقتطف/القاهرة، ط1، 1904م، (ص77) .

6) **بركوخبا:** عبارة آرامية تعني:" ابن النجم" واسمه الحقيقي "شمعون بركوزيبا"، وهو زعيم التمرد اليهودي الثاني ضد الرومان، ويتكرر اسم "بركوخبا" في الكتابات الصهيونية باعتباره نموذجاً للبطل اليهودي الذي يدافع عن الهوية اليهودية ويتمرد ضد حكم الأغيار **[** موسوعة اليهود، المسيري، (230/4)- بتصرف **]** .

الامبراطور الروماني "هادريان"[1] على تدمير المدينة نهائياً وأزال معالمها وغيّر اسمها إلى (إيليا كابيتولينا)، وقتل وشرّد كل اليهود منها، وهرب من استطاع منهم إلى خارج فلسطين، فازداد شتات اليهود أكثر[2].

وبانتهاء هذه المرحلة المفصلية يكون اليهود قد غابوا عن مسرح الأرض المقدّسة، ولقرونٍ طويلة.

المرحلة السادسة: مرحلة احتلال الأرض المقدّسة:

وتمثل هذه المرحلة استيلاء اليهود على أرض فلسطين في العصر الحديث، تحت دعاوى دينية وتاريخية، يحاولون فيها البناء على ما سبق من مراحل.

ومن البديهي أنّ هذا الاحتلال قد سُبق بمقدمات وإعداد متراكم، أدّى إلى ظهور كيان اليهود على أرض فلسطين.

وهذا الوجود الذي ظهر على شكل دولة يهودية في عصرنا الحاضر ما كان ليحدث لولا التزاوج البيّن بين اليهودية والغرب الداعم للاستعمار على أرض فلسطين، مما أدى إلى بروز هذا الكيان في شكله الأخير الذي يجمع بين الطابع الديني الموغل في التطرف والعداء للأغيار[3] وبين الطابع الاستعماري المدعوم من القوى العالمية.

---

1) **هادريان:** أحد أباطرة الرومان، قرر تحويل القدس إلى مستعمرة رومانية، فنشب التمرد اليهودي ضده (132-135م)، منع اليهود من دخول القدس أو العيش فيها **[** موسوعة اليهود، المسيري، (218/4)- بتصرف**]** .

2) **انظر**: اليهودية، د. شلبي، (ص 88)، **أيضاً**: القدس عربية إسلامية، د. سيد راشد، (ص 126).

3) **الأغيار**: هي المقابل العربي للكلمة العبرية "جوييم"، وهذه هي صيغة الجمع للكلمة العبرية "جوي"، التي تعني "شعب" أو "قوم" (وقد انتقلت إلى العربية بمعنى "غوغاء" و"دهماء")، وقد كانت الكلمة تنطبق في بادئ الأمر على اليهود وغير اليهود، ولكنها بعد ذلك استُخدمت للإشارة إلى الأمم غير اليهودية دون سواها، ومن هنا كان المُصطلَح العربي "الأغيار"، وقد اكتسبت الكلمة إيحاءات بالذم والقدح، وأصبح معناها "الغريب" أو "الآخر"، والأغيار درجات أدناها "العكوم"، أي عبدة الأوثان والأصنام، وأعلاها أولئك الذين تركوا عبادة الأوثان، أي المسيحيون والمسلمون، وهناك أيضاً مستوى وسيط من الأغيار "جيريم" أي "المجاورين" (مثل السامريين) **[** موسوعة اليهودية، المسيري، (240/5) **]** .

لا شك أن هناك محاولات عديدة عبر التاريخ اليهودي – بعد المراحل الخمس السابقة وقبل السادسة– تحاول الارتباط بالأرض المقدّسة، إلا أنّ هذه المحاولات باءت بالفشل[1]، لكن من خلال استقراء تاريخي نجد أنّها قد شكّلت ناتجاً تصاعدياً أدّى إلى تبلور الفكرة في نهايات القرن التاسع عشر الميلادي.

وتعدّ أول دعوة علنية لإنشاء وطن قومي لليهود هي تلك التي أطلقها "السير هنري فنش"[2] في كتاب له بعنوان: (نداء اليهود) أو (البعث العظيم) الذي أصدره بإنجلترا عام 1616م[3].

ثم جاءت دعوة "نابليون بونابرت"[4]، الذي يعدّ من أوائل من دعا لإنشاء دولة يهودية في فلسطين في العصر الحديث، وهو أيضاً أول غاز للشرق في العصر الحديث[5]، وكان مما قاله لليهود في خطاب مشهور له عام 1798م: "**من نابليون القائد الأعلى للقوات المسلحة للجمهورية الفرنسية في أفريقيا وآسيا إلى ورثة فلسطين الشرعيين، أيها الإسرائيليون، أيها الشعب الفريد**، الذين لم تستطع قوى الفتح والطغيان أن تسلبهم اسمهم ووجودهم القومي وإن كانت

---

1) انظر: التاريخ اليهودي العام، د. صابر طعيمة، (2/193–195) .

2) السير هنري فنش (1558–1625م): ولد في عائلة سياسية وابتدأ تعليمه الجامعي في (كمبردج), حيث نال شهادة البكالوريس عام 1576م، انتخب عضوا في البرلمان، ثم أصبح المستشار القانوني لملك إنجلترا، وهو من أوائل من نادى بوطن قومي لليهود بفلسطين، في كتاب له بعنوان: "البعث العالمي العظيم، نشره عام 1621م، واعتُبر أولى المشروعات الإنجليزية لاستعادة فلسطين لليهود؛ حيث طالب الأمراء المسيحيين بجمع قواهم لاستعادة "إمبراطورية الأمة اليهودية" [**انظر**: مقالة بعنوان: أول إنجليزي يدعو إلى الاستيطان في فلسطين، هبة عياد/البرازيل، موقع "نبض الوعي العربي، رابط: www.arabianawareness.com: بتاريخ:24/6/2011م].

3) انظر: القدس عربية إسلامية، د. سيد فرج راشد، (ص167) .

4) نابليون بونابرت (1769–1821م): ويعرف بـ "نابليون الأول" إمبراطور فرنسا في الفترة بين 1804 و 1814، وهو يُعَدُّ من أهم القادة العسكريين في التاريخ، تولى قيادة الجيش الجمهوري أثناء حروب الثورة الفرنسية، وأحرز نجاحاً كبيراً في حملته على إيطاليا (1796–1797) ، ولكن حملته على مصر (1798–1799) أخفقت تماماً، وعاد إلى فرنسا والحكومة الثورية على وشك الانهيار، فقام بانقلاب عسكري واستولى على الحكم وقاد حروب فرنسا، أصبح إمبراطوراً عام 1804، وقد امتدت رقعة الإمبراطورية الفرنسية في عهده لتضم كل أوربا تقريباً، ولكن شوكة نابليون انكسرت حينما حاول غزو روسيا، وانتهى الأمر بأن هُزم تماماً ونُفي إلى جزيرة إلبا (1814م) ثم إلى جزيرة سانت هيلينا الموحشة (1815م) التي مات ودفن فيها [موسوعة اليهود، المسيري، (3/56)– بتصرف] .

5) انظر: موسوعة اليهود، المسيري، (6/38) .

قد سلبتهم أرض الأجداد فقط... انهضوا إذاً بسرور أيها المبعدون ... سارعوا، إنّ هذه هي اللحظة المناسبة التي قد لا تتكرر لآلاف السنين ..." [1].

ثم توالت الدعوات المشابهة لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وتكونت في أوروبا وأمريكا وآسيا وغيرها عشرات الجمعيات والمنظمات اليهودية التي ترعى شؤون اليهود ومصالحهم، ومن أبرزها (جمعية أحباء صهيون)[2] التي قدمت عام 1882م طلباً للقنصل العثماني في روسيا للإقامة في فلسطين، فكان الردّ بالرفض القاطع من السلطان عبد الحميد الثاني[3] [4].

---

1) **انظر:** التاريخ اليهودي العام، د. صابر طعيمة، (195/2)، **أيضاً:** موسوعة اليهود، المسيري، (38/6) .

2) **أحباء صهيون:** صهيون هو اسم رابية في القدس، كان قد أقام عليها اليبوسيون أبناء عمومة الكنعانيين العرب حصناً قبل ظهور بني إسرائيل (قوم موسى عليه السلام) بنحو 2000 عام، ولذا تكون اللفظة كنعانية عربية وليست عبرية يهودية، شأنها شأن أسماء مدن وقرى فلسطين القديمة التي كانت ولازالت تحمل أسماءها الكنعانية الأصلية، ومنظمة: "أحباء صهيون" هي منظمة إرهابية أسسها يهود روسيا بعد منتصف القرن التاسع عشر، وانتمى لهذه المنظمة معظم يهود روسيا البارزين، منهم والد وايزمن، وابن جوريون، وسوكولوف، سعت هذه المنظمة لاستعمار فلسطين وجعلها وطناً قومياً لليهود [أبحاث في اليهودية والصهيونية، د. أحمد سوسة، دار الأمل/الأردن، ط1، 2003م، (ص145)- بتصرف يسير] .

3) **السلطان عبد الحميد الثاني (1842-1918م):** هو عبد الحميد بن عبد المجيد الأول، السلطان الرابع والثلاثون من سلاطين الدولة العثمانية، وآخر من امتلك سلطة فعلية منهم، تولى الخلافة في سبتمبر عام 1876م عقب خلع أخيه الأكبر مراد الخامس، واستمر في الحكم 33 عاماً، إلى أن خُلع عن العرش في نيسان 1909م، واشتهر بالإصلاحات الدستورية والسياسية، وتعرض تاريخه لتشويه كبير وافتراء من قبل خصومه العلمانيين والجمعيات الصهيونية والماسونية، وكان له مواقف تاريخية مشرفة ضد بيع فلسطين لليهود أو توطينهم فيها، وهو صاحب القول المشهور – رداً على إغرائه بالمال لبيع أجزاء من فلسطين لليهود: " **إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً فلن أقبل، إن أرض فلسطين ليست ملكي إنما هي ملك الأمة الإسلامية، وما حصل عليه المسلمون بدمائهم لا يمكن أن يباع إلا بذات الثمن، وربما إذا تفتت إمبراطوريتي يوماً، يمكنكم أن تحصلوا على فلسطين دون مقابل** " [**انظر:** تاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد بك، دار النفائس/بيروت، ط1، 1401هـ/1981م، (ص587)، **أيضاً:** والدي السلطان عبد الحميد الثاني، الأميرة عائشة عثمان أوغلي، ترجمة: د. صالح سعداوي صالح، دار البشير/الأردن، ط1، 1411هـ/1991م، (ص11-12)].

4) **انظر:** صراعنا مع اليهود بين الماضي والمستقبل، محمد إبراهيم ماضي، دار التوزيع والنشر الإسلامية/مصر، (ص34)، **أيضاً:** موجز تاريخ اليهود، د. محمود قدح، (ص264) .

وكانت المحاولة الأكثر جدية، والتي اجتمعت لها أسباب النجاح هي محاولة مؤسس الحركة الصهيونية، "تيودور هرتزل"[1]، الذي أصدر كتاب (الدولة اليهودية) ودعا إلى مؤتمر بازل[2] عام 1897م، والذي حضره زعماء اليهود وحاخاماتهم من جميع أنحاء العالم، وتقرر فيه إنشاء (المنظمة الصهيونية العالمية) [3]، وصدر في اليوم الثاني للمؤتمر تعريف صريح للصهيونية بأنها: حركة ترمي إلى إنشاء وطن للشعب اليهودي شرعي معترف به في أرض فلسطين[4] [5].

---

1) ثيودور هرتزل: (1860–1904)، هو مؤسِّس الحركة الصهيونية السياسية المعاصرة، وضع نهاية للصهيونية التسللية، ونجح في تطوير الخطاب الصهيوني المراوغ، وقد خرجت كل الاتجاهات الصهيونية من تحت عباءته أو من ثنايا خطابه المراوغ، درس القانون، ثم توجه إلى الأدب والتأليف، ثم عمل في الصحافة، وفي عام1897م، ترأس أول مؤتمر صهيوني في بازل في سويسرا، وكان من أهم قراراته وضع برنامج الحركة الصهيونية للاستيلاء على فلسطين ووضع أسس المنظمة الصهيونية العالمية، وفعلاً نجح هيرتزل في وضع الأسس الأولى للدولة اليهودية في فلسطين عن طريق إرهاب شعبها العربي الفلسطيني وطرده منها، فبعد عشرين سنة من مؤتمره الصهيوني الأول أصدرت بريطانيا وعد بلفور، وبعد 50 عامًا أعلنت الأمم المتحدة قرار قيام (دولة إسرائيل) على أرض فلسطين العربية، أهم مؤلفاته: (دولة اليهود، مسرحية الجيتو، الأرض القديمة الجديدة). **[انظر:** موسوعة اليهود، المسيري، (6/227–230) **]** .

2) بازل= بال: هي ثالث أكبر مدينة في سويسرا بعد زيورخ وجنيف، تقع على نهر الراين في شمالي غربي البلاد، موقعها مركزي عند نقطة التقاء الحدود السويسرية الألمانية والفرنسية بمحاذاة نهر الراين **[** موسوعة ويكيبيديا الحرة، **رابط:** wikipedia.org/wiki/بازل، بتاريخ: 2013/07/07م– بتصرف **]** .

3) المنظمة الصهيونية العالمية = الوكالة اليهودية: تأسست عام 1897م في المؤتمر الصهيوني الأول، وكانت تعدّ الساعد الأيمن للحركة الصهيونية، وقامت محاولات عديدة لتوسيع قاعدتها لتضم معظم يهود العالم، وعُرِّفت المنظمة عند تأسيسها بأنها الإطار التنظيمي الذي يضم كل اليهود الذين يقبلون برنامج بازل ويسددون رسم العضوية (الشيقل)، وقد أنيطت بها مهمة تحقيق الأهداف الصهيونية التي جسدها برنامج بازل وعلى رأسها إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين **[انظر:** القدس عربية إسلامية، د. سيد فرج راشد، (ص171)، **أيضاً:** موسوعة اليهود، المسيري، (6/323) **]**.

4) انظر: الصهيونية العالمية، عباس محمود العقاد، دار المعارف/مصر، ط (بدون)، 2001م، (ص24)، **أيضاً:** موجز تاريخ اليهود، د. محمود قدح، (ص267) .

5) للمزيد حول أفكار "هرتزل"، **انظر:** "يوميات هرتزل"، ترجمة: علي رمضان فاضل، مكتبة النافذة، ط2010/1م.

ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى، وجد اليهود فرصتهم في تحقيق الحلم بما يعتقدون أنّه العودة إلى "أرض الميعاد"[1]، فعملوا على استصدار "وعد بلفور"[2] عام 1917م، الذي أعطى الحق لهم في أرض فلسطين[3].

وبعد الحرب العالمية الأولى، تم وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني عام 1920م، مما مهد الطريق للوكالة اليهودية – كهيئة عمومية رسمية قانونياً – لإدارة شئون فلسطين[4].

عندما تمكن اليهود جزئياً من أرض فلسطين، كان الطريق ممهداً للخطوة التالية، حيث صدر "قرار التقسيم" عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في 26 نوفمبر 1947م، والذي تضمن التوصية بتقسيم فلسطين، وإنهاء الانتداب البريطاني، في تجاهل تام للشعب الفلسطيني الموجود على هذه الأرض، وما أن أُعلن عن إنهاء الانتداب في 14 مايو 1948م، حتى جاء الطرف الذي يهمه أمر التقسيم، حيث أعلن "ابن جوريون"[5] في اليوم التالي قيام دولة يهودية في فلسطين[6] .

---

1) تشير كلمة «**العودة**» في الأدبيات اليهودية والصهيونية إلى عودة اليهود إلى فلسطين، أي «إرتس يسرائيل» أو «صهيون» أو «أرض الميعاد» بعد نفيهم منها **[** موسوعة اليهود، المسيري، (98/2) **]**.

2) وعد بلفور: بلفور، هو آرثر جيمس بلفور (1848– 1930م)، سياسي بريطاني، والوعد المنسوب له: هو التصريح الشهير الذي أصدرته الحكومة البريطانية عام 1917م تعلن فيه عن: " تعاطفها مع الأماني اليهودية في إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين"، وحين صدر الوعد كان عدد أعضاء الجماعة اليهودية في فلسطين لا يزيد عن 5% من مجموع عدد السكان، وقد أخذ الوعد شكل رسالة بعث بها اللورد "بلفور" في 2 نوفمبر 1917م إلى اللورد "إدموند دي روتشيلد" أحد زعماء الحركة الصهيونية آنذاك **[** موسوعة اليهود، المسيري، (44/6) **]**.

3) انظر: القدس عربية إسلامية، د. سيد فرج راشد، (ص170–171) .

4) المصدر السابق، (ص171)– بتصرف.

5) ديفيد بن جوريون (1886– 1973م): زعيم صهيوني عمالي، وسياسي من الحرس القديم، وُلد في بولندا، نشأ نشأة يهودية تقليدية، وقضى بداية حياته يدرس التوراة والتلمود، انضم إلى جماعة عمال صهيون عام 1904م، هاجر إلى فلسطين عام 1906م حيث بدأت أفكاره الصهيونية في التبلور، ذهب إلى أمريكا حيث ساهم في تكوين الفيلق اليهودي التابع للجيش البريطاني وعاد معه إلى فلسطين عام 1918م، في عام 1948م أشرف على تكوين رئاسة الحكومة المؤقتة قبل إعلان نهاية الانتداب، وقام بنفسه بإعلان بيان قيام (إسرائيل) **[** موسوعة اليهود، المسيري، (243/7)– بتصرف، انظر أيضاً: زعماء صهيون، مجدي كامل، دار الكتاب العربي/ دمشق–القاهرة، ط1، 2008م، (ص189–191)**]**.

6) انظر: التاريخ اليهودي العام، د. صابر طعيمة، (262/3)، **أيضاً**: القدس عربية إسلامية، د. سيد فرج راشد، (ص174) .

" وقبل الإعلان عن قيام ما يسمى (بدولة إسرائيل)، كان اليهود قد استولوا على معظم مدن الساحل من حيفا[1] في الشمال وحتى أسدود[2] في الجنوب، وتمكنوا من تشريد معظم المواطنين العرب المقيمين في هذه المناطق تحت سمع وبصر بريطانيا" [3].

وبذلك يكون اليهود قد عادوا إلى أرض فلسطين بقوة الاستعمار الغربي بعد إخراجهم منها مرة بعد مرة عبر قرون من الزمان، وما ميّز هذه العودة الأخيرة أن اليهود قد بلغوا فيها حداً غير مسبوق من الاستعلاء والقوة المادية، كما أنّ المسلمين من أهل هذه الأرض وغيرها وقفوا ضد هذا الغزو اليهودي ولا يزالون، والمعركة سجال إلى يومنا هذا.

ويتضح للباحث من خلال هذا الاستعراض لتاريخ اليهود وعلاقته بفلسطين ما يلي [4]:

أولاً: إنّ الفترات التي حكم فيها اليهود أرض فلسطين هي فترات وجيزة لا تُذكر في عمر الزمان وبالقياس مع من حكمَها من غيرهم.

ثانياً: إنّ السمة الغالبة على حكم بني إسرائيل واليهود لهذه الأرض – إلا فيما ندر– هي الاضطراب وعدم الاستقرار والحروب الداخلية والخارجية والعلاقات المتوترة مع كافة الجيران من الداخل والخارج.

---

1) حيفا: مدينة كانت قديماً حصناً على ساحل بحر فلسطين، قرب يافا، ولم تزل في أيدي المسلمين منذ الفتح إلى أن تغلّب عليها "كندفرى" الذي ملك بيت المقدس في سنة 494هـ، وبقيت في أيديهم إلى أن فتحها صلاح الدين الأيوبي سنة 573هـ [معجم البلدان، الحموي، (332/2)– بتصرف] .

2) أسدود: هي إحدى المدن الخمس للفلسطينيين منذ القرن 12 ق.م، مدينة كنعانية قديمة، سكنها العناقيون منذ القرن 17 ق.م، وتقع على بعد 5 كلم من شاطئ البحر الأبيض المتوسط، احتلّها اليهود عام 1948م، ولا زالت محتلة [المواقع الجغرافية في فلسطين.. الأسماء العربية والتسميات العبرية، شكري عراف، مؤسسة الدراسات الفلسطينية/بيروت، ط1، 2004م، (ص 400)– بتصرف يسير] .

3) إسرائيل فتنة الأجيال– العصور الحديثة، إبراهيم خليل أحمد، مكتبة الوعد العربي/مصر، ط1، 1390هـ/1970م، (ص177) .

4) المقصود في ما ذُكر في هذا المبحث سرد موجز لتاريخ اليهود ذي الصلة بالأرض المقدسة، وإلا فإن تاريخهم خارجها أكثر وأوسع من الناحية الزمانية والتشتت المكاني، فيُنظر هذا التاريخ الشامل في مظانّه.

ثالثاً: حاول اليهود دوماً الربط بين تاريخهم ودينهم، واختلط عندهم التعريف العرقي لليهودي بالتعريف الديني، وانعكس ذلك على علاقتهم بالأرض المقدسة التي ربطوها بمصطلحات ومفاهيم دينية كأرض الميعاد، والهيكل، و(أرض إسرائيل)، وغير ذلك.

رابعاً: كان اليهود على مر العصور مصدر قلق وتوتر لكل من حكم أرض فلسطين أو من استضافهم في أرضه خارجها، ولا يكاد زمان يخلو من عقاب لهم وقمع لشغبهم على حكّامهم أو إفسادهم لنظام الحكم السياسي أو الاجتماعي وخلافه.

خامساً: كان اليهود دوماً وفي كافة مراحل وأماكن تواجدهم مصدر إشكال فيما يتعلق بتعريفهم و ضبط تاريخهم وتحديد هويتهم وانتمائهم، ويلاحَظ أنهم كانوا يُستخدمون كتَبَعٍ لأطراف الصراع حول النفوذ في كافة أماكن تواجدهم داخل فلسطين وخارجها، وكانت ولاءاتهم تتقلب وتتبدل بشكل مستمر.

سادساً: إنّ النّاظر في تاريخ اليهود لا يعوزه طول تأمل لتتبدى له مظاهر التطابق التام بين خبر القرآن وواقع حالهم، فيما يتعلق بوصف ربّ العزة ﷻ لهم – وهو العليم الخبير– بأوصافٍ كثيرة، اعترف بها مؤرخو اليهود قبل غيرهم.

سابعاً: إنّ حال اليهود مع الأرض المقدسة في تذبذب، بين استعمارها تارة، والطرد منها تارة أخرى، وخبر القرآن والسنة فضلاً عن استقراء صفحات التاريخ يبشّران بدنوّ مرحلة الطرد والتتبير بإذن الله ﷻ .

القسم الثاني: **النصرانية**:

النصرانية لغة:

قيل: سموا بذلك لقوله تعالى: ﴿ كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ ﴾ (الصف/14). **وقيل:** سموا بذلك انتساباً إلى قرية يقال لها "نصران"، فيقال "نصراني" وجمعه نصارى[1].

" وتسمى القرية أيضاً: "الناصرة"[2]، وهي قرية المسيح ﷺ من أرض الجليل[3] " [4].

النصرانية اصطلاحاً:

قال الإمام الشهرستاني –رحمه الله–: " النصارى أمة المسيح عيسى بن مريم ﷺ رسول الله وكلمته "[5] .

ويسمّون أنفسهم كذلك "بالمسيحيين"، انتساباً إلى المسيح عيسىﷺ، ويزعمون أن أول تسميتهم بالمسيحيين كان عام 42 أو 43م في أنطاكية، وقد قيل: إنّ استعمال هذا اللفظ أول الأمر كان من باب الشتيمة [6].

---

1) مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، (ص495) .

2) الناصرة: قرية في فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلاً، فيها كان مولد المسيح عيسى بن مريم ﷺ، أما نص الإنجيل فإن فيه أن عيسى ﷺ ولد في بيت لحم، وذكر الإنجيل يسوع الناصري كثيراً. **[انظر:** معجم البلدان، الحموي، (251/5) **]**.

3) الجليل: جبل في ساحل الشام ممتدّ إلى قرب حمص، وقال ابن الفقيه: كان منزل نوح ﷺ في جبل الجليل بالقرب من حمص في قرية تدعى سحر ويقال إن بها فار التنّور، قال: وجبل الجليل بالقرب من دمشق أيضاً، يقال إن عيسى ﷺ دعا لهذا الجبل أن لا يعدو سبعه ولا يجدب زرعه، وهو جبل يقبل من الحجاز **[** معجم البلدان، الحموي، (158/2) **]** .

4) قاموس الكتاب المقدّس، جورج بوست، (404/2).

5) الملل والنحل، الشهرستاني، (521/1) .

6) انظر: قاموس الكتاب المقدس، جورج بوست، (339/2) .

وتسميتهم بالمسيحيين لم ترد في قرآن ولا سنة، وهي لا توافق حالهم بعد تبديل وتحريف دينهم، فلا يسوغ استعمالها في حقهم، والله أعلم، والأولى استعمال اللفظ الذي سمّاهم القرآن به، فقد وردت تسميتهم بالنصارى في ثلاثة عشر موضعاً، في أربع سور، هي: البقرة والمائدة والتوبة والحج[1].

كما سماهم القرآن في موضع واحد **بأهل الانجيل**، في قوله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ (المائدة/47)،وسمّاهم **بأهل الكتاب** في مواضع كثيرة– كما أسلف الباحث.

إذاً، تعود الديانة النصرانية في أصلها إلى المسيح عليه السلام، وهو نبي من أنبياء بني إسرائيل، دعا إلى الله عز وجل، وجاء – كإخوانه الأنبياء– بالتوحيد الخالص– مبلغاً رسالة ربه.

وقد ذكر الله تعالى **(عيسى)** عليه السلام في القرآن باسمه في خمسة وعشرين موضعاً[2]، وبلفظ **المسيح** في تسعة مواضع[3].

مراحل تاريخ النصارى في الأرض المقدّسة:

المرحلة الأولى: عهد المسيح:

وُلد المسيح عليه السلام في ظل تنازع الفرس والروم على فلسطين، وكانت السيطرة للرومان، الذين قاموا بتقسيم أرض فلسطين وما حولها على ثلاثة حكام من أبناء الملك اليهودي "**هيرود**"[4] – الذي

---

1) **البقرة**/ 62، 111، 113، 120، 135، 140، **المائدة**/ 14، 18، 51، 69، 82، **التوبة**/30، **الحج**/17 .

2) **البقرة**/87، 136، 253، **آل عمران**/45، 52، 55، 59، 84، **النساء**/157، 163، 171، **المائدة**/46، 78، 110، 112، 114، 116، **الأنعام**/85، **مريم**/34، **الأحزاب**/7، **الشورى**/13، **الزخرف**/63، **الحديد**/27، **الصف**/6، 14.

3) **آل عمران**/45، **النساء**/157، 171، 172، **المائدة**/17، 72، 75، **التوبة**/30، 31 .

4) **هيرود:** يهودي عيَّنه الرومان ملكاً؛ أي حاكماً رومانياً يحمل لقب «ملك»، حكم كل فلسطين منذ عام 37 ق.م، وحتى وفاته، وقد شيّد في القدس هيكلاً (هيكل هيرود) الذي يشار إليه بأنه «الهيكل الثاني»، وطوال حكم هيرود كان يدبِّر المؤامرات ضد معارضي قيادته ويقتل أي شخص يشك في أنه يهدد عرشه، ومن بين الذين قتلهم ثلاثة من أبنائه. [موسوعة اليهود، المسيري، (220/4)، **أيضاً**: الموسوعة العربية العالمية، باب الهاء مع الياء، بتاريخ: 2011/08/22م] .

كان من أنصار الرومان وعيّنوه حاكماً ذاتياً للقدس-، وبعد موت "هيرود" شبّ النزاع بين أبنائه الكثُر، فأقام الرومان حكماً مباشراً على البلاد، وقرروا توزيع حكم البلاد على ثلاثة من أبنائه[1].

وبعد موت حاكم فلسطين الوسطى والجنوبية عام 6م، انتقل الحكم إلى قائد روماني هو "**بيلاطس**"[2]، الذي حكم في ظل وجود ثلاثة أنبياء هم: (زكريا ويحيى وعيسى) عليهم السلام، وفي عهده حدثت محاولة صلب المسيح، ورفعه إلى السماء[3] .

وبعد رفع المسيح عليه السلام عام 33م، اضطهد اليهود أتباعَه اضطهاداً عظيماً، حتى اختفوا، ولاذ الحواريون بالفرار من القدس، ولجأ بعضهم إلى روما، وبدأت الدعوة النصرانية سراً[4].

ويظهر من خلال استعراض تاريخ فلسطين أنّ النصارى لم يعد لهم ذكر في هذه الأرض بالتخصيص بعد رفع المسيح عليه السلام واضطهاد اليهود لهم، على الأقل في الفترة من 33- 324م.

المرحلة الثانية: من عهد قسطنطين حتى الإمبراطورية البيزنطية:

عموماً فإنّ مرحلة الحكم الروماني لفلسطين شهدت نزاعاً وتجاذباً كبيراً واضطراباً، خاصة بين الرومان واليهود المتواجدين في الأرض المقدسة[5]، مع وجود سيطرة كاملة للرومان، واستمرت هذه الأوضاع في فلسطين على هذا النحو أكثر من قرنين من الزمان، حتى استولى الإمبراطور

---

1) **انظر**: تاريخ فلسطين القديم، ظفر الإسلام خان، (ص 87-88) .

2) **بيلاطس**: باللاتينية "بنطيوس"، ويلقب بالبنطي، ومعنى الاسم: (مضغوط أو تحت الضغط)، هو والٍ أقامته الحكومة الرومانية نائباً أو حاكماً على فلسطين (26-36م)، واستمر حكمه بضع سنين إلى ما بعد (محاولة صلب) المسيح عليه السلام، وكانت قيصرية مركز ولايته، وكان يصعد إلى أورشليم إلى دار الولاية فيقضي للشعب هناك، أيام حكومته لم تكن مرضية لليهود رغم تسليمه المسيح لليهود مع أنه اعترف ببراءته وعدم اقترافه جرماً يوجب تسليمه لهم. [**انظر**: قاموس الكتاب المقدس، جورج بوست، (273/1)، **أيضاً**: جمان من فضة- قاموس أعلام الكتاب المقدّس، مكرم مشرقي، مكتبة الأخوة/مصر، ط1، 2000م، (ص54)] .

3) **انظر**: تاريخ فلسطين القديم، ظفر الإسلام خان، (ص 87-88).

4) فلسطين التاريخ المصور، د. طارق سويدان، الإبداع الفكري/الكويت، ط5، 1426هـ/2005م، (ص64) .

5) **انظر**: هذا البحث الذي بين يديك، (ص 40 -41) .

"**قسطنطين**"[1] على روما – عاصمة الحكم الروماني– وجعل النصرانية الدين الرسمي للدولة عام 311م[2].

ومع اعتناق قسطنطين للنصرانية[3]، أصبحت فلسطين من أملاك الإمبراطورية الرومانية النصرانية –في عهده– وانقلب الاضطهاد عكسياً، إذ أصبح النصارى يلاحقون اليهود ويضطهدونهم بشدة، ومُنع اليهود من الإقامة في القدس نهائياً[4].

وبقي الأمر على هذا النحو بعد قسطنطين، حتى جاء الإمبراطور الروماني "**جوليان**"[5] وجلس على عرش الرومان عام 361م، وارتدّ عن النصرانية، وتبنّى اليهودية، وألغى الأحكام

---

1) قسطنطين (275م–337م): يسمى "قسطنطين الكبير أو الأول"، أول إمبراطور روماني يدخل النصرانية، وتعتبر الكنيسة الأرثوذكسية قسطنطين قديسًا، أعاد بناء بيزنطة (وهي الآن إسطنبول في تركيا) وأسماها القسطنطينية وجعلها عاصمته، وأرسى أسس الإمبراطورية البيزنطية، اعتنقت والدته النصرانية أيضاً، وزارت القدس، وأمرت ببناء كنيسة القيامة عام 324م **[انظر:** الموسوعة العربية العالمية، بتاريخ 2011/9/1م، **أيضاً:** موسوعة اليهود، المسيري، (221/4)، **أيضاً:** فلسطين التاريخ المصور، د. طارق سويدان، (ص68) **]** .

2) انظر: القدس عربية إسلامية، د. سيد فرج راشد، (ص129) .

3) يقرر المؤرخون من غير المسلمين – ومنهم وول ديورانت– حقيقة أن دخول قسطنطين في النصرانية كان سياسة وليس ديناً، وأنها "حركة بارعة أملتها عليه حكمته السياسية.. وقد كان في أثناء حكمه كله يعامل الأساقفة على أنهم أعوانه السياسيون؛ فكان يستدعيهم إليه، ويرأس مجالسهم، ويتعهد بتنفيذ ما تقره أغلبيتهم من آراء، ولو أنه كان مسيحياً حقاً أولاً وحاكماً سياسياً بعدئذ؛ ولكن الآية انعكست في حال قسطنطين، فكانت المسيحية عنده وسيلة لا غاية **[** قصة الحضارة، ويليام جيمس ديورَانت، ترجمة: د. زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل/ بيروت، 1408هـ/1988م، (387/11)– بتصرف **]**.

4) تاريخ فلسطين القديم، ظفر الإسلام خان، (ص129) .

5) جوليان: (331–363م): هو ابن قسطنطين الأول، وهو آخر إمبراطور روماني عارض النصرانية، ولد جوليان في القسطنطينية وتلقى تعليمًا نصرانيًا لكنه كان يعارض المعتقدات النصرانية سرًا، نصّبه ابن عمه الإمبراطور "قسطنطينوس الثاني" قيصرًا حاكمًا ومدافعًا عن بلاد الغال، حاول جوليان إيقاف انتشار وتقدم الديانة النصرانية وذاك بتقوية الدين الروماني، ومنع النصارى من التدريس في المدارس، مات وهو يقاتل الفرس في بلاد ما بين النهرين **[** الموسوعة العربية العالمية، بتاريخ: 2011/09/2م **]** .

الصادرة بحق اليهود في فلسطين، وأعلن عزمه إعادة بناء الهيكل، ولكن لم يتحقق له ذلك لانشغاله بالإصلاح الداخلي والحرب الخارجية وأحداث كثيرة أخرى[1].

وفي عام 395م انقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى إمبراطوريتين، شرقية عاصمتها "بيزنطة"[2]، وسميت الامبراطورية البيزنطية، وغربية عاصمتها "روما"[3]، وسميت الإمبراطورية الرومانية، وكانت الشام وفلسطين عموماً من ممتلكات الامبراطورية البيزنطية، واستمرت على هذا الحال حتى زمن نبينا محمد ﷺ الذي بُعث عام 610م[4].

المرحلة الثالثة: مرحلة النزاع مع الفرس:

" شهد القرنان التاليان لانقسام الامبراطورية الرومانية فترة أمن وسلام نسبي في فلسطين قياساً بتاريخها السابق، وكانت السيطرة للإمبراطورية البيزنطية –نصرانية الديانة– ولم يكن لليهود في هذه الفترة وجودٌ سيادي على الإطلاق – كما أسلفنا–، وكان الحجّاج من اليهود والنصارى يزورون الأماكن المقدّسة في فلسطين في هذه الفترة دون حروب تذكر"[5].

وفي عام 614م – بعد نحو 4 أعوام من البعثة النبوية– غزا الفرس فلسطين، واستطاعوا أن يسيطروا عليها وأن يطردوا النصارى الروم منها لفترة وجيزة، وقد ساعد اليهودُ الفرسَ في هذه المعركة انتقاماً من النصارى، وقام الفرس بتحطيم مُلك النصارى الرومان ودمّروا – بمساعدة

---

1) انظر: تاريخ فلسطين القديم، ظفر الإسلام خان، (ص130)، **أيضاً:** فلسطين التاريخ المصور، د. طارق سويدان، (ص68) .

2) بيزنطة: مدينة إسطنبول الحالية في تركيا، والتي أطُلق عليها اسم "القسطنطينية" بعد موت قسطنطين، ويرى بعض المؤرخين أن الإمبراطورية البيزنطية قد بدأت في تلك السنة، أي عام 330م، في حين يرى آخرون أنها بدأت سنة 395م، وهي السنة التي انقسمت فيها الإمبراطورية الرومانية إلى إمبراطوريتين، وزالت الإمبراطورية البيزنطية بعد أن فتح الأتراك العثمانيون القسطنطينية سنة 1453م **[** الموسوعة العربية العالمية، بتاريخ: 2011/09/2م **]** .

3) روما: عاصمة إيطاليا حالياً، تقع على نهر التيبر، ظلت مركزًا للحضارة الغربية لأكثر من 2,000سنة، حكمت روما العالم الغربي القديم، وظلت لمئات السنين مركز القوة في أوروبا، يقطن البابا في مدينة الفاتيكان المستقلة التي تقع في روما، لذا تعد روما مركز الكنيسة الكاثوليكية **[** الموسوعة العربية العالمية، بتاريخ: 2011/09/2م **]** .

4) انظر: تاريخ فلسطين القديم، ظفر الإسلام خان، (ص131)، **أيضاً:** قصة الحضارة، ديورانت، (4130/5)، **أيضاً:** فلسطين التاريخ المصور، د.طارق سويدان، (ص69–70) .

5) تاريخ فلسطين القديم، ظفر الإسلام خان، (ص131)– بتصرف .

اليهود- كنيسة القيامة وكنائس أخرى كثيرة في فلسطين وقتلوا خلقاً كثيراً من النصارى في القدس وغيرها[1].

لكن وبعد سبع سنين من انكسار الروم، أي عام 627م قام "هرقل"[2] ملك الروم بمهاجمة الفرس في فلسطين، واستردّها أيضاً بمعاونة من اليهود ضد الفرس؛ وذلك لأن الفرس لم يحققوا لليهود أحلامهم في إقامة حكم لهم في فلسطين، وقد تلقى اليهود وعوداً من النصارى فيما لو قاتلوا بجانبهم ضد الفرس، ولكن، وبعد انتصار الروم، لم يوف هرقل لليهود بوعده – بضغط من رجال الدين النصارى- بل عاد الاضطهاد لليهود – انتقاماً من موقفهم إبّان الغزو الفارسي- ووقعت مذبحة لليهود على يد النصارى وشرّدوهم خارج فلسطين، ولم يعد لهم ذكر فيها[3].

وقد سطّر القرآن الكريم خبر معركة الكر والفرّ هذه بين الفرس والروم، وأخبر بانتصار الروم قبل وقوعه ببضع سنين، وذلك في سورة سمّيت بسورة "الروم"، قال ﷻ: ﴿ الم* غُلِبَتِ الرُّومُ* فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ* فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ* بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ* وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم/1-6) .

---

1) **انظر**: تاريخ فلسطين القديم، ظفر الإسلام خان، ص133، **أيضاً**: فلسطين التاريخ المصور، د.طارق سويدان، ص71.

2) **هِرَقل (575-641م)**: اسم مَلك الروم الذي كتب إليه النبي- ﷺ- يدعوه إلى الإسلام فِيمَنْ كَتبَ إليه من الملوك، و اسم المعني هنا: "فلافيوس أغسطس هرقل"، إمبراطور بيزنطي حكم من 610 حتى 641م، يعتقد بأنه من عائلة أرمينية الأصل، وهو ابن هرقل الأكبر، والذي كان أحد جنرالات الإمبراطور موريس في الحرب ضد الفرس عام 590م، خسرت الإمبراطورية البيزنطية في عهده بلاد الشام ومصر والجزائر وشمال أفريقيا بفتحها على أيدي المسلمين [**انظر**: جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، دار البيان/الكويت، ط1، 1389هـ/1969م، (993/12)، **أيضاً**: موسوعة ويكيبيديا الحرة/wikipedia.org/wiki، سحب بتاريخ 30-06-2011م] .

3) **انظر**: قصة الحضارة، وول ديورانت، (4906/5)، **أيضاً**: تاريخ فلسطين القديم، ظفر الإسلام خان، (ص133- 134)، **أيضاً**: فلسطين التاريخ المصور، د. طارق سويدان، (ص73-74) .

المرحلة الرابعة: مرحلة الفتح الإسلامي:

لم يدُم الانتصار الذي حققه هرقل على الفرس طويلاً، فقد كان الانتصار الذي يسبق الزوال النهائي على أيدي المسلمين الذين دخلوا الأرض المقدسة، فاتحين منتصرين.

وكانت باكورة هذا الفتح عام 13هـ/ 634م، إذ وقعت معركة "**أجنادين**"[1]، التي انتصر فيها المسلمون انتصاراً عظيماً على النصارى الروم، بقيادة عمرو بن العاص ﷺ، ثم توالت الفتوحات في الشام في العام التالي، ففتحت **دمشق** وما حولها، وفي 5 رجب عام 15هـ/12 أغسطس 636م وقعت **معركة** "**اليرموك**"[2] التاريخية الشهيرة، والتي انتصر فيها المسلمون –بقيادة خالد بن الوليد ﷺ انتصاراً كبيراً ومزلزلاً على الروم، إذ انسحب هرقل من الشام ودمشق، تاركاً جيوشه وراءه، عندها تحرّك أبو عبيدة بن الجراح ﷺ نحو القدس، وحاصرها أربعة أشهر، ثم طلب النصارى الصلح، لكنهم اشترطوا لإتمام الصلح أن يسلموا بيت المقدس لخليفة المسلمين عمر بن الخطاب، فتوجه ﷺ نحو بيت المقدس، ودخلها فاتحاً، وأعطى العهدة العمرية لأهل القدس، والتي هي أحسن معاهدة في التاريخ تعطى من غالبٍ لمغلوب، ثـمّ فتحت من بعـد القـدس كلّ فلسطين وما حولها[3] .

وبالفتح الإسلامي لفلسطين والقدس يبدأ عهد جديد من تاريخ هذه الأرض، انقضت فيه حقبة الحكم النصراني، وعادت فلسطين إلى أحقّ الناس بها وهم المؤمنون، بناءً على القاعدة الربانية

---

1) **أجنادين:** موضع بالشام في أرض فلسطين بين الرملة وبيت جبرين، وكان فيها الوقعة العظيمة بين المسلمين والروم بقيادة خالد بن الوليد ﷺ **[انظر:** تاريخ الطبري، (160/2، **أيضاً:** معجم البلدان، الحموي، (103/1) **]** .

2) **اليرموك:** واد بناحية الشام في طرف الغور، يصب في نهر الأردن، كانت به حرب بين المسلمين والروم في أيام أبي بكر الصديق ﷺ وقدم خالد الشام مدداً لهم، وكانت "معركة اليرموك" من أعظم فتوح المسلمين وباب ما جاء بعدها من الفتوح؛ لأن الروم كانوا قد بالغوا في الاحتشاد، فلما كسروا ضعفوا ودخلتهم هيبة **[** معجم البلدان، الحموي، (434/5)– بتصرف **]** .

3) **انظر:** فتوح الشام، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي، دار الكتب العلمية/بيروت، ط1، 1417هـ/1997م، (219/1–234)، **أيضاً:** تاريخ الطبري، (101/3–106)، **أيضاً:** البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر/الجيزة، ط1، 1417هـ/1997م، (655/9–659)، **أيضاً:** قصة الحضارة، وول ديورانت، (4965/5)، **أيضاً:** تاريخ فلسطين القديم، ظفر الإسلام خان، (ص141–142) .

الخالدة، التي تتجدد عصراً بعد عصر عندما تتهيأ الأسباب لها، وهي القاعدة المسطّرة في كتاب الله: ﴿ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (الأعراف/128) .

المرحلة الخامسة: مرحلة الحروب الصليبية:

عاشت فلسطين قروناً في أكناف المسلمين منذ عام 15هـ؛ عام الفتح العظيم بقيادة الفاروق، وحتى عام 492هـ/1099م، " حين سقطت القدس في يد النصارى مرة أخرى عبر الحروب الصليبية، إذ قامت عدة دويلات صليبية على أرض فلسطين وأعالي بلاد الشام والجزيرة، على مدى قرنين من الزمان، في الفترة بين أواخر عام 1096م وحتى 1291م" [1].

وفيما يخصّ الأرض المقدّسة من هذه الحروب؛ " فقد اقتحم النصارى الصليبيون[2] القدس يوم الجمعة 15 يوليو 1099م، بعد حصارها لخمسة أسابيع، وأخذوا في سلبها ونهبها، وارتكبوا فيها من الفظائع الوحشية ما لم يسبق له مثيل، وقتلوا كل حيّ فيها، حتى بلغ عدد من قُتل من المسلمين فيها سبعين ألفاً؛ منهم جماعة من العلماء والعباد والزهاد، وهدموا المشاهد، وأحرقوا ودمّروا كل ما وقع تحت أيديهم، ولم تسلم القلّة من اليهود في القدس، إذ جمع الصليبيون اليهود في الكنيسة وأحرقوها عليهم[3].

1) ماهية الحروب الصليبية، د. قاسم عبده قاسم، عالم المعرفة، سلسلة صادة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب/الكويت، ط1، 1990م، (ص8)- بتصرف.

2) سميت الحملات بالصليبية، والمشاركين فيها بالصليبيين، وذلك لأن شعار هذه الحملات كان الصليب بتوجيه من (رجال الدين) النصارى، إذ كانت البداية خطاب البابا "أوربان الثاني" في مدينة "كليمرون" في 27 نوفمبر عام 1095م، والذي دعا فيه النصارى الكاثوليك إلى حرب مقدسة لتحرير بيت المقدس من أيدي المسلمين الكفرة! وفي نهاية خطابه وزّع صلباناً من القماش على المحتشدين ليخيطوها على ملابسهم، وبذلك صار الصليب شارة لكل فارس مشارك في الحملة الصليبية. **[انظر:** موجز تاريخ الحروب الصليبية، مصطفى وهبة، مكتبة الإيمان/المنصورة، ط1، 1418هـ/1997م، (ص21) **]**.

3) انظر: العبر في خبر من غبر، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط (بدون)، (365/2)، **أيضاً:** البداية والنهاية، ابن كثير، (166/16)، **أيضاً:** تاريخ الخلفاء، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة/مصر، ط1، 1371هـ/1952م، (ص368).

بل إنّ روايات النصارى أنفسهم، ممن شهدوا الهجوم على القدس تقول بأن "جنون الصليبيين وبربريتهم" بلغت حد قتلهم داخل المسجد الأقصى وحده عشرة آلاف نفس من المسلمين الذين تحصّنوا فيه للدفاع عنه أو هرباً من الموت والخراب، كما أنهم أهلكوا كلّ من في طريقهم من رجال ونساء وأطفال رضّع[1] .

وبقي النصارى على هذا الحال في فلسطين والقدس، حتى جيّش الملك الناصر **صلاح الدين الأيوبي**[2] -رحمه الله- الجيوش لتحرير فلسطين والقدس، وذلك في عام 583هـ/1187م، ففي ربيع الآخر من هذا العام وقعت في فلسطين معركة كبرى بينه وبين النصارى عرفت في التاريخ بـ "**معركة حطّين**[3]"، والتي انتصر فيها المسلمون نصراً كبيراً لم تشهده الشام منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم، حتى قيل فيها: فَمَن شاهد القتلى يومئذٍ قال: ما هنالك أسير، ومَنْ عاين الأسرى قال: ما هنالك قتيل، وكانت هذه المعركة مقدمة لتحرير كامل فلسطين[4].

وكانت المعركة الفاصلة مع النصارى في منتصف رجب من نفس العام؛ إذ حاصر صلاح الدين القدس، وقاتل حولها أشدّ قتال، ونصب المجانيق، فطلب النصارى الأمان، فأمَّنهم بعد تمنُّع، وخلّص من أسارى المسلمين عشرين ألفاً، وغنم أموالاً طائلة منهم، ورفعت أعلام الإسلام على السُّور، و كان على رأس قبة الصخرة صليبٌ كبيرٌ فأزاله المسلمون، وكان المسجد الأقصى مشغولاً

---

1) الصليبيون في الشرق، ميخائيل زابوروف، ترجمة: الياس شاهين، دار التقدم/موسكو، ط1، 1986م، (ص123)- بتصرف .

2) صلاح الدين الأيوبي (532-589هـ): السلطان الكبير، الملك الناصر، صلاح الدين، أبو المظفر يوسف ابن الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي بن مروان بن يعقوب الدويني، ثم التكريتي المولد، وكان نور الدين قد أمره، وبعثه في عسكره مع عمه أسد الدين شيركوه، فحكم شيركوه على مصر، فما لبث أن توفي، فقام بعده صلاح الدين، ودانت له العساكر، وقهر بني عبيد، ومحا دولتهم، وكان خليقاً للإمارة، مهيباً، شجاعاً، حازماً، مجاهداً، كثير الغزو، عالي الهمة، كانت دولته نيفا وعشرين سنة، أنشأ سوراً على القاهرة ومصر، في سنة 583 فتح طبرية، ونازل عسقلان، ثم كانت وقعة حطين بينه وبين الفرنج، ثم أخذ عكا وبيروت وكوكب، وسار فحاصر القدس، وجدّ في ذلك فأخذها بالأمان **[** سير أعلام النبلاء، الذهبي، (288/21)- بتصرف **]**.

3) حطّين: قرية بين طبرية وعكا، بينها وبين طبرية نحو فرسخين، وبالقرب منها قرية يقال لها "خيارة" بها قبر شعيب ﷺ **[** معجم البلدان، الحموي، (274/2) **]** .

4) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي/ بيروت، ط1، 1407هـ/1987م، (41/19-20)- بتصرف.

بالخنازير والخبَث، فبادر المسلمون إلى تنظيفه وتطهيره، ووُضع منبر صلاح الدين فيه، و هكذا تحررت القدس بعد ثنتين وتسعين سنة من استيلاء النصارى عليها[1] .

غير أن أجزاء من ساحل فلسطين كانت لاتزال في أيدي الصليبيين، وكانت تدور فيها المناوشات ومعارك الكر والفرّ على مدار السنوات التي تلت تحرير القدس حتى وفاة صلاح الدين عام 589هـ، وكانت الأطماع الصليبية تتوالى، و كانت أوروبا النصرانية تقوم بإرسال الحملة تلو الأخرى إلى فلسطين طمعاً في احتلال القدس من جديد[2] .

وبعد وفاة صلاح الدين دبّ الخلاف في أتباعه الذين حكموا مملكته المترامية الأطراف، مما أدى إلى تنازل أحدهم – وهو **الكامل ابن العادل**[3] – عن القدس للصليبيين في مقابل ضمانهم بقاء ملكه في مصر والشام، في فترة معاهدة مدتها عشر سنين، وتسلم النصارى البيت المقدّس، واستعظم المسلمون ذلك وأكبروه، ووجدوا له من الوهن والتألم ما لا يمكن وصفه[4] .

ومع انتهاء الهدنة عام 637هـ، هاجم **الناصر داود**[5] – من الأيوبيين– القدس واستعادها من الصليبيين بالقوة[6]، وأعادها للمسلمين.

---

1) تاريخ الإسلام، الذهبي، (24/41–27)، **أيضاً**: البداية والنهاية، ابن كثير، (12/ 394–396).

2) انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، (10/ 215–224) .

3) الكامل ابن العادل (576–658هـ): السلطان الكبير الملك الكامل أبو المعالي وأبو المظفر محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب ، صاحب مصر والشام وميافارقين وآمد وخلاط والحجاز واليمن وغيرها، تملك الديار المصرية 40 سنة، شطرها في أيام والده، وكان عاقلاً مهيبًا، كبير القدر، لما أخذ الفرنج دمياط أنشأ على بريد منها مدينة المنصورة واستوطنها مرابطا حتى نصره الله **[** سير أعلام النبلاء، الذهبي، (127/22–129)– بتصرف **]** .

4) انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، (481/10)، **أيضاً**: تاريخ الإسلام، الذهبي، (32/45)، **أيضاً**: فلسطين التاريخ المصور، د. طارق سويدان، (ص175) .

5) الناصر داود (603–656هـ): السلطان الملك الناصر صلاح الدين أبو المفاخر داود ابن السلطان الملك عيسى ابن العادل، كان فقيهاً حنفياً ذكياً، مناظراً، أديباً شاعراً بديع النظم، مشاركاً في علوم، تسلطن عند موت أبيه، وأحبه أهل البلد، فأقبل عمّاه الكامل والأشرف فحاصراه أشهرا، ثم انفصل عن دمشق وقنع بالكرك، وأعطوه معها نابلس وعجلون والصلت وقرى بيت المقدس، ومن حسنات الناصر أن عمه – الكامل– أعطى الفرنج القدس فعمروا لهم قلعة فجاء الناصر ونصب عليها المجانيق وأخذها بالأمان وهدّ القلعة، ونظف البلد من الفرنج، مات بالطاعون **[** سير أعلام النبلاء، الذهبي، (376/23–381)– بتصرف **]** .

6) انظر: تاريخ الإسلام، الذهبي، (348/47) .

لكن ما لبث الصليبيون أن تسلموا من جديد القدس ومدناً أخرى في فلسطين من السلطان **الصالح إسماعيل**[1] حاكم دمشق، وذلك عام 641هـ، في موقف استهجنه عامة المسلمين وثاروا على هذا الملك وحاولوا منع تسليم مدن فلسطين إلا أنّه قاتلهم وسلّمها للنصارى[2] .

وبعد عام واحد نهض **نجم الدين أيوب**[3] – حاكم مصر – والتقى مع النصارى في معركة ضخمة في غزّة، واتّحدت معه جيوش الشام المنشقّة عن الصالح إسماعيل، وهُزم النصارى شرّ هزيمة، وقُتل وأُسر منهم أعدادٌ كبيرة، و تقدّم نجم الدين نحو القدس، وحررّها بعد عام من تسليمها واحتلالها، كل ذلك بمساعدة من **الخوارزمية**[4] [5] .

---

1) **الصالح إسماعيل:** السلطان الملك الصالح عماد الدين ابو الخيش إسماعيل ابن الملك العادل محمد بن أيوب ابن شاذي، صاحب دمشق، تملك بصرى وبعلبك، وتنقلت به الأحوال واستولى على دمشق أعواما، فحاربه صاحب مصر ابن أخيه، وجرت له أمور طويلة ما بين ارتفاع وانخفاض، استعان بالفرنج وبذل لهم الشقيف وغيرها فمُقت لذلك، وكان فيه جور، قيل فيه: نصر الكافرين وسلم إليهم القلاع، واستولى على دمشق سرقة، وحنث في يمينه، وقتل من الملوك والأمراء من كان ينفع في الجهاد، سُجن وقُتل في مصر [سير أعلام النبلاء، الذهبي، (134/22 – 137)– بتصرف] .

2) **انظر**: تاريخ الإسلام، الذهبي، 8/47، **أيضاً**: فلسطين التاريخ المصور، د.طارق سويدان، ص179.

3) **نجم الدين أيوب (603–647هـ)**: السلطان الكبير نجم الدين أبو الفتوح أيوب ابن السلطان الكامل محمد ابن العادل، قال ابن واصل: "كان عزيز النفس أبياً، عفيفاً، حيياً، طاهر اللسان والذيل، وقوراً، كثير الصمت، اقتنى من الترك ما لم يشتره ملك، حتى صاروا معظم عسكره، ورجحهم على الأكراد وأمّر منهم، وجعلهم بطانته والمحيطين بدهليزه، وسماهم البحرية"، توفي بقصر المنصورة مرابطاً، فأخفوا موته، حتى أقدموا ابنه الملك المعظم "تورانشاه" من حصن كيفا، ثم نقل، فدفن بتربته بالقاهرة [سير أعلام النبلاء، الذهبي، (187/23–193)– بتصرف] .

4) **الخوارزمية:** نسبة إلى خوارزم، إحدى بلاد ما وراء النهرين، كانت ضمن ما يسمى ببلاد خراسان قديمًا، والتي تضم معها بلاد: بلخ وبخارى ومرو وهرات وغزنة، فتح المسلمون خوارزم في القرن الأول الهجري ضمن الفتوحات الإسلامية الأولى، وظلت مدة تحت حكم الأمويين، ثم العباسيين، وتعرضت لسلطان المغول واحتلال "تيمورلنك" لها فيما بين القرن الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين [الموسوعة العربية العالمية، بتاريخ: 2011/10/11م].

5) **انظر**: تاريخ الإسلام، الذهبي، (11/47)، **أيضاً**: البداية والنهاية، ابن كثير، (274/17)، **أيضاً**: فلسطين التاريخ المصور، د. طارق سويدان، (ص180) .

واستمرت المحاولات الصليبية، ولكن بعد هذا التاريخ –أي نحو عام 642هـ– لم يعد للنصارى سيطرة على القدس ومعظم مناطق فلسطين لقرون لاحقة، غير أنهم بقي لهم وجود في الساحل وخاصةً في **عكا**[1] إلى حين[2] .

" وبعد قيام دولة المماليك القوية في مصر، اتجهت جهودهم للقضاء على بقايا الإمارات الصليبية على سواحل الشام وتصفية وجودهم نهائياً في المشرق العربي الإسلامي" [3] .

فبدأ "**الظاهر بيبرس**"[4] هذه المهمة، حينما وحّد مصر والشام عام 658هـ، ومن ثم بدأ في ملاحقة الصليبيين، واتّسمت سياسته بالشدة والحسم تجاههم، فاتّجه نحو الشام، وسيطر على قيسارية[5]، ثم أرسوف[6]، بين عامي 663–664هـ، ثم استولى على يافا[7]، وصولاً إلى أنطاكية،

---

1) **عكّا:** مدينة كبيرة، من ثغور الشام، على ساحل البحر الأبيض المتوسط في نهاية الرأس الشمالي لخليج عكا، بينها وبين طبرية يومان، وقد كان لهذا الموقع أهمية جعل مدينة عكا تتعرض لأحداث عظيمة، حيث ظهر الكثير من القادة التاريخيين على مسرحها [**انظر:** الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحِميري، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة/بيروت، ط2، 1980م، (ص410)، **أيضاً:** مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد/ الرياض، ط(بدون)، (697/81)] .

2) **انظر:** ماهية الحروب الصليبية، قاسم عبده قاسم، (ص 129–130) .

3) موجز تاريخ الحروب الصليبية، مصطفى وهبة، (ص57)– بتصرف يسير .

4) **الظاهر بيبرس(625–676هـ):** بيبرس العلائي البندقداري الصالحي ركن الدين، الملك الظاهر، صاحب الفتوحات و الأخبار والآثار، مولده بأرض القبچاق، وأسر فبيع في سيواس، ثم نقل إلى حلب، ومنها إلى القاهرة، فاشتراه الأمير "علاء الدين أيدكين البندقدار"، وبقي عنده، فلما قبض عليه الملك الصالح (نجم الدين أيوب) أخذ بيبرس، فجلعه في خاصة خدمه، ثم أعتقه، ولم تزل همته تصعد به حتى كان (أتابك) العساكر بمصر، في أيام الملك (المظفر) قطز، وقاتل معه التتار في فلسطين، تولى سلطنة مصر والشام سنة 658هـ، وله الوقائع الهائلة مع التتار والافرنج (الصليبيين)، وله الفتوحات العظيمة، توفي في دمشق [الأعلام، الزركلي، (79/2)– بتصرف].

5) **قيسارية:** بلد على ساحل بحر الشام، تعد في أعمال فلسطين، بينها وبين طبرية ثلاثة أيام، وبينها وبين يافا ثلاثون ميلاً، وتسير منها مقدار ثمانية فراسخ حتى تنتهي إلى مدينة صور، وكانت قيسارية قديماً من أعيان أمهات المدن، وكانت من أمنع مدن فلسطين [**انظر:** معجم البلدان، الحموي، (421/4)، **أيضاً:** الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد الحِميري، (ص486)] .

6) **أرسوف:** مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا، كان بها خلق من المرابطين [معجم البلدان، الحموي، (151/1)] .

7) **يافا:** مدينة على ساحل بحر الشام (البحر الأبيض المتوسط)، من أعمال فلسطين، بين قيسارية وعكا، من أقدم مدن العالم، افتتحها صلاح الدين عند فتحه الساحل في سنة 585هـ، ثم استولى عليها الافرنج في سنة 587هـ ثم استعادها منهم الملك العادل أبو بكر بن أيوب في سنة 593هـ [**انظر:** معجم البلدان، الحموي، (426/5)] .

والتي كانت استعادتها قاصمة ظهر الصليبيين، وحدثت بسقوط أنطاكية هزّة عظيمة في أوروبا والممالك النصرانية في فلسطين[1] .

وقد ترك بيبرس بعد وفاته مملكة شاسعة مترامية الأطراف، خلفه عليها "**قالوون**"[2]، الذي عمل على إكمال درب سلفه في تصفية الوجود الصليبي في فلسطين والمشرق العربي، فواصل هجماته وشرّد فلول الصليبيين، ولم يبق سوى عكا، التي زحف قالوون من مصر نحوها، لكنه توفي في الطريق إليها، فخلفه ابنه "**الأشرف خليل**"[3] الذي واصل زحفه إلى عكا وحاصرها وحررّها من جديد عام 690هـ/1290م، بعد احتلال صليبي لها دام مائة عام، ثم واصل تطهير ما تبقى من جيوب الصليبيين ومعاقلهم في فلسطين، فتحقق زوال دولة الصليبيين من فلسطين في عهده، بعد نحو مائتي عام على بدء الاحتلال الصليبي[4] .

إذاً، انتهت هذه الفترة التي امتدت نحو قرنين من الزمان، دارت فيها رحى حروب طاحنة على أرض فلسطين بين أهل البلاد المسلمين وبين النصارى المحتلين، انتهت بهزيمة كبرى

---

1) **انظر**: العبر في خبر من غبر، الذهبي، (307/3)، **أيضاً**: البداية والنهاية، ابن كثير، (459/17)، **أيضاً**: موجز تاريخ الحروب الصليبية، مصطفى وهبة، (ص53) **أيضاً**: فلسطين التاريخ المصوّر، د. طارق سويدان، (ص 186-187) .

2) **قالوون (620-689هـ)**: الالفي العلائي الصالحي النجمي، أبو المعالي، سيف الدين، السلطان الملك المنصور، أول ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام، والسابع من ملوك الترك وأولادهم بمصر، كان من المماليك، فبجاقي الأصل، أعتقه الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة 647هـ، قام بأمور الدولة في أيام العادل ابن الظاهر، ثم خلع العادل، وتولى السلطنة منفردا سنة 678، وأغار التتار على بلاده، فقاتلهم وظفر بهم، وهاجم ملك النوبة مدينة أسوان ونهبها، فأرسل إليه قلاوون من هزمه وغنم منه مغانم كثيرة، واستمر إلى أن توفي بالقاهرة، وكان من أجل ملوك "المماليك" قدراً ومن أكثرهم آثاراً، شجاعاً، كثير الفتوحات، أبطل بعض المظالم، مدة ملكه إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر [الأعلام، الزركلي، (203/5)- بتصرف].

3) **الأشرف خليل (666- 693هـ)**: خليل بن قلاوون الصالحي، الملك الأشرف صلاح الدين ابن السلطان الملك المنصور، من ملوك مصر، ولي بعد وفاة أبيه سنة 689هـ، واستفتح الملك بالجهاد، فقصد البلاد الشامية، وقاتل الإفرنج، فاسترد منهم عكا وصور وصيدا وبيروت وقلعة الروم وبيسان وجميع الساحل، وتوغل في الداخل، وكان شجاعاً مهيباً عالي الهمة جواداً، له آثار عمرانية، وللشعراء أماديح فيه، قتله بعض المماليك غيلة بمصر[الأعلام، الزركلي، (321/2-322)- بتصرف يسير] .

4) **انظر**: تاريخ الإسلام، الذهبي، (46/51)، **أيضاً**: البداية والنهاية، ابن كثير، (633/17)، **أيضاً**: تاريخ فلسطين القديم، ظفر الإسلام خان، (ص185)، **أيضاً**: القدس عربية إسلامية، سيد فرج راشد، (ص161) .

للنصارى، وعودتهم إلى أوروبا دون تحقيق الحلم المريض في سلب "مهد المسيح" من أيدي المسلمين.

المرحلة السادسة: مرحلة تواطؤ اليهود والنصارى:

عاشت فلسطين من جديد في أكناف المسلمين بعد اندحار الصليبيين عنها، ولكن المحاولات الصليبية لم تتوقف، تماماً كما أن المحاولات اليهودية بدأت بالظهور من جديد بعد انتهاء الحروب الصليبية، التي كانت فيها ساحة النزال على أشدّها بين النصارى والمسلمين في ظل غياب تامّ لليهود، في الظاهر على الأقل.

والعداء التاريخي بين اليهود والنصارى أشهر من أن يُنكر، وذلك على خلفية موقف اليهود من عيسى ﷺ ومن أتباعه؛ إذ كفروا بنبوة عيسى ﷺ وبدعوته ومعجزاته، وتآمروا على قتله وصلبه، إلى أن رفعه الله ﷻ إليه، ثم كادوا لأتباعه من بعده [1].

لكن، بعد انتهاء الحروب الصليبية، انتشرت في أوروبا ما تسمّى بحركة الإصلاح الديني النصراني المعروفة بـ (حركة البروتستانت)، على يد القسيس "**مارتن لوثر**"[2]، وهذه الحركة هيّأت الأوروبيين للقبول بعقائد جديدة تخالف تلك التي ورثوها عن كنيسة روما جيلاً بعد جيل، وحاولت بعث عقائد قديمة غيّبها الزمن، كعقيدة "شعب الله المختار" الأمر الذي شكل انعطافاً حاداً في

---

1) **انظر**: مكايد اليهود عبر التاريخ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم/دمشق–بيروت، ط2، 1398هـ/1978م، (ص31–33) .

2) **مارتن لوثر(1483–1546م)**: زعيم حركة الإصلاح الديني الكنسي التي أدت إلى ميلاد البروتستانتية، وقد تجاوز تأثيره البروتستانتية وحتى النصرانية نفسها، قام بترجمة الكتاب المقدس إلى الألمانية، كما كان له أثر كبير في تطور اللغة الألمانية الحديثة، عُين قسًّا عام 1507م، في 1512م حصل على الدكتوراه في اللاهوت، وفي 1517م أعلن مبادئه التي هاجم بها ما يسمى صكوك الغفران، وفضح فيها مفاسد الكنيسة، ونتيجة لذلك، أعلن البابا "ليو العاشر" طرد لوثر واعتباره مارقاً، وحينما طلب الإمبراطور "تشارل الخامس" من لوثر الرجوع عن آرائه رفض ذلك، فوقَّع الإمبراطور وثيقة إدانة له تعتبره خارجاً على القانون وتبيح دمه، واستمر لوثر في الدفاع عن آرائه. وكتب العديد من الكتب في ذلك، وبلغ مكانة هامة في تاريخ النصرانية. **[انظر**: الموسوعة العربية العالمية، بتاريخ: 2011/10/01م **]**.

العلاقة اليهودية النصرانية، فتغير الحال من عداوة إلى قبول تدريجي ومن كراهية إلى انسجام وتعاطف متصاعد [1] .

و يتضح للباحث أن هذا الانعطاف بدا واضحاً فيما تلا الحملات الصليبية، إذ كانت الحملات الصليبية الأساسية –سابقة الذكر– تستهدف بلاد المسلمين والأرض المقدّسة خاصة، غير أنها لم تستثن – كما مرّ– اليهود، بل استباحت كل "الكفرة"؛ وهم غير النصارى بنظر الصليبيين.

إلاّ أن الحال تغيّر، فبدأت المحاولات الصليبية من جديد بعد ظهور حركة البروتستانت، لكنها بدأت تتناغم مع أطماع اليهود في الأرض المقدّسة لأسباب وخلفيات عديدة.

فبعد الحسم العسكري الإسلامي للحملات الصليبية وتطهير عكا آخر معاقل الصليبيين عام 690هـ، عاشت فلسطين قروناً في ظلال الدولة الإسلامية على اختلاف مشارب حكّامها وملوكها، ثم بدأت المحاولات الصليبية بشكل جديد عسكرياً وسياسياً، وبدعم وتعاون وتنسيق مع اليهود، **وتمثلت هذه المحاولات ووجوه التواطؤ فيما يلي:**

– في ظل الحكم العثماني، احتلّ الامبراطور الفرنسي "نابليون بونابرت" فلسطين عام 1214هـ/ 1799م، بدعم من اليهود، وأخذ يتوغل في فلسطين، وحاصر عكا، فاستعصت عليه، واحتل مدناً عدة في فلسطين، ودعا اليهود إلى العودة إلى الأرض المقدّسة[2] غير أن حملته فشلت فانسحب في نفس العام من فلسطين[3].

---

1) **انظر:** المسيحية البروتستانتية وعلاقتها بالصهيونية في الولايات المتحدة، راجح إبراهيم السباتين، رسالة ماجستير، إشراف: د. محمد أحمد الخطيب، الجامعة الأردنية/ عمّان، 2007م، (ص 41) .

2) **انظر:** هذا البحث الذي بين يديك، (ص 44) .

3) **انظر:** تاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد بك، (ص 375)، **أيضاً:** القدس عربية إسلامية، سيد فرج راشد، (ص162)، **أيضاً:** فلسطين التاريخ المصور، د. طارق سويدان، (ص 200) .

– وفي عام 1243هـ/1828م ظهر ما يعرف بمشروع "**موشيه مونتفيوري**"[1] بمساعدة هامة من بريطانيا وفرنسا بهدف الضغط على الدولة العثمانية للسماح باستيطان اليهود لفلسطين[2].

– في عام 1839م أقامت بريطانيا أول قنصلية غربية في القدس، وكرّست معظم جهودها لحماية الجالية اليهودية فيها[3] .

– في عام 1261هـ/1845م، طلبت بريطانيا علناً من الدولة العثمانية طرد سكان فلسطين و توطين اليهود مكانهم، لكن لم يكتب لهذه المحاولة النجاح[4].

– استمرت المحاولات لمساومة الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني للسماح لليهود بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين، إلا أن السلطان رفض ذلك رفضاً قاطعاً، فكان ذلك سبباً في عزله ونفيه وإسقاط الخلافة الإسلامية[5].

– في عام 1916م عقدت كل من بريطانيا وفرنسا سراً الاتفاقية الأخطر على العالم العربي وهي ما عرف بمعاهدة "**سايكس– بيكو**"[6]، والتي نصّت على أن تكون فلسطين تحت الوصايـــة

---

1) موشيه مونتفيوري (1784–1885م): ثري ومالي بريطاني يهودي، زعيم الجماعة اليهودية في انجلترا، حقق ثروة طائلة، مما أهله لتولي منصب عمدة لندن كأول يهودي يحصل على لقب "سير"، تفرغ للعمل من أجل أحوال اليهود في شرق أوروبا والعالم الاسلامي، وزار فلسطين سبع مرات، وقدم لمحمد علي باشا عام 1838م خطة لتوطين اليهود في فلسطين، وقد ساهم في تأسيس بعض المستوطنات الزراعية في الجليل ويافا، وأسس أول حي يهودي خارج أسوار القدس القديمة، نجح في إقناع السلطان العثماني بتقديم تسهيلات لليهود كالأجانب في عموم الدولة العثمانية، أعاد اليهود عام 1973م دفن جثمانه في أرض فلسطين المحتلة **[** موسوعة اليهود، المسيري، (177/6)– بتصرف **]**.

2) انظر: موسوعة اليهود، المسيري، (177/6)، **أيضاً:** فلسطين التاريخ المصور، د. طارق سويدان، (ص 203).

3) انظر: تاريخ فلسطين الحديث، د. عبد الوهاب الكيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر/بيروت، ط10، 1990م، (ص23) .

4) انظر: القدس عربية إسلامية، سيد فرج راشد، (ص163)، **أيضاً:** فلسطين التاريخ المصور، د. طارق سويدان، (ص 204) .

5) انظر: هذا البحث الذي بين يديك (ص 45)، **أيضاً:** القدس عربية إسلامية، سيد فرج راشد، (ص164) .

6) عُقدت معاهدة "سايكس– بيكو" بين بريطانيا وفرنسا لاقتسام المشرق العربي بينهما خلال الحرب العالمية الأولى، فقد توصّلت الدولتان الحليفتان إلى هذه المعاهدة في 16 مايو 1916م، نتيجة محادثات سرّية دارت بين ممثل بريطانيا "مارك سايْكس"، وممثل فرنسا "جورج بيكو"، اللذين عرضا نتائج محادثاتهما السرّية على روسيا القيصرية، فوافقت عليها في مقابل اتفاق تعترف فيه بريطانيا وفرنسا بحقها في ضم مناطق معينة من آسيا الصغرى بعد الحرب، وقد عُقدت هذه الاتفاقية بين بريطانيا وفرنسا في الوقت الذي قطعت بريطانيا فيه للأقطار العربية عهودًا بالاستقلال لقاء قيام الشعوب العربية بمساندتها والوقوف إلى جانبها في الحرب العالمية الأولى **[** الموسوعة العربية العالمية، بتاريخ: 2011/10/12م **]** .

الدولية[1] .

- احتلت بريطانيا القدس الشريف في ديسمبر عام 1917م بعد الحرب العالمية الأولى، بعد أن ظلت أربعة قرون في أيدي العثمانيين، وبالتزامن مع هذا الاحتلال صدر وعد بلفور الذي يعطي الحق لليهود في فلسطين[2] .

- في بداية عام 1918م دخلت إلى فلسطين أولى طلائع الكتائب اليهودية المتطوعة المقاتلة تحت الراية البريطانية[3].

- تحت حراسة ورعاية الدولة البريطانية المحتلة بدأ اليهود يتسربون إلى فلسطين عبر موجات هجرة متفرقة منذ وعد بلفور وحتى قيام دولة اليهود على أرض فلسطين[4].

- في عام 1948م أقام اليهود دولتهم في فلسطين بعد أن سلّمتهم بريطانيا مدن فلسطين وقراها الواحدة تلو الأخرى، في ظل دعم غربي نصراني كبير، خاصة من بريطانيا؛ التي كان لهـــا الدور الأهم في بيع فلسطين وتسليمها لليهود[5].

ويتضح للباحث من خلال هذا الاستعراض لتاريخ النصارى في الأرض المقدسة ما يلي:

أولاً: إنّ جلّ أحداث هذا التاريخ -وخاصة بعد الفتح الإسلامي- تدور فيه المعركة على أشدّها بين المسلمين والنصارى على أرض فلسطين، في غياب تام تقريباً لليهود عن مسرح هذه الأرض سوى في الفصل الأخير الذي شهد تسليم الأرض من النصارى لهم.

---

1) **انظر:** تاريخ فلسطين الحديث، د. الكيالي، (ص77) .

2) **انظر:** القدس عربية إسلامية، سيد فرج راشد، (ص164)، **أيضاً:** تاريخ فلسطين الحديث، د. الكيالي، (ص84)، **أيضاً:** تاريخ فلسطين، عمر البرغوثي وخليل طوطح، مكتبة الثقافة الدينية/مصر، ط1، 2001م، (ص261).

3) **انظر:** تاريخ فلسطين الحديث، د. الكيالي، (ص92-93)، **أيضاً:** القدس عربية إسلامية، سيد فرج راشد، (ص164) .

4) **انظر:** الحقائق الأربعون في القضية الفلسطينية، د. محسن محمد صالح، تقديم: د. محمد عمارة، الطبعة المنقحة، 2003م، (ص5).

5) **انظر:** كارثة فلسطين- مذكرات عبد الله التل، دار الهدى، ط1، 1378هـ/1959م، (ص22-27)، **أيضاً:** خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، عبد الله التل، دار القلم/بيروت، ط1، 1384هـ/ 1964م، (ص300-302).

ثانياً: إنّ الفتح الإسلامي العظيم لفلسطين– وخاصة القدس– أوقف المذابح التاريخية المروّعة بين اليهود والنصارى على هذه الأرض، وتجلّت عظمة الإسلام وسماحته في العصر الذهبي الذي عاشته كافة الأديان على هذه الأرض قبل عودة الحروب الصليبية المدمّرة.

ثالثاً: إنّ معظم مراحل حكم النصارى لفلسطين كانت بسلطة علوية خارجية، وليس بحكم محلي أساسي، أي أن فلسطين لم تكن يوماً عاصمةً للحكم النصراني، فتارة تكون ضمن أملاك الإمبراطورية الرومانية، وتارة ثانية ضمن أملاك الإمبراطورية البيزنطية، وتارة ثالثة ضمن سيطرة الاستعمار الصليبي الشامل.

رابعاً: لقد سطّر المسلمون ملاحمَ تاريخية وخاضوا معارك لا مثيل لها من أجل الحفاظ على فلسطين وتحريرها من يد كل مستعمر وغاصب، بدءاً بأجنادين والفتح العمري المجيد، مروراً بمعارك حطين والقدس وعين جالوت، وتطهير فلسطين من الصليبيين، وصولاً إلى جهاد المسلمين في فلسطين في عصرنا هذا.

خامساً: إنّ الأطماع الصليبية واليهودية في فلسطين كانت دوماً تتجلى في ظل حالة الضعف والتشرذم التي تجتاح الأمة الإسلامية من زمن إلى آخر، واستغلّ الغزاة دوماً هذا التفرّق من أجل زرع كيانهم في قلب الأمة تحت دعاوى دينية وتاريخية، وفي المقابل كان النصر حليف المسلمين كلما انتصب قائدٌ مسلم وحاول توحيد الصفوف وتقدّم براية الجهاد ورفع لواء الإسلام.

المبحث الثاني

علاقة القدسية والبركة بالاعتقاد عند أهل الملل

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: تقديس الأماكن والأشخاص لدى ملل وفرق مختلفة

المطلب الثاني: أثر الاعتقاد بالقدسية والبركة على السلوك والواقع

المطلب الأول

تقديس الأماكن والأشخاص لدى ملل وفرق مختلفة

إنّ الناظر في التاريخ البشري على مرّ العصور، وفي تاريخ الأديان المختلفة، يجد أن قضية التقديس قد أخذت حيّزاً هاماً في وجدان وفكر وعقيدة الأمم والملل والنحل المختلفة، والباحث لا يرغب في هذا المبحث أن يقف على تفصيل وتفنيد ومناقشة هذه العقيدة عند الملل المختلفة، فهذا ليس من مقصود البحث، كما أن مناقشة عقيدة اليهود والنصارى والمسلمين في هذا الباب – أي التقديس– سيأتي في ثنايا هذا البحث بإذن الله في مواضعه.

إنما المقصود هنا بيان بعض النماذج في تقديس أهل الفرق والملل للأماكن والأشخاص وغير ذلك لبيان الأثر المترتب على هذا الاعتقاد بشكل عام.

وبعد الحديث سابقاً عن تعريف القدسية والبركة لغة واصطلاحاً وجد الباحث أن "الأرض المقدّسة" كاصطلاح ثابت يدور على أرض فلسطين والشام وبيت المقدس والقدس بشكل خاص، غير أن هذه المصطلحات–القداسة والبركة– وجدت عند الأمم والشعوب قديماً وحديثاً وسواء كان هذا المقدس بشراً أو جبلاً أو بيتاً أو نهراً أو بلداً، فالقداسة تختلف من أمة إلى أمة كل بحسب اعتقاده.

وإليك بعض هذه النماذج:

1. **تقديس السامريين لجبل "جرزيم"[(1)] في نابلس:**

" والسامريون أو "السامرة" هم فرقة من اليهود سكنوا جبال بيت المقدس وقرى من أعمال مصر، أثبتوا نبوة موسى وهارون ويوشع بن نون –عليهم السلام–، ولكنهم أنكروا نبوة من بعدهم من الأنبياء إلا نبياً واحداً " [(2)].

---

1) جبل جرزيم: جبل صخري يطل على نابلس ويواجه جبل "عيبال"، يرتفع 2849 قدماً فوق سطح البحر، و700 قدم فوق نابلس [موسوعة اليهود، المسيري، (321/5)] .

2) الملل والنحل، الشهرستاني، (514/1–515)– بتصرف.

وهم يقدّسون جبل "جرزيم" الذي يعني عندهم (الجبل المختار) الذي سيعود إليه الماشيّح[1]، وسبب تقديسهم إياه اعتقادهم بأنه الجبل الذي وقف عليه نبي الله إبراهيم عليه السلام لذبح ولده حين أُمر بذلك، وقد بنى السامريون هيكلهم فوق هذا الجبل ليحجّوا إليه، ويقدّموا القرابين عليه، وقد هدم الرومان هذا الهيكل عام 67م [2] .

2. تقديس المجوس لبيوت النيران:

" المجوس هم عبدة النار القائلين أن للعالم أصلين نور وظلمة" [3]، وهي ديانة وثنية لا تزال حية إلى عصرنا هذا، وتنتشر في مناطق في الهند وإيران وباكستان وأوروبا وأمريكا الجنوبية[4].

وهم يقدّسون النار، ويبنون لها بيوتاً يقدسونها أيضاً، وأول ما بني من هذه البيوت بيت نار في طوس، ثم في سجستان وبخارى وفارس وأصبهان والصين، ثم انتشرت بيوت النار في كافة أماكن تواجد المجوس، ومن أعظمها عندهم نار في خوارزم[5]، عظمها المجوس أكثر من غيرها[6].

" وسبب تعظيمهم للنار أنها في اعتقادهم جوهر علوي شريف، وأنها لم تحرق إبراهيم عليه السلام، ولظنّهم أنّ تعظيمها ينجيهم يوم المعاد، وهي قبلة ووسيلة وإشارة لهم" [7].

---

1) **الماشيّح:** كلمة عبرية تعني "المسيح المخلّص **[** موسوعة اليهود، المسيري، (294/5) **]** .

2) **انظر:** موسوعة اليهود، المسيري، (312/5) .

3) **انظر:** الملل والنحل، الشهرستاني، (651/1)، **أيضاً:** الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (23/12) .

4) **انظر:** موسوعة الأديان الحية في العالم، عبد الرحيم ماريديني، دار المحبة/دمشق، ط1، 1، 2008م، (ص138).

5) **طوس، وسجستان، وبخارى، وفارس، وأصبهان، والصين، وخوارزم،** كلها بلاد في أسيا، جلّها مما كان يطلق عليه بلاد ما وراء النهرين التي فتحها المسلمون في القرن الهجري الأول، أما فارس فهي البلاد المعروفة اليوم بإيران **[انظر:** الموسوعة العربية العالمية، بتاريخ: 2011/11/15م **]**.

6) **انظر:** الملل والنحل، الشهرستاني، (651/1-653) .

7) المصدر السابق، (654/1-655) .

3. تقديس الهندوسية لنهر الغانغ[1]:

الهندوسية ديانة قديمة جداً في بلاد الهند، ما تزال قائمة، ولها طقوسها الخاصة وتقاليدها الغريبة، ويعتقد معتنقوها بتعدد الآلهة، والتناسخ، ولهم كتاب مقدس, وهم يعتقدون بقدسية **(نهر الغانج)**؛ لذا فإنهم يحجّون إليه للتطهر والتبرّك بمائه، ويلقون فيه رماد جثث موتاهم بعد حرقها[2].

" ويحج الهندوس إلى الأنهار المقدسة، ويزور ملايين الحجاج الهنود سنوياً كهفاً في جبال **(الهيمالايا)**[3] بكشمير[4]، يسمى **(كهف امارناث)**، حيث يقدّسون صخوراً صنعها الجليد على ارتفاع 3380 متراً " [5] .

كما أن هناك **51** موضعاً آخر للحج في شبه القارة الهندية، ويعتبرها الهندوس مواطناً للآلهة، كما يقدّسون البقرة، ويتبركون ببولها وروثها ولبنها، ويحرّمون ذبحها تحريماً شديداً ويعتبرونها كائناً مقدّساً[6] [7] .

---

1) نهر الغانغ: أحد أكبر أنهار الهند، ينتهي في بنجلاديش، يبلغ طوله 2510 كلم، وينبع من جبال الهملايا **[** موسوعة ويكيبيديا الحرة، **رابط:** wikipedia.org/wiki/نهر_الغانغ، بتاريخ: 2012/02/24م**]** .

2) انظر: موسوعة الأديان الحية في العالم، عبد الرحيم مارديني، (ص 198) .

3) الهيمالايا: جبال تمر خلال خمس دول آسيوية، هي الصين والهند ونيبال وباكستان وبوتان و طاجيكستان، وهي مصدر لثلاثة أنهر من الأنهار الرئيسة في العالم وهي نهر السند، ونهر الغانغ ونهر ينجتزي، والتي يعتمد على مياهها 750 مليون إنسان ممن يعيشون على ضفاف هذه الأنهار **[** موسوعة ويكيبيديا الحرة، **رابط:** wikipedia.org/wiki/هيمالايا، بتاريخ: 2013/07/10م **]** .

4) كشمير: كشمير هي المنطقة الجغرافية الواقعة ما بين الهند وباكستان والصين في شمال شرق آسيا، وتاريخياً، تعرف كشمير بأنها المنطقة السهلة في جنوب جبال الهملايا من الجهة الغربية، احتلت كشمير من طرف الصين والباكستان والهند **[** موسوعة ويكيبيديا الحرة، **رابط:** wikipedia.org/wiki/كشمير، بتاريخ: 2013/07/10م **]** .

5) لمحات عن أديان العالم، ترجمة وتعليق: صادق عبد علي الركابي، مكتبة مدبولي/ القاهرة، ط1، 2007م، (ص 177/176) .

6) انظر: المصدر السابق، (ص171) .

7) يبلغ عدد الهندوس في العالم نحو 761.689.000 نسمة، أي ما يعادل نحو 12.8% من سكان العالم **[انظر:** موسوعة الأديان الحية في العالم، ماريديني، (ص 199) **]** .

4. تقديس البوذيين لبوذا:

البوذية ديانة وضعية قديمة قامت وانتشرت في بلاد الهند، تشابه في طقوسها وتعاليمها الديانة الهندوسية، أسسها "بوذا" أي المستنير، الذي ادّعى أتباعه أنه حلّت فيه صفة علوية جعلته (الرجل الكامل الواحد المقدّس المبارك)، ووصل الحال بالبوذيين إلى تقديسه وتمجيده حياً وميتــــاً[1]-[2].

5. تقديس الشيعة لأئمتهم ومراقدهم:

" الشيعة هي اسم لكل من فضّل علياً على الخلفاء الراشدين قبله، ورأى أن أهل البيت أحق بالخلافة وأن خلافة غيرهم باطلة" [3] .

والشيعة يقدّسون أئمتهم، ويضعونهم في مكانة تفوق مكانة الأنبياء والملائكة، وتقترب من الألوهية، فمن ذلك أن الأئمة اسم الله الأعظم، وأنهم لا يموتون إلا بمشيئتهم واختيارهم، وأنهم يعلمون الغيب، وعندهم كل الكتب التي نزلت من الله ﷻ، وأنّ الملائكة تزورهم وتكلّمهم[4].

كما يقدّسون تربة كربلاء[5] التي يسمونها "التربة الحسينية" إذ يحتفظ كل شيعي بقدر منها في بيته – غالبا– ويتبركون بها، ويسجدون عليها في صلاتهم ويقبّلونها ويأكلون بعضاً منها – استشفاءً– وينقلونها معهم في أسفارهم[6].

---

1) **انظر**: موسوعة الأديان الحية، ماريديني، (ص202–204) .

2) يبلغ عدد البوذيين في العالم نحو 353.794.000 نسمة، أي ما يقارب 6% من عدد سكان العالم [**انظر**: المصدر السابق، (ص204)] .

3) **انظر**: فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وموقف الإسلام منها، د. غالب بن علي عواجي، دار لينة للنشر والتوزيع/مصر، ط3، 1418هـ/1997م، (170/1) .

4) **انظر**: أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، دار التعارف/بيروت، ط (بدون)، 1411هـ/1990م، (283/1، 286، 310– 313، 358) .

5) **كربلاء**: هو الموضع الذي قتل فيه الحسين بن عليّ ﷺ، في طرف البرّيّة عند الكوفة في أرض العراق [معجم البلدان، الحموي، (445/4)– بتصرف يسير] .

6) **انظر**: الشيعة والتصحيح– الصراع بين الشيعة والتشيع، موسى الموسوي، ط1، 1408هـ/1988م، (ص115).

6. تقديس الدروز للعبيدي[1]:

" الدروز: هي طائفة من غلاة الباطنية، ذات أفكار واعتقادات كفرية" [2] .

ويقدس الدروز ويؤلّهون الحاكم بأمر الله العبيدي[3]، ويصل بهم الحال إلى تنزيهه عن الأم والولد والعم والخال، ويصفونه بأنه "لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد"[4].

كما أن الدروز لا يحجّون إلى الكعبة المشرفة، إنّما يحجّون إلى (خلوة البياضة) في بلدة حاصبية[5] في لبنان، وإلى (الكنيسة المريمية) في قرية معلولا[6] بمحافظة دمشق في سوريا[7] .

7. تقديس البهائيين لعكا:

" البهائية هي إحدى الحركات الهدّامة التي تتظاهر بالانتماء إلى الإسلام، وتسعى لهدمه، ولها اعتقادات كفرية، وتربطها باليهود والصهيونية علاقات حميمة" [8] .

---

1) **الحاكم العبيدي:** هو أبو علي منصور الحاكم بأمر الله بن العزيز بالله نزار بن المعز بالله معد بن المنصور بالله إسماعيل بن القائم بأمر الله محمد بن المهدي عبيد الله العبيدي الفاطمي، (ت: 412هـ)، المغربي الأصل المصري المولد والدار والمنشأ الثالث من خلفاء مصر من بني عبيد، قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي في تاريخه: كان جواداً، خبيثاً ماكراً، رديء الاعتقاد، سفاكاً للدماء، قتل عدداً كبيراً من كبراء دولته، أمر بكتب سب الصحابة على أبواب المساجد والشوارع [تاريخ الإسلام، الذهبي، (283/28)، **أيضاً:** النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي بردي، تحقيق ونشر: وزارة الثقافة الإرشاد القومي/مصر، ط(بدون)، (178/4)].

2) الحركات الباطنية في العالم الإسلامي- عقائدها وحكم الاسلام فيها، د. محمد أحمد الخطيب، مكتبة الأقصى/عمان، ط2، 1406هـ/1986م، (ص199) .

3) المصدر السابق، (ص 200) .

4) المصدر نفسه، (ص237) .

5) **حاصبية:** حاصبيا هي إحدى القرى اللبنانية ومركز قضاء حاصبيا في محافظة النبطية، هي العاصمة التاريخية لوادي التيم التي حكمها الشهابيون [موسوعة ويكيبيديا الحرة، **رابط:** wikipedia.org/wiki/حاصبية، بتاريخ: 2013/07/10م] .

6) **معلولا:** شمال غرب دمشق على بعد 50 كم، وترتفع عن سطح البحر بحوالي 1500 متر، اسمها يعني المكان المرتفع ذو الهواء العليل حسب اللغة السريانية التي ما زال سكان معلولا يتحدثون بها [موسوعة ويكيبيديا الحرة، **رابط:** wikipedia.org/wiki/معلولا، بتاريخ: 2013/07/10م] .

7) **انظر:** لمحات عن أديان العالم، صادق الركابي، (ص 434).

8) **انظر:** فرق معاصرة، عواجي، (519/1) .

والبهائيون يقدّسون مدينة عكا، وخاصة (قصر البهجة) فيها، والذي هو قبلة البهائيين وكعبتهم حسب أمر الله وإرادته – بزعمهم–[1]، كما يحجّون إلى شيراز[2] التي وُلد فيها الشيرازي[3].

خلاصة المطلب:

أولاً: عرفت الأمم والملل فرقاً وجماعات وديانات تقدّس أشياءً وأماكن وأشخاصاً، وتتخذ لها رموزاً دينية تمثّل بالنسبة إليها النموذج المقدّس .

ثانياً: مسألة التقديس مرتبطة بالدين بشكل أساس، وغالباً ما تدخل فيها الخرافات والأساطير، وكثيراً ما تتنافى مع العقل والمنطق.

---

1) فرق معاصرة، عواجي، (526/1) .

2) شيراز: مدينة إيرانية، وهي مركز محافظة فارس ومقاطعة شيراز، وتعد سادس أكبر مدينة في إيران، لقبت بـ"دار العلم" في أيام الدولة الصفوية لكثرة رجال الدين فيها آنذاك، كانت عاصمة لعدة دول تاريخية، كالدولة الصفارية والدولة البويهية والدولة الزندية **[** موسوعة ويكيبيديا الحرة، **رابط:** wikipedia.org/wiki/شيراز، بتاريخ 2012/4/5م **]** .

3) الشيرازي: زعيم البابية الأول، هو علي بن محمد رضا الشيرازي، ولد سنة 1235هـ في شيراز، أعلن عام 1260هـ أنه هو الباب الموصل للإمام الغائب عند الشيعة، اعتُقل في إيران لمدة ثلاث سنوات بسبب جهره بمبادئه الكفرية، ثم أُعدم مع كبار أتباعه في شعبان1265هـ/1849م **[انظر:** البابية عرض ونقد، إحسان إلهي ظهير، دار ترجمان السنة/باكستان، ط3، 1401/1981م، (ص92) **]** .

المطلب الثاني

أثر الاعتقاد بالقدسية والبركة على السلوك والواقع

بعد استعراض بعض النماذج من تقديس أقوام لأماكن مخصوصة، وشخوص، وأشياء بعينها، فإننا لابد وأن نبحث في العلاقة بين التقديس والسلوك.

" والشيء المقدَّس ليس مقدَّساً في ذاته وإنما نظراً لارتباطه بمصدر القداسة وإشارتها له، ولذا فإن ما قد يكون مقدَّساً في مجتمع قد يكون مدنَّساً في مجتمع آخر "[1].

فمن البديهي أنّ الاعتقاد لا بد وأن يُبنى عليه عمل، وإلا كان نظرية لا حظّ لها من التطبيق على أرض الواقع وفي حياة الناس، ومن هنا نجد أن اعتقاد أهل الديانات والملل والطوائف لقداسة أماكنهم وزعمائهم وأشيائهم له أثر واضح في حياتهم وسلوكهم وواقع حالهم.

وإذا أردت أن تحصر هذه الآثار فإنها قد تستوعب كل مناحي حياة هذه الأمم والجماعات، وربما لاحتاج كل قسم من هذه الآثار إلى بحث مستقل، **لكن الباحث سيقف بإيجاز على أثرين مهمّين –في فهم الباحث– واللذان يوضحان بالغ التأثير لهذا الاعتقاد، سواء كان هذا التأثير إيجابياً أو سلبياً:**

1. الاعتقاد بالتقديس يوثق العلاقة بين الأرض والإنسان:

فالذي يعتقد بقدسية الأرض والمكان، يرتبط بهما ارتباطاً وثيقاً، فلو نظرت مثلاً إلى المسلمين، تجد سراً من أسرار الخالق ﷻ في ربط قداسة الكعبة المشرّفة والأرض الحرام بالإنسان في قوله ﷻ على لسان خليله ﵇: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ **فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ** وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (إبراهيم/37) .

---

1) موسوعة اليهود، المسيري، (191/1) .

" قال ابن عباس ﷺ ومجاهد: لو قال (أفئدة النّاس) لازدحمت عليه فارس والروم والترك والهند واليهود والنصارى والمجوس!!، ولكن قال: ﴿مِّنَ النَّاسِ﴾، فهُم المسلمون؛ فقوله: ﴿تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ أي تحنّ إليهم، وتحنّ إلى زيارة البيت، وقرأ مجاهد: ﴿تَهْوَىٰ إِلَيْهِمْ﴾،أي: تهواهم وتجلّهم"[1].

وهذا الدعاء لله ﷻ، جعل من هذه البقعة المباركة المقدّسة جامعةً للدين والدنيا، " **أما الدين:** فلأنه يدخل فيه ميل الناس إلى الذهاب إلى تلك البلدة بسبب النسك والطاعة لله ﷻ، **وأما الدنيا:** فلأنه يدخل فيه ميل الناس إلى نقل المعاشات إليهم، بسبب التجارات، فلأجل هذا الميل يتّسع عيشهم ويكثر طعامهم ولباسهم" [2] .

وهذا الأثر للتقديس (أي الارتباط بالأرض) ينطبق على غير مكّة من الأماكن المقدسة لدى المسلمين؛ كالمسجد النبوي في المدينة، وبيت المقدس في فلسطين.

وما تقدّم من كلام يعدّ تأثيراً إيجابياً للقداسة في الارتباط بالأرض المقدّسة، إذ جاءت قداستها من قبل الله ﷻ.

ويمكن قطعاً أن يكون هذا التأثير سلبياً، فيلاحظ الباحث – مثلاً– أن الارتباط بالأرض – بسبب اعتقاد قدسيتها– هو هدف من أهداف اليهود والصهيونية – كما سيأتي– فهم يروّجون منذ زمن بعيد فكرة القداسة لأرض (إسرائيل) أو (أرض الميعاد)، وارتباطها بالإنسان اليهودي (شعب الله المختار)، وبالتالي فإنّ هذا الترويج الديني لدى اليهود يقصد منه تثبيت الشعور الوجداني لهذا الشعب المزعوم وربطه دوماً بأرض الله الموهوبة – بزعمهم.

ومما سبق – في المطلب الأول– من نماذج للاعتقاد بالتقديس، تجد أنّ السامريين يرتبطون منذ مئات السنين بأرض "جرزيم"، ويعتبرونها من ثوابت عقيدتهم وأصول دينهم، ويسكنون هذه الأرض، ديانةً وتمسكاً بتلك القدسية المزعومة.

---

1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (373/9) .

2) التفسير الكبير، الرازي، (108/19) .

وليس بعيداً عنهم يرابط البهائيون حول قصر البهجة بعكاّ، ويحجّون إليه، متمسكين به مكاناً وأرضاً.

وإلى الشمال منهم تهوي أفئدة الدروز إلى "حاصبية" و"معلولا"، و يتعصبون للكنيسة "المريمية" و"خلوة البياضة".

وشرقاً يحج الشيعة إلى "كربلاء المقدسة" -بزعمهم- ويعتبرون أن ولوجها شرف ومغنم عظيم، دونه فقد الأموال والأبناء وإزهاق الأنفس، متمسحين بتربتها، متبركين بحجارتها، متوافدين إليها من كل أماكن تواجدهم.

وأولئك الهندوس والبوذيون في أقاصي الشرق يفنون أعمارهم وأجسادهم ثمناً لاعتقاداتهم، ويحجّون بالملايين نحو صخور وجبال وأنهار وأصنام وبقر، ويتمسحون بها ويعتكفون حولها وتشرئب أعناقهم لها ويلتفّون حولها، لاعتقادهم بعظيم نفعها وبركتها وقدسيتها!!

ويقاس ما ترك الباحث على ما ذكر، ويتضح جلياً لكل ناظر أن من لوازم الاعتقاد بقدسية وشرف وبركة ومكانة الأرض، التمسك بها والدفاع عنها والتشبث بها شجراً وحجراً وترباً وماءً.

2. الاعتقاد بالتقديس وأثره في الغلو:

لا شكّ أنّ الاعتقاد بقدسية شخصٍ أو حجر أو قبر أو مكان، يدفع بعض الأتباع والدهماء- بل وبعض الخواصّ- إلى الغلوّ ومجاوزة الحدّ في تعظيم أمر هذا المقدَّس حتى يجعلوا له قدراً يفوق مكانة ما هو أفضل منه.

وقد ورد في القرآن الكريم بيان غلوّ المشركين في آلهةٍ عبدوها من دون الله ﷻ، وكان أصلها أشخاص أو جمادات، إذ قال ﷻ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ **اللَّاتَ وَالْعُزَّى*وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ** الْأُخْرَى*أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى* تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى*إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى﴾ (النجم/ 19- 23) .

وقد قيل: إنّ "اللات" كانت صخرةً بيضاء منقوشة، وقيل: كان رجلاً يلتّ السويق للحجاج بمكّة، و"العزى": شجرة كان عليها بناء وأستار، و"مناة": صنمٌ بين مكّة والمدينة، وقد عبدت العرب هذه الأصنام والأوثان[1] .

وقد حذر النبي ﷺ أمّته من أمر الغلوّ وأخبرها عن أحوال الأمم السابقة في هذا الغلو وأسبابه.

فقد ذُكر لرسول الله ﷺ أمر كنيسة شاهدها المسلمون، وما احتوته من صور وتماثيل، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ **(أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَوِ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ أُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ)** [2] .

" ولا تكاد توجد جماعة إنسانية ضربت بهم في الحضارة إلا وفي نسيج حضارتها ما يقابل المسجد عند المسلمين، أو (البيعة) عند النصارى، أو (الصلوة) عند اليهود، كما هو الحال عند قدماء المصريين والهنود والفرس والإغريق... ويطلق عادة على هذه الأماكن لفظ (معبد) أو ما يشبهه"[3] .

قال ابن تيمية –رحمه الله: " نهى رسول الله ﷺ عن بناء المساجد على القبور، ولعن من فعل ذلك، ونهى عن تكبير القبور وتشريفها، وأمر بتسويتها، ونهى عن الصلاة إليها وعندها، وعن إيقاد المصابيح عليها، لئلا يكون ذلك ذريعة إلى اتخاذها أوثاناً، وحرم ذلك على من قصد هذا ومن لم يقصده بل قصد خلافه؛ سداً للذريعة" [4] .

---

1) **انظر**: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (306/4) .

2) **متفق عليه، البخاري**: كتاب الصلاة، باب الصلاة في البيعة، برقم: 434، (ص 61)، **مسلم**: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب "النهي عن بناء المساجد على القبور واتّخاذ الصّور فيها، والنهي عن اتّخاذ القبور مساجد"، برقم: 528، (ص248) .

3) مجلة البحوث الإسلامية، (538/2) .

4) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، (175/6)– بتصرف يسير .

وعن ابن عبّاس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ)** يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا [1] .

قال ابن تيمية –رحمه الله: " ولم يكن في الصحابة والتابعين والأئمة والمشايخ المتقدمين من يقول إن الدعاء مستجاب عند قبور الأنبياء والصالحين، ولا مطلقا ولا معيناً، ولا فيهم من قال إنّ دعاء الإنسان عند قبور الأنبياء والصالحين أفضل من دعائه في غير تلك البقعة، ولا أن الصلاة في تلك البقعة أفضل من الصلاة في غيرها، ولا فيهم من كان يتحرى الدعاء ولا الصلاة عند هذه القبور " [2] .

ويتضح مما سبق من آيات وأحاديث أنّ الإسلام جاء لينظّم أمر التقديس، وأن يجعل المقدّسات جميعها مبنية على أساس التوحيد الخالص لله ﷻ، إذ هو مصدر هذه القداسة وحده، كما سياتي عند بيان مفهوم القداسة والتقديس عند المسلمين في الفصل الثالث من هذا البحث.

ففي مقابل الغلو عند المشركين وتخبّطهم في رفع مكانة مقدّساتهم الشركية، جاء الإسلام فبيّن أنّ للكون رباً واحداً هو الأحقّ بالتعظيم والتمجيد والتقديس، فقال ﷻ في نهاية السورة التي جاءت على ذكر اللات والعزى: ﴿**فَاسْجُدُوا لِلَّهِ** وَاعْبُدُوا ﴾(النجم/62)، وكان قد بيّن لهم في مطلع ذات السورة أنّ لهم نبياً خاتماً – هو محمد ﷺ– هو المعصوم المبلّغ لوحي السماء، فقال ﷻ: ﴿**مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ** وَمَا غَوَى* وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (النجم/2–4)، وبين لهم – في ذات السورة أيضاً– أنّ لهم كتاباً خالداً هو الأجدر بالتقديس والتطبيق، واستنكر عليهم الاستهانة به وتجاهله، فقال ﷻ: ﴿**أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ*** وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ* وَأَنتُمْ سَامِدُونَ﴾ (النجم/59–61) .

---

1) **متفق عليه، البخاري:** كتاب الصلاة، بابٌ، برقم: 435، (ص61)، **مسلم:** كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب "النهي عن بناء المساجد على القبور واتّخاذ الصّور فيها، والنهي عن اتّخاذ القبور مساجد"، برقم: 529، (ص248) .

2) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، (426/2) .

هذان الأثران من آثار الاعتقاد بالتقديس هما مما استوقف الباحث أثناء دراسته للمسألة.

ولا شك أنّ هناك آثاراً أخرى كثيرة، ليس هنا مجال التفصيل فيها والتمثيل، وبعض هذه **الآثار إيجابية** (إذا كان المقدّس مصدره الدين الحقّ)، **ومنها: الطمأنينة والسكينة إلى الأماكن المقدّسة حقاً**، والتي باركها الله ﷻ، وهذه الطمأنينة ناتجة عن اليقين بمعيّة الله ﷻ وتأييده، واستشعار عظمة المكان أو الزمان أو ما شابه، كزيارة المسجد الحرام والطواف بالكعبة، لقوله ﷻ: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمران/96) ، "مباركاً: أي كثير الخير، لما يضاعف فيه من ثواب العبادة، قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وقيل: لأنه يغفر فيه الذنوب لمن حجّه وطاف به واعتكف عنده، وقيل: بركته دوام العبادة فيه ولزومها" [1] .

وهناك آثارٌ أخرى سلبية أخرى بخلاف ما تقدّم، ومنها مثلاً – بحسب فهم الباحث:

1. الشرك بالله ﷻ، وتقديس المخلوقين، ووصفهم بما لا يجوز إلا للخالق.
2. القتل واستباحة الخصوم وانتهاك المحرّمات دفاعاً عن مقدّسات مزعومة.
3. تعطيل العقل؛ بنسبة القدسية إلى أشخاص يتبعهم الناس على غير بصيرة.
4. الرضا بالظلم، والرضوخ للعدوان من أصحاب المقامات المقدّسة المزعومة.

خلاصة المطلب:

أولاً: إن لمسألة التقديس والاعتقاد بالقداسة آثاراً عملية في الواقع، تتجلى على أفكار البشر وسلوكياتهم ومعاملاتهم، فهي ليست مسألة نظرية تبقى حبيسة الكتب.

ثانياً: هناك آثار إيجابية للتقديس المرتبط بالوحي، والذي لا تلاعب للبشر فيه، كما أن هناك آثاراً سلبية للتقديس البشري، الذي جاء بأهواء البشر، ومن خلاصات عقولهم القاصرة.

---

1) روح المعاني، الألوسي، (5/4) – بتصرف يسير .

الفصل الأول
عقيدة اليهود في الأرض المقدّسة

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: العوامل المؤثرة على العقيدة اليهودية

المبحث الثاني: عقيدة اليهود في الأرض المقدسة والرد عليهم

المبحث الثالث: الصهيونية وعلاقتها بعقيدة اليهود في الأرض المقدّسة

المبحث الرابع: آثار العقيدة اليهودية في الأرض المقدسة

المبحث الأول

العوامل المؤثرة على العقيدة اليهودية

ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مصادر الفكر اليهودي

المطلب الثاني: المؤثرات والظروف الموضوعية

المطلب الثالث: مناقشة مصادر العقيدة اليهودية

المطلب الأول

مصادر الفكر اليهودي

لا شك أن مصادر الفكر اليهودي التي تشكل الملهم والدافع لليهود في عقيدتهم وشريعتهم وسلوكياتهم هي مصادر تعرضت – كما تاريخ اليهود – للكثير من الاضطراب والأخذ والردّ والجدل والتخبط، إذ لا يجد الباحث في شأن اليهود أدنى عناء في اكتشاف ذلك وملاحظته، كما أنّ هذه المصادر ليست ثابتة وباتّة ونهائية، بل اعتراها في كل مرحلة شيءٌ من التغيير والتبديل، فضلاً عن الخلاف القائم حول نسبتها وفترات تدوينها وقداستها، وغير ذلك مما سيأتي في هذا الفصل.

وتتلخص مصادر الفكر اليهودي في أربعة أقسام أساسية:

1. العهد القديم "التوراة".
2. التلمود.
3. فتاوى الأحبار "الحاخامات".
4. بروتوكولات حكماء صهيون.

وسيتناول الباحث في هذا المطلب بشيء من التفصيل هذه الأقسام الأربعة مرتبة حسب الأهمية التاريخية والدينية.

أولاً: العهد القديم "التوراة" :

" شريعة اليهود كلّهم أساسها وملاكها توراتهم، بأسفارها الخمسة – الأكثر أهمية– وكلّهم يقدسونها؛ لأنهم ينسبونها إلى نبي الله موسى عليه السلام [1]، ويعتقدون أنّها أوحيت إليه من ربّه على جبل الطور في سيناء، فسلّمها إلى قومه مكتوبة كما تلقّاها" [2] .

---

1) ورد ذكر التوراة في القرآن الكريم (18) مرة.

2) كنوز التلمود، س. ليفي، ترجمة: محمد خليفة التونسي، مكتبة دار البيان/الكويت، ط1، 1409هـ/1989م، (ص 11) .

والتوراة في الأصل – عندنا نحن المسلمين– هي كتاب الله ﷻ المنزل على سيدنا موسى ﷺ، والقرآن الكريم عرّفنا بالتوراة الحق، وقال فيها ﷻ: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ* إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ﴾ (المائدة/ 43-44) .

لكنّ القرآن الذي أخبرنا عن التوراة أخبرنا كذلك أنها حُرّفت وغُيّرت وتلاعب بها اليهود، إذ قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ (المائدة/13) .

" والتوراة التي يؤمن بها اليهود اليوم على أنها توراة موسى ﷺ، هي الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم في الكتاب المقدس، وهي أسفار: (التكوين – الخروج – اللاويين – العدد – التثنية) " [1].

" لكن بعض اليهود والنصارى وغيرهم يطلقون كلمة "التوراة" على العهد القديم كلّه؛ بل إنّ حاخامات[2] اليهود وسّعوا تدريجياً لفظة "التوراة" للخلط بين الوحي الإلهي والتفسير الحاخامي، فقالوا بأنّ هناك توراتان أو شريعتان، واحدة مكتوبة تلقاها موسى ﷺ على جبل سيناء، والأخرى شفوية يتناقلها الحاخامات عن موسى ﷺ ولها نفس قداسة التوراة المكتوبة! " [3] ، وعموماً " فعلماء (الكتاب المقدس) مجمعون على أنّ "العهد القديم" جرى وضعه خلال وبعد النفي البابلي" [4].

---

1) الديانات والعقائد في مختلف العصور، أحمد عبد الغفور عطار، مكة المكرمة، ط1، 1401هـ/1981م، (335/2) .

2) الحاخام: كلمة عبرية معناها "الرجل الحكيم أو العاقل"، وهو القائد الديني للجماعة اليهودية، والحاخامات هم فقهاء اليهود المفسّرون لنصوص التوراة والتلمود والمشرفون على الصلوات في المعبد **[** موسوعة اليهود، المسيري، (222/5)– بتصرف **]** .

3) موسوعة اليهود، المسيري، (87/5)– بتصرف.

4) التوراة تاريخها وغاياتها، ترجمة وتعليق: سهيل ديب، دار النفائس/بيروت، ط1، 1397هـ/1977م، (ص20).

وبما أن التوراة – كمصطلح– قد توسع فيه اليهود، **فيجدر أن يشير الباحث إلى أقسام التوراة على اعتبار أنها كل أسفار العهد القديم، وهي:**

القسم الأول: الأسفار الخمسة:

وهي تلك التي يمكن أن تُسمّى (التوراة الأساسية)، على اعتبار أنّ التوراة ليست إلا جزءاً من العهد القديم[1] .

وهذه الأسفار هي[2]:

1. **سفر التكوين:** ويتحدث عن إقامة بني إسرائيل في مصر وميلاد موسى عليه السلام، وتجلي الله عز وجل له، ونزول الوصايا العشر، وعبادة بني إسرائيل للعجل.
2. **سفر الخروج:** وهو مخصص لخروج بني إسرائيل من مصر وهلاك فرعون.
3. **سفر اللاويين:** ويختص بالتشريع والطقوس والقرابين والأعياد وغيرها.
4. **سفر العدد:** يتحدث عن إحصائيات (شعب إسرائيل) وقبائله، وفترة سيناء، حتى دخول الأرض المقدّسة.
5. **سفر التثنية:** يحوي تكرار الشريعة، ووصية موسى وأيامه الأخيرة.

القسم الثاني: أسفار الأنبياء:

ويضم هذا القسم واحداً وعشرين **(21)** سفراً **مقسمةً إلى ثلاثة أجزاء كالتالي[3]:**

الجزء الأول/ الأنبياء المتقدمون: (ستة أسفار)، وتبحث مجتمعة تاريخ بني إسرائيل بعد وفاة موسى عليه السلام حتى العودة من السبي البابلي إلى "أورشليم"، وبناء الهيكل مرّة ثانية، ويضمّ هذا الجزء: سفر **يشوع** (الذي مكّن لبني إسرائيل في أرض كنعان)، وسفر **القضاة** (الذين تولوا الأمر بعد

---

1) **انظر**: اليهودية، د. شلبي، (ص230) .

2) **انظر**: اليهود تاريخاً وعقيدة، د. كامل سعفان، دار الاعتصام/القاهرة، ط2، 1988م، (ص137) .

3) **انظر**: اليهود تاريخاً وعقيدة، د. كامل سعفان، (ص138)، **أيضاً**: بنو إسرائيل، محمد بيومي مهران، دار المعرفة الجامعية/مصر، ط1، 1999م، (12/3) .

يشوع)، وسفرَي **صموئيل** الأول والثاني (يتناولان أيام صموئيل آخر القضاة وعهد شاؤول وداود من الملوك)، وسفري **الملوك** الأول والثاني (ويتناولان تاريخ الملوك حتى السبي البابلي).

الجزء الثاني/ الأنبياء المتأخرون: (ثلاثة أسفار)، وهي: [اشعياء، وارمياء، وحزقيال] .

الجزء الثالث/ الأنبياء الاثنا عشر: (اثنا عشر سفراً): وهي: [هوشع، يوئيل، عاموس، عوبديا، يونان، ميخا، ناحوم، حبقوق، صفنيا، حجاي، زكريا، ملاخي].

وقد اعتُبرت أسفار الأنبياء هذه قانونية نحو عام 200 ق.م .

القسم الثالث: الكتابات والأشعار:

" وتشمل ثلاثة عشر سفراً وهي: [المزامير، والأمثال، وأيوب، ونشيد الإنشاد، ومراثي ارمياء، وراعوث، واستير، والجامعة، ودانيال، وعزرا، ونحميا، وأخبار الأيام الأول، وأخبار الأيام الثاني] " [1] .

وبذلك يكون مجموع أسفار العهد القديم (التوراة) **تسعة وثلاثين (39) سفراً**، وجملة إصحاحاته (929) إصحاحاً.

" وهذه الأقسام الثلاثة من أسفار العهد القديم كُتبت على مدى تسعة قرون تقريباً، بلغات مختلفة، اعتماداً على التراث المنقول شفوياً، وقد صُحّحت وأُكملت أغلب هذه الأسفار بسبب أحداث أو ضرورات خاصة، في عصور متباعدة أحياناً" [2] .

" وقد يُضمّ إلى العهد القديم ما يسمى (الأبوكريفا)[3] أي: الأسفار الخارجية أو غير الشرعية، وهي **أربعة عشر (14)** سفراً " [4] .

---

1) المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية/القاهرة، ط(بدون)، (ص69)- بتصرف .

2) اليهود تاريخا وعقيدة، سعفان، (ص136) .

3) الأبوكريفا: كلمة يونانية تعني "الخفي" أو "غير الموثوق"، وهو مصطلح يشير إلى النصوص المقدّسة غير القانونية التي لم يعترف بها اليهود ضمن أسفار العهد القديم. **[انظر:** موسوعة اليهود، المسيري، (105/5) **]**.

4) اليهود تاريخا وعقيدة، سعفان، (ص 139) .

ومما يجدر ذكره أنّ "العهد القديم" يعدّ لدى طوائف يهودية ولدى جميع النصارى الكتاب الأول قداسةً وتشريعاً، وإن كان لدى معظم اليهود قد تراجع إلى المرتبة الثانية بعد التلمود[1] .

" ويفضّل اليهود استخدام مصطلح "تناخ"[2] بدلاً عن "العهد القديم"، وذلك لأن العهد القديم يشير ضمناً إلى "العهد الجديد" الذي أكمل الكتاب المقدس – بنظر النصارى– وهذا ما لا يريد اليهود الاعتراف به" [3].

ثانياً: **التلمود**:

وقد ذكر الباحث التلمود بعد التوراة؛ وذلك للترتيب الزمني والتاريخي، ولأنّ التلمود يعتمد على ما مضى ضمناً.

" والتلمود معناه "التعليم"، ويعدّ التلمود المصدر الثاني للتشريع اليهودي، والمصدر الأول للسياسة الصهيونية، ولا يوجد منه سوى عدة مخطوطات قديمة" [4] .

" والتلمود هو أحد أهم الكتب الدينية وأقدسها عند اليهود، وهو النتاج الأساسي للشريعة الشفوية، أي: تفسير الحاخامات للشريعة المكتوبة (التوراة)، ويضم التلمود سجلاً لنقاشات الحاخامات حول الشريعة اليهودية والأخلاق والعادات والأساطير والقصص، وهو –لدى اليهود– مصدر أساسي للتشريع والأعراف" [5] .

حيث ابتدع حكماء اليهود قوانين مروية عن موسى ﷺ غير تلك المدونة في التوراة، وسموها (القانون الشفوي)، زاعمين أنه لا يجوز كتابة مالم يكتبه موسى ﷺ، فكان الحاخامات يتناقلون هذه القوانين – شفهياً– جيلاً بعد جيل سراً، لكن بعد التمرّد اليهودي الفاشل على اليونانيين

---

1) **انظر**: اليهود تاريخا وعقيدة، سعفان، (ص139) .

2) **تناخ**: اسم عبري مختصر من الحروف الأولى لثلاث كلمات عبرية هي: التوراة (أسفار موسى الخمسة)، و "نفيئيم" (أسفار الأنبياء)، و "كتونيم" (أسفار الأناشيد والحكمة) **[** موسوعة اليهود، المسيري، (89/5)– بتصرف **]**.

3) موسوعة اليهود، المسيري، (89/5) .

4) اليهود تاريخاً وعقيدة، سعفان، (ص 144) .

5) التلمود كتاب اليهود المقدّس، أحمد ايبش، دار قتيبة/دمشق، ط1، 2006م، (ص25) .

عام 135م بقيادة (بركوخبا)، بدأ اليهود يجمعون هذه القوانين السرّية في كتاب (التلمود) خشية ضياعها [1] .

ويأخذ التلمود طابع السرّية، ويحاول اليهود إخفاءه وحذف بعض أجزائه عند طباعة ونشر نسح منه، ويحتلّ عندهم قداسةً خاصّة [2] .

يقول **ابن حزم**[3] – رحمه الله– في الفصل: " والتلمود هو معولهم وعمدتهم في فقههم وأحكام دينهم وشريعتهم، وهو من أقوال أحبارهم بلا خلاف أحد منهم" [4] .

ومما يدل أيضاً على مكانة التلمود عندهم، وأنه مقدّم حتى على التوراة، ما جاء في صحيفة منه: " إنّ من درس التوراة فعل فضيلة لا يستحق المكافأة عليها، ومن درس (المشنا) فعل فضيلة استحق أن يكافأ عليها، ومن درس (الجمارا) فعل أعظم فضيلة " [5].

ويتكون التلمود من جزأين[6]:

1. المشناه، وهو الأصل (المتن).
2. الجمارا، وهو شرح المشناه.

---

1) انظر: التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان، دار النفائس/بيروت، ط8، 1423هـ/2002م، (ص30) .

2) انظر: المصدر السابق، (ص24) .

3) ابن حزم (384– 456هـ): الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي الأصل، ثم الأندلسي القرطبي اليزيدي مولى الأمير يزيد بن أبي سفيان بن حرب الأموي، الفقيه الحافظ، المتكلم، الأديب، الوزير، الظاهري، صاحب التصانيف، أثنى عليه جمع غفير من العلماء وانتقده آخرون، وشهد له أهل زمانه بالذكاء الحاد، وسرعة البديهة، وقوة الحفظ، والتبحر في العلوم، واشتهرت تصانيفه واستحسنها العلماء، وعرف عنه الزهد في طلب الرياسة والانقطاع للعلم والتدين الشديد، ومن مصنفاته: (الإيصال في فهم كتاب الخصال، والمجلى في الفقه، والمحلّى في شرح المجلّى، والفصل في الملل والأهواء والنحل، والإحكام في قواعد الأحكام، والفرائض، والإجماع، وغيرها الكثير [سير أعلام النبلاء، الذهبي، (184/18)– بتصرف] .

4) الفصل في الملل والأهواء والنحل، الإمام أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري، تحقيق: د. محمد إبراهيم نصر وَ د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل/ بيروت، ط2، 1416هـ/1996م، 324/1 .

5) الكنز المرصود في فضائح التلمود، د. محمد الشرقاوي، مكتبة الوعي الإسلامي/مصر، ط1، 1410هـ/1990م، (ص168)، **انظر أيضاً:** التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان، (ص24) .

6) انظر: التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان، (ص 15) .

الجزء الأول: المشناه/

" هو أول لائحة قانونية وضعها اليهود لأنفسهم بعد التوراة، جمعها "يهوذا هاناسي"[1] بين عامي 190- 200م" [2] .

" والمشناه: كلمة عبرية بمعنى: "يثنّي ويكرر"، وتعني حفظ الشريعة الشفوية وتكراراها" [3].

ويتكون "المشناه" من ستة مباحث تسمى "سيداريم"[4] وهي[5]:

1) زيرائيم (البذور): ويعنى القوانين الدينية الخاصة بالزراعة.
2) موئيد (الأيام المقررة): ويعنى بالأعياد والصيام والأحكام الخاصة.
3) نشيم (المرأة): ويعنى بقوانين الزواج والطلاق والنذور.
4) نيزيكين (الأضرار): ويعنى بالقوانين المدنية والجنائية.
5) كوداشيم (المقدسات): ويعنى بالطقوس الخاصة بالقرابين والصلاة والهيكل.
6) توهاروت (الطهارة): ويعنى بقوانين الطهارة والنجاسة..

ويشار إلى التلمود أحياناً بكلمة "شاس"، وهي اختصار للكلمة العبرية "شيشا سيداريم"، أي: الأحكام الستة [6].

" وبالإضافة إلى هذه الأحكام الستة، توجد رسائل تلمودية صغيرة متعددة، كما أن هناك سفر مماثل للتلمود تماماً يسمى: "ميدراش"[7]، وهو يجمع الحكم والقصص والأحكام التي جمعها أو

---

1) **يهوذا هاناسي (135-200م):** يعرف بلقب (سيدنا القديس)، وهو رئيس الجماعة اليهودية في فلسطين، وجامع المشناه، أقام علاقة ودية مع الرومان في فلسطين، وكان ملماً بالتراث الديني اليهودي مما مكنه من سلطة كبيرة على اليهود المعاصرين له [موسوعة اليهود، المسيري، (154/5)- بتصرف].

2) التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان، (ص11) .

3) موسوعة اليهود، المسيري، (144/5) .

4) **سيداريم:** كلمة عبرية بمعنى "أحكام" [الباحث] .

5) التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان، (ص15-16)، **أيضاً:** موسوعة اليهود، المسيري، (144/5) .

6) **انظر:** المصدرين السابقين، نفس الصفحات.

7) **ميدراش:** هو التعليم الشفهي للتوراة، والكلمة مأخوذة من أصل عبري معناه "التعمق في الدراسة"، وهو على نوعين: "مدراش حلقة"، وهو المتعلق بالنصوص التشريعية، و"مدراش هاجاداه"، وهو المتعلق بشروح المعلمين [التوراة تاريخها وتعاليمها، سهيل ديب، (ص94)- بتصرف].

اختلقها الحاخامات بعد اتمام التلمود، فدونوها في هذا السفر مخافة أن تضيع، هذا رغم أن التلمود نفسه استغرق تدوينه ما لا يقل عن ألف عام" [1] .

" ولم يكن المؤلفون له في عصر واحد وإنما ألّفوه جيلاً بعد جيل، فلما نظر متأخّروهم إلى ذلك وأنه كلما مر عليه الزمان زادوا فيه وفي الزيادات المتأخرة ما ينقض كثيرا من أوله؛ علموا أنهم إن لم يقفلوا باب الزيادة أدى إلى الخلل الفاحش، فقطعوا الزيادة وحظروها على فقهائهم وحرموا من يزيد عليه شيئًا " [2] .

الجزء الثاني: الجمارا/

" **و الجمارا قسمان: جمارا أورشليم، وجمارا بابل:** أما جمارا أورشليم أو فلسطين: هو سجل للمناقشات التي أجراها حاخامات فلسطين لشرح أصول المشناه، ويرجع تاريخ جمعه إلى عام 400م، أما جمارا بابل: فهو سجل مماثل للمناقشات حول تعاليم المشناه دونها علماء بابل اليهود، وانتهوا من جمعه عام 500م تقريباً " [3] .

" ومن هنا فإن المشناه مع شرحه (جمارا أورشليم) يسمى: (تلمود أورشليم)، و المشناه مع شرحه (جمارا بابل) يسمى (تلمود بابل)، وكلاهما يطبع على حده، وإذا أُطلق لفظ التلمود فالمقصود والمتداول بين اليهود هو تلمود بابل " [4] .

و" الجمارا: كلمة آرامية تعني: (التكملة أو التتمة أو الدراسة)، ولغة الجمارا في التلمود البابلي هي الآرامية الشرقية، وفي التلمود الفلسطيني هي الآرامية الغربية[5] .

---

1) التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان، (ص 17-18) .

2) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي (ابن قيم الجوزية)، تحقيق: محمد علي أبو العباس، مكتبة القرآن/القاهرة، ط1، 1409هـ/1989م، (ص166-167) .

3) التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان، (ص 11-12) .

4) اليهودية، د. شلبي، (ص 266).

5) موسوعة اليهود، المسيري، (145/5) .

وقد انعكس الفكر التلمودي اليهودي – فيما اتّضح للباحث– على جوانب الحياة كافة لدى مجتمع اليهود قديماً وحديثاً، ويعدّ التعليم اليهودي التقليدي أوضح نموذج يدلل على ذلك، إذ يهتم هذا التعليم بشكل خاص بالدراسات الدينية.

ويتضح ذلك من خلال شهادات اليهود المعاصرين، الذين يؤكّدون على أن التعليم اليهودي التقليدي لا يحتوي على أية دراسات إنسانية أو علمية غير دينية؛ كالأدب والرياضيات واللغة والتاريخ، فالدراسات الأكثر كثافة في المجتمع اليهودي التقليدي في العصور المتعاقبة هي الدراسات المنعوتة بـ (الدراسات المقدسة)، والتي تتكون في معظمها من التلمود وبعض الكتابات الخاصة بالتفسير التلمودي[1] .

وخلاصة القول:

إنّ التلمود هو من أقدس مقدسات اليهود، وقد استمر جمعه وتدوينه وتصحيحه قروناً طويلة، ولازم الغموض الكثير من جوانبه، ويسعى اليهود إلى إبقاء كثير من تعاليمه طي السرّية، واعتمدت نصوصه على التفسيرات والشروحات والأهواء الخاصة بطبقات متتالية من الحاخامات وعلماء الشريعة اليهودية، وقد تناول التلمود كل جوانب الحياة للمجتمع اليهودي، والقداسة التي خلعها اليهود على التلمود هي التي تحكم الكثير من عقائدهم و أنماط حياتهم وسلوكياتهم منذ قرون طويلة وحتى يومنا هذا.

ثالثاً: فتاوى الحاخامات:

إنّ هذا المصدر من أهم مصادر الفكر الديني اليهودي، وليس أدلّ على ذلك ابتداءً من قول الله ﷻ: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة/31)،وذلك حكاية عن اليهود والنصارى .

---

1) انظر: الأصولية اليهودية في إسرائيل، إسرائيل شاحاك و نورتون ميزفينسكي، ترجمة: ناصر عفيفي، مكتبة الشروق الدولية/ القاهرة، ط2، 2004م، (75/1) .

والأحبار هم: العلماء[1]، " ومعناه: أنهم أطاعوهم في معصية الله ﷻ، واستحلّوا ما أحلّوا، وحرّموا ما حرّموا، فاتخذوهم كالأرباب " [2] .

وإن هذا التعبير القرآني هو نصّ واضح كل الوضوح، يقطع بأنّ أقوال وفتاوى الأحبار هي مصدر هام في صياغة عقيدة وشريعة اليهود.

وإن من أهم تجليات هذا المصدر من مصادر الفكر اليهودي، هي الفتاوى الصادرة عبر العصور عمّن يسمّون عند اليهود بالحاخامات، وصولاً إلى عصرنا الحاضر الذي تكرّست فيه مكانتهم وازداد نفوذهم وتأثيرهم داخل فلسطين المحتلة.

" وإذا كانت مصادر الفكر الديني اليهودي في عصور السلف تتمثل في نص العهد القديم باعتباره الكتاب الأساس للديانة اليهودية بالإضافة لمصادر أخرى-وأهمها التلمود- فهناك مصدر أساسي إضافي يحرّك جموع المتطرفين من اليهود، ألا وهو فتاوى الحاخامات، حيث تتمتع هذه الفتاوى بقوة تأثير داخل (الكيان الصهيوني) تفوق قوة قوانين الدولة، فهي في الغالب المحرك الأول للمجتمع في صياغة أيديولوجيته تجاه نفسه وتجاه غيره" [3] .

وتعدّ كتابات الحاخامات اليهود في العصر الوسيط من أهم مرجعيات الفتوى التي يعتمد عليها المجتمع الديني في الدولة اليهودية، فما لم يوجد في نصوص العهد القديم والتلمود، سيجده اليهودي ماثلاً في فتاوى الحاخام (موشيه بن ميمون)[4] على سبيل المثال، وغيره من الحاخامات[5]

---

1) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (208/14) .

2) معالم التنزيل، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد النمر وَ عثمان ضميرية وَ سليمان الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417هـ/1997م، (39/4) .

3) فتاوى الحاخامات رؤية موضوعية لجذور التطرف في المجتمع الإسرائيلي، د. منصور عبد الوهاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب/القاهرة، ط1، 2010م، (ص 16) .

4) موشيه بن ميمون (1135-1204م): موسى بن عبد الله بن ميمون القرطبي، مفكر يهودي من كبار الحاخامات وعضو في الجماعة اليهودية بإسبانيا، قال اليهود فيه: "لم يظهر رجل كموسى من أيام موسى إلى موسى"، من أهم كتبه "دلالة الحائرين" و"السراج"، برع في العهد القديم والفلسفة والطب والعلوم **[** موسوعة اليهود، المسيري، (367/3-368)- بتصرف **]** .

5) انظر: فتاوى الحاخامات، منصور عبد الوهاب، (ص 17) .

وتتمتع أقوال وفتاوى الحاخامات بمكانة خاصة عند اليهود؛ إذ يقول الحاخام "روسكي"[(1)]– أحد أشهر حاخاماتهم–: " التفت يا بني إلى أقوال الحاخامات أكثر من التفاتك إلى شريعة موسى"[(2)].

" ويعتقد اليهود – وفق التلمود– أنّ لكل الحاخامات سلطة إلهية، وأنّ كل أقوالهم تعتبر صادرة عن الله ﷻ، وأنه– ﷻ– يستشيرهم عندما توجد مسألة لا يمكن حلّها في السماء" !! [(3)].

" وجاء في التلمود أن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها أو تغييرها – ولو بأمر من الله– بل إن خلافاً وقع يوماً – بزعم التلمود– بين الله – تعالى– وبين علماء اليهود في مسألة، وبعد طول جدال، اضطر الله ﷻ أن يعترف بغلطه بعد فصل أحد الحاخامات الربانيين في القضية!" [(4)] – تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً.

وما يعطي أقوال الحاخامات أفضلية خاصة وعلوية، أن أحكام المشناه التي هي أصل التلمود المقدس –عند اليهود– " هي إما أحكام عامة مجهولة المصدر وإما آراء الحكماء (الحاخامات)، وإذا وقع تعارض حول مسألة ما؛ فإن آراء الحاخام هي المقدَّمة والمفضَّلة" [(5)] .

ويتضح للباحث أن هذه الأفضلية المطلقة، والقدسية الخاصة للحاخام، والتي يُتخذ من خلالها الحاخام ربّا من دون الله ﷻ، كانت نقطة فاصلة ومحوراً هاماً في سلوكيات اليهودي في قديم الزمان وحديثه، وإنّ من نتائج هذه المكانة والقدسية أن أصبح الحاخام في مجتمع اليهود صاحب القول الفصل –غالبًا– عند الرجل العامّي أو الجنديّ المقاتل، أو السياسيّ المفاوض.

إذ لا تقتصر فتاوى الحاخامات اليهود على الشئون الدينية وما يتعلق بالحياة اليومية والعبادات والأحوال الشخصية، بل تتعداه لكل الشئون السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الشئون

---

1) لم يعثر الباحث على ترجمة للحاخام روسكي .
2) الكنز المرصود في فضائح التلمود، د. الشرقاوي، (ص 169) .
3) المصدر السابق، (ص 170) .
4) المصدر نفسه، (ص 172)– بتصرف .
5) التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الاسلام خان، (ص 15).

الدولية، مما يجعل الفتاوى هذه في بعض الأحيان المحرك الرئيس لموقف المجتمع اليهودي تجاه بعض القضايا[1].

بل إنّ الباحثين اليهود أنفسهم يشيرون إلى أنّ هذه الأقوال المؤثرة والفتاوى وما يُعرف بالأصولية اليهودية ليست قادرة فقط على التأثير على السياسات التقليدية لكيان اليهود، بل إنها قادرة أيضاً على التأثير على السياسات النووية لما يسمى بدولة (إسرائيل) [2] .

نماذج من فتاوى الحاخامات:

من أهم ما تناولته فتاوى الحاخامات اليهود هو النظرة للآخر؛ العربي والمسلم، بل والمسيحي أيضاً، إذ سعت هذه الفتاوى لهدم الديانتين، ولكن إفرازاتها كانت أشد وأقسى ضد المقدسات والرموز الإسلامية، وخاصة ضد المسجد الأقصى والقدس[3] .

ويسوق الباحث في السطور القادمة نماذج محدودة لبعض فتاوى الحاخامات اليهود المعاصرين، والتي لاتزال منشورة على مواقع الشبكة العنكبوتية، وما سيذكره الباحث هو جزء يسير من مئات بل آلاف الفتاوى التي يبثها حاخامات اليهود لعامة الجمهور اليهودي.

فمن الفتاوى ما يتحدث عن دين الإسلام والتحريض ضده والنيل من رموزه ومقدساته، ومنها: "**ليس للمسجد الإسلامي قداسة، بل إنّ مركز القداسة في العالم الذي اختاره الربّ هو جبل الهيكل**"[4]، ومنها: "**ماذا تريد من الإسلام المهووس الذي يخرج المؤمنون به من المسجد والتعطّش للدماء ظاهر في عيونهم**"[5] .

---

1) **انظر**: فتاوى الحاخامات، منصور عبد الوهاب، (ص 33).

2) **انظر**: الأصولية اليهودية، شاحاك و ميزفينسكي، (34/1).

3) **انظر**: فتاوى الحاخامات، منصور عبد الوهاب، (ص 77).

4) فتوى حاخام يهودي نشرت على موقع www.kahana.org.il (أبريل/2004م)، **عنه**: فتاوى الحاخامات، منصور عبد الوهاب، (ص81) .

5) فتوى الحاخام "شموئيل الياهو" نشرت على موقع: www.moriya.org.il (مارس/2006م)، **عنه**: فتاوى الحاخامات، منصور عبد الوهاب، ص107.

ومن الفتاوى ما يظهر العنصرية وادّعاء التميز والأفضلية للجنس اليهودي على سائر البشر، وهذا النوع من الفتاوى كثير وشهير ومنتشر، ومنها: "**إنّ الشعب اليهودي يختلف عن باقي البشر، بدليل تجلي الربّ لهم في سيناء .. أنتم أيها اليهود تسمَّون بَشراً أما الأغيار فلا يسّمون بشراً**"[(1)]!! ومنها: "**هناك درجات رقيّ بين المخلوقات: النبات، والجماد، والحيوان، والانسان، واليهود، والشعب اليهودي يتمتع بصفة وراثية تتمثل في القوة الإلهية**، وهو ما لم تحظ به باقي الشعوب"[(2)] !!.

ومنها: "**محرم تماماً دفن غير اليهودي بجوار زوجته اليهودية**، فيكفي أنه في حياته سار وراءها كالكلب، ولا يجوز استمرار هذه الصلة بعد موتهما، وبالتالي فهناك تحريم بدفن أي شخص غير يهودي بجوار يهودي"[(3)] .

ومن الفتاوى ما يدعو للقتل والتنكيل والتدمير ضد الأغيار، في تصريح مباشر لسفك الدماء دون رحمة أو شفقة، ومن هذه الفتاوى: "**يجوز إطلاق النار على الأبرياء، ولا مجال للشعور بالذنب... فإذا أطلقوا – أي الجنود اليهود– قذيفة أو دفعة طلقات من مروحية على جمع من المدنيين الأبرياء فلا بأس ما داموا عرباً**"[(4)] !!

ومنها: " لا داعي للانفعال من الحساسية الوهمية بشأن فظاعة إطلاق النار على المصلين في المسجد! ... **والأصل أن تعاليم التوراة بالقضاء على الشر هي تعاليم بإبادة أعدائنا العماليق ... والعماليق تنطبق على كل من يزعج الشعب اليهودي**"[(5)].

---

1) فتوى حاخام يهودي نشرت على موقع www.daatermet.org.il (2004/7/26م)، **عنه:** فتاوى الحاخامات، منصور عبد الوهاب، (ص 111)

2) مقولة لـ(الخوزي) وهو شاعر يهودي أندلسي، نقلها حاخام يهودي في فتوى له نشرت على موقع: www.daatermet.org.il (2004/8/25م)، **عنه:** فتاوى الحاخامات، منصور عبد الوهاب، (ص 136) .

3) فتوى للحاخام "تسفي كوستينر"، نشرت على موقع: www.moriya.org.il (2005/02/19م)، **عنه:** فتاوى الحاخامات، منصور عبد الوهاب، (ص 145) .

4) فتوى للحاخام "دوف ليئور" بتاريخ 2005/10/23م، **عن:** فتاوى الحاخامات، منصور عبد الوهاب، (ص121).

5) فتوى للحاخام "يتسحاق جينزبورج"، **عن:** فتاوى الحاخامات، منصور عبد الوهاب، (ص 122) .

ومنها: "**في الحرب.. طالما أنها لم تحسم، يحبذ قتل غير اليهود من الشعب الذي نقاتله، حتى النساء والأطفال الذين رغم أنهم لا يشكلون خطراً مباشراً، يجب قتلهم خوفاً من أن يساعدوا العدو في الحرب**"(1) .

وهناك فتاوى تتعلق بالأحداث السياسية والخاصة بالصراع القائم والدائم على أرض فلسطين، ومن هذه الفتاوى فتوى للحاخام الأكبر في الكيان الصهيوني يقول فيها: "**إنّ الأمواج العاتية التي ضربت سيريلانكا وتايلاند وإندونيسيا (تسونامي) كانت تعبيراً عن غضب الربّ؛ لتأييد دول العالم خطة فك الارتباط عن غزة!**" (2) .

ومنها: فتوى جاءت رداً على سؤال حول مشروعية تعذيب الأسرى الفلسطينيين جاء فيها: "**جاء في المصادر اليهودية أنك إذا أردت أن تعلم أعداء إسرائيل درساً فلا ترحم الأشرار**" ثم استدل الحاخام بنصوص من التوراة في تعذيب الملك داود للفلسطينيين، ثم تابع: "**ويجب أن نحترس من الأخلاقيات التي تدعو لأخذ الأعداء بالرحمة ... فهذه الأخلاقيات مجرد كلمات ليس لها مجال في التطبيق العملي**"(3) .

ومنها: فتوى جاءت رداً على سؤال حول حق العودة للفلسطينيين جاء فيها: "**تعالوا نطبق حق العودة! ونعيد عرب أرض إسرائيل لبلدانهم الأصلية!، إنها أرضنا (أرض إسرائيل) كما هو اسمها، والعرب هاجروا إلى هنا بمرور الوقت... سيكون يوم جمع شتات العرب الذين يعيشون بيننا إلى بلادهم عظيماً** "(4) .

---

1) فتوى للحاخام "عيدو ألبا" في كتابه: تفسير شرائع قتل غير اليهودي، **عنه:** فتاوى الحاخامات، منصور عبد الوهاب، (ص 121).

2) فتوى لـ"مورِدخاي الياهو" الحاخام الأكبر في الكيان الصهيوني، نشرها موقع: www.walla.co.il (2005/01/31م)، **عنه:** فتاوى الحاخامات، منصور عبد الوهاب، (ص 155) .

3) فتوى للحاخام "شموئيل الياهو" نشرها موقع: www.kipa.org.il (يونيو 2004م)، **عنه:** فتاوى الحاخامات، منصور عبد الوهاب، (ص 193).

4) فتوى للحاخام "شلومو أفينر" نشرها موقع: www.ateret.org.il (2004/06/16م)، **عنه:** فتاوى الحاخامات، منصور عبد الوهاب، (ص 198).

ومنها: فتوى لجنة حاخامات الضفة الغربية (مجلس المستوطنات) جاء فيها: "**إنّ الشفقة على أطفال غزة ولبنان تعني القسوة الصريحة على أطفال إسرائيل!!** " [(1)] .

وبعد استعراض أهمية هذا المصدر في شرع وعُرف اليهود، وسوق نماذج من فتاوى الحاخامات وأقوالهم كنموذج ومثال[(2)]، فإنه يتضح للباحث أن ما يجري على أرض الواقع وما نلمسه ونعايشه من مفردات الصراع اليومية على الأرض المقدسة، وما يطغى على مشهدها من ممارسات اليهود ما هو إلا انعكاس لهذه الفتاوى والأقوال، وتناغم صريح مع لغة الشحن والتعبئة العقائدية العنصرية التي يمارسها رجال الدين اليهودي، ويبثون قيمها ومفرداتها في كل الشرائح المؤثرة في صنع القرار والممارسة على الأرض، من سياسيين وجنود ومستوطنين وجمهور.

رابعاً: **بروتوكولات**[(3)] **حكماء صهيون**:

" بروتوكولات حكماء صهيون، هي: تقارير ومحاضر طويلة وضعها يهودي ذو خطر ونفوذ لإلقائها على زعماء اليهود وأقطابهم؛ كي تكون منهاجاً لخطة عمل تمكّن اليهود من السيطرة على العالم وتسييره في غفلة من أممه وشعوبه في الاتجاه المفضي إلى سقوط كل الحكومات وإقامة الحكومة اليهودية العالمية" [(4)] .

ويظهر أن بداية التأريخ لهذه البروتوكولات هو المؤتمر الصهيوني الأول الذي عُقد في (بال) بسويسرا عام 1897م بحضور 300 من رؤوس اليهود في العالم.

---

1) نُشرت الفتوى عبر موقع: www.ynet.co.il (2006/07/16م)، **عنه:** فتاوى الحاخامات، منصور عبد الوهاب، (ص 225).

2) للاستزادة حول الموضوع **يراجع كتاب:** الأصولية اليهودية في إسرائيل، **أيضاً: كتاب:** فتاوى الحاخامات رؤية موضوعية، **أيضاً: ورشة عمل:** دور الحاخامات والمتدينين اليهود في اغتصاب فلسطين، رابطة علماء فلسطين/ بيروت، عقدت في: 2010/06/13م.

3) بروتوكولات: جمع بروتكول، كلمة انجليزية لها عدة معان، وفي إطارها العام هي مجموعة من الضوابط والأطر التي تحدد كيفية القيام بنشاط ما، قد يتضمن معاهدة أو سياسة أو دبلوماسية او حوسبة وخلافه [البروتوكولات واليهودية والصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري، دار الشروق/ القاهرة، ط3، 2003م، (ص 11)- بتصرف].

4) الوحي ونقيضه.. بروتوكولات حكماء صهيون في القرآن، د. بهاء الأمير، مكتبة مدبولي/القاهرة، ط1، 2006م، (ص44)، **نقلاً عن:** "سيرجي نيلوس" أول مدقق وناقل للبروتوكولات وناشر لها بالروسية عام 1902م.

" إذ يذكر "سيرجي نيلوس"[1] – وهو أول من ترجم البروتوكولات– أن سيدة فرنسية استطاعت أثناء اجتماعها بأحد زعماء اليهود في فرنسا الاطلاع على جانب من محاضر المؤتمر الصهيوني الأول، واحتوى هذا الجانب على الوثائق التي شكّلت البروتوكولات" [2] .

ويصف أول مترجم لهذه الوثائق إلى العربية[3] هذه الوثائق بأنها: " أخطر كتاب ظهر في العالم، ولا يستطيع أن يقدره حقّ قدره إلاّ من يدرس البروتوكولات كلّها كلمة كلمة في أناةٍ وتبصّر، ويربط بين أجزاء الخطة التي رسمتها، على شرط أن يكون بعيد النظر، فقيهاً بتيارات التاريخ، وسنن الاجتماع، وحوادث التاريخ اليهودي والعالمي" [4] .

ويتضح للباحث من خلال استطلاع المراجع والدراسات الكثيرة التي ناقشت هذا الأمر أنه قد ثار جدلٌ كبير ونقاش مستفيض حول هذه البروتوكولات كما لم يثُر على غيرها من القضايا، وانقسم فيها المفكّرون والمؤرّخون والباحثون بين مثبتٍ لها ومدافع عن كونها جزءًا هاماً من المصادر والتطبيقات التفصيلية للفكر اليهودي القديم المتجدّد، وبين داحضٍ لنسبتها لليهود ومقلّلٍ من شأنها، معتبراً أنّها جزءٌ من هوسِ المؤامرة، ولكلٍّ في تفسير رأيه وجهة هو مولّيها.

فالمقللون من شأن هذه البروتوكولات – وأبرزهم حديثاً الدكتور عبد الوهاب المسيري– يرون بأنها وثيقة مزيفة ومشوّشة وتخدم الفكرة الصهيونية[5] .

---

1) سيرجي نيلوس (1862–1929م): سيرجي ابن الكسندر بتروفيتش نيلوس، وسيرجي هو كاتب روسي شهير من عائلة من المهاجرين السويسريين، درس وتخرج من موسكو، من أشهر كتبه، ما كشفه حول بروتوكولات حكماء صهيون والتي أثارت ضجّة عالمية **[انظر:** موسوعة ويكيبيديا الحرة، ورد تحت اسم: Sergei Nilus، ترجمة الباحث، رابط: http://en.wikipedia.org/wiki/Sergei_Nilus، بتاريخ 2012/05/16م **]** .

2) الوحي ونقيضه، بهاء الأمير، (ص43) .

3) هو: محمد خليفة التونسي، نسبة إلى قرية تونس في صعيد مصر، المتوفى عام 1408هـ، كاتب وباحث ومفكر مصري من تلامذة عباس العقاد، له العشرات من المؤلفات المطبوعة والمخطوطة، **[انظر:** تكملة معجم المؤلفين، محمد خير بن رمضان بن اسماعيل يوسف، دار ابن حزم/بيروت، ط1، 1418هـ/1997م، (ص478)**]**.

4) الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة: محمد خليفة التونسي، تقديم: عباس العقاد، دار الكتاب العربي/بيروت، ط2،(بدون تاريخ)، (ص 29) .

5) راجع في ذلك، كتاب: البروتوكولات واليهودية والصهيونية، للدكتور عبد الوهاب المسيري.

أما المثبتون لنسبتها لليهود فقد انطلقوا من حقائق لا تحصى على الأرض تتطابق بشكل عجيب مع نصوص هذه البروتوكولات التي نشرت قبل عشرات السنين من وقوع هذه الحوادث[1] .

كما أنّ خلاصة حجتهم – أي المرجّحون لصحة الوثائق– أنها " لم تأت بجديد غير ما ورد في كتب اليهود المعترف بها، ومنها التلمود، وغاية ما هنالك أن التلمود أجملَ، وهذه الوثائق فصّلت ومثّلت لذلك المجمل" [2] .

ولاحظ "نيلوس" في مقدمته عن البروتوكولات أن أقسامها ليست مطّردة اطّراداً منطقياً، وتابعه على ذلك المترجم العربي (التونسي)، وأضاف بأنّ " موضوعاتها متداخلة، فلم يتناول كاتبها كل موضوع على حدة في بروتوكول أو أكثر" [3] .

" وهذه الوثائق التي سمّيت (بروتوكولات) ليست على وجه التحديد مضابط جلسات – كما توحي التسمية– بل هي تقرير وضعه شخص ذو نفوذ كبير على اليهود، وألقاه في محاضر متتالية، كما يشير نص البروتوكولات" [4] .

ومن خلال نظرة سريعة إلى البروتوكولات يجد الباحث بالفعل أنها وثائق يبدو أنها انتُزعت من عمل أكثر ضخامة وتوسعاً، إذ تحوي إشارات لخطط أكثر تفصيلاً وتوضيحاً، ولكنّها إذا اعتُبرت كنصوص بأنّها مستقلة ومتكاملة، فإنّها تكفي لتكون نواة الخطة اليهودية للحلم القديم المتجدد وهو السيطرة على العالم، على اعتبار أنّ الشعب اليهودي – بزعمهم– هو خلاصة الجنس البشري وما عداه من (الأغيار) هم خدمٌ له.

وتتكون هذه الوثائق من أربعةٍ وعشرين بروتوكولاً مفصّلاً، يتضمن كل بروتوكول العديد من الأفكار والعناصر، التي يمكن أن تتكرر في بروتوكول آخر، و لا يسمح المجال هنا بذكر كافة

1) **راجع** في ذلك: كتاب: الوحي ونقيضه، للدكتور بهاء الأمير، إضافة إلى مقدمة كتاب البروتوكولات، للتونسي، وتعقيب سيرجي نيلوس عليها.

2) الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون، التونسي، (ص 14) – بتصرف .

3) المصدر السابق، (ص 48) .

4) المصدر نفسه، (ص 50).

عناصرها ومحتوياتها وما تضمنته من بنود المؤامرة والخطة اليهودية، **ولكن يمكن للباحث إيجاز أهم عناصر هذه البروتوكولات فيما يلي**[1]:

1. لا تجتمع الأخلاق والسياسة البارعة، والعنف والخديعة هما الطريق إلى العدل، والحرية هي المصيدة المناسبة لإغراء العامة[2].

2. العملاء هم الوسيلة المثلى للسيطرة على الأمم، جنباً إلى جنب مع جهل هذه الأمم، وبثّ العلوم الضارة داخلها [3] .

3. اعتماد مبدأ (فرّق تسُدْ) ونزع فكرة (الله) من العقول، وإشغال الشعوب بمصالحها[4].

4. الاستبداد هو الوسيلة الأنجح ليحكم اليهود العالم، لكن لا بدّ من إلباس الاستبداد ثوباً يتناسب مع العصر [5] .

5. فرض السيطرة على الاقتصاد، وإجبار الأمميين على نسف أسس الانتاج، واستخدام الأمن والشرطة والجيوش لإتمام الخطط[6].

6. لا بد من تكريس فكرة (معاداة السامية) [7]، وخلق هوّة بين الحكّام والشعوب، والتحايل على كافة القوانين[8].

---

1) هذا الايجاز هو مختصر ما استنبطه الباحث من القراءة المتأنية للبروتوكولات.

2) انظر: البروتوكول الأول.

3) انظر: البروتوكول الثاني.

4) انظر: البروتوكولان الثالث والرابع.

5) انظر: البروتوكول الخامس.

6) انظر: البروتوكولان السادس والسابع.

7) اللاسامية = معاداة السامية: ترجمة للمفهوم الكامن وراء العبارة الإنجليزية «أنتي سيميتزم»، والمعنى الحرفي أو المعجمي للعبارة هو «ضد السامية»، وتُترجَم أحياناً إلى «اللاسامية»، وكان الصحفي الألماني اليهودي الأصل ولهلم مار (1818–1904م) أول من استخدم هذا المصطلح عام 1879م من منظور غير ديني، ولو أُخذت العبارة بالمعنى الحرفي، فإنها تعني العداء للساميين أو لأعضاء الجنس السامي الذي يشكل العرب أغلبيته العظمى، بينما يُشكك بعض الباحثين في انتماء اليهود إليه، ولكن المصطلح في اللغات الأوربية، يقرن بين الساميين واليهود ويوحد بينهم، وهذا يعود إلى جهل الباحثين الأوربيين في القرن التاسع عشر بالحضارات الشرقية، وعدم تكامل معرفتهم بالتشكيل الحضاري السامي أو بتنوع الانتماءات العرْقية والإثنية واللغوية لأعضاء الجماعات اليهودية **[** موسوعة اليهود، المسيري، (2/ 333)– بتصرف **]**.

8) انظر: البروتوكول التاسع.

7.تسخير الأمم لخدمة أغراض اليهود، وتدبير الانقلابات، وشراء الذمم بالمال، وتدمير الحياة الأسريّة[1].

8.السيطرة على دور الصحافة والأدب ووكالات الأنباء والنشر، وإغراق الشعوب بالمشكلات السياسية[2] .

9.تحطيم كافة العقائد –عدا اليهودية– والموت لكل من يعوّق أهدافنا[3] .

10. السيطرة على الجامعات العالمية الهامة وتسييرها وفق خططنا، والحطّ من قدر رجال الدين عند الأمم والشعوب، وإفشاء الأفكار الهدّامة[4] .

11. إشاعة سياسة البوليس والاغتيالات والرعب، وتدمير هيبة الأمميين وإحباطهم[5].

12. تدبير الأزمات الاقتصادية، وفرض القروض الخارجية على غير اليهود، والسيطرة على بورصات الأوراق العالمية[6] .

خلاصة القول:

المقصود بيانه في هذا القسم من المطلب أنّ بروتوكولات حكماء صهيون باتت في حقيقة الأمر من المصادر النادرة التي نشرت تفاصيل وأمثلة مثيرة عن حقيقة الفكر اليهودي بحلّته المعاصرة.

وقد يرى البعض بأنّه ليس دقيقاً أن توصف البروتوكولات بأنها من مصادر الفكر اليهودي، إلا أنّ **الباحث اعتمدها كمصدر مكمّل للمصادر السابقة؛ لما تنطوي عليه من خطط ملهمة للفكر اليهودي المعاصر.**

---

1) انظر: البروتوكول العاشر.

2) انظر: البروتوكولان الثاني عشر والثالث عشر.

3) انظر: البروتوكولان الرابع عشر والخامس عشر.

4) انظر: البروتوكولان السادس عشر والسابع عشر.

5) انظر: البروتوكولان الثامن عشر والتاسع عشر.

6) انظر: البروتوكولات: العشرون والحادي والعشرون والثاني والعشرون.

وقد أُلّفت كتب ودوّنت أسفار في بيان صحّة أو ردّ هذه البروتوكولات – كما سبق بيانه– والأولى الالتفات إلى واقع الحال المعاش منذ ظهور هذه البروتوكولات إلى العلن مطلع القرن العشرين وحتى يومنا هذا، وكيف أنّ نصوص هذه الوثائق باتت واقعاً على الأرض في الكثير من جوانبها، في ترجمة فعلية لأحلام اليهود وأطماعهم، ولا يزالون.

إنّ الذي تميل إليه النفس – بعد استعراض أقوال وحجج المثبتين والمنكرين– بأنّ هذه البروتوكولات هي صنعة يهودية خالصة، يتضح من سطورها المنهج اليهودي الذي اصطبغ به القوم منذ فجر التاريخ، والذي تشير إليه مصادر تشريعنا الإسلامي بوضوح فضلاً عن مصادر العقيدة والشريعة اليهودية.

لكن مع قناعة الباحث بذلك إلاّ أن المنهج الأمثل ينبغي أن يكون دقيقاً وعلمياً في تفسير ما يُعتقد أنّه تطبيق للنوايا اليهودية المدونة في هذه البروتوكولات، وأن يلتزم الباحث في الشأن اليهودي الوسطية، فلا إفراط في وصف كيد اليهود ودسائسهم وتحكّمهم في الأرض وإعطائهم هالة من القوة غير البشرية، ولا تفريط في تجاهل مكرهم وجهودهم الهائلة في تطبيق ما تمليه عليهم مصادر عقيدتهم وفكرهم، القديمة منها والحديثة.

خلاصة المطلب:

أولاً: يعدّ العهد القديم أهمّ مصادر الفكر اليهودي، وهو الذي يقدّسه اليهود ككتاب ديني، بعضه منسوب إلى نبي الله موسى عليه السلام، والآخر إلى أنبياء بني إسرائيل.

ثانياً: يعدّ التلمود ثاني مصادر اليهود الدينية، وهو أكثر تفصيلاً، وأخطر شأناً، لكنّه أقرب إلى السرّية والغموض، ويمنع تداوله إلا خلسةً، خاصة لغير اليهود.

ثالثاً: تكمل فتاوى الحاخامات اليهود مصادر اليهود الدينية، وتعدّ من أهمّ ما يعتمد عليه اليهود المعاصرين بعد المصدرين السابقين (التوراة والتلمود) .

رابعاً: نسبت إلى اليهود بروتوكولات ملهمة لفكرهم المعاصر، وكثير منها ينطبق على واقع اليهود، مما يؤكد صحة مضامينها، ويبين مدى كيدهم للدين والأخلاق والقيم.

المطلب الثاني

الظروف والمؤثرات الموضوعية

إنّ التقلب والتغيّر في الآراء والأهواء هو من طبائع اليهود عبر تاريخهم، وقد بدّلوا وغيّروا في كتاب ربهم – التوراة– المنزّل على نبيهم – موسى عليه السلام، وهذا معلوم في ديننا بالضرورة، إذ يقول الحق جل جلاله في شأنهم: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة/75) .

وإذا كانوا قد تجرّؤوا على كتاب ربّهم تغييراً وتحريفاً، وهم في كامل حريتهم وإرادتهم، عن سبق إصرار وعلم – وهذا صريح في قوله عز وجل: ﴿مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ – فإنّ تأثّرهم بالظروف والأحداث والمؤثرات في تحديد شكل عقيدتهم وفكرهم وسلوكهم سيكون بلا شك أكبر وأعمق.

وقد كان للعديد من الأحداث التاريخية والأزمات والظروف التي مرّ بها اليهود عبر تاريخهم أثرٌ واضح في تحديد ملامح فكرهم.

ومن أهم هذه الظروف فيما اتّضح للباحث ما يلي:

1. الحروب وضياع التوراة.
2. الاحتكاك بالأقوام والحضارات الأخرى.
3. السبي والتشتت.

أولا: الحروب وضياع التوراة:

لاحظ الباحث آنفاً عند سرد تاريخ اليهود – أو بني إسرائيل سابقاً– في الأرض المقدّسة، أنّ تاريخهم مليء بالحروب والدماء والنزاعات، سواءً تلك التي نشبت بين بني إسرائيل أنفسهم– والتي عجّلت بتفكيك ونهاية دويلتهم المؤقتة– أو حروبهم مع سكّان البلاد الأصليين، أو مع الغزاة الآخرين المتنازعين على الأرض المقدسة، سواءً لأغراض دينية أو سياسية أو اقتصادية، أو غيرها.

وإذا علمنا بالضرورة أنّ كتب اليهود تغيّرت وتبدّلت كثيراً، فإنّه لا يخفى أنّ هذه الحروب والنزاعات كانت سبباً أساسياً في تشكيل العقيدة والفكر اليهودي على مرّ العصور.

بل إنّ التوراة التي بأيدي اليهود هي نتاج تجميع محفوظات كتبتهم وأحبارهم كردّة فعل على حرق معابدهم وزوال دولتهم وتفرّق جمعهم ورفع كتابهم، إذ أقدم جمعٌ منهم على جمع محفوظاتهم مشكّلين ما يعرف اليوم بـ"العهد القديم"[(1)].

ولا يسع الباحث هنا أن يسير مع مجرى التاريخ لرصد كل الأحداث والحروب والنزاعات وأثرها في تغيير وتبديل وتطوير العقيدة اليهودية، لكنّ حسبه أن يشير إلى بعض الأحداث المتفرقة، وفي ما يذكر الباحث دليلٌ ومثالٌ على ما يترك.

فمثلاً، يذكر الكتاب المقدّس[(2)] أنّ التوراة كانت عند قوم من خاصة كهنة بني إسرائيل، عهد موسى عليه السلام بها إليهم ولم يطلع بقية الشعب عليها[(3)] .

وما دام الأمر كذلك، فربما كانت هذه هي نقطة البداية في تبرير التغيير والتبديل في شريعة موسى ﷺ.

وحول هذا التفرّد في حفظ التوراة عند قوم من بني إسرائيل، يورد ابن حزم – رحمه الله– قاعدة هامة تستوعب بني إسرائيل وغيرهم، إذ يقول: "كلّ كتابٍ وشريعةٍ كانا مقصورين على رجالٍ من أهلهما، وكانا محظورين على من سواهما؛ فالتبديل والتحريف مضمونٌ فيهما" [(4)] .

---

1) انظر: إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل، السموأل بي يحيى المغربي، تحقيق: د. محمد الشرقاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد/الرياض، ط2 ،1407هـ/1987م، (ص 139) .

2) سيعتمد الباحث على نسخة الكتاب المقدّس (العربية) الصادرة عن: (دار الكتاب المقدّس في الشرق الأوسط) عام 1984م .

3) انظر: تثنية 31: 9 – 30 .

4) الفصل، ابن حزم، (196/1) .

ثم يصرّح ابن حزم: "وكذلك التوراة إنّما كانت طول مدة ملك بني إسرائيل عند (الكوهن الأكبر) الهاروني وحده، لا ينكر ذلك منهم إلا كذاب مجاهر" [1] .

وبعد موت موسى ﷺ خلفه يوشع، ودخل بهم إلى بعض الأرض المقدّسة –كما سبق ذكره–ثم بعد موت يوشع نكص بنو إسرائيل على أعقابهم؛ إذ تذكر أسفارهم أنّهم عبدوا آلهة الشعوب المحيطة بهم فعوقبوا بتسليطها عليهم[2] .

ويروي العهد القديم أنّ التابوت الذي يحوي التوراة وقع في إحدى المعارك في أيدي الفلسطينيين[3] ثم عاد التابوت إلى بني إسرائيل بتدخل علويٍّ في قصّة عجيبة**!!** [4] .

" لكن سفر "صموئيل الأول" الذي ذكر حادثة فقد التوراة وإعادتها، ضمن معارك الكر والفر بين بني إسرائيل وأعدائهم، لم يذكر أنّها عادت – أي التوراة– في التابوت أم أنّها أُتلفت، وإن كان الأقرب للواقع إتلافها من قبل "الفلسطينيين"؛ كونهم يخالفون بني إسرائيل في المعتقد فضلاً عن الحرب المستعرة بين الفريقين" [5] .

ومنذ تاريخ إعادة التابوت تعاقب الملوك على بني إسرائيل، فيما بقي مصير التوراة غامضاً طوال فترة حكمهم وصولاً إلى سليمان عليه السلام الذي أقام احتفالاً – حسب رواية العهد القديم– لوضع التابوت في المحراب، وفُتح التابوت، فلم يجد القوم توراتهم**!** [6] .

---

1) الفصل، ابن حزم، (197/1) .

2) انظر: قضاة 2 : 11 .

3) انظر: صموئيل الأول 4 : 11 .

4) انظر: صموئيل الأول، الإصحاح الخامس والسادس.

5) إظهار الحق، محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي ، دراسة وتحقيق وتعليق: د. محمد أحمد ملكاوي، نشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد/الرياض، ط1، 1410هـ/1989م، (599/2)– بتصرف يسير، **انظر أيضاً:** الكتب المقدّسة في ميزان التوثيق، عبد الوهاب عبد السلام طويلة، دار السلام/ القاهرة، ط2، 1423هـ/2002م، (ص67).

6) انظر: الملوك الأول 8 : 1 – 10 .

ويتضح من خلال ما سبق أنه إذا كان ذلك أمر التوراة المحفوظة على الألواح منذ بداية عهد بني إسرائيل بها، فإنّ كل الظروف باتت متهيئة للخطأ والتبديل واللبس على الأقل، فضلاً عن التزوير والتلاعب المتعمّد.

ويمكن أن يدلل على الأثر الذي تركته النزاعات على الديانة اليهودية – أو ديانة بني إسرائيل سابقاً– من خلال انقسام مملكة بني إسرائيل بعد موت سليمان ﷺ، إلى مملكتين متناحرتين، شمالية وجنوبية.

" فهذا العهد يؤرَّخ له على أنّه البداية الحاسمة لعهد التدهور السياسي والديني الكبير لبني إسرائيل، فقد فقدت "أورشليم" مكانتها كمركز ديني موحد، وتسربت بعض العناصر الوثنية إلى ديانتهم، بل سُمح للوثنية الكنعانية بالانتشار والتغلغل داخل المناصب العليا في الدويلة الشمالية"[1].

وبدلاً من هجران بني إسرائيل للخطايا، التي كانت –بحسب توراتهم– سبباً في تفتتهم وغضب الرب عليهم؛ فقد انهمكوا بعد الانقسام في ضروب من الخطايا وعبادة الأوثان، وممارسة طقوس سرّية خبيثة [2].

بل إنّ الفكر اليهودي التوراتي –المستقر في أذهان اليهود– يشير إلى أنّ غزو الجيوش الأجنبية لدويلة "إسرائيل" وتدميرها هو جزءٌ أساسي من الخطة الإلهية، ويفسّر الكتاب المقدّس مصير المملكة الشمالية تفسيراً لاهوتياً محضاً[3]، في دلالة جليّة – حسب فهم الباحث– على أثر هذه الأحداث والحروب في تشكيل الوعي الديني اليهودي لا حقاً.

---

1) تاريخ الديانة اليهودية، د. محمد خليفة حسن أحمد، دار قباء/ القاهرة، ط1، 1998م، (ص 205-206)- بتصرف.

2) انظر: إسرائيل فتنة الأجيال– العصور القديمة، إبراهيم خليل أحمد، مكتبة الوعي العربي/مصر، ط1، 1969م، (ص 123) .

3) انظر: التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، د. إسرائيل فنكلشتاين وَ نيل اشر سيلبرمان، ترجمة: سعد رستم، دار صفحات للدراسة والنشر، ط (بدون)، (ص 245) .

وأخيراً يشير مفكرون يهود معاصرون إلى أنّ: " مراجعةً للمصادر التاريخية والآثارية، تظهر أنّ شدة التغيّرات في ميزان القوى في كافة أنحاء المنطقة كانت عاملاً مركزياً في تشكيل تاريخ الكتاب المقدّس العبري" [1] .

ثانياً: **الاحتكاك بالأقوام والحضارات الأخرى**:

" عاشت اليهودية في كنف عدة حضارات تأثّرت بها وشكَّل بعضها تحدياً لها ولقيمها، فقد تحركت اليهودية داخل التشكيلات الحضارية المختلفة في الشرق الأدنى القديم وتأثرت بها وتبنَّت رموزها وقيمها" [2] .

" فمثلاً استوعب العبرانيون فكرة التوحيد من المصريين القدماء، ثم حَدَث التغلغل العبراني في كنعان، وحدثت المواجهة الأولى مع الحضارة الكنعانية، وحدثت المواجهة الثانية مع الحضارة البابلية، وقد أدَّت هذه المواجهات إلى أنّ النسق الديني السائد بين العبرانيين قد استوعب الكثير من العناصر الدينية والثقافية من هاتين الحضارتين، ثم من الحضارة الفارسية، ولكن المواجهات الثالثة والرابعة والخامسة، مع الحضارة الهيلينية[3] والإسلامية ثم المسيحية على التوالي، كانت أكثر حدة"[4].

إذاً لا شك –حسب فهم الباحث– أنّ الاحتكاك بين بني إسرائيل والشعوب الأخرى قد أثّر بشكل مباشر في ديانة اليهود وعقيدتهم، خاصة وأنّ التوحيد لم يستقرّ في نفوس غالبيتهم، وليس أدلّ على ذلك أنّ بني إسرائيل قد عبدوا العجل وموسى ﷺ بين ظهرانيهم، ﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (البقرة/51)،ثم طلبوا إليه أن يجعل لهم صنماً من دون الله

---

1) التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، فنكلشتاين وَ سيلبرمان، (ص 338) .

2) موسوعة اليهود، المسيري، (318/5) .

3) الهيلينية: مصطلح يطلق على التقاليد الحضارية السائدة في عهد اليونانيين خاصة في عهد الاسكندر المقدوني، وبدأت هذه الحضارة تتغلغل في أوساط الجماعات اليهودية طيلة العصر الروماني، خاصة بين نخبة اليهود من أثرياء وكهنة، وتمثلت الثقافة الهيلينية في كافة مناحي الحياة التعليمية والثقافية والعمرانية والأدبية ... إلخ **[** موسوعة اليهود، المسيري، (207/4–208)– بتصرف **]** .

4) موسوعة اليهود، المسيري، (318/5) .

ﷺ، ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (الأعراف/138) ، فإذا كان هذا حالهم في حياة نبيهم، فكيف بهم بعد موته بسنوات وعقود وقرون؟! لا شكّ أنهم سيكونون أبعد عن ربهم وأقرب إلى الانحراف والزيغ.

وبما أن بني إسرائيل قد دخلوا أخيراً الأرض المقدّسة، فقد كان لهم احتكاك مباشر مع الحضارة المتجذرة في هذه الأرض والشعب الأصلي، وهو شعب كنعان.

إذ إنهم كما تأثروا بنمط حياة الكنعانيين وخاصة في الجانب الزراعي، وتحولوا من بدو رحّل إلى أصحاب زراعة وفلاحة، كذلك أخذوا قسطاً من فكرهم وثقافتهم الدينية بشكل كبير، وبما أن البيئة الكنعانية هي بيئة وثنية؛ فقد تأثر بها بنو إسرائيل، مما أدخل الكثير من العناصر الوثنية في ديانتهم، لدرجة تأثرهم في فهم طبيعة إلههم "يهوه" وصراعه مع "آلهة كنعان"[1].

" بل إنّهم قدّسوا (بعل) إله الكنعانيين، وهجروا لهجتهم السامية الأصلية، واتّخذوا اللغة الكنعانية، وورثوا عن الكنعانيين أسس الثقافة المادية، وعبدوا الإله (تموز) الذي كان الكنعانيون يعتقدون موته صيفاً وعودة الحياة له ربيعاً " [2].

وعلم الآثار الحديث أثبت أنّ (مملكة إسرائيل) لم تكن في يوم ما إسرائيلية محضة، سواءً من الناحية العرقية أو الثقافية أو الدينية، إذ تشير بعض دراسات الآثار هذه مثلاً إلى أن مراكز العبادة لهذه المملكة كانت تحمل سمات مشتقة من التقاليد الكنعانية[3] .

" كما أن الوضع السياسي لبني إسرائيل في كيانهم الجديد، وخاصة بعد قيام مملكة داود وسليمان –عليهما السلام– كان له أثرٌ في تشكّل الخلفية الدينية لهم؛ فقد تم تفسير هذا الحدث

---

1) انظر: تاريخ الديانة اليهودية، محمد خليفة حسن أحمد، (ص202–203) .

2) اليهود تاريخاً وعقيدة، سعفان، (ص 15) .

3) انظر: التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، فنكلشتاين وَ سيلبرمان، (ص 243).

التاريخي الهام دينياً على أساس أنه تحقيق للعهد المكتوب من الربّ سابقاً وهو الوعد بالأرض، وأنّ الاله "يهوه" قد اختار صهيون كمقر إقامة دائمة له " [1] .

كل ما سبق يشير – بحسب فهم الباحث– إلى أنّ بني إسرائيل تأثّروا بشكل مباشر باحتكاكهم بأصحاب الأرض الكنعانيين من الناحية الدينية كغيرها من النواحي، و كان ذلك من أسباب تأثّر ديانتهم بما تحتويه التقاليد الدينية الكنعانية غير التوحيدية، مما أضاف حافزاً جديداً لعملية التغيير والتبديل الممنهج في أصل الديانة أثناء تلك الفترة و فيما تلاها من فترات.

علاوة على أنّ التأثر اليهودي بالأقوام المحيطة – خاصة أثناء وجودهم في الأرض المقدسة– لم يكن مقتصراً على الأثر المحلي بل تعدّاه إلى الأثر الخارجي، وخاصة في فترات سيطرة الدول الكبرى– مثل مصر – على فلسطين.

وفي هذا السياق يقول الدكتور عبدالوهاب المسيري: " والواقع أنّ تاريخي فلسطين ومصر مرتبطان منذ بداية التاريخ الإنساني؛ إذ كثيراً ما قامت مصر بضم فلسطين أو فرض سيطرتها عليها، كما كان فراعنة مصر يلعبون دوراً كبيراً في تحديد سياسة الدويلتين العبرانيتين (المملكة الشمالية والمملكة الجنوبية) من خلال الأحزاب الممالئة لهم فيهما " [2].

وهذه السيطرة المصرية على (الدويلتين العبرانيتين) لم تكن – في فهم الباحث– سيطرة سياسية فحسب، بل تعدت إلى تأثير بشكل مباشر أو غير مباشر في الحياة الدينية.

و بعد قرون من الزمان وجد اليهود أنفسهم – بعد مراحل من الذوبان والاندماج مع حضارات وديانات وعقائد كبرى محيطة بهم– أمام هيمنة جديدة من القوة اليونانية – بقيادة الاسكندر المقدوني– التي حلّت بدلاً من الإمبراطورية الفارسية – كما سبق ذكره.

---

1) اليهود تاريخاً وعقيدة، سعفان، (ص 204).

2) موسوعة اليهود، المسيري، (82/4) .

وأمام هذه الهيمنة وجد اليهود أنفسهم وسط مدن كبيرة شيدها اليونان وسيطرت فيها الثقافة الهيلينية، إذ كانت تقوم في كل واحدة من هذه المدن نظم ومؤسسات يونانية وهياكل للآلهة والإلهات اليونانية، ومدارس، ومجامع علمية، ومدارس وساحات للألعاب الرياضية [1].

ثالثاً: فترة السبي والتشتت:

يقول **السموأل**[2] في شأن اليهود: " ولا ينبغي للعاقل أن يستبعد اصطلاح كافة هذه الطائفة على المحال واتفاقهم على فنون من الكفر والضلال، فإنّ الدولة إذا انقرضت عن أمة باستيلاء غيرها عليها وأخذها بلادها؛ انطمست حقائق سالف أخبارها واندرس قديم آثارها، وتعذر الوقوف عليها؛ لأنّ الدولة إنما يكون زوالها عن أمة بتتابع الغارات والمصادمات وإخراب البلاد وإحراق بعضها، فلا تزال هذه الفنون متتابعة عليها إلى أن تستحيل علومها جهلاً، وكلما كانت الأمة أقدم واختلفت عليها الدول المناولة لها بالإذلال والإيذاء كان حظها من اندراس الآثار أكثر"[3].

سبق أن ذكر الباحث في الفصل السابق أنّ المملكة الشمالية سقطت في يد الآشوريين عام 721 ق.م، وأن "بختنصر" أقدم عام 586 ق.م على القضاء على حكم بني إسرائيل في الأرض المقدّسة من خلال إسقاط المملكة الجنوبية، فيما عُرف في التاريخ بالسبي أو النفي البابلي.

" وقد كان لهذين الحدثين الكبيرين أعظم الأثر في الديانة اليهودية والفكر اليهودي، إذ ظهر في فترة السبي هذه عامل جديد أدى إلى تطور هام في مجمل الديانة اليهودية وهو عامل ظهور "النبوة" – بمفهومها اليهودي– حتى أصبحت الظاهرة الدينية الأساسية في فترة السبي الآشوري

---

1) **انظر:** قصة الحضارة، وول ديورانت، (53/8).

2) **السموأل:** هو السموأل بن يحيى بن عباس المغربي، كان فاضلا في العلوم الرياضية عالما بصناعة الطب وأصله من بلاد المغرب وسكن مدة في بغداد وارتحل إلى الموصل وديار بكر، ثم انتقل إلى بلاد العجم ولم يزل بها إلى آخر عمره، كان يهودياً ثم أسلم فحسن إسلامه وصنف كتاباً في إظهار معايب اليهود وكذب دعاويهم في التوراة ومواضع الدليل على تبديلها وأحكم ما جمعه في ذلك ومات شاباً [عيون الأنباء في طبقات الأطباء، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي، تحقيق: د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة/ بيروت، ط1، 1965م، (ص 471)– بتصرف] .

3) إفحام اليهود، السموأل، (ص 143).

والبابلي، والنبوة حسب الفهم اليهودي ظاهرة تاريخية في المقام الأول، وتمثل ردّ فعل ديني تجاه الأحداث و التطورات السياسية" [1] .

" وبما أن النبوة – في نظر اليهود– هي ردّ فعل على الأحداث السياسية فإنها لم تقتصر على وظيفتها الدينية الأساسية، بل أصبح للأنبياء نشاط سياسي، وراحوا يصدرون أحكامهم الدينية على مسيرة التاريخ (الاسرائيلي) آنذاك، بل قاموا بتطوير الديانة اليهودية، وظهرت عقيدة المسيح المخلص المرتبطة بظروف السبي كمحاولة دينية لتعويض خسارة سقوط المملكة الأرضية" [2] .

إذاً، فهذه الفترة من تاريخ اليهود – وفق ما يتضح للباحث– هي فترة اضطراب ديني وفكري، وصياغة العقيدة اليهودية فيها تأثرت بشكل كبير بالظروف السياسية، خاصة بعد الارتباك الذي حصل بإخراجهم من الأرض المقدّسة بالقوة.

وليس أدل على ذلك من أنّ العهد القديم (التوراة) جُمع –على الأرجح– لأول مرة في بابل بعد السبي، ومن هنا فإن الذين آبوا إلى الأرض المقدسة عام 539 ق.م بأمر من الملك الفارسي "قورش" هم شعب يختلف اختلافاً عظيماً في الروح والمعارف عن ذلك الشعب الذي أُخرج منها مأسوراً قبل ذلك، ذلك لأنهم تشبّعوا بحضارة وثقافة البابليين[3] .

كما أنّ فترة السبي البابلي وما تلاها مباشرة في الحقبة الفارسية هي فترة بلغ فيها أحبار اليهود وكهنتهم قمة قوتهم وكامل سيطرتهم على مقدرات اليهود[4] مما يعني – برأي الباحث– أنّ هذه الفترة شهدت نشاطاً دينياً محموماً شكّل نقطة تحوّل هامة ساهمت بقوة في إعادة صياغة الفكر اليهودي.

---

1) تاريخ الديانة اليهودية، محمد خليفة حسن أحمد، (ص206)– بتصرف.

2) المصدر السابق، (ص 207) .

3) انظر: بنو إسرائيل، محمد بيومي مهران، (279/3) .

4) انظر: الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، د.حسن ظاظا، معهد البحوث والدراسات العربية/ جامعة الدول العربية، قسم البحوث والدراسات الفلسطينية، ط(بدون)، 1971م، (ص 31).

ومن أبلغ آثار الحياة البابلية على دين اليهود – كنموذج– أنّ سفر (أستير) في العهد القديم يراه المحققون أنه ملحمة لا أصل لها في تاريخ اليهود أو التاريخ العبري، بل هي تصور ومحاكاة لملحمة بابلية، وقد عارض بعض اليهود إقحامه – أي سفر أستير– في العهد القديم، لكنه لا يزال أحد الأسفار الهامة في العهد القديم يغّذي طموحات اليهود بطابع مقدس!(1) .

وعلى ضوء هذا يمكن فهم التأثير الآشوري والبابلي الهائل على صياغة الثقافة اليهودية، بل على صياغة الكتاب المقدّس ذاته؛ إذ إنّ قسماً كبيراً من التاريخ الموصوف في الكتاب المقدّس على أنه عامل لفسْق ملوك بني إسرائيل وإثمهم وجشعهم، إنما يرتبط أكثر برياح سياسات القوى الدولية(2).

ويُلاحظ – كانعكاس لحالة السبي والتشتت– أن العاطفة الدينية تتفجر عند اليهود بعد النكسات وحياة الشقاء التي تعرّضوا لها – نتيجة أفعالهم– وتتّجه هذه العاطفة شيئاً فشيئاً نحو مزيد من التردّي والبعد عن ربهم.

فمن عجائب أمرهم أنهم بعد جولات الصغار والذلة التي يمرّون بها تجدهم يبارزون ربّهم بصلاة يردّدون فيها: «**أيها الربّ إلهنا! إن أمورنا تعسة ملتوية علينا، وبؤسنا فوق طاقتنا، وقد طال شتاتنا، وكله مرارة وعذاب، إنّك قد نسيتنا يا الله!**»(3) .

ويُلاحظ أن مما استقر في أذهان اليهود في شتاتهم وسبيهم وتمزقهم أنّ ملك الله ﷻ وعظمته –جلّ عما يقولون– لا يكتمل إلا إذا كانت الدولة والصولة لليهود!.

" ومما يشير إلى ذلك صلواتهم وترتيلاتهم التي كانوا يقولون فيها: « **يا إلهنا املكْ على جميع أهل الأرض ليقول كل ذي نسمه: الله إله إسرائيل قد ملك، ومملكته في الكل متسلطة... وسيكون لله الملك، وفي ذلك اليوم يكون الله واحداً**»، وهم يعنون بذلك أنه لا يظهر أن الملك لله

---

1) انظر: اليهود تاريخاً وعقيدة، سعفان، (ص 21) .

2) انظر: التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، فنكلشتاين وَ سيلبرمان، (ص 256).

3) اليهود وأكاذيبهم، مارتن لوثر، دراسة وتعليق: محمود النجيري، مكتبة النافذة/مصر، ط1، 2007م، (ص 59).

إلا إذا صارت الدولة إلى اليهود الذين هم أمته وصفوته، فأما مادامت الدولة لغير اليهود فإن الله خامل الذكر عن الأمم وأنه مطعون في ملكه مشكوك في قدرته! " [1] .

" ومن قولهم أيضاً: « **لِمَ تقول الأمم أين إلههم؟ انتبه! لم تنام يا رب؟، انتبه من رقدتك»!** وهؤلاء إنما نطقوا بهذه الهذيانات والكفريات من شدة الضجر من الذل والعبودية والصغار وانتظار فرج لا يزداد منهم إلا بعداً " [2].

ويبدو أن اليهود عندما عاد بعضهم من السبي البابلي – في عهد "قورش الأكبر" ملك فارس– أرادوا – كما يتضح للباحث– أن يجنوا ثمرات الحشد الديني التراكمي الذي تعاهدوه في بابل طوال فترة السبي التي كانت محضن التوراة المؤلّفة من كتبة اليهود وأحبارهم، وأراد بعض كهنتهم وكبرائهم أن يقودوا مرحلة جديدة من التطوير الديني لليهودية بخلفيتها البابلية، وتحت سيف الولاء للإمبراطورية الفارسية حديثة النشأة.

" فأقدم ستة آلاف يهودي – بإذن وتوجيه من ملك فارس– وبقيادة "**عزرا**"[3]، على العودة إلى فلسطين وبناء معبد هناك، إذ أوحى الربُّ – وفق التوراة– إلى ملك فارس أن يطلق نداءً عاجلاً في كل مملكته لجمع التبرعات لبناء بيت الرب في أورشليم[4]، وقام هؤلاء العائدون في سياق مصالح الدولة الفارسية على تغيير العقيدة اليهودية القائمة في فلسطين آنذاك وغذّوها بالنبوءات اليهودية الجديدة التي ظهرت في بابل" [5] .

---

1) إفحام اليهود، السموأل ، (ص 127–128)– بتصرف يسير .

2) المصدر السابق، (ص 131) .

3) عزرا: (منتصف القرن الخامس قبل الميلادي) هو كاتب الشريعة الموسوية، وهو كاهن من أسرة صادوق ورئيس الجماعة اليهودية العائدة من بابل، وفي العهد القديم سفرٌ باسمه، حاول بإذن من الامبراطور "أرتحشتا الأول" إعادة بناء اليهودية على أساس التوراة والشريعة **[** موسوعة اليهود، المسيري، (201/4)– بتصرف **]** .

4) انظر: عزرا، 1 : 1 – 4 .

5) اليهود تاريخاً وعقيدة، سعفان، (ص22)– بتصرف.

المطلب الثالث:

مناقشة مصادر العقيدة اليهودية

تم الحديث في المطلبين السابقين عن مصادر الفكر اليهودي والعوامل والظروف الموضوعية المؤثرة فيه، ووجد أنّ هناك تداخلاً كبيراً بين تاريخ اليهود وعقيدتهم، وتنوعت مصادر فكرهم وتعددت مداخل ثقافتهم الدينية، لذا لا بد من وقفة لنقد ومناقشة وتمحيص هذه المصادر، خاصة وأنه اعتراها كل ما أشار إليه الباحث من ظروف وملابسات.

وتكمن أهمية هذه المناقشة وهذا التمحيص في أنّ عقيدة اليهود في الأرض المقدسة تستند أساساً إلى هذه المصادر إما بالاستدلال المباشر أو التأثّر غير المباشر، لذا تم استعراض خلفية عامة موجزة عن هذه المؤثرات والعوامل، ومن هنا كان لزاماً على الباحث في السطور القادمة أن يضع هذه المصادر على ميزان الشرع والعقل والتاريخ ومحاكمتها بما توفر من أدلّة وبراهين وما بدا من تناقض والتباس شديدين.

وسيتناول الباحث هذه المناقشة الموجزة في عناوين محددة، دون الخوض في تفاصيل ودقائق ليس هنا محل ذكرها والاستفاضة فيها.

أولاً: قطعية ثبوت التحريف:

إذ إنّ أهم ما يُسقَط به دين اليهود هي هذه العلة، وإذا ثبت أنّ المصادر التي يستقي منها اليهود دينهم وعقيدتهم وفكرهم هي مصادر محرّفة مبدّلة، سقط مذهبهم بالجملة، إذ كيف يسوغ أن يُستدل على معتقدات كبرى عند اليهود بمصادر بشرية لا حظ لها من الربانية، سوى القدسية الزائفة التي خلعها كبراء القوم على كتبهم، كحلقة من حلقات التزوير والتحريف؟!

وقد دوّنت أسفار عظيمة[1] قديماً وحديثاً في الردّ على اليهود، وبيان تحريف كتبهم، والاستدلال بتناقضات كتابهم ويمكن أن يورد الباحث هنا شيئاً مما قيل، ويعلّق عليه.

نؤمن نحن المسلمين أن التوراة التي بين أيدي اليهود منذ زمان نبينا ﷺ وقبله – فضلاً عما بين أيدينا اليوم – هي توراة محرّفة وقع فيها التبديل والتغيير قطعاً، ومصدر علمنا القطعي الثبوت والأول والأهم والأوثق هو كلام خالقنا وخالق اليهود وخالق الكون وما فيه ومن فيه، وهو أعلم بنا وبهم من أنفسنا وأنفسهم، إذ بيّن الله ﷻ صراحةً في العديد من آيات القرآن حقيقة وقوع التحريف.

ومنها: قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة/75)، " فالذين يحرفونه والذين يكتمونه، هم العلماء منهم، وقيل: التوراة التي أنزلها عليهم، يحرفونها، يجعلون الحلال فيها حراماً، والحرام فيها حلالاً، والحق فيها باطلاً، والباطل فيها حقاً " [2] .

" فقال الله لنبيه ﷺ: كيف تطمعون في تصديق هؤلاء اليهود إياكم وإنما تخبرونهم – بالذي تخبرونهم من الأنباء عن الله ﷻ عن غيب لم يشاهدوه ولم يعاينوه، وقد كان بعضهم يسمع من الله كلامه وأمره ونهيه، ثم يبدله ويحرفه ويجحده، فهؤلاء الذين بين أظهركم من بقايا نسلهم، أحرى أن يجحدوا ما أتيتموهم به من الحق– وهم لا يسمعونه من الله، وإنما يسمعونه منكم– من أوائلهم الذين باشروا كلام الله من الله جل ثناؤه، ثم حرفوه من بعد ما عقلوه وعلموه متعمدين التحريف[3].

ومن أدلة التحريف أيضاً: قوله ﷻ: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ (النساء/46)، " قيل: أي يتأولونه على غير تأويله، وذمهم الله ﷻ بذلك، لأنهم يفعلونه متعمدين" [4]، وقوله ﷻ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾

1) من أهم هذه المصنفات **للاستزادة:** الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الأندلسي، **أيضاً:** إظهار الحق، لرحمة الله الهندي.

2) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (246/2).

3) المصدر السابق، (348/2).

4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (243/5).

(المائدة/13)، " أي: فسدت فهومهم وساء تصرفهم في آيات الله، وتأولوا كتابه على غير ما أنزله، وحملوه على غير مراده، وقالوا عليه ما لم يقل، ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ أي وتركوا العمل به رغبة عنه، وقيل: تركوا عرى دينهم ووظائف الله تعالى التي لا يقبل العمل إلا بها، وقيل: تركوا العمل فصاروا إلى حالة رديئة، فلا قلوب سليمة، ولا فطر مستقيمة، ولا أعمال قويمة" [1] .

ومن أدلة تحريفهم القاطعة قوله ﷻ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة/79)، " يعني بذلك: الذين حرفوا كتاب الله ﷻ من يهود بني إسرائيل، وكتبوا كتاباً على ما تأولوه من تأويلاتهم، مخالفا لما أنزل الله على نبيه موسى – ﷺ–، ثم باعوه من قوم لا علم لهم بها، ولا بما في التوراة، جهال بما في كتب الله ﷻ – لطلب عرض من الدنيا خسيس" [2] .

" وقد أكّد سبحانه بقوله: ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ أنّ أحبار اليهود تلي كتابة الكذب والفرية على الله ﷻ بأيديهم، على علم منهم وعمد للكذب على الله، ثم تنحله إلى أنه من عند الله وفي كتاب الله، تَكَذُّبا على الله وافتراء عليه، فنفى جل ثناؤه بذلك التأكيد أن يكون ولي كتابة ذلك بعض جهّالهم بأمر علمائهم وأحبارهم" [3].

و في اعتقاد الباحث أن المسلم يكفيه هذا – أي خبر القرآن العظيم– دليلاً وبرهاناً لا يحتاج إلى تثنية أو توكيد؛ إذ كيف لمؤمن بالله ﷻ ورسوله ﷺ يسمع هذا البيان الصريح والقول الفصيح في فضح تحريف اليهود لكتبهم وعظم فريتهم على خالقهم، وانطباع سريرتهم على قول الزور والبهتان، ثم يشكّ في أنّ ما بين أيديهم اليوم من أسفار هو كلام سماوي مقدّس، كما هو ديدن بعض المثقفين من المسلمين الذين دأبوا في خطابهم يكررون عبرات الثناء والتمجيد للكتاب المقدس بدعوى سماحة الإسلام وتحت شعار "لا إكراه في الدين" !!.

---

1) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: محمود حسن، دار الفكر/ بيروت، ط (بدون)، 1414هـ/1994م، (43/2).

2) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (270/2) .

3) المصدر السابق، (272/2)– بتصرف .

ثانياً: **بطلان النسبة وانقطاع السند**:

أثبت الباحث آنفاً خبر التحريف من كتاب الله ﷻ الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت/42), فلا بد أن نرمي اليهود بسهامهم ونقذفهم بأحجارهم، ونلزمهم بما لا يجدون سبيلاً إلى إنكاره، وذلك من خلال بيان التحريف بمنطوق ومفهوم كتبهم.

فبعد أن تطرق الباحث إلى طرف من الظروف والمؤثرات والعوامل التي جعلت التوراة تصل لليهود بشكلها الحالي، فإنّ النتيجة مفادها أنّ من غير الممكن نسبة كتابة هذه الأسفار إلى موسى ﷺ كما يدعي اليهود، فضلاً عن استحالة نسبة شيء منها إلى الرب ﷻ .

" إذ لا بد لكون هذا الكتاب سماوياً واجب التسليم أن يثبت أولاً بدليل تام قاطع مفاده أن هذا الكتاب وضعه أو أملاه موسى ﷺ، ثم وصل إلينا بعد ذلك بالسند المتصل، بلا تغيير أو تبديل، ولا بد أن يعتمد كل هذا على اليقين، ومجرد الوهم أو الظن أو التخمين – دونما برهان– أن هذا الكتاب من وضع فلان النبي فغير كاف؛ بل غير جدير بالالتفات إليه" [1] .

ونحن المسلمين نؤمن بالتوراة التي نزلت على – موسى ﷺ– ونؤمن بأنها نزلت بالهدى والنور والتوحيد والرحمة لقوله ﷻ: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾(آل عمران/2–3)، وقوله ﷻ: ﴿ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً ﴾(هود/17)، أما ما عدا ما أنزله الله ﷻ على موسى ﷺ لا يعترف الإسلام به، ثم إنّ التوراة التي نؤمن بها لم يعد لها وجود حقيقةً على الوجه الذي نزلت به، لما سبق ذكره من إقدام اليهود على تحريفها، ناهيك عن أنها نُسبت إلى غير مؤلفيها الحقيقيين، وتواريخ تدوينها وتأليفها بعيدة عن الدقة وبها الكثير من المتناقضات[2].

---

1) في مقارنة الأديان.. بحوث ودراسات، د. محمد عبدالله الشرقاوي، دار الجيل/بيروت، ط2، 1410هـ/1990م، (ص61).

2) انظر: اليهودية، د. شلبي, (ص 248) .

وقد علمنا فيما سبق أنّ أهم أسفار التوراة –عند اليهود– هي الأسفار الخمسة التي ينسبونها إلى موسى عليه السلام ويعتقدون أنها بوحي من الله عز وجل، ولكن ظهر للمحدثين من الباحثين – من خلال ملاحظة الأساليب واللغات والبيئات التي كتبت فيها هذه الأسفار– أنها قد دوّنت في عصور لاحقة لموسى عليه السلام بقرون طويلة، وأنها – أي الأسفار– كتبت بأقلام اليهود، واحتوت عقائد وشرائع مختلفة تعكس البيئة والأفكار والنظم التي عايشها اليهود في فترات متباعدة[1] .

ومن أوضح ما يُستدل به من العهد القديم ذاته على عدم صحة نسبة الأسفار إلى موسى عليه السلام ما ورد في سفر التثنية: « **فَمَاتَ هُنَاكَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مُوآبَ** حَسَبَ قَوْلِ الرَّبِّ. وَدَفَنَهُ فِي الْجِوَاءِ فِي أَرْضِ مُوآبَ، مُقَابِلَ بَيْتِ فَغُورَ. وَلَمْ يَعْرِفْ إِنْسَانٌ قَبْرَهُ إِلَى هذَا الْيَوْمِ» [2]، ووجه **البطلان أن موسى** عليه السلام **يتحدث عن خبر موته ودفنه، وهذا محال يقيناً، فهل يعقل نسبة السفر إليه؟!**

ومن ذلك ما ورد في سفر التكوين: « **وَهؤُلاَءِ هُمُ الْمُلُوكُ الَّذِينَ مَلَكُوا فِي أَرْضِ أَدُومَ**، قَبْلَمَا مَلَكَ مَلِكٌ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ» [3] ، " ولا يمكن أن تكون هذه الآية من كلام موسى عليه السلام؛ لأنها تدلّ على أنّ المتكلم بها بعد زمان قامت فيه سلطنة بني إسرائيل، وأول ملوكهم "شاول"، وكان بعد موسى عليه السلام بثلاثمائة وست وخمسين سنة" [4] .

ومن ذلك ما ورد في سفر الخروج: « **وَأَكَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الْمَنَّ أَرْبَعِينَ سَنَةً** حَتَّى جَاءُوا إِلَى أَرْضٍ عَامِرَةٍ. أَكَلُوا الْمَنَّ حَتَّى جَاءُوا إِلَى طَرَفِ أَرْضِ كَنْعَانَ» [5] ، وهذه ليست من كلام موسى عليه السلام كذلك؛ لأن اللّه عز وجل ما أمسك المنّ من بني إسرائيل مدة حياته، وما دخلوا في أرض كنعان إلى هذه المدة " [6] [7] .

---

1) **انظر:** الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي وافي، (ص 16–17) .
2) تثنية 34 : 5– 6 .
3) تكوين 36 : 31 .
4) إظهار الحق، رحمة الله الهندي، (467/2) .
5) خروج، 16: 35 .
6) إظهار الحق، رحمة الله الهندي، (2/ 475) .
7) **للاستزادة** من الأدلة حول عدم صحة نسبة التوراة إلى موسى عليه السلام من نصوص التوراة نفسها، **راجع:** إظهار الحق، رحمة الله الهندي، ج2، **أيضاً:** بنو إسرائيل، محمد بيومي مهران، (124/3–136).

ومن الحقائق التي يستدل بها على انقطاع سند التوراة واضطراب نسبتها ما يلي[1]:

أولاً: ضياع نسخة التوراة الأولى التي عهد موسى عليه السلام بها إلى خاصة قومه، بعد أزمنة من التذبذب بين الردّة والعودة إلى الدين، وبعد عهود من الحروب والنزاعات والاضطراب، إذ لم يُعلم جزماً متى ضاعت التوراة أصلاً، فضلاً عن عدم العلم بمصيرها.

ثانياً: حالة الردة والكفر والوثنية التي تقلب فيها بنو إسرائيل، خاصة بعد موت سليمان عليه السلام، إذا استمرت ردّتهم نحو أربعمائة عام، فما حاجتهم إذاً إلى التوراة وهذا حالهم؟! وفي هذا إمعان في تركها وإهمالها وانقطاع سندها.

ثالثاً: حالات النهب والسطو من قبل الغزاة لبيت المقدس وعموم دويلتي بني إسرائيل المتنازعتين، وقد تركزت وتوجّهت حالات السلب والحرق والتدمير إلى المعابد- التي هي مظانّ وجود نسخ الشريعة والتوراة- فيما يقضي على إمكانية بقاء نسخ أصلية للتوراة، هذا إن وجدت أصلاً بعد ما سبق من إثبات لضياعها بنص العهد القديم.

رابعاً: في عهد "بختنصر"، انعدمت التوراة عن صفحة العالم رأساً، وكذا جميع كتب العهد القديم التي كانت مصنفة قبل غزوه لأرض فلسطين مرّتين (597 ثم 586 ق.م)، وهذا الأمر مسلّم به عند أهل الكتاب أيضاً، إذ لم يجدوا ملجأً من الإقرار بأن ما كتبه "عزرا" (أي بعد العودة من بابل) شابهُ الخطأ والتغيير والعشوائية.

خامساً: بعد إعادة كتابة التوراة على يد "عزرا" وقع أن غزا ملك من ملوك الفرنج "أورشليم"، وأقدم أيضاً على حرق جميع نسخ العهد القديم التي حصلت له من أي مكان بعد ما قطّعها، وأمر بمن يوجد عنده نسخة من هذه النسخ أو من يؤدي رسم الشريعة أن يُقتل، وتعدم تلك النسخة.

وللأسباب السابقة وغيرها لم يقبل الباحثون الرواية التي أوردها العهد القديم[2] لقصـــــة العثور

1) انظر: إظهار الحق، رحمة الله الهندي، (599/2-607) .

2) انظر: الملوك الثاني، الإصحاحان: 22، 23 .

على نسخة التوراة في بيت المقدس من قبل الكاهن "حلقيا"[1] في عهد الملك "يوشيا بن آمون"[2] بعد قرون من ضياعها وفقدانها، إذ إن تواتر التوراة في اليهود منقطع قبل زمان يوشيا، والنسخة التي وجدت في عهده لا اعتماد عليها ولا يثبت بها التواتر، ومع ذلك ما كانت معمولة إلا إلى ثلاث عشرة سنة، وبعدها لم يعلم حالها، والظاهر أنه لما رجع الارتداد والكفر بين أولاد يوشيا زالت قبل حادثة "بختنصر"[3].

" بل إنّ من المفكرين الغربيين من يخلص إلى القول بأنّ التوراة التي ظهرت في عصر الملك "يوشيا" ما هي إلا تأليف لملحمة جديدة كمحاولة سياسية بطابع ديني، لأن "يوشيا" هذا كان على صراع مع فرعون مصر، وأراد أن يعيد إنتاج سيناريو **(قصة موسى البطولية)**، الذي يخلّص الاسرائيليين من قبضة وسطوة حكام مصر" [4] .

" ومما يثير التساؤلات حول سند التوراة وتسلسلها الزمني، هو ما تطرحه التوراة ذاتها عند عرضها للحوادث التاريخية؛ إذ لم تنسق التوراة هذه الأحداث بحسب أزمانها وأدوارها، وذلك كي يلتبس الأمر على القارئ فيعجز عن تحديد تواريخ الأحداث وتتبع زمن كل منها، فخلطت بين

---

1) حلقيا: (الكاهن الأكبر)، حلقيا اسم عبري معناه: "الرب نصيبي"، وهو رئيس الكهنة في عهد الملك "يوشيا"، وهو أبو "ألياقيم"، من "بني مراري" من "اللاويين"، وهو أبو النبي "ارميا" وفق سفر ارمياء، وأبو أحد الرسولين اللذين أرسلهما "صدقيا" ملك يهوذا إلى "نبوخذ نصر"، يزعم الكتاب المقدّس أنه اتفق أن وجد حلقيا (سفر الشريعة) بينما كان يحسب الفضة المدخلة (للهيكل)، وانه كان الكاهن الذي يقف بجانب "عزرا" عندما كان يقرأ الشريعة لبني إسرائيل. **[** قاموس الكتاب المقدس، جورج بوست، (381/1-382)- بتصرف **]** .

2) يوشيا ابن آمون: يوشيا اسم عبري بمعنى (الرب يشفي)، هو ملك "يهوذا" وخلفه، تبوأ الملك عندما بلغ 8 سنوات، وحكم 31 عاماً (641-610 ق.م)، حارب الأصنام وعبادة التماثيل في العام 18 من حكمه – وفق العهد القديم- وقرأ سفر العهد على شعبه وعاهدوه على التوبة، واحتفل بعيد الفصح، ثم مات على إثر جرح في معركة مع فرعون مصر "نخو" في مجدّو، ودفن في "أورشليم" وفق سفر الملوك الثاني. **[انظر:** قاموس الكتاب المقدس، جورج بوست، (553/2) **]** .

3) انظر: إظهار الحق، رحمة الله الهندي، (206/2)، **أيضاً:** اليهودية، د. شلبي، (ص 251).

4) تاريخ الكتاب المقدّس، كارين أرمسترونج، ترجمة: د. محمد صفار، مكتبة الشروق الدولية/ القاهرة، ط1، 1431هـ/2010م، (ص22)- بتصرف، **انظر أيضاً:** التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، فنكلشتاين وَ سيلبرمان، (ص 340) .

أحداث فصلت بينها عدة قرون، والأرجح أن مدوني التوراة تعمّدوا ذلك لإرجاع تاريخهم إلى أزمان قديمة لم يكن لهم أي صلة بها" [1] .

ومسألة انقطاع سند التوراة هي محل اتفاق بين العديد من العلماء الغربيين اللاهوتيين وبين علماء المسلمين، إذ يقول أشهر الناقدين اليهود للعهد القديم، الفيلسوف "باروخ سبينوزا"[2]: "**إن المعرفة التاريخية للظروف الخاصة بكل أسفار الكتاب لا تتوفر لدينا في معظم الأحيان، والواقع أننا نجهل الأشخاص الذين كتبوها، أو نشكّ فيهم، ومن ناحية أخرى، لا ندري في أية مناسبة وفي أي زمان كتبت هذه الأسفار التي نجهل مؤلفيها الحقيقيين، ولا نعلم في أيدي من وقعت، وممن جاءت المخطوطات الأصلية التي وجد لها عدد من النسخ المتباينة** "[3] .

ويخلص سبينوزا إلى أن: "**موسى** عليه السلام **ليس هو مؤلف الأسفار الخمسة؛ بل إنّ مؤلفها شخص آخر عاش بعده بزمن طويل، وأن موسى قد كتب سفراً مختلفاً عن هذه الأسفار**"[4] .

وهذا العالم الغربي الفرنسي موريس بوكاي[5] يعترف صراحة في القرن العشرين بأنّ التوراة لـــم

---

1) العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة، العربي للإعلان والنشر والطباعة/ دمشق، ط2، 1973م، (ص 181)- بتصرف.

2) باروخ سبينوزا (1632-1677م): فيلسوف هولندي ولد في أمستردام لأبوين يهوديين، اكتسب في بدء حياته سمعة المفكر الحر، ولذلك طرد من المجتمع اليهودي في عام 1656م، ثم عاش في عدة مدن في هولندا صانعًا للعدسات، كان سبينوزا طوال حياته داعيًا للتحرر الديني والسياسي، وكان يعتز باستقلاله، ورفض عروضًا لمعاش من الملك لويس الرابع عشر ملك فرنسا، وأستاذية جامعية في ألمانيا، وبالرغم من أن سبينوزا وجد الاحترام من الجميع فإنه كان مثيرًا للجدل؛ بسبب آرائه الشاطحة في الدين والفلسفة والسياسة **[** الموسوعة العربية العالمية، بتاريخ: 2012/04/22م- بتصرف **]** .

3) رسالة في اللاهوت والسياسة، باروخ سبينيوزا، ترجمة: د. حسن حنفي، الهيئة العامة للكتاب/القاهرة، ط1، 1972م، (ص 255) .

4) رسالة في اللاهوت والسياسة، سبينيوزا ، (ص 266) .

5) موريس بوكاي: طبيب فرنسي نشأ مسيحياً كاثوليكياً، وبعد دراسته للكتب المقدسة عند اليهود والمسلمين ومقارنة قصة فرعون، أسلم، وألف كتاب: (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم) الذي نشر عام 1976م وتُرجم لـ 17 لغة منها العربية، أثارت آراء وبحوث بوكاي المقارنة جدلاً شديداً في وطنه وخارجه، ولكن قدر الاهتمام بها كان أكبر، وبقيت دراساته شاهدة على روح البحث العلميّ النزيه والموضوعيّ في آن واحد، توفي في باريس عام 1998م **[انظر:** موسوعة ويكيبيديا الحرة، رابط: موريس_بوكايwww.wikipedia.org/wiki، بتاريخ 2012/06/23م **]** .

تسلم من الخلط والهوى، فيقول: " **لقد اختلط الوحي** (أي في التوراة) **بالكثير من الكتابات، ولا نعرف اليوم إلا ما تركه لنا منه الذين عالجوا نصوصه، حسب هواهم ووفق الظروف التي وجدوا فيها، والضرورات التي واجهوها**"[1] .

لقد قام الباحث بنقل هذه الشهادة نصاً ممّا اختطّته يد عالم يهودي ناقد للتوراة؛ و يد كاتب فرنسي معاصر؛ لترى الفارق الهائل والبون الشاسع بين توثيق قرآننا المحفوظ برعاية الرحمن، وسنّتنا الشريفة المنقولة بأعظم طرق التمحيص والتثبّت التي عرفها التاريخ، وبين الطريق الغامض الذي وصلتنا منه توراة اليهود و(الكتاب المقدّس) عموماً، فلا سند متصل، ولا متن سليم، ولا رجال معروفون، ولا رواة موثوقون، بل هي نص منقول من مجهول عن مثله إلى منتهاه، مع سيل من العلل والشذوذ والتناقضات، فهذه فرصة للمقارنة وشكر الله ﷻ على منته على أمتنا وملّتنا.

وقد خلص علماء غربيون بل ويهود مع نهاية القرن الثامن عشر وفي القرن التاسع عشر إلى أنه لم يكن لموسى عليه السلام أي يد على الاطلاق في كتابة أسفار التوراة[2] .

ولا يقف الطعن في نسبة العهد القديم إلى مؤلّفيه عند حدّ ما يعرف بأسفار موسى الخمسة، بل يتعداه إلى بقية أسفار العهد القديم، فيقرر العلماء الغربيون بأنّ الكثير من الأسفار في العهد القديم نُسبت إلى غير مؤلفيها الحقيقيين بفارق قرون من الزمان، فمثلاً: يرى بعضهم أن سفر "يوشع" كتبه "ارمياء"[3]، في حين أنّ بين يوشع وارمياء ثمانية قرون ونصف**!!**[4] .

---

1) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ترجمة: الشيخ حسن خالد، المكتب الإسلامي/بيروت، ط3، 1411هـ/1990م، (ص 30) .

2) انظر: التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، فنكلشتاين وَ سيلبرمان، (ص 36).

3) ارمياء = إرميا (626– 585 ق.م): ثاني الأنبياء الكبار عند اليهود، وكان من أسرة من الكهنة ناصبته العداء بسبب موقفه، بدأ في التنبؤ عام 627 ق.م أثناء ملك يوشيا، فأعلن أن القدس ستسقط في يد البابليين، وحذر من الثورة ضدها، وقد اتهمه الكهنة بمحاولة الانضمام إلى العدو وسجنوه في قبو، وظل إلى أن سقطت القدس على يد نبوختنصر، فرَّ العبرانيون إلى مصر واضطر إرميا إلى الفرار معهم، حيث استمر في التنبؤ هناك، وكانت آخر نبوءاته أن اللعنة ستحل على يهود مصر لعبادتهم الأوثان **[** موسوعة اليهود، المسيري، (120/5)– بتصرف **]** .

4) انظر: إظهار الحق، رحمة الله الهندي، (129/1)، **أيضاً**: اليهودية، د. شلبي، (ص 253) .

ويمكن القياس على هذا الاختلاف في الكثير من الأسفار التي اختُلف في نسبتها، وتباينت الآراء حول مؤلفيها[1] .

وإذا ثبت – بناء على ما سبق– أن العهد القديم منقطع السند مجهول النسبة، مع ما خُلع عليه من القداسة والتنزيه، فمن باب أولى أن صفة الانقطاع لصيقة ببقية مصادر الفكر اليهودي، وخاصة ثانيها؛ وهو التلمود، الذي ما هو إلاّ نصوص تفسيرية لحاخامات خلطوا الشريعة بالهوى، خاصة مع اتّسامه بالسرّية ومحاولات الاخفاء، ناهيك عن تعرّضه لكثير من التغيير والتطوير.

ثالثاً: **اختلاف فرقهم على أسفارهم**:

ومن عجائب كتابهم (المقدّس) المنسوب زوراً إلى الله – ﷻ– ونبيه موسى ﵇ أنّ فرقهم وطوائفهم مختلفة في صُلب أصول هذا الكتاب, بل إنهم على تباين في الاعتراف ببعض أنبيائهم.

وإذا علمنا ابتداءً أنّ اليهود والنصارى يقدّسون العهد القديم، فإنّ الأصل أن يُجمع الطرفان على القدسية الكاملة لهذا الكتاب، وأن يتفقا في صحة نسبته إلى الله ﷻ أو إلى أنبياء بني إسرائيل، وذلك أضعف الإيمان، إذ كيف يُختلف على كتاب يدّعي القوم قدسيته وهيمنته وربانيته.

" لكن في واقع الحال فإنّ الخلاف قائم بينهم، إذ إن أسفار العهد القديم غير متفق عليها بعد، فبعض أحبار اليهود يضيفون أسفاراً لا يقبلها أحبار آخرون، وإذا جئنا إلى النصرانية وجدنـــــا أنّ النسخة الكاثوليكية تزيد سبعة أسفار عن النسخة البروتستانتية" [2] .

ومن أهم اختلافاتهم أنّ " السامريين لهم توراة غير تلك التي بأيدي سائر اليهود، ويبطلون كل نبوة كانت في بني إسرائيل بعد موسى و يوشع –عليهما السلام" [3]، " وجمهورهم لا يؤمنون سوى

---

1) **للاستزادة:** راجع المصدرين السابقين.

2) اليهودية، شلبي، (ص 230)– بتصرف يسير.

3) الفصل، ابن حزم، (1/ 178) .

بأسفار موسى الخمسة، ولا يرون غيرها كتاباً مقدّساً، ويضيف بعض السامريين سفري "يوشع" و"القضاة"، ويرون في هذه الأسفار السبعة كتابهم المقدّس" [1] .

" ذلك أنّ اليهود بعد أنّ عاد بعضهم من بابل، ظهر عداءٌ شديد بين العبرانيين (وهم غالبية اليهود) وبين السامريين، وبسبب هذا العداء اختلفت التوراة السامرية عن التوراة العبرانية، فكل منهما يدّعي امتلاك الحق ويتّهم الطرف الآخر بتزوير وتحريف كتاب الله ﷻ " [2] .

وفضلاً عن عدم اعتراف السامريين سوى بالأسفار الخمسة من العهد القديم، فإنهم لا يعترفون بالتلمود ولا يتّبعون أحكامه ويعتقدون بانتسابهم إلى يوسف الصدّيق عليه السلام، ويحجّون إلى جبل "جرزيم" بنابلس خلافاً لسائر اليهود[3] .

" ويقول السامريون بأنّ التوراة التي بأيدي اليهود (أي العبرانيين) ليست التوراة التي أوردها موسى عليه السلام، ويقولون: توراة موسى حُرّفت، وغُيّرت، وبُدّلت، وأنّ التوراة هي ما بأيديهم دون غيرهم"[4] .

يقول **شيخ الإسلام ابن تيمية** – رحمه الله– عن اختلاف نسخ التوراة العبرانية والسامرية: " ولا يمكن أحداً من أهل الكتاب أن يدعي أن كل نسخة في العالم بجميع الألسنة من الكتب متفقة على لفظ واحد؛ فإن هذا مما لا يمكن أحداً من البشر أن يعرفه باختباره وامتحانه، وإنّما يعلم مثل هذا بالوحي، وإلّا فلا يمكن أحداً من البشر أن يقابل كل نسخة موجودة في العالم بكل نسخة من جميع الألسنة بالكتب الأربعة والعشرين، **وقد رأيناها مختلفة في الألفاظ اختلافاً بيّنا، والتوراة هي أصح الكتب وأشهرها عند اليهود والنصارى، ومع هذا فنسخة السامرة مخالفة لنسخة اليهود والنصارى،**

---

1) اليهودية، شلبي، (ص231) .

2) التوراة السامرية، النص الكامل للتوراة السامرية باللغة العربية، ترجمة الكاهن السامري: أبو الحسن إسحاق الصّوري، نشر وتقديم: د. أحمد جازي السقا، دار الأنصار/مصر، ط1، 1398هـ/1978م، (ص 6)– بتصرف.

3) **انظر**: المصدر السابق، (ص 17).

4) الفصل، ابن حزم، (202/1)– بتصرف، **انظر أيضاً**: تاريخ اليهود وآثارهم في مصر، المقريزي، (ص 126) .

حتى في نفس الكلمات العشر ذكر في نسخة السامرة منها من أمر استقبال الطور ما ليس في نسخة اليهود والنصارى، وهذا مما يبين أن التبديل وقع في كثير من نسخ هذه الكتب" [1] .

إذاً، فالتوراة السامرية تختلف في مواطن كثيرة عن التوراة العبرانية، حيث بلغت الاختلافات مائة واثنين وثمانين (182) فرقاً[2]، ويمكن فهم هذه الاختلافات عند النظر في مواطنها، إذ يتضح أنها تعكس حالة الخلاف والعداء الشديدين بين العبرانيين والسامريين، ولو لم نقرأ التوراة السامرية ما كنا لنعلم كثيراً مما كتبه اليهود بأيديهم لأغراضهم الخاصة [3].

" وما يقال في المقارنة بين التوراة السامرية والتوراة العبرانية، يقال أيضاً بين التوراة اليونانية والسامرية، وبين العبرانية واليونانية" [4] .

وما يُقال في التوراة من خلاف – وهو الأهم– يقال في التلمود أيضاً، فاليهود منقسمون منذ القدم حول تعاليم التلمود، **فالربانيون**[5] منهم يعملون بما في "المشنا"، ويعوّلون في أحكام الشريعة على ما في التلمود، ويقدّمون أقوال الأحبار على النصوص الإلهية، وهم جمهور اليهود[6].

1) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: علي سيد صبح المدني، دار العاصمة/الرياض، ط2، 1419هـ/1999م، (449/2-450) .

2) انظر: الفروق بين التوراة السامرية والعبرانية في الألفاظ والمعاني، د. أحمد حجازي السقا، تقديم: أسعد سيد احمد، دار الأنصار/ مصر، ط1، 1398هـ/1978م، (ص11- 85).

3) انظر: التوراة السامرية، د. أحمد حجازي السقا، (ص13) .

4) المصدر السابق، (ص 13)، **انظر أيضاً:** إظهار الحق، رحمة الله الهندي، (463/2) .

5) الربانيون: جمع ربّان بمعنى الحبر، وهي الفرقة اليهودية التي تمثّل جمهور اليهود، وهم شيعة الحاخامات الفقهاء، وهي فرقة بعيدة عن العمل بالنصوص الإلهية، ومتبعة لآراء من تقدمها من الأحبار، وتعوّل على التلمود، وهم أبعد طوائف اليهود عن أصول الديانة الموسوية، وأكثرها عداوة لغير اليهود من الأمم **[انظر:** إفحام اليهود، السموأل، (ص 174)، **أيضاً:** تاريخ اليهود وآثارهم في مصر، المقريزي، (ص 117) **]** .

6) انظر: الفصل، ابن حزم، (178/1)، **أيضاً:** تاريخ اليهود وآثارهم في مصر، المقريزي، (ص 118).

" أما **القراؤون**[1] منهم، فلا يتعدّون شرائع التوراة، ويبطلون أقوال الأحبار ويكذّبونهم" [2] .

خلاصة الأمر: أنّ اليهود يختلفون ويتنازعون في أهم الأصول التي تقوم عليها ديانتهم، فبعضهم يجعل التوراة هي أصل الديانة ويليها التلمود، وبعضهم يقدّمون التلمود على التوراة، وبعضهم لا يعترفون بالتلمود ويقتصرون على التوراة، وهؤلاء أيضاً مختلفون، فمنهم من يقدّس العهد القديم بكافة أسفاره، ومنهم من يقتصر على الأسفار الخمسة (أو توراة موسى)، وحتى هذه الأسفار الخمسة اختلفوا فيها، فكلّ يدعي امتلاكه الأصل الذي لم يتطرق إليه التغيير والتبديل، وصدق فيهم قول ربهم العليم الخبير: ﴿ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (الحشر/14)، وهذا كفيل بزعزعة كيان الديانة اليهودية وبيان بطلانها بالجملة.

رابعاً: اختلاف الترجمات والنُسخ:

" دونت جميع أسفار العهد القديم بلغة واحدة وهي اللغة العبرية؛ ولا يستثنى من ذلك إلا بعض أجزاء كتبت باللغة الآرامية أول الأمر، وهي أجزاء من سفري أستير و دانيال، وفقرة واحدة من سفر ارمياء، وكلمتان من سفر التكوين" [3] .

" ولغة السامريين غير لغة اليهود، ويزعم السامريون أنّ التوراة كانت بلسانهم – وهي قريبة من العبرانية– فنقلت إلى السريانية" [4] .

" لكن أقدم ترجمة للعهد القديم –وفق المحققين –هي الترجمة اليونانية، التي اشتُهرت بالترجمة "السبعينية"، وهي التي تمت في سنتي 282 و 283 ق.م، على يد اثنين وسبعين حبراً

---

1) القراؤون = العنانية: هم فرقة من اليهود أسسها "عنان بن داود" في العراق في القرن الثامن الميلادي، وانتشرت افكارها في كل أنحاء العالم، وظلّوا منذ ظهورهم حتى القرن التاسع يسمّون بـ (العنانية) نسبة إلى مؤسسهم، وهم أتباع اليهودية التوراتية مقابل اليهودية التلمودية، وهم يقفون مع النصوص دون تقليد للسلف، ولم ينتشر مذهبهم بكثرة بين اليهود، ولهم عداء شديد مع الربانيين [**انظر:** تاريخ اليهود وآثارهم في مصر، المقريزي، (ص119)، **أيضاً:** موسوعة اليهود، المسيري، (328/5–330)] .

2) الفصل، ابن حزم، (178/1) .

3) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي وافي، (ص19)– بتصرف .

4) الملل والنحل، الشهرستاني، (517/1) .

من أحبار يهود مصر، وتشتمل الترجمة السبعينية على أربعة عشر سفراً بخلاف الأسفار الموجودة في الأصل العبري الذي وصل إلينا، فترجمت السبعينية (اليونانية) إلى اللاتينية" [1] .

والقارئ لهذه الترجمة اليونانية (السبعينية) يجد تشابهاً بينها وبين التوراة العبرانية والسامرية، لكنه ما يلبث أن يجد فروقاً كثيرة بين اليونانية والعبرانية، وبين اليونانية والسامرية، تضاهي الفروق التي بين العبرانية والسامرية[2] .

ورغم أنّ اللاتينية تُرجمت عن اليونانية السبعينية إلا أنها لم تتطابق معها، بل حُذفت منها أسفارٌ وأجزاء، وأضيف إليها سفر "باروخ" وأجزاء في سفر "أستير"، ولم يُعلم حتى الآن ما هي أسباب هذه الزيادات والاختلافات بين الترجمات ... ومن الطبيعي أنّ العهد القديم قد تُرجم أيضاً إلى لغات أخرى كثيرة غير اليونانية واللاتينية في فترات وقرون متباعدة؛ فقد تُرجمت إلى الآرامية الحديثة، والسريانية، والآرامية الفلسطينية، ثم إلى الإنجليزية والعربية [3] .

" وعلى مدى القرون الطويلة التي كُتبت فيها أسفار العهد القديم (أكثر من عشرة قرون)، فإن نصوصه نُسخت مراراً، وأعيدت كتابتها باليد، وقد حدثت أخطاء في عمليات النسخ، وكان يحدث أن بعض المواد التي كُتبت على هامش النص أضيفت إليه" [4] .

" بل إنّ بعض النقاد من اليهود أو النصارى لم يترددوا في تغيير وتصحيح النص التوراتي كلما لم يعجبهم هذا النص سواءً لاعتبارات أدبية أو دينية" [5] .

إذاً، يتضح – وفق فهم الباحث– أن الاختلافات الكبيرة التي طرأت على الترجمات، لم تكن بسبب اختلاف اللغات وطبيعة الترجمة وصعوبة تطابق مفهوم الكلمات عند نقلها من لغة لأخرى؛ بل إنّ الاختلاف كان في أصل المتن، إذ زيدت أسفارٌ وحذفت أخرى، وأضيفت أجزاء وألغيت

---

1) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي وافي، (ص 19) .

2) انظر: التوراة السامرية، د. أحمد حجازي السقا، (ص 31) .

3) انظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي وافي، (ص 20 – 22).

4) اختلافات في تراجم الكتاب المقدّس، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة/ القاهرة، ط(بدون)، (ص 20).

5) المصدر السابق، (ص 21)– بتصرف .

أخرى، وهذا لا يتأتى إلا بقصد التغيير والتحريف، بدوافع دينية أو سياسية أو غير ذلك، وهذا كافٍ في بيان مدى الإشكال الذي وقعت فيه الديانة اليهودية، وما ترتّب عليها من فكر يهودي عبر العصور، وهو موضع طعن لا تخطئه عين، وجرح لا يندمل في رأس هذه الديانة.

خامساً: **التوراة من منظور العلم**:

إنّ الناظر إلى الدراسات النقدية الحديثة للتوراة – والتي كانت محرمة على أهل الكتاب في القرون الماضية بفعل سطوة الأحبار والرهبان– يجد أنها أصبحت تتجه إلى نقض وتفنيد قدسية وربانية التوراة والكتاب المقدّس عموماً، وبات مما يُجمع عليه المنصفون من الباحثين أن (الكتاب المقدّس) لا حظ له من التقديس سوى اسمه، وهذا أثبته الباحث من خلال العناوين التي تطرق إليها آنفاً، لكنه يستطرد قليلاً في هذا الجزء من المطلب في بيان مدى التصادم الكبير بين التوراة من جهة، وبين العلوم الحديثة من جهة أخرى، خاصة تلك العلوم التي تختص بدراسة الماضي وأخبار الأمم الغابرة، من خلال بقايا آثارهم، ومن خلال المقارنات وفك رموز الكتابات الموروثة وسبر أغوار الزمن العتيق.

وفي هذا المضمار، وجد الباحثون المعاصرون – وكثير منهم من غير المسلمين– دلائل قاطعة كثيرة بأنّ أسفار التوراة تتناقض بالضرورة مع العلوم التي توصل إليها البشر في العصر الحديث وباتت من مسلمات العلم؛ مما أثار أسئلة كثيرة حول حظوظ البشر والهوى في وضع هذه التوراة والتصرف في نصوصها(1) ، وفي هذا الصدد وضع العالم الفرنسي **موريس بوكاي** كتاباً هاماً سمّاه: (التوراة والانجيل والقرآن والعلم) بيّن فيه أوجه التناقض الصارخ بين الكتاب المقدس وحقائق العلم المستقرّة والثابتة.

ومما ذكره بوكاي –على سبيل المثال لا الحصر– بأنّ سفر التكوين – أول أسفار التوراة– فيه تناقضات صريحة مع العلم المعاصر في ثلاث نقاط أساسية، وهي: خلق العالم ومراحله، وتاريخ خلق العالم وظهور الإنسان على الأرض، ورواية الطوفان, ووصف بوكاي سفر التكوين

---

1) **انظر**: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، (ص 20– 21) .

بأنه **صرحٌ من الأخطاء في نظر العلم**[1]، ثم قام بالتفصيل والمناقشة والنقد في مواضع مخالفة وتناقض هذه الروايات –التي يقدّمها سفر التكوين– مع آخر ما توصل إليه العلم[2].

وفي قضية الطوفان – مثلاً– فإنّ روايتين مختلفتين في التوراة تؤكدان أنّ طوفاناً عالمياً هدم الحياة على وجه الأرض كلّها باستثناء ركاب السفينة[3] في القرن الحادي والعشرين قبل المسيح، بينما تشير معطيات العلم بأنه وفي نفس هذا العصر كانت قد ازدهرت حضارات ومدنيات في عدة جهات من الأرض انتقلت آثارها إلى الأجيال التالية، وبعد مناقشة بوكاي لقصة الطوفان وإسقاط معلوماتها على العلوم الحديثة التي توصل إليها العلماء عن الماضي يستنتج أنه: " **من وجهة النظر التاريخية يمكننا أن نؤكد بأن رواية الطوفان كما تنقلها التوراة متناقضة تناقضاً صريحاً مع المعارف الحديثة، ووجود روايتين للطوفان هو الدليل الواضح على تلاعب الناس بالكتابات المقدسة** " [4] .

ويخلص الكاتب الفرنسي – الذي أسلم أمام حقائق القرآن– إلى أنّ في العهد القديم الكثير من النصوص التي تحمل الاختلاف في الرواية الواحدة، والتضاد، والأخطاء التاريخية، والمستحيلات، والتناقضات مع المعطيات العلمية قوية الثبوت[5] مصرّحاً بأن: " **العهد القديم يمثل مجموعة من الأعمال الأدبية التي تمت خلال تسعة قرون تقريباً، إنه يشكل فسيفساء لا انسجام فيها، تغيّرت عناصرها في مجرى القرون بأيدي الناس، قِطَع يؤتى بها وتضاف إلى الموجود، وهكذا دواليك، حتى أصبح من العسير في أيامنا تحديد هوية المصادر**" [6] .

كما أن ميدان علم الآثار الحديث، قدّم لنا حقائق جديدة حول التوراة، منها حقائق هامة مفادها أنّ الكثير مما ورد في التوراة من قصص وأساطير قد بني على أصول قديمة مماثلة

---

1) انظر: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، (ص 44) .

2) انظر: المصدر السابق، (ص 45 –58) .

3) انظر: سفر التكوين، الإصحاحان: 6، 7 .

4) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، (ص 255– 256) .

5) انظر: المصدر السابق، (ص 65) .

6) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، (ص 291) .

ومشابهة لتلك الأساطير التوراتية، إذ استقى مؤلفو التوراة الكثير من القصص من المدونات البابلية والكنعانية والآشورية والمصرية وغيرها، وتوصل هؤلاء الخبراء إلى أنّ بعض الشرائع التي وردت في التوراة هي شرائع كان يمارسها الكنعانيون والبابليون من قبل، وأنّ اليهود قد اقتبسوها منهم ومارسوها، ثم أضافوها في كتبهم المقدّسة [1] .

وعلى سبيل المثال فإنّ " قصة أصل الوجود وبدء الخليقة قد حيّرت العلماء الأقدمين، إلا أنّ علماء الآثار قد عثروا على نصوص كثيرة في الأدب العراقي القديم، أكثرها يتفق مع المآثر اليهودية في التوراة حول قصة بداية الخلق، مع فارق في الصياغة العقائدية، التوحيدية (عند اليهود)، والشركية (عند حضارات العراق القديمة)، كما أنّ ذات القصة تتفق أيضاً مع أساطير فرعونية قديمة عثر عليها علماء الآثار" [2] .

بل إن مؤلفَي كتاب: (التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها)، وهما يهوديّان، يصرّحان بأنه: " **أصبح واضحاً بعد تطور علم الآثار أنّ العديد من أحداث التاريخ التوراتي لم تحدث لا في المكان ولا بالطريقة والأوصاف التي رُويت في الكتاب المقدّس العبري، بل إنّ بعض أشهر الحوادث في الكتاب المقدّس لم تحدث مطلقاً أصلاً** " !! [3].

وما يقال في التوراة يقال في شأن التلمود كذلك، إذ تشير دراسات المدونات الآثارية إلى أنّ **معظم كتابات التلمود مستقاة من كتابات أخرى أقدم منها**، فتجد التشابه الكبير بين التلمود البابلي ومدونات البابليين، خاصة في ما يتعلق بالزراعة والريّ والحراثة و موسم الحصاد وما شابه ذلك، وهناك دلائل لا تقبل الشك والجدل لدى هؤلاء الخبراء بأنّ معظم ما ورد في التلمود في شئون الزراعة والريّ هو مأخوذ من كتابات بابلية سابقة لعهد التلمود بكثير [4] .

---

1) انظر: العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة، (ص 185) .

2) المصدر السابق، (ص 187–188)– بتصرف.

3) التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، فنكلشتاين وَ سيلبرمان، (ص 28) .

4) انظر: العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة ، (ص 213–214) .

خلاصة المطلب:

أولاً: إنّ كتاب اليهود المقدّس -عندهم- لا حظّ له من التقديس إلا في مخيلتهم، بناءً على ما توارثوه من تزوير للدّين، إذ ثبت أنّ ديانتهم قد تشوّهت بالتحريف والتبديل، وهذا التشوّه انعكس على مجمل تاريخهم، الذي يعتمدون في إثبات مجرياته على هذا المصدّر المزوّر.

ثانياً: إنّ بطلان التوراة الحالية ككتاب، ثابت بالنص القطعي المحكم في كتاب الله المحفوظ، وثابت بمنطق الناس ومقارناتهم ودراساتهم النقدية، وثابتٌ بحقائق التاريخ والعلوم التي تواطأ عليها البشر، وثابت بدلائل علوم الآثار الحديثة.

ثالثاً: يستحيل – بعد كل ما ثبت- أن تتم نسبة التوراة – بما تحتويه من تناقضات ومخالفات لصحيح الدين وصريح العقل- إلى نبي الله الكريم موسى ﵇، أو إلى أيّ من أنبياء بني إسرائيل -عليهم السلام- فضلاً عن بطلان القطع بنسبة هذه التوراة -بصورتها الحالية- إلى وحي الله ﷻ.

المبحث الثاني:

عقيدة اليهود في الأرض المقدسة والردّ عليهم

ويتضمن خمسة مطالب:

المطلب الأول: القدسية والبركة في العقيدة اليهودية

المطلب الثاني: أنواع القدسية والبركة في التراث اليهودي

المطلب الثالث: جغرافيا الأرض المقدسة في التراث اليهودي

المطلب الرابع: اعتقاد اليهود بالحق الديني والتاريخي في الأرض المقدسة ومناقشتهم

المطلب الخامس: اضطراب واختلاف الطوائف اليهودية في هذه العقيدة

المطلب الأول

القدسية والبركة في العقيدة اليهودية

ذكر الباحث في المبحث الأول من الفصل التمهيدي أنّ العهد القديم توسّع في ذكر القدسية والقداسة والبركة بمختلف أنواعها وأشكالها وتجلّياتها، إذ زاد عدد مواضع ذكرها عن ألف ومائة موضع.

وربما أراد مؤلفو العهد القديم وغيره من مصادر الفكر الديني لليهود أن يكون لهذه الهالة من التقديس دورها في تحريك مشاعر وعواطف اليهود ورسم ملامح فكرهم واعتقادهم في الكثير من القضايا الحساسة ذات الطابع السياسي والاجتماعي المصيري، كالاعتقاد بالأرض الموعودة والشعب المختار وغيرها مما سيتناوله الباحث فيما سيأتي بإذن الله.

تسلسل القداسة والبركة:

ابتدأت قصة البركة والقدسية التي نزلت على **(إسرائيل)** منذ فجر التاريخ – حسب زعم اليهود في توراتهم– إذ جاء في سياق ذكر قصة نوح عليه السلام: « فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ، عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ، فَقَالَ: «**مَلْعُونٌ كَنْعَانُ! عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ، وَقَالَ: مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ سَامٍ**، وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ، لِيَفْتَحِ اللهُ لِيَافَثَ فَيَسْكُنَ فِي مَسَاكِنِ سَامٍ، وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُمْ » [1] .

فتكون بذلك البركة ابتدأت مع سام – الذي ينتسب اليهود إلى نسله–، ومن ثم تصل البركة إلى إبراهيم عليه السلام فيقول الربّ في شأنه – حسب التوراة–: « وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. **فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً. وَأُبَارِكُ مُبَارِكِيكَ، وَلاَعِنَكَ أَلْعَنُهُ.** وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ»[2] .

---

1) تكوين 9 : 24– 27

2) تكوين 12 : 1– 3 .

هذا وقد أكّد ربنا ﷻ في القرآن العظيم براءة إبراهيم عليه السلام من اليهودية والنصرانية وانتسابه إلى التوحيد والإسلام الخالص، فقال ﷻ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (آل عمران/67) .

ثم تخصصت البركة والقدسية مع إسحاق بن إبراهيم – عليهما السلام– إذ تزعم التوراة أنّ الله ﷻ اختصّ إسحاق عليه السلام بالعهد دون أخيه إسماعيل عليه السلام، « وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ للهِ: لَيْتَ إِسْمَاعِيلَ يَعِيشُ أَمَامَكَ!. فَقَالَ اللهُ: **بَلْ سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ. وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ** مِنْ بَعْدِهِ» [1].

ثم تعظم البركة الإلهية لإسحاق عليه السلام، بعد موت إبراهيم عليه السلام، فيصرّح له الربّ من جديد بتعاظم البركة فيه وفي نسله من بعده، بل يعده ربّه أن تطال بركة نسله كلّ الأرض، فيقول له الربّ: « اسْكُنْ فِي الأَرْضِ الَّتِي أَقُولُ لَكَ. تَغَرَّبْ فِي هذِهِ الأَرْضِ **فَأَكُونَ مَعَكَ وَأُبَارِكَكَ، لأَنِّي لَكَ وَلِنَسْلِكَ** أُعْطِي جَمِيعَ هذِهِ الْبِلاَدِ، وَأَفِي بِالْقَسَمِ الَّذِي أَقْسَمْتُ لإِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ. وَأُكَثِّرُ نَسْلَكَ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، وَأُعْطِي نَسْلَكَ جَمِيعَ هذِهِ الْبِلاَدِ، **وَتَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ**»[2].

ثم تصف التوراة انتقال البركة إلى فرع أكثر خصوصية من نسل إسحاق عليه السلام، فقد أعطى إسحاق البركة لابنه (يعقوب) عليه السلام دون ابنه (عيسو)، في عملية خداع حبكها يعقوب! – بزعم التوراة– ومن ثم فإنّ البركة انساحت في فرع يعقوب عليه السلام ونسله، فيقول واضع سفر التكوين على لسان إسحاق ليعقوب –عليهما السلام: « فَلْيُعْطِكَ اللهُ مِنْ نَدَى السَّمَاءِ وَمِنْ دَسَمِ الأَرْضِ، وَكَثْرَةَ حِنْطَةٍ وَخَمْرٍ. لِيُسْتَعْبَدْ لَكَ شُعُوبٌ، وَتَسْجُدْ لَكَ قَبَائِلُ، **كُنْ سَيِّدًا لإِخْوَتِكَ، وَلْيَسْجُدْ لَكَ بَنُو أُمِّكَ. لِيَكُنْ لاَعِنُوكَ مَلْعُونِينَ، وَمُبَارِكُوكَ مُبَارَكِينَ**» [3].

إنّ من العجيب أن يحكم الربّ الحكم العدل ﷻ على نسلٍ كامل من البشر باللعنة والشقاء!، وعلى نسلٍ آخر بكامله بالبركة والتقديس، مع اتفاق الآباء في الصلاح والدين، وحتى على افتراض

---

1) تكوين 17 : 18– 19 .

2) تكوين 26 : 2 – 4 .

3) تكوين 27 : 28– 29 .

كفر الآباء، فإنّ الله ﷻ يقول: ﴿ مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (الإسراء/15) . فكيف يسوغ تفريق التوراة بين نسل النبي إسماعيل عليه السلام والنبي إسحاق عليه السلام ومن تلاهما، والأعجب من ذلك أن تُسرق البركة ويترتب عليها شقاء أمة لا حصر لها ومباركة أمةٍ أخرى، وسبب هذا الشقاء وتلك البركة سرقة أصل البركة بالاحتيال!! فأين الخالق الحكيم العليم من كلّ هذا؟! .

ويستمر مسلسل التقديس والمباركة في نسل يعقوب، فها هو –بحسب التوراة– يجمع بنيه الاثني عشر، ويباركهم، كلّ بحسب بركته، فتصير البركة في بني إسرائيل إلى الأبد![1] .

وتتوالى البركات جيلاً بعد جيل، فها هو موسى عليه السلام يبارك الشعب من جديد: «وَدَخَلَ مُوسَى وَهَارُونُ إِلَى خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ، **ثُمَّ خَرَجَا وَبَارَكَا الشَّعْبَ، فَتَرَاءَى مَجْدُ الرَّبِّ لِكُلِّ الشَّعْبِ**»[2] .

إذاً، فالقدسية والبركة في معتقد اليهود وفي كتابهم هي ابتداءً لكل بني إسرائيل، وتذكر التوراة دعاء موسى عليه السلام ربّه ﷻ بمنح بني إسرائيل هذه القدسية، فاستجاب الربّ، وتكررت عبارَتي **« أنا الربُّ مقدّسهُم»** و**«أنا الربُّ مقدّسكُم» سبع مرات** في العهد القديم[3]، بل منح الربّ هذه القدسية لبهائمهم أيضاً!، فيقول واضع العهد القديم: « وكلّم الربُّ مُوسَى قَائِلاً: **قَدّسْ لي كلَّ بكْرٍ، كلَّ فَاتِحِ رَحِمٍ من بني إِسرَائيلَ، مِنَ النَّاسِ ومنَ البهائمِ.** إنّهُ لي»[4] .

ويؤكد الربّ على هذه القداسة ويستجيب لموسى عليه السلام قائلاً: «.. تَكُونُونَ لِي خَاصَّةً مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. فَإِنَّ لِي كُلَّ الأَرْضِ، **وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً**» [5] .

ويستمر العهد القديم في ذكر آثار البركة الموهوبة لبني إسرائيل والمتوارثة من الأجداد للآباء ثم للأبناء، فيتذكر سليمان عليه السلام هذه البركة ويجددها ويؤكدها– بحسب التوراة– ويقف أمام شعب

---

1) انظر: تكوين 49 : 1– 33 .

2) لاويين 9 : 23 .

3) لاويين 20: 8، 21: 8، 23، 22: 9، 16، 32، حزقيال 20: 12 .

4) خروج 13: 2 .

5) خروج 19: 5– 6 .

بني إسرائيل (شعب الله بنص التوراة) مباركاً إياهم (بصوت عالٍ) قائلاً: « **مُبَارَكٌ الرَّبُّ الَّذِي أَعْطَى رَاحَةً لِشَعْبِهِ إِسْرَائِيلَ حَسَبَ كُلِّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ**، وَلَمْ تَسْقُطْ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ كُلِّ كَلاَمِهِ الصَّالِحِ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ عَنْ يَدِ مُوسَى عَبْدِهِ »[1] .

ارتباط البركة عندهم باللعنة للأمم:

كثيراً ما ترتبط بركة (شعب إسرائيل)، وقدسيته المزعومة – في التوراة– بمحق وسحق ولعنة الأمم الأخرى! وكأن من لوازم البركة التسلّط والاستعلاء والاستعباد للشعوب المغايرة، أو التي لم تصلها نفحات البركة (الإسرائيلية)!، ومن ذلك ما ورد في سفر التثنية خطاباً لشعب بني إسرائيل: « **يباركك الربُّ إلهُك** كما قال لك. فتُقْرِضُ أُممًا كثيرة وأنت لا تقترض، **وتتسلّطُ على أمم كثيرةٍ وهمْ عليك لا يتسلّطونَ**» [2].

ومن ذلك ما ورد في موضع ذمّ الربا ومحقه للبركة، فإنّ التوراة تحرّم الإقراض بالربا على بني إسرائيل – كونهم شعب مباركٌ– لكنه مع الأجنبي جائز، لأنّ البركة فيه ممتنعة، ومن ذلك ما ورد في سفر التثنية: « للأجنبيّ تُقرِضُ بربًا، **ولكن لأخيك لا تقرض بربا، ليباركك الرب إلهك في كلّ ما تمتدّ** إليه يدك في الأرض الّتي أنت داخلٌ إليها لتمتلكها» [3].

ولخصوصية هذا الشعب(المقدّس) فإنّ الطعام الذي يصنع لبني إسرائيل كما يصفه الربّ – بزعمهم– في سفر الخروج، هو طعام مقدّس لشعب مقدّس فلا ينبغي أن يأكل منه أحدٌ من الأمم الأخرى، وما زاد منه يحرق بالنار كي لا تصل قداسته إلى غير بني إسرائيل، فيقول كاتب العهد القديم: « وَأَمَّا كَبْشُ الْمِلْءِ فَتَأْخُذُهُ وَتَطْبُخُ لَحْمَهُ فِي مَكَانٍ مُقَدَّسٍ .فَيَأْكُلُ هَارُونُ وَبَنُوهُ لَحْمَ الْكَبْشِ وَالْخُبْزَ الَّذِي فِي السَّلَّةِ عِنْدَ بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ، **يَأْكُلُهَا الَّذِينَ كُفِّرَ بِهَا عَنْهُمْ لِمِلْءِ أَيْدِيهِمْ لِتَقْدِيسِهِمْ. وَأَمَّا الأَجْنَبِيُّ فَلاَ يَأْكُلُ لأَنَّهَا مُقَدَّسَةٌ .وَإِنْ بَقِيَ شَيْءٌ مِنْ لَحْمِ الْمِلْءِ أَوْ مِنَ الْخُبْزِ إِلَى الصَّبَاحِ، تُحْرِقُ الْبَاقِيَ بِالنَّارِ. لاَ يُؤْكَلُ لأَنَّهُ مُقَدَّسٌ**»[4].

---

1) الملوك الأول 8 : 56 .

2) تثنية 15 : 6 .

3) تثنية 23 : 20 .

4) خروج 29 : 31–43 .

قدسية خاصة (لشعب إسرائيل) :

الشرائع السماوية جاءت لتزكية النفس البشرية من الرذائل، لكن شريعة بني إسرائيل المحرّفة بمنطوق ومفهوم العهد القديم تنص على تقديس القوم، بل وتعطيهم مسحة من الملك القدّوس ﷻ – بزعمهم– فيؤكد سفر اللاويين في إطار سرد مطاعم ومشارب بني إسرائيل على ذلك فيما نصه : « **إِنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ فَتَتَقَدَّسُونَ وَتَكُونُونَ قِدِّيسِينَ، لأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ.** ولا تنجّسوا أنفسكم بدبيب يدب على الأرض. إني أنا الرب الذي أصعدكم من أرض مصر ليكون لكم إلهاً. **فتكونون قديسين لأني أنا قدّوس**»[1] .

يقول د. عبد الوهاب المسيري: " ولعل النمط الكامن الأساسي وراء فكرة الشعب العضوي هو النمط الذي ورد في أسفار موسى الخمسة، فالعبرانيون أمة أو قبيلة اختارها الإله وحلّ فيها أو سكن في وسطها، وهو إله مقصور على أعضاء هذه القبيلة، ولذا كان ينتقل معهم في ترحالهم (أو كانوا يحملونه معهم في سفينة العهد) وكان يساعدهم (وحدهم دون سواهم) ضد أعدائهم ويغار عليهم، وكانوا لا يترددون في الضغط عليه كي يستجيب إلى طلباتهم" [2] .

فليس غريباً بعد هذا التقديس (الرباني) – حسب توراة اليهود– أن يعتقد اليهود فيما بعد بأنّهم شعب لا كشعوب الأرض؛ بل شعب الربّ، وجماعة الرب، وشعب الله! حتى بعد أن مستهم نفحات من عذاب الله في الدنيا كما يوردها سفر العدد، وهي تلك المصائب التي حلّت بهم – جزاء كفرهم– في صحراء سيناء بعد الخروج من مصر، إلا أنهم وبعد أن خسف الله ﷻ ببعضهم، وأظهر لهم آياته يعودون إلى موسى وهارون – عليهما السلام– متذمرين قائلين: « **أَنْتُمَا قَدْ قَتَلْتُمَا شعبَ الربّ»!!**[3].

وفي موضع آخر: « فَاجْتَمَعُوا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ وَقَالُوا لَهُمَا: كَفَاكُمَا! **إِنَّ كُلَّ الْجَمَاعَةِ بِأَسْرِهَا مُقَدَّسَةٌ وَفِي وَسَطِهَا الرَّبُّ. فَمَا بَالُكُمَا تَرْتَفِعَانِ عَلَى جَمَاعَةِ الرَّبِّ**؟» [4].

---

1) لاويين 11: 44 – 45 .

2) موسوعة اليهود، المسيري، (90/2) .

3) عدد 16 : 41 .

4) عدد 16 : 3 .

وإمعاناً في التقديس الذي منحه الربّ لهذا الشعب – بزعمهم– يعطي الربّ – بزعم كاتب سفر التثنية– من جديد سيلاً من الإطراء والتمجيد والتقديس لهذا الشعب الخاص والمنتخب فيقول: « **لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ** الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ»[1]

ويتابع الربّ مديحه مبيّناً سبب هذه المحبة وذاك الاختصاص القدسي الخالد قائلاً: « ليس لكونكم أكثر من سائرِ الشعوبِ التصقَ الربّ بكمْ واختاركم لأنكم أقلّ من سائرِ الشعوبِ. **بل من محبة الربّ إيّاكمْ وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم** »[2] .

إنّ هذه النصوص وأشباهها الكثير في التوراة هي التي دعت اليهود إلى الادعّاء بسموّ جنسهم وعلوّ منزلتهم، وأفضليتهم على الخلق، وهذا ما جاء القرآن بخبره وتفنيده والردّ عليه في قوله ﷻ: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (المائدة/18) .

يقول ابن قيم الجوزية –رحمه الله– مبيناً حال اليهود في تقديسهم لجنسهم والحطّ من قدر الأمم الأخرى: " والعجب أنّهم مع ذهاب دولتهم وتفرق شملهم وعلمهم بالغضب الممدود المستمر عليهم ومسخ أسلافهم قردة– لقتلهم الأنبياء وعدوانهم في السبت وخروجهم عن شريعة موسى والتوراة وتعطيلهم لأحكامها– يقولون في كل يوم في صلاتهم: **(أحبنا يا إلهنا، يا أبانا، أنت أبونا منقذنا)** ويمثلون أنفسهم بعناقيد العنب وسائر الأمم بالشوك المحيط بالكرم لحفظه، وأنهم سيقيم الله لهم نبيا من آل داود إذا حرّك شفتيه بالدعاء مات جميع الأمم، ولا يبقى على وجه الأرض إلا اليهود**!** " [3] .

وما ذكره ابن قيم له ما يدلّ عليه في توراة اليهود، التي صرّحت باتخاذ الله (شعب إسرائيل) كخاصة له من بين أمم الأرض، فيزيد سفر التثنية في خواتمه هذا الأمر وضوحاً – زيادة على ما

---

1) تثنية 7 : 6 .
2) تثنية 7: 7–8 .
3) هداية الحيارى، ابن قيم الجوزية، (ص 173) .

سبق– إذ يقول كاتبه: « **وواعدكَ الرَّبُّ اليومَ أنْ تكونَ لهُ شعباً خاصّاً كما قالَ لكَ وتحفظَ جميعَ وصاياه. وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُسْتَعْلِيًا عَلَى جَمِيعِ الْقَبَائِلِ الَّتِي عَمِلَهَا فِي الثَّنَاءِ وَالاسْمِ وَالْبَهَاءِ، وَأَنْ تَكُونَ شَعْبًا مُقَدَّسًا لِلرَّبِّ إِلهِكَ، كَمَا قَالَ**» [1].

وتنبهر ملكة سبأ[2] – كما في سفر الملوك الأول– بملك سليمان ﷺ، فتعظّم الربّ وتباركه، لكنها لا تنسى أن تربط هذه البركة بالشعب المقدّس– أي (جماعة إسرائيل)– وتؤكد على المفهوم الذي تحاول التوراة ترسيخه؛ وهو الحبّ الأبدي السماوي لبني إسرائيل، فليس مُلك سليمان إلاّ لأجل مكانة بني إسرائيل عند الله!! إذ جاء على لسان ملكة سبأ: « لِيَكُنْ مُبَارَكًا الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي سُرَّ بِكَ وَجَعَلَكَ عَلَى كُرْسِيِّ إِسْرَائِيلَ. **لأَنَّ الرَّبَّ أَحَبَّ إِسْرَائِيلَ إِلَى الأَبَدِ جَعَلَكَ مَلِكًا، لِتُجْرِيَ حُكْمًا وَبِرًّا**»[3] .

أي شيءٍ أكثر من هذه النصوص الصريحة يمكن أن يدفع اليهود اليوم وفي كل زمان إلى الاستعلاء على أمم الأرض، وبلوغهم مبلغاً عظيماً في استحقار واستصغار الشعوب وإذلالها، لا بسبب القوة العسكرية التي يمتلكونها فحسب، لكن أيضاً بسبب قوة النصوص المقدّسة – لديهم– التي تدعوهم صراحة إلى الاستعلاء على الخلائق وتسخيرها لخدمتهم!.

وتنص التوراة في بعض نصوص أسفارها على **أبديّة التقديس** (لشعب إسرائيل)، ومن أكثر هذه النصوص وضوحاً ما ورد في سفر حزقيال من قطع الربّ عهداً مع شعبه – أي شعب إسرائيل– ونص العهد: « **وَأَقْطَعُ مَعَهُمْ عَهْدَ سلامٍ، فَيَكونُ مَعَهم عَهدًا مؤَبّدًا، وَأُقرّهُم وَأُكثّرُهم وأجعلُ مَقْدِسي في وسطِهِم إلى الأَبد. ويكونُ مسكني فوقَهُم وأكونُ لهم إلهاً ويكونونَ لي شعباً. فتعلم الأمُ أنّي أنا الرَّبُّ مُقَدِّسُ إسرائيل، إذ يكونُ مَقْدِسي في وسْطِهِم إلى الأَبد**» [4].

بل إنّ الحال يصل إلى نصّ التوراة على أنّ الربّ بذاته وقدسه ساكنٌ في جبل القدس! في صهيون، بجوار شعبه المقدس وفي أرضه المقدسة! – تعالى الله عما يقولون–: اقرأ في التوراة:

---

1) تثنية 26 : 17– 19 .

2) ملكة سبأ: هي بلقيس، ذكر الله ﷻ خبرها مع سليمان ﷺ في القرآن في سورة النمل، وكانت من بيت مملكة، في أرض يقال لها مأرب قرب صنعاء باليمن **[** تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (445/3) **]** .

3) الملوك الأول 10 : 9 .

4) حزقيال 37 : 26–28 .

«والربّ من صهيون يزمجرُ ومن أورشليم يعطي صوتَه فترتجفُ السماءُ والأرضُ. **ولكنّ الربّ ملجأٌ لشعبه وحصنٌ لبني إسرائيل. فتعرفون أنّي أنا الربّ إلهكم ساكناً في صهيون جبل قدْسي** وتكونُ أورشليم مقدّسةً ولا يجتاز فيها الأعاجمُ فيما بعدُ»[1] .

العلاقة بين الأرض المقدّسة والبركة التوراتية:

تربط النصوص التوراتية بين البركة الأبدية والقدسية الخاصة الموهوبة لبني إسرائيل – بزعمهم– وبين الأرض المقدّسة المباركة التي وعد الربّ بتمليكهم إياها، والمتتبع لنصوص العهد القديم يجد جلياً الربط الواضح بين عظيم البركات التي أغدقها الربّ على (شعبه الخاص) وبين الأرض التي باركها الربّ، وكأنّ واضع العهد القديم يحاول إيجاد ارتباط حتمي وتلازمي وحصري بين هذا الشعب المبارك (في اصطلاح التوراة) وبين هذه الأرض المباركة.

وكثيراً ما ترددت عبارات الربط بين مباركة الشعب ومباركة الأرض وامتلاكها، وذلك في الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم، والمنسوبة إلى موسى عليه السلام، وباقي الأسفار أيضاً.

ففي سفر التكوين ربط بين المباركة التي منحها الربّ لإبراهيم عليه السلام ونسله، وبين الأرض الموروثة كنتيجة لهذه البركة، إذ يقول ملاك الربّ لإبراهيم عليه السلام: « **أباركك مباركةً**، وأُكثِّر نسلك تكثيرًا كنجوم السَّماء وكالرمل الَّذي على شاطئ البحر، **ويرثُ نسلك باب أعدائه**»[2] .

وفي نفس السفر مباركة جديدة لإسحاق عليه السلام مرتبطة بالأرض الموعودة، فيقول له الربّ بعدما ظهر له نحو ديار الفلسطينيين – حسب التوراة–: « تغرّب في هذه الأَرض **فأَكُونَ معك وأباركك**، لأَنِّي لك **ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد**، وأَفي بالقسم الذي أقسمتُ لإبراهيم أَبيك»[3] . ومزيد تأكيد لإسحاق عليه السلام بالبركة المتوارثة المتنقلة للإنسان والأرض: « وأكثّر نسلكَ كنجومِ السّماءِ، **وأعطي نسلَك جميعَ هذه البلادِ**، وتتباركُ في نسلكَ جَميعُ أمِ الأرضِ»[4] .

---

1) يوئيل 3 : 16-17 .
2) تكوين 22 : 17
3) تكوين 26 : 3
4) تكوين 26 : 4

وحتى لا يُتوهم أن البركة المنسابة في نسل بني إسرائيل وأرضهم (الموعودة) ستطال كل أهل هذه الأرض الجديدة، فإنّه لابد من إقصاء كل من له علاقة بالأرض من أصحابها الأصليين، أهل كنعان، وهنا إشارة أخرى: « فدعا إسحاقُ يعقوبَ وباركَهُ، وأوصاهُ وقالَ لهُ: **لاَ تأخذْ زوجةً من بناتِ كَنْعَانَ**»[1].

وحتى ترتبط النظرة للبركة بالأرض المقدّسة، فإنّ الربّ يبارك نبيه يعقوب ﷺ في أرض كنعان نفسها « وَقالَ يَعقوبُ ليوسُفَ: اللهُ القَادرُ عَلى كلِّ شيءٍ **ظهرَ لِي فِي لُوزَ، في أَرضِ كَنعانَ، وَبَارَكَنِي**»[2].

وفي سياق الحديث عن الأرض الموعودة لبني إسرائيل، يسرد سفر التثنية وصايا الربّ الحربية لبني إسرائيل على لسان موسى ﷺ، والتي يذكّرهم فيها بأنّهم شعبٌ مقدّس وأنّه سيُبيد أعداءَهم لأنّهم أحباب الله وشعبه المصطفى – بحسب التوراة–، لتكون النتيجة – بعد تنفيذهم وصايا الربّ– البركة غير المحدودة والخلود في الأرض الموعودة! « **وَيُحِبُّكَ وَيُبَارِكُكَ وَيُكَثِّرُكَ**، وَيُبَارِكُ ثَمَرَةَ بَطْنِكَ وَثَمَرَةَ أَرْضِكَ: قَمْحَكَ وَخَمْرَكَ وَزَيْتَكَ وَنِتَاجَ بَقَرِكَ وَإِنَاثَ غَنَمِكَ، **عَلَى الأَرْضِ الَّتِي أَقْسَمَ لآبَائِكَ أَنَّهُ يُعْطِيكَ إِيَّاهَا**»[3] .

وبعد ذلك فبنو إسرائيل مأمورون بمباركة الربّ؛ لأنّه أعطاهم الأرض، « فمتى أكلتَ وشبِعتَ **تُباركُ الربَّ إلهكَ لأجلِ الأَرضِ الجيّدةِ التي أَعطَاكَ**»[4] .

ويستمرّ سفر التثنية – آخر الأسفار الخمسة– في التأكيد على الرّبط بين بركة الأرض وبركة الانسان (أي شعب إسرائيل)، فيقول كاتبه: « ... **لأَنَّ الرَّبَّ إِنَّمَا يُبَارِكُكَ فِي الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا لِتَمْتَلِكَهَا** »[5] .

---

1) تكوين 28 : 1
2) تكوين 48 : 3
3) تثنية 7 :13
4) تثنية 8 : 10
5) تثنية 15 : 4 .

ثم إشارة إلى التمايز مع الشعوب الجديدة، ولو بالغش والاحتيال، إذ إنّ البركة لبني إسرائيل وأرضهم الجديدة قد تقتضي الإضرار بالشعوب الأخرى، ما دام الشعب المختار بعيداً عن هذا الأذى، « **للأجنبيّ تُقرِضُ بربًا**، ولكن لأخيك لا تقرض بربا، **ليباركك الربّ إلهك في كلّ ما تمتدّ إليه يدك في الأرض الّتي أنت داخلٌ إليها لتمتلكها**» (1) .

وبعد ذلك يأتي الدعاء بالبركة للشعب والأرض معاً، والداعي والمؤمّن هو الربّ نفسه! «اِطَّلِعْ مِنْ مَسْكَنِ قُدْسِكَ، مِنَ السَّمَاءِ، **وَبَارِكْ شَعْبَكَ إِسْرَائِيلَ وَالأَرْضَ الَّتِي أَعْطَيْتَنَا، كَمَا حَلَفْتَ لآبَائِنَا، أَرْضًا تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلاً**»(2) .

ومن ثم دعاءٌ استعراضي يظهر بركة الشعب وقدسيته مع بركة الأرض وقدسيتها، مع مهابةٍ وقوة بأس أمام الأعداء: « **مُبَارَكًا تَكُونُ فِي دُخُولِكَ، وَمُبَارَكًا تَكُونُ فِي خُرُوجِكَ .يَجْعَلُ الرَّبُّ أَعْدَاءَكَ الْقَائِمِينَ عَلَيْكَ مُنْهَزِمِينَ أَمَامَكَ.** فِي طَرِيق وَاحِدَةٍ يَخْرُجُونَ عَلَيْكَ، وَفِي سَبْعِ طُرُق يَهْرُبُونَ أَمَامَكَ .يَأْمُرُ لَكَ الرَّبُّ بِالْبَرَكَةِ فِي خَزَائِنِكَ وَفِي كُلِّ مَا تَمْتَدُّ إِلَيْهِ يَدُكَ، **وَيُبَارِكُكَ فِي الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ .يُقِيمُكَ الرَّبُّ لِنَفْسِهِ شَعْبًا مُقَدَّسًا كَمَا حَلَفَ لَكَ،** إِذَا حَفِظْتَ وَصَايَا الرَّبِّ إِلهِكَ وَسَلَكْتَ فِي طُرُقِهِ .فَيَرَى جَمِيعُ شُعُوبِ الأَرْضِ أَنَّ اسْمَ الرَّبِّ قَدْ سُمِّيَ عَلَيْكَ وَيَخَافُونَ مِنْكَ» (3).

ويختتم سفر التثنية بالتأكيد على هذا المعنى في الوصية الأخيرة والمباركة الخاتمة المزعومة لموسى عليه السلام: « وهذه هي البركة الّتي بارك بها موسى، رجل الله، بني إسرائيل قبل موته»(4) والتي كان آخرها: « فَيَسْكُنَ إِسْرَائِيلُ آمِنًا وَحْدَهُ. تَكُونُ عَيْنُ يَعْقُوبَ إِلَى أَرْضِ حِنْطَةٍ وَخَمْرٍ، وَسَمَاؤُهُ تَقْطُرُ نَدًى. **طُوبَاكَ يَا إِسْرَائِيلُ! مَنْ مِثْلُكَ يَا شَعْبًا مَنْصُورًا بِالرَّبِّ؟ تُرْسِ عَوْنِكَ وَسَيْفِ عَظَمَتِكَ فَيَتَذَلَّلُ لَكَ أَعْدَاؤُكَ،** وَأَنْتَ تَطَأُ مُرْتَفَعَاتِهِمْ»(5) .

---

1) تثنية 23 : 20 .

2) تثنية 26 : 15 .

3) تثنية 28 : 6 – 10.

4) تثنية 33 : 1 .

5) تثنية 33 : 28–29 .

بل إنّ التوراة تصرّح ببركة خاصة لأولئك القوم من بني إسرائيل الذين يحظون بشرف السكنى قرب (مسكن الربّ) في (أورشليم)، ففي سفر نحميا[1]: « وَسَكَنَ رُؤَسَاءُ الشَّعْبِ فِي أُورُشَلِيمَ، وَأَلْقَى سَائِرُ الشَّعْبِ قُرَعًا لِيَأْتُوا بِوَاحِدٍ مِنْ عَشَرَةٍ لِلسُّكْنَى فِي أُورُشَلِيمَ، مَدِينَةِ الْقُدْسِ، وَالتِّسْعَةِ الأَقْسَامِ فِي الْمُدُنِ، **وَبَارَكَ الشَّعْبُ جَمِيعَ الْقَوْمِ الَّذِينَ انْتَدَبُوا لِلسُّكْنَى فِي أُورُشَلِيمَ**» [2] .

وفي سفر المزامير يترنّم واضع العهد القديم: « **مباركٌ الربّ منْ صُهيُونَ السّاكِنُ في أُورشَلِيمْ**»[3].

إذاً، هي منظومة مقدّسة، فالربّ مقدّس، وشعبه – أي شعب إسرائيل– مقدّس، وأرضه مقدّسة، والقدسية تحلّ على كل شيء، ما دام الشعب المختار طرفاً فيه.

خلاصة المطلب:

أولاً: إن مفهوم التقديس والبركة في عقيدة اليهود المحرّفة يعود في معناه ومفهومه بحسب ما تواتر في التوراة إلى ثلاثية متلازمة وهي: (الربّ، والشعب، والأرض)؛ ربّ قدوس مبارك يحب شعبه – أي شعب إسرائيل، وشعب مقدّس مباركٌ نال القدسية أباً عن جدّ وستبقى في نسله إلى الأبد!، وأرضٌ مباركةٌ مقدّسةٌ هي: أرض كنعان سابقاً، وأرض (إسرائيل) الموعودة إلى الأبد – بزعم التوراة.

ثانياً: إنّ منحة التقديس والبركة في زعم اليهود مقصورة على فرع من شجرة التاريخ البشري، وهو فرع بني إسرائيل، فلن يستطيع بشرٌ أن يمحو عن نفسه اللعنة والطرد والدونية، حتى لو كان نبياً**!** إذ قصُرت به نبوته و لم تشفع له حين قصُر به نسبه أن يكون من بني إسرائيل**!!**، فهذا قدر الله الحتمي على البشرية – بزعم التوراة– فإمّا أن تكون من أبناء الله وأحبائه – اليهود– أو تكون من الخاسرين المطرودين المسلّط عليهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

1) نحميا: اسم عبري معناه (تحنّن يهوه)، وهو اسم ليهودي كان يعمل حاملاً للكؤوس في البلاط الملكي الفارسي، عينه الفرس حاكماً على مقاطعة اليهود الفارسية (444–432 ق.م)، أعاد بناء (سور الهيكل) ثم عاد إلى فارس، وسمي السفر السادس عشر في العهد القديم باسمه **[انظر:** موسوعة اليهود، المسيري، 201/4 **]** .

2) نحميا 11 : 1– 2 .

3) المزامير 135: 21 .

ثالثاً: إنّ التوراة ركّزت على قضية البركة والتقديس والقدسية في المواضع التي تتصل ببني إسرائيل وأرضهم المزعومة، وربطت بين ملكية الأرض وقدسيتها، بمعنى أنّ الأرض لو لم تكن ملكاً لبني إسرائيل لما كانت مقدّسة!.

رابعاً: أكّدت التوراة المزيّفة في جلّ مواضع ذكر التقديس والبركة على اختصاص بني إسرائيل به دون سواهم من البشر والأمم، بل إنّ العهد القديم كثيراً ما يربط بين قدسية (جماعة الربّ)– أي بني إسرائيل– وبين لعنة الأمم الأخرى وامتلاك رقابهم، وكأنّ واضع التوراة يقول لليهود: إنّ عزّكم واستعلاءكم هو رديف لقهر وسحق ولعنة الأمم، ليس منكم فحسب بل لعنة وخذلان من الربّ الذي منحكم رقابهم!.

خامساً: لا شك أن ما أصّل له واضعو التوراة المحرّفة – في ظواهر كثير من نصوصها– من دلائل شرعية امتلاك بني إسرائيل واليهود لأرض فلسطين وجد صدى كبيراً في بقية مصادر العقيدة اليهودية وتطبيقاتها فيما بعد، وأقصد هنا التلمود وفتاوى الحاخامات وبروتوكولات حكماء صهيون، فضلاً عن الممارسة العملية على الأرض المستمدة من روح هذه النصوص المفرطة في التمييز والعنصرية[1] وقهر الأمم والشعوب غير اليهودية.

---

1) **العُنْصُرية:** الاعتقاد بأنّ أعضاء جنس أو سلالة أو مجموعة من السلالات أعلى أو أدْنى درجة من أعضاء السّلالات الأخرى، ويسمى الناس الذين يعتقدون أو يمارسون ما يوحي بتفوق سلالة على أخرى عنصريين، فهم يدَّعون أن أعضاء سلالتهم أعلى شأناً في النواحي العقْلية والأخلاقية أو الثقافية من أفراد السّلالات الأخرى، ولأن العنصريين يفْترضون أنّهم أرفع مقامًا، لذلك فإنهم يعتقدون بأنهم يستحقّون حقوقاً وامتيازات خاصة. [الموسوعة العربية العالمية، بتاريخ 2012/12/13م– بتصرف] .

المطلب الثاني

أنواع القدسية والبركة في التراث اليهودي

إنّ الفاحص لنصوص العهد القديم يلحظ بوضوح اضطراب المفهوم التوراتي للتقديس والبركة بشكل كبير، فقد خرجت البركة والقدسية عن كونهما صفتين من الطهر والعلو والنماء يضعهما الله فيما يشاء ومن يشاء من خلقه وعباده، وأصبحت البركة مطيّة لكل طالب، والقدسية أمراً لفظياً يحلّ على البشر والحجر والشجر بمجرد لفظ (تقديسي) ينطق به نبيٌّ أو حتى أيّ شخص عاديّ.

لذا فإنّ الباحث في هذا المطلب يستقصي مواضع ذكر البركة والقدسية في التوراة المحرّفة الموجودة بين أيدينا، بما تحتويه من أسفار، ومن خلال هذا الاستقراء سيضع الباحث ما استنتجه من أنواع القدسية والبركة بحسب ما ذكرها العهد القديم، كأهمّ مرجع للديانة اليهودية الحالية.

أولاً: القدسية والبركة من حيث المعنى:

جاء في قاموس الكتاب المقدّس: " قدّس يقدّس تقديساً: جعله قدّيساً بتغيير القلب، وبالتقديس تتطهر النفس من دنس الخطيئة ومن سلطتها، وتتزين بالنعم الروحية التي تعدّها للأفراح السماوية"[1] .

وقد يأتي التقديس بمعنى: " تكريس النفس أو الشيء للاستعمال المقدّس" [2]، ومن ذلك ما ورد في العهد القديم: « **وَيَوْمَ فَرَغَ مُوسَى مِنْ إِقَامَةِ الْمَسْكَنِ، وَمَسَحَهُ وَقَدَّسَهُ وَجَمِيعَ أَمْتِعَتِهِ، وَالْمَذْبَحَ وَجَمِيعَ أَمْتِعَتِهِ وَمَسَحَهَا وَقَدَّسَهَا** » [3] .

ومن نماذج تكريس الأشياء للاستعمال المقدّس أيضاً: « وَهذِهِ أَيْضًا قَدَّسَهَا الْمَلِكُ دَاوُدُ لِلرَّبِّ **مَعَ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ الَّذِي قَدَّسَهُ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ أَخْضَعَهُمْ** »[4] .

---

1) قاموس الكتاب المقدّس، جورج بوست، (204/2) .

2) المصدر السابق، (204/2) .

3) العدد 7 : 1 .

4) صموئيل الثاني 8 : 11 .

ومن ذلك أيضاً: « **فِي ذلِكَ الْيَوْمِ قَدَّسَ الْمَلِكُ وَسَطَ الدَّارِ الَّتِي أَمَامَ بَيْتِ الرَّبِّ، لأَنَّهُ قَرَّبَ هُنَاكَ الْمُحْرَقَاتِ وَالتَّقْدِمَاتِ وَشَحْمَ ذَبَائِحِ السَّلاَمَةِ،** لأَنَّ مَذْبَحَ النُّحَاسِ الَّذِي أَمَامَ الرَّبِّ كَانَ صَغِيرًا عَنْ أَنْ يَسَعَ الْمُحْرَقَاتِ وَالتَّقْدِمَاتِ وَشَحْمَ ذَبَائِحِ السَّلاَمَةِ»[1] .

ويأتي التقديس في العهد القديم بمعنى تقديس الربّ لشعبه – أي بني إسرائيل– لأنهم أولاده ولأنه يريد قداستهم[2]، بسبب بقائهم في صهيون واختيارهم ليكونوا في (أورشليم) وقد جاء في هذا المعنى: « فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ غُصْنُ الرَّبِّ بَهَاءً وَمَجْدًا، وَثَمَرُ الأَرْضِ فَخْرًا وَزِينَةً لِلنَّاجِينَ مِنْ إِسْرَائِيلَ . **وَيَكُونُ أَنَّ الَّذِي يَبْقَى فِي صِهْيَوْنَ وَالَّذِي يُتْرَكُ فِي أُورُشَلِيمَ، يُسَمَّى قُدُّوسًا. كُلُّ مَنْ كُتِبَ لِلْحَيَاةِ فِي أُورُشَلِيمَ** » [3] .

معنى (القدس) وأنواعها في العهد القديم:

وردت لفظة " قدْس" في العهد القديم على أوجه كثيرة، واختلط معناها بين البشر وخالق البشر سبحانه، ومخلوقات الربّ جل جلاله، وأماكن وأشياء وذوات، **فمن أنواع القدْس وأصنافه:**

1. قُدْس: صفة من صفات الله تعالى[4]، وقد وردت في التوراة بهذا المعنى في مواضع كثيرة، منفردة أو مضافاً إليها:

أ– فمنها: **ذراعُ قدْسه:** « رَنِّمُوا لِلرَّبِّ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً، لأَنَّهُ صَنَعَ عَجَائِبَ. خَلَّصَتْهُ يَمِينُهُ **وَذِرَاعُ قُدْسِهِ**»[5].

ب– ومنها: **كلمة قدْسه:** « ... جَرَتْ فِي الْيَابِسَةِ نَهْرًا، لأَنَّهُ ذَكَرَ **كَلِمَةَ قُدْسِهِ** مَعَ إِبْراهِيمَ عَبْدِهِ»[6] .

ت– ومنها: **كلام قدْسه:** « ... صِرْتُ كَإِنْسَانٍ سَكْرَانَ وَمِثْلَ رَجُل غَلَبَتْهُ الْخَمْرُ، **مِنْ أَجْلِ الرَّبِّ وَمِنْ أَجْلِ كَلاَمِ قُدْسِهِ**»[7] .

---

1) الملوك الأول 8 : 64 .

2) **انظر**: قاموس الكتاب المقدّس، جورج بوست ، (205/2) .

3) اشعياء 4 : 2 – 3 .

4) **انظر**: قاموس الكتاب المقدّس، جورج بوست ، (205/2) .

5) المزامير 98 : 1 .

6) المزامير 105 : 41– 42 .

7) ارمياء 23 : 9 .

ث- ومنها: قول الربّ: يوم قدْسي (أي: يوم السبت): « إِنْ رَدَدْتَ عَنِ السَّبْتِ رِجْلَكَ، عَنْ عَمَلِ مَسَرَّتِكَ **يَوْمَ قُدْسِي...**»[1] .

ج- ومنها: روح قدْسه: « وَلكِنَّهُمْ تَمَرَّدُوا **وَأَحْزَنُوا رُوحَ قُدْسِهِ،** فَتَحَوَّلَ لَهُمْ عَدُوًّا، وَهُوَ حَارَبَهُمْ.ثُمَّ ذَكَرَ الأَيَّامَ الْقَدِيمَةَ، مُوسَى وَشَعْبَهُ: أَيْنَ الَّذِي أَصْعَدَهُمْ مِنَ الْبَحْرِ مَعَ رَاعِي غَنَمِهِ؟ **أَيْنَ الَّذِي جَعَلَ فِي وَسَطِهِمْ رُوحَ قُدْسِهِ**»[2].

ح- ومنها قول الربّ: اسم قدْسي: « الَّذِينَ يَتَهَمَّمُونَ تُرَابَ الأَرْضِ عَلَى رُؤُوسِ الْمَسَاكِينِ، وَيَصُدُّونَ سَبِيلَ الْبَائِسِينَ، وَيَذْهَبُ رَجُلٌ وَأَبُوهُ إِلَى صَبِيَّةٍ وَاحِدَةٍ **حَتَّى يُدَنِّسُوا اسْمَ قُدْسِي**»[3] .

خ- وقوله: حلفت بقدْسي: « لاَ أَنْقُضُ عَهْدِي، وَلاَ أُغَيِّرُ مَا خَرَجَ مِنْ شَفَتَيَّ، **مَرَّةً حَلَفْتُ بِقُدْسِي،** أَنِّي لاَ أَكْذِبُ لِدَاوُدَ: نَسْلُهُ إِلَى الدَّهْرِ يَكُونُ، وَكُرْسِيُّهُ كَالشَّمْسِ أَمَامِي»[4] .

2. قدْس: أي: " مسكن الله السماوي!"[5]، وقد ورد لفظ القدْس بهذا المعنى في عدة مواضع من التوراة، **منها:** رواية نظر الربّ من علو إلى صهيون نظرة الرحمة لشعبه في أرض (أورشليم)!: « **لأَنَّهُ أَشْرَفَ مِنْ عُلْوِ قُدْسِهِ. الرَّبُّ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ نَظَرَ،** لِيَسْمَعَ أَنِينَ الأَسِيرِ، لِيُطْلِقَ بَنِي الْمَوْتِ، لِكَيْ يُحَدَّثَ فِي صِهْيَوْنَ بِاسْمِ الرَّبِّ، وَبِتَسْبِيحِهِ فِي أُورُشَلِيمَ»[6] .

ومنها: الدعاء الوارد في سفر اشعياء، مخاطباً الربّ في السماوات قائلا: «... تطلّعْ من السماواتِ **وانظرْ منْ مسكنِ قدْسك ومجدك**. أين غيرتُكَ وجبروتُك؟ »[7] .

---

1) اشعياء 58 : 13 .
2) اشعياء 63 : 10 - 11 .
3) عاموس 2 : 7 .
4) المزامير 89 : 34 - 36 .
5) قاموس الكتاب المقدّس، جورج بوست ، (205/2) .
6) المزامير 102 : 19 - 21 .
7) اشعياء 63 : 15 .

3. **قدْس: بمعنى: " مسكن الله الأرضي، أو موضع ظهور مجده لشعبه"** [1]، إذ كانت خيمة الاجتماع مثلاً – كما في التوراة– هي موضع لقاء الله ﷻ بشعبه – أي **(جماعة إسرائيل)**– على الأرض، " وهي خيمة أو خباء كان يحملها بنو إسرائيل معهم في تجوالهم، وكانت تقام خارج المضارب؛ ليسكن الإلهُ فيها بين شعبه (حسب التصور التوراتي)، وليكشف الإله فيها عن وجوده وليبلّغ إرادته، وليطلبه من يريده، وتسمى أيضاً بـ (خيمة الشهادة) و (بيت الإله) " [2] .

وقد ورد لفظ القدْس بهذا المعنى في التوراة في مواضع كثيرة منها:

أ– ما يُذكر فيه لفظ **(قدْس) مجرّداً** كما في قول داود ؑ: « يَا اَللهُ، إِلهِي أَنْتَ. إِلَيْكَ أُبَكِّرُ. عَطِشَتْ إِلَيْكَ نَفْسِي، يَشْتَاقُ إِلَيْكَ جَسَدِي فِي أَرْضٍ نَاشِفَةٍ وَيَابِسَةٍ بِلاَ مَاءٍ، **لِكَيْ أُبْصِرَ قُوَّتَكَ وَمَجْدَكَ، كَمَا قَدْ رَأَيْتُكَ فِي قُدْسِكَ**»[3] .

ب– وقد يرد اللفظ مضافاً إليه غيره، **كمسكنِ القدْسِ:** في مثل قول موسى ؑ وبني إسرائيل للربّ– حسب التوراة–: « تُرشدُ برأفتك الشعبَ الذي فديتَه. **تهديه بقوّتك إلى مسكنِ قدْسك**»[4] .

ت– **أو: جبلُ القدْسِ:** كقول الربّ – بزعم التوراة: « اَلسَّاكِنُ فِي السَّمَاوَاتِ يَضْحَكُ. الرَّبُّ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ، حِينَئِذٍ يَتَكَلَّمُ عَلَيْهِمْ بِغَضَبِهِ، وَيَرْجُفُهُمْ بِغَيْظِهِ: **أَمَّا أَنَا فَقَدْ مَسَحْتُ مَلِكِي عَلَى صِهْيَوْنَ جَبَلِ قُدْسِي** »[5].

ث– **أو: هيكلُ القدْسِ:** كقول داود ؑ منادياً ربّه – بزعم التوراة– قائلاً: « تُهْلِكُ الْمُتَكَلِّمِينَ بِالْكَذِبِ. رَجُلُ الدِّمَاءِ وَالْغِشِّ يَكْرَهُهُ الرَّبُّ .أَمَّا أَنَا فَبِكَثْرَةِ رَحْمَتِكَ أَدْخُلُ بَيْتَكَ. **أَسْجُدُ فِي هَيْكَلِ قُدْسِكَ بِخَوْفِكَ**»[6] .

---

1) قاموس الكتاب المقدّس، جورج بوست ، (205/2) .
2) موسوعة اليهود، المسيري، (157/4)– بتصرف .
3) المزامير 63 : 1 – 2 .
4) الخروج 15 : 13 .
5) المزامير 2: 4– 6 .
6) المزامير 5 : 6 – 7 .

ج– **أو: موضعُ القدْسِ:** كقول داود عليه السلام في المزامير: « مَنْ يَصْعَدُ إِلَى جَبَلِ الرَّبِّ؟ وَمَنْ يَقُومُ فِي **مَوْضِعِ قُدْسِهِ**؟... »[1] .

ح– **أو: محرابُ القدْسِ:** كقول داود عليه السلام في المزامير أيضاً مخاطباً ربه: « اسْتَمِعْ صَوْتَ تَضَرُّعِي إِذْ أَسْتَغِيثُ بِكَ **وَأَرْفَعُ يَدَيَّ إِلَى مِحْرَابِ قُدْسِكَ**»[2] .

خ– **أو: كرسيُّ القدْسِ:** كما في المزامير: « لأَنَّ اللهَ مَلِكُ الأَرْضِ كُلِّهَا، رَنِّمُوا قَصِيدَةً، مَلَكَ اللهُ عَلَى الأُمَمِ، **اللهُ جَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّ قُدْسِهِ**»[3] .

د– **أو تخومُ القدْسِ:** كما ورد في سَوق الربّ شعبَه كالقطيع إلى تخومِ قدسِه – أي أرض الميعاد– وهذه الأرض وتخومها نُسبتْ إلى قُدس الله أي مسكنه في الأرض: « وَسَاقَ مِثْلَ الْغَنَمِ شَعْبَهُ، وَقَادَهُمْ مِثْلَ قَطِيعٍ فِي الْبَرِّيَّةِ. وَهَدَاهُمْ آمِنِينَ فَلَمْ يَجْزَعُوا. أَمَّا أَعْدَاؤُهُمْ فَغَمَرَهُمُ الْبَحْرُ، **وَأَدْخَلَهُمْ فِي تُخُومِ قُدْسِهِ، هذَا الْجَبَلِ الَّذِي اقْتَنَتْهُ يَمِينُهُ**»[4] .

ذ– **أو مُدنُ القدْسِ:** إذ توصف المدن التي يسكنها بنو إسرائيل في التوراة بمدن قدْس الربّ، أي أن الله –بزعمهم– جعلها له مسكناً في الأرض وسط شعبه!، ومن ذلك ما عاتب به بنو إسرائيل ربّهم بقولهم: « لاَ تَسْخَطْ كُلَّ السَّخْطِ يَا رَبُّ، وَلاَ تَذْكُرِ الإِثْمَ إِلَى الأَبَدِ، هَا انْظُرْ، شَعْبُكَ كُلُّنَا، **مُدُنُ قُدْسِكَ صَارَتْ بَرِّيَّةً. صِهْيَوْنُ صَارَتْ بَرِّيَّةً، وَأُورُشَلِيمُ مُوحَشَةً** »[5] .

ر– **أو بيتُ القدْسِ:** كقول بني إسرائيل لربّهم: « **بَيْتُ قُدْسِنَا وَجَمَالِنَا حَيْثُ سَبَّحَكَ آبَاؤُنَا**، قَدْ صَارَ حَرِيقَ نَارٍ، وَكُلُّ مُشْتَهَيَاتِنَا صَارَتْ خَرَابًا. أَلأَجْلِ هذِهِ تَتَجَلَّدُ يَا رَبُّ؟ أَتَسْكُتُ وَتُذِلُّنَا كُلَّ الذِّلِّ؟»[6].

---

1) المزامير 24 : 3–4 .
2) المزامير 28 : 2 .
3) المزامير 47 : 7 – 8 .
4) المزامير 78 : 52 – 54 .
5) اشعياء 64 : 9 – 10 .
6) اشعياء 64 : 11 – 12 .

4. قدس الأقداس:

" ويطلق على القسم الخارجي والداخلي من مسكن الربّ في الأرض"[1]، "وهو حسب التصوّر اليهودي أقدس الأماكن في هيكل القدس، وكان قدس الأقداس يضم (تابوت العهد)، وجاء في التراث اليهودي أنّ فلسطين توجد في مركز الدنيا، والقدس في وسط فلسطين، والهيكل في وسط القدس، وقدس الأقداس في وسط الهيكل، أي أنّ قدس الأقداس يقع في وسط الدنيا تماماً– بزعمهم– ويحرص اليهود اليوم على عدم الدوس على الأرض التي يعتقدون وجود قدس الأقداس قديماً تحتها" [2] .

غير أن **لفظة (قدس الأقداس)**، وإن كانت في التراث اليهودي المضطرب بمعانيه ومعلوماته تنطبق على ذلك الموضع المقدّس من مدينة القدس، إلا أنها أُطلقت في التوراة على غير ذلك الموضع أيضاً، **واتّسع مفهومها أكثر بمنطوق التوراة، ومن ذلك ظهر مما استقصاه الباحث ما يلي:**

أ– أُطلق (قدس الأقداس) على: **(المحراب)** الذي بناه سليمان عليه السلام في بيت الربّ كما ورد في العهد القديم: « وَبَنَى عِشْرِينَ ذِرَاعًا مِنْ مُؤَخَّرِ الْبَيْتِ بِأَضْلاَعِ أَرْزٍ مِنَ الأَرْضِ إِلَى الْحِيطَانِ. وَبَنَى دَاخِلَهُ **لأَجْلِ الْمِحْرَابِ، أَيْ قُدْسِ الأَقْدَاسِ**» [3] .

ب– وأطلقت اللفظة كذلك على: **(ما يجاور موضع العبادة)**، كما في قول الربّ – بزعم التوراة: «... هذه سنّةُ البيتِ: **على رأس الجبلِ كلُّ تُخُمِهِ حواليهِ قُدْسُ أقداسٍ**، هذه هي سُنّةُ البيتِ»[4] .

ت– وأطلق (قدس الأقداس) على: **(أثاث الهيكل أو الخيمة وطعام الكهنة!)**، إذ جـــــاء في سفر

---

1) قاموس الكتاب المقدّس، جورج بوست ، (205/2)– بتصرف يسير .

2) موسوعة اليهود، المسيري، (165/4) .

3) الملوك الأول 6 : 16 .

4) حزقيال 43 : 12 .

حزقيال في وصف الهيكل في رؤيا حزقيال[1]: « وَقَالَ لِي: مَخَادِعُ الشِّمَالِ وَمَخَادِعُ الْجَنُوبِ الَّتِي أَمَامَ الْمَكَانِ الْمُنْفَصِلِ **هِيَ مَخَادِعُ مُقَدَّسَةٌ، حَيْثُ يَأْكُلُ الْكَهَنَةُ الَّذِينَ يَتَقَرَّبُونَ إِلَى الرَّبِّ قُدْسَ الأَقْدَاسِ. هُنَاكَ يَضَعُونَ قُدْسَ الأَقْدَاسِ** وَالتَّقْدِمَةَ وَذَبِيحَةَ الْخَطِيَّةِ وَذَبِيحَةَ الإِثْمِ، لأَنَّ الْمَكَانَ مُقَدَّسٌ »[2] .

ث- كما أطلقت التوراة **(**قدس الأقداس**)** على " **كل ما يكرّس لله من شخص أو شيء**" [3]، وقد ورد بهذا المعنى الكثير من النصوص في العهد القديم، ومنها: « ويصنعُ هارونُ كفّارةً على قرونِهِ مرّةً في السّنةِ. من دمِ ذبيحةِ الخطيّة التي للكفّارة مرّة في السّنة **يصنعُ كفّارةً عليه في أجيالِكُم. قدسُ أقداسٍ هو للربِّ»**[4].

5. مقدِس:

وقد وردت في العهد القديم بهذه الصيغة بعدة معانٍ، ظهر فيها الاضطراب جليّا كغيرها من ألفاظ التقديس.

أ- فسمّيت **(بلاد الميعاد)** مقدِساً[5]، ومن ذلك ما ورد في المزامير بلفظ**:** « عندَ خروجِ إسرائيلَ من مِصرَ، **وبيت يعقوب من شعب أعجم. كانَ يَهوذا مقدِسُهُ، وإسرائيلُ محلّ سُلطانِهِ.** البحرُ رآهُ فهَربَ. الأردنُ رجعَ إلى خلفٍ ... »[6] .

ب- كما سمي **(ملجأ شعب الله)** مقدِساً أيضاً، ومن ذلك ما جاء في نبوءة حزقيال**:** « يَا ابْنَ آدَمَ، إِخْوَتُكَ ذَوُو قَرَابَتِكَ، وَكُلُّ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ بِأَجْمَعِهِ، هُمُ الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ سُكَّانُ أُورُشَلِيمَ: ابْتَعِدُوا عَنِ الرَّبِّ. لَنَا

---

1) حزقيال: (حوالي 593- 570 ق.م) كلمة عبرية معناها "الإله يُقوّي"، وحزقيال نبي من أسرة صادوق الكهنوتية ومن قبيلة إفرايم، وهو معاصر للنبي "ارمياء"، أطلق حزقيال نبوءاته في القدس، ثم في بابل حيث هُجّر مع اليهود، واستمر في التنبؤ لسنوات طويلة، وتنبأ بدمار القدس والقى باللوم على اليهود الذين بقوا في المملكة الجنوبية لاتباعه الشر، فسّر حزقيال – حسب التوراة- الشتات اليهودي بأنه غرض إلهي لنشر العدالة في العالم **[** موسوعة اليهود، المسيري، (122/5)- بتصرف **]**.

2) حزقيال 42 : 13 .

3) قاموس الكتاب المقدّس، جورج بوست ، (205/2) .

4) خروج 30 : 10 .

5) انظر: قاموس الكتاب المقدّس، جورج بوست ، (206/2) .

6) المزامير 114 : 1-3 .

أُعْطِيَتْ هذِهِ الأَرْضُ مِيرَاثًا. لِذلِكَ قُلْ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: وَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَبْعَدْتُهُمْ بَيْنَ الأُمَمِ، **وَإِنْ كُنْتُ قَدْ بَدَّدْتُهُمْ فِي الأَرَاضِي، فَإِنِّي أَكُونُ لَهُمْ مَقْدِسًا صَغِيرًا** فِي الأَرَاضِي الَّتِي يَأْتُونَ إِلَيْهَا» [1] .

لاحظ هنا كيف يوظّف كاتب التوراة النصّ الديني (المقدّس) لترسيخ ملكية بني إسرائيل الأبدية للأرض، وتبريره الشتات الكبير بأنه مرحلة طارئة بإرادة الربّ على طريق العودة لتملّك الأرض إلى الأبد، كل ذلك على شكل حوار مع سكان (أورشليم) لتكريس الفكرة الدينية أكثر فأكثر !

ت– بل إنّ التوراة أوردت وصف **موضعٍ لعبادةِ الأوثانِ** في "بيت إيل" [2]، بأنه **(مَقدِسٌ)**، وفي ذلك خروج عن معنى التنزيه المتضمن لهذه اللفظة – وإن لم يكن التقديس هنا من كلام الربّ–، جاء ذلك في سفر "عاموس"[3] على لسان كاهن (مملكة إسرائيل) الشمالية– التي عبدت الأوثان– ويدعى "أمصيا": « فَقَالَ أَمَصْيَا لِعَامُوسَ: أَيُّهَا الرَّائِي، اذْهَبِ اهْرُبْ إِلَى أَرْضِ يَهُوذَا وَكُلْ هُنَاكَ خُبْزًا وَهُنَاكَ تَنَبَّأْ. **وَأَمَّا بَيْتُ إِيلَ فَلاَ تَعُدْ تَتَنَبَّأُ فِيهَا بَعْدُ، لأَنَّهَا مَقْدِسُ الْمَلِكِ وَبَيْتُ الْمُلْكِ**» [4] .

6. القدّيسون:

ورد في العهد القديم لفظ "قدّيس" و"قديسين" في ثمانيةٍ وأربعين موضعاً، ويعرِّف قاموس الكتاب المقدّس القديسين بأنهم: " أولئك الذين حصلوا على شيء من القداسة، ومنهم من قُدّسَ في السّماء"[5].

---

1) حزقيال 11 : 16 .

2) بيت ايل: تعبير عبري معناه بيت الربّ، وهي مدينة كنعانية قديمة، قدّسها الكنعانيون قديماً، ثم سكنها بنو إسرائيل وأعطوها مكانة خاصة، ثم خفتت مكانتها بعد تشييد هيكل القدس، شيّد فيها يربعام ملك المملكة الشمالية هيكلاً قومياً لمملكته لينافس هيكل القدس، وزود هيكله بعجول ذهبية وأصنام، ثم هاجمها يوشيا ملك المملكة الجنوبية ودمر هيكلها وهدمها، ثم هدمها الآشوريون ومن بعدهم البابليون ثم الفرس، وأعيد بناؤها في العصر الهيليني، ولكنها هُجرت مع الفتح الإسلامي. **[** موسوعة اليهود، المسيري، (118/4)– بتصرف **]** .

3) عاموس: (حوالي 670–746 ق.م) اسم عبري معناه "المثقل بالأحمال"، وعاموس أول نبي لبني إسرائيل يسمى باسمه أحد الأسفار، أعلن رسالته عام 750 ق.م، ونشر رسالته في المملكة الشمالية في عهد يربعام الثاني، وكان عهداً مليئاً بالفساد والترف، فهاجم عاموس هذا الفساد، ورفض العبادة القربانية وتقديم الأضاحي ووصفها بالسخرية، وتنبأ بزوال المملكة الشمالية وتشريد بني إسرائيل، ويقال بأنه أُعدم على يد الكهنة اليهود. **[** موسوعة اليهود، المسيري، (119/5– 120)– بتصرف **]**.

4) عاموس 7 : 12– 13 .

5) قاموس الكتاب المقدّس، جورج بوست، (206/2)– بتصرف .

وورد في التوراة كلامٌ للربّ على لسان موسى وهارون–عليهما السلام– يأمر بني إسرائيل بأن يكونوا قديسين، ليس لأنهم بشر كسائر البشر، بل لأن ربّهم قدوس، فلابد وأن ينالهم شيء من قدسيته، وهذا ما ورد في سفر اللاويين: « **إنّي أنا الربُّ إلهُكُم فَتَتَقَدَّسُونَ وتكونون قدِّيسين، لأَنِّي أنَا قدّوسٌ.** ولاَ تُنَجِّسوا أَنْفسَكُمْ بدبيبٍ يَدبُّ على الأَرضِ. إنّي أنا الرّبّ الذي أصعدكُم من أرضِ مصرَ ليكونَ لكُم إلهاً. **فتكونُونَ قِدّيسِينَ لأنّي أنا قُدُّوسٌ**»[1] .

وقد يظن الناظر للوهلة الأولى أنّ مفهوم التقديس – أو جعل البشر **(قديسين)** بلفظ التوراة– هو مفهوم عام يراد به تزكية النفس البشرية من الرذائل الأرضية، ولكن سرعان ما يجد الباحث الربط التوراتي بين قدسية الإله (القدّوس) والقدسية التي اختارها لبني إسرائيل خاصة من بين الأمم، ومن ذلك قول التوراة في ذات السفر: « **وتكونونَ لي قدِّيسينَ لأَنِّي قُدّوسٌ أَنا الرَّبّ، وقَد مَيّزتكُم مِن الشعوبِ لِتكونُوا لِي**»!! [2].

ويصف سفر دانيال القديسين بأنهم **(قديسو العليّ)**، إذ جاء في رؤيا دانيال[3] الأولى أنّ أربعة حيوانات مفترسة تتصارع، فسّرها له الملاك بأنّها أربعة ممالك ستتصارع، وفي الختام تزول هذه القوى العظمى، وتسود إلى الأبد مملكة (شعب قدّيسي العليّ) التي تملك كل ما تحت الأرض، في إشارة واضحة إلى اليهود!، حيث جاء في هذا السفر في خاتمة تفسير الرؤيا: « **والمملكةُ والسلطانُ وعظمةُ المَلكةِ تحتَ كلّ السّماءِ تُعطَى لِشَعبِ قِدّيسِي العَلّيِّ.** مَلكوتُهُ ملكوتٌ أبديٌّ، وجميعُ السّلاطينِ إيّاه يعبدُونَ ويُطيعون، إلى هُنا نهايةُ الأمرِ»[4] .

وهذا ما لم يحدث بطبيعة الحال، فلم يكن لليهود دولة بسطت ملكها على الأرض، ولن يكون.

---

1) اللاويين 11 : 44–45 .

2) اللاويين 20 : 26 .

3) دانيال: (حوالي 605–537 ق.م) كلمة عبرية بمعنى: "الإله قضى"، ودانيال أحد الأنبياء الأربعة الكبار في بني إسرائيل، خرج وثلاثة رفاق له إلى بابل بأمر نبوخذ نصر، وعينهم نبوخذ نصر مدراء في مملكته، وكان دانيال يفسّر الرؤى، ثم أصبح يرى هو الرؤى ويفسرها لهم ملاك –بحسب التوراة– وقد ثار جدل حول نسبة سفر دانيال، وقسمه الباحثون إلى جزأين الأول من كتب الأنبياء والثاني من كتب الرؤى **[** موسوعة اليهود، المسيري، (121/5)– بتصرف **]** .

4) دانيال 7 : 27–28 .

ثانياً: **أنواع القدسية والبركة من حيث المصدر**:

إن كانت القدسية قد اختلفت معانيها في التوراة وتعددت أقسامها وأنواعها من حيث المعنى، فإنّ ما يلفت النظر في توراة اليهود الحالية أنّ مصادر القدسية والبركة فيها تتعدد أيضاً، فمع أنّ ما يتقدّس أو يُبارك يصبح ذا مغزى كبير في مفهوم التوراة، فإنّ البركة والقدسية هذه ليست من عند الله ﷻ غالباً، **وهذا ما سيستعرضه الباحث من خلال استقراء العهد القديم فيما يلي:**

1. بركة وقدسية مصدرها الربّ:

وهذه وردت في التوراة في مواضع عدّة، فالربّ – سبحانه – مصدرٌ أساس من مصادر وضع القدسية والبركة في الأشخاص والأشياء والأماكن والأزمان، وقد تعددت المقدّسات التي مصدرها الربّ – بحسب التوراة– **وكان من أهمها:**

أ– الربّ يقدّس أزماناً:

ومن ذلك ما ورد في العهد القديم من تقديس الله ﷻ ومباركته لليوم السابع – أي يوم السبت– إذ يقول كاتب التوراة: « **وباركَ اللهُ اليومَ السابعَ وقدسَهُ**، لأنّه فيه استراحَ من جميعِ عملِهِ الذِي عمل اللهُ خَالِقًا»[1].

ونظيره ما جاء في سفر الخروج: «لأن في ستّة أيّامٍ صنع الرّبُّ السماءَ والأرَض والبحرَ وكلَّ ما فيها، واستراح في اليومِ السابعِ. **لذلك باركَ الربُّ يومَ السبتِ وقدّسهُ**»[2].

تعالى الله ﷻ عمّا وصفوه من التعب والنصب، وقد ردّ الله ﷻ على قول اليهود هذا في كتابه العزيز في قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ (ق/38) . قال قتادة: " هذه الآية نزلت في يهود المدينة؛ زعموا أن الله ﷻ خلق السموات والأرض

1) تكوين 2 : 3 .

2) خروج 20 : 11 .

في ستة أيام، أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة، واستراح يوم السبت؛ فجعلوه راحة، فأكذبهم الله ﷻ في ذلك" [1] .

ومن ذلك أيضاً ما ورد في سفر الخروج: «هذا ما قال الرّبّ: غدًا عطلةٌ، **سَبْتٌ مقدَّسٌ للربّ**. اخبزوا ما تخبزون واطبخوا ما تطبخون. وكلّ ما فضِلَ ضَعوهُ عندكُم ليُحفظَ إلى الغدِ»[2] .

ب- الربّ يقدّس ويبارك أشخاصاً:

إذ ورد في كثير من النصوص في التوراة تقديس الربّ ومباركته لأشخاص، كالأنبياء مثلاً، ومن ذلك قول الربّ -سبحانه- لإبراهيم عليه السلام: « **أُباركُكَ مباركةً، وأُكثِّرُ نسلَكَ تكثيرًا كنجومِ السَّماء** وكالرّمل الذي على شاطئِ البحرِ، ويرثُ نسلُكَ بابَ أعدائِهِ»[3] .

ثم يبارك الربّ إسحاق عليه السلام من بعد إبراهيم قائلاً له: « تغرّب في هذه الأرض، **فأكُونَ معكَ وأُباركَكَ**، لأنّي لكَ ولنسلكَ أُعطي جميع هذه البلاد، وأفي بالقسم الّذي أقسمتُ لإبراهيمَ أبيكَ»[4] .

وفي مفهوم التوراة قد ينتزع البشر البركة انتزاعاً من الله!، فقد ورد ذلك في القصة العجيبة التي حكت صراع يعقوب عليه السلام مع الربّ – تعالى الله عما يقولون- والتي أصرّ فيها يعقوب على عدم إطلاق الربّ – إذ صرعه يعقوب- سوى بمباركة الربّ إياه!، وقد كان[5] .

وقد يوقع الله ﷻ البركة على أشخاص بسبب وجود شيءٍ مقدّس وسطهم – بزعم التوراة- ومن ذلك ما ورد في سفر صموئيل الثاني من مباركة الله ﷻ لأهل بيتٍ بسبب وجود "تابوت الربّ" وسطهم: « **وَبَارَكَ الرَّبُّ عُوبِيدَ أَدُومَ وَكُلَّ بَيْتِهِ، فَأُخْبِرَ الْمَلِكُ دَاوُدُ وَقِيلَ لَهُ: «قَدْ بَارَكَ الرَّبُّ بَيْتَ عُوبِيدَ أَدُومَ، وَكُلَّ مَا لَهُ بِسَبَبِ تَابُوتِ اللهِ،** فَذَهَبَ دَاوُدُ وَأَصْعَدَ تَابُوتَ اللهِ مِنْ بَيْتِ عُوبِيدَ أَدُومَ إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ بِفَرَحٍ» [6] .

---

1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (24/17) .
2) خروج 16 : 23 .
3) تكوين 22 : 17 .
4) تكوين 26 : 3 .
5) **انظر**: تكوين 32 : 24 – 30 .
6) صموئيل الثاني 6 : 11 – 12 .

ت- الربّ يقدس ويبارك أُمّةً بأكملها:

القدسية الصادرة عن الربّ - سبحانه- في مفهوم التوراة قد تطال أمّة بأكملها، بغثّها وسمينها، فهي أمّة طاهرة منزّهة مكرّمة من ربها، كيف لا وهي أُمّة الربّ أصلاً، بزعمهم!.

ومما ورد في تقديس الأمة (الإسرائيلية)- بحسب التوراة- ما ورد في سفر الخروج من أمر الله ﷻ لنبيه موسى عليه السلام بأن يقول لبني إسرائيل: « **وأنْتُم تكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَةً**»[1] .

ثم يقول له الربّ أيضاً – أي لموسى عليه السلام: « وأنت تُكلّم بني إسرائيل قائلاً: سُبُوتي تحفظُونها، لأنّه علامةٌ بيني وبينكم في أجيالِكم، **لتعلَموا أنّي أنا الربّ الذي يقدّسُكُم**»[2] .

وقد أعطى الربّ لبني إسرائيل على لسان موسى عليه السلام بركةً أبديةً شاملةً لهم ولبنيهم، ولبهائمهم كذلك!، فقد جاء في سفر التثنية بعد سرد وصايا الربّ لشعب بني إسرائيل: « ... يَحْفَظُ لَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ الْعَهْدَ وَالإِحْسَانَ اللَّذَيْنِ أَقْسَمَ لآبَائِكَ، **وَيُحِبُّكَ وَيُبَارِكُكَ وَيُكَثِّرُكَ وَيُبَارِكُ ثَمَرَةَ بَطْنِكَ وَثَمَرَةَ أَرْضِكَ**: قَمْحَكَ وَخَمْرَكَ وَزَيْتَكَ وَنِتَاجَ بَقَرِكَ وَإِنَاثَ غَنَمِكَ، عَلَى الأَرْضِ الَّتِي أَقْسَمَ لآبَائِكَ أَنَّهُ يُعْطِيكَ إِيَّاهَا .**مُبَارَكًا تَكُونُ فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. لاَ يَكُونُ عَقِيمٌ وَلاَ عَاقِرٌ فِيكَ وَلاَ فِي بَهَائِمِكَ**»[3] .

ث- الربّ يقدّس ويبارك أماكن:

وقد يقدّس الربّ أماكن مخصوصة، فقد ذكرت التوراة أنّ الربّ تراءى لسليمان عليه السلام، ليبلغه بتقديس البيت الذي بناه للربّ، بل وسيبقى قلبُ الربّ فيه إلى الأبد!، إذ جاء في سفر الملوك الأول: « وَكَانَ لَمَّا أَكْمَلَ سُلَيْمَانُ بِنَاءَ بَيْتِ الرَّبِّ ... وَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: قَدْ سَمِعْتُ صَلاَتَكَ وَتَضَرُّعَكَ الَّذِي تَضَرَّعْتَ بِهِ أَمَامِي، **قَدَّسْتُ هذَا الْبَيْتَ الَّذِي بَنَيْتَهُ لأَجْلِ وَضْعِ اسْمِي فِيهِ إِلَى الأَبَدِ، وَتَكُونُ عَيْنَايَ وَقَلْبِي هُنَاكَ كُلَّ الأَيَّامِ**»[4] .

---

1) خروج 19 : 6 .
2) خروج 31 : 13 .
3) تثنية 7: 12 – 14 .
4) الملوك الأول 9 : 1- 3 .

2. بركة وقدسية مصدرها البشر:

يلاحظ الباحث من خلال تعريف قاموس الكتاب المقدّس للتقديس– المذكور آنفاً– أنّ في أدبيات الكتاب المقدّس –والتوراة جزؤه الأهم– يُطلَق التقديس على تغيير القلب وتحويل الحال إلى الطهر والنقاء، وهذا قد يكون مفهوماً إذا كان مصدره الربّ ﷻ، لكن؛ عندما يقوم بشرٌ مخلوق بتقديس بشرٍ أو شيءٍ أو مكان فإنه الأمر يبدو غريباً وشاذاً، إذ تغيير القلب والحال هي من اختصاص العليم الخبير سبحانه.

وعليه فإنّ مفهوم التوراة للتقديس ووضع البركة في الأشياء والأشخاص –بحسب فهم الباحث– وصل حدود قدرات البشر، فهم يقدّسون ويباركون، وبركتهم وتقديسهم ليست آنية يستفاد منها في الحال– وقت حدوثها– فحسب؛ بل قد تكون بركة متوارثة كتلك التي يضعها الله ﷻ في عباده وخلقه! **ومن صور التقديس (بشرية المصدر) مما ورد في التوراة ما يلي:**

أ. البشر يقدّسون ويباركون أزماناً:

ومن تقديس البشر للأزمان ما تحكيه التوراة عن أمر الربّ لموسى عليه السلام بتقديس بني إسرائيل السّنة الخمسين من الدخول إلى الأرض المقدّسة في ما نصّه: « **وَتُقَدِّسُونَ السَّنَةَ الْخَمْسِينَ،** وَتُنَادُونَ بِالْعِتْقِ فِي الأَرْضِ لِجَمِيعِ سُكَّانِهَا، تَكُونُ لَكُمْ يُوبِيلاً [1] ... »[2] .

ب. البشر يقدّسون ويباركون أشخاصاً:

وقد تمتد القدسية والتبريك من البشر إلى أمثالهم، ومن ذلك مباركة أخوة زوجة إسحاق عليه السلام لها عند أخذها زوجةً له: « **وباركُوا رِفقَةَ وقالوا لها: أنتِ أُختُنا، صِيرِي أُلُوفَ رِبواتٍ، وليرِثْ نسلُكِ بابَ مُبغضِيهِ**»[3] .

---

1) **اليوبيل:** هي السنة التي تلي أسبوع الأسابيع في مفهوم التوراة، أي: سنة الخمسين، و في هذه السنة تُردّ جميع الأشياء والأماكن والأشخاص إلى حالتها الأصلية قدر الإمكان، فيحرر العبيد (عبرانيو الأصل) وتردّ جميع الرهون إلى أصحابها الأصليين [قاموس الكتاب المقدّس، جورج بوست، (543/2)– بتصرف] .

2) لاويين 25 : 10 .

3) تكوين 24 : 60 .

وهنا أيضاً توظيف من كاتب التوراة لهذا الحدث الغابر في الإيحاء بأفضلية نسل إسحاق ﷺ على غيره، وأنه لا بد وأن يرث أرض أعدائه!.

وقد يمتلك الإنسان بركةً خاصةً يعطيها لمن يحبّ!، ومن ذلك: ما ورد في سفر التكوين من قول إسحاق ﷺ لابنه (عيسو) – وهو على فراش الموت – بزعم التوراة–: « ائْتِنِي بِصَيدٍ واصْنَعْ لِيْ أَطْعِمَةً لآكُلَ **وأُبارِكَكَ أمامَ الربِّ قبلَ وَفَاتِي»**[1]، ولكن يعقوب ابن اسحاق – عليهما السلام– يسارع بإحضار الطعام بإيعازٍ من أمّه؛ كي يسرق بركة أخيه من أبيه! « فَقَالَ يَعْقُوبُ لأَبِيهِ: «أَنَا عِيسُو بِكْرُكَ، قَدْ فَعَلْتُ كَمَا كَلَّمْتَنِي، **قُمِ اجْلِسْ وَكُلْ مِنْ صَيْدِي لِكَيْ تُبَارِكَنِي نَفْسُكَ**»[2]. ويقع الأبُ في المصيدة ويباركُ يعقوبَ – لغرض يريده كاتب التوراة– ثم يأتي (عيسو) بالصيد ليتحصّل على البركة، ولكن هيهات!! قد فاته الخير هو ونسله إلى الأبد!، « **فَقَالَ عِيسُو لأَبِيهِ: أَلَكَ بَرَكَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَطْ يَا أَبِي؟ بَارِكْنِي أَنَا أَيْضًا يَا أَبِي، وَرَفَعَ عِيسُو صَوْتَهُ وَبَكَى**»[3]!!، فكانت النتيجة: « **فَحَقَدَ عِيسُو عَلَى يَعْقُوبَ مِنْ أَجْلِ الْبَرَكَةِ الَّتِي بَارَكَهُ بِهَا أَبُوهُ**، وَقَالَ عِيسُو فِي قَلْبِهِ: قَرُبَتْ أَيَّامُ مَنَاحَةِ أَبِي، فَأَقْتُلُ يَعْقُوبَ أَخِي»[4].

ومع أن الخدعة انكشفت وافتضحت أمام إسحاق ﷺ إلاّ أنّه عاد من جديد و أكّد على بركة يعقوب (المسروقة) دون أخيه!: « **فَدَعَا إِسْحَاقُ يَعْقُوبَ وَبَارَكَهُ، وَأَوْصَاهُ وَقَالَ لَهُ: لاَ تَأْخُذْ زَوْجَةً مِنْ بَنَاتِ كَنْعَانَ**»[5].

وأمام هذه القصة التوراتية العجيبة في البركة المسروقة التي تمتد إلى الأبد، يتساءل المرء أوّلَ ما يتساءلُ، أين الربّ – ﷻ– من كل ما جرى؟! أليس إسحاق ﷺ هو القائل في بداية الأمر: «وأباركَكَ أمام الربّ»؟!، وإذا كان يعقوب ﷺ قد ظفر بإسحاق ﷺ خداعاً وتدليساً – بزعمهم– فأين ربّهما الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؟!

1) تكوين 27 : 7 .
2) تكوين 27 : 19 .
3) تكوين 27 : 38 .
4) تكوين 27 : 41 .
5) تكوين 28 : 1 .

إنّ هذه الرواية – فيما يتضح للباحث– من أهمّ الروايات التي تفنّد مفهوم البركة والتقديس في العقيدة اليهودية، وقد بُنيت عقيدتهم في التقديس – والأرض المقدسة خاصّة – على أشباه هذه النصوص.

وبما أنّ يعقوب عليه السلام قد امتلك البركة، فإنّه أصبح قادراً على مباركة غيره، وممن باركهم يعقوبُ عليه السلام، فرعون مصر– بزعم التوراة–، وذلك بعد عودته وبنيه إلى مصر في عهد ولده يوسف عليه السلام، إذ يقول كاتب التوراة: « ثُمَّ أَدْخَلَ يُوسُفُ يَعْقُوبَ أَبَاهُ وَأَوْقَفَهُ أَمَامَ فِرْعَوْنَ، **وَبَارَكَ يَعْقُوبُ فِرْعَوْنَ**»[1].

ويحرص الكاتب على توريث البركة رأساً من يعقوب عليه السلام إلى كل أسباط بني إسرائيل، فيحكي مشهد الوداع ليعقوب عليه السلام على فراش موته، إذ يبارك كل أسباطه: « **جَمِيعُ هؤُلاَءِ هُمْ أَسْبَاطُ إِسْرَائِيلَ الاثْنَا عَشَرَ، وَهذَا مَا كَلَّمَهُمْ بِهِ أَبُوهُمْ وَبَارَكَهُمْ، كُلُّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ بَرَكَتِهِ بَارَكَهُمْ**»[2] .

ت. البشر يقدّسون ويباركون أمّة بأكملها:

فتقديس ومباركة الأمم – بنظر التوراة – ليس حكراً على الربّ – سبحانه وتعالى– بل إنّ البشر في مقدورهم أن يضعوا البركة، ويقدّسوا أمة وشعباً.

فهذا موسى عليه السلام يقدّس كلّ بني إسرائيل، بل وبهائمهم أيضاً، وبأمرٍ من الربّ: « وكلم الربُّ موسى قائلاً: **قَدّس لي كلّ بكْرٍ، كلّ فَاتِح رَحِمٍ من بني إسرائيل، من النّاس ومن البهائم. إنّهُ لي »**[3].

ويخاطبه الربّ مجدداً بأن يقدّس كلّ الشعب– أي بني إسرائيل: « فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: **اذْهَبْ إِلَى الشَّعْبِ وَقَدِّسْهُمُ الْيَوْمَ وَغَدًا** »[4] .

ويتكرر مشهد مباركة موسى وهارون –عليهما السلام– لشعب بني إسرائيل، ويحصل بمباركتهما أن (مجد الربّ) يتراءى لبني إسرائيل! « **ثُمَّ رَفَعَ هَارُونُ يَدَهُ نَحْوَ الشَّعْبِ وَبَارَكَهُمْ**، وَانْحَدَرَ مِنْ

---

1) تكوين 47 : 7 .
2) تكوين 49 : 28 .
3) خروج 13 : 2 .
4) خروج 19 : 10 .

عَمَلِ ذَبِيحَةِ الْخَطِيَّةِ وَالْمُحْرَقَةِ وَذَبِيحَةِ السَّلاَمَةِ، وَدَخَلَ مُوسَى وَهَارُونُ إِلَى خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ، **ثُمَّ خَرَجَا وَبَارَكَا الشَّعْبَ، فَتَرَاءَى مَجْدُ الرَّبِّ لِكُلِّ الشَّعْبِ**»[1].

ما هو مجد الربّ الذي يتراءى (لكل الشعب) بفضل مباركة النبيَّين (لكل الشعب)؟! لا أحد يجد تفسيراً كيف كان يحدث هذا، وما دامت البركة تتوالى ويتقاطر مجد الربّ على بني إسرائيل، فلماذا اتّفق أن حلّ غضب الربّ على بني إسرائيل بنص القرآن والتوراة والإنجيل؟، خاصةً بمعاقبتهم بفترة التيه في صحراء سيناء، وهي الفترة التي أعقبت هذه البركات المتواترة المزعومة، والتي تسوقها التوراة!!

ومن قصص التوراة في مباركة بني إسرائيل، ما أورده كاتب سفر العدد من قصة نبي يدعى "بَلعام"[2]، حين دخل بنو إسرائيل نهر الأردنّ إلى أريحا، طلب ملك موآب[3] – الذي يدعى "بالاق"[4] – إلى بلعام أن يلعن بني إسرائيل كي لا يمكّنهم الله ﷻ من الأرض، مرسلاً – أي بالاق– برسول له قائلاً: « **فَالآنَ تَعَالَ وَالْعَنْ لِي هذَا الشَّعْبَ، لأَنَّهُ أَعْظَمُ مِنِّي، لَعَلَّهُ يُمْكِنُنَا أَنْ نَكْسِرَهُ فَأَطْرُدَهُ مِنَ الأَرْضِ، لأَنِّي عَرَفْتُ أَنَّ الَّذِي تُبَارِكُهُ مُبَارَكٌ وَالَّذِي تَلْعَنُهُ مَلْعُونٌ**»[5].

---

1) اللاويين 9 : 22– 23 .

2) بَلعام: هو – بحسب الكتاب المقدّس– نبيٌ موحّدٌ عاش في قريةٍ في بلاد ما بين النهرين، أي في موطن إبراهيم الخليل عليه السلام، وكان مشهوراً في جيله، وكان الناس يقصدونه للتبرك، فعلا شأنه وذاع صيته، ويزعم كاتب التوراة أنّه بارك (إسرائيل) ثلاث مرات بأمر الربّ، ورفض لعنها، كما تروي التوراة له معجزات وأحوال عجيبة، بينها كلام حماره! **[انظر:** قاموس الكتاب المقدّس، جورج بوست، (247/1) **]**.

3) موآب: هو اسم بكر ابنة لوط من أبيها – بزعم التوراة– وموآب أبو الموآبيين، وكانت أرض موآب حسب التوراة في البداية "للإيميين"، وكان يحدّها في الأصل "أرنون"، ثم امتدت إلى الشمال في أرض الأموريين، ويطلق الكتاب المقدّس "عربات موآب" على ما كان في وادي الأردن قبالة أريحا **[انظر:** قاموس الكتاب المقدّس، جورج بوست، (385/2) **]**.

4) بالاق: وتعني: نهّاب، ملك الموآبيين، كان بينه وبين بني إسرائيل عداوة وفق ما ورد في التوراة، وقد عاش في زمن النبي "بَلعام"، وهو الذي طلب إليه أن يلعن بني إسرائيل أمام الملأ، فتزعم التوراة أنّه رفض، بل وباركهم، مما أثار غضب بالاق وقومه **[انظر:** قاموس الكتاب المقدّس، جورج بوست، (1/ 207، 247) **]**.

5) العدد 22: 6 .

لكن بَلعام طلب مهلةً لينتظر أمر الربّ، وكان جواب الربّ له: « **فَقَالَ اللهُ لِبَلْعَامَ: لاَ تَذْهَبْ مَعَهُمْ وَلاَ تَلْعَنِ الشَّعْبَ، لأَنَّهُ مُبَارَكٌ**»[1]، وأرسل الملك يفاوض بَلعام على اللعنة، مرسلاً له وفداً جديداً وهدايا عظيمة! فخرج منطلقاً معهم على أتانه صوب الملك، فغضب الربّ – خشية أن يبارك بَلعام قوم موآب ويلعن بني إسرائيل!!– و تحدّثَت الأتان مع بَلعام في معجزةٍ واضحة! وأمره الربّ بأن يبارك بني إسرائيل وأن لا يلعنهم، ففعل ذلك وباركهم على الملأ، وقال فيهم قولاً عظيماً لم يقله أحدٌ في أمّة خلت، وكان ممّا قاله بَلعام: « مِنْ أَرَامَ أَتَى بِي بَالاَقُ مَلِكُ مُوآبَ، مِنْ جِبَالِ الْمَشْرِقِ: تَعَالَ الْعَنْ لِي يَعْقُوبَ، وَهَلُمَّ اشْتِمْ إِسْرَائِيلَ، **كَيْفَ أَلْعَنُ مَنْ لَمْ يَلْعَنْهُ اللهُ؟ وَكَيْفَ أَشْتِمُ مَنْ لَمْ يَشْتِمْهُ الرَّبُّ؟ إِنِّي مِنْ رَأْسِ الصُّخُورِ أَرَاهُ، وَمِنَ الآكَامِ أُبْصِرُهُ. هُوَذَا شَعْبٌ يَسْكُنُ وَحْدَهُ، وَبَيْنَ الشُّعُوبِ لاَ يُحْسَبُ**»[2] .

إنّ ما يشير إليه هذا النص –حسب فهم الباحث– هو اعتقاد في غاية الغرابة والاضطراب، فالتوراة ترسّخ مجدداً مفهوم أنّ القدسية والبركة تُمنح من قبل نبي – هذا إن صحّ أنه نبي–، ولو شاء لفعل خلافها، أي اللعنة، وإذا بارك النبي شعب بني إسرائيل أو لعنهم، فإنّ البركة أو اللعنة ستحل عليهم وعلى أجيالهم! الأمر الذي استدعى أن يرسل الله ﷻ ملاكاً – حسب سفر العدد– ليقاوم النبي كي لا يصل إلى بني إسرائيل ليلعنهم على خلاف إرادة الربّ – تعالى الله عما يقولون–، كما أنّ اللعنة أو البركة هي فعل مباشر من النبي أمام الشعب، وكأنه يرشّهم بخرطوم مياه فتصل البركة حيث وصلت المياه!.

كما أنّ النتيجة التي يصل إليها واضع التوراة من وراء سرد هذه القصة الطويلة[3] يسطّره في قوله: (هو ذا شعبٌ يسكن وحده، وبين الشعوب لا يُحسب) وهي إشارة – بنظر الباحث– في غاية القوة والصراحة بأنّ مفهوم البركة التي حلّت على هذا الشعب مرتبطة بسكناه وحده من بين الأمم في هذه الأرض وملكيته الأبدية لها، بذات الغطاء الديني التوراتي (المقدّس).

بل إنّ منح البركة في مفهوم التوراة ليس مقصوراً على الأنبياء، فالربّ يأمر موسى عليه السلام أن يعلّم بني هارون كيف يباركون بني إسرائيل، فيما نصّه: « وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: كَلِّمْ هَارُونَ وَبَنِيهِ

1) العدد 22 : 12 .

2) العدد 23 : 7– 9 .

3) القصة بكاملها يسردها سفر العدد في ثلاثة إصحاحات كاملة وهي: 22، 23، 24 .

قَائِلاً: **هكَذَا تُبَارِكُونَ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلِينَ لَهُمْ: يُبَارِكُكَ الرَّبُّ وَيَحْرُسُك، يُضِيءُ الرَّبُّ بِوَجْهِهِ عَلَيْكَ وَيَرْحَمُكَ، يَرْفَعُ الرَّبُّ وَجْهَهُ عَلَيْكَ وَيَمْنَحُكَ سَلاَمًا، فَيَجْعَلُونَ اسْمِي عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَنَا أُبَارِكُهُمْ** »[1] .

ث. البشر يقدّسون ويباركون أماكن:

فقد يأمر الربّ ﷻ البشر أن يقدّسوا أماكن بعينها، حسب التوراة، فمثلاً؛ الربّ أمر موسى عليه السلام وشعبه أن يقدّسوا جبلاً في سيناء؛ لا أن يعتبروه مقدّساً، بل ليقوموا هم بتقديسه، فيما نصّه: «فَقَالَ مُوسَى لِلرَّبِّ: لاَ يَقْدِرُ الشَّعْبُ أَنْ يَصْعَدَ إِلَى جَبَلِ سِينَاءَ، لأَنَّكَ أَنْتَ حَذَّرْتَنَا قَائِلاً: **أَقِمْ حُدُودًا لِلْجَبَلِ وَقَدِّسْهُ**»[2] .

وقد يبني النبيّ بناءً في مكان مخصص، ثم يقوم بتقديسه، فيصبح مقدّساً، ومن ذلك قول التوراة: « **وَيَوْمَ فَرَغَ مُوسَى مِنْ إِقَامَةِ الْمَسْكَنِ، وَمَسَحَهُ وَقَدَّسَهُ وَجَمِيعَ أَمْتِعَتِهِ، وَالْمَذْبَحَ وَجَمِيعَ أَمْتِعَتِهِ وَمَسَحَهَا وَقَدَّسَهَا**»[3] .

ج. البشر يقدّسون ويباركون أشياء:

ومما ورد في ذلك في التوراة أمرُ الربّ نبيّه موسى عليه السلام أن يصنع ثياباً مقدّسة لهارون عليه السلام كما في سفر الخروج: « **وَاصْنَعْ ثِيَابًا مُقَدَّسَةً لِهَارُونَ أَخِيكَ لِلْمَجْدِ وَالْبَهَاءِ**»[4].

وهذه الثياب التي يصنعها موسى عليه السلام ويضفي عليها قداسةً لا نعلم كُنهَها، يصبح لها شأن عظيم!؛ إذ يرد ذكرها كثيراً في التوراة، بل إنّ بني هارون يتوارثونها جيلاً بعد جيل، ويرثون قداستها أيضاً بأمر الربّ، ويلبسها الكُهّان، ويصنعون بها طقوساً محددة بدقة من الربّ أيضاً: « **وَالثِّيَابُ الْمُقَدَّسَةُ الَّتِي لِهَارُونَ تَكُونُ لِبَنِيهِ بَعْدَهُ، لِيُمْسَحُوا فِيهَا، وَلِتُمْلأَ فِيهَا أَيْدِيهِمْ، سَبْعَةَ أَيَّامٍ يَلْبَسُهَا الْكَاهِنُ الَّذِي هُوَ عِوَضٌ عَنْهُ مِنْ بَنِيهِ، الَّذِي يَدْخُلُ خَيْمَةَ الاجْتِمَاعِ لِيَخْدِمَ فِي الْقُدْسِ**» [5].

---

1) العدد 6 : 22- 27 .
2) خروج 19 : 23 .
3) العدد 7 : 1 .
4) خروج 28 : 2 .
5) خروج 29 : 29-30 .

ومما يتقدّس ويتبارك، الطعامُ؛ فالطعام الذي يقدّم للربّ على المذبح مثلاً هو طعام مقدّس، أينما صُنع وأياً من صنعه، إذا كان بالمقادير المأمور بها، فهو مقدّس، ليس ذلك فحسب، بل إنّ كلّ من يمسّه يصبح مقدّساً أيضاً!!، يقول سفر اللاويين: « وَهذِهِ شَرِيعَةُ التَّقْدِمَةِ: يُقَدِّمُهَا بَنُو هَارُونَ أَمَامَ الرَّبِّ إِلَى قُدَّامِ الْمَذْبَحِ، وَيَأْخُذُ مِنْهَا بِقَبْضَتِهِ بَعْضَ دَقِيقِ التَّقْدِمَةِ وَزَيْتِهَا وَكُلَّ اللُّبَانِ الَّذِي عَلَى التَّقْدِمَةِ، وَيُوقِدُ عَلَى الْمَذْبَحِ رَائِحَةَ سَرُورٍ تَذْكَارَهَا لِلرَّبِّ .وَالْبَاقِي مِنْهَا يَأْكُلُهُ هَارُونُ وَبَنُوهُ. **فَطِيرًا يُؤْكَلُ فِي مَكَانٍ مُقَدَّسٍ.** فِي دَارِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ يَأْكُلُونَهُ .لاَ يُخْبَزُ خَمِيرًا. قَدْ جَعَلْتُهُ نَصِيبَهُمْ مِنْ وَقَائِدِي. **إِنَّهَا قُدْسُ أَقْدَاسٍ** كَذَبِيحَةِ الْخَطِيَّةِ وَذَبِيحَةِ الإِثْمِ. كُلُّ ذَكَرٍ مِنْ بَنِي هَارُونَ يَأْكُلُ مِنْهَا. فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً فِي أَجْيَالِكُمْ مِنْ وَقَائِدِ الرَّبِّ. **كُلُّ مَنْ مَسَّهَا يَتَقَدَّسُ»**[1] .

خلاصة المطلب:

أولاً: إنّ القدسية والبركة واسعة الدلالة في منطوق ومفهوم العهد القديم، فالله ﷻ يقدِّسُ ويُقدّس، وكذا البشر يقدِّسون ويُبارِكون غيرهم من البشر، وهم يتقدّسون من البشر الآخرين، والأماكن والأشياء يقع عليها التقديس ويستمر في الأجيال، بسبب صدور التقديس عن نبي أو كاهن أو عرّاف، أو حتّى بسبب مسّ ما هو مقدّس أصلاً!.

ثانياً: تتضح جلياً المبالغة في وصف التقديس وما يقابله– أي اللعن– عندما يتعلق الأمر بالأرض الموعودة لبني إسرائيل –بزعم التوراة المحرفة– إذ تلعن التوراة كل من يتجرأ على مقاومة وجود (شعب إسرائيل) في هذه الأرض، وترتبط قدسية الأرض والشعب بالملك الأبدي للأرض في أية مناسبة تذكر فيها القدسية والبركة غالباً.

ثالثاً: يظهر الاضطراب في مفهوم التقديس التوراتي من خلال اختلاف معنى التقديس والبركة من موضع لموضع، ومن خلال تعدد مصادر التقديس ووهب البركة.

رابعاً: إنّ الكثير من المواضع التي ذُكرت فيها القدسية والبركة تتصادم مع العقل السليم والدين القويم؛ كانتزاع البركة والقدسية، وسرقتها، والتحايل على جلبها، والتفاوض حول إعطائها من بشر لبشر، والمبالغة في وصف دقائق المقدّسات من أطعمة وأشربة وألبسة وأمتعة تتناقلها الأجيال بقدسيتها.

---

1) اللاويين 6 : 14-18 .

المطلب الثالث

جغرافيا الأرض المقدسة في التراث اليهودي

بات واضحاً بعد دراسة النصوص التوراتية المتوفرة بين أيدينا أنّ التوراة المحرّفة التي يدين بها اليهود اليوم تَعتبر الأرضَ والإنسانَ والشعبَ ثالوثاً مقدّساً في سابقة ربما في تاريخ الأمم جميعاً.

وإذا علمنا ذلك، فلا بد أن نعلم ما هي هذه الأرض المقدّسة الموعودة، المرتبطة حتمياً بوجود أجيال اليهود – بزعمهم– إلى أبد الدهر؟ وما هي حدود هذه الأرض التي يؤمنون بقدسيتها وملكيتها؟ هذا ما يجيب عنه التراث اليهودي التوراتي.

إذ ورد أول وعد إلهيّ لإبراهيم– بحسب العهد القديم– عندما أمره ربّه بالعبور إلى **أرض كنعان**، أي: ما يسمى الآن بأرض فلسطين كما سبق ذكره، إذ جاء ذلك في عبارات عدة وردت في سفر التكوين، من مثل: « وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. فَأَجْعَلَكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعَظِّمَ اسْمَكَ، وَتَكُونَ بَرَكَةً ... فَأَخَذَ أَبْرَامُ سَارَايَ امْرَأَتَهُ، وَلُوطًا ابْنَ أَخِيهِ، وَكُلَّ مُقْتَنَيَاتِهِمَا الَّتِي اقْتَنَيَا وَالنُّفُوسَ الَّتِي امْتَلَكَا فِي حَارَانَ، **وَخَرَجُوا لِيَذْهَبُوا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ. فَأَتَوْا إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ ... وَظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ وَقَالَ: لِنَسْلِكَ أُعْطِي هذِهِ الأَرْضَ**» (1) .

وبعد اعتزال لوطٍ عليه السلام عن إبراهيم عليه السلام – كما تذكر التوراة– فإنّ الربّ كرّر الوعد لإبراهيم عليه السلام مع تأكيد أبديته لنسله قائلاً: « وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ، بَعْدَ اعْتِزَالِ لُوطٍ عَنْهُ: ارْفَعْ عَيْنَيْكَ **وَانْظُرْ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ شِمَالاً وَجَنُوبًا وَشَرْقًا وَغَرْبًا، لأَنَّ جَمِيعَ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ تَرَى لَكَ أُعْطِيهَا وَلِنَسْلِكَ إِلَى الأَبَدِ، وَأَجْعَلُ نَسْلَكَ كَتُرَابِ الأَرْضِ،** حَتَّى إِذَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يَعُدَّ تُرَابَ الأَرْضِ فَنَسْلُكَ أَيْضًا يُعَدُّ. قُمِ امْشِ فِي الأَرْضِ **طُولَهَا وَعَرْضَهَا**، لأَنِّي لَكَ أُعْطِيهَا»(2) .

---

1) تكوين 12 : 1– 7 .

2) تكوين 13 : 14 – 17 .

من العجيب –في فهم الباحث– أن يكون النص الموحى به – بزعم المؤمنين بالتوراة الحالية– متناقضاً مع المنطق البشري السليم والعلم البديهي، فأي نسل هذا الذي يفوق عدده عدد تراب الأرض؟! إذ لو كان كل البشر منذ إبراهيم ﷺ إلى يوم الدين هم نسله –افتراضاً– لما بلغوا شيئاً أمام عدد تراب الأرض، فكيف بالتوراة هنا في هذا النص العجيب تسوق وعداً إلهياً لم يتحقق ولن يتحقق، فالواقع والعلم والشرع والعقل كلّها كفيلة بردّ هذا النص والجزم بتحريفه وبشريته.

وتحرص التوراة على التذكير بوعد الربّ لإبراهيم بالملكية الأبدية **لأرض كنعان** بعد أن جاوز التسعين من عمره، إذ جاء الوعد مجدداً أكثر قوةً وصراحة، فيقول الربّ لإبراهيم: « وَأُقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لأَكُونَ إِلهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ، **وَأُعْطِي لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ، كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا، وَأَكُونُ إِلهَهُمْ**»[1] .

ويلاحظ الباحث في هذا الوعد التأكيد على **ملكية أرض كنعان** كلّها، وعلى التأبيد أيضاً، كما أنه يصرّح بتوريث العهد والوعد، وأنه لن يبقى وعداً خاصاً لإبراهيم ﷺ بل إنّ الربّ سيقيمه مع نسله في أجيالهم.

وإن كان الوعد على عهد إبراهيم ﷺ عاماً قد يستغرق كلّ نسله، فقد عمدت التوراة إلى تخصيص هذا الوعد بأبناء يعقوب، ولمزيدٍ من الترسيخ لهذا المفهوم، فإن التوراة أكّدت على الوعد ليعقوب ﷺ بمجرد حادثة مصارعة الربّ – بزعم التوراة المحرّفة– والتي أشار الباحث إليها سابقاً، إذ يحرص كاتب التوراة على تدعيم ارتباط **أرض كنعان** بإسرائيل ونسله، إذ يقول الكاتب:« وَقَالَ لَهُ اللهُ: اسْمُكَ يَعْقُوبُ. لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِيمَا بَعْدُ يَعْقُوبَ، **بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إِسْرَائِيلَ. فَدَعَا اسْمَهُ إِسْرَائِيلَ** .وَقَالَ لَهُ اللهُ: أَنَا اللهُ الْقَدِيرُ. أَثْمِرْ وَاكْثُرْ. أُمَّةٌ وَجَمَاعَةُ أُمَمٍ تَكُونُ مِنْكَ، وَمُلُوكٌ سَيَخْرُجُونَ مِنْ صُلْبِكَ .**وَالأَرْضُ الَّتِي أَعْطَيْتُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ، لَكَ أُعْطِيهَا، وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أُعْطِي الأَرْضَ**»[2] .

وعندما يصل قطار التاريخ ببني إسرائيل إلى نبيهم موسى ﷺ فإن الربّ يحرص في أول لقاء بموسى ﷺ – بزعم التوراة– على تأكيد الوعد لبني إسرائيل بالأرض المقدّسة (أرض

1) تكوين 17 : 7 – 8 .

2) تكوين 35 : 10 – 12 .

الكنعانيين ومن معهم)، « فَقَالَ الرَّبُّ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ مِنْ أَجْلِ مُسَخِّرِيهِمْ. إِنِّي عَلِمْتُ أَوْجَاعَهُمْ، فَنَزَلْتُ لأُنْقِذَهُمْ مِنْ أَيْدِي الْمِصْرِيِّينَ، **وَأُصْعِدَهُمْ مِنْ تِلْكَ الأَرْضِ إِلَى أَرْضٍ جَيِّدَةٍ وَوَاسِعَةٍ، إِلَى أَرْضٍ تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَلاً، إِلَى مَكَانِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ**[1] » [2] .

ولأن الناظر إلى هذا النص يجده لا يتضمن وعداً صريحاً لبني إسرائيل بالأرض؛ إذ إنه لا يعدو كونه إنقاذاً لهم من فرعون وإجلاؤهم إلى الأرض المقدّسة مؤقتاً، لأجل هذا الغرض فإنّ كاتب النصّ – بفهم الباحث– عمد إلى التذكير بأنّ عملية الانقاذ الربّاني لبني إسرائيل من فرعون مصر، ما هي إلا ترجمة للوعد القديم لإبراهيم وإسحاق ويعقوب –عليهم السلام.

وليس أدلّ على ذلك من نصّ التوراة الذي يحكي أنّ الربّ لم يُخرج القوم من بطش فرعون إلاّ لأنه تذكّر وعده لآبائهم!! فيما نصّه: « ثُمَّ كَلَّمَ اللهُ مُوسَى وَقَالَ لَهُ: أَنَا الرَّبُّ .وَأَنَا ظَهَرْتُ لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ بِأَنِّي الإِلهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. وَأَمَّا بِاسْمِي يَهْوَهْ فَلَمْ أُعْرَفْ عِنْدَهُمْ **.وَأَيْضًا أَقَمْتُ مَعَهُمْ عَهْدِي: أَنْ أُعْطِيَهُمْ أَرْضَ كَنْعَانَ أَرْضَ غُرْبَتِهِمِ الَّتِي تَغَرَّبُوا فِيهَا** .وَأَنَا أَيْضًا قَدْ سَمِعْتُ أَنِينَ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ يَسْتَعْبِدُهُمُ الْمِصْرِيُّونَ، وَتَذَكَّرْتُ عَهْدِي .لِذلِكَ قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنَا الرَّبُّ. وَأَنَا أُخْرِجُكُمْ مِنْ تَحْتِ أَثْقَالِ الْمِصْرِيِّينَ وَأُنْقِذُكُمْ مِنْ عُبُودِيَّتِهِمْ وَأُخَلِّصُكُمْ بِذِرَاعٍ مَمْدُودَةٍ وَبِأَحْكَامٍ عَظِيمَةٍ، وَأَتَّخِذُكُمْ لِي شَعْبًا، وَأَكُونُ لَكُمْ إِلهًا. فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمُ الَّذِي يُخْرِجُكُمْ مِنْ تَحْتِ أَثْقَالِ الْمِصْرِيِّينَ **.وَأُدْخِلُكُمْ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي رَفَعْتُ يَدِي أَنْ أُعْطِيَهَا لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ. وَأُعْطِيَكُمْ إِيَّاهَا مِيرَاثًا. أَنَا الرَّبُّ**»[3] .

---

1) في مفهوم التوراة، **الحثّيون:** هم أبناء (حثّ) ثاني أبناء كنعان [**انظر:** قاموس الكتاب المقدّس، جورج بوست، (356/1)]، **والأموريون:** هم قبيلة من السوريين تسللت من أرض كنعان، ويطلق عليهم (الجبليّون) وهم موصوفون بالشجاعة وطول القامة، وشدة العداء لبني إسرائيل [**انظر:** المصدر السابق، (146/1)]، **و الفرزيين:** هم أهل القرى من الكنعانيين [**انظر:** المصدر نفسه، (155/2)]، **والحويين:** هم قوم من سلالة كنعان كانوا يستوطنون كنعان حين رجع يعقوب من أرام النهرين [**انظر:** المصدر نفسه، (397/1)]، **واليبوسيون:** هم قبيلة من الكنعانيين أُمر (الاسرائيليون) بإهلاكهم، سكنوا الجبال حول (أورشليم) على عهد يشوع [**انظر:** المصدر ذاته، (495/2)] .

2) خروج 3 : 7 – 8 .

3) خروج 6 : 2 – 8 .

يجد المتأمّل في النص السابق قلة أدبٍ مع الله ﷻ!؛ على افتراض أنّ الله – ﷻ– هو الربّ الذي يتحدث عنه مؤلف هذا المقطع التوراتي! وتتجلى قلة الأدب مع الله ﷻ في تصريح النصّ بأنّ الله (تذكّر) وعده السابق، أي أنّه كان قد نسي ثم حصل له التذكّر! فأي ربّ ذاك الذي يعتقد به كتبة التوراة؟ إذ ربنا ومعبودنا –جلّ ثناؤه– متنزّه فطرةً وعقلاً ونقلاً عن النسيان والغفلة، إذ ينفي ذلك عن نفسه ﷻ في قوله: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً ﴾ (مريم/64) . ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (هود123) .

ويتكرر الوعد المقدّس **بأرض كنعان** في كل مناسبة لبني إسرائيل، فها هو الربّ يذكّرهم بإعطائه الأرض إياهم وسط أحكام الشريعة في سفر اللاويين قائلاً: « **أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمُ الَّذِي أَخْرَجَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لِيُعْطِيَكُمْ أَرْضَ كَنْعَانَ، فَيَكُونَ لَكُمْ إِلهًا**»[1] .

إذاً، **فأرض كنعان** هي مادة الوعد الإلهي المزعوم في التوراة، ولأهمية هذه الأرض في التوراة فإن لفظة (كنعان) ومشتقاتها وردت في مختلف أسفار العهد القديم مائةً واثنتين وسبعين (172) مرّةً.

حدود الأرض الموعودة في التوراة:

عندما يصرّح الحاخام الصهيوني زلمان ملميد[2] قبل أعوام على الملأ قائلاً: " **يجب إعداد الشعب– أي اليهودي– للاحتلال الكبير، الذي يشمل شرقي الأردن، ويدق بوابتنا، ويجب الاستعداد لأفعال حازمة، بعد أن نخلّص الأرض برمتها** "[3]، فإنّ هذا القول له ما يسنده في توراة

1) لاويين 25 : 38 .

2) زلمان ملميد باروخ: هو حاخام يهودي ولد في "تل أبيب" عام 1937م، بدأ دراسة التوراة عام 1954م على يد الحاخام يهودا كوك تسفي، واستمر في دراستها عقداً من الزمن، وفي عام 1978م أسس مدرسة دينية يهودية في مستوطنة "بيت ايل" بالضفة الغربية، من أفكاره دعوة اليهود في العالم أجمع للقدوم إلى (فلسطين) وطرد العرب منها كلّياً [**انظر:** موسوعة ويكيبيديا الحرة، رابط www.wikipedia.org/wiki/Zalman_Baruch_Melamed، بتاريخ: 2012/09/16م] .

3) انظر: موقع صحيفة العرب اليوم، قسم الندوات، ضمن دراسة: أرض إسرائيل الكاملة حسب التفسيرات الصهيونية: رابط: www.alarabalyawm.net، بتاريخ: 2012/09/16م .

اليهود الحالية، التي رسمت خارطة الأرض الموعودة، وتوسعت في ذلك حتى شمل رسم الحدود إصحاحاً كاملاً في سفر العدد، وهو الإصحاح الرابع والثلاثين.

وهذا التصريح اليهودي لم يقتصر على رجال الدين ومتطرفي الحاخامات فحسب، بل إنّه تعدّى إلى ألسنة الساسة، رغم الحرص الكبير الذي يبديه اليهود في تجميل صورتهم أمام العالم، فهذا "بن جوريون" يقول عام 1949م: " **إننا لم نحقق بعد هدفنا وهو النصر النهائي، فنحن حتى الآن لم نحرر من بلادنا سوى قسم واحد فقط، وسنجعل الحرب حرفةً يهودية حتى يتم تحرير بلادنا كلّها، بلاد الآباء والأجداد، وسنحقق رؤيا أنبياء إسرائيل**" ! [(1)] .

ويزيد "مناحيم بيجن"[(2)] الأمر وضوحاً في خطاب له عام 1953م إذ قال: " **إنّ (إسرائيل) بوضعها الحالي لا تمثل إلا خُمس ما يجب أن تكون عليه أرض الآباء، ومن ثم يجب العمل على تحرير الأربعة أخماس الباقية**"! [(3)] .

الحدود الإجمالية:

وردت حدود الأرض الموعودة المقدّسة في التوراة مجملةً ومفصّلة؛ **أما إجمالها:** فقد جاء في عدد من أسفار العهد القديم أنّ الأرض التي وهبها الله ﷻ لبني إسرائيل هي تحديداً من نهر النيل في مصر – أو ما تسميه التوراة نهر مصر– إلى نهر الفرات في العراق، هذا ما قطعه الربّ من عهدٍ مع إبراهيم عليه السلام – بزعم التوراة– إذ جاء في سفر التكوين: « فِي ذلكَ اليومِ قطعَ الربُّ مع أبرام ميثاقاً قائلاً: **لنسلِك أُعطِي هذه الأرضَ، من نهرِ مصرَ إلى النّهرِ الكبيرِ، نهرِ الفُراتِ**»[(4)] .

---

1) إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، أبكار السقاف، مكتبة مدبولي/القاهرة، ط2، 1997م، (ص24) .

2) مناحيم بيجن (1913–1992م): رئيس الوزراء السادس في الكيان الصهيوني بين 1977–1983م، سافر إلى فلسطين عام 1942م، وترأس منظمة الأرجون الإرهابية، قال عنه ابن جوريون: "إن بيجن من النمط الهتلري فهو عنصري على استعداد لإبادة كل العرب"، أشرف بنفسه على ارتكاب مذبحة دير ياسين عام 1948م وامتدح المجزرة قائلاً: "لولا دير ياسين لما قامت (إسرائيل)"، وقّع اتفاقية السلام مع الرئيس المصري السادات عام 1979م، قامت حكومته بضرب المفاعل النووي العراقي عام 1981م، واجتياح لبنان عام 1982م، مات مكتئباً معتزلاً في شقته عام 1992م **[انظر:** زعماء صهيون، مجدي كامل، (ص233–241) **]** .

3) إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، أبكار السقاف، (ص24) .

4) تكوين 15 : 18 .

إذاً، " لا غرابة عندما يعلن المفكر الأمريكي "مايكل كولينز بايبر"[1] في محاضرة له أنّ خطة شنّ الحرب على العراق تتصل بأرض (إسرائيل الكبرى)، ولا غرابة في أن يهدي الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش الابن[2] لرئيس وزراء الكيان الصهيوني السابق شارون[3] خارطةً قديمةً (للأراضي المقدسة) تضمّ العراق، حسب ما نقلت صحيفة "يديعوت أحرونوت" العبرية في حينه"[4].

وفي إطار **التحديد الإجمالي للأرض المقدّسة،** ثنّى الربّ تحديدها لموسى عليه السلام في سفر التثنية، **فقال موسى لقومه:** « اَلرَّبُّ إِلهُنَا كَلَّمَنَا فِي حُورِيبَ[5] قَائِلاً: كَفَاكُمْ قُعُودٌ فِي هذَا الْجَبَلِ، تَحَوَّلُوا وَارْتَحِلُوا وَادْخُلُوا جَبَلَ الأَمُورِيِّينَ وَكُلَّ مَا يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبَةِ وَالْجَبَلِ وَالسَّهْلِ وَالْجَنُوبِ وَسَاحِلِ الْبَحْرِ، **أَرْضَ الْكَنْعَانِيِّ وَلُبْنَانَ**

---

1) **مايكل كولينز بايبر:** مفكر وكاتب سياسي أمريكي، ولد عام 1960م، له إسهامات فكرية في الصحافة الأمريكية الحرة، كان معارضاً قوياً لسياسة (المحافظين الجدد) بقيادة بوش الابن سابقاً، يعرف بانتقاده لسياسة ما يعرف بـ(إسرائيل) واللوبي الصهيوني في أمريكا، اتّهم الولايات المتحدة و(إسرائيل) بالمؤامرة على العالم الإسلامي **[انظر:** ويكيبيديا، رابط: www.wikipedia.org/wiki/Michael_Collins_Piper، بتاريخ: 2012/09/16م **]** .

2) **جورج بوش الابن:** ولد عام 1946م، رئيس الولايات المتحدة الثالث والأربعون، (2001– 2009م)، كان حاكماً لولاية تكساس قبل توليه رئاسة الدولة، وقد انتخب رئيساً بعد انتخابات فاز فيها على منافسه الديمقراطي آل غور، وفي عام 2004م أعيد انتخابه للمرة الثانية لمدة أربع سنوات بعد تغلبه على مرشح الحزب الديمقراطي جون كيري **[** موسوعة ويكيبيديا الحرة، **رابط:** wikipedia.org/wiki/جورج_دبليو_بوش، بتاريخ: 2013/06/16م **]** .

3) **أرئيل شارون:** زعيم صهيوني من الحرس الجديد من مواليد كفار ملال عام 1933م، من يهود بولندا أصلاً، وقد اشترك في الحرب الصهيونية ضد العرب عام 1948م وأصيب فيها، يعد مسئولاً عن مجزرة قبية عام 1953م، و مذبحة صبرا وشاتيلا عام 1982م، عُيِّن قائد لواء مدرع في العدوان الثلاثي، وكان قائد القوات التي عبرت في حرب أكتوبر 1973 قناة السويس، وقد كان هو المحرك الرئيس وراء غزو لبنان عام 1982م، في عام 2001م فاز بأغلبية ساحقة في الانتخابات العامة، وفي سنة 2004م بادر بخطة فك الارتباط الأحادية عن قطاع غزة، وفي يناير 2006م غط في غيبوبة بعد جلطة دماغية، مات على إثرها بعد نحو ثمان سنين **[انظر:** موسوعة اليهود، المسيري، (7/250–251)، **أيضاً:** موسوعة ويكيبيديا، رابط: www.wikipedia.org/wiki/أرئيل_شارون، بتاريخ: 2013/3/5م **]** .

4) موقع صحيفة العرب اليوم، قسم الندوات، بتاريخ: 2012/09/16م– بتصرف يسير.

5) **حوريب:** هي سيناء في مفهوم الكتاب المقدّس، وقد تختص أحياناً بأنها تستعمل للدلالة على ما يسميه العهد القديم بـ(جبل الله) في سيناء، وقد يقال بأن حوريب تذكر كمقاطعة جبلية أما سيناء فيذكر كقمة للجبل **[انظر:** قاموس الكتاب المقدس، جورج بوست، (1/599) **]**.

إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ . أُنْظُرْ. قَدْ جَعَلْتُ أَمَامَكُمُ الأَرْضَ. ادْخُلُوا وَتَمَلَّكُوا الأَرْضَ الَّتِي أَقْسَمَ الرَّبُّ لآبَائِكُمْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أَنْ يُعْطِيَهَا لَهُمْ وَلِنَسْلِهِمْ مِنْ بَعْدِهِمْ»[1] .

ومن جديد يخاطب موسى عليه السلام قومه: « **يَطْرُدُ الرَّبُّ جَمِيعَ هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ مِنْ أَمَامِكُمْ، فَتَرِثُونَ شُعُوبًا أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ مِنْكُمْ .كُلُّ مَكَانٍ تَدُوسُهُ بُطُونُ أَقْدَامِكُمْ يَكُونُ لَكُمْ. مِنَ الْبَرِّيَّةِ**[2] **وَلُبْنَانَ. مِنَ النَّهْرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ، إِلَى الْبَحْرِ الْغَرْبِيِّ**[3] **يَكُونُ تُخْمُكُمْ .لاَ يَقِفُ إِنْسَانٌ فِي وَجْهِكُمْ»**[4] .

ويُلاحَظ هنا اختلافٌ في تحديد الأرض؛ إذ لم يذكر هذا النصّ نهر النيل أو نهر مصر، بل اكتفى بذكر برّية سيناء والبحر المتوسط غرباً دون توضيح.

وقريبٌ من هذه الحدود للأرض الموعودة أوحى بها الربّ –حسب التوراة– ليوشع بن نون عليه السلام بعد موت موسى عليه السلام إذ جاء في سفر يشوع: « وَكَانَ بَعْدَ مَوْتِ مُوسَى عَبْدِ الرَّبِّ أَنَّ الرَّبَّ كَلَّمَ يَشُوعَ بْنِ نُونٍ خَادِمَ مُوسَى قَائِلاً: **مُوسَى عَبْدِي قَدْ مَاتَ. فَالآنَ قُمِ اعْبُرْ هذَا الأُرْدُنَّ أَنْتَ وَكُلُّ هذَا الشَّعْبِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنَا مُعْطِيهَا** لَهُمْ أَيْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ .كُلَّ مَوْضِعٍ تَدُوسُهُ بُطُونُ أَقْدَامِكُمْ لَكُمْ أَعْطَيْتُهُ، كَمَا كَلَّمْتُ مُوسَى، **مِنَ الْبَرِّيَّةِ وَلُبْنَانَ هذَا إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ نَهْرِ الْفُرَاتِ، جَمِيعِ أَرْضِ الْحِثِّيِّينَ، وَإِلَى الْبَحْرِ الْكَبِيرِ نَحْوَ مَغْرِبِ الشَّمْسِ يَكُونُ تُخْمُكُمْ»** [5] .

هذه النصوص التوراتية وجدت طريقها إلى الفكر اليهودي المعاصر جملةً وتفصيلاً، ومصداق ذلك مثلاً ما أفتى به حاخام يهودي معاصر عندما سُئل عن حدود (أرض إسرائيل) وفيما إذا كانت غزّة جزءً من (أرض إسرائيل) فأجاب: " **الحكم الديني واضح، ومن المتفق عليه من**

---

1) تثنية 1 : 6 – 8 .

2) البرّية: أي سيناء، ويطلق عليها العهد القديم أحياناً: برّية سين، أي مقدمة صحراء سيناء **[انظر:** قاموس الكتاب المقدس، جورج بوست، (599/1) **]**.

3) البحر الغربي: هو البحر الأبيض المتوسط، وقد سمّي في التوراة أيضاً بالبحر الكبير، وبحر فلسطين **[** قاموس الكتاب المقدّس، جورج بوست، (210/1) **]**.

4) تثنية 11 : 23 – 25 .

5) يشوع 1 : 1– 4 .

جميع رجال الفتوى أنّ قدسية (أرض إسرائيل) تشمل جميع مستعمرات جوش قطيف[1] ... وهي إرث لنا من آباء شعب (إسرائيل)- الذين حصلوا على (أرض إسرائيل) من الربّ ... إن قدسية كل هذه الأرض بحدودها الواردة في التوراة وطهارتها وقدرها لدى الأموات والأحياء وكونها منحة من الربّ لا ينتقص منها شيء ... أما حدودها: **فتبدأ الحدود الجنوبية من أقصى الجنوب الشرقي للبحر الميت وتمتد نحو الجنوب حتى نهر مصر ..." [2] .**

الحدود التفصيلية:

أما الحدود التفصيلية للأرض المقدّسة الموعودة، فقد وردت في سفر العدد كما أسلف الباحث؛ إذ استطرد كاتب التوراة في تحديد الأرض وتقسيمها بين أسباط بني إسرائيل، فيبدأ الإصحاح برسم حدود الأرض وتخومها كالتالي: « وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: **أَوْصِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُلْ لَهُمْ: إِنَّكُمْ دَاخِلُونَ إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ.** هذِهِ هِيَ الأَرْضُ الَّتِي تَقَعُ لَكُمْ نَصِيبًا. **أَرْضُ كَنْعَانَ بِتُخُومِهَا:** تَكُونُ لَكُمْ **نَاحِيَةُ الْجَنُوبِ** مِنْ **بَرِّيَّةِ صِينَ**[3] عَلَى جَانِبِ **أَدُومَ**[4]، يَكُونُ لَكُمْ تُخْمُ الْجَنُوبِ مِنْ طَرَفِ **بَحْرِ الْمِلْحِ**[5] إِلَى الشَّرْقِ، وَيَدُورُ لَكُمُ التُّخْمُ مِنْ جَنُوبِ **عَقَبَةِ عَقْرَبِّيمَ**[6]، يَعْبُرُ إِلَى صِينَ، وَتَكُونُ مَخَارِجُهُ مِنْ جَنُوبِ **قَادَشَ**

---

1) **جوش قطيف:** مجموعة مستوطنات يهودية كانت تجثم على أرض قطاع غزة جنوب غرب فلسطين، وتحررت بفضل الله ﷻ، ثم بجهاد أبناء فلسطين والمقاومة الفلسطينية، إذ اندحر عنها اليهود في أواسط سبتمبر عام 2005م [الباحث] .

2) فتوى للحاخام اليهودي "جداليا اكسلرود"، نشرها موقع www.inn.co.il، بتاريخ: (2005/3/8م)، **عنه:** فتاوى الحاخامات، منصور عبد الوهاب، (ص 260) .

3) **برّية صين:** برية عبرها بنو إسرائيل في طريقهم إلى كنعان، وكانت قادش ضمن حدود هذه البرية فكانت جزءًا من برية فاران أو كانت قادش حدًا بينهما [**انظر:** قاموس الكتاب المقدّس، الموقع الرسمي لكنيسة الأنبا تكلاهيمانوت القبطية الأرثوذكسية/ مصر، رابط: http://st-takla.org، باب الصاد، بتاريخ 2012/09/18م] .

4) **أدوم:** الإقليم الذي كان يسكنه أبناء عيسو أو آدوم، وكان يطلق على هذا الإقليم اسم أرض سعير، وهو إقليم جبلي وعر، ويمتد الإقليم مسافة مائة ميل بين البحر الميت وخليج العقبة [**انظر:** المصدر السابق، باب الألف].

5) **بحر الملح:** هو البحر الميت، ويسمى في التوراة أيضاً: بحر العربة، والبحر الشرقي، وعمق السّديْم، وبحر سدوم [**انظر:** المصدر السابق، باب الباء] .

6) **عقبة عقربيم:** جرف من الجبل يفصل غور البحر الميت عن فلسطين الجنوبية، على الطرف الجنوبي من البحر [**انظر:** المصدر نفسه، باب العين].

بَرْنِيعَ[1]، وَيَخْرُجُ إِلَى **حَصَرِ أَدَّارَ** [2]، وَيَعْبُرُ إِلَى **عَصْمُونَ**[3] ثُمَّ يَدُورُ التَّخْمُ مِنْ عَصْمُونَ إِلَى وَادِي مِصْرَ، وَتَكُونُ مَخَارِجُهُ عِنْدَ الْبَحْرِ . **وَأَمَّا تُخْمُ الْغَرْبِ**: فَيَكُونُ **الْبَحْرُ الْكَبِيرُ**[4] لَكُمْ تُخْمًا. هذَا يَكُونُ لَكُمْ تُخْمُ الْغَرْبِ، وَهذَا يَكُونُ لَكُمْ **تُخْمُ الشِّمَالِ**: مِنَ الْبَحْرِ الْكَبِيرِ تَرْسُمُونَ لَكُمْ إِلَى **جَبَلِ هُورَ**[5] .وَمِنْ جَبَلِ هُورَ تَرْسُمُونَ إِلَى **مَدْخَلِ حَمَاةَ** [6]، وَتَكُونُ مَخَارِجُ التَّخْمِ إِلَى **صَدَدَ**[7]، ثُمَّ يَخْرُجُ التَّخْمُ إِلَى **زِفْرُونَ**[8]، وَتَكُونُ مَخَارِجُهُ عِنْدَ حَصَرِ عِينَانَ. هذَا يَكُونُ لَكُمْ تُخْمُ الشِّمَالِ .وَتَرْسُمُونَ لَكُمْ تَخْمًا **إِلَى الشَّرْقِ**: مِنْ **حَصَرِ عِينَانَ**[9] إِلَى **شَفَامَ**[10]، وَيَنْحَدِرُ التَّخْمُ مِنْ شَفَامَ إِلَى

---

1) **قاديش برنيع:** مكان مشهور في تاريخ بني إسرائيل التوراتي، ويقع عند طرف برية صين إلى الجهة الغربية من وادي العربة، وهي على مسيرة 11 يومًا من (حوريب) أو (جبل سيناء) بسرعة سفر بني إسرائيل في تلك الأيام **[انظر:** المصدر نفسه، باب القاف **]**.

2) **حصر أدار:** كلمة عبرية معناها "الرحب أو العظمة" وقد وردت كاسم مدينة على حدود (يهوذا الجنوبية) وفي سفر يشوع سميت (حصد أدار) **[انظر:** المصدر ذاته، باب الألف **]**.

3) **عصمون:** اسم عبري معناه "قوي" مكان باتجاه حدود سيناء غربي قاديش برنيع **[** المصدر ذاته، باب العين **]**.

4) **البحر الكبير:** هو البحر الأبيض المتوسط **[** قاموس الكتاب المقدّس، جورج بوست، (210/1) **]** .

5) **جبل هور:** جبل في أطراف فلسطين الشمالية، على الطريق بين البحر المتوسط ومدخل مملكة حماة – حسب العهد القديم– وهو إحدى قمم جبال لبنان **[انظر:** قاموس الكتاب المقدّس، موقع كنيسة الأنبا تكلاهيمانوت، باب الهاء، بتاريخ 2012/09/18م **]** .

6) **مدخل حماة:** تعتبره التوراة الحد الشمالي لـ(إسرائيل)، وربما كان لهذا التعبير عند أهل الجنوب معنى خاص ويدل على وادي البقاع الطويل، بين سلسلتي جبال لبنان الغربية والشرقية **[انظر:** المصدر السابق، باب الحاء **]**.

7) **صدد:** هو موقع –وربما كان برجًا– على الحدود الشمالية لكنعان، وظن أكثرهم إنها صدد الحالية التي تبعد 75 ميلًا إلى الجنوب الشرقي من حمص على طريق ربلة إلى تدمر**[** قاموس الكتاب المقدّس، موقع كنيسة الأنبا تكلاهيمانوت، باب الهاء، بتاريخ 2012/09/18م– بتصرف **]** .

8) **زفرون:** ربما كان اسمًا أراميًا معناه "رائحة"، وهو اسم مدينة واقعة على التخم الشمالي لأملاك بني إسرائيل– بزعم التوراة–، و ربما تكون هي زعفرانة الواقعة على طريق حمص وحماة، جنوبًا إلى الجنوب الشرقي من حماة **[انظر:** المصدر السابق، باب الزاي **]**.

9) **حصر عينان:** اسم عبري معناه "قرية العيون، قرية الينابيع"، وهي قرية على حدود فلسطين الشمالية كانت "القريتين" على الطريق من دمشق إلى تدمر **[انظر:** المصدر نفسه، باب الحاء **]**.

10) **شفام:** هي بلدة في الشمال الشرقي من كنعان بجوار ربلة، ومنها زبدي الشَّفمي المشرف على خزائن الخمر التي كانت للملك داود، بحسب العهد القديم **[انظر:** المصدر نفسه، باب الشين **]**.

رَبْلَةَ [1] شَرْقِيَّ **عَيْنٍ**[2]. ثُمَّ يَنْحَدِرُ التَّخْمُ وَيَمَسُّ جَانِبَ **بَحْرِ كِنَّارَةَ** [3] إِلَى الشَّرْقِ. ثُمَّ يَنْحَدِرُ التَّخْمُ إِلَى الأُرْدُنِّ، وَتَكُونُ مَخَارِجُهُ عِنْدَ بَحْرِ الْمِلْحِ. **هذِهِ تَكُونُ لَكُمُ الأَرْضُ بِتُخُومِهَا حَوَالَيْهَا**» [4] .

يلاحظ الباحث في هذا النص التوراتي أن تحديد الحدود لم يرد بدقة، مع أنّه قد يبدو كذلك باعتبار الاسهاب في ذكر المدن والقرى التي في تخوم الأرض؛ إلا أنّه – ومع هذا الإسهاب– فقد تُرِك المجال للتلاعب في هذه الحدود– مع أنّها يفترض أن تكون حدوداً موحىً بها من الربّ!– إذ تخللتها ألفاظ فضفاضة وعامة تدَعُ المجال للتلاعب بالحدود وضمّ مناطق أخرى، وقد تجلّى ذلك في ألفاظ عديدة مثل: (يدور التخم، ترسمون لكم، تكون مخارجه عند..، وادي مصر)، ثم يختتم النصّ بقوله: هذه تكون لكم الأرض (بتخومها حواليها) .

إنّ هذا التفصيل الوراد حول جغرافيا الأرض المقدّسة في التوراة لم يقف عند هذا الحد، بل ادّعى مؤلّف التوراة على لسان موسى عليه السلام بأنه – أي موسى– قد حدد وقسّم الأرض الموعودة بين أسباط بني إسرائيل!

إذ جاء استكمالاً لوصف حدود الأرض: « فَأَمَرَ مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ **قَائِلاً: هذِهِ هِيَ الأَرْضُ الَّتِي تَقْتَسِمُونَهَا بِالْقُرْعَةِ، الَّتِي أَمَرَ الرَّبُّ أَنْ تُعْطَى لِلتِّسْعَةِ الأَسْبَاطِ وَنِصْفِ السِّبْطِ** .لأَنَّهُ قَدْ أَخَذَ سِبْطُ بَنِي رَأُوبَيْنَ حَسَبَ بُيُوتِ آبَائِهِمْ، وَسِبْطُ بَنِي جَادَ حَسَبَ بُيُوتِ آبَائِهِمْ، وَنِصْفُ سِبْطِ مَنَسَّى. قَدْ أَخَذُوا نَصِيبَهُمْ .اَلسِّبْطَانِ وَنِصْفُ السِّبْطِ قَدْ أَخَذُوا نَصِيبَهُمْ فِي عَبْرِ أُرْدُنِّ أَرِيحَا شَرْقًا، نَحْوَ الشُّرُوقِ»[5].

1) **ربلة:** اسم سامي ربما كان معناه "جمهور" أو "كثرة" وهي مدينة في أرض حماة، ولا يعرف على وجه التحقيق إن كانت هي ذات "ربلة" التي يخرج منها نهر العاصي واسم البلد الحديث (هرمل) [**انظر:** المصدر ذاته، باب الراء] .

2) **عين:** نبع غربي ربلة، في البقاع، أحد مصادر نهر العاصي [**انظر:** المصدر ذاته، باب العين].

3) **بحر كنارة:** مجتمع الماء المجاور للمدينة المحصنة وللمنطقة المدعوتين كِنارة، وقد دعيت فيما بعد ببحيرة جنيسارت، وببحر الجليل، أو طبريا [**انظر:** المصدر ذاته، باب الكاف].

4) العدد 34 : 1 – 12 .

5) العدد 34 : 13 – 15 .

من العجيب حقاً أن تكون وصية النبي الكليم موسى ﷺ لقومه قسمة الأرض وتعليمات وحشية للتعامل مع أهل الأرض الموعودة! فهذا ميراث موسى بنظر اليهود و بأقلام صانعي التوراة المكذوبة على الله ﷻ وعلى نبيه ﷺ.

ولم يكتف موسى ﷺ بالوصية التفصيلية والقسمة العامة للأسباط بل حدّد- حسب التوراة- اسمي الرجلين اللذين أوكلت إليهما مهمة قسمة الأرض، إذ جاء في ذات السفر:« وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً : هذَانِ اسْمَا الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ يَقْسِمَانِ لَكُمُ الأَرْضَ: **أَلِعَازَارُ الْكَاهِنُ وَيَشُوعُ بْنُ نُونَ .وَرَئِيسًا وَاحِدًا مِنْ كُلِّ سِبْطٍ تَأْخُذُونَ لِقِسْمَةِ الأَرْضِ** »[1] .

الطموحات التوراتية المعاصرة:

بعد أن رسمت توراة اليهود هذه الحدود التي صاغتها أقلام الطامحين من كتبة العهد القديم، فليس غريباً أن يطمح المشروع الصهيوني المعاصر إلى ضمّ بلاد شرقي نهر الأردن التي تعرف في الأدبيات اليهودية بأرض "جلعاد"، وتُستخدَم العبارة – أي أرض جلعاد- للإشارة إلى كل

المنطقة الواقعة شرقي نهر الأردن وجنوبي نهر اليرموك، وقد كتب " لورنس أوليفانت"[2] كتاباً بعنوان "أرض جلعاد" يحتوي على مشروع صهيوني استيطاني، وتركز الكتابات الصهيونية في الوقت الحاضر على أهمية أرض جلعاد باعتبارها جزءاً من أرض (إسرائيل الكبرى)[3] .

---

1) العدد 34 : 16 - 18 .

2) لورانس أوليفانت (1829-1888م): صهيوني غير يهودي، دعا بريطانيا إلى تأييد مشروع توطين اليهود لا في فلسطين وحسب وإنما في الضفة الشرقية للأردن كذلك، وكانت تربط أوليفانت علاقة بعدد من الزعماء الصهاينة من اليهود في شرق أوربا، وانتشرت آراؤه بشأن توطين اليهود في فلسطين وسماه اليهود (المخلِّص الماشيَّح) أو (قورش الثاني) **[** موسوعة اليهود، المسيري، (116/6-117)- بتصرف **]** .

3) موسوعة اليهود، المسيري، (118/4)- بتصرف.

بل إنّ الزعيم العسكري اليهودي "موشى ديّان"[1] صرّح في نشوة الانتصار يوم احتلال القدس في 6 يونيو عام 1967م قائلاً: " **لقد استولينا على (أورشليم)، ونحن في طريقنا إلى (يثرب) و(بابل)!** " [2] .

وفي أغسطس من ذات العام قال ديّان: " **إذا كنا نملك التوراة، وإذا كنا نعتبر أنفسنا شعب التوراة، فيجب أن تكون لنا أيضاً أرض التوراة** " [3] .

لاحظ كيف يتم توظيف التوراة في بعدها الديني المقدّس لدى اليهود بالبعد السياسي، لتتكامل منظومة التقديس مستغلة العاطفة الدينية من جهة، والقوة العسكرية التي كان يتزعّمها موشى ديان من جهة أخرى.

أمّا "إسحاق شامير"[4]، فقد صرّح إثر الاجتياح الصهيوني للبنان عام 1982م في مقابلة مع التلفزيون الفرنسي في ردّ على اتّهام اليهود بضمّ دولة عربية قائلاً: " **نحن لم نضم أراضٍ عربية**

---

1) موشى ديّان (1915–1981م): بدأ حياته عضواً في منظمة الهاغاناه اليهودية الإرهابية، شارك في عملية عسكرية سرية لليهود بقيادة فرنسية بريطانية داخل لبنان فقد فيها إحدى عينيه عام 1941م، شارك في حرب فلسطين عام 1948م وكان خلالها قائداً للقوات التي احتلّت مدينة اللدّ، ثم أصبح رئيساً لأركان الجيش الصهيوني بين 1953م و 1958م، ثم وزيراً للدفاع في حرب يونيو 1967م، ثم وزيرا للخارجية عام 1977م في عهد مناحيم بيجن، وشارك في إنجاز اتفاقية كامب ديفيد للسلام مع مصر عام 1979م، كان يؤمن بعدم قدسية الحدود وأنها ينبغي أن تتغير لصالح (إسرائيل) متى اقتضت الضرورة ذلك **[انظر:** زعماء صهيون، مجدي كامل، (ص317–321) **]** .

2) أهداف إسرائيل التوسعية في البلاد العربية، محمود شيت خطّاب، دار الاعتصام/القاهرة، ط3، 1390هـ/1970م، (ص25).

3) ملف إسرائيل– دراسة للصهيونية السياسية، روجيه جارودي، ترجمة: مصطفى كامل فودة، دار الشروق/القاهرة، ط2، 1404هـ/1984م، (ص149).

4) إسحاق شامير: أحد عتاة زعماء الصهيونية، عُرف بزعيم عصابات الاجرام إبان الحرب العالمية الثانية، تولى رئاسة منظمة شتيرن الإرهابية اليهودية، وهو الأخير في جيل الآباء المؤسسين للكيان الصهيوني، إذ تولى رئاسة الوزراء حتى عام 1992م، عُرف بلاءاته الثلاث: لا للقدس– لا للدولة الفلسطينية– لا لعودة اللاجئين الفلسطينيين، عمل ضابطاً في المخابرات لمدة عشر سنوات (1955–1965)، أصبح عضواً في الكنيست عام 1973م، أصبح رئيساً للوزراء ووزيراً للخارجية عام 1983م، وتولّى قمع الانتفاضة الفلسطينية بشدة عام 1987م، سقطت حكومته بسحب الكنيست الثقة عنها عام 1990م، انزوى شامير عن الأضواء في منتصف التسعينيات مستسلماً لأمراض الشيخوخة التي رافقته حتى موته مناهزاً التسعين من العمر **[انظر:** زعماء صهيون، مجدي كامل، (ص249–256) **]** .

محتلة، كيف نضمّ ما هو ثابت تاريخياً لنا ولأجدادنا؟ ولا أرى داعٍ لتحديد (حدود إسرائيل)، إنّها محددة في التوراة " [1] .

خلاصة المطلب:

أولاً: إنّ صانعي التوراة المحرّفة أبدوا اهتماماً خاصاً بترسيخ فكرة امتلاك بني يعقوب ونسلهم إلى الأبد لأرض كنعان، وتوسعوا في ذلك فشطحوا ووقعوا في تناقضات واضطرابات واضحة.

ثانياً: إنّ حدود أرض كنعان التي ذكرتها توراة اليهود الحالية وأمرت بامتلاكها، هي ما يسميه كبراء اليهود بـ (أرض إسرائيل الكبرى) أو (الأرض الموعودة)، وهي من نهر النيل إلى نهر الفرات بنص العهد القديم.

ثالثاً: لقد ركّز كتبة التوراة على تناقل الميراث بملكية الأرض المقدّسة؛ أرض فلسطين وتخومها، وعداً إلهياً لا يتغير ولا يتبدل، من إبراهيم إلى إسحاق إلى يعقوب –عليهم السلام–، ومنهم إلى نسل يعقوب إلى الأبد، مع تحديد عام وتفصيلي لجغرافيتها، وترك المجال للاجتهاد في تغيير الحدود والتوسع.

رابعاً: تحرص التوراة على تعميم ملكية أرض كنعان بأكملها لبني إسرائيل، واقتران ذلك بطرد الشعوب الأصلية، مع أنّ التاريخ يقول بعكس ذلك، إذ لم يسبق أن امتلك بنو إسرائيل كامل أرض كنعان، ولم يسبق أن أفرغوها من أهلها، بل تعرّضوا لمقاومة مستمرة من أهلها الأصليين من الداخل، والغزاة الطامعين في الأرض من الخارج.

خامساً: لازال اليهود المعاصرون يطمعون ويطمحون إلى رسم الخارطة التوراتية (لإسرائيل الكبرى)، وتطفو نواياهم على ألسنتهم بسقطات حيناً وبتصريحات من حاخاماتهم وساستهم حيناً آخر، ولكن الواقع المعاصر أيضاً لا يبشّرهم بخير، بل بسوءٍ وخذلان كبيرين.

سادساً: إنّ الحدود الجغرافية لأرض (الميعاد) في مفهوم وتراث اليهود هي عقيدة دينية، وليست واقعاً سياسياً فحسب، لذا فإنّ العربَ (أصحاب الأرض الأصليون بحكم التاريخ) والمسلمينَ (وارثوها الشرعيون بحكم الإسلام) مطالبون حاضراً ومستقبلاً بفهم هذا والتعامل بحسبه.

1) الحروب الصليبية هل انتهت؟، عبد الوهاب زيتون، دار المعرفة/دمشق، ط1، 1412هـ/1992م، (ص10) .

المطلب الرابع

اعتقاد اليهود بالحق الديني والتاريخي في الأرض المقدسة ومناقشتهم

أولاً: **اعتقاد اليهود بالحق الديني**:

من الأهمية بمكان أن تتم دراسة الجانب الديني الذي يستند عليه اليهود في فكرهم تجاه الأرض المقدسة؛ وذلك لأنّ الكيان اليهودي قديماً وحديثاً هو كيان ديني بالأساس لا يستند إلى عرق أو قومية ثابتة أو جنس معيّن، إذ كان حكّامُهم كَهنةً في أغلب فترات تاريخهم[1] .

واعتقاد اليهود بالحق الديني في الأرض المقدّسة مبني على منطق يقول: " إنّ شريعة الله هي التي يجب أن تطبّق على شعب الله، وإنّ شريعة الله تقول بمنح اليهود الأرض المقدّسة في عهدٍ مقطوعٍ لإبراهيم ﷺ ولذريته إلى قيام الساعة، وبالتالي فإنّه حيث تتعارض القوانين الإنسانية الوضعية مع شريعة الله، فإنّ شريعة الله وحدها هي التي يجب أن تطبّق على اليهود في فلسطين"[2].

ومما سبق من مطالب هذا الفصل يتضح أنّ اليهود اعتمدوا على نصوص التوراة كأساس عقائدي في إثبات أحقيتهم في أرض فلسطين المقدّسة وما حولها، وكتلخيص وتوضيح لما سبق فإنّ أهم النصوص التي يرتكز عليها اليهود هي تلك التي تتضمن **وعوداً مزعومة من الربّ لكلٍّ من إبراهيم، ثم إسحاق بن إبراهيم، ثم يعقوب بن إسحاق، ثم موسى، ثم داود، ثم سليمان- عليهم الصلاة والسلام أجمعين.**

أولاً: الوعد لإبراهيم ﷺ، ولنسله:

وأهم وأوضح النصوص التي ورد فيها هذا الوعد هي:

---

1) **انظر**: العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة، (ص 341 - 342) .

2) النبوءة والسياسة، جريس هالسل، ترجمة: محمد السماك، دار الشروق/ القاهرة، ط2، 1424هـ/2003م، (ص11) .

أ- « وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ، بَعْدَ اعْتِزَالِ لُوطٍ عَنْهُ: ارْفَعْ عَيْنَيْكَ **وَانْظُرْ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ شِمَالاً وَجَنُوبًا وَشَرْقًا وَغَرْبًا، لأَنَّ جَمِيعَ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ تَرَى لَكَ أُعْطِيهَا وَلِنَسْلِكَ إِلَى الأَبَدِ**» [1] .

ب- « في ذلكَ اليومِ قطعَ الربُّ مع أبرام ميثاقاً قائلاً: **لنسلِكَ أُعطِي هذه الأرضَ، من نهرِ مصرَ إلى النّهرِ الكبيرِ، نهرِ الفُراتِ**» [2] .

ت- « وَأُقِيمُ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَبَيْنَ نَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ فِي أَجْيَالِهِمْ، عَهْدًا أَبَدِيًّا، لأَكُونَ إِلهًا لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ، **وَأُعْطِي لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ، كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا، وَأَكُونُ إِلهَهُمْ**» [3] .

ثانياً: الوعد لإسحاق ﷺ، ولنسله:

وقد ورد في الوعد لإسحاق ﷺ نصّان في سفر التكوين، هما:

أ- « فَقَالَ اللهُ: **بَلْ سَارَةُ امْرَأَتُكَ تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ إِسْحَاقَ. وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْدًا أَبَدِيًّا لِنَسْلِهِ** مِنْ بَعْدِهِ» [4].

ب- « وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ (أي لإسحاق) وَقَالَ: لاَ تَنْزِلْ إِلَى مِصْرَ. اسْكُنْ فِي الأَرْضِ الَّتِي أَقُولُ لَكَ. تَغَرَّبْ فِي هذِهِ الأَرْضِ **فَأَكُونَ مَعَكَ وَأُبَارِكَكَ، لأَنِّي لَكَ وَلِنَسْلِكَ أُعْطِي جَمِيعَ هذِهِ الْبِلاَدِ، وَأَفِي بِالْقَسَمِ الَّذِي أَقْسَمْتُ لإِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ**. وَأُكَثِّرُ نَسْلَكَ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، وَأُعْطِي نَسْلَكَ جَمِيعَ هذِهِ الْبِلاَدِ، وَتَتَبَارَكُ فِي نَسْلِكَ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ» [5].

ثالثاً: الوعد ليعقوب ﷺ، ولنسله:

ويحرص كتبة التوراة المحرفة على الحفاظ على نسق الوعود وفق تسلسل عنصريّ واضح، فينتقل الوعد والعهد إلى يعقوب مباشرة بعد إسحاق -عليهما السلام-، مع أنّ إسحاق كان يميل

---

1) تكوين 13 : 14- 15 .

2) تكوين 15 : 18 .

3) تكوين 17 : 7 - 8 .

4) تكوين 17 : 19 .

5) تكوين 26 : 2 - 4 .

بقلبه إلى ولده (عيسو) ويحبه ويفضله على يعقوب – حسب زعم التوراة ذاتها، بل وحرصت التوراة على أن تحيك قصة حقد وعداوة بين الأخوين (عيسو ويعقوب) حتى تبرر إخراج الأول من دائرة البركة ومن ثمّ الوعد الأبدي المحتوم[1].

ويحسم الربّ الخلاف ويبثّ الوعد المقدّس ليعقوب كفاحاً! إذ تسطّر التوراة: « وَظَهَرَ اللهُ لِيَعقُوبَ ... وَقَالَ لَهُ اللهُ: أَنَا اللهُ الْقَدِيرُ. أَثْمِرْ وَاكْثُرْ. أُمَّةٌ وَجَمَاعَةُ أُمَمٍ تَكُونُ مِنْكَ، وَمُلُوكٌ سَيَخْرُجُونَ مِنْ صُلْبِكَ، **وَالأَرْضُ الَّتِي أَعْطَيْتُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ، لَكَ أُعْطِيهَا، وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أُعْطِي الأَرْضَ**»[2] .

رابعاً: الوعد لموسى عليه السلام:

ويقطع الوعد قروناً من الزمان لا تأتي التوراة على ذكره، ثم تعود قصة الوعد من جديد، وهذه المرة للنبي المنقذ لبني إسرائيل؛ موسى عليه السلام: « وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: اذْهَبِ اصْعَدْ مِنْ هُنَا أَنْتَ وَالشَّعْبُ الَّذِي أَصْعَدْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ **إِلَى الأَرْضِ الَّتِي حَلَفْتُ لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ قَائِلاً: لِنَسْلِكَ أُعْطِيهَا**» [3] .

خامساً: الوعد لداود وسليمان عليهما السلام:

وفي هذا الجانب تورد التوراة وصية داود عليه السلام وهو على فراش الموت لابنه سليمان عليه السلام، وتذكيره إياه بالوعد لإسرائيل، وإن لم يكن بصراحة الوعود السابقة للآباء.

إذ جاء في سفر الملوك الأول: « وَلَمَّا قَرُبَتْ أَيَّامُ وَفَاةِ دَاوُدَ أَوْصَى سُلَيْمَانَ ابْنَهُ قَائِلاً: أَنَا ذَاهِبٌ فِي طَرِيقِ الأَرْضِ كُلِّهَا، فَتَشَدَّدْ وَكُنْ رَجُلاً .اِحْفَظْ شَعَائِرَ الرَّبِّ إِلهِكَ، إِذْ تَسِيرُ فِي طُرُقِهِ، وَتَحْفَظُ فَرَائِضَهُ، وَصَايَاهُ وَأَحْكَامَهُ وَشَهَادَاتِهِ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي شَرِيعَةِ مُوسَى، لِكَيْ تُفْلِحَ فِي كُلِّ مَا تَفْعَلُ وَحَيْثُمَا تَوَجَّهْتَ **لِكَيْ يُقِيمَ الرَّبُّ كَلاَمَهُ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ عَنِّي قَائِلاً: إِذَا حَفِظَ بَنُوكَ طَرِيقَهُمْ وَسَلَكُوا أَمَامِي بِالأَمَانَةِ مِنْ كُلِّ قُلُوبِهِمْ وَكُلِّ أَنْفُسِهِمْ، قَالَ لاَ يُعْدَمُ لَكَ رَجُلٌ عَنْ كُرْسِيِّ إِسْرَائِيلَ**» [4].

1) انظر: تكوين 25 : 28، **أيضاً:** تكوين، الإصحاح 27 كاملاً.
2) تكوين 35 : 9–12 .
3) خروج 33 : 1 .
4) الملوك الأول 2 : 1 – 4 .

ثم يكرّر الربّ الوعد لسليمان عليه السلام نفسه في السنة الرابعة لملكه –حسب التوراة– إذ جاء في ذلك قول الله عز وجل لسليمان عليه السلام: « هذَا الْبَيْتُ الَّذِي أَنْتَ بَانِيهِ، إِنْ سَلَكْتَ فِي فَرَائِضِي وَعَمِلْتَ أَحْكَامِي وَحَفِظْتَ كُلَّ وَصَايَايَ لِلسُّلُوكِ بِهَا، **فَإِنِّي أُقِيمُ مَعَكَ كَلاَمِي الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ إِلَى دَاوُدَ أَبِيكَ، وَأَسْكُنُ فِي وَسَطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلاَ أَتْرُكُ شَعْبِي إِسْرَائِيلَ**» [1] .

هذا مجملٌ موجزٌ للنصوص الدينية التي يدّعي اليهود أنّها السند في امتلاكهم أرض فلسطين من الربّ، بانتسابهم إلى هؤلاء الآباء من الأنبياء الكرام.

صدى الوعد في العصر الحديث:

لم يقتصر الاعتقاد بالأرض المقدسة على كتب الأقدمين وما سطره كتبة التوراة فحسب، بل ما فتئ قادة اليهود في العصر الحديث يكررون حكاية الوعد الديني وأرض الميعاد، ويحثّون اليهود في العالم على تطبيق أمر الربّ بالعودة إليها بزعمهم.

وفي هذا يقول زعيم الصهيونية الأول ثيودور هرتزل: " **أنا أسعى لإرشاد اليهود إلى أرض الميعاد**" [2] .

ويقول أيضاً: " **إنّ أرض الميعاد هي حق اليهود الكامل، فهي التي ستجعل اليهود يتناولون ما لذّ وطاب[3]، كما نعيش عيشة رغدة، ونعمل بحرية روحية ونموت في سلام على تراب الوطن القومي لكل اليهود**" [4] .

ويصف ديفيد بن جوريون دخوله لأرض فلسطين قائلاً: " **إنّ أول ليلةٍ لي على أرض الميعاد قد حفرت داخل قلبي، ونمت وأنا مطمئن؛ لأنّها أول ليلة لي على أرض الميعاد،** ولأنني وضعت قدمي على أول الطريق الصحيح لتحقيق أحلامي وأحلام كل يهودي ... **إنني الآن على**

---

1) الملوك الأول 6 : 12 – 13 .

2) يوميات هرتزل، (ص78).

3) يظهر أن هرتزل يشير إلى ما جاء في التوراة بأنّ أرض فلسطين تفيض لبناً وعسلاً ، **انظر:** لاويين 20 : 24.

4) يوميات هرتزل، (ص 112– 113) .

أرض إسرائيل، إنني الآن أطأ بقدمي أرض الميعاد، إنني أتمنى أن أطأ برأسي ولا أطأ بقدمي أرض الميعاد ... " [1] .

هذان نموذجان فقط للكثير من أقوال وتصريحات اليهود قديماً وحديثاً حول أرض الميعاد وحقّهم الديني في امتلاكها.

الردّ على الحق الديني:

الردّ على هذا الوعد المزعوم ينعقد من وجوه كثيرة جداً، من أهمّها –حسب ما اتضّح للباحث– ما يلي:

أولاً: هذا الوعد باطل دينياً؛ باعتبار بطلان سنده الديني، إذ سبق وأن فصّل الباحث في المبحث الأول في قطعية ثبوت تحريف التوراة وانقطاع سندها وتعارضها مع صحيح وصريح النقل والعقل والعلم ، فانظره في موضعه[2].

ثانياً: هذا الوعد –إن صحّ جدلاً– فهو صادر من الربّ ﷻ لإبراهيم عليه السلام ونسله من بعده، كما هو واضح في النصوص سابقة الذكر، ولم يكن عليه السلام قد أنجب بعدُ وقتَ إعطائه الوعد؛ وعليه فلفظة (نسلك) الواردة في الوعد تشمل ولديه (إسماعيل وإسحاق) –عليهما السلام–؛ إذ وردت عامّةً ولم تقيّد، بل إنّ هناك –من ذات التوراة– ما يشير بوضوح إلى أنّ المقصود من هذا الوعد هو إسماعيل عليه السلام إذ كان هو المولود لإبراهيم عليه السلام حين الوعد دون إسحاق عليه السلام، فكيف حصرها كتبة التوراة ومن بعدهم في إسحاق ونسله دون سواهم، والتوراة والواقع والتاريخ كلها تثبت عكس ذلك؟![3] .

فمما يوحي بأحقّية إسماعيل عليه السلام في هذا الوعد من النصوص التوراتية ما يلي:

---

1) حياة بن جوريون السياسية، موريس إديلمان، ترجمة: علي رمضان فاضل، مكتبة النافذة/ مصر، ط1، 2009م، ص 34 .

2) انظر: البحث الذي بين يديك، (ص 115– 132).

3) انظر: فلسطين بين الوعد الإلهي الحق والوعد اليهودي المفترى، د. صالح الرقب، ط1، 1418هـ/1998م، (ص33).

– **النصّ على كثرة نسل إسماعيل** عليه السلام **وعظم شأنه:** « وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ (**أي: لهاجر أم إسماعيل):** تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ نَسْلَكِ فَلاَ يُعَدُّ مِنَ الْكَثْرَةِ وَقَالَ لَهَا مَلاَكُ الرَّبِّ: هَا أَنْتِ حُبْلَى، فَتَلِدِينَ ابْنًا وَتَدْعِينَ اسْمَهُ إِسْمَاعِيلَ، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ سَمِعَ لِمَذَلَّتِكِ .وَإِنَّهُ يَكُونُ إِنْسَانًا وَحْشِيًّا، يَدُهُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ، وَيَدُ كُلِّ وَاحِدٍ عَلَيْهِ، وَأَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ يَسْكُنُ»[1] .

– وتقول التوراة: «كَانَ أَبْرَامُ **ابْنَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ سَنَةً** لَمَّا وَلَدَتْ هَاجَرُ إِسْمَاعِيلَ لأَبْرَامَ»[2] .

– وتنص التوراة على أنّ إبراهيم عليه السلام أُعطي الوعد بالأرض المقدّسة وقد بلغ من العمر تسعاً وتسعين سنةً: « **وَلَمَّا كَانَ أَبْرَامُ ابْنَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً ظَهَرَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ وَقَالَ لَهُ:** أَنَا اللهُ الْقَدِيرُ. سِرْ أَمَامِي وَكُنْ كَامِلاً، فَأَجْعَلَ عَهْدِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَأُكَثِّرَكَ كَثِيرًا جِدًّا ... **وَأُعْطِي لَكَ وَلِنَسْلِكَ مِنْ بَعْدِكَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ، كُلَّ أَرْضِ كَنْعَانَ مُلْكًا أَبَدِيًّا**. وَأَكُونُ إِلهَهُمْ»[3] .

– وتنص التوراة على أنّ إسحاق قد وُلد لإبراهيم –عليهما السلام– **و عمر أبيه (إبراهيم) مائة سنة:** « **وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ ابْنَ مِئَةِ سَنَةٍ حِينَ وُلِدَ لَهُ إِسْحَاقُ ابْنُهُ**»[4] .

مما سبق من نصوص يتضح أنّ إبراهيم عليه السلام قد أُعطي الوعد –بزعم التوراة– وعنده من الولد إسماعيل دون إسحاق، إذ بلغ إسماعيل وقت الوعد ثلاثة عشر عاماً.

وفيه إشارة إلى أنّ الوعد لإسماعيل فقط؛ كونه هو الموجود، وجاءت لفظة "ولنسلك من بعدك" موافقة تماماً مع ما جاء في سفر التكوين نفسه عن إسماعيل: « **وَابْنُ الْجَارِيَةِ أَيْضًا سَأَجْعَلُهُ أُمَّةً لأَنَّهُ نَسْلُكَ**»[5] [6] .

---

1) تكوين 16 : 10 – 12 .
2) تكوين 16 : 16 .
3) تكوين 17 : 1 – 8 .
4) تكوين 21 : 5 .
5) تكوين 21 : 13 .
6) انظر: فلسطين بين الوعد الإلهي الحق والوعد اليهودي المفترى، د. صالح الرقب، (ص33) .

ثالثاً: إنّ هذا الوعد الذي يتشبث به اليهود يردّ عليهم بنفسه**!**، فنصوصه تتضمن ما يثبت انتفاء الوعد عن معظم بني إسرائيل واليهود عبر التاريخ، فضلاً عن قطعية انتفائه عن يهود اليوم؛ ذلك لأنّ الربّ الذي أعطاهم الوعد– حسب معتقدهم– **قد شرط هذه الهبة بالتزام النسل أوامر الله وفرائضه**، قائلاً: « **وَاعْمَلِ الصَّالِحَ وَالْحَسَنَ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، لِكَيْ يَكُونَ لَكَ خَيْرٌ، وَتَدْخُلَ وَتَمْتَلِكَ الأَرْضَ الْجَيِّدَةَ الَّتِي حَلَفَ الرَّبُّ لآبَائِكَ**»[1].

فهل التزم اليهود عبر تاريخهم –على فرض أنهم المقصودون بالوعد– بفرائض الله ﷻ وشرائعه وأوامره؟**!** على العكس تماماً؛ فقد كفر اليهود وجحدوا نعمة الله ﷻ، وعبدوا غيره، واستحقوا عذابه، وهذا الأمر مستفيض متواتر في التوراة والإنجيل، فضلاً عن القرآن العظيم.

بل إنّ التوراة تصرّح بأنّ الأرض المقدّسة ستلفظ بني إسرائيل إن هم تنكبوا الطريق وخالفوا أوامر الله ﷻ، في نصٍّ بيّنٍ جاء فيه الخطاب من الربّ لموسى عليه السلام وقومه قائلاً: « **فَتَحْفَظُونَ جَمِيعَ فَرَائِضِي وَجَمِيعَ أَحْكَامِي، وَتَعْمَلُونَهَا لِكَيْ لاَ تَقْذِفَكُمُ الأَرْضُ الَّتِي أَنَا آتٍ بِكُمْ إِلَيْهَا لِتَسْكُنُوا فِيهَا**» [2] .

وتُصوّر التوراة تقلُّب بني إسرائيل في غضب الربّ؛ فقبل دخولهم الأرض المقدسة زمن موسى عليه السلام تقول التوراة: « **فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ وَأَتَاهَهُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً**، حَتَّى فَنِيَ كُلُّ الْجِيلِ الَّذِي فَعَلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ» [3] .

وبعد دخولهم الأرض المقدّسة، يوصيهم نبيهم (يشوع) على فراش الموت أن يعملوا صالحاً وإلاّ: « فَاعْلَمُوا يَقِينًا أَنَّ الرَّبَّ إِلهَكُمْ لاَ يَعُودُ يَطْرُدُ أُولئِكَ الشُّعُوبَ مِنْ أَمَامِكُمْ، فَيَكُونُوا لَكُمْ فَخًّا وَشَرَكًا وَسَوْطًا عَلَى جَوَانِبِكُمْ، وَشَوْكًا فِي أَعْيُنِكُمْ، **حَتَّى تَبِيدُوا عَنْ تِلْكَ الأَرْضِ الصَّالِحَةِ الَّتِي أَعْطَاكُمْ إِيَّاهَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ**»[4]، لكنهم لم يلتزموا بالوصية، وسرعان ما انقلبوا على أوامر ربهم وأنبيائهم، فاستحقوا غضب الربّ: « **فَعَمِلَ**

---

1) تثنية 6 : 18 .

2) اللاويين 20 : 22 .

3) العدد 32 : 13 .

4) يشوع 23 : 13 .

بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، وَنَسُوا الرَّبَّ إِلهَهُمْ وَعَبَدُوا الْبَعْلِيمَ وَالسَّوَارِيَ. فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ» [1] .

بل إنّه وحسب هذا الشرط التوراتي فإنّ سليمان عليه السلام لا يستحق هذا الوعد (بالنسبة لما اقترفه من آثام وخطايا خطيرة بزعم كتبة التوراة) إذ تصرّح التوراة: « **وَعَمِلَ سُلَيْمَانُ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، وَلَمْ يَتْبَعِ الرَّبَّ تَمَامًا كَدَاوُدَ أَبِيهِ**» [2] .

وما أكثر ما ذكرته التوراة من عمل بني إسرائيل للشر ونكوصهم عن طريق الله عز وجل، خاصةً بعد دخولهم الأرض المقدّسة!، إذ نجد أنّ عبارة: **"عَمِلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ"** تكررت في العهد القديم **واحداً وخمسين (51) مرّة**[3]، كلّها في معرض وصف بني إسرائيل كجماعة أو كأفراد، بعد دخولهم الأرض المقدّسة .

كما وردت عبارة: **"حَمِيَ غَضَبُ الرَّبّ"** في العهد القديم **ثلاثين (30) مرة**[4]، في معرض بيان شدة غضب الله عز وجل على بني إسرائيل، حينما لم يعملوا بوصاياه وأحكامه وشرائعه .

وبناءً على ما سبق فإنّ هذا القدر من الغضب استحق به اليهود ما وصفهم الله سبحانه به في القرآن العظيم في قوله: ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ (الفاتحة/7)، وبذلك انتفت بالكلية أحقيتهم في الأرض الموعودة وفق توراتهم ابتداءً، وهذا ما حكاه القرآن أيضاً محذراً بني إسرائيل من التخلي عن طريق

---

1) قضاة 3 : 7 – 8 .

2) الملوك الأول 11 : 6 .

3) قضاة 3 : 7، 12، **4**: 1، **6**: 1، **10**: 6، **13**: 1، **صموئيل الأول 15**: 19، **صموئيل الثاني 12**: 9، **الملوك الأول 11**: 6، **14**: 22، **15**: 26، 34، **16**: 7، 19، 25، 30، **21**: 20، 25، **22**: 52، **الملوك الثاني 3**: 2، **8**: 18، 27، **13**: 2، 11، **14**: 24، **15**: 9، 18، 24، 28، **17**: 2، 17، **21**: 2، 6، 16، 20، **23**: 32، 37، **24**: 9، 19، **أخبار الأيام الثاني 21**: 6، **22**: 4، **29**: 6، **33**: 2، 6، 22، **36**: 5، 9، 12، **إرمياء 7**: 30، **32**: 30، **52**: 2 .

4) خروج 4: 14، **32**: 11، **عدد 11**: 1، 10، 33، **12**: 9، **22**: 22، 27، **25**: 3، **32**: 13، **تثنية 6**: 15، **7**: 4، **11**: 17، **يشوع 7**: 1، **23**: 16، **قضاة 2**: 14، 20، **3**: 8، **10**: 7، **14**: 19، **صموئيل الثاني 6**: 7، **12**: 5، **24**: 1، **الملوك الثاني 13**: 3، **23**: 26، **أخبار الأيام الأول 13**: 10، **أخبار الأيام الثاني 25**: 15، **المزامير 106**: 40، **اشعياء 5**: 25 .

الله، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ **وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ**﴾ (المائدة/21) .

رابعاً: ومما يُردّ به على هذا الوعد، أنه قد حدد الأرض التي سيعطيها الربّ لإبراهيم عليه السلام ونسله من إسحاق ثم يعقوب وهكذا، **بأنها ستكون من نهر مصر إلى نهر الفرات، ومعلوم أن هذا الوعد المزعوم لم يتحقق** لإبراهيم عليه السلام ولا لأحد من كرام الأنبياء – وهم القائمون بفرائض الربّ التي اشترطتها التوراة– وعليه فإنّ العقل والمنطق يجزمان بأنّ هذا الوعد لن يتحقق في عصر لئام الناس وشرارهم الملعونين على لسان أنبياء الله ﷻ، في التوراة والإنجيل والقرآن[1].

كما أنّ اليهود إذا اعتمدوا على نصوص التوراة في إثبات أحقّيتهم بالأرض المقدّسة– لأنها وعد الله لآبائهم بزعمهم– لزم من ذلك أن ينسبوا إلى الربّ هبته إياهم العالم بأسره، ذلك أنّ الربّ – وفق توراتهم– قد وعدهم بطرد كلّ من تحت السماء من أمَامهم!!، وهذا نصه من أسفارهم: « مَتَى أَتَى بِكَ الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا، وَطَرَدَ شُعُوبًا كَثِيرَةً مِنْ أَمَامِكَ... لأَنَّكَ أَنْتَ شَعْبٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. **إِيَّاكَ قَدِ اخْتَارَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَكُونَ لَهُ شَعْبًا أَخَصَّ مِنْ جَمِيعِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ... وَيَدْفَعُ مُلُوكَهُمْ إِلَى يَدِكَ، فَتَمْحُو اسْمَهُمْ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ. لاَ يَقِفُ إِنْسَانٌ فِي وَجْهِكَ حَتَّى تُفْنِيَهُمْ**»[2] .

فإذا كان الوعد لهم بمحو كل ما تحت السماء، مع التأكيد على اختصاصهم بالكرامة عند الله دون كل من على وجه الأرض، فما وجه تخصيص أرض فلسطين بملكيتها وتوارثها من دون سائر الأرض؟! وبذلك تسقط عقيدتهم في هذا الوعد المزعوم المشئوم.

خامساً: مما يدحض زعم اليهود أحقيتهم الدينية في الأرض المقدّسة – بفهم الباحث– أنّ مقتضى العدل والحكمة الإلهية وسنن الله ﷻ المقروءة على صفحات خلقه منذ الأزل تحيل وتنكر أن يهب الله ﷻ أرضه المباركة المصطفاة إلى قوم ما، بحسب أعراقهم وأنسالهم وسلالاتهم، أياً

1) فلسطين بين الوعد الإلهي الحق والوعد اليهودي المفترى، د. صالح الرقب، (ص 34)– بتصرف .

2) تثنية 7 : 1 – 6، 24 .

كانت وأياً كانوا، فقد قرر الله ﷻ ميزانه في خلقه إذ قال ﷻ: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات/13)، وقال ﷻ: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (هود/49) .

فكيف يجوز لعاقل أن يؤمن بأحقية قوم لأرضٍ وهبت لهم -زعماً- منذ آلاف السنين، بنقلٍ غير موثوق قطع الله ﷻ في محكم تنزيله ببطلانه ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ (المائدة/41) ، في حين يحكي الزمان عن أقوام تعاقبت على هذه الأرض وتداولوها وفق سنة التدافع ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (البقرة/251) ، وقد كان اليهود ممن تدافع لنيل هذه الأرض، لكن سنة الله ﷻ تحققت فيهم كغيرهم ممن حاد عن طريقه ﷻ أياً كان نسبه وجنسه وعرقه : ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (النمل/52) .

ويبين ربنا ﷻ هذا التدافع والجدل البشري، ويظهر قانوناً من قوانين سير الحياة والتاريخ والبشرية، يبطل كل دعوى باطلة بامتلاك الحق في أرض الله المقدّسة، إذ يتنزل قول الله العظيم على لسان عبده النبي الكليم موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (الأعراف/128) . وكأن موسى عليه السلام يبرأ بقوله هذا- الذي أنزله الله ﷻ في القرآن الخالد- يبرأ من أولئك المنتسبين إليه زوراً والمدّعين للوعد على لسانه، والله أعلم.

سادساً: إنّ الادّعاء بالحق الديني في أمرٍ ما لابد وأن يكون – في فهم الباحث- مرتكزاً على إرثٍ ديني مشهود له من خلق الله ﷻ، وخاصة الأنبياء منهم، فهل نجد في تاريخ اليهود ما يشهد بهذا الإرث من الأفضلية الدينية المؤهّلة لهم لينالوا شرف هبة الله لهم الأرض المقدّسة؟! .

يجيب على ذلك القرآن الكريم، كما تجيب عليه التوراة ذاتها:

أما القرآن الكريم:

فقد وصفهم الله ﷻ بما لم يصف به أحداً من العالمين، قسوةً وكفراً وعناداً وإنكاراً لنعمة الله ﷻ وفضله، ومن أفظع هذه الصور التي أبرزها القرآن، **قلة أدبهم مع الله** ﷻ **في ذاته وصفاته:**

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾ (المائدة/64)، ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ (التوبة/30). ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (آل عمران/181).

بل يصفهم ربّ العزّة- الأعلم بأنفسهم من أنفسهم- بأنهم أشدّ الناس عداوة للمؤمنين: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ (المائدة/82).

وأما في توراتهم:

إضافة إلى ما سبق بيانه من عدم التزامهم بشروط امتلاك الأرض المزعومة، فقد ورد وصف بني إسرائيل بأشد أوصاف الكفر على ألسنة أنبيائهم، فهذا الربّ ﷻ يتراءى لموسى عليه السلام محذراً إياه من كثرة نجاسات وخطايا شعبه، آمراً إياه أن: « **يُكَفِّرُ عَنِ الْقُدْسِ مِنْ نَجَاسَاتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمِنْ سَيِّئَاتِهِمْ مَعَ كُلِّ خَطَايَاهُمْ. وَهكَذَا يَفْعَلُ لِخَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ الْقَائِمَةِ بَيْنَهُمْ فِي وَسَطِ نَجَاسَاتِهِمْ**»[1].

وتصف التوراة حال القوم في استهزائهم برسل الله ﷻ وكلامه، وانتهاكهم كل المقدّسات، وهذا ليس في عوامّهم فحسب، بل في رؤسائهم وكهنتهم، إذ تقول التوراة: « **حَتَّى إِنَّ جَمِيعَ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالشَّعْبِ أَكْثَرُوا الْخِيَانَةَ حَسَبَ كُلِّ رَجَاسَاتِ الأُمَمِ، وَنَجَّسُوا بَيْتَ الرَّبِّ الَّذِي قَدَّسَهُ فِي أُورُشَلِيمَ** .فَأَرْسَلَ الرَّبُّ إِلهُ آبَائِهِمْ إِلَيْهِمْ عَنْ يَدِ رُسُلِهِ مُبَكِّرًا وَمُرْسِلاً لأَنَّهُ شَفِقَ عَلَى شَعْبِهِ وَعَلَى مَسْكَنِهِ، **فَكَانُوا يَهْزَأُونَ بِرُسُلِ اللهِ، وَرَذَلُوا كَلاَمَهُ وَتَهَاوَنُوا بِأَنْبِيَائِهِ**»[2] .

وفي المزامير رثاء لحالهم مع الله: « **لِمَاذَا رَفَضْتَنَا يَا أَللهُ إِلَى الأَبَدِ؟ لِمَاذَا يُدَخِّنُ غَضَبُكَ عَلَى غَنَمِ مَرْعَاكَ؟**»[3] .

---

1) لاويين 16 : 16 .

2) أخبار الأيام الثاني 36 : 14 - 16 .

3) المزامير 74 : 1 .

وفيها: « جِيلاً زَائِغًا وَمَارِدًا، **جِيلاً لَمْ يُثَبِّتْ قَلْبَهُ** وَلَمْ تَكُنْ رُوحُهُ أَمِينَةً لِلهِ ... **لَمْ يَحْفَظُوا عَهْدَ اللهِ، وَأَبَوْا السُّلُوكَ فِي شَرِيعَتِهِ** ... فِي هذَا كُلِّهِ أَخْطَأُوا بَعْدُ، وَلَمْ يُؤْمِنُوا بِعَجَائِبِهِ... **فَخَادَعُوهُ بِأَفْوَاهِهِمْ، وَكَذَبُوا عَلَيْهِ بِأَلْسِنَتِهِمْ، أَمَّا قُلُوبُهُمْ فَلَمْ تُثَبَّتْ مَعَهُ، وَلَمْ يَكُونُوا أُمَنَاءَ فِي عَهْدِهِ** ... فَجَرَّبُوا وَعَصَوْا اللهَ الْعَلِيَّ، وَشَهَادَاتِهِ لَمْ يَحْفَظُوا، **بَلِ ارْتَدُّوا وَغَدَرُوا مِثْلَ آبَائِهِمْ**. انْحَرَفُوا كَقَوْسٍ مُخْطِئَةٍ .أَغَاظُوهُ بِمُرْتَفَعَاتِهِمْ، وَأَغَارُوهُ بِتَمَاثِيلِهِمْ .**سَمِعَ اللهُ فَغَضِبَ، وَرَذَلَ إِسْرَائِيلَ جِدًّا**»[1].

وهذا دانيال نبي بني إسرائيل يصف في التوراة حال قومه وكفرهم مخاطباً ربّه قائلاً: « **أَخْطَأْنَا وَأَثِمْنَا وَعَمِلْنَا الشَّرَّ، وَتَمَرَّدْنَا وَحِدْنَا عَنْ وَصَايَاكَ وَعَنْ أَحْكَامِكَ** .وَمَا سَمِعْنَا مِنْ عَبِيدِكَ الأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ بِاسْمِكَ كَلَّمُوا مُلُوكَنَا وَرُؤَسَاءَنَا وَآبَاءَنَا وَكُلَّ شَعْبِ الأَرْضِ .لَكَ يَا سَيِّدُ الْبِرُّ، أَمَّا لَنَا فَخِزْيُ الْوُجُوهِ، كَمَا هُوَ الْيَوْمَ لِرِجَالِ يَهُوذَا وَلِسُكَّانِ أُورُشَلِيمَ، وَلِكُلِّ إِسْرَائِيلَ الْقَرِيبِينَ وَالْبَعِيدِينَ فِي كُلِّ الأَرَاضِي الَّتِي طَرَدْتَهُمْ إِلَيْهَا، **مِنْ أَجْلِ خِيَانَتِهِمِ الَّتِي خَانُوكَ إِيَّاهَا. يَا سَيِّدُ، لَنَا خِزْيُ الْوُجُوهِ، لِمُلُوكِنَا، لِرُؤَسَائِنَا وَلآبَائِنَا لأَنَّنَا أَخْطَأْنَا إِلَيْكَ** .لِلرَّبِّ إِلهِنَا الْمَرَاحِمُ وَالْمَغْفِرَةُ، لأَنَّنَا تَمَرَّدْنَا عَلَيْهِ .وَمَا سَمِعْنَا صَوْتَ الرَّبِّ إِلهِنَا لِنَسْلُكَ فِي شَرَائِعِهِ الَّتِي جَعَلَهَا أَمَامَنَا عَنْ يَدِ عَبِيدِهِ الأَنْبِيَاءِ وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ قَدْ تَعَدَّى عَلَى شَرِيعَتِكَ، وَحَادُوا لِئَلاَّ يَسْمَعُوا صَوْتَكَ، **فَسَكَبْتَ عَلَيْنَا اللَّعْنَةَ وَالْحَلْفَ الْمَكْتُوبَ فِي شَرِيعَةِ مُوسَى عَبْدِ اللهِ، لأَنَّنَا أَخْطَأْنَا إِلَيْهِ**»[2] .

إذا كان هذا هو ميراث اليهود من الكفر والعصيان والتمرد، فعلى أي أساس ينتسبون دينياً إلى الأرض المقدّسة؟ وإذا كان أنبياؤهم قد وصفوهم بأشد ألفاظ اللعن والطرد والسخط واليأس من حالهم في زمانهم الأول، فكيف يحق للمتأخرين – الأكثر كفراً والمنتسبين زوراً إلى الأوائل– أن يطالبوا بحق ديني لهم في هذه الأرض؟! .

ثانياً: **اعتقاد اليهود بالحق التاريخي**:

والحقّ التاريخي الذي يراه اليهود لأنفسهم في الأرض المقدّسة هو حقّ مرتبط بالحق الديني، إذ إنّ من المقرر –كما سلف– أنّ تاريخ اليهود مستمدٌ من مصادرهم الدينية، وهناك ارتباط بين دينهم وتاريخهم، وفي كلٍّ زيف.

---

1) المزامير 78 : 8، 10، 32، 36،37، 56– 59،

2) دانيال 9 : 5–11 .

وحاصل اعتقاد اليهود بالحق التاريخي " دعواهم بأنّ لهم حقوقاً تاريخية في فلسطين؛ ذلك لأن أجدادهم –بزعمهم– سكنوها فترة من الزمن، بدءاً بإبراهيم وإسحاق ويعقوب، ومروراً بموسى ويوشع ابن نون، وإقامة مملكتهم زمن داود وسليمان، عليهم السلام أجمعين، وانتهاءً بطرد آخر يهودي من بيت المقدس عام 70م، وبذلك يكن لهم الحق في استعادة أرض أجدادهم، وهذا هو المستند لهم في إقامة دولتهم على أرض فلسطين" [1] .

تقول الزعيمة اليهودية جولدا مائير[2]: " **لا وطن لليهود سوى أرض صهيون، الأرض التي نفي منها اليهود قبل ألفي عام**" [3] .

ويقول بنيامين نتنياهو[4] مستنكراً قبول بعض اليهود بحلٍّ مع الفلسطينيين على أساس إقامة دولة لهم على حدود عام 1967م أو الانسحاب من الضفة الغربية قائلاً: " **إن أهمية مناطق الضفة الغربية تكمن في الحق التاريخي اليهودي في هذه البلاد ... فهل أصبح الطموح في التخلص أو الانفصال عن قلب (أرض إسرائيل) مبدأً أيديولوجياً وأمراً إلهياً لدى قسم كبير من الجمهور الإسرائيلي!** " [5] .

---

1) موجز تاريخ اليهود، د. محمود قدح، (ص 286).

2) جولدا مائير (1898–1978م): زعيمة حزب العمل الصهيوني، ورئيسة وراء الكيان الصهيوني من 1967 حتى 1974م، من أكثر رموز الصهيونية تطرفاً وكراهية للعرب ومن أقوالها: كل صباح أتمنى لو أصحو ولا أجد طفلاً فلسطينياً واحداً على قيد الحياة!، وقد وصفها ابن جوريون بأنها الرجل الوحيد في (الحكومة الإسرائيلية)!، تعرضت لضغوط بعد حرب 1973م مما أدى بها إلى الاستقالة من رئاسة الوزراء [**انظر**: زعماء صهيون، مجدي كامل، (ص297–301)].

3) اعترافات جولدا مائير، ترجمة: عزيز عزمي، دار التعاون/مصر، ط1، 1979م، (ص 19) .

4) بنيامين نتنياهو: ولد عام 1949م في فلسطين، أقام في أمريكا وتعلم فيها، وشارك في حرب أكتوبر عام 1973م، تولى مناصب دبلوماسية عدة، وهو أول رئيس حكومة في الكيان الصهيوني في انتخابات مباشرة، وأول رئيس حكومة يولد بعد إعلان قيام الكيان، شجب اتفاق أوسلو واعتبر القدس عاصمة أبدية لليهود، ويعتبر الضفة الغربية جزءاً من (أرض إسرائيل) وليست محتلة، يعرف بالتعصب الشديد ضد العرب والمسلمين، ساهم في تشجيع الحفريات تحت المسجد الأقصى دوماً، أشرف على الكثير من المجازر والاغتيالات والعدوان على الشعب الفلسطيني، يتولى رئاسة حكومة العدو الصهيوني حالياً (2013م) [**انظر**: زعماء صهيون، مجدي كامل، (ص 381– 385)] .

5) مكان بين الأمم، بنيامين نتنياهو، ترجمة: محمد عودة الدويري، دار الجيل/ عمان، ط2، 1996م، (ص15).

الرد على الحق التاريخي:

إنّ الرد على ادّعاء اليهود بالحق التاريخي في الأرض المقدّسة ينعقد من وجوه عديدة، أهمها – فيما يتضح للباحث ما يلي:

أولاً: ينبغي – في فهم الباحث– أن يتوقف الناقد لدعوى اليهود حقهم التاريخي في فلسطين عند أصل هذه الدعوى، إذ يتضح أنّ اليهود ولا ريب يعبثون بالتاريخ أيما عبث! فعلى اعتبار أنّ هذا الوعد على الحقيقة قد أعطي لإبراهيم عليه السلام ولنسله من بعده، فما علاقة اليهود قديماً وحديثاً بإبراهيم عليه السلام؟ وعلى أي أساس ينتسبون إليه؟! .

" من الواضح أنّ كتبة التوراة المحرّفة –الذين شرعوا بتدوينها بعد عهد إبراهيم الخليل بأكثر من ألف وثلاثمائة عام، وبعد عهد موسى عليه السلام بأكثر من تسعمائة عام– كانوا يهدفون إلى إرجاع بقايا الجماعة التي خرجت من مصر بقيادة نبي الله موسى إلى إبراهيم الخليل –عليهما السلام– بغية إرجاع أصلها المجهول إلى أقدس الأجناس البشرية التي عرفها التاريخ، ثم تثبيت عقيدة الأرض الموعودة الوهمية على لسان إبراهيم وموسى، وهما بريئان منها ..." [1] .

وعليه فلا ينبغي التسليم أصلاً بأن ثبوت الوعد لإبراهيم عليه السلام رغم تهافته؛ يعني بأنّ هناك شبهة حق تاريخي لليهود في أرض فلسطين.

" وخاصة لأن الوقائع التاريخية تؤكد أنه ليس لليهود (ساميين كانوا أوغير ساميين) أي حق في فلسطين، كذلك تشير الحقائق إلى أن الصهيونيين الذين اغتصبوا فلسطين ليسوا ساميين أصلاً، ولا توجد أية رابطة نَسَبية تربطهم بإسرائيل (يعقوب عليه السلام) الذي يطلقون اسمه على دولتهم" [2].

" فضلاً عن أنّ اليهود ليسوا شعباً ينتمي إلى قومية واحدة، ولا هم من بلد واحد، ولا لهم لغة واحدة، ولا ينتمون إلى حضارة واحدة، فهم مختلفون، قلوبهم شتى، من كل جنس ولون ولسان وبلد،

1) العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة، (ص 232) .
2) تاريخ فلسطين القديم، ظفر الإسلام خان، (ص 8) .

منهم الشرقي ومنهم الغربي، والأحمر والأبيض والأسود، دخلوا اليهودية –الدين الذي يجمعهم– في أوقات مختلفة من الدهر، وهذا الدين هو الرابطة الوحيدة بينهم" [1] .

" وصفوة القول: إنّ عصر إبراهيم الخليل عليه السلام لم يكن له أي ارتباط بقوم موسى عليه السلام، والذين سمّتهم التوراة ببني إسرائيل، –والذين ظهروا بعد الخليل بسبعمائة عام– لا صلة لهم بإبراهيم عليه السلام قطعاً، لا في الثقافة ولا في اللغة ولا في العرق، فدور إبراهيم عليه السلام مرتبطٌ بالجزيرة العربية – وبيت الله العتيق فيها– التي هو منها وإليها، وهي وطن آبائه وأجداده الأصلي قبل هجرتهم إلى وادي الرافدين، فدوره يرتبط بتاريخ العرب مباشرة، وهو العصر العربي القديم المعاصر للقبائل العربية التي هو منها، والتي سميت فيما بعد بالعرب البائدة لانقراضها" [2] .

ثانياً: إنّ هناك حقيقة تاريخية كبيرة تسطّرها التوراة ذاتها، فمع تكرارها لمسألة الوعد بفلسطين، فإنّها تتناقض في إثبات هذا الوعد تناقضاً كبيراً، إذ تشير في كثير من المواضع إلى أن إبراهيم عليه السلام كان في أرض غربةٍ في فلسطين، وأنّه تنقّل منها وإليها، ولم يكتب له الاستقرار فيها دوماً، كما أنه أُمر بترك أرضه وعشيرته –في حران[3] بالعراق– إلى الأرض (الموعودة)[4]، **ثم جاء نص الوعد محدداً جغرافية الأرض متضمنة الفرات بأرض العراق، فكيف يأمره بالخروج من الأرض التي تقع ضمن الأرض الموهوبة؟!** [5] .

والنصوص التي تبين الاغتراب كثيرة، ومنها على سبيل المثال:

---

1) اليهود وأكاذيبهم، مارتن لوثر، (ص 19) .

2) العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة، (ص 238)– بتصرف يسير .

3) حرّان: مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهي قصبة ديار مضر، بينها وبين الرّها يوم وبين الرّقّة يومان، وهي على طريق الموصل والشام والروم، وفتحت في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، على يد عياض بن غنم نزل عليها قبل الرّها **[** معجم البلدان، الحموي، (236/2)– بتصرف **]** .

4) تكوين 12: 1، ونصه: «وَقَالَ الرَّبُّ لأَبْرَامَ: اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ» .

5) انظر: العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة، (ص230)، **أيضاً**: فلسطين بين الوعد الإلهي الحق والوعد اليهودي المفترى، د. صالح الرقب، (ص 34) .

أ- « فَدَعَا إِسْحَاقُ يَعْقُوبَ وَبَارَكَهُ، وَأَوْصَاهُ وَقَالَ لَهُ: **لاَ تَأْخُذْ زَوْجَةً مِنْ بَنَاتِ كَنْعَانَ** ... وَيُعْطِيكَ بَرَكَةَ إِبْرَاهِيمَ لَكَ وَلِنَسْلِكَ مَعَكَ، **لِتَرِثَ أَرْضَ غُرْبَتِكَ الَّتِي أَعْطَاهَا اللهُ لإِبْرَاهِيمَ**»[1].

ب- « وَجَاءَ يَعْقُوبُ إِلَى إِسْحَاقَ أَبِيهِ إِلَى مَمْرَا ... الَّتِي هِيَ حَبْرُونُ، **حَيْثُ تَغَرَّبَ إِبْرَاهِيمُ وَإِسْحَاقُ**»[2].

ت- « **وَسَكَنَ يَعْقُوبُ فِي أَرْضِ غُرْبَةِ أَبِيهِ، فِي أَرْضِ كَنْعَانَ** »[3] .

ث- « **فَقَالَ يَعْقُوبُ لِفِرْعَوْنَ: أَيَّامُ سِنِي غُرْبَتِي مِئَةٌ وَثَلاَثُونَ سَنَةً.** قَلِيلَةً وَ رَدِيَّةً كَانَتْ أَيَّامُ سِنِي حَيَاتِي، وَلَمْ تَبْلُغْ إِلَى أَيَّامِ سِنِي **حَيَاةِ آبَائِي فِي أَيَّامِ غُرْبَتِهِمْ** » [4].

إنّ الحديث عن اغتراب إبراهيم عليه السلام في أرض كنعان، لا يلغي حقيقة أخرى، وهي كون إبراهيم عليه السلام من أصلٍ عربي؛ إذ تبين التوراة أنه ينتمي إلى القبائل الأرامية، جاء في ذلك: « ثُمَّ تُصَرِّحُ **وَتَقُولُ أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكَ: أَرَامِيًّا تَائِهًا كَانَ أَبِي**، فَانْحَدَرَ إِلَى مِصْرَ وَتَغَرَّبَ هُنَاكَ فِي نَفَرٍ قَلِيل، فَصَارَ هُنَاكَ أُمَّةً كَبِيرَةً وَعَظِيمَةً وَكَثِيرَةً » [5].

" ومعلوم أنّ القبائل الأرامية هي قبائل عربية نزحت من موطنها الأصلي في جزيرة العرب، واستقرت على ضفاف الفرات في شمال سورية، ثم نزل بعض أسرها إلى العراق ومنهم أسرة الخليل إبراهيم عليه السلام، وعليه فيكون الخليل عراقياً بالولادة، عربياً في قوميّته أصلاً" [6] .

" ولما نادى إبراهيم عليه السلام بعقيدة التوحيد وناصبه الوثنيون من قومه العداء، سار إلى حران بالعراق، ومنها إلى أرض كنعان (فلسطين)، و بعد موجة من الجفاف والقحط انحدر إلى مصر وعاش فيها مدة من الزمن، ثم عاد منها إلى فلسطين، ومات في الخليل" [7] .

---

1) تكوين 28 : 1- 4 .
2) تكوين 35 : 27 .
3) تكوين 37 : 1 .
4) تكوين 47 : 9 .
5) تثنية 26 : 5
6) العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة، (ص 252)- بتصرف .
7) المصدر السابق، (ص 253)- بتصرف .

ثالثاً: إنّ حقيقة اغتراب إبراهيم وبنيه –عليهم السلام– في أرض فلسطين، تقود إلى حقيقة أخرى لا جدال فيها، وهي أنّ أرض فلسطين لم تكن خالية وقت قدوم إبراهيم عليه السلام إليها، وهذا أثبتته التوراة ذاتها أيضاً، فهي تحكي أن مملكة للفلسطينيين كانت قائمة **وتسمى (مملكة جَرَار)، وكان للفلسطينيين مَلِك ويدعى (أبيمالك)، ومما جاء في وفود إبراهيم وبنيه على بلاده ومملكته:**

– « وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ سَارَةَ امْرَأَتِهِ: هِيَ أُخْتِي. **فَأَرْسَلَ أَبِيمَالِكُ مَلِكُ جَرَارَ** وَأَخَذَ سَارَةَ»[1] .

– « **ثُمَّ قَامَ أَبِيمَالِكُ وَفِيكُولُ رَئِيسُ جَيْشِهِ وَرَجَعَا إِلَى أَرْضِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ**. وَغَرَسَ إِبْرَاهِيمُ أَثْلاً فِي بِئْرِ سَبْعٍ، وَدَعَا هُنَاكَ بِاسْمِ الرَّبِّ الإِلهِ السَّرْمَدِيِّ. **وَتَغَرَّبَ إِبْرَاهِيمُ فِي أَرْضِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ أَيَّامًا كَثِيرَةً**» [2] .

– « وَكَانَ فِي الأَرْضِ جُوعٌ غَيْرُ الْجُوعِ الأَوَّلِ الَّذِي كَانَ فِي أَيَّامِ إِبْرَاهِيمَ، **فَذَهَبَ إِسْحَاقُ إِلَى أَبِيمَالِكَ مَلِكِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، إِلَى جَرَارَ**» [3] .

وتروي التوراة أنّ هذا الملك قد استقبل إبراهيم وإسحاق –عليهما السلام– وأكرمهما بالهدايا والعبيد والمواشي الكثيرة، إذ جاء في التوراة: « **فَأَخَذَ أَبِيمَالِكُ غَنَمًا وَبَقَرًا وَعَبِيدًا وَإِمَاءً وَأَعْطَاهَا لإِبْرَاهِيمَ،** وَرَدَّ إِلَيْهِ سَارَةَ امْرَأَتَهُ وَقَالَ أَبِيمَالِكُ: **هُوَذَا أَرْضِي قُدَّامَكَ. اسْكُنْ فِي مَا حَسُنَ فِي عَيْنَيْكَ**» [4] .

رابعاً: إن الفترات التاريخية التي حكم فيها أنبياء وملوك بني إسرائيل – الذين ينتسب إليهم يهود اليوم– هي فترات محدودة جداً بالنسبة لحكم أهلها الأصليين الذين يعدّ وجودهم على هذه الأرض أسبق بقرون من دخول اليهود أو بني إسرائيل، فيما عرف بـ (الغزو الإسرائيلي)، وقد كانت ممالكهم صغيرة ولم يستولوا على كامل أرض فلسطين –كما سلف– وقد قاومهم دوماً أهل الأرض الأصليين مقاومة عنيدة حتى في زمن مملكة داود وابنه سليمان –عليهما السلام[5] .

---

1) تكوين 20 : 2 .

2) تكوين 21 : 32 – 34 .

3) تكوين 26 : 1 .

4) تكوين 20 : 14– 15 .

5) انظر: تاريخ فلسطين القديم، ظفر الإسلام خان، (ص 29) .

يقول المؤرخ **جوستاف لوبون**[1]: " كان بنو إسرائيل أقلّ من أمّة، حتى زمن شاول، كانوا أخلاطاً من عصابات جامحة، كانوا مجموعة غير منسجمة من عصابات ساميّة صغيرة أفّاقة بدوية، تقوم حياتها على الغزو والفتح والجدب وانتهاب القرى الصغيرة ... **فالعبريون قضوا زمناً طويلاً ليكون لهم سلطان ضئيل في فلسطين، لا أن يكونوا سادتها** ... وفتح فلسطين في عهد شاول كان بعيداً عن التمام ... وكان السلطان في فلسطين للفلسطينيين" [2] .

" وعليه فوجود هذه الممالك (الإسرائيلية) الصغيرة في الحجم والمساحة والقليلة في عدد السكان، والتي دامت فترة زمنية صغيرة، لا يصلح الاستدلال بها على أحقية بني إسرائيل وحدهم في ملكية أرض فلسطين كلّها، فالعقل والمنطق يحكمان بأن أصحاب الممالك التي عمّرت طويلاً وكانت أسبق في الوجود من تلك الممالك الصغيرة والمصاحبة لها والتالية بعدها هم أحق الناس بملكية هذه الأرض، خاصة وأن التاريخ يحدّث عن حضارة عظيمة قامت للفلسطينيين على هذه الأرض قبل أن يحصل اليهود على وعدهم المزعوم بآلاف السنين" [3] .

خامساً: إنّ أولى الأمم والشعوب تاريخياً بأرض فلسطين هم العرب والمسلمون، **وذلك لسببين أساسين في –فهم الباحث– وهما:**

الأول: لأنّ العرب أول من سكن أرض فلسطين واستوطنها، ومكثوا فيها آلاف السنين، بإجماع المؤرخين المنصفين عرباً وعجماً، مسلمين وغير مسلمين.

الثاني: لأنّ المسلمين فتحوا أرض فلسطين، وحكموها في ظل الإسلام وحافظوا عليها لأكثر من ثلاثة عشر قرناً من الزمان.

---

1) جوستاف لوبون (1841–1931م): مؤرخ فرنسي، عني بالحضارات الشرقية، ومن آثاره "حضارة العرب"، "الحضارة المصرية"، "حضارة العرب في الأندلس"، وله كتاب الحضارات الكبرى، ولوبون من أشهر فلاسفة الغرب الذين أنصفوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية، **انظر:** ترجمة محقق الكتاب محمود النجيري لجوستاف في مقدمته، (ص3–11) .

2) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، لوبون، (ص49، 52، 53)– بتصرف .

3) وثيقة الصهيونية في العهد القديم، جورجي كنعان، دار النهار/بيروت، ط2، 1982م، (ص 109)– بتصرف، **أيضاً:** فلسطين بين الوعد الإلهي الحق والوعد اليهودي المفترى، د. صالح الرقب، (ص 71) .

" هذا هو الحقّ التاريخي الأقرب للمنطق والواقع، إذ إننا لو سلمنا جدلاً بالحق التاريخي المزعوم لليهود في فلسطين فهذا معناه إعادة تقسيم العالم المعاصر بناءً على التاريخ القديم للشعوب والأمم، ووقتها من حق المسلمين التاريخي أن يعودوا إلى إسبانيا؛ لأنهم أقاموا في الماضي دولة الأندلس[1] التي استمرت قروناً عدة، ومن حق الإسبان أن يعودوا إلى المكسيك وأمريكا الجنوبية، ومن حق البريطانيين أن يعودوا إلى حكم أجزاء كبيرة من الولايات المتحدة، ومن حق الهولنديين أن يعودوا إلى حكم إندونيسيا التي ملكوها قديماً عدة قرون" [2] .

خلاصة المطلب:

أولاً: لا يثبت لليهود حق ديني في فلسطين، إذ إنّ مصادر الديانات كلّها تثبت عدم أهلية اليهود عبر التاريخ لامتلاك الأرض المقدّسة، إذ لم يلتزموا أوامر الله ﷻ وحاربوه وأشركوا معه غيره، وفسدت عقيدتهم، وساءت أخلاقهم، فاستحقوا غضب الله ومقته.

ثانياً: أثبت العلم والتاريخ والدين أن لا صلة تربط اليهود بمن يسمّونهم الآباء، كإبراهيم وإسحاق ويعقوب -عليهم السلام- لا من جهة الدين ولا من جهة النسل والعرق، وعليه فكل وعد مزعوم لنسل هؤلاء الآباء يسقط عن اليهود في هذا العصر، ولا وجه لاستدلالهم بما ورد في توراتهم حول هذا الوعد ولوازمه وتبعاته.

ثالثاً: كيف يكون حقٌ لليهود تاريخياً في فلسطين - بحجة امتلاك آبائهم لها- وهؤلاء أصلاً ليسوا بآبائهم من حيث فارق الزمان وانقطاع الأنساب، ثم إنهم - أي الآباء المزعومون- من أصل عربي عريق موغل في قلب الجزيرة العربية، ناهيك عن أنّهم لم يمتلكوا يوماً أرض كنعان أصلاً، ولم تكن لهم سوى دار غربة وممر لا دار امتلاك ومستقر، وأنّ هذه الأرض كانت عامرة بسكانها، وكل ذلك بنص توراتهم، فضلاً عن حقائق التاريخ وآيات الكتاب العزيز.

---

1) الأندلس: اسم عربي أطلقه المسلمون على منطقة جنوب إسبانيا بعد ما فتحها القائد طارق بن زياد سنة 711م وقد أصبحت الأندلس جزءا من الدولة الإسلامية، ويعتبر عبد الرحمن الداخل المؤسس للدولة الأندلسية سنة 750م، وفي العصر الحاضر لا تزال منطقة جنوب إسبانيا تعرف باسم الأندلس وتعتبر إحدى المقاطعات التي تشكل إسبانيا الحديثة وتحتفظ بالعديد من المباني التي يعود تاريخها إلى عهد الدولة الإسلامية في الأندلس, وتحمل اللغة الإسبانية كثيرا من الكلمات التي يعود أصلها إلى اللغة العربية **[** مجلة البحوث الإسلامية، (95/81)- بتصرف**]**.

2) فلسطين بين الوعد الإلهي الحق والوعد اليهودي المفترى، د. صالح الرقب، (ص 73)- بتصرف يسير .

المطلب الخامس

اضطراب واختلاف الطوائف اليهودية في هذه العقيدة

بعد أن عرض الباحث عقيدة اليهود في الأرض المقدسة، وأوجه استدلالهم على صحة هذه العقيدة من مصادرهم الدينية، وادّعائهم بالحق الديني والتاريخي في أرض فلسطين، وقام بالردّ على ادّعاءاتهم، لابد من التساؤل: هل أجمع اليهود على هذه العقيدة قديماً وحديثاً؟ وهل اتفقت طوائفهم على القول بعقيدة الأرض الموعودة؟ وما مدى إجماع اليهود على هذه العقيدة وما ترتب عليها؟ هذا ما سيتناول الباحث طرفاً منه في هذا المطلب بإذن الله.

قال الله ﷻ في شأن اليهود: ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ (الحشر/14)، قال الطبري: " عداوة بعض هؤلاء الكفار من اليهود بعضًا شديدة ... تظنّهم مؤتلفين مجتمعة كلمتهم... وقلوبهم مختلفة لمعاداة بعضهم بعضًا... من أجل أنهم قوم لا يعقلون ما فيه الحظّ لهم مما فيه عليهم البخس والنقص" [(1)] .

وقد تحدث الباحث عند مناقشة مصادر العقيدة اليهودية عن اختلاف الطوائف في إيمانها بالتوراة، واختلاف التوراة السامرية عن العبرانية، واختلاف الطوائف اليهودية حول العهد القديم، فيُنظر ذلك في موضعه[(2)].

وقد اختلف اليهود في نظرتهم إلى الأرض المقدّسة، رغم أهمية هذه العقيدة و خطورة ما ترتب عليها من ممارسات ووقائع على هذه الأرض، **وقد تجلّت معالم هذا الاختلاف بين الطوائف اليهودية فيما يلي:**

أولاً: السامريون لا يعترفون بالقدس:

حكى ذلك ابن حزم –رحمه الله– في الفصل، فقال: " فأما اليهود فإنهم قد افترقوا على خمس فرق ... (أوّلها) **السامريّة**، وهم يقولون: **إنّ مدينة القدس هي نابلس** – وهي من بيت المقدس

---

1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (292/23)– بتصرف .

2) انظر: البحث الذي بين يديك، (ص 124– 129) .

على ثمانية عشر ميلا- ولا يعرفون حرمة لبيت المقدس، ولا يعظمونه، ولهم توراة غير التوراة التي بأيدي سائر اليهود، ويبطلون كل نبوّة كانت في بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام وبعد يوشع عليه السلام ... ولا يقرّون بالبعث البتة، وهم بالشام لا يستحلون الخروج عنها " [(1)] .

وهذا الافتراق في طوائف اليهود يهدم أساس إيمانهم بعقيدة الوعد بفلسطين- في فهم الباحث-، إذ إنّ دعوى اليهود بالوعد بفلسطين مبنية أساساً على مدينة القدس التي هي موطن الهيكل المزعوم، وهذه الطائفة الهامّة من اليهود لا تعرف قدسية للقدس ولا تعترف بمكانتها، فإذا علمت -كما سلف- أنّ هذه الطائفة تمتلك توراةً خاصة، أدركت مدى التناقض والتلاعب بهذه العقيدة في توراة اليهود المحرّفة.

ومن أوجه التناقض البيّن في عقيدة طوائف اليهود في الأرض المقدّسة، اختلافهم في المكان الذي أُمر بنو إسرائيل ببناء بيت الربّ فيه!

ففي **التوراة العبرانية**: « **حِينَ تَعْبُرُونَ الأُرْدُنَّ، تُقِيمُونَ هذِهِ الْحِجَارَةَ الَّتِي أَنَا أُوصِيكُمْ بِهَا الْيَوْمَ فِي جَبَلِ عِيبَالَ**[(2)]، وَتُكَلِّسُهَا بِالْكِلْسِ، وَتَبْنِي هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ إِلهِكَ، مَذْبَحًا مِنْ حِجَارَةٍ لاَ تَرْفَعْ عَلَيْهَا حَدِيدًا»[(3)].

أمّا **التوراة السامرية** فتقول: « **تُقِيمُونَ الْحِجَارَةَ هذِهِ الَّتِي أَنَا موصِيكُمْ الْيَوْمَ فِي جَبَلِ** جِرْزِيْم، وَتَشُدّهَا بِشِيْد»[(4)] .

فيفهم من النسخة العبرانية أنّ موسى عليه السلام أمر ببناء الهيكل- أو بيت عبادة الله عز وجل – على جبل عيبال، ومن النسخة السامرية أنّه أمر ببنائه على جبل جِرْزيم، وبين اليهود والسامريين سلفاً

---

1) الفصل، ابن حزم، (177/1 – 178)- بتصرف.

2) جبل عيبال: أحد الجبلين اللذين يحدّان نابلس، والآخر جبل "جرزيم"، و قمة عيبال هي الأعلى في جبال نابلس، إذ ترتفع عن سطح البحر 940 متراً، سماه الكنعانيون بهذا الاسم ومعناه الصخور أو الحجارة، وأخذ اليهود تسميته عن الكنعانيين، ويسمى أيضاً "الجبل الشمالي" أو جبل "ست سُليميّة" **[** بلادنا فلسطين، مصطفى الدباغ، دار الهدى/ كفر قرع- فلسطين المحتلة، ط(بدون)، 1991م، (22/2)- بتصرف **]**.

3) تثنية 27 : 4 – 5 .

4) تثنية 27 : 4، التوراة السامرية، د. أحمد حجازي السقا، (ص 392) .

وخلفاً نزاع مشهور، إذ تدّعي كلّ فِرقة منهما أنّ الفرقة الأخرى حرّفت التوراة في هذا المقام[1] .

لكنّ العجيب أنّ التوراة (العبرانية والسامرية على حد سواء) تلعن جبل عيبال أصلاً: « وَإِذَا جَاءَ بِكَ الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِكَيْ تَمْتَلِكَهَا، **فَاجْعَلِ الْبَرَكَةَ عَلَى جَبَلِ جِرِزِّيمَ، وَاللَّعْنَةَ عَلَى جَبَلِ عِيبَالَ**» [2] .

فكيف يلعن الربّ الجبل –أي جبل عيبال– ثم يأمر ببناء بيت الربّ عليه؟! **(**في التوراة العبرانية**)**، فهل يجوز أن يأمر الربّ ببناء بيته في بقعة ملعونة سلفاً ومأمورٌ بلعنها؟! .

ثانياً: **حركة التنوير والاندماج اليهودي**:

وتسمى هذه الحركة بالعبرية (الهسكلاه)[3]، وهي حركة ظهرت بين يهود أوروبا في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي، وبدأت في ألمانيا، وتتناقض مبادئ هذه الحركة مع عقيدة الوعد بفلسطين **من عدة وجوه، وهي**[4]:

1. أنها تعتبر فكرة العودة إلى الأرض المقدّسة خرافة وأسطورة، واعتبروا أنّ فكرةَ جبل صهيون هي مفهوم روحي على غرار المدينة الفاضلة التي لا وجود لها.

2. أنها تدعو إلى الاندماج في المجتمعات الغربية، وتعلم اللغات الوطنية، واعتبار اللغة العبرية من التراث.

3. أنها تدعو للفصل بين الدين اليهودي وما يسمى بالقومية اليهودية.

4. أنها هاجمت التراث الديني اليهودي، واعتبرته مغرقاً في الغيبية والتخلف واللا تاريخية.

5. أنّها اعتبرت بأنّ الخلاص هو انتشار العقل والعدالة بين الشعوب، وليس الخلاص مرهوناً بالعودة إلى أرض الميعاد.

---

1) انظر: إظهار الحق، رحمة الله الهندي، (439/2) .

2) تثنية 11 : 29 .

3) الهسكلاه: كلمة عبرية تعني "التنوير" وهي مشتقة من الجذر العبري "سيخيل" الذي يعني "عقل" أو "ذكاء"، ثم استخدمت الكلمة بمعنى "استنارة" **[انظر:** موسوعة اليهود، المسيري 75/3 **]** .

4) انظر: الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات، عبد المجيد همو، دار الأوائل للنشر/دمشق، ط2، 1425هـ/ 2004م، (ص 191)، **أيضاً:** موسوعة اليهود، المسيري، (75/3–80) .

6. أنّها هاجمت التراث اليهودي الشفوي مثل التلمود، كما هاجمت فكرة الشعب المقدّس.

وهذه -كما يتضح- حالة من الخلاف والارتباك داخل اليهودية، بدأت منذ قرون عدّة، في دلالة جديدة على مدى اضطراب العقيدة اليهودية في الأرض المقدّسة.

ثالثاً: تناقض الصهيونية [1] مع عقيدة الماشيّح [2]:

" إنّ الاعتقاد بمجيء المسيح وبعث اليهود هو أحد الأركان الأساسية في الديانة اليهودية، ويعتمد فيه اليهود على تفسير رؤى كلٍ من دانيال و حزقيال، والتي وردت في العهد القديم"[3].

والماشيّح اليهودي (المزعوم) هو ملك من نسل داود عليه السلام، سيأتي ليعدل مسار التاريخ اليهودي، بل البشري، فينهي عذاب اليهود ويأتيهم بالخلاص ويجمع شتات المنفيين ويعود بهم إلى صهيون، ويحطم أعداء جماعة (إسرائيل)، ويتخذ أورشليم (القدس) عاصمة له، ويعيد بناء الهيكل، ويحكم بالشريعتين المكتوبة والشفوية ويعيد كل مؤسسات اليهود القديمة، مثل السنهدرين[4]، ثم يبدأ الفردوس الأرضي الذي سيدوم ألف عام[5].

وعلى اعتبار أنّ المسيح المخلّص هذا سيقيم دولة اليهود وسيعود بهم إلى أرض صهيون، فقد ظل اليهود يعارضون قيام دولة يهودية قبل مجيء المسيح، وذلك حتى بدايات الحركة الصهيونية مع نهاية القرن التاسع عشر [6] .

---

1) سيتم التعريف بالصهيونية في المبحث الثالث من هذا الفصل، وإنما المقصود هنا توضيح قضية التناقض.

2) الماشيّح: كلمة عبرية تعني "المسيح المخلّص" ومنها "مشيحيوت" أي "المشيحيانية" وهي الاعتقاد بمجيء الماشيح، وهو شخص مرسل من الإله يتمتع بقداسة خاصة، وهو إنسان سماوي وكائن معجز خلقه الإله قبل الدهور يبقى في السماء حتى تحين ساعة إرساله [موسوعة اليهود، المسيري، (294/5)- بتصرف].

3) المسيح اليهودي ونهاية العالم، رضا هلال، مكتبة الشروق/ القاهرة، ط1، 1421هـ/ 2000م، (ص 54).

4) السنهدرين: وتعني «مجلس»، وقد كان هذا الاسم يُطلق على الهيئة القضائية العليا المختصة بالنظر في القضايا السياسية والجنائية والدينية المهمة في المناطق التي كان يعيش فيها اليهود في فلسطين، (قبل الميلاد بقرون)، وكان السنهدرين بمنزلة المحكمة، وهي محكمة تمارس تطبيق العدالة وإصدار الأحكام طبقاً للشريعة اليهودية في ذلك الوقت [موسوعة اليهود، المسيري، (63/4- 64)- بتصرف] .

5) انظر: موسوعة اليهود، المسيري، (294/5) .

6) انظر: المسيح اليهودي ونهاية العالم، رضا هلال، (ص 63).

يقول د. المسيري حول عقيدة الماشيّح اليهودية: " نجد أنّ العصر الذهبي (أو العصر المشيحاني) يشمل التاريخ والطبيعة معاً، فعلى مستوى التاريخ، نجد أنّ السلام – حسب إحدى الروايات– سيعمّ العالم، وأنّ الفقر سيزول، وستُحول الشعوب أدوات خرابها إلى أدوات بناء، ويصبح الناس كلّهم أحبّاء متمسكين بالفضيلة، ولكن صهيون ستكون بطبيعة الحال مركز هذه العدالة الشاملة، كما ستقوم كل الأمم على خدمة الماشيَّح، وفي رواية أخرى؛ ستسود صهيون الجميع وستحطم أعداءها، أمّا على مستوى الطبيعة، فإننا نجد أنّ الأرض ستُخصب وتطرح فطيراً، وملابس من الصوف، وقمحاً حجم الحبة منه كحجم الثور الكبير!، ويصير الخمر موفوراً "[1] .

وقد ضربت هذه العقيدة جذوراً راسخة في الوجدان اليهودي، حتى أنه **حينما اعتلى الحشمونيون (المكابيون) العرش، كان ذلك مشروطاً بتعهدهم بالتنازل عنه فور وصول الماشيَّح**[2] .

ما سبق هو مختصر عقيدة الماشيح أو المسيح المخلّص عند اليهود، ويتضح أنّ هذه العقيدة تتناقض مع فكرة الصهيونية –في فهم الباحث– من حيث إنّ الصهيونية لم تنتظر هذا المسيح المخلّص ليجمع شعبه المقدّس في أرضه المقدسة.

فالصهيونيون حوّلوا هذا المعتقد الديني إلى برنامج سياسي، كما حوّلوا الشعارات والرموز الدينية إلى شعارات ورموز دنيوية سياسية، وهم يرون أنّ جذور حركتهم تعود إلى الدين اليهودي ذاته، فهم شعب مختار منفي مرتبط بأرضه ينتظر الخلاص[3] .

لكن هذه الدعوى من الصهيونيين باتفاق حركتهم مع الدين اليهودي مردودة؛ إذ إن الدارسين للدين اليهودي يعلمون أن ارتباط اليهود بالعودة إلى الأرض المقدسة هو ارتباط توراتي مشهور، والدين اليهودي يحرّم العودة إلى أرض الميعاد، ويعدّ أنّ مثل هذه المحاولة هي من قبيل التحريف والهرطقة، لأنّ عودة اليهود حسب المعتقد الديني لا يمكن أن تتم إلا على يد مبعوث من لدن

---

1) موسوعة اليهود، المسيري، (294/5) .

2) المصدر السابق، (295/5) .

3) انظر: الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات، عبد المجيد همو، (ص 192– 193) .

الخالق هو المسيح المخلّص، وليس على يد حركة سياسية مثل المنظمة الصهيونية العالمية، ولهذا حين ظهرت الحركة الصهيونية عارضتها المنظمات اليهودية في العالم[1].

وهذا تناقض معتبر –حسب ما يتضح للباحث– ويجب الوقوف عنده، إذ هو تناقض في أصل كبير ومبدأ هام في عقيدة اليهود المتعلقة بالأرض المقدسة الموعودة المزعومة، فكيف يمكن فهم دعوى اليهود بحقّهم في الأرض، في حين أنّ عودتهم إليها بالشكل الحاصل في هذا الزمن هي عودة محرّمة محظورة حسب دينهم؟! .

رابعًا: **التناقض بين اليهودية والصهيونية**:

بالرغم من الإثبات لأساس العقيدة اليهودية في الأرض المقدّسة، فإنّ هذه العقيدة بقيت محلاً للتناقضات حتى عندما تعلّق الأمر بتطبيق الوعد المزعوم عن طريق الصهيونية كما سيأتي.

فقد رأى الكثير من اليهود أنّ مشروع هرتزل السياسي – الذي أسس لما سمي بالصهيونية السياسية، وأدّى إلى قيام دول لليهود في فلسطين – هو خيانة للإيمان النبوي اليهودي، فبالتزامن مع مؤتمر بال عام 1897م –الذي عُقد بدفع من هرتزل– كان هناك مؤتمر في مونتريال[2] لأبرز الشخصيات اليهودية في أمريكا جاء في بيانه: " **إننا نستنكر كلّيةً أية محاولة تهدف إلى إنشاء دولة يهودية، وإن محاولات من هذا القبيل لتكشف عن مفهوم ضال لرسالة (إسرائيل)** التي امتدت من مجال سياسي وقومي ضيق إلى التوجه بالدين إلى الإنسانية بأكملها ... **ونحن نؤكد أنّ هدف اليهودية ليس سياسياً ولا قومياً، ولكنه هدف روحي...**"[3].

---

1) الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات، عبد المجيد همو، (ص 193) .

2) مونتريال: مدينة كندية، وهي أكبر مدن مقاطعة كيبك وأكبر مدينة كندية حتى سنوات 1970م، وهي كبرى مُدن العالم المتحدثة بالفرنسية بعد باريس، حوالي ثلثا السكان فيها من ذوي الأصول الفرنسية، تعتبر واحدة من أكبر موانئ العالم البحرية الداخلية، والمركز الرئيسي للنقل في كندا، وهي مركز رئيس للأعمال الصناعية والثقافة والتعليم الكندي **[انظر**: موسوعة ويكيبيديا الحرة، رابط: مونتريا ل_www.wikipedia.org/wiki، بتاريخ 2013/02/23**]**

3) فلسطين أرض الرسالات الإلهية، رجاء جارودي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار نهضة مصر/القاهرة، ط3، 2010م، (ص 233) .

وفي تصريحٍ واضح يبيّن هذا التناقض، قال أحد الربّانيين اليهود ويدعى "هرش" في حدة وغضب لصحيفة "واشنطن بوست" في الثالث من أكتوبر عام 1978م: " **إنّ الصهيونية تتعارض تعارضاً كاملاً مع اليهودية، فالصهيونية تريد أن تعرّف الشعب اليهودي على أنه وحدة قومية، وتلك هرطقة،** فقد تلقى اليهود الرسالة من الربّ لا لكي يفرضوا عودتهم إلى الأرض المقدّسة ضد إرادة من يسكنونها، فإن فعلوا ذلك فإنهم يتحملون نتائجه ... إنّ المذبحة الكبرى نتيجة من نتائج الصهيونية"[1] .

" ومن المعروف أنّ الحركة الصهيونية لاقت مقاومة شديدة عند ظهورها من أغلبية أعضاء الجماعات اليهودية في العالم، ولجأت إلى أنواع من العنف لقهرها والسيطرة عليها" [2] .

ومن الطوائف اليهودية التي تتناقض مع الصهيونية بوضوح هي **اليهودية الأرثوذكسية**[3]، "والتي كان يرى زعيمها (سمسون هيرش)[4] بأنّ اليهود شعبٌ، لكن قوميته مختلفة عن القوميات الأخرى، فقوميتهم دينية، وعليهم انتظار الماشيّح، وعليهم إقامة كل الشعائر الدينية المنصوص عليها في التوراة وذلك حتى يعجلوا بخلاص أنفسهم وخلاص العالم وتَوحُّد الذات الإلهية، حسب ما

---

1) فلسطين أرض الرسالات الإلهية، رجاء جارودي، (ص 234)- بتصرف يسير .

2) موسوعة اليهود، المسيري، (396/6)- بتصرف يسير .

3) اليهودية الأرثوذكسية: فرقة دينية يهودية حديثة ظهرت في أوائل القرن التاسع عشر، وجاءت كرد فعل للتيارات التنويرية والإصلاحية بين اليهود، وتُعتبر الأرثوذكسية الامتداد الحديث لليهودية الحاخامية التلمودية، ومصطلح «أرثوذكس» مصطلح مسيحي يعني «الاعتقاد الصحيح»، وقد استُخدم لأول مرة في إحدى المجلات الألمانية عام 1795، للإشارة إلى اليهود المتمسكين بالشريعة **[** موسوعة اليهود، المسيري، (384/5) **]**.

4) سمسون هيرش (1808-1888م): حاخام ألماني، وقائد الحركة اليهودية الأرثوذكسية، تَلقَّى تعليماً دينياً كاملاً ودرس التلمود مع والده، وكان من أوائل الثائرين ضد اليهودية الإصلاحية، أصبح عام 1851م حاخام الجماعة الأرثوذكسية في فرانكفورت التي عزلت نفسها عن الجماعة الإصلاحية لأنه كان يرى أنها ستؤدي إلى انحلال اليهودية، وإلى إفراغها من محتواها، وطرح بدلاً من ذلك شعار «التوراة والمعرفة العلمانية» **[** موسوعة اليهود، المسيري، (386/5) **]**.

جاء في كتب القبَّالاه[1]، وقد طالب هيرش اليهود الأرثوذكس بأن ينظموا أنفسهم في جماعة مستقلة ومنفصلة، وأن يرفضوا التحالف مع الجماعات اليهودية الأخرى، أو الاختلاط بها، إذا هي رفضت مُثلهم وعقائدهم" [2] .

وعلى النقيض من اليهودية الأرثوذكسية تقف **اليهودية الإصلاحية**[3]، ورغم ذلك فإنها – أي الإصلاحية– تقف ضد الصهيونية بشراسة، لأنّ الصهيونية تصرّ على أن القدسية حلّت على الشعب والأرض، أما الإصلاحيون فيرون أنّ الإله حلّ لا في الأمة اليهودية ولا في الأرض اليهودية ولا حتى في التاريخ اليهودي؛ وإنّما في روح التقدم والعصر، ولذا فإنهم يرون أنّ اليهود ليسوا شعباً وإنما أقلّيات دينية، وأنّ الماشيّح ليس شخصاً وإنّما عصر مشيحاني تتحقق فيه كل قيم التقدم والعدالة [4] .

خامساً: **جماعة "ناطوري كارتا"**:

"ناطوري كارتا" هي عبارة آرامية معناها: **(نواطير المدينة)** أو **(حُرَّاس المدينة)**، وهي جماعة دينية يهودية أرثوذكسية من أكثر الجماعات عداءً للدولة الصهيونية، إذ يعتبرون أنّها لا تمثّل استمراراً للتراث الديني اليهودي أو تنفيذاً للتعاليم اليهودية، وإنّما رفضاً لها وانسلاخاً عن التراث

---

1) القبّالاه: هي مجموعة التفسيرات والتأويلات الباطنية والصوفية عند اليهود، والاسم مُشتَّق من كلمة عبرية تفيد معنى التواتر أو القبول أو التقبل أو ما تلقاه المرء عن السلف، أي «التقاليد والتراث» أو «التقليد المتوارث»، وكان يُقصَد بالكلمة أصلاً تراث اليهودية الشفوي المتناقل فيما يعرف باسم «الشريعة الشفوية»، ثم أصبحت الكلمة تعني «أشكال التصوف والعلم الحاخامي المتطورة» **[** موسوعة اليهود، المسيري، (164/5) **]**.

2) موسوعة اليهود، المسيري، (386/5)– بتصرف .

3) اليهودية الإصلاحية: فرقة دينية يهودية حديثة، ظهرت في منتصف القرن التاسع عشر في ألمانيا، وانتشرت منها إلى بقية أنحاء العالم، وخصوصاً الولايات المتحدة، وهي تُسمَّى أيضاً «اليهودية الليبرالية» و«اليهودية التقدمية»، وظهور الحركات الإصلاحية في اليهودية يعود إلى أزمة اليهودية الحاخامية أو التلمودية التي ارتبطت بوضع اليهود في أوربا قبل الثورة الصناعية **[** موسوعة اليهود، المسيري، (370/5) **]**.

4) انظر: موسوعة اليهود، المسيري، (408/6) .

الديني، بل إنّ الصهيونية من منظور (ناطوري كارتا) هي أخطر المؤامرات الشيطانية الموجّهة ضد اليهودية! [1] .

فالشعب اليهودي – بالنسبة لهذه الجماعة – ليس شعباً بالمعنى المُتعارَف عليه، وإنّما هو أساساً جماعة دينية ظهرت إلى الوجود منذ 3000 عام، ويستمد هذا الشعب وجوده من ميثاقه مع الخالق، وهو ميثاق دائم لا يمكن فهمه [2].

وفيما يخص علاقة اليهودي بأرض الميعاد، يؤكد **نواطير المدينة** أنّ " اليهودي المتدين يتجه بعواطفه وقلبه لهذه الأرض وخصوصاً مدينة القدس، فهم يذكرونها في صلواتهم عدة مرات كل يوم، ولكن هذه الصلوات لا علاقة لها بالصهيونية أو بفكرة العودة الصهيونية، **فنفي اليهودي من أرض الميعاد هو من الأوامر الربانية التي لا يمكن مخالفتها أو التمرد عليها**، ولذا لا يملك اليهودي المتدين إلا أن يستمر في صلواته إلى أن يستجيب الإله لدعائه ويأمر بعودة اليهود" [3] .

" ويقولون بأنّ الماشيَّح المُنتظَر هو وحده القادر على إقامة الدولة، وحين يعود سيؤسس مملكة الكهنة والقديسين، أما الصهاينة فهم يحاولون التعجيل بالنهاية، ويدعون إلى العودة بقوة السلاح دون انتظار مشيئة الإله، ولذا، فدولة (إسرائيل) في نظر نواطير المدينة ثمرة الغطرسة الآثمة؛ لأنّها قامت على يد نفر من الكافرين الذين تمردوا على مشيئة الإله، وهي خيانة للشعب اليهودي الذي تأسَّس كجماعة دينية في سيناء لا في أرض الميعاد" [4] .

وهذا اتّجاه – فيما اتّضح للباحث– ينسجم مع حركات الاندماج داخل اليهودية، وهو ينقض الاعتقاد اليهودي في أرض فلسطين، فهو اعتقاد خاضع للاجتهاد – بل التناحر والتكفير المتبادل– داخل البيت اليهودي.

---

1) انظر: موسوعة اليهود، المسيري، (415/6) .

2) انظر: المصدر السابق، (6/ 415) .

3) المصدر نفسه، (6/ 416)– بتصرف يسير .

4) المصدر ذاته، (6/ 416) .

سادساً: **التناقض بين الصهيونية والصهيونيين**:

تحدث الباحث في السطور الفائتة عن تناقض الصهيونية مع أصل العقيدة اليهودية، ولا بد أن يتطرق الباحث سريعاً إلى التناقض في بُنية الفكرة الصهيونية نفسها.

فالصهيونية تدّعي أنّها تطبيقٌ للعقيدة اليهودية، في حين أنك تجد إحصاءات الحكومة الصهيونية تقول بأن 15% فقط من الصهاينة المحتلين لفلسطين هم من المتدينين (أي المؤمنين بالدين)، وأنّ 90% منهم يرون أنّ هذه الأرض قد أعطاهم إياها الربّ (الذي لا يؤمنون به)!، كما أنّ غالبيتهم لا يشتركون في الشعائر ولا في الإيمان الديني، ناهيك عن أن ما يسمى بالأحزاب الدينية المختلفة التي تلعب دوراً حاسماً في دولتهم لا تضمّ سوى أقلّية ضئيلة من الجمهور الصهيوني[1] .

وهذا التناقض جعل قادة الكيان الصهيوني يعملون على تقوية سلطة الكهنوت، ويلجئون إلى جعل دراسة الدين إجبارية في مناهج المدارس منذ عهد ابن جوريون، وقوة هذا التناقض هي التي تجعل الأحزاب السياسية غير الدينية ترجع إلى الكتاب المقدّس، لتدعيم سياسة ترى أنّ فلسطين تخصّ الصهيونيين بموجب منحة ممهورة بتوقيع الله [2] .

يفهم الباحث من هذا التناقض سيطرة النخبة المتمثلة في كبار رجال السياسة والدين على مفاتيح الدعوة إلى الصهيونية والعقيدة اليهودية العنصرية القائمة على الاستيلاء على الأرض وطرد الإنسان، وهي في سبيل ذلك تمارس أكبر خداع تاريخي و تعمل على فرض الأساطير الدينية.

ومن مظاهر التناقض بين الصهيونية والصهيونيين كذلك ظاهرة (**الهجرة المعاكسة**)، حيث إنّ كثيراً من الصهاينة يغادرون فلسطين إلى مواطنهم الأصلية في أمريكا وأوروبا وغيرها.

---

1) **انظر**: فلسطين أرض الرسالات الإلهية، رجاء جارودي، (ص 186) .

2) المصدر السابق، (ص 186–187)– بتصرف .

فمثلاً، في يونيو عام 1997م غادر الكيان الصهيوني 40 ألف مهاجر يهودي من أصل روسي في إطار الهجرة المعاكسة [1].

وبشهادات مراكز الإحصاء الصهيونية نفسها فإنّ الهجرة العكسية من (الكيان الصهيوني) إلى الخارج قد ارتفعت بنسبة خمسة أضعاف في العام 2006م، وارتفعت هذه النسبة لتصير 8700 فرد هاجروا في العام 2009م، ما يعني أنّ عدد السكان اليهود في (الكيان الصهيوني) في تناقص ملحوظ .. من 6.7 ملايين إلى 5.7 ملايين، ما بات يثير قلق الصهاينة، كياناً وشعباً ومشروعاً، وإلى درجة بات يتوقّع فيها بعض صهاينة الخارج والداخل بأنّ ما يسمى بـ (إسرائيل) مع حلول العام 2048م (وهو العام الافتراضي لاحتفالها بالذكرى المئوية لتأسيسها) سوف تكون دولة بغلبة غير يهودية، هذا إذا لم تترجم نبوءة الباحث والإعلامي اليهودي الأميركي "بنجامين شينارتس"[2] القائلة بأن (إسرائيل) إلى تفكك وتحلّل مؤكّدَين في غضون عقود قريبة، وبنجامين هذا كان قد كتب مقالة مطوّلة في هذا الخصوص، في مجلةٍ أميركية، حملت عنواناً شديد الدلالة والإثارة وهو: "هل ستبقى (إسرائيل) قائمة في الذكرى المئوية لتأسيسها؟ " [3] .

وتفيد معلومات مراكز الإحصاء ذاتها بأنّ العام 2004م كان عام بداية قويّة للهجرة المعاكسة فلقد غادر فلسطين المحتلة في العام المذكور ما يزيد على 16.500 صهيوني، أغلبهم من العلماء والأطباء والمهندسين وذوي الاختصاصات العالية على اختلافها، إلى أوروبا وأمريكا[4].

ومما يزيد هذا الأمر وضوحاً هو نشر صحيفة "هآرتس" الصهيونية استطلاعاً للرأي في ملحقها يوم 2012/12/14م، تحت عنوان "لا يوجد وطن بديل"، تبين من نتائجه أنّ 40 في المائة من الصهاينة على استعداد للهجرة من فلسطين إلى الخارج[5] .

---

1) انظر: موسوعة اليهود، المسيري، (102/7) .

2) لم يعثر الباحث على ترجمة له .

3) انظر: أفق، نشرة إلكترونية تصدر عن مؤسسة الفكر العربي للبحوث والدراسات، العدد 50، صدر بتاريخ 2011/6/13م، تحت رابط: www.arabthought.org، بتاريخ: 2013/02/12م.

4) انظر: المصدر السابق.

5) أمجاد العرب، صحيفة إلكترونية يومية، عن مقال لـ د. فوزي الأسمر، رابط: www.amgadalarab.com بتاريخ 2013/01/16م .

خلاصة المطلب:

أولاً: اختلف اليهود قديماً وحديثاً حول عقيدة الأرض الموعودة، إمّا من حيث أصلها الديني، أو من حيث تفسير الوعد الإلهي بالأرض المقدّسة، وهذا الاختلاف في الأصل العقدي هو فرع عن الاختلاف في أصل المصادر الدينية اليهودية كما بين الباحث في المبحث الأول.

ثانياً: هذا الخلاف اليهودي يقتضي هدم عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين، فإذا كانت الطوائف الدينية مختلفة، والمذاهب السياسية مفترقة في أصل امتلاك الأرض المقدسة، أصبح الادّعاء بالحق الديني والتاريخي جزءاً من التزوير والادّعاء الذي لا سند له في الواقع، ناهيك عن بطلانه دينياً وتاريخياً، كما بات واضحاً.

ثالثاً: ظهرت في اليهودية أصوات تعترف بأنّ قصة الوعد هي خرافة وأسطورة، بل كفر وهرطقة، وهذه الأصوات غالباً ذات صبغة دينية، مما يضيف عاملاً كبيراً من عوامل التناقض في اليهودية حول فكرة الأرض الموعودة.

رابعاً: جوهر الخلاف اليهودي- اليهودي حول عقيدة الأرض الموعودة نابع من الاختلاف في كون اليهودية دينٌ أم قومية، وكذا الاختلاف في عقيدة الماشيّح؛ هل سيدخل هذا المنتظر باليهود إلى الأرض المقدسة، أم أن اليهود سينتظرونه فيها.

المبحث الثالث:

الصهيونية وعلاقتها بعقيدة اليهود في الأرض المقدسة

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: تعريف عام بالصهيونية وأساسها الديني والفكري

المطلب الثاني: علاقة الفكر الصهيوني بعقيدة اليهود في الأرض المقدسة

المطلب الأول

تعريف عام بالصهيونية وأساسها الديني والفكري

أشار الدكتور عبد الوهاب المسيري في موسوعته إلى خمسة أسباب مباشرة تجعل من الصعب والمشكل تعريف كلمة (الصهيونية) [1]، وأهم هذه الأسباب:

- اختلاط التعريفات الشائعة في المعاجم الغربية بين تعريف الصهيونية كأمل أو كظاهرة.

- اختلاف تعريفاتها باختلاف المنظور الذي تعرّف على أساسه الصهيونية.

- إشارة المصطلح إلى نزعات وحركات ومنظمات غير متجانسة بل متناقضة أحياناً.

- اتّساع الحقل الدلالي للمصطلح، فالصهيونية أنواع وأقسام واختصاصات متنوعة ومتناقضة.

هذه الإشكاليات كما يلاحظ الباحث لا تكاد تفارق أي مجال تدرس فيه اليهودية واليهود، فقضيتهم مشكلة، كما مرّ سابقاً من خلال مناقشة مصادرهم الدينية والفكرية وعقيدتهم في الأرض المقدسة وغيرها.

" ولم يظهر مصطلح «الصهيونية» إلا في القرن التاسع عشر، ولكنه مع هذا يُستخدَم للإشارة إلى بعض النزعات في التاريخ الغربي، بل داخل النسق الديني اليهودي قبل هذا التاريخ"[2].

أساس فكرة الصهيونية:

إنّ الصفة الغالبة التي حاولت الصهيونية أن تضفيها على نفسها هي تعريف نفسها بأنها قومية مستقلة، وأرادت أن تضفي على نفسها صفة القداسة من خلال ربط هذه القومية بالدين اليهودي، فالصهيونية ترفض من الناحية المنهجية فكرة أنّ اليهودية دين فقط، بل ترى أنّ اليهودية هي أمّة قومية، وقد أشار إلى ذلك زعيم الصهيونية تيودور هرتزل عندما قال في كتابه (الدولة

1) موسوعة اليهود، المسيري، (13/6)- بتصرف يسير .

2) المصدر السابق، (13/6) .

اليهودية) بصراحة: " **ليست المسألة اليهودية في رأيي مسألة اجتماعية، ولا مسألة دينية، على الرغم من أنها تأخذ أحياناً هذه الأشكال وغيرها، إنها مسألة قومية** " [(1)] .

ويقول أول رئيس للاتحاد الصهيوني الأمريكي ج.هـ. جوتهل[(2)]: " **إننا نؤمن بأن اليهود أكبر من أن يكونوا مجرد مجتمع ديني محض، وهم ليسوا جنساً فحسب، ولكنهم قومية** " [(3)] .

" إذاً فالمرادف لكلمة الصهيونية من الناحية الاصطلاحية هي "القومية اليهودية"، وهي تفترض أنّ اليهود يشكّلون جماعة قومية أو شعباً يهودياً، فالنسق الديني اليهودي يحوي داخله تياراً قومياً قوياً جداً، إذ يرى اليهود أنفسهم كياناً دينياً متماسكاً يسمى (بنو إسرائيل) "[(4)] .

ظلت فكرة الوطن القومي أو الدولة اليهودية كالسحاب الذي يتشكّل حسب أوهام الناظرين إليه، حتى أوشك القرن التاسع عشر أن ينتهي دون أن تستقر على وضع محدود، ثم تبلورت على شكل ثابت في مؤتمر بال بسويسرا عام 1897م، وتم تشكيلها على الوضع الأخير بوعد بلفور بعد عشرين سنة[(5)] .

هذا هو الأساس الفكري للصهيونية، فاليهودية من هذا المنظور (أي القومي) هي دين قومي عرقي أو قومية دينية مقدّسة تمزج الوجود التاريخي والتصور الديني، وبناءً عليه فقد عرّفت الشريعة اليهودية اليهودي بأنّه من ولد لأم يهودية أو من تهوّد، وقد اعتمدت بذلك تعريفاً قومياً دينياً للهوية[(6)] .

ولكن هل تصمد هذه الفكرة (أي فكرة القومية اليهودية المزعومة) أمام الحقيقة التاريخية وأمام الواقع؟ يستطيع الباحث أن يجيب على **ذلك من خلال نقاط هامة:**

---

1) فلسطين أرض الرسالات السماوية، رجاء جارودي، (ص 231)- بتصرف.

2) لم يعثر الباحث على ترجمة له .

3) فلسطين أرض الرسالات السماوية، رجاء جارودي، (ص 232) .

4) موسوعة اليهود، المسيري، (6/ 21) بتصرف .

5) الصهيونية العالمية، عباس العقاد، (ص 23-24).

6) **انظر**: موسوعة اليهود، المسيري، (6/ 22).

- " إذا كان يهود اليوم يدّعون لأنفسهم اليهودية من جهة والقومية من جهة وينتسبون إلى التوراة، فهذا أعجب العجب؛ إذ **أثبت علم الأجناس أنه لا توجد اختلافات بين السلالات البشرية أكثر مما نجده بين الجماعات اليهودية في مختلف القارات**، وأن اليهود ينتمون إلى عدد كبير من السلالات وهم يشبهون الجماعات التي يعيشون في وسطها" [1] .

- " إنّ الجماعات اليهودية لم تكن قط تشكل كتلة بشرية متماسكة تتبع مركزاً ثقافياً أو دينياً واحداً يحدد معايير مثالية أو واقعية يصوغ أعضاء هذه الجماعات رؤيتهم لأنفسهم وأسلوب حياتهم تبعاً لها، **بل لم يكن لديهم ميراث ثقافي أو ديني واحد؛ فالجماعات اليهودية كانت منتشرة في كثير من بقاع الأرض داخل معظم التشكيلات الحضارية المعروفة وداخل البنَى التاريخية والقومية المختلفة**، تتفاعل معها وتساهم فيها وترقى برقيها وتتخلف بتخلفها. فاليهودي في الأندلس كان عربياً، واليهودي في روسيا كان روسياً، وفي اليمن كان يمنياً، وهو أمريكي في الولايات المتحدة"[2].

- " **كان معظم الجماعات اليهودية يشكل جماعات وظيفية، وهي جماعات تحافظ على عزلتها وانفصالها، ويساعدها المجتمع على ذلك حتى يتيسر لها أن تلعب دورها الوظيفي**، فهي، إذاً، ذات سمات إثنية خاصة تميِّز كل واحدة منها عن أعضاء الأغلبية في المجتمعات التي يعيش اليهود بين ظهرانيها، ولكن هذه السمات الإثنية لم تكن قط سمات قومية عامة تسم كل اليهود أينما كانوا، فرغم أن كل جماعة يهودية كانت منفصلة عن محيطها، فإنها كانت تحدِّد هويتها من خلاله، كما أن انفصالها عن محيطها لا يعني بالضرورة اتصالها بأعضاء الجماعات اليهودية الأخرى"[3].

- " لو درسنا القومية اليهودية أو الصهيونية، وحاولنا تطبيق **المقاييس القومية الحديثة على تاريخ اليهود – قديمه وحديثه – لما وجدنا فعلاً نظرية قومية واحدة يصلح أن تنطبق**

---

1) الصهيونية العالمية والرد على الفكر الصهيوني المعاصر، د. محمود دياب، مطبوعات الشعب/ مصر، ط1، 1976م، (ص13)– بتصرف.

2) موسوعة اليهود، المسيري، (6/ 22) .

3) المصدر السابق، (6/ 22) .

الصهيونية عليها، إذ تبدو شاذة عن كافة النماذج المتعارف عليها للهوية القومية، فبين جميع الحركات القومية في القرنين التاسع عشر والعشرين بقيت الصهيونية الأكثر إثارة للجدل" [1] .

ما سبق يعتبر – في فهم الباحث– رداً كافياً ومعتبراً على أساس فكرة الصهيونية القائمة على القومية الموحّدة ليهود العالم، إذ كيف يمكن أن تُقبل هذه الفكرة نظرياً في حين أنها ليس لها رصيد عملي أو واقعي تاريخياً في أية حقبة من حقب التاريخ؟! .

الجذر التاريخي لفكرة الصهيونية:

" يروج الصهاينة أنّ الحركة الصهيونية بدأت مع التاريخ اليهودي نفسه، وأنها لازمت اليهود عَبْر تاريخهم بعد تحطيم الهيكل، وذلك لسببين: واحد سلبي والآخر إيجابي؛ أما السلبي، فهو ظاهرة العداء لليهود والمذابح والاضطهاد اللذين تعرَّض لهما اليهود في كل مكان وكل زمان، وهي ظاهرة حتمية أزلية من المنظور الصهيوني، أما السبب الإيجابي، فهو الرغبة العارمة لدى اليهودي في العودة إلى فلسطين (أرض الوطن، أرض الأجداد والأسلاف، الوطن القومي، أرض الميعاد) حيث إنه يشعر بالاغتراب العميق في أرض المنفى (الأمر الذي أدَّى إلى إفساد الشخصية اليهودية) " [2] .

ويضيف الصهاينة إلى ترويجهم أيضاً أنّ " المسألة اليهودية بدأت يوم أن ترك اليهود وطنهم قسراً، والصهيونية هي التي ستضع نهاية لهذا الوضع، وهي ستفعل ذلك عن طريقة آلية جديدة، فهي ترفض سلبية اليهودية الحاخامية وخنوع الشخصية اليهودية، وبالتالي سوف تحرِّض اليهود على العودة بأنفسهم إلى فلسطين ليحققوا تطلُّعهم القومي وستقوم بتنظيمهم لتحقيق هذا الهدف، ولكل هذا، **تنظر الصهيونية إلى نفسها باعتبارها التعبير الحقيقي والوحيد عن مسار التاريخ اليهودي**"[3] .

---

1) فلسطين .. القضية الشعب الحضارة، بيان نويهض الحوت، دار الاستقلال/ بيروت، ط1، 1991م، (ص226)– بتصرف.

2) موسوعة اليهود، المسيري، (89/6) .

3) المصدر السابق، (6/ 89) .

" **لكن؛ هذه الرؤية الصهيونية لتاريخ الصهيونية ليست ذات مقدرة تفسيرية عالية، إذ أنها تفشل في أن تفسر سبب ظهور الصهيونية بين اليهود في أوربا في أواخر القرن التاسع عشر ولم تظهر قبل ذلك التاريخ في مكان آخر**، ولو كان سبب ظهور الصهيونية هو عداء الأغيار لليهود ورغبتهم العارمة في العودة، لكان الأولى أن تظهر الصهيونية إبان حروب الفرنجة على سبيل المثال، وكيف نفسر ظهور الفكر الصهيوني في الأوساط الاستعمارية الغربية وهم لا يدينون باليهودية ولا يوجد عندهم أي تطلُّع للعودة ولم يتعرضوا لاضطهاد الأغيار؟" [1] .

وفي فهم الباحث، فإنّ هذا الادّعاء الصهيوني بالانتماء إلى التاريخ اليهودي هو نتاج طبيعي لحدث تاريخي مفصلي وهو تحريف التوراة والتلاعب بها وبالتالي إيجاد صيغة دينية قادرة على الانسجام مع الفكرة المستقبلية التي بلورتها الصهيونية، كما أنها استمرار لمحاولات الخلط بين الدين والتاريخ والقومية اليهودية.

"وبغض النظر عن هذه الدعاوى الصهيونية في نسبة جذور الصهيونية إلى التاريخ اليهودي، فإن **المؤرخين للصهيونية –التي انطلقت أواخر القرن التاسع عشر– يعيدون جذورها إلى نداءات صدرت قبل ذلك في منتصف القرن نفسه على ألسنة بعض من رجال الدين اليهود ومفكريهم**، وكان هدفها الرئيس اللحاق بركب عصر الاستعمار والقوميات، فقد أعيد تقسيم خريطة أوروبا استناداً إلى المبدأ القومي، وهي الخريطة التي لم تعرف سابقاً سوى المبدأ الديني أساساً للحكم"[2] .

" والحقيقة التاريخية التي لا جدال فيها تقول بأنّ **الصهيونية نشأت في أوروبا وليس في فلسطين**، فتسعون في المائة (90%) من اليهود في مطلع القرن التاسع عشر كانوا يسكنون أوروبا"[3] .

---

1) موسوعة اليهود، المسيري، (6/ 89) .

2) فلسطين، بيان الحوت، (ص 225)– بتصرف يسير.

3) المصدر السابق، (ص228).

لكن مقدمات الصهيونية ربما تكون أقدم من هذا التاريخ، إذ إن اليهود في القرون الوسطى قد عانوا اضطهاداً دينياً متواصلاً بسبب اتّهام المسيحيين لهم بصلب السيد المسيح ﷺ، وكانت **محاكم التفتيش[1] في إسبانيا الحدث الأبرز في تاريخ الاضطهاد الديني وطرد اليهود**، ومن هنا عدّها بعض المؤرخين للصهيونية بداية المرحلة الأولى من المسألة اليهودية، التي تعتبر مقدمة للصهيونية السياسية فيما بعد[2].

"وبعد مرحلة الاضطهاد جاءت مرحلة الانفتاح اليهودي على أوروبا، وخاصة في القرن الثامن عشر، **ففي أعقاب الثورة الفرنسية مُنح اليهود حقوقاً متساوية كمواطنين، وبدأت تتحطم جدران الغيتو[3] وبدأ كثير من اليهود يندمجون في المجتمعات الغربية**، لكن هذا الاندماج تمت مواجهته من قبل فريق من الأوروبيين وانتشرت موجات مما يسمى (معاداة السامية) الأمر الذي أسهم بمرور الزمن في إيجاد الصهيونية السياسية، بينما اعتقد فريق آخر من المسيحيين الأوروبيين أن من واجبه مساعدة اليهود في العودة إلى أرض الميعاد انتظاراً لقدوم المسيح" [4] .

ثم توالت الظروف السياسية والدعايات الدينية المسيحية واليهودية، بعد منتصف القرن التاسع عشر، وبلغت أوجها بعد المذابح القيصرية في روسيا ضد اليهود، **الأمر الذي أدى إلى أول هجرة جماعية يهودية إلى فلسطين، وهي الهجرة التي كانت الشعارات الدينية عنواناً لها**، والفقر

---

1) محاكم التفتيش: (في إسبانيا) أسسها البابا في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي (عام1471م) بناء على طلب الملك فرديناند والملكة إيزابيلا، وللتأكد من إيمان مواطني إسبانيا من المسلمين واليهود الذين اعتنقوا عقيدة الدولة، أي المسيحية الكاثوليكية، ولتَعقُّب السحرة، وقد ارتكبت محاكم التفتيش كثيراً من الفظائع، وقد أُلغيت هذه المحاكم في القرن الثامن عشر الميلادي في البرتغال وفي التاسع عشر الميلادي في إسبانيا **[** موسوعة اليهود، المسيري، (306/4)- بتصرف **]**.

2) انظر: فلسطين، بيان الحوت، (ص 228- 229) .

3) الغيتو = الجيتو: «الجيتو» هو الحي المقصور على إحدى الأقليات الدينية أو القومية، ولكن التسمية أصبحت مرتبطة أساساً بأحياء اليهود في أوربا، وللكلمة معنيان: عام وخاص، أما العامّ: أي مكان يعيش فيه فقراء اليهود دون قسر من جانب الدولة، أو حي اليهود بشكل عام، ويعود تاريخ هذه الجيتوات إلى الإمبراطورية اليونانية والرومانية، أما الجيتو بالمعنى الخاص الذي أصبح شائعاً، فيعني المكان الذي يُفرَض على اليهود أن يعيشوا فيه، وأصل الكلمة غير معروف على وجه الدقة **[** موسوعة اليهود، المسيري، (288/4) **]**.

4) فلسطين، بيان الحوت، (ص 229)- بتصرف .

والاضطهاد من مبرراتها، أما الصهيونية السياسية فهي التي جاءت بعد هذا كلّه تقدّم مشروعها على أكتاف البسطاء والفقراء والمتدينين من اليهود[1] .

الصهيونية والاستعمار:

لا شك أن الأساس الديني لفكرة الصهيونية – والذي سيتعرض الباحث له أكثر في المطلب الثاني من هذا المبحث– لا يمكن أن يُغفلَ عن الهدف الاستعماري لهذا المشروع، الأمر الذي يعدّ مسلّماً به لدى كثير ممن نظّر في أمر الصهيونية وتاريخها وأهدافها.

" **فالاستيطان جوهر الصهيونية، والاستعمار الصهيوني هو استعمار استيطاني إحلالي** لا يأخذ شكل جيش يقهر أمة ويحتل أرضها ليستغل إمكاناتها الاقتصادية والبشرية لصالح البلد الغازي وحسب؛ وإنما يأخذ شكل انتقال الفائض البشري اليهودي من أوطان مختلفة إلى فلسطين للاستيلاء عليها وطرد سكانها الأصليين والحلول محلهم" [2].

" في عهد ضعف الدولة العثمانية جذبت فلسطين أنظار الدول الكبرى، إذ هي أرض الديانة المسيحية، وقد سارعت كل الدول الأوروبية والولايات المتحدة إلى إنشاء قنصليات لها في القدس ما بين عامي 1839 و1854م، وكان الموضوع الرئيسي المتداول في هذه القنصليات، مصير الإرث العثماني، وبرز في هذه المرحلة موضوع دولة يهودية في فلسطين على شكل مقترحات أو مشاريع من قبل جماعات أو مفكرين مسيحيين ويهود، ومما لا شك فيه أن ضعف الدولة العثمانية قد فتح الباب واسعاً أمام العنصريين من المستشرقين والرحلات والبعثات الاستكشافية، **كي يساهموا في ترسيخ ادّعاءاتهم بشأن فلسطين، فصوروها بلداً مهملاً تسكنه أقلّيات متأخرة، وقد لحق الصهاينة بهؤلاء العنصريين من الباب نفسه**"[3] .

---

1) انظر: فلسطين، بيان الحوت، (ص230)، **أيضاً**: دراسات في الصهيونية وجذورها، سيد فرج راشد، دار المريخ/ الرياض، ط1، 1412هـ/1992م، (ص68) .

2) موسوعة اليهود، المسيري، (208/6).

3) فلسطين، بيان الحوت، (ص 271) .

"وعلى هذا الأساس، لم يكن صعباً على الصهيونية في أجواء دولية تحكمها شريعة الاستعمار، وأجواء عثمانية تسيطر عوامل الضعف والتفكك عليها أن تخطط كقوة استعمارية جديدة، وأن تحلم بوضع يدها على فلسطين"[1].

فمنذ عهد دعاة الصهيونية القدماء، كان يتم طرح الصهيونية كمشروع استعماري، فمثلاً تجد في أواخر القرن التاسع عشر الكاتب والداعية الصهيوني "بيرتس سمولنسكين"[2] يصيغ مزايا للأرض الموعودة مثل أن الأرض ليست بعيدة عن مساكن اليهود، وأنّ رمالها ذات نوعية عالية الأمر الذي يساعد على ازدهار الاستيطان اليهودي، وأن التجارة والزراعة والصناعة ستزدهر فيها، كما أن موقع الأرض سيجعلها تتحول إلى مركز تجاري يربط أوربا بآسيا وأفريقيا كما كانت منذ زمن بعيد، وهذه تعدّ من بدايات عرض الدولة اليهودية كدولة وظيفية تقام للدفاع عن مصالح الاستعمار الغربي[3] .

كما أنّ المؤسس الأول للصهيونية هرتزل كانت تسيطر عليه فكرة "شركات الامتياز"[4] وكان يذكّر في كتابه "الدولة اليهودية" بهدفه المتمثل في **إنشاء شركة يهودية ممتازة على غرار شركات الأراضي الكبرى، أي أن يحوّل الأسطورة العظيمة إلى واقع من خلال شركة امتياز،** وكان مثله

---

1) فلسطين، بيان الحوت، (ص 271) .

2) بيرتس سمولنسكين (1842–1885م): كاتب روسي وداعية صهيوني، وُلد في روسيا وتعلَّم في المدرسة التلمودية، أصدر مجلة هاشاحار (الفجر) عام 1868م، وهي أهم مجلة تصدُر باللغة العبرية عبَّرت عن أفكار حركة التنوير التي كان سمولنسكين من دعاتها في مستهل حياته الفكرية، وقد انتقد في مقالاته الشخصية اليهودية المتخلفة الخاضعة للتقاليد، وقد طرح في مقالاته تصوُّره للقومية اليهودية الروحية التي لا ترتبط بالأرض وإنما ترتبط بالتوراة **[انظر:** موسوعة اليهود، المسيري، (223/6) **]**.

3) انظر: موسوعة اليهود، المسيري، (224/6) .

4) شركة الامتياز = شركة ذات براءة: خطاب أو ترخيص ينص على حقوق معينة تمنحها حكومة أو حكام لشخص أو شركة، وهي إحدى الوسائل التي ابتدعها الاستعمار الغربي، فقد كانت هذه الشركات تقوم بتجنيد الفائض البشري في أوربا وتؤمِّن لهم سفرهم أو تمنحهم بعض المزايا في البلدان المُكتشَفة حديثاً مقابل أن يخدموا الشركة وينفذوا سياستها ويوسعوا نفوذها، وكانت الدول مانحة البراءة، تقوم بحماية الشركة من المنافسات الدولية وتنظم العلاقة بين المستوطنين والسكان المحليين، وتُمنح الشركة حق تكوين «شبه دولة»، وهي إحدى أدوات الاستعمار في مراحله التمهيدية **[انظر:** موسوعة المسيري، (83/6–84) **]**.

الأعلى في ذلك (الشركة البريطانية الممتازة لجنوب أفريقيا) التي كان يترأسها سيسل روديس[1] الذي طلب هرتزل مشورته ودعمه، وكان مشروع روديس يقوم على توظيف ثروته الهائلة لإنشاء شركة تمد نفوذ الإمبراطورية البريطانية إلى العالم كله[2] .

" لذا كان لهرتزل دور مهم في تطوير الخطاب الصهيوني المراوغ الذي جعل بالإمكان صياغة العقد الصامت بين الحضارة الغربية والحركة الصهيونية بشأن يهود العالم، وأصبحت كل الأطراف جاهزة للتوقيع، ولكن الاستعمار الغربي لا يتعامل مع أفراد، وإنما مع مؤسسات تمثل المادة البشرية المُستهدَفة، أي يجب أن يكون هناك هيكل تنظيمي يمكن توقيع العقد معه، وقد اقترح هرتزل في دولة اليهود إنشاء مؤسستين: الأولى (جمعية اليهود) وهي القوة الخالقة للدولة في نَظَر القانون الدولي، والثانية (الشركة اليهودية)، وتقوم بتصفية الأعمال التجارية لليهود المغادرين والعمل على تنظيم التجارة والأعمال المتعلقة بها في البلد الجديد" [3].

" إن استقراء الواقع يستبعد فكرة القومية كأساس وحيد تنطلق منه الصهيونية نحو فلسطين، **ويؤيد ذلك ارتباط الصهيونية أكثر ما يكون بظاهرة الاستعمار التي كانت سائدة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر** في عالم الغرب الرأسمالي، وكان يهود الغرب في هذه الفترة قد استطاعوا أن يسطوا على عالم المال، فارتبطت مصالحهم الاقتصادية بحركة الاستعمار الغربي الناشئة حينذاك؛ ومن ثم كان التحالف بين الحركة الصهيونية وبين قادة الدول الغربية منذ ظهور تلك الحركة، بل إن هذا التحالف هو الذي هيأ ثم عمل على تنفيذ هدف الصهيونية في فلسطين[4].

---

1) سيسل روديس، جون (1853-1902م): رئيس وزراء مستعمرة الكاب عام 1890م، شهد عصره توسعاً ضخماً في الإمبراطورية البريطانية، عُرف باسم ملك الألماس، حيث أنشأ شركة دي بيرز، أضخم شركة ألماس في العالم، رأى رودس أنه يمكن توسيع مناطق نفوذ الإنجليز في جنوب إفريقيا على حساب الهولنديين الذين حكموا المنطقة منذ مئات السنين **[انظر:** موسوعة ويكيبيديا الحرة، رابط: ar.wikipedia.org/wiki/سيسل_رودس، بتاريخ 2013/03/11م **]** .

2) انظر: فلسطين أرض الرسالات، رجاء جارودي، (ص 241) .

3) موسوعة اليهود، المسيري، (240/6)- بتصرف .

4) دراسات في الصهيونية وجذورها، سيد فرج راشد، (ص99) .

إذاً، "**فالاستعمار والاستيطان هما أحد ركائز جذور الفكرة الصهيونية،** والنزعة الاستعمارية مرتكزة إلى الاستعمار الأوروبي، فكراً ومنهجاً وممارسة، فلا صهيونية من دون استعمار أوروبي، ولا نجاح للاستعمار الصهيوني إن لم يكن استعماراً استيطانياً، ومن هنا لم يكن التوجه الاستعماري في انطلاقة الصهيونية مجرد حلف مرحلي، وإنما كان حلفاً استراتيجياً من ثوابت الصهيونية"[1].

ومن مشاهد الصلة الوثيقة بين الصهيونية والاستعمار قيام هرتزل زعيم الصهيونية بالتقرب من الإمبراطور الألماني زمن السلطان عبد الحميد الثاني، ومطالبته إياه بالتدخل لدى السلطان ليمنحه جزءاً من أرض فلسطين، وكذا اتجاه زعماء الصهيونية نحو بريطانيا العظمى أثناء الحرب العالمية الأولى، وتمكّنها من استصدار وعد بلفور، وحين غربت شمس بريطانيا توجهت الصهيونية إلى أمريكا، في مشهد يوضح احتضان قوى الاستعمار للصهيونية[2].

لذا أقامت الصهيونية ما يسمى بدولة (إسرائيل) على يد الاستعمار، وتحولت من ملجأ لليهود المضطهدين إلى وطن قومي لليهود الآمنين، ثم باتت تعلن عن نواياها كإمبراطورية تسعى للتوسع وضم مناطق كبيرة[3] .

إنّ الصبغة الاستعمارية للصهيونية –في فهم الباحث– تنسجم إلى حد كبير مع الأساس الفكري الديني الذي تنطلق منه الفكرة الصهيونية، وإنّ الحديث عن علمنة اليهودية من خلال الصهيونية لا يعدو كونه جزءاً من الخطاب المراوغ الذي يمارسه الصهاينة قديماً وحديثاً من أجل تقاسم وتكامل الأدوار وصولاً إلى الأهداف الموضوعة.

الصهيونية واللاسامية:

يعدّ الكثير من الباحثين ما يسمى بمعاداة الساميّة عاملاً من عوامل نشوء الصهيونية وتشكّلها، وربما ذريعة استغلّها زعماء اليهود والصهيونية لتنفيذ مخططاتهم في إطلاق فكرتهم، إذ تشير كتابات هرتزل إلى أنّه استخدم قوتين محركتين لتحقيق مشروعه، أولهما: الأطماع المتنافسة

---

1) فلسطين، بيان الحوت، (ص 281–282) .

2) انظر: الصهيونية العالمية والرد على الفكر الصهيوني المعاصر، د. محمود دياب، (ص19).

3) انظر: المصدر السابق، (ص21) .

للقوى الاستعمارية المشحوذة بتوقع انهيار الإمبراطورية العثمانية، وثانيهما: نزعة معاداة السامية الموجهة لليهود المضطهدين[1].

" **وفي تاريخ الحركة الصهيونية نالت معاداة السامية الجانب الأوفر من هذا التاريخ؛** فهي أولاً سبب رئيسي لولادة هذه الحركة، وهي ثانياً سبب رئيسي لاستمرارها"[2] .

واللاسامية هي مفهوم متعدد الجوانب أهمها[3]:

أ) اللاسامية الدينية: وهي تعود إلى معاداة المسيحين لليهود باعتبارهم قتلة المسيح ﷺ – بزعم النصارى– ويقع استغلال هذه الظاهرة الدينية من قبل الطبقات الحاكمة في أوروبا وقتما اقتضت الحاجة.

ب) اللاسامية الاقتصادية: تعود أصلها لسيطرة اليهود على القطاع التجاري في أوروبا لنحو عشرة قرون، واشتهارهم بالربا والسيطرة على المال وسحق الطبقات الفقيرة، مما أدى لنزعة عداء ضدهم، ثم ظهرت طبقة مسيحية من التجار في أوروبا في القرن الثاني عشر أخذت تزاحم اليهود ووصلت إلى حد معاداتهم والدعوة إلى طردهم الأمر الذي تحقق في عدد من بلاد أوروبا.

ت) اللاسامية السياسية: وهي تعود إلى بروز شخصيات يهودية في الحركات الاشتراكية والشيوعية الأوروبية الثورية، ونضالهم ضمن تيارات سياسية رغم كونهم أقليات، ولضرب هذه الحركات الثورية عمدت جلّ الحكومات الأوربية إلى تأليب الرأي العام ضدها وإبراز دور اليهود فيها، مما خلق شعوراً سياسياً معادياً لليهود.

ولأجل استغلال هذه الظاهرة في أوروبا عمد هرتزل إلى التأكيد على منطق اللاساميين القائل بأن يهود أوروبا هم عنصر أجنبي غير قابل للاندماج، فهم يكونون إذن شعباً وأمّة، والحل الوحيد

---

1) انظر: فلسطين أرض الرسالات، رجاء جارودي، (ص 245) .

2) فلسطين، بيان الحوت، (ص 251) .

3) انظر: جذور الاستعمار الصهيوني بفلسطين، علي المحجوبي، دار سراس للنشر/تونس، ط1، 1990م، (ص23).

للاسامية يتمثل في مغادرتهم أوروبا وبالتالي تأسيس دولة يهودية لهم[1] .

ومما يدلل على أن ما يعرف بمعاداة السامية ليست إلاّ حجّة اتّخذتها الصهيونية لتحقيق أهدافها وتركيز جهودها هو " أنّ هذه الظاهرة تراجعت –وخصوصاً في أوروبا الغربية– في مطلع القرن العشرين، وإن ظهرت نزعات معاداة الغير فقد كانت موجّهة ضد اليهود وغيرهم، وبالتالي فإن معاداة السامية لم يكن –كما تصوره الدعايات الصهيونية– داءً عضالاً لا يمكن الشفاء منه بغير اقتلاع اليهود من البلاد الأوروبية وبغير تعويضهم بإعطائهم فلسطين، بل على العكس من ذلك فإن معاداة السامية منذ 1897م حتى 1917م كانت في أضعف حلقاتها"[2] .

خلاصة المطلب:

أولاً: اختلفت تعريفات الصهيونية كثيراً، نظراً لاتساع دلالات المصطلح، والمنظور الذي تعّرف على أساسه، واختلاف وجهات نظر الدارسين للصهيونية، واختلاف بل وتناقض اتجاهات وأقسام الصهيونية ذاتها.

ثانياً: أساس فكرة الصهيونية هو اعتبار اليهودية ليست ديناً فحسب، بل قومية كغيرها من القوميات، مع إعطائها صبغة خاصة يتعذر قياسها بأية نماذج بشرية أخرى، كيف لا وهي تخلع على نفسها صفة القداسة والاختيار الإلهيّ!.

ثالثاً: يدّعي الصهاينة أنّ نشأتهم ضاربة في جذور التاريخ اليهودي، و يرى المؤرخون أنّ جذورها الأساسية (كفكرة تدّعي القومية) بدأت في القرن التاسع عشر في صيغتها السياسية، وإن كان لها أصول فكرية أسبق.

---

1) انظر: جذور الاستعمار الصهيوني، علي المحجوبي، (ص25)، **أيضاً**: فلسطين أرض الرسالات، رجاء جارودي، (ص 293) .

2) فلسطين، بيان الحوت، (ص 255 –256)– بتصرف .

رابعاً: شكّل اليهود عامل قلق واضطراب للمجتمعات الأوروبية الشرقية والغربية، وتردّ اليهود بين الانعزال والاندماج، وتورطوا في استعداء شعوب أوروبا مما أسهم في نبذهم وصولاً إلى القبول بالفكرة الصهيونية للخلاص من شرّهم.

خامساً: لازمت الصبغةُ الاستعماريةُ الصهيونيةَ منذ نشأتها، وحاولت القوى الكبرى استغلال الصهيونية كأداة وظيفية، وقبلت الصهيونية بذلك انسجاماً مع دور اليهود كمرتزقة عبر تاريخهم، و باتت دولة اليهود حديثاً وكراً استعمارياً في قلب الأمة الإسلامية.

سادساً: اعتمدت الصهيونية في خطابها منذ انطلاقها على الترويج لفكرة اللاسامية، وتضخيم حجم معاناة اليهود من جراء هذه الظاهرة، في محاولة إضافية لتبرير السطو على أرض فلسطين كرديف للحجة الدينية والتاريخية وغيرها، وقد ثبت تاريخياً بالفعل أنّ اليهود تعرضوا للنبذ والطرد والكراهية من كافة الشعوب بما كسبت أيديهم، لكن هذا السبب لم يكن مبرراً عاجلاً أو ضغطاً هائلاً دفع اليهود للفرار بأرواحهم إلى أرض فلسطين كما تحاول الصهيونية أن تروّج للعالم.

المطلب الثاني

علاقة الفكر الصهيوني بعقيدة اليهود في الأرض المقدسة

إنّ العقيدة اليهودية في الأرض المقدّسة، والتي أطنب الباحث في ذكرها في المبحث السابق هي الأساس والجذر الديني والأهم في الفكرة الصهيونية.

وكان واضحاً كم هي التناقضات الكبرى في دراسة اليهودية والصهيونية، خاصةً ذلك الانفصام بين الإطار العلماني الذي تتبناه الصهيونية، وبين الجذور الدينية والأدوات الدينية التي لولاها لما قامت الصهيونية (1).

يقول د. رجاء جارودي(2): "إننا قد نسيء فهم سياسة (إسرائيل) في فلسطين إذا لم نضع نصب أعيننا الوضع الروحي للصهيونية الذي تستند إليه"(3) .

جذور الصهيونية في عقيدة اليهود:

" تشير كلمة «صهيون» في التراث الديني اليهودي إلى جبل صهيون والقدس، بل إلى الأرض المقدَّسة ككل، ويُشير اليهود إلى أنفسهم باعتبارهم «بنت صهيون»، كما تُستخدَم الكلمة للإشارة إلى اليهود كجماعة دينية، والواقع أنّ العودة إلى صهيون فكرة محورية في الدين اليهودي، إذ إنّ أتباع هذه العقيدة يؤمنون بأنّ الماشيّح المخلِّص سيأتي في آخر الأيام ليقود شعبه إلى

---

1) انظر: فلسطين، بيان الحوت، (ص259) .

2) رجاء جارودي (1913-2012م): فيلسوف وكاتب فرنسي، ولد في فرنسا لأم كاثوليكية وأب ملحد، اعتنق البروتستانتية في الرابع عشرة من عمره، وانضم إلى الحزب الشيوعي الفرنسي، أخذ أسيراً لفرنسا في الجزائر في الحرب العالمية الثانية، وفي عام 1945 انتخب نائبا في البرلمان، وصدر أول مؤلفاته عام 1946، طرد من الحزب الشيوعي الفرنسي سنة 1970م وذلك لانتقاداته المستمرة للاتحاد السوفياتي، وفي نفس السنة أسس مركز، في 2 يوليو 1982 أشهر جارودي إسلامه، في المركز الإسلامي في جنيف، وكتب بالمناسبة كتابيه "وعود الإسلام" و"الإسلام يسكن مستقبلنا" نال جائزة الملك فيصل العالمية سنة 1985 عن خدمة الإسلام [**انظر:** موسوعة ويكيبيديا الحرة، شبكة الإنترنت، بعنوان روجيه غارودي، تحت رابط: ar.wikipedia.org/wiki، سحب بتاريخ 2013/3/3م] .

3) فلسطين أرض الرسالات الإلهية، رجاء جارودي، (ص213).

صهيون، ويحكم العالم فيسود العدل والرخاء، ولكلمة «صهيون» إيحاءات شعرية دينية في الوجدان الديني اليهودي، فقد جاء في المزامير على لسان(جماعة يسرائيل) بعد تهجيرهم إلى بابل: **« عَلَى أَنْهَارِ بَابِلَ هُنَاكَ جَلَسْنَا، بَكَيْنَا أَيْضًا عِنْدَمَا تَذَكَّرْنَا صِهْيَوْنَ»**[1] " [2].

وقد ارتبط اسم كل من النبيين ارمياء وحزقيال في العهد القديم المقدّس عند اليهود بالدعوة للعودة إلى صهيون، فقد امتلأ سِفر ارمياء مثلاً بالدعوة إلى العودة لصهيون، والبكاء والرثاء من أجل هذا الهدف:

- « **اِرْفَعُوا الرَّايَةَ نَحْوَ صِهْيَوْنَ** .اِحْتَمُوا. لاَ تَقِفُوا. لأَنِّي آتِي بِشَرّ مِنَ الشِّمَالِ، وَكَسْرٍ عَظِيمٍ.»[3] .
- « لأَنَّ صَوْتَ رِثَايَةٍ **سُمِعَ مِنْ صِهْيَوْنَ :كَيْفَ أُهْلِكْنَا؟ خَزِينَا جِدًّا لأَنَّنَا تَرَكْنَا الأَرْضَ**، لأَنَّهُمْ هَدَمُوا مَسَاكِنَنَا»[4] .

" وقام النبي حزقيال، – وهو أحد أنبياء اليهود الكبار– بدور كبير في بعث الحنين الدائم في نفوس اليهود إلى العودة إلى صهيون، فقد ظهر حزقيال في آخر عهد ملوك يهودا، وكان من جملة السبي إلى بابل، واشتهر بأحاديثه الحماسية للعودة، إلى حدّ أنه دعي (بنبي السبي)، **كما دعي النبي ارمياء المعاصر له بالنبي البكّاء من كثرة انتحابه على صهيون وأورشليم**" [5] .

ولأنّ الصهيونية قائمة على إحلال شعب مكان آخر واستئصال أهل البلاد المقدّسة من أرضهم، فلا غرابة في أن نجد الأصل الذي تستند إليه الصهيونية في توراة اليهود المقدّسة عندهم، ومن ذلك مشهد أخذ داود عليه السلام الأرض من أهلها اليبوسيين، إذ جاء في ذلك: « وَذَهَبَ دَاوُدُ وَكُلُّ

---

1) المزامير 137: 1 .

2) موسوعة اليهود، المسيري، (6/ 14).

3) ارمياء 4 : 6 .

4) ارمياء 9 : 19 .

5) فلسطين، بيان الحوت، (ص 273)– بتصرف يسير.

إِسْرَائِيلَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، أَيْ يَبُوسَ. **وَهُنَاكَ الْيَبُوسِيُّونَ سُكَّانُ الأَرْضِ وَقَالَ سُكَّانُ يَبُوسَ لِدَاوُدَ: لاَ تَدْخُلْ إِلَى هُنَا** فَأَخَذَ دَاوُدُ حِصْنَ صِهْيَوْنَ، هِيَ مَدِينَةُ دَاوُدَ»(1).

لاحظ كيف تعترف التوراة بأصالة اليبوسيين في القدس وفلسطين، وكيف تصوّر مشهد دخول داود عليه السلام إليها، الأمر الذي يجعل من ادّعاء الصهيونية بحقّ امتلاكها أمراً مسنوداً بكلام مقدّس في نظرهم، مما يمهد لشرعنة طرد أهل القدس العرب والمسلمين أخلاف اليبوسيين منها.

وتشير التوراة في معرض رثاء صهيون إلى فكرة تخليص الربّ لها، وكأنها ملك أبدي لليهود، « لأَنَّ اللهَ **يُخَلِّصُ صِهْيَوْنَ** وَيَبْنِي مُدُنَ يَهُوذَا، فَيَسْكُنُونَ هُنَاكَ وَيَرِثُونَهَا»(2) .

وفي موضع آخر: « قَدْ قَرَّبْتُ بِرِّي، لاَ يَبْعُدُ. **وَخَلاَصِي لاَ يَتَأَخَّرُ. وَأَجْعَلُ فِي صِهْيَوْنَ خَلاَصًا،** لإِسْرَائِيلَ جَلاَلِي»(3) .

وليس بعيداً عن الخلاص، تبشّر التوراة شعب الربّ (شعب إسرائيل) بفداء الربّ لهم وعودتهم الكريمة إلى صهيون فاتحين مترنّمين: « وَمَفْدِيُّو الرَّبِّ **يَرْجِعُونَ وَيَأْتُونَ إِلَى صِهْيَوْنَ بِالتَّرَنُّمِ،** وَعَلَى رُؤُوسِهِمْ فَرَحٌ أَبَدِيٌّ. ابْتِهَاجٌ وَفَرَحٌ يُدْرِكَانِهِمْ. يَهْرُبُ الْحُزْنُ وَالتَّنَهُّدُ»(4) .

ليس هذا فحسب، بل إنّ صهيون هي الأرض المطمئنة والخيمة الشامخة والبلد الذي لا تقلع أوتادها، « **أُنْظُرْ صِهْيَوْنَ مَدِينَةَ أَعْيَادِنَا**. عَيْنَاكَ **تَرَيَانِ أُورُشَلِيمَ مَسْكِنًا مُطْمَئِنًّا**، خَيْمَةً لاَ تَنْتَقِلُ، لاَ تُقْلَعُ أَوْتَادُهَا إِلَى الأَبَدِ، وَشَيْءٌ مِنْ أَطْنَابِهَا لاَ يَنْقَطِعُ»(5) .

ما يلاحظه الباحث هنا: ارتباط لفظة صهيون وأرض صهيون بفكرة الخلاص والعودة إلى الأرض المقدّسة، وتمجيد صهيون والوعد بفتحها وعودة أمجادها المزعومة للشعب المفكك

1) أخبار الأيام الأول 11 : 4 – 5 .
2) المزامير 69 : 35 .
3) اشعياء 46 : 13 .
4) اشعياء 51 : 11 .
5) اشعياء 33 : 20 .

والمشتت، وذلك حسب ما كتبه واضعو التوراة، وهذه النصوص وغيرها الكثير في التوراة هي المستند للصهيونية في ترويج نفسها دينياً أمام اليهود الذين يقدّسون التوراة، **والباحث لا يحاول إثبات عودة الصهيونية كحركة وفكرة سياسية إلى جذور قديمة في التاريخ بقدر ما يحاول تسليط الضوء على اعتمادها على جذور دينية مطعون فيها، من خلال قراءة فاحصة لنصوص التوراة.**

إذاً، فمن أهم المعاني للصهيونية هو المعنى الديني، وقد ورودت لفظة "**صهيون**" في العهد القديم – طبعة دار الكتاب المقدّس في الشرق الأوسط– مائة وأربعاً وخمسين **(154)** مرّة[1]، لكن من الملاحظ أنها لم ترد في ما يسمى بأسفار موسى أو الأسفار الخمسة!.

المسيح المخلّص بين الديانة اليهودية والصهيونية:

" الذين يبحثون عن صلة تربط الصهيونية بالتراث اليهودي يرون في الحركة رمزاً لمفهوم "نهاية الأيام"، ويرون فيها أيضاً تحقيقاً للتحرر من حياة المنفى، ونهاية لحياة التجوال، وبداية للاستقرار، وهذا كلّه يعني أنّ فكرة الصهيونية في رأيهم امتداد للفكر الخلاصي في اليهودية ... هذا **يعني أنّ زعماء الصهيونية استغلوا فكرة دينية لها مكانتها في الديانة اليهودية، وهي فكرة**

---

1) صموئيل الثاني 5 : 7، **الملوك الأول 8** : 1، **الملوك الثاني 19**: 21، 31، **أخبار الأيام الأول 11**: 5، **أخبار الأيام الثاني 5** : 2، **المزامير 2** : 6، **9** :11، 14، **14**: 7، **20**: 2، **48**: 2، 11، 12، **50**: 2، **51**: 18، **53**: 6، **65**: 1، **69**: 35، **74**: 2، **76**: 2، **78**: 68، **84**: 7، **87**: 2، 5، **97**: 8، **99**: 2، **102**: 13، 16، 21، **110**: 2، **125**: 1، **126**: 1، **128**: 5، **129**: 5، **132**: 13، **133**: 3، **134**: 3، **135**: 21، **137**: 1، 3، **146**: 10، **147**: 12، **149**: 2، **نشيد الإنشاد 3**: 11، **اشعياء 1**: 8، 27، **2**: 3، **3**: 16، 17، **4**: 3، 4، 5، **8**: 18، **10**: 12، 24، 32، **12**: 6، **14**: 32، **16**: 1، **18**: 7، **24**: 23، **28**: 16، **29**: 8، **30**: 19، **31**: 4، 9، **33**: 5، 14، 20، **34**: 8، **35**: 10، **37**: 22، 32، **40**: 9، **41**: 27، **46**: 13، **49**: 14، **51**: 3، 11، 16، **52**: 1، 2، 7، 8، **59**: 20، **60**: 14، **61**: 3، **62**: 1، 11، **64**: 10، **66**: 8، **ارمياء 3**: 14، **4**: 6، 31، **6**: 2، 23، **8**: 18، **9**: 19، **14**: 19، **26**: 18، **30**: 17، **31**: 6، 12، **50**: 5، 28، **51**: 10، 24، 35، **مراثي ارمياء 1**: 4، 6، 17، **2**: 1، 4، 6، 8، 10، 13، 18، **4**: 2، 11، 22، **5**: 11، 18، **يوئيل**: **2**: 1، 15، 23، 32، **3**: 16، 17، 21، **عاموس**: **1**: 2، **6**: 1، **عوبديا**: **1**: 17، 21، **ميخا 1**: 13، **3**: 10، 12، **4**: 2، 7، 8، 10، 11، 13، **صفنيا 3**: 14، 16، **زكريا 1**: 14، 17، **2**: 7، 10، **8**: 2، 3، **9**: 9، 13 .

الخلاص والمسيح المخلّص، وحاولوا تنفيذ هذه الفكرة بوسائل علمانية عن طريق استغلال الظروف السياسية وتطبيق سياسة الاستيطان" [1] .

" ويتساءل الباحث في الصهيونية: كيف تستطيع حركة استعمارية تقوم على الرجعية والإرهاب أن تستقطب أنصاراً من اليهود وربما من غيرهم أيضاً في أواخر القرن العشرين حيث تشكو معظم الحضارات التراثية من قلة الأنصار والمقتنعين، ولمعرفة ذلك **ينبغي أن نأخذ فكرة عن كتب اليهودية القديمة؛ لأنّها المادة التي تستعمل منذ أجيال وأجيال في خداع البسطاء**"[2].

حاولت الصهيونية أن تطوّع هذا المعنى الديني لفكرتها، فلجأت إلى تفسير الخلاص على يد المسيح المخلّص تفسيراً خاصاً، **فاضطرت أن تعلن أنّ هذا المسيح ليس إنساناً أو شخصاً من نسل داود له قوى خارقة للعادة، ولكنه فكرة أو رمز إلى حرية الإنسان اليهودي الفردية**[3] .

" بل وجَّه الصهاينة سهام نقدهم لعقيدة الماشيَّح والعودة، فوصفها هرتزل بأنها رؤية متخلفة، **ووسمها بن جوريون بالسلبية، وطرح بدلاً من ذلك فكرة العودة بقوة السلاح وبمساعدة القوى العظمى لتأسيس دولة يهودية**"[4].

وترتب على هذا التغيير الجذري الذي أحدثته الصهيونية في فكرة المسيح المخلّص خطورة أعمق من مجرد إبدال المفهوم الديني بمفهوم علماني، **بل أدت إلى إرباك وتناقض كبير في الديانة اليهودية، وبات السؤال: ما مصير الديانة اليهودية بعد الصهيونية؟** وهل تحقيق الصهيونية للخلاص يعني نهاية اليهودية؟ وهل تصلح الصهيونية لتكون ديناً[5] .

إنّ التناقض الذي أوصلت إليه الصهيونية الديانة اليهودية –فيما يتضح للباحث– هو تناقض كبير، وجرح غائر، وهو يطرح أسئلة لا نهاية لها؛ عن جدوى الدين اليهودي بعد الصهيونية التي

---

1) الحركة الصهيونية طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، د. محمد خليفة حسن، دار المعارف/القاهرة، ط1، 1981م، (ص 15)– بتصرف يسير.

2) دراسات في الصهيونية وجذورها، سيد فرج راشد، (ص 15)– بتصرف يسير..

3) **انظر**: الحركة الصهيونية، محمد خليفة حسن، (ص19 – 20).

4) موسوعة اليهود، المسيري، (63/6– 64) .

5) **انظر**: الحركة الصهيونية، محمد خليفة حسن، (ص 21) .

ادّعت لنفسها صفة المخلّص، لكنّ كل هذا لا ينفي حقيقة استغلال وترويض الصهيونية للعقائد والأفكار الدينية المسطّرة في المصادر اليهودية وخاصة التوراة.

الشعب المختار بين الديانة اليهودية والصهيونية:

لا شك في أنّ فكرة كون اليهود شعباً مختاراً، وأنهم شعب الربّ، والشعب المقدّس، هي فكرة راسخة في العقيدة اليهودية كما أسلف الباحث.

"**لكنّ الصهاينة في البداية أخذوا موقفاً مغايراً تماماً، فنزعوا القداسة عن هذا الشعب ووجهوا سهام نقدهم إليه وإلى الشخصية اليهودية (الدينية)** مستخدمين في نقدهم هذا مقولات تحليلية ونقدية وأعاد الصهاينة تعريف اليهود على أساس عرْقي أو إثني (مادي) ومن ثم، أصبح اليهود بالنسبة لهم شعباً مثل كل الشعوب، فهم مادة بشرية نافعة يمكن نقلها وتوظيفها لصالح من يدفع الثمن"[1].

لكن الصهيونية لم تستطع الاستمرار في هذا النهج العلماني الذي لا يعرف قداسة لشيء، **فسرعان ما عادت الصهيونية لتلبس ثوب الدين من جديد وتسعى لتفسير وتبرير العقائد اليهودية**[2]، **والتي من أهمّها عقيدة الشعب المختار**، لكنها –أي الصهيونية– تقع أيضاً في إشكال جديد حول هذه القضية **من عدة أوجه:**

الأول: إذا كان اليهود شعب الله المختار كما أشارت مصادرهم الدينية، والتي وصفتهم بأوصاف فوق البشر، **فكيف بالصهيونية تدعو إلى مساواة اليهود بغيرهم من الأمم، ومنحهم الحقوق المتساوية، وإزالة التوتر بين الإنسان اليهودي والعالم الذي يعيش فيه،** فهذه الأفكار تتعارض مع فكرة الاختيار، فما قيمة الاختيار الذي تعجّ به مصادر الديانة اليهودية بعدما نقضته الصهيونية؟[3] .

---

1) موسوعة اليهود، المسيري، (63/6)– بتصرف .

2) انظر: المصدر السابق، (64/6–65) .

3) انظر: الحركة الصهيونية، محمد خليفة حسن، (ص 22).

الثاني: إذا كانت الصهيونية لها تفسيرها الخاص لفكرة الاختيار – يقوم على اعتبار أن اليهود مفضّلون على الأمم برعايتهم للمدنية والحضارة!– **فكيف تنسجم دعوات الصهيونية المعلنة للإنسانية والتقدم والحضارة والمثل العليا واعتبار أنها حركة انبعاث وتوحيد لليهود، كيف ينسجم كل هذا مع كونها –كما الواقع– حركة عدوان على شعب فلسطين وطرده من أرضه ومحاولة إفنائه؟** فما من حركة استعمارية وصلت مع الشعوب المستعمرة إلى ما وصلت إليه الصهيونية في فلسفتها وقوانينها ثم في تعاملها مع الشعب الفلسطيني صاحب الأرض والسيادة[1] .

الثالث: وقع الصهاينة في إشكالات حديثة، بعد كل محاولات التوفيق بين موضوع اختيار اليهود وتفضيل جنسهم، وبين الصهيونية الداعية للمساواة، **وهذا الإشكال يتمثل في أن اليهود اضطروا لأن يدخلوا في حوارات مع الأديان الأخرى وخاصة المسيحية والإسلام،** وباتوا يسعون للحصول على تعايش سلمي مع أمم أخرى، فكيف يستقيم هذا مع مفهوم التفضيل والاختيار؟ إذ بات التمسك بهذه العقيدة محل حرج كبير لليهود والصهاينة، وأظهر عجزهم في التعاطي مع العالم بهذه المفاهيم[2].

صهاينة يستندون في صهيونيتهم إلى الدين:

تطرق الباحث فيما مضى إلى خطاب هرتزل المراوغ، الذي كان يسعى لتوظيف الدين اليهودي تارة والتنكّر له تارة أخرى في سبيل دعم فكرته الأسطورية في إعادة اليهود إلى الأرض الموعودة المزعومة.

كما أنّ مجمل الخطاب الصهيوني –منذ انطلاقه–كان ذا نزعة دينية واضحة لا يمكن إغفالها عند دراسة الفكر الصهيوني، بغض النظر عن التفسيرات الأخرى والظروف الموضوعية الداعمة لنشوء الصهيونية، **ومن نماذج هذا الخطاب الصهيوني من مواقف وكلام المنظّرين للصهيونية وروادها الأوائل وزعمائها ما يلي:**

---

1) انظر: فلسطين، بيان الحوت، (ص 258) .

2) انظر: الحركة الصهيونية، محمد خليفة حسن، (ص 24).

1. موسى هس[1]:

" يعدّ هس من أهمّ المنظّرين للحركة الصهيونية، والذين نقلوها من عالم النظريات إلى الواقع الحركي، وتمتلئ كتاباته بالدعوة إلى الصهيونية في أبشع صورة لها مرتبطة بالدين اليهودي، إذ يقول في كتابه (روما والقدس): " .. **التفكير في قوميتي التي ترتبط برباط لا نفصم عراه بتراث أسلافي وبالأرض المقدّسة وبالمدينة الخالدة** " "[2] .

ومن نداءاته لليهود داعياً إياهم لأرض الأجداد المزعومة: " تقدموا إلى الأمام أيها اليهود من كل الدول، إن أرض أجدادكم تناديكم، كم سيرتجف الشرق لدى قدومكم ... أنتم كتبتم كتاب الكتب (التوراة) ... أنتم قوس النصر للحقبة التاريخية المقبلة الذي سوف يكتب تحته عهد الإنسانية العظيم ... **نحن شعب الله في الأرض سخر لنا الحيوان الإنساني؛ وهو كل الأمم والأجناس سخرهم لنا ...** " [3] .

هذا ليس إلا نموذجاً بسيطاً من أقوال وخطابات هذا المفكر الصهيوني الذي تروّج الصهيونية لآرائه وتعتبره من السابقين الملهمين، فلا غرابة بعد ذلك – في فهم الباحث– أن تتبنى الصهيونية ذلك الخطاب الإقصائي والمتبجح ضد العرب والمسلمين، وضد شعب فلسطين خاصةً.

---

1) موسى هس (1812–1875م): منظّر الصهيونية، خاصة ما عرف بالصهيونية العمّالية، وكان له اتصال بالأوساط والمجالات الاشتراكية، كما كان صديقاً لكارل ماركس وفردريك إنجلز، ولكنه اختلف معهما بعد فترة قصيرة، كما كان عضواً في أحد المحافل الماسونية، نشر عام 1862م كتابه "روما والقدس" الذي أرسى دعائم القومية اليهودية على أسس دينية، يرى هس أنه لا يوجد شعب غير اليهود له دين يربط العناصر القومية والعالمية والتاريخية معاً، فاليهود إذن هم وحدهم "شعب الإله". ولقد أصبح تاريخ الإنسانية بنظره مقدَّساً من خلال اليهودية، تُوفي هس عام 1875، ونُقلت رفاته إلى فلسطين المحتلة فيما بعد **[** موسوعة اليهود، المسيري، (268/6)– بتصرف **]** .

2) موسوعة اليهود، المسيري، (272/6)، **انظر أيضاً:** زعماء صهيون، مجدي كامل، (ص169).

3) زعماء صهيون، مجدي كامل، (ص 170–171).

2. يهودا الكلعي[1]:

" يذهب الكلعي – وهو من رواد الصهيونية– إلى أنّ اليهود يجب أن يتدخلوا بأنفسهم في مسار الأحداث بدلاً من انتظار عودة الماشيَّح، ويقوموا بتحديد الطريقة المناسبة للعودة وزمانها، ويقول القلعي إنه – كخطوة أولى– "يجب أن نعمل على إعادة اثنين وعشرين ألفاً إلى الأرض المقدَّسة، فهذه تهيئة ضرورية لحلول دلالات أخرى"، فالخلاص لا يمكن أن يتم فجأة، والأرض يجب أن تُبنَى وتُعَدُّ وتُجَهَّز بالتدريج"[2].

" وحتى يضفي شرعية على رؤيته الجديدة، **فإنه يشير إلى عقيدة الماشيَّح الأول (المسيح ابن يوسف) الذي سيشترك في حرب يأجوج ومأجوج وسيحاول تحرير (أرض يسرائيل) من الكفرة** ولكنه سيَسقُط في المعركة، وبعد هذا سيأتي الماشيَّح الثاني والنهائي (المسيح بن داود)، وهو يفسر وجود الماشيَّح الأول بأنه يعني ضرورة أن يسبق العصر المشيحاني النهائي إعداد دنيوي إنساني، ثم يضيف أنه يجب النظر لرؤية الماشيَّح بن داود على أنها مجاز، فهي عملية ستأخذ في الأزمنة الحديثة شكل قيادة سياسية، ولذا سيبدأ الخلاص باليهود أنفسهم، هؤلاء الذين يجب أن يملكوا زمام أمورهم بأنفسهم ويُعجِّلوا بالنهاية " [3] .

---

1) يهودا الكلعي (1798–1878م): حاخام ورائد من رواد الفكر الصهيوني، وُلد في سراييفو (في البوسنة والهرسك) والتي كانت جزءاً من الدولة العثمانية آنذاك، وبعد إدراك ضرورة الحصول على التأييد المالي والسياسي لمشروعه، سافر إلى العواصم الأوربية (1851– 1852م)، ووجَّه النداءات إلى كبار المموِّلين اليهود، ونشر في لندن كتيباً يحمل أفكاره وأسس فيها أيضاً جمعية استيطانية لم تُعمَّر طويلاً، والتحق بجمعية استيطان فلسطين التي أسَّسها لورج في ألمانيا وقام بنشاط بارز في صفوفها، وفي عام 1871م زار فلسطين وأسَّس هناك جمعية استيطانية ما لبثت أن توقفت، ثم استقر نهائياً في فلسطين عام 1874م، وقد قام بعض أتباعه بعد وفاته مباشرة بشراء أرض "بتاح تكفا" حيث أُقيمت أول مستعمرة يهودية زراعية في فلسطين **[انظر:** موسوعة اليهود، المسيري، (6/289–290) **]** .

2) موسوعة اليهود، المسيري، (6/ 289)– بتصرف يسير.

3) المصدر السابق، (6/ 289)– بتصرف، **انظر أيضاً:** زعماء صهيون، مجدي كامل، (ص 111–114).

3. **صمويل موهيليفر[1] :**

عَدّ موهيلفر – وهومن رواد الصهيونية– أموال الصدقة التي تُعطَى لفقراء اليهود والقدس جزءًا من التقوى الدينية، **كما كان يرى أن العودة إلى أرض فلسطين والإقامة فيها وتعميرها إحدى الوصايا الأساسية في التوراة،** وأن الحكماء اعتبروا هذه العودة بمنزلة الناموس الإلهي، وقد وجد موهيليفر سنداً لرؤيته هذه في التلمود الذي جاء فيه أن الإله يفضل أن يعيش أبناؤه في أرضهم، حتى ولو لم يُنفِّذوا تعاليم التوراة، على أن يعيشوا في المنفى ويُنفِّذوا تعاليمها[2] .

4. **أبراهام كوك[3]:**

"يرى كوك أن المنفى حالة غير طبيعية، على عكس الرؤية التقليدية التي ترى المنفى جزءاً لا يتجزأ من التجربة الدينية عند اليهود، فهي –حسب كوك– **أمر الإله والعقاب الذي حاق باليهود نتيجة الذنوب التي اقترفوها، وحسب تصوُّره، لا يستطيع اليهودي أن يكون مخلصاً** وصادقاً في أفكاره وعواطفه وخيالاته في أرض الشتات، فاليهودية في أرض الشتات ليس لها وجود حقيقي"[4].

" ويعدّ كوك فصل القومية عن الدين تزييفاً لكليهما، **فبزعمه أن هناك مادة إلهية تسري في (جماعة يسرائيل) تجعل روحها ملتصقة بروح الإله، بل إن روح (يسرائيل) وروح الإله شيء واحد،** وهذا الإله الذي يكمن داخل الشعب هو مصدر روحهم القومية؛ ولذا، يجب على أعضاء

---

1) **صمويل موهيليفر(1824–1898م):** حاخام روسي، وأحد مؤسسي حركة أحباء صهيون، تلقَّى ثقافة دينية، وتعمَّق في دراسة القبَّالاه والحسيدية وتواريخ الجماعات اليهودية، ذاع صيته كعالم تلمودي، وقد ساهم في تنظيم الهجرة إلى فلسطين، وأقنع كلاً من هيرش وروتشيلد بأن يساهما في تمويل ومساعدة الاستيطان اليهودي لفلسطين، استمر موهيليفر نشيطاً في حركة أحباء صهيون، وحينما نشب الخلاف بين العلمانيين من أحباء صهيون ومناوئيهم، عُهد إليه بأن يعمل في أوساط المتدينين **[** موسوعة اليهود، المسيري، (290/6)– بتصرف **]** .

2) **انظر**: موسوعة اليهود، المسيري، (290/6) .

3) **إبراهام كوك (1865–1924م):** أهم مفكري الصهيونية الإثنية الدينية، وأول حاخام أكبر لليهود الإشكناز في فلسطين، وُلد في شمال روسيا، وتلقى تعليمه الديني في إحدى المدارس التلمودية العليا، ثم هاجر إلى فلسطين عام 1904م واستقر فيها، وقد تَعرَّف كوك إلى تقاليد القبَّالاه وسعى وراء تجارب الإشراق الداخلية، و كتاباته كلها مفعمة بروح قبَّالية وإيمان بالحلول الرباني في الشعب اليهودي، وتتلخص سيرة حياته ونشاطاته القومية الدينية في محاولة تقريب الصهيونية إلى المتدينين وتقريب المتدينين من الصهيونية **[** موسوعة اليهود، المسيري، (6/ 291) **]**.

4) موسوعة اليهود، المسيري، (291/6)– بتصرف .

هذا الشعب أن يدركوا حقيقة الإله الموجود داخلهم، ويدركوا من ثم حقيقة قوميتهم، فروح الإله تسري في الأرض سريانها في الشعب، وكل ممتلكات اليهود القومية من أرض ولغة وتقاليد وتاريخ هي عروق تجري فيها روح الإله؛ ولذا فإن (أرض إسرائيل) ليست شيئاً منفصلاً عن روح الشعب اليهودي، إنها جزء من جوهر الوجود اليهودي القومي ومرتبطة بحياة الوجود وبكيانه الداخلي"[1].

فيما يتضح للباحث فإن هذا نموذج متكرر يكرس حقيقة التكوين الديني المتطرف لفكرة الصهيونية من ألسنة روادها الأمر الذي يؤكد طبيعة الصراع مع الصهيونية في أجلى صورها.

5. صموئيل لانداو[2]:

ينطلق الزعيم الصهيوني لانداو من رؤية دينية للصهيونية بشكل واضح وصريح، " ولذا فإنه يشدِّد في كتاباته على أهمية الاستيطان في الأرض، **فالإقامة في الأرض المقدَّسة – في نظره– هي إحدى الأوامر والنواهي من الربّ؛ لأنّ القبس الإلهي لا يؤثر في الشعب اليهودي إلا وهو في أرضه**، أي أنه –أي لانداو– يدور في إطار الثالوث المقدّس (الإله– الأرض – الشعب)، وهو يُطعِّم هذه الفكرة بفكرة العمل وزراعة الأرض وبالديباجات الصهيونية الأخرى، ولكنه يبيِّن أنها قيَم مرتبطة في نهاية الأمر بالتوراة والوجود اليهودي المنفصل" [3] .

6. حاييم وايزمان[4]:

---

1) موسوعة اليهود، المسيري، (292/6)– بتصرف .

2) صموئيل لانداو (1892–1928م): حاخام بولندي الأصل، وزعيم صهيوني ديني، ومؤسِّس جماعة عمال مزراحي، نشأ في بيئة حسيدية في بولندا حيث تلقَّى تعليماً دينياً تقليدياً في المدرسة التلمودية، وأصبح حاخاماً في سن الثامنة عشرة، ثم قرأ بنفسه الكتب غير الدينية وانخرط في سلك حركة مزراحي في بولندا بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وكتب لانداو عدة مقالات هاجم فيها موقف اليهود الأرثوذكس السلبي من الصهيونية، وفي عام 1926، هاجر إلى فلسطين حيث تابع نشاطه الصهيوني **[** موسوعة اليهود، المسيري، (293/6–294) **]**.

3) موسوعة اليهود، المسيري، (294/6)– بتصرف .

4) حاييم وايزمن(1864–1952م): زعيم صهيوني، عالم كيميائي، وأول رئيس للكيان الصهيوني، وُلد في روسيا، تلقَّى تعليماً دينياً تقليدياً، ساهم في تأسيس الجامعة العبرية، كان من أوائل المفكرين والزعماء الصهاينة الذين عملوا على وضع المشروع الصهيوني موضع التنفيذ **[انظر:** موسوعة اليهود، المسيري، (253/6) **]** .

يقول وايزمان – أول رئيس للكيان الصهيوني في فلسطين–: "إن أساس وجودنا كله هو حقنا في إقامة وطن قومي فوق أرض (إسرائيل) وهو حق نملكه منذ آلاف السنين، **ومصدره وعد الربّ لإبراهيم، وقد حملناه معنا في أنحاء العالم كله طوال حياة حافلة بالتقلبات**"[1] .

ويقول أيضاً في تعقيبه على مقترح تقسيم فلسطين: " **إنّي أعلم أن الله وعد بني إسرائيل بفلسطين، لكنني لا أعلم الحدود التي يشملها الوعد، وأعتقد أنها كانت أوسع من الحدود المقترحة الآن** .. وربما اشتملت أيضاً على شرق الأردن، لقد تركنا الضفة الشرقية للأردن ويطلب إلينا الآن أن نتنازل عن قسم من الضفة الغربية، **وإذا كان الله يريد تحقيق وعده لشعبه في الوقت الذي يريده فإن واجبنا كبني آدم ضعفاء يعيشون في ظرف صعب أن ننقذ ما يمكننا إنقاذه من بقايا (إسرائيل)** " [2].

وعندما عُرض على اليهود مشروع التوطين في أوغندا بدلاً من فلسطين أجاب وايزمن في معرض شرحه لما سمّاه هو (الفكرة الصهيونية) قائلاً: "إنّ الأمر الوحيد الذي يجمع عليه اليهود كأساس للحركة الصهيونية هو فلسطين وفلسطين وحدها ... **حتى لو أن موسى نفسه جاء يدعو لغيرها لما تبعه أحد، وإن أي ابتعاد عن فلسطين يشكل نوعاً من الكفر**" وأضاف مستنكراً: " **نسوا مبدأ الحركة الصهيونية المشتق من التوراة؟!** " [3] .

خلاصة المطلب:

أولاً: اهتمّت توراة اليهود – المدوّنة بعد طردهم من الأرض المقدّسة– بالإشارة إلى فكرة العودة والحنين إلى صهيون، وإن كانت إشاراتها في غالبها وردت في ترانيم شعرية في المزامير ورؤى لأنبياء وما شابه، مما يجعل للفكر الصهيوني إشارات يستند عليها في كتابهم المقدّس.

---

1) موسوعة اليهود، المسيري، (78/6) .

2) مذكرات وايزمان، ترجمة: هشام خضر، مكتبة النافذة/مصر، ط1، 2009م، (ص 210).

3) مذكرات وايزمان، (ص 59 – 60) .

ثانياً: ارتبطت فكرة الصهيونية بعقيدة عودة المسيح المنتظر المخلّص عند اليهود ارتباطاً تأويلياً، وحاولت الصهيونية تطويع هذا المفهوم الديني للواقع السياسي الذي تمخضت عنه الصهيونية، إذ اعتبرت نفسها المخلّص والمسيح المنتظر، وأدى هذا التأويل إلى تناقضات وتساؤلات كبيرة حول مرتكز أساسي في عقيدة اليهود، وكان مدخلاً للطعن في اليهودية ذاتها فضلاً عن الصهيونية.

ثالثاً: حاولت الصهيونية أن تنسجم مع مفهوم "شعب الله المختار" أو تتجاوزه، لكنها فشلت في ذلك، ووضعت أيضاً علامات استفهام حول عقيدة أساسية لدى اليهود وفكرة راسخة في توراتهم، وبات التناقض جليّاً بين صهيونية تزعم أنها وريثة حضارة وتقدم وديمقراطية، وبين ديانة يهودية مليئة بفكرة الاختيار والتفضيل لجنس اليهود على سائر الأجناس والأمم.

رابعاً: امتلأت خطابات وشعارات وأفكار رواد الصهيونية ومفكريها وزعمائها بالربط الواضح والصريح للصهيونية بأسس دينية مستمدة من التوراة وغيرها من مصادر الدين اليهودي، وهذا يعطي صورة واضحة عن طبيعة الخطاب الديني الصهيوني الذي يربط الفكرة الصهيونية بالدين اليهودي وما يحتويه من وعد مزعوم، الأمر الذي يجعل من الأساس الديني منطلقاً هو الأهم في الفكر الصهيوني، بالرغم مما يحتويه هذا الفكر من تناقض فاحش وتصارع في الرؤى وتفسيرات متشعبة ومنطلقات كثيرة.

خامساً: لا مجال مع دراسة أصول الحركة الصهيونية أن يتم تجاوز الأساس الديني والعقائدي في مشروعها بالرغم من جذوره الأخرى كالوظيفة الاستعمارية والظروف الموضوعية والتاريخية، والتآمر ونبذ اليهود وغيرها من عوامل.

سادساً: إن الصهيونية بكل تعقيداتها – وما رافق أفكارها ونشأتها وتكوينها وصولاً إلى تحقيق مشروعها بإقامة الكيان الصهيوني الجاثم على الأرض المقدّسة– تنطوي على تناقضات عجيبة لا تخطؤها نظرة عابرة أو قراءة مجملة في تاريخها وشخوصها وأفكارها وأقسامها، وهي في ذلك تنسجم مع طبيعة ما تنطوي عليه اليهودية واليهود ذاتهم من إشكاليات في تناول قضيتهم ودراستها وما تحتويه من تناقضات كبيرة لا تكاد تنتهي.

المبحث الرابع:

آثار العقيدة اليهودية في الأرض المقدسة

ويتضمن خمسة مطالب:

المطلب الأول: مجازر الصهاينة في فلسطين وعلاقتها بعقيدة اليهود

المطلب الثاني: التوسع الاستيطاني وجدار الفصل وعلاقتهما بعقيدة اليهود

المطلب الثالث: تهويد القدس وعلاقته بعقيدة اليهود

المطلب الرابع: هيكل سليمان في العقيدة اليهودية

المطلب الخامس: فكرة المسيح عند اليهود وعلاقتها بالأرض المقدسة

المطلب الأول

مجازر الصهاينة في فلسطين وعلاقتها بعقيدة اليهود

ارتكب اليهود من المجازر في فلسطين في العهد الحديث ما لا يغفله إنسان، وسفكوا الدماء وأزهقوا الأرواح بلا حياء أو تردّد.

يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري: " لقد حوَّلت الصهيونية العهد القديم إلى فلكلور للشعب اليهودي، وهو كتاب تفيض صفحاته بوصف حروب كثيرة خاضتها (جماعة يسرائيل) أو العبرانيون مع الكنعانيين وغيرهم من الشعوب، فقاموا بطرد بعضهم وإبادة البعض الآخر، و(جماعة يسرائيل) يحل فيها الإله الذي يوحي لها بما تريد أن تفعل، ويبارك يدها التي تقوم بالقتل والنهب، فكل أفعال الشعب مباركة مقدَّسة لأن الإله يحل فيه"[1].

وهذا الكمّ الكبير من النصوص الداعية بوضوح أو ضمناً إلى العنف والقتل والتدمير على أساس ديني يجعل من الدين اليهودي –المحرّف– المرجع الأساس للصهيونية في شرعنتها للعنف وارتكاب المجازر ضد الآخرين، وضد شعب فلسطين خاصة.

العنف في العهد القديم:

إنّ الدعوة إلى العنف، والحث على ارتكاب الفظائع في الحروب، والتحريض على سفك الدماء وإزهاق الأرواح، كلّها سماتٌ مستفيضةٌ في توراة اليهود المحرّفة.

فتجد أنّ توراة اليهود تسطّر وصيةً من الربّ لموسى ﷺ جاء فيها: « فإنّ ملاكي يسير أمامك و يجيء بكَ إلى الأموريين والحثيين والفرزيين والكنعانيين والحويين واليبوسيين **فأُبيدُهم** ... ولا تعمل كأعمالهم بل **تبيدُهم و تكسّر أنصابَهم** ... أرسلُ هيبتي أمامك **وأزعجُ جميع الشعوب الذينَ تأتي عليهم و أعطيكَ جميعَ أعدائِكَ مدبرينَ**»[2].

---

1) موسوعة اليهود، المسيري، (127/7) .

2) خروج 23 : 23 – 27 .

وتطبيقاً لهذه الوصيّة وأشباهها، تجد أنّ نبي الله موسى عليه السلام – بزعم التوراة المحرّفة – يرتكب مجزرة دموية مروعة في منطقة "مديان"[1] ، في مشهد ينأى عن فعله أنبياء الله عز وجل المرسلين رحمة لأقوامهم، حيث تروي التوراة: «وكلّم الربّ موسى قائلاً: **انتقمْ نقمةً لبني إسرائيلَ** من المديانيين، ثم تضمّ إلى قومك، فكلّم موسَى الشعبَ قائلاً: جرّدوا منكمْ رجالاً للجندِ فيكونوا على مديانَ، ليجعلُوا نقمةَ الربّ على مديان، ألفاً واحداً منْ كلّ سبطٍ من جميعِ أسباطِ إسرائيلَ ترسلُون للحربِ، فاختير من ألوفِ إسرائيلَ ألفٌ من كل سبط، اثنا عشر ألفاً مجرّدون للحرب، فأرسلَهم موسى ألفاً من كل سبطٍ إلى الحرب ... فتجنّدوا على مديان كما أمر الربّ **و قتلوا كلّ ذكرٍ، وملوكُ مديان قتلوهم فوق قتلاهم ... وسبَى بنو إسرائيلَ نساءَ مديان، و أطفالهَم، و نهبوا جميعَ بهائمهم و جميعَ مواشيهم و كلّ أملاكِهم، وأحرقوا جميعَ مُدنهم بمساكنِهم وجميعَ حصونِهم بالنار، وأخذوا كل الغنيمة و كلّ النهب من الناس و البهائم**، وأتوا إلى موسى و العازار الكاهن و إلى جماعة بني إسرائيل بالسّبي و النّهب و الغنيمة إلى المحلّة إلى عربات موآب التي على أردنّ أريحا»[2] .

ولم يكتف موسى عليه السلام بهذا – بزعم كاتب التوراة –، بل سخط على رؤساء الجند بسبب إحجامهم عن قتل النساء والأطفال**!!** « فسخط موسى على وكلاء الجيش رؤساء الألوف و رؤساء المئات القادمين من جند الحرب، **وقال لهم موسى: هل أبقيتم كلّ أُنثى حيّة؟! ... فالآن أُقتلوا كلّ ذكرٍ من الأطفالِ و كلّ امرأةٍ عرفتْ رَجُلاً بمضاجعةِ ذكرٍ اقتُلوها**»[3] .

كما تضع التوراة قانون الحرب على المدن المحاصرة، ويتسم هذا القانون – الإلهي بزعم التوراة– بكل معاني القسوة والدموية والإجرام إذ نصّه: « حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِكَيْ تُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا إِلَى الصُّلْحِ، **فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ، فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّسْخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ.** وَإِنْ لَمْ تُسَالِمْكَ، بَلْ عَمِلَتْ مَعَكَ حَرْبًا، فَحَاصِرْهَا. وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى يَدِكَ **فَاضْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ**، كُلُّ غَنِيمَتِهَا، فَتَغْتَنِمُهَا لِنَفْسِكَ، وَتَأْكُلُ غَنِيمَةَ أَعْدَائِكَ الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ. هكَذَا تَفْعَلُ بِجَمِيعِ الْمُدُنِ الْبَعِيدَةِ مِنْكَ جِدًّا الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ مُدُنِ هؤُلاَءِ الأُمَمِ هُنَا. وَأَمَّا

---

1) مديان: أحد أولاد إبراهيم من "قطورة" –حسب سفر التكوين 25: 2– وقيل إن أرض مديان كانت تمتد من خليج العقبة إلى موآب وطور سيناء، وقال آخرون: إنها كانت تمتد من شبه جزيرة سيناء إلى الفرات، وكان شعبها يتاجر مع فلسطين ولبنان ومصر، وسكن موسى مدة في مديان، والمديانيون نسل مديان القاطنون في أرض مديان**[انظر:** قاموس الكتاب المقدّس، جورج بوست، (324/2) **]**.

2) عدد 31 : 1 – 12 .

3) عدد 31 : 14 – 17 .

مُدُنُ **هؤُلاَءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيبًا فَلاَ تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَّا، بَلْ تُحَرِّمُهَا تَحْرِيمًا:** الْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ، كَمَا أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ»[1] .

إنّ مثل هذه النصوص التوراتية –في فهم الباحث– تكفي كدليل على الدموية التي يتشرّبها اليهود من منبع عقيدتهم، ويسندون بحسبها أفعالهم المشينة إلى أوامر عليا من الربّ لشعبه المختار، ويبنون عليها قوانينهم وعقيدتهم الحربية في تعاملهم مع خصومهم وأعدائهم.

ومن بعد موسى عليه السلام يستلم الراية النبي يشوع، فيقدم على ارتكاب مذبحة تتغنى بها توراة اليهود كواحدة من المعارك البطولية التاريخية، ألا وهي معركة فتح أريحا المزعومة، إذ جاء في وصفها: « وَكَانَ حِينَ سَمِعَ الشَّعْبُ صَوْتَ الْبُوقِ أَنَّ الشَّعْبَ هَتَفَ هُتَافًا عَظِيمًا، فَسَقَطَ السُّورُ فِي مَكَانِهِ، وَصَعِدَ الشَّعْبُ إِلَى الْمَدِينَةِ كُلُّ رَجُل مَعَ وَجْهِهِ، وَأَخَذُوا الْمَدِينَةَ، **وَحَرَّمُوا كُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ رَجُل وَامْرَأَةٍ، مِنْ طِفْل وَشَيْخٍ، حَتَّى الْبَقَرَ وَالْغَنَمَ وَالْحَمِيرَ بِحَدِّ السَّيْفِ ... وَأَحْرَقُوا الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ مَعَ كُلِّ مَا بِهَا،** إِنَّمَا الْفِضَّةُ وَالذَّهَبُ وَآنِيَةُ النُّحَاسِ وَالْحَدِيدِ جَعَلُوهَا فِي خِزَانَةِ بَيْتِ الرَّبِّ»[2] .

وتأتي مباركة الربّ لهذا العمل في الختام: « **وَكَانَ الرَّبُّ مَعَ يَشُوعَ،** وَكَانَ خَبَرُهُ فِي جَمِيعِ الأَرْضِ»[3].

وفي زمن النبي صموئيل، تحكي لنا التوراة قصة قتل واستئصال العماليق[4] في فلسطين، وبأمر الربّ كذلك، وهي محاكاة وتجديد لنهج موسى ويوشع ومن بَعدهما –بزعم التوراة– فتروي في ذلك: « وَقَالَ صَمُوئِيلُ لِشَاوُلَ: إِيَّايَ أَرْسَلَ الرَّبُّ لِمَسْحِكَ مَلِكًا عَلَى شَعْبِهِ إِسْرَائِيلَ. **وَالآنَ فَاسْمَعْ صَوْتَ كَلاَمِ الرَّبِّ، هكَذَا يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ:** إِنِّي قَدِ افْتَقَدْتُ مَا عَمِلَ عَمَالِيقُ بِإِسْرَائِيلَ حِينَ وَقَفَ لَهُ فِي الطَّرِيقِ عِنْدَ صُعُودِهِ

---

1) تثنية 20 : 10 – 17 .

2) يشوع 6 : 20 – 24 .

3) يشوع 6 : 27 .

4) العماليق: شعب سامي قديم وجد في النقب، وكان يتجول بين جنوب كنعان ووسطها واستقر في الجنوب، أتى ذكره في التوراة بوصفه شعباً معادياً للقبائل العبرانية، ولم يعرف أصل هذا الشعب، واعتبرهم العبرانيون عدواً أزلياً لهم، وعدّهم "بلعام" وفق التوراة بأنهم أول الشعوب **[انظر:** قاموس الكتاب المقدس، جورج بوست، (112/2)، **أيضاً:** موسوعة اليهود، المسيري، (107/4) **]** .

مِنْ مِصْرَ، **فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ، وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ تَعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلاً وَامْرَأَةً، طِفْلاً وَرَضِيعًا، بَقَرًا وَغَنَمًا، جَمَلاً وَحِمَارًا**» (1).

وهنا للمرء أن يتساءل، ما دام الربّ قد فتح على القوم البلاد وأخضع لهم العباد، فما الحاجة للانتقام من قوم قاتلوهم في بداية حروبهم؟! والحشد لسحقهم بهذه الطريقة التي لا تعرف الرحمة بطفل ولا امرأة ولا بهيمة؟!

وفي زمن نبي الله داود عليه السلام، يقرر داود عليه السلام – بزعم التوراة– إبادة مدن بني عمون(2) بطريقة مبتكرة من القتل والحرق والتدمير، وقد ذكرتها التوراة تفصيلاً: « فَجَمَعَ دَاوُدُ كُلَّ الشَّعْبِ وَذَهَبَ إِلَى رِبَّةَ وَحَارَبَهَا وَأَخَذَهَا ... **وَأَخْرَجَ الشَّعْبَ الَّذِي فِيهَا وَوَضَعَهُمْ تَحْتَ مَنَاشِيرَ وَنَوَارِجِ حَدِيدٍ وَفُؤُوسِ حَدِيدٍ وَأَمَرَّهُمْ فِي أَتُونِ الآجُرِّ، وَهكَذَا صَنَعَ بِجَمِيعِ مُدُنِ بَنِي عَمُّونَ. ثُمَّ رَجَعَ دَاوُدُ وَجَمِيعُ الشَّعْبِ إِلَى أُورُشَلِيمَ**»(3) .

وفي المزامير ترانيم تدعو إلى قتل الأطفال بلا رحمة وتهشيمهم بالحجارة! « يَا بِنْتَ بَابِلَ الْمُخْرَبَةَ، طُوبَى لِمَنْ يُجَازِيكِ جَزَاءَكِ الَّذِي جَازَيْتِنَا! **طُوبَى لِمَنْ يُمْسِكُ أَطْفَالَكِ وَيَضْرِبُ بِهِمُ الصَّخْرَةَ**!»(4) .

وفي رؤيا النبي اشعياء كذلك: « وَيَكُونُونَ كَظَبْيٍ طَرِيدٍ، وَكَغَنَمٍ بِلاَ مَنْ يَجْمَعُهَا. يَلْتَفِتُونَ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى شَعْبِهِ، وَيَهْرُبُونَ كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى أَرْضِهِ. كُلُّ مَنْ وُجِدَ يُطْعَنُ، **وَكُلُّ مَنِ انْحَاشَ يَسْقُطُ بِالسَّيْفِ. وَتُحَطَّمُ أَطْفَالُهُمْ أَمَامَ عُيُونِهِمْ، وَتُنْهَبُ بُيُوتُهُمْ وَتُفْضَحُ نِسَاؤُهُمْ**» (5) .

أما النبي ارمياء، فيأمره الربّ –بزعم التوراة– أن يحثّ الجنود على الذبح والشرب من الدماء والقتل بلا هوادة! كل ذلك لأن اليوم هو يوم الربّ للانتقام! « **فَهذَا الْيَوْمُ لِلسَّيِّدِ رَبِّ الْجُنُودِ** يَوْمُ نَقْمَةٍ

---

1) صموئيل الأول 15 : 1 – 3 .

2) بنو عمون: هم في مفهوم التوراة أنسال ابن عمّي بن لوط، الذي ولد في مجاورة صوغر وامتدت ذريته إلى الشمال، وسكنوا في جبال جلعاد، وقد طردهم الأموريون تحت قيادة ملكهم "سيحون" من أخصب أملاكهم، وقد دارت بينهم وبين الإسرائيليين معارك كر وفر كثيرة **[انظر:** قاموس الكتاب المقدس، جورج بوست، (116/2 – 117) **]**.

3) صموئيل الثاني 12 : 29 – 31 .

4) المزامير 137 : 8 – 9 .

5) اشعياء 13 : 14 – 16 .

لِلانْتِقَامِ مِنْ مُبْغِضِيهِ، **فَيَأْكُلُ السَّيْفُ وَيَشْبَعُ وَيَرْتَوِي مِنْ دَمِهِمْ. لأَنَّ لِلسَّيِّدِ رَبِّ الْجُنُودِ ذَبِيحَةً فِي أَرْضِ الشِّمَالِ عِنْدَ نَهْرِ الْفُرَاتِ**»[1] .

أما الفلسطينيون فيقول فيهم الربّ لارمياء قولاً عجيباً –بزعم التوراة– فمصيرهم الانقراض والهلاك المحتّم! « **بِسَبَبِ الْيَوْمِ الآتِي لِهَلاَكِ كُلِّ الْفِلِسْطِينِيِّينَ، لِيَنْقَرِضَ مِنْ صُورَ وَصَيْدُونَ كُلُّ بَقِيَّةٍ تُعِينُ، لأَنَّ الرَّبَّ يُهْلِكُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ،** بَقِيَّةَ جَزِيرَةِ كَفْتُورَ. أَتَى الصُّلْعُ عَلَى غَزَّةَ. أُهْلِكَتْ أَشْقَلُونُ مَعَ بَقِيَّةِ وَطَائِهِمْ. حَتَّى مَتَى تَخْمِشِينَ نَفْسَكِ. آهِ، يَا سَيْفَ الرَّبِّ، حَتَّى مَتَى لاَ تَسْتَرِيحُ؟ انْضَمَّ إِلَى غِمْدِكَ! اهْدَأْ وَاسْكُنْ. **كَيْفَ يَسْتَرِيحُ وَالرَّبُّ قَدْ أَوْصَاهُ عَلَى أَشْقَلُونَ، وَعَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ هُنَاكَ وَاعَدَهُ**»[2] .

واللعنة لمن يغمد سيفه ويمنعه عن الدم، « مَلْعُونٌ مَنْ يَعْمَلُ عَمَلَ الرَّبِّ بِرِخَاءٍ، **وَمَلْعُونٌ مَنْ يَمْنَعُ سَيْفَهُ عَنِ الدَّمِ»!** [3] .

العنف اليهودي المعاصر:

وجدت هذه النصوص العنيفة صداها عند يهود اليوم، وهذا الجانب من الفكر الصهيوني يتضح بجلاء؛ " فمثلاً، في كتاب الثورة الذي ألّفه مناحيم بيجن، والذي يقلب فيه العبارة المعروفة "أنا أفكر، إذن أنا موجود" لتصبح: "**أنا أحارب، إذن أنا موجود**"، ثم يضيف: "**من الدم والنار والدموع والرماد سيخرج نموذج جديد من الرجال، نموذج غير معروف البتة للعالم في الألف وثماني السنين الماضية: اليهودي المحارب**" "[4].

ويقول أيضاً: "**إنّ قوة التقدم في تاريخ العالم ليست السلام بل السيف**"[5].

" والعنف عند ابن جوريون يقوم بالوظيفة نفسها في إعادة صياغة الشخصية اليهودية، إذ يصف الرواد الصهاينة بأنّهم لم يكن لهم حديث إلا الأسلحة: "وعندما جاءتنا الأسلحة لم تسعنا

---

1) ارمياء 46 : 10 .
2) ارمياء 47 : 4 – 7 .
3) ارمياء 48 : 10 .
4) موسوعة اليهود، المسيري، (129/7)– بتصرف.
5) المصدر السابق، (128/7) .

الدنيا لفرط فرحتنا، كنّا نلعب بالأسلحة كالأطفال، ولم نعد نتركها أبداً، كنا نقرأ ونتكلم والبنادق في أيدينا أو على أكتافنا ... إنّ موسى– أعظم أنبيائنا– هو أول قائد عسكري في تاريخ أمتنا... **خير مفسر للتوراة هو الجيش، فهو الذي يساعد الشعب على الاستيطان على ضفاف نهر الأردن، فيفسر بذلك كلمات أنبياء العهد ويحققها** "[1] .

لقد استقر البناء التنظيمي للإرهاب الصهيوني منذ مطلع عشرينيات القرن العشرين حين تأسَّست "**الهاجاناه**"[2] ممثلة الذراع العسكري والباطش للوكالة اليهودية عام 1920م، وفي السنة التالية لاندلاع الثورة الفلسطينية الكبرى عام 1936م انشق عن الهاجاناه تنظيم اتخذ لنفسه مظهراً أشد تطرفاً ودموية هو عصابة **الأرجون تسفاي ليومي (الإتسل)**[3]، وفيما بعد انشق عن "إتسل" جماعة أبراهام شتيرن وكوَّنت عام 1940م جماعة **ليحي**[4]، وتُعَد هذه المنظمات الثلاث (الهاجاناه – إتسل – ليحي) العمود الفقري للإرهاب الصهيوني حتى عام 1948م[5].

---

1) موسوعة اليهود، المسيري، (129/7).

2) الهاجاناة: منظمة عسكرية صهيونية استيطانية، أُسست في القدس عام 1920م، وتعني في العبرية "الدفاع"، أسهمت في بناء الكيان الصهيوني وتأسيسه، وانضمّ اليها فور تأسيسها عدد كبير من أفراد الفيلق اليهودي الذي قاتل إلى جانب الانجليز في الحربين العالميتين، انبثقت عنها منظمة الأرجون **[** الموسوعة الفلسطينية الميسرة، هيئة جائزة سليمان عرار للفكر والثقافة، رئيس التحرير: ناصر الدين الأسد، أروقة للدراسات والنشر/ الأردن، ط1، 1433هـ/2012م، (ص 742)– بتصرف **]**.

3) اتسل: منظمة سرية صهيونية، أُسست عام 1931م، ويعني اسمها: "المنظمة العسكرية القومية في أرض إسرائيل"، ويعد فلاديمير جابوتنسكي الأب الروحي لها، وشعارها يد تمسك بندقية مكتوب تحتها عبارة "هكذا فقط"، وهي تدّعي بأن أرض إسرائيل التاريخية تشمل فلسطين والأردن، وقد تولى مناحيم بيجن قيادتها عام 1943م، **[** الموسوعة الفلسطينية الميسرة، (ص 37)– بتصرف **]** .

4) ليحي: منظمة عسكرية صهيونية تعني: "المحاربون من أجل حرية إسرائيل"، تشكلت بعد الانشقاق عن منظمة الأرغون (اتسل) في يونيو عام 1940م، وكان انشقاقها بسبب معارضتها سياسة مهادنة سلطات الانتداب البريطاني، واشتهرت ليحي باسم "شتيرن" نسبة إلى مؤسسها أبراهام شتيرن، ودعت المنظمة إلى إنشاء جيش يهودي مستقل وإعلان هدف الصهيونية وهو إقامة دولة يهودية على ضفتي نهر الأردن **[** الموسوعة الفلسطينية الميسرة، (ص 618)– بتصرف **]** .

5) انظر: موسوعة اليهود، المسيري، (131/7) .

" وهذه المرحلة من الإرهاب الصهيوني على أرض فلسطين هي المرحلة التي سبقت تأسيس الكيان الصهيوني، وقد مارست هذه التنظيمات الصهيونية مذابح في القرى والمدن الفلسطينية جنباً إلى جنب مع اتباع نهج التطهير العرقي والتهجير القسري " [1] .

وكانت فترة 1947م – 1948م فترة الذروة في ارتكاب هذه المجازر، وهي الفترة التي تعرف عند أهل فلسطين والعرب بالنكبة، وتعرف عند الصهاينة بحرب الاستقلال، وقد أظهرت المراجعات التاريخية لما جرى خلال هاتين السنتين الداميتين **أنما جرى كان أشبه بإبادة جماعية، فقد وُثّق تدمير 531 قرية فلسطينية وطرد سكانها، و 200 جريمة حرب، و 34 مجزرة** [2].

والفترة التالية لتأسيس الكيان الصهيوني (أي الفترة بين 1949 و1967م) شهدت مجازر لا تقل همجية عن سابقاتها، وقدّرت بـ 19 مجزرة في الضفة الغربية وقطاع غزة، راح ضحيتها نحو 1500 فلسطيني[3] .

وقد استمرّ العنف والإرهاب الصهيوني ضد أهل فلسطين وما حولها بعد عام 1948م و1967م وحتى يومنا هذا، واتّخذ هذا العنف والذبح شكل ما يعرف بـ "إرهاب الدولة"، بدءاً بالغارات على القرى الحدودية العربية خلال فترة الخمسينات والستينات، أو مهاجمة متكررة لمواقع مدنية في مصر والأردن وسوريا وتونس والعراق، أو في محاولة قمع انتفاضة الحجارة (1987–1993م)، وانتفاضة الأقصى (2000–2005م)، والعدوان على قطاع غزة (2008–2009م)، (وكذلك حرب الأيام الثمانية على غزة في نوفمبر عام 2012م[4])، إضافة إلى الاغتيالات والقتل المتعمد لقيادات فلسطينية داخل فلسطين وخارجها[5] .

---

1) الموسوعة الفلسطينية الميسرة، (ص 37) .

2) انظر: المجازر الإسرائيلية بحق الشعب الفلسطيني، ياسر علي، مركز الزيتونة للدراسات/ بيروت، ط1، 1430هـ/2009م، (ص25).

3) انظر: المصدر السابق، (ص29).

4) الباحث.

5) الموسوعة الفلسطينية الميسرة، (ص 37)– بتصرف .

وإجمالاً يمكن أن تُصنّف الأعمال الإرهابية الصهيونية بثلاث مراحل زمنية، اتسمت كل منها بأهدافها و بأساليبها وبالأدوات المستعملة فيها، وهذه المراحل هي على التوالي[1]:

المرحلة الأولى: بدأت في 16 نيسان 1936م، وانتهت بقرار التقسيم في 1947/11/29م.

المرحلة الثانية: بدأت من قرار التقسيم، وانتهت بانتهاء المعارك بين الكيان الصهيوني والدول العربية وتوقيع الهدنة بينهم، والتي كانت في نهاية عام 1949م.

المرحلة الثالثة: بدأت منذ بداية عام 1949 ولم تنته فصولها حتى الآن، وهذه المرحلة يمكن تقسيمها حسب جغرافية المكان إلى ثلاثة فصول؛ الفصل الأول كانت ساحته الأراضي المحتلة عام 1948م، والفصل الثاني نُفذ في الأراضي المحتلة عام 1967م، والثالث اتسعت مساحته لتشمل الدول العربية والمخيمات الفلسطينية الموجودة فيها.

ولأنّ الصهاينة قد اعتمدوا أسلوب القتل والعنف والإجرام سبيلاً حصرياً لتنفيذ مخططاتهم والوصول إلى وعدهم المزعوم في فلسطين، فليس غريباً أن تجد أنّ "**مناحيم بيجن**" **وُضع ضمن قائمة سلطات الانتداب البريطاني في فلسطين للمطلوب القبض عليهم بمكافأة كبيرة**؛ بسبب جرائمهم الدموية حتى ضد الإنجليز، لكن الغريب أن يُمنح بيجن نفسه جائزة نوبل للسلام[2] عام 1978م**!** [3] .

1) المجزرة الصهيونية عقيدة وممارسة، دراسة، أحمد الباش، تجمع العودة الفلسطيني (واجب)، تحت رابط: www.wajeb.org، سحب بتاريخ 24-03-2012م- بتصرف .

2) جائزة نوبل للسلام: هي إحدى جوائز نوبل الخمسة التي أوصى بها ألفرد نوبل، لا يعرف إلى يومنا هذا أسباب اختياره للسلام كأحد مواضيع جوائزه، فمثلا يمكن تفسير جائزة نوبل في الكيمياء أو الفيزياء لكونه مهندساً كيميائياً، يرى البعض بأن نوبل أراد أن يعوض تنامي القوة المدمرة، إذ هو مخترع الديناميت، ولكن الديناميت لم يستعمل قبل وفاته، تمنح جائزة نوبل سنويًا في العاصمة النرويجية أوسلو في العاشر من ديسمبر من قبل معهد نوبل النرويجي، مُنحت لأول مرة سنة 1901م، ويتم اختيار المترشحين للجائزة من قبل هيئة يعينها البرلمان النرويجي وذلك حسب وصية نوبل **[** موسوعة ويكيبيديا الحرة، **رابط:** wikipedia.org/wiki/جائزة_نوبل_للسلام، بتاريخ: 2013/07/18م- بتصرف يسير **]**.

3) المجازر الإسرائيلية بحق الشعب الفلسطيني، ياسر علي، (ص17)- بتصرف .

وللتأكيد على البعد العقائدي في القتل والدمار الصهيوني، **فقد عدّ بعض الباحثين القرى التي دمّرها الصهاينة في قضاء القدس وحدها بنحو أربعين (40) قرية وخربة**[1]، إذ إنّ من المعلوم أن القدس هي بؤرة الصراع الأهمّ، ومركز الاهتمام اليهودي الصهيوني.

إذاً، يرتبط عنف اليهود الماضي بالحاضر، لتظل صورتهم واحدة مهما حاولوا تجميلها، فهي ثابتةٌ في توراتهم المحرّفة، وممتدة عبر الزمن إلى وقتنا الحاضر، ولم يتغير سوى أساليب تجميلها.

إنّ الله ﷻ وصف اليهود بأشد وأبلغ وصف في عقليتهم العدوانية فقال ﷻ: ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (المائدة/64) .

ثم أجمل القرآن وحسم أمرهم في قوله ﷻ بعد الآية السابقة بآيات: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ (المائدة/82) .

وقد اعترف الكثير من الغربيين - الذين عايشوا اليهود ودرسوا أحوالهم- بهذه العقلية العدوانية المتأصلة في سلوك ونفوس اليهود، فهذا مارتن لوثر يصفهم بقوله: " **أعتقد - وشاهدي العهد القديم ولا حاجة إلى شواهد أخرى- اعتقاداً مكيناً لا يزحزحني عنه مخلوق على وجه الأرض أن اليهود كما نراهم اليوم هم حقاً خليط من مختلف الأوغاد وسفلة اللئام، لا نظير لهم في العالم كلّه،** فقد تشتتوا وتفرقوا إلى كل الأوطان ... ليكونوا بين تلك الأمم العلَق الممتص للدماء... **وعلى الإيجاز فاليهود هم المفسدون في الأرض، وإن إيذاء الناس من طبائعهم المركوزة فيهم**"[2].

---

1) انظر: القرى المدمّرة في قضاء القدس، دراسة، أحمد الباش، تجمع العودة الفلسطيني (واجب)، قسم الأبحاث والدراسات، تحت رابط: www.wajeb.org، سحب بتاريخ 26-03-2012م .

2) اليهود وأكاذيبهم، مارتن لوثر، (ص153 - 154) .

ويصف المؤرخ الفرنسي جوستاف لوبون اليهود– محاولاً ربط تاريخهم بحاضرهم– بقوله: "**والذي كان بنو إسرائيل يفضّلونه –بعد الذبح والتقتيل– هو السكون تحت شجر العنب والتين**"[1].

ويؤكد لوبون على صلة وحشية اليهود بتوراتهم فيقول: "**ويعرف جميع قرّاء التوراة وحشية اليهود التي لا أثر للرحمة فيها، وما على القارئ –ليقتنع بذلك– إلا أن يتصفح نصوص سفر الملوك، التي تدلنا على أن داود كان يأمر بحرق جميع المغلوبين وسلخ جلودهم ووشرهم بالمنشار**، وكان الذبح المنظم بالجملة يعقب كل فتح مهما قلّ، وكان الأهالي الأصليون يوقَفون، فيحكم عليهم بالقتل دفعة واحدة، فيُبادون باسم يهوه، من غير نظر إلى الجنس ولا إلى السنّ، وكان التحريق والسلب يلازمان سفك الدماء"[2] .

بل إن "فرويد"[3] وهو يهودي الأصل، يقول في كتابه (موسى والتوحيد): " **إنّ يهوه** (إله اليهود المتصوّر) **عنيفٌ** ... وقد وعد العبريين بأرضٍ تفيض باللبن والعسل دون مبرّر ... **كما وعدهم بإبادة سكانها الأصليين بحدّ السيف** "[4].

فليس صعباً بعد كل هذه الشهادات ضد اليهودية أن نكتشف أنّ الأصول الدينية لليهود ترتبط ارتباطاً مباشراً بسلوكهم العنيف والإجرامي في فلسطين المحتلة.

وليس غريباً أن ينبري حاخامات اليهود ليجددوا في كل مناسبة فتاويهم بالقتل واستباحة دماء الغير، ويدوّن أحدهم –وهو الحاخام جينسبرج[5]– كتاباً يمجّد فيه المجرم الصهيوني باروخ

---

1) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، لوبون، (ص 45) .

2) المصدر السابق، (ص 70) .

3) سيجموند فرويد (1856–1939م): مفكر من أعضاء الجماعة اليهودية في النمسا، ومؤسس مدرسة التحليل النفسي، ويُعَدُّ من أهم المفكرين الغربيين، إن لم يكن أهمهم طُراً، وقد سُمِّي فرويد باسمين: اسم بولندي، «سيجموند»، واسم عبري، «شلومو»، أي سليمان، وله آراء عجيبة في علم النفس، ويعد على أساسها رغم شهرته غير سوي نفسياً، احتفى الغرب واليهود بآرائه كثيراً .. **[** موسوعة اليهود، المسيري، (437/3)– بتصرف **]** .

4) التلمود شريعة بني إسرائيل حقائق ووقائع، محمد صبري، مكتبة مدبولي/ القاهرة، ط1، 2011م، (ص 40)– بتصرف .

5) لم يعثر الباحث على ترجمة له .

جولديشتاين[1]؛ مرتكب مذبحة الحرم الإبراهيمي[2] إذ يقول في كتابه: "**إن قتل اليهود لغير اليهود لا يعتبر جريمة تبعاً للديانة اليهودية، وإنّ قتل العرب الأبرياء بغرض الانتقام يعتبر فضيلةً يهودية**"[3].

ولم يقم أي حاخام يهودي صهيوني مؤثر بالاعتراض على تصريحات جينسبرج علناً، والتزم معظم الساسة الصهاينة الصمت، بل قام بعضهم بتأييده علناً**!!**[4] .

خلاصة المطلب:

أولاً: لا تجد كتاباً يمتلئ بالدعوة للعنف والقتل وسفك الدماء –أو حكاية ذلك– بقدر ما تجده في توراة اليهود المحرّفة، إذ حوت العشرات من النصوص الداعية لزهق الأرواح، والمحرّضة على القتل المباشر.

ثانياً: إنّ نصوص العهد القديم وَجدَت آذاناً صاغية وأيدٍ منفّذة من اليهود المعاصرين، وربط الباحثون والمؤرخون بين عقيدتهم وعنفهم، ولم ينكر حاخاماتهم وبعض ساستهم هذه الرابطة بين الدين والممارسات العنيفة الحديثة.

---

1) باروخ جولدشتاين (1956– 1994م): وُلد في نيويورك لعائلة يهودية أرثوذكسية متشددة، كان متعاطفا مع التيار المتشدد للصهيونية الدينية، وكان عضواً في جماعة محسوبة على اليمين المتطرف والتي أسسها مائير كاهانا وأصبح واحدا من قادتها، هاجر إلى فلسطين المحتلة وعمل في جيش الاحتلال كطبيب ومن ثم كاحتياطي، عرف عنه رفضه لمداواة غير اليهود وحتى لو كانوا يخدمون في الجيش، بعد خروجه من الجيش استقر في مستوطنة "كريات أربع" بالخليل، ارتكب عام 1994م مذبحة الحرم الإبراهيمي الشهيرة، وكانت نهايته على يد المصلّين بعد نفاد ذخيرته **[** موسوعة ويكيبيديا الحرة، **رابط:** wikipedia.org/wiki/باروخ_جولدشتاين، بتاريخ: 2013/07/18م– بتصرف يسير **]**.

2) مذبحة الحرم الإبراهيمي: وقعت في الركعة الأولى من صلاة الفجر يوم الجمعة 1994/02/25م، إذ قام ضابط (طبيب) برتبة نقيب في الجيش الصهيوني يدعى باروخ جولدشتاين بفتح النار على المصلين في المسجد الإبراهيمي في الخليل، أثناء سجود المصلين، فقتل 30 مسلماً فلسطينياً وجرح نحو 300 آخرين، واستمر المجرم في إطلاق النار حتى أحاط به المصلون وقتلوه بمطافئ الحريق الموجودة في المسجد **[انظر:** المجازر الإسرائيلية بحق الشعب الفلسطيني، ياسر علي، (ص 69) **]**.

3) الأصولية اليهودية، شاحاك وَ ميزفينسكي، (110/1) بتصرف.

4) المصدر السابق، (ص 110) .

ثالثاً: إنّ هناك ولا ريب ارتباطاً مباشراً بين الممارسات اليهودية الصهيونية العنيفة في فلسطين وبلاد المسلمين وبين العقيدة اليهودية المبيحة لهذا العنف والداعية إليه، والمرخّصة باستباحة دماء الخصوم من غير اليهود.

رابعاً: امتلأ تاريخ اليهود قديماً وحديثاً بالعنف والقتل وارتكاب المجازر، وقد اتّضحت صورة هذه المجازر وازدادت قبل وأثناء وبعد احتلال اليهود لفلسطين عام 1948م، وارتكب الصهاينة من جرائم القتل ما لا ينكره عاقل، وباتت جرائم القتل الصهيونية علامة مميزة لأفعالهم المشينة ضد العرب والمسلمين وضد أهل فلسطين خاصة.

خامساً: إنّ مفاصل الفكر الصهيوني والعقيدة اليهودية على حد سواء تقوم على استباحة الخصوم أرضاً وعرضاً ودماً، على اعتبار أنّ الشعب المختار؛ شعب الإله يهوه، هو المخوّل بعمارة الأرض، وما دونه هم درجة متدنية من البشر؛ وعليه فلا غضاضة في سحق مخالفيهم بلا رحمة، ولا مانع من حرق بلادهم وسرقة أموالهم وسفك دمائهم، فهذا محض أمر إلهي ورخصة دينية بيّنة.

سادساً: إنّ كلّ محاولات اليهود إخفاء صورتهم البشعة في سفك الدماء واستباحة البلاد والعباد باءت بالفشل، فلا هم قادرون على إلغاء كتابهم المقدّس، ولا بإمكانهم شطب تاريخهم الأسود، والأهم أنّهم لا يمكن أن يخفوا وجههم المعاصر المتمرس في إسقاط النصوص الدينية والطبيعة التاريخية على الواقع الحاضر؛ قتلاً وتدميراً، وإنكاراً للغير، وعلواً في الأرض.

المطلب الثاني

التوسع الاستيطاني وجدار الفصل وعلاقتهما بعقيدة اليهود

أولاً: الاستيطان اليهودي

تطرق الباحث إلى مسألة الاستيطان عند الحديث عن الاستعمار والاستيطان كأساس من أسس الصهيونية(1)، ويفصّل في هذا المطلب هذا الجانب –أي الاستيطان والجدار– كتطبيق من تطبيقات العقيدة اليهودية في الأرض المقدّسة.

فبنظرة مبدئية إلى ما سبق من أصول الفكر اليهودي وعقيدة اليهود في الأرض المقدّسة، وما ظهر تاريخياً من نتائج تلك العقيدة – أعني الصهيونية – فإن ما نسمع عنه كل يوم من مشاريع استيطانية وقضم متواصل من قبل اليهود لما تبقى من أرض فلسطين، كل ذلك يبدو طبيعياً في سياق العقيدة اليهودية في الأرض المقدّسة.

إذ يتضح للباحث أن من لوازم دعوى اليهود بحقهم الديني والتاريخي في فلسطين، ومن مقتضيات زعمهم بتمليك الربّ إياهم الأرض الموعودة من نهر مصر إلى نهر الفرات، أن يكون من حقّهم –بل من واجبهم بزعمهم– أن يستوطنوا كلّ شبر يقدرون عليه من الأرض الموعودة، هذا فضلاً عن كونهم شعب الله المختار – بزعمهم– الأمر الذي يؤهّلهم لسكنى أي أرض تحت سماء الربّ، فكيف إذا كانت هذه الأرض هي الأرض المقدّسة المكتوبة تمليكاً على التأبيد للشعب المقدّس؟!

يقول بنيامين نتنياهو بوضوح: " **إذا لم يكن هناك حق لليهود في الاستيطان في الخليل وفي بيت إيل، فليس لهم الحقّ في البقاء أيضاً في حيفا ويافا** " (2) .

بل يربط نتنياهو بين هذا التمسك بالاستيطان وبين الدين اليهودي، فيستشهد بنص توراتي ثم يقول مستنكراً دعوات وقف الاستيطان في الضفة الغربية: "هذه الأرض التي تخرج مع كل ضربة

---

1) **انظر:** هذا البحث الذي بين يديك، (ص 217– 220) .

2) مكان بين الأمم، نتنياهو، (ص17) .

فأس في أرضها بقايا الماضي اليهودي، والتي لا زال الاسم العبري القديم يلمس في أسماء قراها، هذه الأرض التي أصبح فيها أبناء إسرائيل شعباً، والتي من أجلها ذرفوا بحراً من الدموع عبر التاريخ ... **هذه الأرض هي الأرض الأجنبية التي يريد زعماء العالم اليوم إغلاقها في وجه الاستيطان اليهودي؟!**"[1] .

ويؤكّد نتنياهو بحماسة في معرض دعوته اليهود إلى استيطان أرض فلسطين والهجرة إليها قائلاً: " **إنّ تاريخ الصهيونية هو تاريخ هجرة اليهود إلى أرض إسرائيل، وهذا هو العنصر الذي سيحسم مستقبل الدولة السكاني،** لذا فإنّ المفتاح لمستقبل الدولة والحلّ لكافة مشاكلها السكانية يكمنان في استمرار هجرة اليهود إلى إسرائيل حتى تصبح مأوى للجماهير اليهودية التي شاهدها مؤسسو الحركة الصهيونية في أحلامهم، لذا فإن النضال من أجل الهجرة اليهودية هو نضال من أجل بقاء إسرائيل"[2] .

ويختم نتنياهو بطرح الفكر الصهيوني الواضح الذي لا لبس فيه في مسألة استيطان اليهود أرض فلسطين، فهو يعتبر أن أرض (إسرائيل) أكبر بكثير من الحالية، وفيها متسع لمن يسميهم بعرب فلسطين، فيقول: " إنّ المطالبة بقيام دولة فلسطينية في الضفة الغربية تتجاهل حقيقة وجود دولة فلسطينية قائمة حالياً، **فأرض (إسرائيل الانتدابية) كبيرة لدرجة تجعلها قادرة على استيعاب دولة يهودية صغيرة، إسرائيل، ودولة أكبر لعرب فلسطين، تلك التي تدعى الأردن**"[3] .

وينهي نتنياهو كتابه بعبارات دينية يهودية عنصرية يستخرجها من أقوال شاذة في التاريخ مثل: "إنّ وجود اليهود هو الدليل على وجود الله"[4] ويتبعها بمقولة للنبي عاموس وردت في العهد القديم: « **فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أُقِيمُ مِظَلَّةَ دَاوُدَ السَّاقِطَةَ، وَأُحَصِّنُ شُقُوقَهَا، وَأُقِيمُ رَدْمَهَا، وَأَبْنِيهَا كَأَيَّامِ الدَّهْرِ**»[5] .

1) مكان بين الأمم، نتنياهو، (ص 192).

2) المصدر السابق، (ص 321).

3) المصدر نفسه، (ص 362) .

4) المصدر ذاته، (ص 420) .

5) عاموس 9 : 11 .

أراد الباحث أن يقدّم لهذا المطلب بهذه الأقوال لزعيم الصهاينة اليوم على قاعدة "من فمك أدينك"، فقد كتب نتنياهو كتابه هذا منذ نحو عشرين سنة، وهو – فيما اتضح للباحث من قراءته للكتاب– يدلل على حقيقة أنّ نهاية الفكر اليهودي الصهيوني تعود إلى مبتداه، وأنّ هذا هو الفكر التوراتي لزعماء الصهاينة الذين يخادعون العالم بعبارات السلام –خاصة في ظل رواج الحديث عن الاستيطان في هذه الأيام–، وهو أبلغ من كل تبرير أو ليٍّ لخطابات ومواقف الصهيونية اليوم على أنّها خطابات سياسية مرجعها المصالح البحتة، ولا أثر للدين والفكر الصهيوني فيها إلا قليلاً!.

لقد بدأ الاستيطان اليهودي في أرض فلسطين انطلاقاً من الصياغة الصهيونية الأولى المأخوذة من الوعد الكتابي "من النيل إلى الفرات"، وهو ما يعني أنّ هدف الاستيطان اليهودي ليس فلسطين بأكملها فحسب ، بل الأردن وجنوب لبنان وجزءً من سوريا والعراق والسعودية!؛ لذلك ليس غريباً أن يتنصل الصهاينة من أي قرار أو اتفاقية دولية تلزمهم بوقف الاستيطان والتوسع في أرض فلسطين، بل كانوا دوماً يبنون سياساتهم نحو التوسع والتمدد [1] .

أصل الاستيطان في التوراة:

لعلّ النصوص التي دلّت أو استدلّ بها اليهود على أحقيتهم الدينية والتاريخية في فلسطين هي ذات النصوص الداعية إلى استيطان الأرض وطرد أهلها.

لكن التوراة المحرّفة كذلك حفلت بالنصوص الداعية إلى طرد سكان البلاد واستيطانها بشكل مباشر وبأمر إلهي أو نبوي.

فهذا الأمر بالطرد والاستيطان واضح أيما وضوح في خطاب الربّ المزعوم لموسى عليه السلام عند خروجه من مصر، قائلاً له: « أُرْسِلُ هَيْبَتِي أَمَامَكَ، **وَأُزْعِجُ جَمِيعَ الشُّعُوبِ الَّذِينَ تَأْتِي عَلَيْهِمْ، وَأُعْطِيكَ جَمِيعَ أَعْدَائِكَ مُدْبِرِينَ،** وَأُرْسِلُ أَمَامَكَ الزَّنَابِيرَ، **فَتَطْرُدُ** الْحِوِّيِّينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ مِنْ أَمَامِكَ، لاَ أَطْرُدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ، لِئَلاَّ تَصِيرَ الأَرْضُ خَرِبَةً، فَتَكْثُرَ عَلَيْكَ وُحُوشُ الْبَرِّيَّةِ، **قَلِيلاً قَلِيلاً أَطْرُدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ إِلَى أَنْ**

---

1) انظر: فلسطين أرض الرسالات السماوية، رجاء جارودي، (ص 433– 435) .

تُثْمِرَ وَتَمْلِكَ الأَرْضَ، وَأَجْعَلُ تُخُومَكَ مِنْ بَحْرِ سُوفٍ إِلَى بَحْرِ فِلِسْطِينَ، وَمِنَ الْبَرِّيَّةِ إِلَى النَّهْرِ، **فَإِنِّي أَدْفَعُ إِلَى أَيْدِيكُمْ سُكَّانَ الأَرْضِ، فَتَطْرُدُهُمْ مِنْ أَمَامِكَ**»[1] .

لاحظ كيف ترتسم سياسة الإبادة والاستيطان في هذا النص التوراتي، فالربّ سيبيد السكان الأصليين، والإبادة تدريجية، ومن ثم الطرد التدريجي، وكأنّ هذا النص يرسم سياسة اليهود اليوم في الاستيطان وقرض الأرض وتهجير سكّانها.

ونصٌّ آخر في ذات السفر التوراتي، لكنّ الربّ هذه المرة لن يرسل الزنابير، بل ملاكاً: «وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: اذْهَبِ اصْعَدْ مِنْ هُنَا أَنْتَ وَالشَّعْبُ الَّذِي أَصْعَدْتَهُ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي حَلَفْتُ لإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ قَائِلاً: لِنَسْلِكَ أُعْطِيهَا. **وَأَنَا أُرْسِلُ أَمَامَكَ مَلاَكًا، وَأَطْرُدُ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالْفِرِزِّيِّينَ وَالْحِوِّيِّينَ وَالْيَبُوسِيِّينَ**»[2] .

وفي التوراة إشارة إلى التوسّع فضلاً عن الاستيطان والطرد، ونصّه: « **فَإِنِّي أَطْرُدُ الأُمَمَ مِنْ قُدَّامِكَ وَأُوَسِّعُ تُخُومَكَ**، وَلاَ يَشْتَهِي أَحَدٌ أَرْضَكَ حِينَ تَصْعَدُ لِتَظْهَرَ أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فِي السَّنَةِ»[3].

ومن جديد يرتبط الطّرد بالقتل والدماء: « **وَتَطْرُدُونَ أَعْدَاءَكُمْ فَيَسْقُطُونَ أَمَامَكُمْ بِالسَّيْفِ**»[4].

بل إنّ التوراة تحذّر من الاستيطان من دون طرد السكّان الأصليين، فهذه وصفة للفشل، إذ لا بد من طردهم جميعاً، هذه تعليمات الربّ لموسى ﷺ – بزعم التوراة– « **فَتَطْرُدُونَ كُلَّ سُكَّانِ الأَرْضِ مِنْ أَمَامِكُمْ**، وَتَمْحُونَ جَمِيعَ تَصَاوِيرِهِمْ، وَتُبِيدُونَ كُلَّ أَصْنَامِهِمِ الْمَسْبُوكَةِ وَتُخْرِبُونَ جَمِيعَ مُرْتَفَعَاتِهِمْ، تَمْلِكُونَ الأَرْضَ وَتَسْكُنُونَ فِيهَا لأَنِّي قَدْ أَعْطَيْتُكُمُ الأَرْضَ لِكَيْ تَمْلِكُوهَا ... **وَإِنْ لَمْ تَطْرُدُوا سُكَّانَ الأَرْضِ مِنْ أَمَامِكُمْ يَكُونُ الَّذِينَ تَسْتَبْقُونَ مِنْهُمْ أَشْوَاكًا فِي أَعْيُنِكُمْ، وَمَنَاخِسَ فِي جَوَانِبِكُمْ، وَيُضَايِقُونَكُمْ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنْتُمْ سَاكِنُونَ فِيهَا...**»[5] .

---

1) خروج 23 : 27 – 31 .

2) خروج 33: 1 –2 .

3) خروج 34 : 24 .

4) لاويين 26 : 7 .

5) عدد 33 : 52 – 55 .

إنّ هذا النص من العهد القديم – فيما يتضح للباحث– هو مستند واضح لممارسات الصهيونية اليوم، في تناغم وانسجام واضح بين النص الديني والممارسة الواقعية، وربما هذا النص يفسر – كما غيره – التعنت الصهيوني في موضوع الاستيطان في فلسطين ورفض التنازل عنه، بل ولا حتى تجميده لفترة محدودة، إذ توصّف التوراة ذلك على أنه خطر داهم وشوكة في العين وطعنة في الخاصرة يوشك أن تقضي على الحلم التوراتي بالأرض الموعودة المزعومة.

وتذكير من الربّ لشعبه وتأكيد على الحق في الأرض واستيطانها –بزعم كاتب التوراة–: يقول الربّ: « **لِكَيْ يَطْرُدَ مِنْ أَمَامِكَ شُعُوبًا أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ مِنكَ، وَيَأْتِيَ بِكَ وَيُعْطِيَكَ أَرْضَهُمْ نَصِيبًا كَمَا فِي هذَا الْيَوْمِ**»[1] .

فبالرغم من أنّ هذه الشعوب هي أكبر وأعظم منك، إلاّ أن الحكمة الإلهية تقتضي أن تطردهم عن بكرة أبيهم وأن تأخذ أرضهم، نصيباً مفروضاً!! .

وكيف السبيل إلى طردهم وهذا حالهم – كثرةً وعظمةً–؟ تُجيب التوراة: « **إِنْ قُلْتَ فِي قَلْبِكَ: هؤُلاَءِ الشُّعُوبُ أَكْثَرُ مِنِّي. كَيْفَ أَقْدِرُ أَنْ أَطْرُدَهُمْ؟ فَلاَ تَخَفْ مِنْهُمْ، اذْكُرْ مَا فَعَلَهُ الرَّبُّ إِلهُكَ بِفِرْعَوْنَ وَبِجَمِيعِ الْمِصْرِيِّينَ ... وَلكِنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ يَطْرُدُ هؤُلاَءِ الشُّعُوبَ مِنْ أَمَامِكَ ... وَيَدْفَعُ مُلُوكَهُمْ إِلَى يَدِكَ، فَتَمْحُو اسْمَهُمْ مِنْ تَحْتِ السَّمَاءِ، لاَ يَقِفُ إِنْسَانٌ فِي وَجْهِكَ حَتَّى تُفْنِيَهُمْ**» [2] .

ولكن التوراة أيضاً تشير إلى إمكانية بقاء بعض الأعداء في وسط (إسرائيل) لاستعصائهم على الاستئصال، وهنا يظهر التناقض جلياً؛ إذ جاء في سفر يشوع: « **وَأَمَّا الْيَبُوسِيُّونَ السَّاكِنُونَ فِي أُورُشَلِيمَ فَلَمْ يَقْدِرْ بَنُو يَهُوذَا عَلَى طَرْدِهِمْ، فَسَكَنَ الْيَبُوسِيُّونَ مَعَ بَنِي يَهُوذَا فِي أُورُشَلِيمَ إِلَى هذَا الْيَوْمِ**»[3] .

في حين أنّ السفر ذاته يقول: « **رَجُلٌ وَاحِدٌ مِنْكُمْ يَطْرُدُ أَلْفًا، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكُمْ هُوَ الْمُحَارِبُ عَنْكُمْ كَمَا كَلَّمَكُمْ**»[4] .

---

1) تثنية 4 : 38 .
2) تثنية 7 : 17 – 24 .
3) يشوع 15 : 63
4) يشوع 23 : 10 .

فكيف تكون معيّة الربّ معهم، فيجعل واحدهم يغلب ألفاً، ثم يستعصي عليهم اليبوسيون؟!

ولك أن تقارن –حسب فهم الباحث– بين هذا النص المتطرّف غير الواقعي وبين قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۞ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال/65-66).

إذاً، وبناءً على هذا التأصيل التوراتي لسياسة الاستيطان والإحلال، فلنقف أمام واقع اليهود اليوم في مسألة الاستيطان وسرقة ما تبقى من الأرض من أهلها الشرعيين.

الاستيطان اليهودي المعاصر:

يقول الدكتور المسيري: " إن أسطورة الاستيطان الصهيونية تنظر للوجود الفلسطيني في فلسطين باعتباره أمراً عرضياً هامشياً، والاعتذاريات الصهيونية مليئة بالحديث عن فلسطين باعتبارها أرضاً مهجورة مهملة، **وكثيراً ما يتحدث الصهاينة عن الفلسطينيين كما لو كانوا جزءاً من الطبيعة بلا تاريخ، وكل هذا ينتهي بطبيعة الحال بتأكيد حق اليهود المطلق في فلسطين وينكرون هذا الحق على الفلسطينيين**، وتحاول الحركة الصهيونية وضع حل نهائي للمشكلة الديموغرافية فقامت أحياناً بالإبادة، ولكن الطرد كان الشكل الأساسي، وبعد اتفاقيات أوسلو أخذ الحل النهائي شكل عزل السكان الأصليين داخل مجموعة من القرى والمدن ومحاصرتهم بالقوات العسكرية الإسرائيلية والطرق الالتفافية "[1].

و حديثاً، أشار التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لعام 2011م إلى أنّ تعداد المستوطنين اليهود في الضفة الغربية والقدس ما بين نهاية عام 2011م وبداية عام 2012م بلغ نحو 542 ألف مستوطن، كما سارعت حكومة نتنياهو إلى إقرار تسهيلات في سعر الأراضي المخصّصة

1) موسوعة اليهود، المسيري، (60/7)– بتصرف يسير .

للبناء في المستوطنات بنسبة فاقت الـ 50 %؛ تشجيعاً للمستوطنين على الانتقال للسكن في الضفة الغربية[1].

كما أنّ منظمات يهودية مثل (حركة السلام الآن)[2] كشفت عن حقائق صادمة في سعي اليهود الحثيث لتوسيع الاستيطان على حساب طرد الفلسطينيين من أراضيهم وخنقهم، إذ أشارت الحركة في تقرير لها صدر في 2011/9/7م إلى أن وتيرة البناء الاستيطاني في الضفة الغربية تصل إلى نحو ضعفي وتيرة البناء في فلسطين المحتلة عام 1948م! **مبيّنة أن أغلب من يتصدّرون للاستيطان في الضفة هم من المتدينين اليهود،** ورصد تقرير آخر للحركة أن معدّل البناء في السنة الواحدة بين 2009− 2011م في مستوطنات الضفة فقط –عدا القدس− بلغ أكثر من 1600 وحدة سكنية في العام[3] .

كما رصدت وزارة الدولة لشئون الجدار والاستيطان الفلسطينية في تقريرها السنوي 474 موقعاً استيطانياً في الضفة الغربية حتى نهاية عام 2011م، منها 184 مستعمرة، و 171 بؤرة استيطانية، و 26 موقعاً استيطانياً آخر[4] .

وفي سياق التدليل على الهدف الديني الاستيطاني، يلفت الباحث إلى أنّ الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني قد أشار في تقريره الإحصائي السنوي إلى أنّ هناك **33** "مستوطنة دينية" في

---

1) التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لعام 2011م، تحرير: د. محسن صالح، مركز الزيتونة للدراسات/بيروت، ط1، 1433هـ/2012م، (ص 289− 290) – بتصرف .

2) حركة السلام الآن: بالعبرية "شالوم أخشاف"، أسست عام 1978م عقب زيارة الرئيس المصري السابق أنور السادات إلى القدس المحتلة، تكونت الحركة من مجموعة من طلاب وضباط وأعضاء كنيست وفئات أخرى في الكيان الصهيوني، تسعى الحركة من خلال النشاطات الاحتجاجية والمظاهرات إلى إثارة رأي عام ضد بعض ممارسات الاحتلال من استيطان وغزو وقمع، وتدعو لإيجاد حل سلمي مع الفلسطينيين، غير أن الحركة ليس لها تنظيم واضح وليس لها وزن شعبي يذكر **[انظر:** الموسوعة الفلسطينية الميسرة، (ص 344) **]**.

3) انظر: التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لعام 2011م، (ص291) .

4) المصدر السابق، (ص 292).

الضفة الغربية والقدس حتى نهاية عام 2011م، يسكنها نحو 32 ألف مستوطن يهودي[1] .

إنّ هذه المعطيات حول الاستيطان اليهودي ومحاولات التوسع حتى في ظل تراجع المشروع الصهيوني إلى حدٍ كبير، لهي شاهد – في تقدير الباحث– على طبيعة الأطماع الصهيونية وأفقها الذي لايزال يتسع رغم محاصرته بالوعي الإسلامي، وهذا الأمر يؤكّد أهمية العامل الديني الذي يحرّك هذا الأفق الصهيوني ويجعله جزءًا من عقيدة اليهود ووجدانهم.

ثانياً: **جدار الفصل اليهودي**

جدار الفصل العنصري، جدار الضمّ والتوسع، الجدار العازل، الجدار الفاصل، السياج الأمني، كلّها مسميات لمسمى واحد، وهو جدار إسمنتي رمادي اللون يجثم معظمه على أرض الضفة الغربية، أنشئ لعزل الضفة عن الكيان الصهيوني الجاثم على بقية أرض فلسطين[2].

يبلغ طول الجدار نحو **770** كم، حيث تم بناء ما يقارب **406** كم منه أي 52.7% من المسار الكامل للجدار، في حين هناك **322** كم مخطط لبنائها، وجاري العمل على بناء **42** كم، ويعزل الجدار ما مساحته **733** كم2 من الأراضي، ويقدر طول الجدار الشرقي الذي يمتد من الشمال نحو الجنوب بحوالي **200** كم[3] .

وأفاد المسح الذي أجراه الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني بأنّ مساحة الأراضي المصادرة لأغراض إقامة الجدار قد بلغت **49.291** دونماً منذ بداية إنشائه وحتى نهاية يونيو من

---

1) انظر: تقرير الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، المستعمرات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية، التقرير الإحصائي السنوي، إعداد: محمد المصري، مطبوعات الجهاز المركزي للإحصاء/ رام الله، 1433هـ/2011م، (ص 32) .

2) انظر: الجدار العازل في الضفة الغربية، إعداد: حسن ابحيص وَ خالد عايد، تحرير: د. محسن صالح، مركز الزيتونة للدراسات/ بيروت، ط1، 1431هـ/2010م، (ص 7، 11).

3) جدار الفصل العنصري: حقائق وأرقام، د. صقر الجبالي، مركز المعلومات الوطني الفلسطيني/ تقارير ودراسات، رابط: http://www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=4981 بتاريخ 2013/03/28م.

عام 2008م، أما مساحات الأراضي التي تم عزلها داخل الجدار وبات من الصعب الوصول إليها قد بلغت 274.607 دونماً وفق التقرير ذاته[1] .

وفي هذا الصدد يربط الدكتور المسيري بين نظرية الاستيطان الصهيوني وبناء الأسوار فيقول: " يرتبط الاستيطان الصهيوني في الأذهان بالمدفع الرشاش والنابالم[2] والقنابل، ولكن هناك رموزاً أخرى أصبحت ذات أهمية خاصة، فمع بدايات الاستيطان **كان هناك أسلوب السور والبرج في اغتصاب الأرض وطرد سكانها،** حيث كان يُحضر مئات من المستوطنين الصهاينة أبراج مراقبة والأكواخ الجاهزة في ظلام الليل، ثم يحيطون قطعة أرض بالأسلاك الشائكة يقيمون فيها أبراج الحراسة بحيث يستيقظ أصحاب الأرض في الصباح فيجابهون أمراً واقعاً مسلحاً لا يملكون إلا الخضوع له أو الحرب ضده" [3].

الجدار في عقيدة اليهود:

بالرغم من أن الواقع الذي يقول إن التفكير في بناء الجدار الفاصل هو أمر حديث فرضته الظروف الواقعية وخاصة الأمنية، إلا أنك تجد أساساً لفكرة الجدر والأسوار في توراة اليهود.

ويتضح للباحث أنّ مسألة إنكار البعد العقائدي للجدار غير واقعية وتتعارض مع طبيعة اليهود التي قرّرها الإسلام، إذ أكّد القرآن على هذه الطبيعة اليهودية بوضوح وإحكام، وذلك في قوله ﷻ: ﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ (الحشر/14) .

---

1) التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لعام 2011م، (ص 297) .

2) نابالم: هو سائل قابل للاشتعال يستخدم في الحروب، تم تطويره من خلال مجموعة كيميائيين أمريكيين من جامعة "هارفارد" أثناء الحرب العالمية الثانية، بقيادة العالم "لويس فيزر" **[** موسوعة ويكيبيديا الحرة، **رابط:** wikipedia.org/wiki/نابالم، بتاريخ: 2013/07/21م **]** .

3) موسوعة اليهود، المسيري، (84/7) .

" والجدر والأسوار والأبراج جذورها متأصلة في تاريخ اليهود، وفي عمق النفسية الصهيونية، فاليهودي منذ القدم مغرم بتشييد الجدران والأسوار، والعهد القديم مليء بالحديث عن بناء الأسوار والأبراج العالية، ومنها أسوار أورشليم وأريحا " [1] .

وبحسب فهم الباحث فإن إثبات ارتباط الجدار بالعقيدة الدينية والفكر اليهودي لا يتناقض مع ما ذُكر آنفاً من سعي اليهود للاستيطان والتوسع، **وذلك من وجوه:**

الأول: أنّ اليهود يسعون للتوسع بأشكال مختلفة وفي كافة المجالات، ومنها التوسع على الأرض؛ لكنّ سعيهم قد يخيب وقد يصلوا إلى حالة من التراجع والانكماش إلى الداخل وإحاطة أنفسهم بالأسوار والجدر.

الثاني: لا شك في أنّ إقامة الجدر هو مقدّمة لفشل المشروع الصهيوني، لكن إثبات ارتكاز الصهاينة على دينهم وكتابهم المقدّس في إقامة الجدار شيءٌ آخر.

الثالث: إنّ إقامة الجدار في ممارسة الصهاينة الجدد هو أصلاً نوع من التوسع، بل والتهام الأرض في الضفة الغربية، ومحاولة لتهجير الفلسطينيين من قراهم والتنغيص عليهم، و حتى بعض مؤسسات ومنظمات يهودية – ممن يراقب انتهاكات الحكومات الصهيونية–، تؤكد أن " 85% من مسار الجدار الفاصل يمرّ في أراضي الضفة الغربية وليس على طول ما يعرف بـ (الخط الأخضر)، وفي المناطق التي انتهت فيها إقامة الجدار تتجلى واضحةً الإساءة الواسعة لحقوق الإنسان للفلسطينيين الساكنين بمحاذاته" [2] .

ويعرض الباحث فيما يلي جزءاً من النصوص الواردة في العهد القديم والتي تتحدث عن إقامة الجدُر والأسوار، لتبيان المسألة:

---

1) جدار الفصل العنصري حول مدينة القدس الدوافع والآثار السياسية، دراسة، د. صالح الرقب، مقدم لـ: مركز القدس للبحوث والدراسات/ غزة، 1431هـ/2010م، (ص 3) .

2) خلفية عن الجدار الفاصل، بتسيلم – مركز المعلومات (الإسرائيلي) لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة، تحت رابط: http://www.btselem.org/arabic/separation_barrier، بتاريخ: 2013/03/29م .

تشير التوراة مثلاً إلى بناء سليمان ﷺ سوراً حول "أورشليم": « وَصَاهَرَ سُلَيْمَانُ فِرْعَوْنَ مَلِكَ مِصْرَ، وَأَخَذَ بِنْتَ فِرْعَوْنَ وَأَتَى بِهَا إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ إِلَى أَنْ أَكْمَلَ بِنَاءَ بَيْتِهِ وَبَيْتِ الرَّبِّ **وَسُورِ أُورُشَلِيمَ حَوَالَيْهَا»**[1].

وترسخ التوراة مفهوم الحماية بالأسوار في خطاب **آسا**[2] للشعب عندما بدأ ملكه: «وَقَالَ لِيَهُوذَا: **لِنَبْنِ هذِهِ الْمُدُنَ وَنُحَوِّطْهَا بِأَسْوَارٍ وَأَبْرَاجٍ وَأَبْوَابٍ وَعَوَارِضَ** مَا دَامَتِ الأَرْضُ أَمَامَنَا ...» [3].

ومن بعده بفترات طويلة استنفر "حَزَقِيَّا"[4] الشعب من جديد لبناء الأسوار والجدران والمتاريس، « فَتَجَمَّعَ شَعْبٌ كَثِيرٌ وَطَمُّوا جَمِيعَ الْيَنَابِيعِ وَالنَّهْرَ الْجَارِيَ فِي وَسَطِ الأَرْضِ، قَائِلِينَ: لِمَاذَا يَأْتِي مُلُوكُ أَشُّورَ وَيَجِدُونَ مِيَاهًا غَزِيرَةً، **وَتَشَدَّدَ وَبَنَى كُلَّ السُّورِ الْمُنْهَدِمِ وَأَعْلاَهُ إِلَى الأَبْرَاجِ، وَسُورًا آخَرَ خَارِجًا، وَحَصَّنَ الْقَلْعَةَ، مَدِينَةَ دَاوُدَ، وَعَمِلَ سِلاَحًا بِكَثْرَةٍ وَأَتْرَاسًا»**[5] .

ومن بعد حزقيا يأتي ابنه منَسّى[6] فينتهج –بأمر الربّ– سياسة إحاطة المدن بالأسوار والجدران العالية، «وَصَلَّى إِلَيْهِ فَاسْتَجَابَ لَهُ وَسَمِعَ تَضَرُّعَهُ، وَرَدَّهُ إِلَى أُورُشَلِيمَ إِلَى مَمْلَكَتِهِ. فَعَلِمَ مَنَسَّى أَنَّ الرَّبَّ

---

1) الملوك الأول 3 : 1 .

2) آسا (908– 767 ق.م): أحد ملوك المملكة الجنوبية، تحالف مع بن هدد ملك آرام دمشق، لكي يوقف الغزو الذي قامت به المملكة الشمالية، وقد عُرفت العبادات الوثنية في عهده، قام بإصلاح ديني يهدف إلى تحطيم التماثيل، ومع هذا لم يسايره الشعب في جميع إصلاحاته **[انظر:** موسوعة اليهود، المسيري، (4/ 184) **]** .

3) أخبار الأيام الثاني 14 : 7 .

4) حَزَقِيَّا (727– 698 ق.م): اسم عبري معناه «الرب قد قوى» أو «الرب قوة»، وحزقيا هو ابن "آحاز" ملك المملكة الجنوبية، كان تابعاً لآشور ولكنه حاول أن يستقل عنها، فقام بإصلاح ديني وتحالف مع مصر، ولكن "إرميا" حذره من مغبَّة ذلك، وقد حاصر "سناخريب" (ملك آشور) القدس في عهده وأخضعه واضطره إلى دفع الجزية **[** موسوعة اليهود، المسيري، (4/ 186)– بتصرف يسير **]** .

5) أخبار الأيام الثاني 32 : 4– 5 .

6) منسّى (698–642 ق.م): اسم عبري معناه «من ينسى» ويُنطَق أيضاً «منشَّى»، أحد ملوك المملكة الجنوبية، تبوَّأ العرش بعد حزقيا وحكم يهودا مدة أطول من أي ملك آخر، ويعتبره كاتب سفر الملوك أسوأ الملوك طراً، ولكن سفر الأخبار الثاني يقدم صورة أكثر تعاطفاً معه، وقد عاشت المملكة الجنوبية في عصره في سلام إذ أنه دفع الجزية لآشور، وهو ما كان يعني أن الآلهة الأجنبية مثل بعل وآشور كانت تُعبَد في الهيكل **[** موسوعة اليهود، المسيري، (4/ 186)– بتصرف **]**.

هُوَ اللهُ، **وَبَعْدَ ذلِكَ بَنَى سُورًا خَارِجَ مَدِينَةِ دَاوُدَ غَرْبًا إِلَى جِيحُونَ فِي الْوَادِي، وَإِلَى مَدْخَلِ بَابِ السَّمَكِ، وَحَوَّطَ الأَكَمَةَ بِسُورٍ وَعَلاَّهُ جِدًّا، وَوَضَعَ رُؤَسَاءَ جُيُوشٍ فِي جَمِيعِ الْمُدُنِ الْحَصِينَةِ فِي يَهُوذَا**»[1] .

وفي سفر نحميا حكاية لقصة بناء "سور أورشليم" بالفرح والحمد والغناء، جاء فيها: « **وَعِنْدَ تَدْشِينِ سُورِ أُورُشَلِيمَ طَلَبُوا اللاَّوِيِّينَ مِنْ جَمِيعِ أَمَاكِنِهِمْ لِيَأْتُوا بِهِمْ إِلَى أُورُشَلِيمَ**، لِكَيْ يُدَشِّنُوا بِفَرَحٍ وَبِحَمْدٍ وَغِنَاءٍ بِالصُّنُوجِ وَالرَّبَابِ وَالْعِيدَانِ»[2] .

وفي المزامير ترانيم وابتهالات للربّ من أجل بناء "أسوار أورشليم" .. « **أَحْسِنْ بِرِضَاكَ إِلَى صِهْيَوْنَ. ابْنِ أَسْوَارَ أُورُشَلِيمَ**»[3] .

وتشير التوراة إلى اهتمام الشعب ببناء الأسوار وتحصين المدن أكثر من اهتمامه بأي شيء آخر، ويقف فيهم نبيّهم واعظاً ناصحاً باكياً، مستنكراً عليهم الالتفات إلى الأسوار و ترك تعاليم الربّ، بلا فائدة، ورد هذا في سفر اشعياء، ومنه: « **وَرَأَيْتُمْ شُقُوقَ مَدِينَةِ دَاوُدَ أَنَّهَا صَارَتْ كَثِيرَةً، وَجَمَعْتُمْ مِيَاهَ الْبِرْكَةِ السُّفْلَى، وَعَدَدْتُمْ بُيُوتَ أُورُشَلِيمَ وَهَدَمْتُمُ الْبُيُوتَ لِتَحْصِينِ السُّورِ، وَصَنَعْتُمْ خَنْدَقًا بَيْنَ السُّورَيْنِ لِمِيَاهِ الْبِرْكَةِ الْعَتِيقَةِ**» [4] .

ويفتخر كاتب السفر –أي سفر اشعياء– بمدينة الله (أورشليم) ذات الأسوار الحصينة؛ أسوار ومتاريس الخلاص .. « فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يُغَنَّى بِهذِهِ الأُغْنِيَّةِ فِي أَرْضِ يَهُوذَا: **لَنَا مَدِينَةٌ قَوِيَّةٌ، يَجْعَلُ الْخَلاَصَ أَسْوَارًا وَمَتْرَسَةً**» [5] .

وفي رؤيا النبي حزقيال، يجعل الأسوار والأبراج والجيوش هي آية (بيت إسرائيل)، إذ جاء في سفر حزقيال: « وَأَنْتَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ لِبْنَةً وَضَعْهَا أَمَامَكَ، وَارْسُمْ عَلَيْهَا مَدِينَةَ أُورُشَلِيمَ، وَاجْعَلْ عَلَيْهَا حِصَارًا، **وَابْنِ عَلَيْهَا بُرْجًا، وَأَقِمْ عَلَيْهَا مِتْرَسَةً، وَاجْعَلْ عَلَيْهَا جُيُوشًا، وَأَقِمْ عَلَيْهَا مَجَانِقَ حَوْلَهَا، وَخُذْ أَنْتَ**

---

1) أخبار الأيام الثاني 33 : 13– 14 .

2) نحميا 12 : 27 .

3) المزامير 51 : 18 .

4) اشعياء 22 : 9 –11 .

5) اشعياء 26 : 1 .

لِنَفْسِكَ صَاجًا مِنْ حَدِيدٍ وَانْصِبْهُ سُورًا مِنْ حَدِيدٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ، وَثَبِّتْ وَجْهَكَ عَلَيْهَا، فَتَكُونَ فِي حِصَارٍ وَتُحَاصِرَهَا، تِلْكَ آيَةٌ لِبَيْتِ إِسْرَائِيلَ»[1] .

ربما يتضح من خلال المقارنة بين معطيات الواقع وأبجديات التوراة اليهودية جانباً أساسياً من الفكر الصهيوني القديم الحديث في انتهاج الاستيطان والجدران والتهام الأرض كسبيل لا رجعة عنه، " إذ يهدف المخطَّط الصهيوني شأنه شأن أي مشروع استيطاني إحلالي إلى طَرْد السكان الأصليين الذين يشغلون الأرض التي سيُقام فيها التجمُّع الصهيوني وترحيلهم، وهذا أمر حتمي حتى يتسنى إقامة دولة يهودية خالصة لا تشوبها أية شوائب عِرْقية أو حضارية أخرى، ولذا طُرح شعار (أرض بلا شعب)، وهو ما يجعل طرد الفلسطينيين أمراً حتمياً نابعاً من منطلق الصهيونية الداخلي ... فلا يوجد مكان لكلا الشعبين (العربي واليهودي) في هذا البلد، وأن تحقيق الأهداف الصهيونية يتطلب تفريغ فلسطين، أو جزء منها، من سكانها" [2].

خلاصة المطلب:

أولاً: إنّ ابتلاع الأرض والتوسع فيها هي سياسة يهودية صهيونية، قديمة حديثة، مستندة إلى روح توراة اليهود المحرّفة، ولها سندٌ واضحٌ في نصوصها.

ثانياً: إنّ من مقتضيات الاستيطان وسرقة الأرض طرد أهلها الأصليين، أو إبادتهم، وهذا الأمر مسطور كمستند قانوني في الدستور الأساسي لليهود (أي توراتهم المزيّفة)، وبناءً على ذلك فإنّ سياسات الاستيطان اليهودية المعاصرة تبدو في سياق طبيعي منسجم مع ما تدعو إليه توراتهم المحرّفة.

---

1) حزقيال 4 : 1 – 3 .

2) اللاجئون الفلسطينيون بين الترانسفير ويهودية الدولة، دراسة، إبراهيم العلي، تجمع العودة الفلسطيني (واجب)، قسم الأبحاث والدراسات، تحت رابط: www.wajeb.org، سحب بتاريخ 29-03-2012م – بتصرف .

ثالثاً: إنّ تخلي اليهود عن فكرة الاستيطان هو أمر غير وارد، خاصةً في الضفة الغربية لنهر الأردن ومدينة القدس المحتلة، وهذا ما تؤكده الأرقام والإحصاءات الحديثة التي تشير إلى تصاعد الاستيطان ونموه واتّساع رقعته، وما تؤكده كذلك المواقف السياسية المتصلّبة والعلنية لليهود في الكيان الصهيوني.

رابعاً: إنّ إقامة الجدر ترتبط بالاستيطان وسرقة الأرض من جهة، وترتبط بروح التوراة اليهودية المحرّفة من جهة أخرى، وعليه فإنّ إقامة اليهود لجدار الفصل في الضفة هو من التطبيقات والآثار الجليّة لعقيدة اليهود في الأرض المقدّسة، ولها ما يبررها ويدعمها في مصادر الفكر الديني اليهودي.

خامساً: إنّ الذي يشاهد ويسمع ويتابع المواقف السياسية لليهود اليوم في شأن الاستيطان وإقامة الجدران لابد أن يعي الخلفية العقائدية لهذه المواقف؛ كي لا يضيع العمر والجهد في تفسير المراوغة الصهيونية، فاليهود يسرقون الوقت من أجل سرقة الأرض.

المطلب الثالث

تهويد القدس وعلاقته بعقيدة اليهود

لا شك في أنّ القدس هي مركز الصراع على الأرض المقدّسة، ومن هنا كان لها الدور الأبرز في هذا الصراع عبر التاريخ كما مرّ في استعراض تاريخ الملل في الأرض المقدّسة؛ لذا كان من أهم الآثار المترتبة على عقيدة اليهود في الأرض، هو هجمتهم الشرسة على مدينة القدس، والسعي الحثيث للاستيلاء عليها وطرد غير اليهود منها.

القدس في العهد القديم:

" القدس تقابلها في العبرية كلمة « يروشالايم »، وقد وردت الكلمة بهذه الصيغة في العهد القديم أكثر من ستمائة وثمانين (680) مرة، وهي كلمة مشتقة (منذ القرن التاسع عشر قبل الميلاد) "[1] .

وإن كان بعض الباحثين يرون أنّ لفظة "أورشليم" ليست عبرية أصيلة، فقد حملت هذا الاسم قبل دخول العبريين إليها[2] .

ويكرر كتبة العهد القديم باستفاضة فكرةَ الربّ الذي اختار "**أورشليم**" خاصة له من الأرض، « ... لأَجْلِ دَاوُدَ عَبْدِي، **وَلأَجْلِ أُورُشَلِيمَ الَّتِي اخْتَرْتُهَا**»[3] ... « وَيَكُونُ لَهُ سِبْطٌ وَاحِدٌ مِنْ أَجْلِ عَبْدِي دَاوُدَ **وَمِنْ أَجْلِ أُورُشَلِيمَ الْمَدِينَةِ الَّتِي اخْتَرْتُهَا** مِنْ كُلِّ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ»[4].

والربّ يؤكّد لداود عليه السلام –بحسب التوراة– مسألة اختيار الربّ للشعب ولأورشليم ولداود جميعاً: « مُنْذُ يَوْمَ أَخْرَجْتُ شَعْبِي مِنْ أَرْضِ مِصْرَ لَمْ أَخْتَرْ مَدِينَةً مِنْ جَمِيعِ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ لِبِنَاءِ بَيْتٍ لِيَكُونَ اسْمِي

---

1) موسوعة المسيري، (123/4) .

2) انظر: القدس مدينة الله أم مدينة داود، د. حسن ظاظا، مطبعة جامعة الإسكندرية/مصر، ط1، 1970م، (ص 9).

3) الملوك الأول 11 : 13 .

4) الملوك الأول 11 : 32 .

هُنَاكَ، وَلاَ اخْتَرْتُ رَجُلاً يَكُونُ رَئِيسًا لِشَعْبِي إِسْرَائِيلَ. **بَلِ اخْتَرْتُ أُورُشَلِيمَ لِيَكُونَ اسْمِي فِيهَا، وَاخْتَرْتُ دَاوُدَ لِيَكُونَ عَلَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ**»[1].

وإذا كان الربّ المتصوَّر عند كتبة التوراة قد اختار أورشليم وفضّلها على كل بقاع الأرض، فقد اختارها أيضاً مسكناً له إلى الأبد!

« لأَنَّ دَاوُدَ قَالَ: قَدْ أَرَاحَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ شَعْبَهُ **فَسَكَنَ فِي أُورُشَلِيمَ إِلَى الأَبَدِ**»[2] .

« مَنْ مِنْكُمْ مِنْ كُلِّ شَعْبِهِ، لِيَكُنْ إِلهُهُ مَعَهُ، وَيَصْعَدْ إِلَى أُورُشَلِيمَ الَّتِي فِي يَهُوذَا **فَيَبْنِيَ بَيْتَ الرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ، هُوَ الإِلهُ الَّذِي فِي أُورُشَلِيمَ**» [3].

« تَرَنَّمِي وَافْرَحِي يَا بِنْتَ صِهْيَوْنَ، **لأَنِّي هأَنَذَا آتِي وَأَسْكُنُ فِي وَسَطِكِ، يَقُولُ الرَّبُّ**، فَيَتَّصِلُ أُمَمٌ كَثِيرَةٌ بِالرَّبِّ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، وَيَكُونُونَ لِي شَعْبًا، **فَأَسْكُنُ فِي وَسَطِكِ**، فَتَعْلَمِينَ أَنَّ رَبَّ الْجُنُودِ قَدْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكِ وَالرَّبُّ **يَرِثُ يَهُوذَا نَصِيبَهُ فِي الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ وَيَخْتَارُ أُورُشَلِيمَ بَعْدُ.** اُسْكُتُوا يَا كُلَّ الْبَشَرِ قُدَّامَ الرَّبِّ، لأَنَّهُ قَدِ اسْتَيْقَظَ مِنْ مَسْكَنِ قُدْسِهِ»[4].

ومن أورشليم تكون كلمة الربّ .. « هَلُمَّ نَصْعَدْ إِلَى جَبَلِ الرَّبِّ، إِلَى بَيْتِ إِلهِ يَعْقُوبَ، فَيُعَلِّمَنَا مِنْ طُرُقِهِ وَنَسْلُكَ فِي سُبُلِهِ لأَنَّهُ مِنْ صِهْيَوْنَ تَخْرُجُ الشَّرِيعَةُ، **وَمِنْ أُورُشَلِيمَ كَلِمَةُ الرَّبِّ** [5] .

ولكرامتها عند الربّ –أي أورشليم– فإنه يغار عليها غيرة عظيمة.. « فَقَالَ لِي الْمَلاَكُ الَّذِي كَلَّمَنِي: نَادِ قَائِلاً: هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: **غِرْتُ عَلَى أُورُشَلِيمَ وَعَلَى صِهْيَوْنَ غَيْرَةً عَظِيمَةً**» [6] .

وتذكر التوراة أنّ داود عليه السلام قد بنى مذبحاً للربّ فداءً لأورشليم ولشعبها، بعد أن أوشك الربّ أن يبطش بأورشليم، لكنه –أي الربّ المزعوم– ندم في اللحظات الأخيرة!! وطلب من نبيه داود

---

1) أخبار الأيام الثاني 6 : 5 – 6 .
2) أخبار الأيام الأول 23 : 25 .
3) عزرا 1 : 3 .
4) زكريا 2 : 10 – 13 .
5) اشعياء 2 : 3 .
6) زكريا 1 : 14 .

ﷺ أن يفدي أورشليم وشعبها ففعل؛ إذ جاء في ذلك: « فَجَعَلَ الرَّبُّ وَبَأً فِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الْمِيعَادِ، فَمَاتَ مِنَ الشَّعْبِ مِنْ دَانٍ إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ سَبْعُونَ أَلْفَ رَجُل، **وَبَسَطَ الْمَلاَكُ يَدَهُ عَلَى أُورُشَلِيمَ لِيُهْلِكَهَا، فَنَدِمَ الرَّبُّ عَنِ الشَّرِّ، وَقَالَ لِلْمَلاَكِ الْمُهْلِكِ الشَّعْبَ: كَفَى! الآنَ رُدَّ يَدَكَ** ... وَبَنَى دَاوُدُ هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ، وَاسْتَجَابَ الرَّبُّ مِنْ أَجْلِ الأَرْضِ، **فَكَفَّتِ الضَّرْبَةُ عَنْ إِسْرَائِيلَ**»[1] .

« وَرَفَعَ دَاوُدُ عَيْنَيْهِ فَرَأَى مَلاَكَ الرَّبِّ وَاقِفًا بَيْنَ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، **وَسَيْفُهُ مَسْلُولٌ بِيَدِهِ وَمَمْدُودٌ عَلَى أُورُشَلِيمَ. فَسَقَطَ دَاوُدُ وَالشُّيُوخُ عَلَى وُجُوهِهِمْ مُكْتَسِينَ بِالْمُسُوحِ**»[2].

وتركّز التوراة بكثرة في سياق احتفائها بأورشليم على المُدد والفترات التي حكم فيها ملوك بني إسرائيل في أورشليم خاصةً، ومن ذلك: « وَكَانَ الزَّمَانُ الَّذِي مَلَكَ فِيهِ دَاوُدُ عَلَى إِسْرَائِيلَ أَرْبَعِينَ سَنَةً. فِي حَبْرُونَ مَلَكَ سَبْعَ سِنِينٍ، **وَفِي أُورُشَلِيمَ مَلَكَ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ سَنَةً**»[3].

ويسعى كتبة العهد القديم إلى جعل (أورشليم) الرمز الأعظم الذي ينبغي أن يجمع شتات بني إسرائيل ويجلبهم من منفاهم، إذ هي نقطة التجمع، كيف لا وهي مسكن الربّ ومهوى أفئدة شعبه المتشرّد! ومما جاء في التوراة في هذا المعنى: « ... إِنْ **أَرْجَعَنِي الرَّبُّ إِلَى أُورُشَلِيمَ** فَإِنِّي أَعْبُدُ الرَّبَّ»[4] ، « وَإِنْ رَجَعْتُمْ إِلَيَّ وَحَفِظْتُمْ وَصَايَايَ وَعَمِلْتُمُوهَا، إِنْ كَانَ الْمَنْفِيُّونَ مِنْكُمْ فِي أَقْصَاءِ السَّمَاوَاتِ، فَمِنْ هُنَاكَ أَجْمَعُهُمْ **وَآتِي بِهِمْ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي اخْتَرْتُ لإِسْكَانِ اسْمِي فِيهِ**»[5]، « وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَنَّهُ يُضْرَبُ بِبُوق عَظِيمٍ، فَيَأْتِي التَّائِهُونَ فِي أَرْضِ أَشُّورَ، وَالْمَنْفِيُّونَ فِي أَرْضِ مِصْرَ، **وَيَسْجُدُونَ لِلرَّبِّ فِي الْجَبَلِ الْمُقَدَّسِ فِي أُورُشَلِيمَ**»[6].

وفي مزامير التوراة ترانيم كثيرة في تمجيد أورشليم وتقديسها تـارة، ورثائها وتذكّر أيامها وندب حالهـا بعد النفي تـارة أخرى، ومن هذه الترانيـم: « لِكَيْ يُحَدَّثَ فِي صِهْيَوْنَ بِاسْمِ الرَّبِّ، **وَبِتَسْبِيحِهِ فِي**

---

1) صموئيل الثاني 24 : 15- 25 .
2) أخبار الأيام الأول 21 : 16 .
3) الملوك الأول 2 : 11 .
4) صموئيل الثاني 15 : 8 .
5) نحميا 1 : 9 .
6) اشعياء 27 : 13 .

أُورُشَلِيمَ»[1] ، «فِي دِيَارِ بَيْتِ الرَّبِّ، **فِي وَسَطِكِ يَا أُورُشَلِيمُ. هَلِّلُويَا**»[2] ، « **إِنْ نَسِيتُكِ يَا أُورُشَلِيمُ، تَنْسَى يَمِينِي**! لِيَلْتَصِقْ لِسَانِي بِحَنَكِي إِنْ لَمْ أَذْكُرْكِ، إِنْ لَمْ أُفَضِّلْ أُورُشَلِيمَ عَلَى أَعْظَمِ فَرَحِي! »[3] ، « **الرَّبُّ يَبْنِي أُورُشَلِيمَ**. يَجْمَعُ مَنْفِيِّي إِسْرَائِيلَ »[4] .

والربّ يعزّي أورشليم، ويجعلها نقية من الذنوب، ويزيد فيها الأجر ضعفين، هكذا تقول التوراة: «عَزُّوا، عَزُّوا شَعْبِي، يَقُولُ إِلهُكُمْ. **طَيِّبُوا قَلْبَ أُورُشَلِيمَ وَنَادُوهَا بِأَنَّ جِهَادَهَا قَدْ كَمُلَ**، أَنَّ إِثْمَهَا قَدْ عُفِيَ عَنْهُ، أَنَّهَا قَدْ قَبِلَتْ مِنْ يَدِ الرَّبِّ ضِعْفَيْنِ عَنْ كُلِّ خَطَايَاهَا»[5] .

لكنك لا تعجز أن تجد من بين نصوص التوراة ما يثبت أنّ لأورشليم هذه سكّان أصليون وأصحاب أرض سابقون، يبوسيون، اتّفق أن سكنوا أرضاً وُهبت من الربّ لاحقاً لقوم آخرين حلّوا عليها غزاة بالسيف والدم –بزعم التوراة– ومن هذه النصوص التي تصرّح بالسكان الأصليين:« وَبَنُو بَنْيَامِينَ **لَمْ يَطْرُدُوا الْيَبُوسِيِّينَ سُكَّانَ أُورُشَلِيمَ، فَسَكَنَ الْيَبُوسِيُّونَ مَعَ بَنِي بَنْيَامِينَ فِي أُورُشَلِيمَ** إِلَى هذَا الْيَوْمِ» [6]، « وَفِيمَا هُمْ عِنْدَ يَبُوسَ ... قَالَ الْغُلاَمُ لِسَيِّدِهِ: تَعَالَ نَمِيلُ إِلَى **مَدِينَةِ الْيَبُوسِيِّينَ هذِهِ وَنَبِيتُ فِيهَا**»[7]، « وَذَهَبَ الْمَلِكُ وَرِجَالُهُ إِلَى أُورُشَلِيمَ، إِلَى **الْيَبُوسِيِّينَ سُكَّانِ الأَرْضِ**»[8] ، « **وَذَهَبَ دَاوُدُ وَكُلُّ إِسْرَائِيلَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، أَيْ يَبُوسَ. وَهُنَاكَ الْيَبُوسِيُّونَ سُكَّانُ الأَرْضِ**»[9].

وبعد استعراض نصوص التوراة التي جاءت على ذكر "أورشليم"، فللباحث أن يتساءل: ما دامت أورشليم على هذا القدر من القداسة بالنسبة لشعب الله المختار (المزعوم)، بل بالنسبة للربّ ذاته، لماذا لم يأتِ موسى عليه السلام على ذكرها في الأسفار الخمسة المنسوبة إليه؟ ولماذا لم يعد بها الربّ شعبه سابقاً على لسان إبراهيم وإسحاق ويعقوب –عليهم السلام–؟ أليسوا أكرم على الله عز وجل

1) المزامير 102 : 21 .
2) المزامير 116 : 19 .
3) المزامير 137 : 5 – 6 .
4) المزامير 147 : 2 .
5) اشعياء 40 : 1 – 2 .
6) قضاة 1 : 21 .
7) قضاة 19 : 11 .
8) صموئيل الثاني 5 : 6 .
9) أخبار الأيام الأول 11 : 4 .

من اللاحقين؟ ولمَ لم يذكر موسى نبي الله عليه السلام من قبل أنّ مسكن الربّ سيكون في أورشليم؟ أم أنّ الربّ قرر أن يكون مسكنه هناك بعد موسى عليه السلام بزمن طويل؟ وهل يخفى على موسى عليه السلام أن يذكر للشعب شيئاً عن هذه البقعة التي ستحوّل مجرى تاريخ وحياة بني إسرائيل لاحقاً – بزعم التوراة–؟! كلّ هذه التساؤلات وغيرها تضع هذه النصوص ومضمونها على المقصلة ..

تهويد القدس حديثاً:

انطلقت أصابع الصهيونية حديثاً تعبث في مدينة القدس المباركة، وتحاول بكل ما أوتيت من جهد ومال ومكر أن تسقط النصوص الدينية المقدّسة عند اليهود على أرض الواقع، في استمرار واضح لمسلسل تزوير التاريخ، والسطو بالقوة على حضارة أصحاب البلاد الأصليين.

يقول ابن جوريون: " **كان اليهود في أعيادهم يبتهلون إلى الله أن تكون صلواتهم في السنوات المقبلة في أورشليم**"[(1)] .

وفي حرب فلسطين عام 1948م كان لـ(بن جوريون) سياسة خاصة فيما يتعلق بمدينة القدس فكان يقول: " يجب أن يدافع اليهود عما يسيطرون عليه، وأن يعملوا جاهدين على زيادة الرقعة التي يسيطرون عليها قدر المستطاع، **وكانت الحماسة الدينية هي التي تحرك اليهود للسيطرة على مدينة أورشليم، وكانوا دائماً يرددون ترانيم دينية** " [(2)] .

ولم يختلف الأمر بعد موت ابن جوريون بعقود، فها هو بنيامين نتنياهو يصرّح في 2012/08/27م خلال زيارة له لمستوطنةٍ يهودية جنوب بيت لحم، بأنّ هذه المستوطنة إضافة إلى مجمع (غوش عتصيون)[(3)] **سيبقيان جزءاً من (إسرائيل)، وأنهما البوابة الجنوبية لـ (القدس**

---

1) حياة بن جوريون السياسية، موريس إيدلمان، (ص 43) .

2) المصدر السابق، (ص 199) – بتصرف يسير .

3) غوش عتصيون: تجمع استيطاني يهودي كبير، وهو واحد من أكبر أربعة تجمعات استيطانية في الضفة الغربية، يقع جنوب القدس، بين مدن بيت لحم والخليل وجنوب الضفة، فهو يفصل بيت لحم عن الخليل، ويؤدي في النهاية إلى إنشاء القدس الكبرى، أو ما يسمى (المتروبوليتان) **[انظر:** موسوعة اليهود، المسيري، (68/7) **]** .

الكبرى)، وأعلن نتنياهو في الزيارة ذاتها بدء مرحلة جديدة من البناء الاستيطاني لتحقيق هذا الغرض[1] .

ابتدأ اليهود منذ الاحتلال حرباً شعواء على المدينة المقدّسة، وخاصة المسجد الأقصى المبارك، " إذ توجد داخل الأرض المغتصبة نحو 120 جماعة يصنفها الصهاينة أنفسهم بأنّها جماعات دينية متطرفة، **ومن هذه الجماعات ما لا يقل عن خمس وعشرين جماعة وتنظيماً يعدّون السعي لهدم المسجد الأقصى كهدف أساسي،** وقد قامت تلك الجماعات منذ عام 1967م وحتى عام 2000م بما لا يقل عن 120 عملاً عدائياً مباشراً ضد المسجد الأقصى" [2] .

وكان اليهود يسلكون مسلكاً مراوغاً قبل عام 1967م فيما يتعلق بالقدس، فكانوا داخلياً يحشدون كل اليهود نحو القدس كعاصمة أبدية لهم، ويترنمون بالنصوص الدينية الداعية إلى امتلاك القدس، أما خارجياً أمام العالم فكانوا يحاولون التظاهر باللين والتسامح تجاه الأديان الأخرى وتخاطب العالم بالكلام المعسول عن "المدينة المتحف" و"المدينة المقدّسة" لكل الأديان والملل**!**[3].

لكنّ الصهيونية خطت خطوتها الجريئة في حرب عام 1967م، فاحتلّت القدس التاريخية وأعلنت توحيدها الجزء الشرقي (الذي أعطي للعرب قبل ذلك) مع الجزء الغربي، منتجةً " أورشليم الجديدة "، ضمن مخطط تهويدي معلوم مرسوم، وأعلن زعماؤها أنّ تقسيم القدس هو وصمة عار في جبين اليهود، وأنّها باتت يهوديةً مائةً بالمائة، كما كانت في ماضيها، و أنها ستظل كذلك في مستقبلها [4].

ولأجل هذا الهدف؛ عمدت الحكومات الصهيونية المتعاقبة منذ ذلك التاريخ إلى اتخاذ مجموعة من القرارات، ووضع سلسلة من المخططات، لضمان السيطرة على القدس، عسكرياً

---

1) انظر: تقرير حال القدس"3"، خلال الفترة من يوليو حتى سبتمبر 2012م، براءة درزي، دراسة، مؤسسة القدس الدولية/لبنان، ط1، 2012م، (ص 13).

2) قبل الكارثة .. نذير ونفير، عبد العزيز بن مصطفى كامل، مركز البيان للبحوث والدراسات/ الرياض، ط1، 1421هـ/2000م، (ص 251) – بتصرف .

3) انظر: القدس مدينة الله أم مدينة داود، حسن ظاظا، (ص 4).

4) انظر: المصدر السابق، (ص 5) .

وجغرافياً، وسكّانياً، **ولتحقيق هذه السيطرة الشاملة، لجأ الصهاينة إلى تنفيذ مشاريع ومخططات هامة وخطيرة، وهي** [(1)] :

1- السيطرة الجغرافية على أكبر قدر ممكن من الأراضي المحيطة بمدينة القدس المحتلة، عن طريق المصادرة، والاستيطان، وإقامة شبكات الطرق.

2- عزل التجمع السكاني العربي في القدس عن التجمعات السكانية العربية في الضفة.

3- تطويق القدس بأحزمة استيطانية قوية، على شكل تجمعات سكانية، تشكّل عازلاً سكانياً يهودياً بين القدس وخارجها.

4- تصميم الضواحي الاستيطانية بأساليب خاصة، تخدم حالتي الحرب والسلم.

"وهذه المخططات أخذت طريقها الفوري إلى التطبيق، فقد عمد الكيان الصهيوني إلى اتخاذ إجراءات وقرارات تهويدية عدوانية خلال الشهر الأول من إكمال احتلال القدس عام 1967م، إذ اتخذت الحكومة الصهيونية في أول جلسة لها بعد الحرب قراراً بـ (بدء استيطان القدس)، وتمثلت الإجراءات الفورية في هدم "حي باب المغاربة" وإجلاء سكانه، وإجلاء قسم كبير من سكان (حي الشرف)، وعزل أحياء عربية كاملة عن مدينة القدس، ومصادرة نحو 20% من مساحة (البلدة القديمة)، وطرد أكثر من 6000 من سكان القدس الفلسطينيين خارج الأسوار، ومصادرة نحو 640 عقاراً، وهدم نحو 135 عقاراً، وإبعاد وترحيل أعداد كبيرة من سكان القدس"[(2)].

ولتشريع عملية التهويد الكبرى هذه، لجأت سلطات الاحتلال إلى "مصادرة الأراضي بموجب (قانون أملاك الغائبين) لسنة 1950م، واستخدمته بصورة حثيثة لتهويد المدينة، حيث ينصّ على

---

1) القدس بين مخططات التهويد الصهيونية ومسيرة النضال والتصدي الفلسطينية، نواف الزرو، دار الخواجا/ الأردن، ط1، 1991م، (ص30 -31)- بتصرف .

2) المصدر السابق، (ص 32)- بتصرف.

أنّ كل شخص كان خارج دولة الكيان الصهيوني أثناء عملية الإحصاء التي أجرتها عام 1967م تنقل أملاكه إلى القيّم على أملاك الغائبين، ويحق له البيع و التأجير"!! [1] .

كل ذلك – في تقدير الباحث– كان من أساليب الحسم المبكر لقضية القدس بعد هزيمة العرب عام 1967م، الأمر الذي زاد وضع القدس تعقيداً وخطورة بعد ذلك، فقد استفاد اليهود من حالة الهوان العربي والإسلامي وحاولوا – في سباق مع الزمن– فرض الأمر الواقع في هذه المدينة المقدّسة.

" **وقد بلغت عدد المستوطنات الصهيونية في القدس وحدها 26 مستوطنة حتى نهاية عام 2009م**، وقد بلغ عدد المستوطنين في هذه المستوطنات أكثر من **ربع مليون نسمة**، وفي عام 2010م وحده قام الصهاينة بمصادرة نحو **760** دونماً في القدس وإقرار بناء **10.000** وحدة استيطانية " [2].

ومن أساليب الصهاينة في تهويد القدس **هدم منازل أهلها الأصليين، ومصادرة أراضيهم** والتضييق عليهم في كافة مناحي حياتهم.

" فمنذ عام **1967م وحتى عام 2010م** أقدم الصهاينة على هدم نحو **1501** منزلاً للفلسطينيين المقدسيين، **بحجة البناء (غير القانوني)**، وهذا الرقم لا يشمل تلك البيوت التي يهدمها أصحابها بأيديهم مكرهين، تجنباً لدفع تكاليف الهدم التي يجبر المقدسيون على دفعها عنوةً! ومن جانب آخر فإنّ اليهود يجبرون المقدسيين على دفع غرامات باهظة بدعوى البناء بدون ترخيص، إذ بلغ – مثلاً– مجموع الغرامات التي جمعتها بلدية القدس الصهيونية من المقدسيين **بين عامي**

---

1) السياسة الصهيونية تجاه مدينة القدس، عدنان أبو عامر، مركز البيان للبحوث والدراسات/ الرياض، ط1، 1430هـ/2009م، (ص 47) .

2) الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2011م ، كتاب القدس الإحصائي السنوي "رقم 13"، رام الله/فلسطين، (ص 348)– بتصرف.

2004م و 2008م نحو 50 مليون دولار أمريكي، وتقدر الأمم المتحدة بأن أكثر من **60 ألف** فلسطيني يعيشون حالياً في القدس في مبانٍ مهددة بالهدم"[1] .

كما يلجأ الصهاينة إلى **الإفقار المتعمد لأهالي القدس الأصليين الفلسطينيين،** فقد أشارت دراسات إلى " تزايد نسبة الفقر لدى المقدسيين، من **60%** من الأسر تحت خط الفقر عام 2008م إلى **69%** عام 2009م، وصولاً إلى **77%** عام 2010م، فيما **84%** من أطفال القدس هم أبناء أسر تعيش تحت خط الفقر، و تخبر الأرقام التي كُشف عنها خلال 2012م بأن **75%** من أرباب الأسر المقدسية مدينون لبلدية الاحتلال، التي فعّلت على مدى السنوات الماضية ملاحقتها للمقدسيين لتسديد الغرامات والضرائب، وباتت تستنزفهم بتقسيطها بفوائد عالية" [2].

ومن مظاهر التهويد أيضاً **ارتكاب اليهود للعنف والمذابح ضد أهل القدس،** وخاصة عمّار المسجد الأقصى المبارك؛ لترويعهم وإجبارهم على ترك المدينة وإخلاء الساحة لليهود المحتلين، **ومن أهم هذه الممارسات والجرائم العدوانية الدموية –على سبيل التمثيل– ما يلي:**

- في 1969/08/21م، **قام الصهاينة بإحراق المسجد الأقصى** " وحاولت سلطات الاحتلال منع المقدسيين من إطفاء الحريق، وقطعت المياه عن منطقة الحرم فور اندلاع الحريق، فأتت النيران على منبر صلاح الدين في المسجد، وسقف ثلاثة أروقة، وقسم من السطح الجنوبي"[3] .

- في 1982/04/11م، " أقدم جندي صهيوني على **اقتحام مسجد قبة الصخرة المشرفة،** وبادر بإطلاق النار العشوائي، فأدى ذلك إلى استشهاد فلسطينيين اثنين، وإصابة أكثر من 60 آخرين" [4] .

---

1) كتاب القدس الإحصائي السنوي "رقم 13"، (ص 344)– بتصرف.

2) مؤسسة القدس الدولية، القدس 2012م.. قراءة في مسارات الأحداث والمآلات، دراسة، زياد الحسن، 2013م، عن موقع المؤسسة الإلكتروني، تحت رابط: www.alquds-online.org، بتاريخ: 2013/4/5م.

3) الموسوعة الفلسطينية الميسرة، (ص660) .

4) القدس بين مخططات التهويد ومسيرة النضال، نواف الزرو، (ص 69)– بتصرف يسير.

- في 1990/10/08م، **اقتحمت قوات من الشرطة الصهيونية وما يسمى بـ(حرس الحدود) والمخابرات الصهيونية والمستوطنين باحة المسجد الأقصى** من أبوابه المختلفة، وفاجأت المصلين الفلسطينيين بالأسلحة الرشاشة من كل الاتجاهات، وارتكب الصهاينة في ذلك الصباح **مذبحة رهيبة في الحرم المقدّس راح ضحيتها 23 شهيداً وأكثر من 850 جريحاً، فيما عرف بـ (مذبحة الإثنين الأسود)** [1].

- في 2000/09/27م، " **اقتحم رئيس الوزراء الصهيوني أرئيل شارون باحة المسجد الأقصى** برفقة ستة برلمانيين وبحشد عسكري وشرطي بلغ نحو 300 عنصراً في صورة استفزازية، مما أثار مشاعر وغضب المصلّين الذين تصدوا لهذا الاستفزاز فأصيب منهم 12 مصلياً بهروات الشرطة، وفي اليوم التالي (يوم الجمعة) ارتكبت قوات الاحتلال **مجزرة بحق المصلين في المسجد،** حيث أطلقت عليهم النار قبيل انتهاء الصلاة، مما أدى إلى **استشهاد 13 وجرح 475** من **المصلين، وقد كانت هذه المجزرة هي الشعلة التي أطلقت انتفاضة الأقصى الثانية**"[2] .

وقد بلغت الهجمة التهويدية الصهيونية ضد القدس والأقصى المبارك حداً غير مسبوق في العامين الأخيرين، **وظهر إلى العلن ما كان اليهود يحاولون إخفاءه منذ زمن بعيد،- خاصة مع وصول أشد اليهود تطرفاً وعنصرية إلى سدة الحكم في الكيان الصهيوني**- ففي 2012/8/9م طُرح للنقاش في "الكنيست" الصهيوني مشروع قانون لتقسيم المسجد الأقصى بين المسلمين واليهود، ويقضي هذا المشروع بتخصيص 9 ساعات يوميًا للمسلمين دون وجود يهود في المسجد، تقابلها 9 لليهود يخرج خلالها المسلمون من المسجد، مع عيد أسبوعي للمسلمين هو الجمعة، يقابله عيد لليهود وحدهم هو السبت**!**[3].

ولم يعد الصهاينة يخفون نياتهم في تهويد القدس وضمّها وإفراغها من أهلها، ويعتبرون ذلك من بديهيات الدّين والسياسة اليهودية على السواء، والتي يجب على العالم أن يسلّم بها، وليس أدل على ذلك حديثاً من تصريح نقلته وكالة رويترز عن "يجال بالمور" – المتحدث باسم وزارة الخارجية

---

1) انظر: القدس بين مخططات التهويد ومسيرة النضال، نواف الزرو، (ص115) .

2) المجازر الإسرائيلية بحق الشعب الفلسطيني، ياسر علي، (ص 71)- بتصرف.

3) انظر: مؤسسة القدس الدولية، القدس 2012م .. قراءة في مسارات الأحداث والمآلات، زياد الحسن.

الصهيونية- يوم الثلاثاء الموافق 26-03-2012م، قال فيه بالمور ما نصّه: " **إنّ الاعتراض على تهويد القدس -هكذا يقولون- عبث ويعادل الاعتراض على الطبيعة الكاثوليكية للفاتيكان أو إسلامية مكّة .. من الطبيعي أن الأمر لا يُتصوّر**"[1] .

ولم يقتصر الأمر على الإجراءات الحكومية الرسمية الصهيونية تجاه القدس، بل برزت على أرض فلسطين المحتلة جماعات منظّمة تسعى إلى الوصول للهدف المشترك، وهو سرقة ما تبقى من القدس وجعلها مدينة يهودية خالصة.

ومن الجماعات اليهودية المنظّمة التي عملت وتعمل على تهويد القدس وطرد سكانها وهدم المسجد الأقصى:

1) جماعة (جوش إيمونيم):

" تعني هذه العبارة بالعبرية "كتلة المؤمنين"، وهي حركة صهيونية استيطانية دينية قومية، تطالب بصهيونية الحدّ الأقصى، والحركة ليست حزباً، وإنما حركة شعبية غير ملتزمة إلا بالحفاظ على (أرض إسرائيل)، وقد تأسست الحركة رسمياً عام 1947م، ولكن تأسيس الحركة الفعلي كان بعد يونيو عام 1967م، ومن وجهة نظر جوش إيمونيم، **يُعَدُّ الاحتفاظ بالأراضي المحتلة بعد عام 1967م أمراً ربانياً لا يمكن للاعتبارات الإنسانية أو العملية أن تجُبّه،** فركزت الحركة جلّ نشاطها على عملية الاستيطان وتصعيده، بغرض الوصول إلى وضع لا يمكن معه عودة الضفة الغربية للعرب، أي أنها تحاول أن تترجم سياسة الوضع القائم الصهيونية إلى وجود مادي صلب، من خلال إقامة المستوطنات"[2].

---

1) موقع وكالة رويترز للأنباء الإلكتروني، تحت رابط: http://ara.reuters.com/article/topNews، بتاريخ: 2013/3/26م.

2) موسوعة اليهود، المسيري، (158/7)- بتصرف.

2) منظمة (بيشيفات أتريت كوهانيم):

وتعني العبارة: "التاج الكهنوتي"، تأسست هذه الحركة عام 1987م، **يقوم أتباعها بشراء منازل في القدس للاستيطان اليهودي فيها بشكل منتظم**، ولها مكتب دائم في نيويورك لجمع التبرعات وعقد الندوات[1].

3) حركة الاستيلاء على الأقصى:

وأعضاء هذه الحركة يدعون علناً إلى هدم المسجد الأقصى وطرد جميع السكان المسلمين من (أرض إسرائيل) كما يسمونها، وقد بدأ ظهور هذه الحركة عام 1968م، وكانت نواة لحركة جوش أمونيم، ومن أهداف هذه الحركة أيضاً تهويد الخليل وإعادة المسجد الإبراهيمي لليهود[2].

4) حركة(كاخ):

" (كاخ) كلمة عبرية تعني «هكذا»، وهو اسم جماعة صهيونية سياسية إرهابية صاغت شعارها على النحو التالي: **يد تمسك بالتوراة وأخرى بالسيف وكتب تحتها كلمة «كاخ» العبرية، بمعنى أن السبيل الوحيد لتحقيق الآمال الصهيونية هي التوراة والسيف**، ترى (كاخ) أنّ الشعب اليهودي هو شعب مختار فريد ومتميِّز، بل شعب مقدَّس، حقوقه مقدَّسة، ومن ثم فليس بإمكان الشعب اليهودي المقدَّس أن يُفرط في حقوقه المقدَّسة في الأرض المقدَّسة ويتنازل عن أجزاء منها للشعوب الأخرى (غير المقدَّسة)، والتوجُّه السياسي لجماعة كاخ هو **ضمّ المناطق المحتلة وإزالة كل عبادة غريبة من جبل الهيكل (المسجد الأقصى) وإجلاء جميع أعداء اليهود من أرض فلسطين** " [3].

---

1) انظر: قبل الكارثة نذير نفير، عبد العزيز كامل، (ص 256).

2) انظر: المصدر السابق، (ص257) .

3) موسوعة اليهود، المسيري، (7/159 – 160)– بتصرف .

5) **حركة (إعادة التاج لما كان عليه):**

" يتزعمها رجل يدعى (يسرائيل فويختونفر) الذي يحرّك مجموعة عنيفة من الشباب المتعصبين الذين **يعملون على الاستيلاء على بيوت ومبان في القدس بدعوى أنها كانت ذات يوم لليهود، وبعد أن يستولوا عليها يقومون بطرد سكانها العرب،** ثم يعمل (فويختونفر) على ترتيب الجانب القانوني لملكية تلك البيوت، والهدف الكبير لهذه الحركة هو الاستيلاء على أراضي الحي الإسلامي من القدس لمحاصرة أرض المسجد " [1] .

ومن مظاهر تهويد القدس **تغيير الصهاينة للأسماء العربية في القدس، واستبدالها بأسماء عبرية يهودية من أجل سرقة التراث وتزوير التاريخ وطمس المعالم العربية والإسلامية للقدس.**

ومن أمثلة ذلك، استبدالهم تسمية "حي المشارف" بـ "موشي حاييم شابير"، وباب الخليل بـ "عودة صهيون"، وباب المغاربة بـ "رحوب بيت محسي"، وطريق سليمان بـ "شارع المظليين"، وحي الشيخ جراح بـ "حي أشكول"، وطريق البراق بـ "يهودا هاليفي"، وتل الشرفة بـ "جبعات همفتار"، وطريق الواد بـ "رحوب هجاي"، وعقبة غنيم بـ "شوفيه هالكوت"، وطريق المجاهدين بـ "ديرخ شاعر هيروت"، وعقبة درويش بـ "حبر حاييم"، ومطار القدس بـ "مطار عطاروت"، **إضافة إلى عشرات الأسماء العربية الأخرى**[2] .

خلاصة المطلب:

أولاً: زخر العهد القديم بذكر (أورشليم) تقديساً واحتفاءً وتكريماً – فيما عدا ما يعرف بأسفار موسى الخمسة– وهي في توراة اليهود المحرفة –أي أورشليم– مسكن الربّ، ومأوى أفئدة شعب الله المزعوم، ومحل القداسة الذي لا تدانيه بقعة في الكون، وأقحم كتبة التوراة أورشليمهم هذه في مئات المواضع من أسفار العهد القديم، وجعلوا لها مكانة خاصة عند ربّهم، وعند اليهود.

---

1) قبل الكارثة نذير نفير، عبد العزيز كامل، (ص 260) .

2) انظر: القدس بين مخططات التهويد ومسيرة النضال، نواف الزرو، (ص 59).

ثانياً: لعب زعماء اليهود والصهيونية قديماً وحديثاً على وتر "مدينة الله"، و"مدينة داود" كي يرسخوا زوراً أحقّية اليهود في القدس كاملة غير منقوصة، وحاولوا أن يعززوا هذه الدعوى كحقيقة بديهية لا جدال فيها، من خلال تزوير التاريخ، ومحاولات شطب حضارة الشعب الأصلي.

ثالثاً: ركّز اليهود منذ احتلالهم أرض فلسطين –خاصة بعد عام 1967م– على التهام القدس وتهويدها وطمس معالمها العربية والإسلامية، وسرقة أرضها وتراثها، وطرد سكانها أو تنغيص حياتهم، واستخدموا في سبيل ذلك كل الوسائل؛ ابتداءً بالقوة العسكرية، وفرض اليهود أنفسهم على المدينة، مروراً بسن القوانين وإصدار المراسيم وتشريع التهويد، وصولاً إلى الضغط بكل الوسائل لتهجير المقدسيين ومصادرة حقوقهم وأملاكهم.

رابعاً: يسابق اليهود الصهاينة الزمن في محاولة تغيير معالم المدينة المقدّسة، وخنقها بالمستوطنات اليهودية، وعزلها عن امتدادها العربي الفلسطيني المسلم، والتحكم في اقتصادها، وتغيير تركيبتها السكانية، وتغيير أسماء شوارعها ومعالمها، لكي يفرضوا أمراً واقعاً على العالم، بحيث يصعب بعد ذلك تغييره أو تعديله، أو ربما حتى الحديث عنه.

خامساً: تعدّ القدس ثابتاً من ثوابت اليهود والصهيونية، وبات الحديث عن وحدانيتها اليهودية الأبدية هو البضاعة الرائجة التي يقف ساسة اليهود قاطبة على ترويجها، وعليه –والحال هذه– فمن المستحيل أن يتخلّى صهاينة اليوم طواعية عن القدس، ما لم يرغموا على ذلك إرغاماً.

سادساً: تتعرض القدس يوماً بعد يوم إلى هجمة تهويدية تصاعدية متسارعة، وكأنّ الصهاينة اليوم على أعتاب مرحلة قريبة ينوون فيها المساس بالقوة بالمسجد الأقصى المبارك، واقتلاعه، وإكمال السيطرة على القدس.

المطلب الرابع:

هيكل سليمان في العقيدة اليهودية

"الهيكل كلمة يقابلها في العبرية (بيت همقداش)، أي: بيت المقدس، أو (هيخال)، وهي كلمة تعني (البيت الكبير) في كثير من اللغات السامية، والبيت الكبير أو العظيم هو الطريقة التي كان يُشار بها إلى مسكن الإله- بحسب عقيدة اليهود-، ومن أهم أسماء الهيكل (بيت يهوه)، لأنه أساساً مسكن للإله وليس مكاناً للعبادة، على عكس الكعبة مثلاً "[1] .

"ويشغل الهيكل مكانة خاصة في الوجدان اليهودي، فهو يُسمَّى «لبنان» لأنه يُطهِّر (يسرائيل) من خطاياها ويجعلها بيضاء كاللبن، **وكان التصور اليهودي أنه يقع في مركز العالم فقد بُنيَ في وسط القدس التي تقع في وسط الدنيا،** (فقدس الأقداس الذي يقع في وسط الهيكل هو بمنزلة سُرَّة العالم، ويُوجَد أمامه حجر الأساس: النقطة التي عندها خلق الإله العالم)، والهيكل كنز الإله مثل (جماعة يسرائيل)، وهو عنده أثمن من السماوات، بل من الأرض، التي خلقها بيد واحدة، بينما خلق الهيكل بيديه كلتيهما، بل إنّ الإله قرَّر بناء الهيكل قبل خلق الكون نفسه"!![2] .

الهيكل في العهد القديم:

الذي خطط لبناء الهيكل (أو بيت الربّ) بحسب الاعتقاد اليهودي هو داود ﷺ، فقد منع سكان القدس -اليبوسيون- داود ﷺ من امتلاكها ابتداءً، فاضطرّ للاكتفاء بأخذ حصن صهيون، كما نصّت التوراة على ذلك: « وَقَالَ سُكَّانُ يَبُوسَ لِدَاوُدَ: لاَ تَدْخُلْ إِلَى هُنَا. **فَأَخَذَ دَاوُدُ حِصْنَ صِهْيَوْنَ**، هِيَ مَدِينَةُ دَاوُدَ»[3] .

ثم حاول داود ﷺ في بداية ملكه نقل (تابوت العهد) إلى مدينة داود التي اتّخذها له مركزاً، فأبى الربّ ذلك، فاحتفظ داود ﷺ به في بيت رجل يدعى "عوبيد أدوم" لمدة ثلاثة أشهر[4] .

---

1) موسوعة اليهود، المسيري، (159/4) – بتصرف.

2) المصدر السابق، (159/4) – بتصرف يسير.

3) أخبار الأيام الأول 11 : 5 .

4) **انظر:** سفر أخبار الأيام الأول، الإصحاح 13 .

لكنّ داود عليه السلام أعدّ العدة لنقل التابوت إلى "أورشليم"، وعيّن من ينقله من بيت "عوبيد أدوم"، وكان له ذلك وفق ما جاء في التوراة: «وَعَمِلَ دَاوُدُ لِنَفْسِهِ بُيُوتًا فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ، **وَأَعَدَّ مَكَانًا لِتَابُوتِ اللهِ وَنَصَبَ لَهُ خَيْمَةً**، حِينَئِذٍ قَالَ دَاوُدُ: لَيْسَ لأَحَدٍ أَنْ يَحْمِلَ تَابُوتَ اللهِ إِلاَّ لِلاَّوِيِّينَ، لأَنَّ الرَّبَّ إِنَّمَا اخْتَارَهُمْ لِحَمْلِ تَابُوتِ اللهِ وَلِخِدْمَتِهِ إِلَى الأَبَدِ، وَجَمَعَ دَاوُدُ كُلَّ إِسْرَائِيلَ إِلَى أُورُشَلِيمَ لأَجْلِ إِصْعَادِ تَابُوتِ الرَّبِّ إِلَى مَكَانِهِ الَّذِي أَعَدَّهُ لَهُ» [1].

ثم يوحي الربّ إلى داود عليه السلام أنّ ولداً من نسله سيبني بيتاً للربّ ليسكن في وسط شعبه، نصّت التوراة على ذلك: « وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ كَانَ كَلاَمُ اللهِ إِلَى نَاثَانَ قَائِلاً :اذْهَبْ وَقُلْ لِدَاوُدَ عَبْدِي: هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: **أَنْتَ لاَ تَبْنِي لِي بَيْتًا لِلسُّكْنَى، لأَنِّي لَمْ أَسْكُنْ فِي بَيْتٍ مُنْذُ يَوْمِ أَصْعَدْتُ إِسْرَائِيلَ إِلَى هذَا الْيَوْمِ**، بَلْ سِرْتُ مِنْ خَيْمَةٍ إِلَى خَيْمَةٍ، وَمِنْ مَسْكَنٍ إِلَى مَسْكَنٍ ... وَكُنْتُ مَعَكَ حَيْثُمَا تَوَجَّهْتَ، وَقَرَضْتُ جَمِيعَ أَعْدَائِكَ مِنْ أَمَامِكَ، وَعَمِلْتُ لَكَ اسْمًا كَاسْمِ الْعُظَمَاءِ الَّذِينَ فِي الأَرْضِ، **وَعَيَّنْتُ مَكَانًا لِشَعْبِي إِسْرَائِيلَ وَغَرَسْتُهُ فَسَكَنَ فِي مَكَانِهِ، وَلاَ يَضْطَرِبُ بَعْدُ**، وَلاَ يَعُودُ بَنُو الإِثْمِ يَبْلُونَهُ كَمَا فِي الأَوَّلِ ... وَيَكُونُ مَتَى كَمَلَتْ أَيَّامُكَ لِتَذْهَبَ مَعَ آبَائِكَ، أَنِّي **أُقِيمُ بَعْدَكَ نَسْلَكَ الَّذِي يَكُونُ مِنْ بَنِيكَ وَأُثَبِّتُ مَمْلَكَتَهُ، هُوَ يَبْنِي لِي بَيْتًا وَأَنَا أُثَبِّتُ كُرْسِيَّهُ إِلَى الأَبَدِ**» [2].

ولك أن تتصور هذا الإله الذي تصوّره التوراة هنا؛ إذ هو إلهٌ مختصّ لشعب (إسرائيل)، يتنقل معهم في حلّهم وترحالهم، من خيمة إلى خيمة، ومن مسكن إلى مسكن، ثم ينوي ويقرر بناء بيتٍ للاستقرار، كمسكن أبديّ مرتبط بأبدية امتلاك شعبه للأرض التي جلبهم إليها، وعداً وميثاقاً أبدياً!! لذلك ليس غريباً – في تقدير الباحث– أن يروي كاتب سفر أخبار الأيام الأول – بعد هذا الخطاب الحماسي من الربّ لشعبه –قصص التنكيل المنسوبة إلى داود عليه السلام فيما يلي هذا النص من إصحاحات، فالأرض الآن هي مسكن الربّ، فوجب إبادة أعداء شعب الربّ، وتخليص الأرض منهم!! .

---

1) أخبار الأيام الأول 15 : 1 – 3 .

2) أخبار الأيام الأول 17 : 3 – 12 .

ثم تحكي التوراة أن داود عليه السلام أقام مذبحاً للربّ في جبعون[1] بعد أن اشترى أرضاً من رجل يدعى: "أُرْنَانَ الْيَبُوسِيِّ"، ودفع داود لأُرنان هذا –عوضاً عن المكان– ذهبًا وزنه ستُّ مائة شاقل[2].

وتقول التوراة بعد ذلك إنّ داود عليه السلام هيّأ مواد البناء لولده سليمان عليه السلام قبل موته، وأمره ببناء بيت الربّ بأمر الربّ، « وَقَالَ دَاوُدُ: إِنَّ سُلَيْمَانَ ابْنِي صَغِيرٌ وَغَضٌّ، **وَالْبَيْتُ الَّذِي يُبْنَى لِلرَّبِّ يَكُونُ عَظِيمًا جِدًّا فِي الاسْمِ وَالْمَجْدِ فِي جَمِيعِ الأَرَاضِي،** فَأَنَا أُهَيِّئُ لَهُ فَهَيَّأَ دَاوُدُ كَثِيرًا قَبْلَ وَفَاتِهِ. وَدَعَا سُلَيْمَانَ ابْنَهُ وَأَوْصَاهُ أَنْ يَبْنِيَ بَيْتًا لِلرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ. وَقَالَ دَاوُدُ لِسُلَيْمَانَ: يَا ابْنِي، قَدْ كَانَ فِي قَلْبِي أَنْ أَبْنِيَ بَيْتًا لاسْمِ الرَّبِّ إِلهِي. **فَكَانَ إِلَيَّ كَلاَمُ الرَّبِّ قَائِلاً: قَدْ سَفَكْتَ دَمًا كَثِيرًا وَعَمِلْتَ حُرُوبًا عَظِيمَةً، فَلاَ تَبْنِي بَيْتًا لاسْمِي لأَنَّكَ سَفَكْتَ دِمَاءً كَثِيرَةً عَلَى الأَرْضِ أَمَامِي.** هُوَذَا يُولَدُ لَكَ ابْنٌ يَكُونُ صَاحِبَ رَاحَةٍ، وَأُرِيحُهُ مِنْ جَمِيعِ أَعْدَائِهِ حَوَالَيْهِ، لأَنَّ اسْمَهُ يَكُونُ سُلَيْمَانَ. فَأَجْعَلُ سَلاَمًا وَسَكِينَةً فِي إِسْرَائِيلَ فِي أَيَّامِهِ. هُوَ يَبْنِي بَيْتًا لاسْمِي، وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْنًا، وَأَنَا لَهُ أَبًا وَأُثَبِّتُ كُرْسِيَّ مُلْكِهِ عَلَى إِسْرَائِيلَ إِلَى الأَبَدِ. الآنَ يَا ابْنِي، لِيَكُنِ الرَّبُّ مَعَكَ فَتُفْلِحَ وَتَبْنِيَ بَيْتَ الرَّبِّ إِلهِكَ كَمَا تَكَلَّمَ عَنْكَ»[3] .

وهنا قمّة التناقض التوراتي؛ فكاتبها يطعن في هذا النص في داود عليه السلام ويصفه بسفّاك الدماء، وأنّه غير مؤهّل ليكون باني بيت الربّ**!**، ويوصي ولده سليمان عليه السلام بالبناء، لكنّ العجيب – كما سيأتي– بأنّ التوراة نفسها تصف سليمان عليه السلام بالشرك وعبادة الأوثان فيما بعد**!!** فهل خفي عن الربّ المزعوم تلك العاقبة التي سيؤول إليها سليمان عليه السلام، إنّه الخلط التوراتي المعهود، والتخبط المتواتر في مقام الربوبية والألوهية.

ليس هذا فحسب، بل إنّ داود عليه السلام – بزعم التوراة– قام بتقسيم أعمال الهيكل (بيت الربّ) قبل موته، وخصّ بذلك اللاويين، وبلغ عدد خدمة الهيكل وقتذاك ثمانية وثلاثين (38) ألفاً !!، فتقول التوراة: « **وَجَمَعَ كُلَّ رُؤَسَاءِ إِسْرَائِيلَ وَالْكَهَنَةِ وَاللاَّوِيِّينَ، فَعُدَّ اللاَّوِيُّونَ مِنِ ابْنِ ثَلاَثِينَ سَنَةً فَمَا فَوْقُ،**

---

1) جبعون: وفق التوراة هي مدينة عظيمة كانت لبني بنيامين، أعطيت لسبط هارون، وسكانها هم الحوّيون الذين عقدوا بدهائهم صلحاً مع يشوع، وفيها ضرب داود الفلسطينيين، وهي في العصر الحديث قرية "جَبع" الفلسطينية الصغيرة التي تقع على بعد ستة أميال في الشمال الشرقي من مدينة القدس، بالقرب من قرية مخماس، وكلمة "جبع" هي كلمة كنعانية بمعنى: تل **[انظر:** قاموس الكتاب المقدس، جورج بوست، (312/1)، **أيضاً:** موسوعة بلادنا فلسطين، مصطفى الدباغ، (69/8) **]**.

2) انظر: أخبار الأيام الأول، الإصحاح 21، **والشاقل:** هو أصل الوزن الشرعي المضبوط عند العبرانيين، ويعادل الشاقل في أوزان اليوم نحو 15 غراماً. **[انظر:** قاموس الكتاب المقدّس، جورج بوست، (475/2) **]** .

3) أخبار الأيام الأول 22 : 5 – 11 .

فَكَانَ عَدَدُهُمْ حَسَبَ رُؤُوسِهِمْ مِنَ الرِّجَالِ ثَمَانِيَةً وَثَلاَثِينَ أَلْفًا، مِنْ هؤُلاَءِ لِلْمُنَاظَرَةِ عَلَى عَمَلِ بَيْتِ الرَّبِّ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا. وَسِتَّةُ آلاَفٍ عُرَفَاءُ وَقُضَاةٌ. وَأَرْبَعَةُ آلاَفٍ بَوَّابُونَ، وَأَرْبَعَةُ آلاَفٍ مُسَبِّحُونَ لِلرَّبِّ بِالآلاَتِ الَّتِي عُمِلَتْ لِلتَّسْبِيحِ»[1] .

وعهد داود عليه السلام لابنه قبل موته بمثالٍ لبيت الربّ (ربما ما يشبه الرسم أو المخطط) بشكله وبنائه وأروقته، وآنيته وكهنته وخدمه، مبيناً أنّ ذلك موحىً به من الربّ، إذ هو مسكن الربّ الأبديّ[2] .

وكان آخر دعاء داود عليه السلام قبل موته –بزعم التوراة– أن يوفق الربّ ولده لبناء الهيكل: « يَا رَبُّ إِلهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَإِسْرَائِيلَ آبَائِنَا، احْفَظْ هذِهِ إِلَى الأَبَدِ فِي تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قُلُوبِ شَعْبِكَ، وَأَعِدَّ قُلُوبَهُمْ نَحْوَكَ، **وَأَمَّا سُلَيْمَانُ ابْنِي فَأَعْطِهِ قَلْبًا كَامِلاً لِيَحْفَظَ وَصَايَاكَ، شَهَادَاتِكَ وَفَرَائِضَكَ، وَلِيَعْمَلَ الْجَمِيعَ، وَلِيَبْنِيَ الْهَيْكَلَ الَّذِي هَيَّأْتُ لَهُ**»[3] .

وبعدما تولى سليمان عليه السلام الملك – خلفاً لأبيه – بأربع سنوات شرع – حسب التوراة– في بناء الهيكل: «وَشَرَعَ سُلَيْمَانُ فِي بِنَاءِ بَيْتِ الرَّبِّ فِي أُورُشَلِيمَ، فِي جَبَلِ الْمُرِيَّا حَيْثُ تَرَاءَى لِدَاوُدَ أَبِيهِ، حَيْثُ هَيَّأَ دَاوُدُ مَكَانًا فِي بَيْدَرِ أُرْنَانَ الْيَبُوسِيِّ. **وَشَرَعَ فِي الْبِنَاءِ فِي ثَانِي الشَّهْرِ الثَّانِي فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِمُلْكِهِ**»[4] .

ولا يجد الباحث في توراة اليهود سبباً في تأخّر سليمان عليه السلام لأربعة أعوام حتى شرع في بناء الهيكل المذكور، إذ كان داود عليه السلام قد جهّز كل ما يلزم، بل وهمّ بالبدء في بنائه.

ويستطرد كاتب سفر أخبار الأيام الثاني في ذكر تفاصيل بناء الهيكل وحيطانه وأعمدته وأخشابه ومساميره، بأوزان وأطوال وأثمان دقيقة ومحدّدة في أدّق تفاصيلها[5] .

وعلى الرغم من ضخامة حجم الأموال والمواد العينية التي رُصدت لبناء الهيكل، فإن حجمه كما ذكرت التوراة كان صغيراً، إذ جاء في وصفه: « وَهذِهِ أَسَّسَهَا سُلَيْمَانُ لِبِنَاءِ بَيْتِ اللهِ:

---

1) أخبار الأيام الأول 23 : 2 – 5 .

2) انظر: أخبار الأيام الأول، الإصحاح 28 .

3) أخبار الأيام الأول 29 : 18 – 19 .

4) أخبار الأيام الثاني 2 : 1 – 2 .

5) انظر: أخبار الأيام الثاني، الإصحاحان 3، 4 .

الطُّولُ بِالذِّرَاعِ عَلَى الْقِيَاسِ الأَوَّلِ سِتُّونَ ذِرَاعًا، وَالْعَرْضُ عِشْرُون ذِرَاعًا، وَالرِّوَاقُ الَّذِي قُدَّامَ الطُّولِ حَسَبَ عَرْضِ الْبَيْتِ **عِشْرُونَ ذِرَاعًا**»[1].

وقد شكك عدد من العلماء والباحثين –غير المسلمين– في صدق روايات العهد القديم التي وصفت بناء هيكل سليمان والأموال والذهب والفضة التي وضعت فيه، ومن هؤلاء وول ديورانت[2] الذي علّق على وصف الهيكل بالقول : " ولم يكن هذا الهيكل كنيسة بالمعنى الصحيح، بل كان سياجاً مربعاً يضم عدة أجنحة، ولم يكن بناؤه الرئيسي كبير الحجم ... هذا إذا جاز لنا أن نصدق المصدر الوحيد الذي نعتمد عليه في هذا الوصف(أي العهد القديم)"[3] .

كما يعلّق مؤرخون آخرون على " وصف العهد القديم الهيكل بأنه كان مغشًى من الداخل بالذهب، بأنّ هذا الأمر غير ممكن تاريخياً، وهو محل تساؤل من وجهة النظر النقدية، مما يرجح استبعاد صحته بالنسبة لمعظم أنحاء الهيكل" [4] .

وتذكر التوراة أنّ الربّ قد اختار الهيكل مكاناً مقدّساً له على الأرض مخاطباً سليمان عليه السلام بعدما أتمّ بناء الهيكل قائلاً:« اَلآنَ عَيْنَايَ تَكُونَانِ مَفْتُوحَتَيْنِ، وَأُذُنَايَ مُصْغِيَتَيْنِ إِلَى صَلاَةِ هذَا الْمَكَانِ، **وَالآنَ قَدِ اخْتَرْتُ وَقَدَّسْتُ هذَا الْبَيْتَ لِيَكُونَ اسْمِي فِيهِ إِلَى الأَبَدِ، وَتَكُونُ عَيْنَايَ وَقَلْبِي هُنَاكَ كُلَّ الأَيَّامِ**»[5].

هذه قصة ما يسمى بهيكل سليمان في توراة اليهود، وقد احتفى به كتبة التوراة احتفاءً عظيماً وبالغوا في وصفه وتقديسه.

---

1) أخبار الأيام الثاني 3 : 3 – 4 .

2) وول ديورانت: مؤلف أمريكي معاصر، يعد كتابه (قصة الحضارة) ذو الثلاثين مجلداً واحداً من أشهر الكتب التي تؤرخ للحضارة البشرية عبر مساراتها، عكف على تأليفه السنين الطوال، وأصدر جزأه الأول عام 1935م، ثم تلته بقية الأجزاء، وكان من المؤرخين الذين أنصفوا الإسلام إلى حد ما، وأشادوا بنبي الرحمة ﷺ وبالقرآن الكريم، وبالحضارة الإسلامية **[** مجلة البحوث الإسلامية، (282/58، 149/68) **]** .

3) قصة الحضارة، ديورانت، (2/ 335– 336)– بتصرف يسير .

4) داود وسليمان في العهد القديم والقرآن، د. أحمد عيسى الأحمد، مطبعة حكومة الكويت/ الكويت، ط1، 1410هـ/1990م، (ص 113)– بتصرف .

5) أخبار الأيام الثاني 7 : 15 – 16 .

" لكن الهيكل لم يكن بالفخامة التي حاول كتبة التوراة أن يصوروه بها، كما أنّ بناءه وما أدخل عليه من زخارف فنّية يبين أنّ بني إسرائيل لم يكن لديهم باع في هذا المجال، حيث إنّ الذي قام بذلك العمل هم المهندسون والفنيون الفينيقيون الذين بنوه على غرار ما كان لديهم وما أخذوه عن المصريين وبلاد ما وراء النهرين، كما أنّ الهيكل لم تكن له تلك الأهمية التي أصبحت له فيما بعد "[1] .

وقد تطرق الباحث في الفصل التمهيدي إلى تدمير الهيكل على يد "بختنصر" البابلي، فيما عرف بالتدمير الأول، ثم إعادة بنائه بمساعدة الفرس، ثم تدميره مرة ثانية على يد "تيتوس" الروماني، فيُنظر في موضعه[2].

التناقض في بنية عقيدة الهيكل:

يظهر التناقض جليّاً في تقديس اليهود لما يسمى بهيكل سليمان، وبين عقيدتهم في سليمان ﵇ ذاته، فالأصل –في فهم الباحث– أنّ قدسيّة المكان والبناء بحسب عظمة الباني ومكانته عند الله وعند عباده؛ لكنّ توراة اليهود نالت من نبي الله سليمان ﵇ واتّهمته بعظائم الأمور التي لا تغتفر عند الله، فكيف يستقيم هذا مع تباكي يهود اليوم على مجد سليمان ﵇، وأطلال هيكله وبيته الذي بناه للربّ؟!

فقد اتّهمت توراة اليهود سليمان ﵇ بالشرك والميل عن عبادة الله ﷿ إلى عبادة الأوثان، في آخر حياته! أي أنّه خُتم له بالشرك، وذلك بعدما أمالت نساؤه قلبه عن الله ﷻ إلى آلهة أقوام آخرين، إذ ابتُلي سليمان ﵇ –بزعم التوراة– بمحبّة نساء كثيرات، تزوّج منهن ألفاً !!

جاءت حكاية تلك الخاتمة المروّعة لسليمان ﵇ في سفر الملوك الأول: « وَأَحَبَّ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ نِسَاءً غَرِيبَةً كَثِيرَةً مَعَ بِنْتِ فِرْعَوْنَ: مُوآبِيَّاتٍ وَعَمُّونِيَّاتٍ وَأَدُومِيَّاتٍ وَصِيدُونِيَّاتٍ وَحِثِّيَّاتٍ، مِنَ الأُمَمِ الَّذِينَ قَالَ عَنْهُمُ الرَّبُّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: لاَ تَدْخُلُونَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ لاَ يَدْخُلُونَ إِلَيْكُمْ، لأَنَّهُمْ يُمِيلُونَ قُلُوبَكُمْ وَرَاءَ آلِهَتِهِمْ. فَالْتَصَقَ سُلَيْمَانُ بِهؤُلاَءِ بِالْمَحَبَّةِ. وَكَانَتْ لَهُ سَبْعُ مِئَةٍ مِنَ النِّسَاءِ السَّيِّدَاتِ، وَثَلاَثُ مِئَةٍ مِنَ السَّرَارِيِّ، **فَأَمَالَتْ نِسَاؤُهُ قَلْبَهُ.**

1) داود وسليمان في العهد القديم والقرآن، أحمد عيسى الأحمد، (ص 115)– بتصرف يسير .

2) انظر: هذا البحث الذي بين يديه، (ص 38، 42) .

وَكَانَ فِي زَمَانِ شَيْخُوخَةِ سُلَيْمَانَ أَنَّ نِسَاءَهُ أَمَلْنَ قَلْبَهُ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى، وَلَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ كَامِلاً مَعَ الرَّبِّ إِلهِهِ كَقَلْبِ دَاوُدَ أَبِيهِ. فَذَهَبَ سُلَيْمَانُ وَرَاءَ عَشْتُورَثَ **إِلهَةِ الصِّيدُونِيِّينَ**، وَمَلْكُومَ **رِجْسِ الْعَمُّونِيِّينَ. وَعَمِلَ سُلَيْمَانُ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ**، وَلَمْ يَتْبَعِ الرَّبَّ تَمَامًا كَدَاوُدَ أَبِيهِ. حِينَئِذٍ بَنَى سُلَيْمَانُ مُرْتَفَعَةً لِكَمُوشَ **رِجْسِ الْمُوآبِيِّينَ** عَلَى الْجَبَلِ الَّذِي تُجَاهَ أُورُشَلِيمَ، وَلِمُولَكَ رِجْسِ بَنِي عَمُّونَ. **وَهكَذَا فَعَلَ لِجَمِيعِ نِسَائِهِ الْغَرِيبَاتِ اللَّوَاتِي كُنَّ يُوقِدْنَ وَيَذْبَحْنَ لآلِهَتِهِنَّ. فَغَضِبَ الرَّبُّ عَلَى سُلَيْمَانَ لأَنَّ قَلْبَهُ مَالَ عَنِ الرَّبِّ إِلهِ إِسْرَائِيلَ** الَّذِي تَرَاءَى لَهُ مَرَّتَيْنِ، وَأَوْصَاهُ فِي هذَا الأَمْرِ أَنْ لاَ يَتَّبِعَ آلِهَةً أُخْرَى، فَلَمْ يَحْفَظْ مَا أَوْصَى بِهِ الرَّبُّ»[1] .

" **فصدر عن سليمان عليه السلام خمس خطيئات[2]:**

الأولى: وهي أعظمها؛ أنّه ارتد في آخر عمره، الذي هو حين التوجه إلى اللّه ﷻ، وجزاء المرتد في الشريعة الموسوية الرجم – ولو كان نبياً ذا معجزات– ولا يُعلم من موضع من مواضع التوراة، أنّه يقبل توبة المرتد.

الثانية: أنّه بنى المعابد العالية للأصنام في الجبل قدام "أورشليم".

الثالثة: أنه تزوج نساء غريبات من شعوب كان اللّه ﷻ منع الالتصاق بهم.

الرابعة: أنّه تزوج ألف امرأة، وقد كانت كثرة الأزواج محرمة على من يكون سلطان بني إسرائيل.

الخامسة: أنّ نساءه كن يبخّرن ويذبحن للأوثان فكان قتلهن واجباً، وأيضاً أنهنّ أغوين قلبه، فكان رجمهن واجباً، وذلك بحكم التوراة نفسها، ولم يُقم سليمان عليهنّ الحدّ " .

كما أنّ من أهم ما يرد على فهم الباحث من إشكال في قصة الهيكل **هو عدم إنجاز الربّ لوعده وعهده الذي أقسم به على نفسه حين قدّس الهيكل وجعله بيتاً ومسكناً له (إلى الأبد)**، إذ سرعان ما دخل على الهيكل الشرك ثم الهدم والإجلاء والانحدار، ولم يعد له من أثر**!!**

وكما اعتنت التوراة بالهيكل فقد اعتنى به التلمود وأفرطَ في ذلك وأغربَ، وتجرّأ على الله – ﷻ– وبالغ في وصف الكارثة الكونية التي حلّت بعد هدم الهيكل.

---

1) الملوك الأول 11 : 1 – 10 .

2) إظهار الحق، رحمة الله الهندي (1249/4 – 1250) – بتصرف.

ومما جاء في التلمود: " **ولم يلعب الله مع الحوت بعد هدم الهيكل! ... وقد اعترف الله بخطئه في هدم الهيكل،** فصار يبكي ويُمضي ثلاثة أرباع الليل يزأر كالأسد قائلاً: تباً لي لأني أمرت بخراب بيتي وإحراق الهيكل ونهب أولادي**!** " (1) – تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

انظر إلى فساد عقول وقلوب هذا الصنف من البشر، إذ تعدّوا حتى على مقام الربوبية والألوهية، وسبّوا الله ﷻ بأقذع الألفاظ، ثمّ يدّعون أنّهم شعبه المختار!

أحلام الهيكل عند اليهود المعاصرين:

" يشكّل هدم الهيكل صورة أساسية في الوجدان الديني اليهودي، فهو يُذكَر عند الميلاد والموت، وعند الزواج يُحطَّم أمام العروسين كوب فارغ لتذكيرهم بهدم الهيكل (وقد يُنثَر بعض الرماد على جبهة العريس)، وفي الماضي، حينما كان اليهودي يطلي منزله، كان الحاخامات يوصونه بأن يترك مربعاً صغيراً دون طلاء حتى يتذكر واقعة هدم الهيكل، وفي كل عام، يُحتفَل بذكرى هدم الهيكل بالصيام في التاسع من آب، وعند كل وجبة، ومع كل صلاة في الصباح، يتذكر اليهود (الأتقياء) الهيكلَ، ويصلّون من أجل أن تتاح لهم فرصة العودة إلى الأرض المقدَّسة والاشتراك في بناء الهيكل " (2).

"كما تُتلَى صلاة خاصة في منتصف الليل حتى يُعجِّل الإله بإعادة بناء الهيكل، ويذهب الشرع اليهودي إلى أنّ اليهودي يتعيَّن عليه أن يمزِّق ثيابه حينما يرى الهيكل لأول مرة وبعد مرور ثلاثين يوماً من آخر مرة رآه فيها! ... ويرى الصهاينة أنّ ظهور الصهيونية يعود إلى اللحظة نفسها التي هدم فيها تيتوس الهيكل وفرض على اليهود الشتات، ويقوم الصهاينة بالتأريخ لوقائع تاريخ العبرانيين، وتواريخ أعضاء الجماعات اليهودية في فلسطين، بمصطلحات مثل «الهيكل الأول» و«الهيكل الثاني»، ويشير ابن جوريون وكثير من العلماء الصهاينة إلى الكيان الصهيوني باعتباره «الهيكل الثالث» " (3) .

1) الكنز المرصود في فضائح التلمود، د. الشرقاوي، (ص 176).

2) موسوعة اليهود، المسيري، (160/4) .

3) المصدر السابق، (4/ 160)– بتصرف .

زعمت التوراة –كما مرّ– بأن سليمان ﷺ قام ببناء الهيكل فوق جبل "موريا"، (وهو جبل بيت المقدس أو هضبة الحرم التي يُوجَد فوقها المسجد الأقصى وقبة الصخرة)، ويُشار إلى هذا الجبل في الكتابات الإنجليزية باسم (جبل الهيكل)[1] .

لذلك؛ ليس غريباً –في تقدير الباحث– أن تجد اليهود يركّزون في عمليات التهويد والاستهداف على محيط المسجد الأقصى المبارك، إذ يعتقدون بأن الهيكل يقع تحته أو في محيطه.

"فمنذ احتلال كامل القدس عام 1967م، **سرّع الاحتلال الصهيوني بكل ما أوتي من قوة من وتيرة حفرياته تحت المسجد الأقصى وحوله في سبيل تحقيق حلمه ببناء (أورشليم المقدّسة)، وفي وسطها (الهيكل الثالث المزعوم) المقرر إقامته مكان المسجد الأقصى؛** لكن الاحتلال لم يعثر على أي أثر يدلّ على وجود يهودي في محيط المسجد الأقصى في رحلة البحث عن السراب، فسعى إلى خلق هذه الآثار من خلال تشويه الآثار الموجودة في المكان لإعطائها طابعاً يهودياً غريباً عن وجه مدينة القدس" [2] .

يقول د. رجاء جارودي: "ولدينا مثال على الخداع التاريخي الذي يؤدي إلى المخاطرة بروائع الفن العالمي وبالعناصر البالغة القيمة في التراث الثقافي الفلسطيني (المسجد الأقصى وقبة الصخرة)، **هذا المثال هو أعمال الحفر والتنقيب تحت هذا الأثر العظيم، متذرّعين بالبحث عن بقايا (معبد سليمان)، وهي ذريعة تقوم على أكذوبتين: الأولى:** أن حائط البراق (يسمونه المبكى) الذي يجاور الأقصى ليس بقية من معبد سليمان مطلقاً كما يقرر الأثريّون، **والثانية:** أنّ معبد سليمان يعرف جميع المؤرخين والأثريين من ماضي موقعه أنه لا يمكن أن يكون قد بقي منه أي أثر "[3] .

---

1) انظر: موسوعة اليهود، المسيري، (160/4) .

2) البحث عن السراب.. الحفريات تحت المسجد الأقصى ومحيطه، إعداد: عبد الله ابحيص، ترجمة: مريم عيتاني، مؤسسة القدس الدولية/ بيروت، أغسطس 2012م، (ص 4)– بتصرف يسير.

3) فلسطين أرض الرسالات الإلهية، رجاء جارودي، (ص 192) – بتصرف .

وقد حاصر اليهود المسجد الأقصى بالأنفاق والحفريات لتحقيق هذا الهدف البعيد، ففي الجهة الجنوبية للمسجد يعمل الصهاينة على إنشاء (مدينة داود)، ويوجد في هذه الجهة **17** موقعاً للحفريات، منها **12** موقعاً نشطاً، وأخطر هذه الحفريات هو ما يعرف بـ(الطريق الهيرودياني) الذي يبلغ طوله **600** متر، ويربط ساحة البراق بالمدخل الجنوبي لـ (مدينة داود) [1] .

"**أما الجهة الغربية للمسجد فهي العصب الرئيس للمدينة التي يبنيها اليهود تحت الأقصى،** فهي تحتوي على **19** موقعاً للحفريات، منها **10** مواقع نشطة، وأكبر حفريات الجهة الغربية هي شبكة أنفاق الحائط الغربي، وهي تعدّ أكثر الحفريات نشاطاً وعمقاً" [2] .

فيما تتركز الحفريات الشمالية في الزاوية الشمالية الغربية للمسجد الأقصى، وتحديداً في منطقة المدرسة العمرية وفيها موقعان نشطان للحفريات[3] .

وبالرغم من استمرار هذه الحفريات وتصاعدها إلا أنّ بعض علماء الآثار- وحتى الصهاينة منهم- لا يخفون حقيقة أنّهم أخفقوا في إثبات أي دليل على وجود الهيكل المزعوم.

فنجد أن "مائير بن دوف" – وهو رئيس بعثة الجامعة العبرية المكلفة منذ عام 1967م بالبحث عن آثار الهيكل في منطقة المسجد الأقصى ومحيطه- اعترف بعد طول بحث وعناء قائلاً: " خلال مسيرة الحفريات والدراسة التي أجريناها خلال الخمسة وعشرين عاماً الماضية **استنتجنا أنه لا يوجد هيكل هناك؛ أي لا توجد بقايا من ذلك المعبد، وإذا قمت بالحفر فإنك لن تستطيع إطلاقاً إيجاد أية بقايا للهيكل تدل على فترة حكم سليمان**"[4] .

---

1) البحث عن السراب، مؤسسة القدس الدولية، (ص 6) – بتصرف .

2) المصدر السابق، (ص 6) – بتصرف .

3) **انظر:** المصدر نفسه (ص 6) .

4) المصدر ذاته، (ص 88) – بتصرف .

ويسعى اليهود اليوم لفرض واقع جديد في الأقصى انسجاماً مع عقيدتهم في الهيكل، ففي نهاية عام 2011م " دعا حاخام صفد[1]، ويدعى (شموئيل الياهو)– وهو أحد الحاخامين الأساسيين في الحاخامية الرسمية– إلى تقديم قربان الفصح في (جبل المعبد)، وأفتى بأنّ اليهود الذين يتجنبون أداء هذه الشعيرة يخاطرون باستنزال العقوبة الإلهيّة المدمّرة "[2] .

" **وقد مثّل تحقيق الوجود اليهودي في المسجد (كحق دائم) هدفاً دائماً للتحركات الصهيونية على مستوى الجمعيات اليهودية المتطرفة، وعلى المستوى الرسمي في الوقت ذاته،** وباتت تلك الجمعيات تدعو إلى (الصعود إلى جبل المعبد) في كل المناسبات، وأخذت تضغط في هذا الاتجاه، حتى توصلت إلى تسوية مع الشرطة الصهيونية برعاية رئيس الكنيست في أغسطس 2011م، حيث تبعها مباشرة **أكبر اقتحام جماعي مسجّل في تاريخ المسجد،** إذ اقتحمه أكثر من 500 مستوطن يهودي، بحماية مشددة من شرطة الاحتلال، وذلك بتاريخ 2011/08/09م، والذي وافق شهر رمضان المبارك" [3] .

"إن الهيكل بلغ عند اليهود المعاصرين منزلة جعلتهم يتخذون منه رمزاً منقوشاً على العلَم الصهيوني، إنّه نجمة داود السداسية، وذات النجمة نجدها مطبوعة على هام الجند اليهود في الخوذات والكابات، ويحملونها على أكتافهم، وتتصدر دباباتهم، وتطير مع طائراتهم، وتنطلق مع صواريخهم، لم يخجل اليهود من اتّخاذ هذا الرمز الديني شعاراً لدولتهم " [4] .

"وقد كُشف النقاب مؤخراً عن أنّ " الجماعات اليهودية المتطرّفة التي تسعى لبناء الهيكل مكان المسجد الأقصى أكملت إعداد فانوس من الذهب شبيه بالذي استُخدم في عهد الهيكل الثاني،

---

1) صفد: حاضرة الجليل، وإحدى المدن المهمّة في شمال فلسطين، تقع على عدّة تلال، مرتفعةً عن سطح البحر بنحو 790– 840م، ولها موقع استراتيجي كان له الأثر في تعرضها لأحداث حربية كثيرة عبر التاريخ، وكان لها حضور هام في حروب الصليبيين وغيرها، احتلّها اليهود في 11 مايو 1948م، وشرّدوا سكانها العرب **[** الموسوعة الفلسطينية الميسرة، (ص388)– **بتصرف]** .

2) التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لعام 2011م، (ص258)– بتصرف يسير.

3) المصدر السابق، (ص264)– بتصرف يسير.

4) قبل الكارثة نذير ونفير، عبد العزيز كامل، (ص143) .

إذ جرى استخدام **42** كلغ من الذهب الخالص في صنعه، وبلغت تكلفته أكثر من مليون دولار تبرع بها رجل الأعمال اليهودي الأوكراني فاديم ريبنوفيتش" [1] .

ومن الجماعات اليهودية التي تعمل على التعجيل ببناء الهيكل:

1) منظمة "سيودس شيسون" :

وهي منظمة يهودية تقول عن نفسها بأنها جمعية خيرية، وتتلقى دعماً من وزارة المعارف الصهيونية، والجيش الصهيوني، وبلدية القدس، **وتتطلع هذه المنظمة إلى تعميق الوعي إزاء الهيكل والقدس التوراتية لدى اليهود**، وتسعى للاستيلاء على منطقة المسجد الأقصى وساحاته[2].

2) حركة "أمناء جبل الهيكل":

"وتأسست في الثمانينيات من القرن العشرين، ومركزها القدس، ولها جمعية تابعة لها هي: جمعية جبل البيت، ومؤسس هذه الحركة هو يهودي متطرف يدعَى (جرشون سلمون)، وتقوم هذه الحركة بإقامة الصلوات اليهودية في الساحة المحيطة بحائط البراق، بجوار المسجد الأقصى، قرب باب المغاربة" [3] .

" **وقد حاولت جماعة أمناء جبل الهيكل وضع حجر الأساس للهيكل الثالث في احتفال تحت إشراف رئيس الجماعة جرى في منتصف شهر أكتوبر عام 1989م**، وقد حضر الاحتفال كاهن يرتدي ملابس كهنوتية خاصة ... ويساند أمناء جبل الهيكل بعض أعضاء المؤسسة الدينية في الكيان الصهيوني"[4] .

---

1) السياسة الصهيونية تجاه مدينة القدس، عدنان أبو عامر ، (ص 81).

2) انظر: قبل الكارثة نذير ونفير، عبد العزيز كامل، (ص 257).

3) قبل الكارثة نذير ونفير، عبد العزيز كامل، (ص 259)– بتصرف .

4) موسوعة اليهود، المسيري، (168/4) .

"كما سُمح لهذه الجماعة بوضع حجر الأساس للهيكل المزعوم بتاريخ 2001/7/29م، وهو يوافق يوم التاسع من آب وفق التقويم العبري، وهو اليوم الذي يعتقد اليهود أنه تاريخ هدم الهيكل الثاني عام 70م" [1] .

3) جمعية صندوق جبل الهيكل:

" **وهي جمعية صهيونية يهودية مسيحية تسعى علانية لتهويد منطقة المسجد الأقصى،** وكان الإعلان عن وجودها عام 1983م، لها فروع في فلسطين المحتلة وفي الولايات المتحدة، ومركزها القدس، **وتضع نصب أعينها هدفاً أساسياً هو إعادة بناء الهيكل الثالث على جبل البيت**"[2] .

4) جمعية الحركة التحضيرية للهيكل:

" أسسها يهودي يدعى "دافيد يوسف ليمونيم"، **وموقعها في القدس، وتُصدر هذه الجمعية مجلة شهرية عنوانها (إلى الهيكل)**، وقد أقامت معرضاً خاصاً بالهيكل والتعريف به عام 1997م"[3] .

متى يُبنى الهيكل؟

لا تخلو عقيدة اليهود في الهيكل المزعوم من تناقض أيضاً، فمع اجتماعهم على قدسية الهيكل ووجوب بنائه، إلا أنهم اختلفوا في موعد هذا البناء ومن يقوم به.

يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري: " يذهب الفقه اليهودي إلى أنّ الهيكل لابد أن يُعاد بناؤه وتُقام شعائر العبادة القربانية مرة أخرى، ولهذا، فقد تم تدوين هذه الشعائر في التلمود مع

---

1) السياسة الصهيونية تجاه مدينة القدس، عدنان أبو عامر، (ص 79) .
2) قبل الكارثة نذير ونفير، عبد العزيز كامل، (ص 263)- بتصرف .
3) المصدر السابق، (ص 264).

وصف دقيق للهيكل، ويتلو اليهود في صلواتهم أدعية من أجل إعادة بناء الهيكل، **ولكن الآراء تتضارب، مع هذا، حول مسألة موعد وكيفية بناء الهيكل في المستقبل**"[1] .

" **فالرأي الأول:** هو أنّ اليهود **يتعيَّن عليهم أن ينتظروا إلى أن يحلّ (العصر المشيحاني) بمشيئة الإله، وحينئذ يمكنهم أن يشرعوا في بنائه**، ومن ثم يجب ألا يتعجل اليهود الأمور ويقوموا بإعادة بنائه، فمثل هذا الفعل من قبيل الهرطقة، والتعجيل بالنهاية، ويذهب موشيه بن ميمون إلى أن الهيكل لن يُبنَى بأيد بشرية، كما يذهب راشي[2] إلى أن الهيكل الثالث سينزل كاملاً من السماء. **والرأي الثاني:** يذهب إلى النقيض من ذلك، **حيث يرى أن اليهود يتعيَّن عليهم إقامة بناء مؤقّت قبل العصر المشيحاني**، وأنه يحلّ لليهود دخول منطقة جبل موريا" [3].

ولكن، يتضح للباحث بأنّ هذا الخلاف الفقهي اليهودي لا يقلل من حجم الخطر الذي تمثله هذه العقيدة والتي ينبني عليها معظم أجزاء عقيدتهم في الأرض المقدّسة، وتشكّل خطراً داهماً ودائماً على المقدّسات والأرض في فلسطين، كما أنّ هذا الخلاف مبني على اتّفاق على الأصل الثابت، وهو وجوب إقامة الهيكل، عاجلاً أم آجلاً.

خلاصة المطلب:

أولا: إنّ من أهم عقائد اليهود في الأرض المقدّسة، هدم المسجد الأقصى وبناء (الهيكل الثالث) المزعوم على أنقاضه.

---

1) موسوعة اليهود، المسيري، (167/4) .

2) راشي (1040-1105م): اختصار لاسم الحاخام «رابي شلومو بن يتسحاق»، وهو من أشهر المعلقين والمفسرين الإشكناز للتلمود، وكان رئيس إحدى المدارس التلمودية، وقد وُلد راشي في فرنسا حيث اشتغل بتجارة الخمور، وكان ملماً بالمصادر الدينية اليهودية السابقة عليه وإن كان لا يشير إليها، وقد كتب تفسيراً لمعظم كتب العهد القديم، كما كتب تفسيراً للتلمود، وحقق نصه، وعرَّف مصطلحاته، وشرح مفرداته الصعبة، ويُعَدُّ هذا من أهم أعماله. **[** موسوعة المسيري، (158/5)- بتصرف **]** .

3) موسوعة اليهود، المسيري، (167/4)- بتصرف .

ثانياً: اعتنى العهد القديم بالهيكل عناية كبيرة، وحشد كتبة التوراة من دلائل قدسيته، وآيات مجده، ما يحمل اليهود على أن تهوي أفئدتهم نحو هذا الهيكل الوهمي، الذي لا وجود له إلاّ في فترات تاريخية محدودة، ولا سند له أصلاً سوى توراة اليهود المحرّفة.

ثالثاً: تناقضت مصادر اليهود في عقيدة الهيكل، كغيره من المعتقدات اليهودية، وتطاولت على الله ﷻ، ووصفته بما لا يليق بإله عظيم، كما حطّت من قدر نبي الله سليمان عليه السلام، واتّهمته بخاتمة الشرك، وظهر التناقض كذلك في وصف الهيكل، وفي عدم بقائه كما تعهّد الربّ، وفي الاختلاف في موعد إعادة بنائه من جديد.

رابعاً: اشتدّت الهجمة اليهودية على المسجد الأقصى في العصر الحديث، وهي في تصاعد مطّرد، وبات حاخامات اليهود يعلنون صراحة وبغطاء رسمي وبقوانين واضحة أنّهم يسعون إلى السيطرة على الحرم القدسي الشريف، وأنّهم بصدد الشروع في إقامة الهيكل الثالث.

خامساً: حشد اليهود المعاصرون – من خلال دولتهم ومن خلال جمعياتهم وأحزابهم الدينية– كل الإمكانات من أجل تحقيق الحلم الصهيوني في إقامة الهيكل المزعوم، وأنفقوا في سبيل ذلك الملايين، وشقوا الأنفاق، وصاغوا كل مؤامرة وصل إليها العقل اليهودي، من أجل الإجهاز على أقصى المسلمين وقدسهم، وهم يعتقدون بأنّهم في المراحل النهائية قبل إقامة هيكلهم.

المطلب الخامس:

فكرة المسيح عند اليهود وعلاقتها بالأرض المقدسة

يستعرض الباحث في هذا المطلب جزءاً من عقيدة اليهود في آخر الزمان، وهو ما يسمونه المسيح المخلّص أو (الماشيّح) ومدى علاقة هذه العقيدة بأرض فلسطين المباركة.

" إنّ اليهود وجدوا أنفسهم لا خيرة البشر كما زعموا، ولا صفوة الخلق كما أمّلوا، بل لم يجدوا أنفسهم في نفس المكانة التي ينعم بها الآخرون؛ وإنّما كانوا هدفاً للبلاء والنكبات، **ومن هنا اتّجه مفكروهم في عصورهم المتأخرة (أي بعد السبي البابلي) إلى مخلِّصٍ ومنقذٍ ينتشلهم من هذه الوهدة، ويضعهم في المكانة التي أرادوها، وأطلقوا على هذا المخلّص المسيح المنتظر**"[1] .

"وهذا الإنسان – في معتقد اليهود– **هو إنسان سماوي وكائن معجز خلقه الله قبل الدهور، وهو موجود في السماء إلى أن يحين موعد نزوله، ويمنحه الله قوّته عند نزوله، وسيظهر في صورة الإنسان، وإن كانت طبيعته تجمع بين الله والإنسان " !!** [2] .

فكرة المخلّص في العهد القديم:

من خلال استقراء الباحث لورود لفظة المخلّص ومشتقاتها في العهد القديم، فإنّ هذه اللفظة لها مدلولها واستخداماتها في التراث الفكري الديني اليهودي، المتمثل في توراتهم أساساً، وهذه الفكرة تكررت بلفظها أكثر من مائتي (200) مرّة في مواضع كثيرة من أسفار العهد القديم، على اختلاف مدلولات لفظتها ومصدرها.

فقد سمّت التوراة –مثلاً– القضاةَ مخلّصين، أرسلهم الربّ لـ(شعب إسرائيل) بعد أن كان قد غضب عليهم وسلّط عليهم قوماً آخرين، ومما جاء في ذلك: «... فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَدَفَعَهُمْ بِأَيْدِي نَاهِبِينَ نَهَبُوهُمْ، وَبَاعَهُمْ بِيَدِ أَعْدَائِهِمْ حَوْلَهُمْ، وَلَمْ يَقْدِرُوا بَعْدُ عَلَى الْوُقُوفِ أَمَامَ أَعْدَائِهِمْ. حَيْثُمَا

1) اليهودية، د. شلبي، (ص 210).

2) المصدر السابق، (ص 210)– بتصرف.

خَرَجُوا كَانَتْ يَدُ الرَّبِّ عَلَيْهِمْ لِلشَّرِّ، كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ وَكَمَا أَقْسَمَ الرَّبُّ لَهُمْ. فَضَاقَ بِهِمُ الأَمْرُ جِدًّا. **وَأَقَامَ الرَّبُّ قُضَاةً فَخَلَّصُوهُمْ مِنْ يَدِ نَاهِبِيهِمْ**» [1] .

وفي مواضع أخرى مخلّصون جدد، لذات السبب:

«... وَصَرَخَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ، **فَأَقَامَ الرَّبُّ مُخَلِّصًا** لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فَخَلَّصَهُمْ، عُثْنِيئِيلَ بْنَ قَنَازَ أَخَا كَالِبَ الأَصْغَرَ» [2].

«... وَصَرَخَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ، **فَأَقَامَ لَهُمُ الرَّبُّ مُخَلِّصًا** إِهُودَ بْنَ جِيرَا الْبَنْيَامِينِيَّ، رَجُلاً أَعْسَرَ. فَأَرْسَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِيَدِهِ هَدِيَّةً لِعِجْلُونَ مَلِكِ مُوآب[3].

«... وَكَانَ بَعْدَهُ شَمْجَرُ بْنُ عَنَاةَ، فَضَرَبَ مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ سِتَّ مِئَةِ رَجُل بِمِنْسَاسِ الْبَقَرِ. **وَهُوَ أَيْضًا خَلَّصَ إِسْرَائِيلَ**[4].

«... فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الرَّبُّ وَقَالَ: «اذْهَبْ بِقُوَّتِكَ هذِهِ **وَخَلِّصْ إِسْرَائِيلَ مِنْ كَفِّ مِدْيَانَ**. أَمَا أَرْسَلْتُكَ؟»[5].

وعندما يكفُر بنو إسرائيل ويتنكرون لأوامر الربّ يهددهم بعدم الخلاص، جاء ذلك في ذات سفر القضاة: « فَقَالَ الرَّبُّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَلَيْسَ مِنَ الْمِصْرِيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَبَنِي عَمُّونَ وَالْفِلِسْطِينِيِّينَ خَلَّصْتُكُمْ؟ وَالصِّيدُونِيُّونَ وَالْعَمَالِقَةُ وَالْمَعُونِيُّونَ قَدْ ضَايَقُوكُمْ فَصَرَخْتُمْ إِلَيَّ فَخَلَّصْتُكُمْ مِنْ أَيْدِيهِمْ؟ وَأَنْتُمْ قَدْ تَرَكْتُمُونِي وَعَبَدْتُمْ آلِهَةً أُخْرَى. **لِذلِكَ لاَ أَعُودُ أُخَلِّصُكُمْ.** اِمْضُوا وَاصْرُخُوا إِلَى الآلِهَةِ الَّتِي اخْتَرْتُمُوهَا، لِتُخَلِّصَكُمْ هِيَ فِي زَمَانِ ضِيقِكُمْ» [6] .

وقد استعمل كتبة التوراة (تابوت عهد الربّ) كرمز مخلّصٍ لبني إسرائيل من أعدائهم، وحكت التوراة أنّ معركة وقعت بين الفلسطينيين وبني إسرائيل زمن نبيّهم صموئيل، هُزم فيها بنو إسرائيل فعمدوا إلى جلب تابوت العهد إلى أرض المعركة من أجل تخليصهم من عدوّهم، «... فَجَاءَ الشَّعْبُ إِلَى الْمَحَلَّةِ. وَقَالَ شُيُوخُ إِسْرَائِيلَ: لِمَاذَا كَسَرَنَا الْيَوْمَ الرَّبُّ أَمَامَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ؟ لِنَأْخُذْ لأَنْفُسِنَا مِنْ شِيلُوهَ

---

1) قضاة 2 : 14 – 16 .

2) قضاة 3 : 9 .

3) قضاة 3 : 15 .

4) قضاة 3 : 31 .

5) قضاة 6 : 14 .

6) قضاة 10 : 11 – 14 .

تَابُوتَ عَهْدِ الرَّبِّ فَيَدْخُلَ فِي وَسَطِنَا وَيُخَلِّصَنَا مِنْ يَدِ أَعْدَائِنَا فَأَرْسَلَ الشَّعْبُ إِلَى شِيلُوهَ وَحَمَلُوا مِنْ هُنَاكَ تَابُوتَ عَهْدِ رَبِّ الْجُنُودِ ... » [1] .

والعجيب أن التابوت لم يخلِّصهم في هذه المعركة، بل إنهم هتفوا أخيراً: " **زال المجد من إسرائيل**"، إذ سرق الفلسطينيون التابوت المقدّس**!**[2] .

وأخيراً، أرسل الربّ – بحسب التوراة– **الملك** "**شاوُل**" **مخلّصاً لبني إسرائيل** من أيدي **الفلسطينيين**، « وَالرَّبُّ كَشَفَ أُذُنَ صَمُوئِيلَ قَبْلَ مَجِيءِ شَاوُلَ بِيَوْمٍ قَائِلاً: غَدًا فِي مِثْلِ الآنَ أُرْسِلُ إِلَيْكَ رَجُلاً مِنْ أَرْضِ بَنْيَامِينَ، فَامْسَحْهُ رَئِيسًا لِشَعْبِي إِسْرَائِيلَ، **فَيُخَلِّصَ شَعْبِي مِنْ يَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ**، لأَنِّي نَظَرْتُ إِلَى شَعْبِي لأَنَّ صُرَاخَهُمْ قَدْ جَاءَ إِلَيَّ» [3] .

كما سمّت التوراة داود عليه السلام **أيضاً مخلّصاً لبني إسرائيل**، جاء ذلك صريحاً في سفر صموئيل الثاني: « فَالآنَ افْعَلُوا، لأَنَّ الرَّبَّ كَلَّمَ دَاوُدَ قَائِلاً: إِنِّي بِيَدِ دَاوُدَ عَبْدِي **أُخَلِّصُ شَعْبِي إِسْرَائِيلَ** مِنْ يَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَمِنْ أَيْدِي جَمِيعِ أَعْدَائِهِمْ»[4] .

وفي التوراة –غير ما تقدّم– إشارات إلى أن **الخلاص هو للشعب المختار**، (شعب إسرائيل)، ومن ذلك دعاء داود عليه السلام: « **وَتُخَلِّصُ الشَّعْبَ الْبَائِسَ**، وَعَيْنَاكَ عَلَى الْمُتَرَفِّعِينَ فَتَضَعُهُمْ»[5] .

ومنها: « لأَنَّ اللهَ **يُخَلِّصُ صِهْيَوْنَ وَيَبْنِي مُدُنَ يَهُوذَا**، فَيَسْكُنُونَ هُنَاكَ وَيَرِثُونَهَا »[6] .

وفي سفر زكريا: « هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: هأَنَذَا **أُخَلِّصُ شَعْبِي مِنْ أَرْضِ الْمَشْرِقِ وَمِنْ أَرْضِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ**. وَآتِي بِهِمْ فَيَسْكُنُونَ فِي وَسَطِ أُورُشَلِيمَ، وَيَكُونُونَ لِي شَعْبًا، وَأَنَا أَكُونُ لَهُمْ إِلهًا بِالْحَقِّ وَالْبِرِّ»[7] .

---

1) صموئيل الأول 4 : 3 – 4 .

2) **انظر:** القصة في سفر صموئيل الأول، الإصحاحان 4 ، 5 .

3) صموئيل الأول 9 : 15 – 16 .

4) صموئيل الثاني 3 : 18 .

5) صموئيل الثاني 22 : 28 .

6) المزامير 69 : 35 .

7) زكريا 8 : 7 – 8 .

يلاحظ الباحث في هذا النص وأشباهه أنّ التوراة تحاول ربط الخلاص بأورشليم، في إيحاء واضح بأنّ خلاص القوم لا يكون إلا بالسيطرة على هذه المدينة.

وبعد عهد داود وسليمان عليهما السلام، **يبعث الربّ بمخلّصين للشعب أيضاً**، بنص التوراة: «**وَأَعْطَى الرَّبُّ إِسْرَائِيلَ مُخَلِّصًا**، فَخَرَجُوا مِنْ تَحْتِ يَدِ الأَرَامِيِّينَ. وَأَقَامَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي خِيَامِهِمْ كَأَمْسِ وَمَا قَبْلَهُ»[1].

وفي بعض أدعية التوراة، تجد مفهوم المخلّصين لبني إسرائيل، ومن ذلك: « فَدَفَعْتَهُمْ لِيَدِ مُضَايِقِيهِمْ فَضَايَقُوهُمْ. وَفِي وَقْتِ ضِيقِهِمْ صَرَخُوا إِلَيْكَ، وَأَنْتَ مِنَ السَّمَاءِ سَمِعْتَ، وَحَسَبَ مَرَاحِمِكَ الْكَثِيرَةِ **أَعْطَيْتَهُمْ مُخَلِّصِينَ خَلَّصُوهُمْ مِنْ يَدِ مُضَايِقِيهِمْ**»[2].

ويرد ذكر لفظ المخلّص المسيح في المزامير، ونصّه: « اَلآنَ عَرَفْتُ أَنَّ **الرَّبَّ مُخَلِّصُ مَسِيحِهِ**، يَسْتَجِيبُهُ مِنْ سَمَاءِ قُدْسِهِ، بِجَبَرُوتِ خَلاَصِ يَمِينِهِ»[3].

وفيها أيضاً مناجاة للربّ: « **خَلِّصْ شَعْبَكَ**، وَبَارِكْ مِيرَاثَكَ، وَارْعَهُم وَاحْمِلْهُم إِلَى الأَبَدِ»[4].

و تشير ترانيم التوراة إلى أن الخلاص يكون بجمع الشعب من بين الأمم، إذ جاء فيها: «**خَلِّصْنَا أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهُنَا، وَاجْمَعْنَا مِنْ بَيْنِ الأُمَمِ**، لِنَحْمَدَ اسْمَ قُدْسِكَ، وَنَتَفَاخَرَ بِتَسْبِيحِكَ» [5]، « آهِ يَا رَبُّ **خَلِّصْ**! آهِ يَا رَبُّ **أَنْقِذْ**! » [6].

ومن الإشارات الأكثر وضوحاً إلى المخلّص في آخر الزمان ما جاء في رؤيا النبي اشعياء حسب التوراة، **وجاء فيها ذكر لمشهد يبدو في آخر الزمان، فيه مشاهد لدمار الأرض، وتشققها وتبعثرها، وانسحاقها، ثم يتبعها ذكر الخلاص لشعب الربّ على يد (الإله المخلّص).**

---

1) الملوك الثاني 13 : 5 .
2) نحميا 9 : 27 .
3) المزامير 20 : 6 .
4) المزامير 28 : 9 .
5) المزامير 106 : 47 .
6) المزامير 118 : 25 .

يبدأ المشهد بقوله: «هُوَذَا الرَّبُّ يُخْلِي الأَرْضَ وَيُفْرِغُهَا وَيَقْلِبُ وَجْهَهَا وَيُبَدِّدُ سُكَّانَهَا» (1) .

ثمّ: « وَالأَرْضُ تَدَنَّسَتْ تَحْتَ سُكَّانِهَا لأَنَّهُمْ تَعَدَّوْا الشَّرَائِعَ، غَيَّرُوا الْفَرِيضَةَ، نَكَثُوا الْعَهْدَ الأَبَدِيَّ، لِذلِكَ لَعْنَةٌ أَكَلَتِ الأَرْضَ وَعُوقِبَ السَّاكِنُونَ فِيهَا، **لِذلِكَ احْتَرَقَ سُكَّانُ الأَرْضِ وَبَقِيَ أُنَاسٌ قَلاَئِلُ**» (2) .

ثمّ: «**اِنْسَحَقَتِ الأَرْضُ انْسِحَاقًا، تَشَقَّقَتِ الأَرْضُ تَشَقُّقًا، تَزَعْزَعَتِ الأَرْضُ تَزَعْزُعًا** ... وَيَكُونُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ الرَّبَّ يُطَالِبُ جُنْدَ الْعَلاَءِ فِي الْعَلاَءِ، وَمُلُوكَ الأَرْضِ عَلَى الأَرْضِ .وَيُجْمَعُونَ جَمْعًا كَأَسَارَى فِي سِجْنٍ، وَيُغْلَقُ عَلَيْهِمْ فِي حَبْسٍ، ثُمَّ بَعْدَ أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ يَتَعَهَّدُونَ. وَيَخْجَلُ الْقَمَرُ وَتُخْزَى الشَّمْسُ، **لأَنَّ رَبَّ الْجُنُودِ قَدْ مَلَكَ فِي جَبَلِ صِهْيَوْنَ وَفِي أُورُشَلِيمَ، وَقُدَّامَ شُيُوخِهِ مَجْدٌ**» (3) .

ثم يجيء الخلاص لشعب الربّ: « وَيُفْنِي فِي هذَا الْجَبَلِ وَجْهَ النِّقَابِ، النِّقَابِ الَّذِي عَلَى كُلِّ الشُّعُوبِ، وَالْغِطَاءَ الْمُغَطَّى بِهِ عَلَى كُلِّ الأُمَمِ .يَبْلَعُ الْمَوْتَ إِلَى الأَبَدِ، وَيَمْسَحُ السَّيِّدُ الرَّبُّ الدُّمُوعَ عَنْ كُلِّ الْوُجُوهِ، **وَيَنْزِعُ عَارَ شَعْبِهِ عَنْ كُلِّ الأَرْضِ، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ تَكَلَّمَ. وَيُقَالُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ: هُوَذَا هذَا إِلهُنَا. انْتَظَرْنَاهُ فَخَلَّصَنَا .هذَا هُوَ الرَّبُّ انْتَظَرْنَاهُ.** نَبْتَهِجُ وَنَفْرَحُ بِخَلاَصِهِ» (4) .

والمسيح المنتظر عجيب كما يصفه اشعياء: « لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى **اسْمُهُ عَجِيبًا، مُشِيرًا، إِلهًا قَدِيرًا، أَبًا أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلاَمِ.** لِنُمُوِّ رِيَاسَتِهِ، وَلِلسَّلاَمِ لاَ نِهَايَةَ عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ وَعَلَى مَمْلَكَتِهِ، لِيُثَبِّتَهَا وَيَعْضُدَهَا بِالْحَقِّ وَالْبِرِّ، مِنَ الآنَ إِلَى الأَبَدِ. غَيْرَةُ رَبِّ الْجُنُودِ تَصْنَعُ هذَا» (5) .

وفي سفر اشعياء يتكرر ربط البشرى بالخلاص بمدينة أورشليم: « هُوَذَا الرَّبُّ قَدْ أَخْبَرَ إِلَى أَقْصَى الأَرْضِ، قُولُوا لابْنَةِ صِهْيَوْنَ (أي أورشليم): **هُوَذَا مُخَلِّصُكِ آتٍ،** هَا أُجْرَتُهُ مَعَهُ وَجِزَاؤُهُ أَمَامَهُ وَيُسَمُّونَهُمْ: "شَعْبًا مُقَدَّسًا"، "مَفْدِيِّي الرَّبِّ" وَأَنْتِ تُسَمَّيْنَ: "الْمَطْلُوبَةَ"، **"الْمَدِينَةَ غَيْرَ الْمَهْجُورَةِ" »** (6) .

---

1) اشعياء 24 : 1 .
2) اشعياء 24 : 5 – 6 .
3) اشعياء 24 : 19 – 23 .
4) اشعياء 25 : 7 – 9 .
5) اشعياء 9 : 6 – 7 .
6) اشعياء 62 : 11 – 12 .

وارتبطت فكرة الخلاص أيضاً في العهد القديم بحادث السبي الكبير، فيجد الباحث أنّ النبي ارمياء مثلاً يكثر من التذكير بالعودة، وينقل باسم الربّ وعوداً بالخلاص الأبدي لشعبه المنفي، تصريحاً وتلميحاً، ومما جاء في ذلك: « أَمَّا أَنْتَ يَا عَبْدِي يَعْقُوبَ فَلاَ تَخَفْ، يَقُولُ الرَّبُّ، وَلاَ تَرْتَعِبْ يَا إِسْرَائِيلُ، **لأَنِّي هأَنَذَا أُخَلِّصُكَ مِنْ بَعِيدٍ**، وَنَسْلَكَ مِنْ أَرْضِ سَبْيِهِ، فَيَرْجعُ يَعْقُوبُ وَيَطْمَئِنُّ وَيَسْتَرِيحُ وَلاَ مُزْعِجَ. لأَنِّي أَنَا مَعَكَ، يَقُولُ الرَّبُّ، **لأُخَلِّصَكَ. وَإِنْ أَفْنَيْتُ جَمِيعَ الأُمَمِ الَّذِينَ بَدَّدْتُكَ إِلَيْهِمْ**، فَأَنْتَ لاَ أُفْنِيكَ، بَلْ أُؤَدِّبُكَ بِالْحَقِّ، وَلاَ أُبَرِّئُكَ تَبْرِئَةً» (1) .

وللتدليل على مدى ارتباط هذه الفكرة بالسبي، **تجد أن اشعياء قد اطلق اسم "مسيح الربّ" على ملك الفرس "قورش" الذي سمح بعودة اليهود إلى فلسطين**، إذ جاء في سفر اشعياء ما نصّه: « **هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ لِمَسِيحِهِ، لِكُورَشَ** الَّذِي أَمْسَكْتُ بِيَمِينِهِ لأَدُوسَ أَمَامَهُ أُمَمًا، وَأَحْقَاءَ مُلُوكٍ أَحُلُّ، لأَفْتَحَ أَمَامَهُ الْمِصْرَاعَيْنِ، وَالأَبْوَابُ لاَ تُغْلَقُ» (2) .

أما دانيال فقد رأى في منامه المسيح " ابن إنسان": « كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ **ابْنِ إِنْسَانٍ** أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ، فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ» (3) .

أما عن نهاية الزمان، فإنّ المسيح المنتظر المخلّص هذا، سيحكم العالم من أورشليم، وفق ما يُفهم صراحة من نصّ العهد القديم في رؤيا اشعياء التي جاء فيها أيضاً:« **وَيَكُونُ فِي آخِرِ الأَيَّامِ أَنَّ جَبَلَ بَيْتِ الرَّبِّ يَكُونُ ثَابِتًا فِي رَأْسِ الْجِبَالِ**، وَيَرْتَفِعُ فَوْقَ التِّلاَلِ، وَتَجْرِي إِلَيْهِ كُلُّ الأُمَمِ. وَتَسِيرُ شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ، وَيَقُولُونَ: هَلُمَّ نَصْعَدْ إِلَى جَبَلِ الرَّبِّ، إِلَى بَيْتِ إِلهِ يَعْقُوبَ، فَيُعَلِّمَنَا مِنْ طُرُقِهِ وَنَسْلُكَ فِي سُبُلِهِ؛ **لأَنَّهُ مِنْ صِهْيَوْنَ تَخْرُجُ الشَّرِيعَةُ، وَمِنْ أُورُشَلِيمَ كَلِمَةُ الرَّبِّ**»(4) .

---

1) ارمياء 30 : 10 – 11 .

2) اشعياء 45 : 1 .

3) دانيال 7 : 13 .

4) اشعياء 2 : 2 – 3

مناقشة فكرة الماشيّح المخلّص:

بعد استعراض جانب من فكرة المخلّص في توراة اليهود، اتّضح بالفعل أنّها ظهرت متأخرة في الفكر اليهودي، أي بعد السبي البابلي والخضوع للفرس، الأمر الذي حدا ببعض الباحثين إلى القول بأنّ فكرة المنقذ المخلّص استعارها اليهود من الفرس[1].

يقول الدكتور المسيري: " **وأصل عقيدة الماشيَّح المخلِّص فارسية بابلية**، فالديانة الفارسية ديانة حلولية ثنوية تدور حول صراع الخير والشر (إله النور وإله الظلام) صراعاً طويلاً ينتهي بانتصار الخير والنور، وقد بدأت هذه العقيدة تظهر أثناء التهجير البابلي، ولكنها تدعّمت حينما رفض الفرس إعادة الأسرة الحاكمة اليهودية إلى يهودا" [2].

"ويكاد المعلّقون على تلك النصوص التوراتية يتفقون على أن مبعثها إنما كان تعصّباً قومياً ضيق الأفق، شديد الحقد، وتعلقاً بفكرة الحق الإلهي في السلطة (الثيوقراطية) شديدة الغيرة، وتعطّشاً لمغانم مادية ضخمة، كل ذلك ينبثق من حضيض الخوف والدمار ليخلق صورة ساحرة تداعب عواطف هؤلاء الموتورين"[3] .

ويرى كثير من اليهود أن النبي "إيليا"[4]، سيأتي آخر الزمان مبشراً بقدوم المسيح، إذ بقي هذا النبي من الأركان الغيبية في الفكر اليهودي، وكثر الحديث عنه في التلمود والمدراش وفي كتب التصوف اليهودي، واعتبر في نظر كثير من اليهود مساوياً لموسى عليه السلام، و سيأتي في آخر

---

1) انظر: اليهودية، د. شلبي، (ص 211) .

2) موسوعة اليهود، المسيري، (5/ 295) .

3) الفكر الديني الإسرائيلي، حسن ظاظا، (ص 113)- بتصرف يسير.

4) ايليا: وتعني: "إلهي يهوه" وهو بحسب التوراة رجل من مستوطني جلعاد يدعى "التّشبي" نسبة إلى قريته، وهو من أعظم الأنبياء، أرسل إلى آخاب ملك إسرائيل لينذره وبني إسرائيل، فعاداه الملك، مكث خمس عشرة سنة نبياً، وله أحوال وكرامات عجيبة، ورفع إلى السماء بطريقة عجيبة **[انظر**: قاموس الكتاب المقدّس، جورج بوست، (1/185 - 186) **]** .

الزمان ليطمئن على أحوال اليهود وأنهم ما زالوا على الأرض يقيمون الطقوس والشعائر والأعياد حسب ما تقرر عليهم منذ القدم[1] .

وسبب اعتقاد اليهود في هذا النبي هو أحواله ومعجزاته العجيبة التي انتهت بقصة رفعه إلى السماء الواردة في سفر الملوك الأول والثاني[2]، والتي كان آخرها: « وَفِيمَا هُمَا يَسِيرَانِ وَيَتَكَلَّمَانِ إِذَا مَرْكَبَةٌ مِنْ نَارٍ وَخَيْلٌ مِنْ نَارٍ فَصَلَتْ بَيْنَهُمَا، **فَصَعِدَ إِيلِيَّا فِي الْعَاصِفَةِ إِلَى السَّمَاءِ** »[3] .

ويعتمد مفسرو اليهود عند الحديث عن قدوم النبي ايليا على ما ورد في سفر ملاخي: «هأَنَذَا أُرْسِلُ مَلاَكِي فَيُهَيِّئُ الطَّرِيقَ أَمَامِي. وَيَأْتِي بَغْتَةً إِلَى هَيْكَلِهِ السَّيِّدُ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ، **وَمَلاَكُ الْعَهْدِ** الَّذِي تُسَرُّونَ بِهِ. هُوَذَا يَأْتِي، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ»[4] ، فيقولون بأن (ملاك العهد) المذكور هو النبي ايليا[5] .

"**وقد ساد اعتقاد لدى غالبية اليهود بأنّ قيام ما يسمى بدولة (إسرائيل) للمرة الثانية على أرض فلسطين هو من أجل خروج المسيح المنتظر الذي تنتظره اليهود**، وهو الملك اليهودي المنتظر"[6] .

"ذلك الملك اليهودي المخلّص ستكون مهمّته العالمية هي فداء (شعب إسرائيل)، وإنقاذه من حياة المنفى، وإعادته إلى أورشليم، ليفرض منها الحكم على كل أمم الأرض بشريعة صهيون"[7] .

"ومرّت فترة طويلة دون أن يجيء المسيح الذي ينتظره اليهود، وانتهز بعض اليهود هذه الفرصة، فادّعى كل منهم أنه المسيح، و يسجّل التاريخ أخباراً لمسيح كاذب بين حين وآخر" [8].

---

1) انظر: الفكر الديني الإسرائيلي، حسن ظاظا (ص 123، 126) .

2) انظر: المصدر السابق، (ص 122) .

3) الملوك الثاني 2 : 11 .

4) ملاخي 3 : 1 .

5) انظر: الفكر الديني الإسرائيلي، حسن ظاظا (ص 126، 127) .

6) هرمجدون ونهاية أمريكا وإسرائيل .. قراءة في نبوءات الكتب المقدّسة، منصور عبد الحكيم وَ الحسيني الحسيني معدي، دار الكتاب العربي/دمشق، ط1، 2007م، (ص 13)- بتصرف .

7) المسيح اليهودي ونهاية العالم، رضا هلال، (ص 218)- بتصرف.

8) اليهودية، د. شلبي، (ص 214) .

ومن أشهر هؤلاء الذين ادّعوا (الماشيحانية) في تاريخ اليهود:

1) ثيوداس[(1)]:

" ظهر سنة 44م، فاتّبعه جمهور كبير من اليهود، وأراد أن يستغلّهم لصالحه سياسياً، فاجتمع بهم على نهر الأردن، وادّعى أنه سيفلق ماء النهر كموسى ﷺ، ليعبر هو والشعب معه، فعلم بأمره الحاكم العسكري الروماني للمنطقة، فأرسل كتيبة من الفرسان فقتلت من هؤلاء اليهود عدداً كبيراً، وقطعت رأس هذا المسيح وحملته معها إلى قائدها"[(2)] .

2) بركوخبا:

تزعم التمرد اليهودي الثاني ضد الرومان، وأعلن الجهاد المقدّس ضدهم نحو عام 130م، و قد ادّعى لنفسه – أو ادّعى له أتباعه– بأنه المسيح المخلّص المنتظر، ولكن بعد فشل ثورته وتسببها في سحق اليهود وطردهم من فلسطين تبين لليهود أنه كذّاب، فاستبدلوا اسمه بـ "بركوزيبا"، أي: ابن المخادع أو الكذاب[(3)] .

3) أبو عيسى الأصفهاني[(4)]:

ادّعى أنه الماشيّح المنتظر، زمن الدولة العباسية، وقال بأنّ العودة إلى فلسطين لن تتم إلا على أسنّة الرماح، وعليه فقد أعدّ جيشاً قوامه عشرة آلاف جندي يهودي، وأعلن أنه الذي سيحرِّر اليهود من الأغيار، وأن هناك خمسة أنبياء سبقوا ظهور الماشيَّح، وأنّه هو خاتم المرسلين، وقام بتمرد ضد الدولة العباسية، سرعان ما تم إخماده، وتم ضرب جيشه بقوة، وقد قتل أبو عيسى أو

---

1) **ثيوداس:** يشير إليه الكتاب المقدس في موضع واحد في سفر أعمال الرسل (5 : 36) باسم "ثوداس"، و يشير الكتاب المقدّس إلا أنه كذّاب، وقد انقاد إليه أربعمائة رجل من العصاة، فهلكوا عن آخرهم، ويذكر أن رجلاً آخر بنفس الاسم أيضاً ظهر بعد عشر سنين من هذا في نهاية عصر الملك هيرودوس **[انظر:** قاموس الكتاب المقدّس، جورج بوست، (305/1) **]** .

2) الفكر الديني الإسرائيلي، حسن ظاظا (ص 131) .

3) **انظر:** المصدر السابق، (ص 133 – 134)، **أيضاً:** موسوعة اليهود، المسيري، (4/ 230) .

4) **أبو عيسى الأصفهاني:** عاش في القرن الثامن الميلادي، اسمه الحقيقي إسحق بن يعقوب، وهو من مواليد أصفهان، ويُعتبَر مؤسس فرقة يهودية في فارس، وهي أولى الفرق بعد هدم الهيكل الثاني، عاش على ما يبدو في زمن الخليفة العباسي المنصور **[انظر:** موسوعة اليهود، المسيري، (5/ 297– 298) **]** .

فرّ، ولكنّ اليهود ادّعوا أنه لم يقتل وإنما دخل كهفاً واختفى، كما تداولوا بعض القصص عن المعجزات التي أتى بها[1].

4) داود الرائي[2]:

ظهر إبّان الحروب الصليبية، التي رسمت في مخيلة بعض اليهود إمكانية العودة لاحتلال القدس وفلسطين، وحاول داود الرائي تجميع اليهود من أجل غزو فلسطين، واستجاب له عدد كبير، مستندين إلى دعواه بالماشيحانية، وشكّل جيشاً من المتطوعين اليهود مبشّراً لهم بأنّ ساعة الخلاص قد حانت، ووعدهم بأنه سينقلهم إلى القدس ليلاً على أجنحة الملائكة، و حاول أن يقوم بهجوم ضد المسلمين في بلدة آمد[3]، لكن قوات المسلمين فتكت به وبجيشه، وفي نهاية الأمر قتله والد زوجته بعد أن تقاضى مكافأة من حاكم المدينة، وبعد مقتله تحوَّل إلى أسطورة حافلة بالخوارق والمعجزات الخرافية[4].

5) شبتاي تسفي[5]:

ظهر في القرن السابع عشر، في ظل معاناة اليهود في أوروبا، وساورته نفسه أن يعلن أنه المسيح المنتظر، فطاف في البلاد عابداً متنسكاً مروجاً لقرب ظهور المسيح –تمهيداً لنفسه–

---

1) **انظر**: اليهودية، د. شلبي، (ص 215)، **أيضاً**: موسوعة اليهود، المسيري، (5/ 298) .

2) **داود الرائي**: عاش في القرن الثاني عشر الميلادي، هو داود بن سليمان، ويُدعى أيضاً داود الرائي (أو الروحي)، سمَّى هو نفسه مناحِّم، أي «المواسِّي»، وهو أحد الألقاب التي كانت تُطلَق على الماشيَّح، وهو من مواليد مدينة آمد في إقليم كردستان سنه 1135م، درس التوراة والمدراش والمشناه، كما أتقن علوم العرب التي كانت مزدهرة آنذاك وتعلَّم فنون السحر والتصوف اليهودية. وفي شمال شرق القوقاز، بدأت دعوته المشيحانية بين يهود الجبال [موسوعة اليهود، المسيري، (5/ 298)– بتصرف يسير].

3) **آمد**: مدينة من كور الجزيرة من أعمال الموصل والجزيرة ما بين دجلة والموصل، وآمد بمقربة من ميافارقين فتحها عياض بن غنم بعد قتال على مثل صلح الرها [الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد الحِميري، (ص3)] .

4) **انظر**: الفكر الديني الإسرائيلي، حسن ظاظا، (ص 138–139)، **أيضاً**: موسوعة اليهود، المسيري، (299/5).

5) **شبتاي زيفي(1626 – 1676م)**: ماشيَّح دجال، وُلد في أزمير لأب يشتغل بالتجارة، درس التوراة والتلمود، واستغرق في دراسة القبَّالاه، كانت حياته النفسية غير سوية، وقام إشكنازي تسفي بخرق الشريعة عامداً عام 1648م، فأعلن أنه الماشيَّح، ونطق باسم يهوه (الأمر الذي تحرمه الشريعة اليهودية)، وأعلن بطلان سائر النواميس والشريعة المكتوبة والشفوية لتأكيد مشيحانيته [موسوعة اليهود، المسيري، (300/5 – 301)– بتصرف] .

وبالفعل، فقد دخل شبتاي القدس في مايو عام 1665م، وأعلن أنه المتصرف الوحيد في مصير العالم كله، وركب فرساً (كما هو متوقع من الماشيَّح) وطاف مدينة القدس سبع مرات هو وأتباعه، وأعلن عام 1666م أنه سيذهب إلى تركيا ويخلع السلطان[1] .

وكانت نهاية شبتاي أن ألقى الخليفة العثماني القبض عليه وألقاه في السجن، ثم حكم عليه بالإعدام وتحداه إن كان هو المسيح المنتظر –كما يدّعي– أن يوقف الرصاص من أن ينطلق إليه، وإلا فليعلن على الملأ أنّه كاذب مقابل نجاته من الإعدام، فاختار السلامة واعترف بكذبه[2] .

خلاصة المطلب:

أولاً: نزع اليهود إلى فكرة المسيح المنتظر بعدما حلّ بهم التشتت والتشرذم، وحاول زعماؤهم الدينيون قديماً وحديثاً أن يربطوهم بالأرض المقدّسة من خلال فكرة المسيح المخلّص لشعب الربّ.

ثانياً: أصّلت توراة اليهود لقضية المسيح المخلّص المنتظر من خلال طرح فكرة المخلّص بإسهاب في نصوص العهد القديم، سواءً كان هذا المخلّص نبياً أو ملكاً أنقذ بني إسرائيل من أزماتهم ومصائبهم التي حلّت عليهم زمن سيطرتهم على الأرض المقدّسة في الماضي، أو كان هذا المخلّص كائناً غيبياً منتظراً في المستقبل ليجمع أشتات اليهود في صهيون.

ثالثاً: لم تزل فكرة المسيح تراود اليهود جيلاً بعد جيل، وظهر فيهم الكثير من (المسحاء) الدجّالين، ووجدوا لهم من الأتباع الكثيرين.

رابعاً: ارتبطت النزعة الماشيحانية بالأوضاع السياسية التي عاشها اليهود في العالم عبر القرون، وهذا يضيف مظهراً جديداً من مظاهر الخلط الكبير والاضطراب والتناقض غير المحدود الذي انتاب الديانة اليهودية عبر العصور.

---

1) **انظر**: اليهودية، د. شلبي، (ص 215)، **أيضاً**: موسوعة اليهود، المسيري، (301/5).

2) **انظر**: اليهودية، د. شلبي، (ص 218) .

الفصل الثاني

عقيدة النصارى في الأرض المقدّسة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: العوامل المؤثرة على العقيدة النصرانية

المبحث الثاني: عقيدة النصارى في الأرض المقدسة والردّ عليهم

المبحث الثالث: آثار العقيدة النصرانية في الأرض المقدسة

المبحث الأول:

العوامل المؤثرة على العقيدة النصرانية

ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مصادر الفكر النصراني

المطلب الثاني: المؤثرات والظروف الموضوعية

المطلب الثالث: مناقشة مصادر العقيدة النصرانية

المطلب الأول:

مصادر الفكر النصراني

يعتمد النصارى في عقيدتهم على مصادر مختلفة، تشكل أساساً للفكر الديني لديهم، وهي – بنظر الباحث– تعجّ –كمصادر اليهود– بالتناقضات والاختلاف والتعارض، كما سنرى في هذا المبحث.

وتتمثل مصادر الفكر النصراني في عدة أمور، وهي:

أولاً: **العهد القديم**:

إذ إنّ النصارى يؤمنون بالعهد القديم، ويعتبرونه مقدّساً، وقد وقعوا بسبب ذلك في إشكال، إذ هو –أي العهد القديم– كتاب أعدائهم اليهود، لكنهم اضطروا للأخذ به، وحاولوا أن يجدوا فيه دليلاً على ألوهية المسيح، وعمدوا إلى التغيير والتبديل فيه بما يتناسب مع عقيدتهم[1] .

والنصارى هم الذين أطلقوا اسم "العهد القديم" على التوراة بأسفارها التسعة وثلاثين، للتفرقة بينها وبين "العهد الجديد"، وقد اعتنى النصارى بالعهد القديم فترجموه إلى الكثير من اللغات[2] .

وفي إيمانهم بالعهد القديم تفصيل، " **فالنصارى الكاثوليك** الروم، **والأرثوذكس**، يؤمنون بما جاء في الترجمتين اللاتينية القديمة واليونانية، مع اختلاف طفيف بينهم في عدد الأسفار التي لا يقدّسها الأرثوذكس ويشكّون فيها، ويسلّم بها الروم الكاثوليك، وهي أسفار: (باروخ، والمكابيين الأول، والثاني)، وبهذا يسلّم الكاثوليك بستة وأربعين **(46)** سفراً من العهد القديم، **أما البروتستانت** فإنّهم لا يسلّمون سبعة أسفار من بين أسفار العهد القديم الذي يؤمن به الكاثوليك، وهي: **(**طوبيا، ويهوديت، والحكمة، وباروخ، والمكابيين الأول والثاني، وكهنوت عيسى بن سيراخ**)**"[3] .

---

1) انظر: مقارنة الأديان "2"– المسيحية، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة/القاهرة، ط10، 1998م، (ص 204).

2) انظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي وافي، (ص 13، 22).

3) في مقارنة الأديان.. بحوث ودراسات، د. محمد الشرقاوي، (ص 24)– بتصرف يسير.

ثانياً: **العهد الجديد**:

ويطلق العهد الجديد على الإنجيل، أو مجموعة الأناجيل، وهو كتاب النصارى المباشر، وهو يفسر ويوجّه ما في التوراة ليوافق اعتقاد النصارى، وكلمة "إنجيل" كلمة يونانية بمعنى **(حلوان)**، وهو ما تعطيه لمن أتاك ببشرى، ثم ما لبثت أن أطلقت على الكتاب الذي يحتوي البشرى، أي العهد الجديد[1] .

"ويقدّس النصارى جميعاً –إلى جانب أسفار العهد القديم– أسفار العهد الجديد، ويتكون العهد الجديد من سبعة وعشرين **(27)** سفراً أقرّها علماء النصارى، من بين عشرات الكتب الأخرى المماثلة لها، وذلك في القرن الخامس الميلادي"[2] .

"وترجع أسفار العهد الجديد إلى ثلاث مجموعاتٍ وسِفرَين، **فالمجموعات هي:** «مجموعة الأناجيل»؛ وعددها أربعة، و«مجموعة رسائل بولس[3]»؛ وعددها أربع عشرة رسالة، و«مجموعة الرسائل الكاثوليكية»؛ وعددها سبع رسائل، **وأما السفران، فهما:** سفر «أعمال الرسل» لـ **(لوقا)**[4]،

---

1) انظر: المسيحية، د. شلبي، (ص 204).

2) مقارنة الأديان، د. محمد الشرقاوي، (ص 25)– بتصرف يسير.

3) بولس: ولد في طرطوس من أعمال المملكة الرومانية، وكان يهودياً من الفريسيين على الأرجح، واسمه العبراني شاول، تعلم اليهودية منذ صغره، وكان من ألدّ أعداء المسيحية من اليهود، وشارك في اضطهادهم، ويزعم الكتاب المقدّس أن يسوع (المسيح) ظهر له في عمود من نور فآمن به بولس وأصبح من مبشري المسيحية، وأطلق عليه لقب: "حواري المسيح إلى الأمم الكافرة"، وأوجس الحواريون منه خيفة حين زعم لقاء يسوع، ولكن برنابا (أحد التلاميذ) شهد له وأصبح رفيقاً له في نشر المسيحية، وينسب لبولس 14 سفراً من العهد الجديد **[انظر:** قاموس الكتاب المقدس، جورج بوست، (1/257– 259)، **أيضاً:** الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي وافي، (ص 81– 82) **]** .

4) لوقا: لم يتفق الباحثون على مكان ميلاده ولا مهنته، فقيل ولد بأنطاكية وقيل بل هو روماني ولد بإيطاليا. ذكر الكتاب المقدس أنه كان طبيباً، وقيل بل كان مصوّراً، رافق بولس في بعض أسفاره للتبشير بالمسيحية فكان رفيقاً له أو تلميذا، ووقع بينهما اختلاف، ثم أُسر لوقا وأُخذ إلى رومية، وانتهى ذكره بعد ذلك، والمتفق عليه أنه ليس من تلاميذ المسيح ولا من تلاميذ حوارييه، يُنسب إلى لوقا إنجيل من الأناجيل الأربعة هو إنجيل لوقا، وسفر أعمال الرسل **[انظر:** قاموس الكتاب المقدس، جورج بوست، (1/257– 259)، **أيضاً:** محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي/ القاهرة، ط3، 1381هـ/1961م، (ص 49) **]** .

وسفر « رؤيا يوحنا» ليوحنا[1] " [2].

قال الشيخ محمد أبو زهرة[3] –رحمه الله–: "**ومكان الأناجيل في النصرانية مكان القطب والعماد، وإذا كانت شخصية المسيح وما حاطوها به من أفكار هي شعار المسيحية، فإن هذه الأناجيل هي المشتملة على أخبار تلك الشخصية،** من وقت الحمل إلى وقت صلبه في اعتقادهم، وقيامته من قبره بعد ثلاث ليال، ثم رفعه أربعين ليلة، وهي بهذا تشتمل على عقيدة ألوهية المسيح في زعمهم، والصلب والفداء، أي أنّها تشتمل على لبّ المسيحية في نظرهم بعد المسيح ومعناها"[4]

"وتمثل الأناجيل الأربعة المعتمدة أهم مجموعات العهد الجديد، وتستأثر وحدها في هذا العهد حيزاً كبيراً يقرب من نصفه"[5] .

أما الأناجيل الأربعة التي يتضمنها العهد الجديد، فسيتطرق لها الباحث بشيء من البيان الموجز، وهي على النحو التالي:

---

1) يوحنا: من كبار حواريي المسيح الاثني عشر، وكان أبوه "زبدى" من السابقين الأولين إلى المسيحية ومن كبار دعاتها، وكانت أمّه "سالومي" قديسة كبيرة ورد ذكرها في الأناجيل، وقيل أن يوحنا كان أحب الحواريين إلى المسيح وأقربهم إلى قلبه، وكانت مهنته صيد الأسماك، ووقف جهوده بعد اعتناق المسيحية على نشرها، توفي بين عامي 98 و 100م، وينسب إليه إنجيل من الأناجيل الأربعة وهو آخرها تأليفاً، وأربعة أسفار أخرى من العهد الجديد، ويذكر بعض محققي النصارى بأنّ نسبة هذا الإنجيل ليوحنا الحواري هي نسبة باطلة **[** الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي وافي، (ص 78– 79)– بتصرف، **انظر أيضاً:** محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، (ص 51) **]** .

2) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي وافي، (ص 86).

3) محمد أبو زهرة (1316–1394هـ): هو الإمام محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد بن عبد الله، ولد في المحلة الكبرى في مصر، بدأ حياته التعليمية في الكتّاب، أزهري، حافظ للقرآن، عمل في القضاء الشرعي، وتدرج في مراتب التدريس، واختير عضواً في مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر عام 1962م، ترك ثروة كبيرة من العلوم الشرعية والمؤلفات في مختلف مناحي الشريعة **[انظر:** ترجمة الناشر(محمد محمود الخضري) للشيخ أبو زهرة، في مقدمة كتاب دراسات في الأديان الذي يجمع ما كتبه الشيخ في الأديان، دار الكتاب العربي/القاهرة، ط(بدون)، (ص 3– 4) **]**.

4) محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، (ص 41) .

5) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي وافي، (ص 86).

1) إنجيل متّى[1]:

كاتبه هو "متّى" أحد تلاميذ المسيح عليه السلام، الذي اختاره المسيح تلميذاً كما نصّ الإنجيل: «وَفِيمَا يَسُوعُ مُجْتَازٌ مِنْ هُنَاكَ، رَأَى إِنْسَانًا جَالِسًا عِنْدَ مَكَانِ الْجِبَايَةِ، **اسْمُهُ مَتَّى.** فَقَالَ لَهُ: اتْبَعْنِي، فَقَامَ وَتَبِعَه ... فَلَمَّا نَظَرَ الْفَرِّيسِيُّونَ قَالُوا لِتَلاَمِيذِهِ: لِمَاذَا يَأْكُلُ مُعَلِّمُكُمْ مَعَ الْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ؟ فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ قَالَ لَهُمْ: لاَ يَحْتَاجُ الأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى .فَاذْهَبُوا وَتَعَلَّمُوا مَا هُوَ: إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لاَ ذَبِيحَةً، لأَنِّي لَمْ آتِ لأَدْعُوَ أَبْرَارًا بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ»[2].

وكتب متّى إنجيله بالعبرانية، أو السريانية، أو الآرامية الفلسطينية، **على خلاف كبير في ذلك**، ولكن أقدم نسخة عُرفت كانت باليونانية، **واختُلف في تاريخ تدوينه اختلافاً كبيراً، كما اختُلف فيمن قام بترجمته إلى اليونانية**[3] .

"وتوحي محتويات إنجيل متّى بأنه امتداد للعهد القديم بشكل ما، فقد كُتب ليُثبت بأن المسيح عليه السلام جاء مكمّلاً لتاريخ بني إسرائيل، وكثيراً ما يستشهد كاتب السفر بفقرات من العهد القديم وبنبوءاته، ويشير إلى أنّ المسيح يتصرف كالمسيح الذي ينتظره اليهود"[4] .

2) إنجيل مرقص[5]:

---

1) **متّى:** أي: عطية الله، أحد الحواريين الاثني عشر، كان اسمه قبل الرسولية "لاوي" وكان قبل اتّصاله بالمسيح من جباة الضرائب للرومان في الجليل بفلسطين، وكان اليهود يحتقرون مهنة جمع الضرائب، وينسب إليه إنجيل متّى، وقيل بأنه قتل في أثيوبيا عام 70م **[انظر:** قاموس الكتاب المقدّس، جورج بوست، (308/2 – 309) **].**

2) متّى 9 : 9 – 13 .

3) **انظر:** محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، (ص 45– 46)، **أيضاً:** الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي وافي، (ص 86– 87).

4) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، (ص 80)– بتصرف.

5) **مرقص:** اسمه يوحنا، وهو بحسب الكتاب المقدس يهودي يرجح أنه ولد في (أورشليم)، ويرجح أن مرقص من تلاميذ بطرس، ويُظن أن مرقص هو الشاب الذي تبع المسيح ليلة تسليمه، رافق مرقص بولس وبرنابا (خاله) في رحلتهم التبشيرية الأولى، ينسب له تأسيس (الكرازة المرقصية) في الإسكندرية بمصر، يُنسب له انجيل مرقص المعتمد ضمن الأناجيل الأربعة، قتل على الأرجح عام 67م في مصر **[انظر:** قاموس الكتاب المقدّس، جورج بوست، (326/2 – 327) **].**

مؤلفه القدّيس "مرقص"، أحد التلاميذ السبعين الذين اختارهم المسيح ﷺ –حسب الكتاب المقدّس– لنشر دعوته إلى جانب الحواريين، **واختُلف في نسبته الكاملة لمرقص، فقيل بأنه قد كتبه تحت إشراف بطرس**[1] رئيس الحواريين، وقد نسبه بعض مؤرخي النصرانية إلى بطرس ذاته، وهذا اختلاف في شخص محرر هذا الإنجيل، ولا مرجّح لهذا الخلاف[2] .

وقد اختُلف أيضاً في زمن كتابته، بين عام 56م و 65م، وقد رجّح بعضهم أن تأليفه كان عام 60 أو 63م، وكان تأليفه باللغة اليونانية باتّفاق[3] .

"وقد بقي إنجيل مرقص مكتوباً بالطريقة اليدوية لعدة قرون، ومن بين مئات المخطوطات التي عُملت باليد لإنجيل مرقص لا نجد أي نسختين تتفقان تماماً، كما أن خاتمته غير متفق عليها"[4] .

3) إنجيل لوقا:

مؤلفه القدّيس "لوقا"، وهو أحد التابعين، وقد جاء في مطلع إنجيله: « إِذْ كَانَ كَثِيرُونَ قَدْ أَخَذُوا بِتَأْلِيفِ قِصَّةٍ فِي الأُمُورِ الْمُتَيَقَّنَةِ عِنْدَنَا، كَمَا سَلَّمَهَا إِلَيْنَا الَّذِينَ كَانُوا مُنْذُ الْبَدْءِ مُعَايِنِينَ وَخُدَّامًا لِلْكَلِمَةِ، رَأَيْتُ أَنَا أَيْضًا

---

1) **بطرس:** وتعني: الصخرة أو الحجر، وهو كبير حواريي المسيح، وكان يدعى قبلها "سمعان"، سماه المسيح "صفا" أي صخرة بالسريانية وبطرس باللاتينية، كانت مهنته صيد الأسماك، كان بحسب الكتاب المقدس أشد الحواريين ملازمة للمسيح وكرّس حياته لنشر دعوته، قُبض عليه وصُلب في رومية زمن نيرون إمبراطور الدولة الرومانية، ويرجع إليه أكبر فضل في نشر المسيحية في الدولة الرومانية، وهو الذي أنشأ كنيسة روما التي يتولى رياستها بابوات الكنيسة الكاثوليكية، وتنسب إليه رسالتان من الرسائل الكاثوليكية السبع [**انظر:** قاموس الكتاب المقدس، جورج بوست، (1/ 227– 230)، **أيضاً:** الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي وافي، (ص 78)] .

2) **انظر:** محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، (ص 48)، **أيضاً:** الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي وافي، (ص 87).

3) **انظر:** محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، (ص 48) .

4) النصرانية تاريخاً وعقيدةً وكتباً ومذاهب، د. مصطفى شاهين، دار الاعتصام/القاهرة، ط(بدون)، 1991م، (ص 173)– بتصرف .

إِذْ قَدْ تَتَبَّعْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الأَوَّلِ بِتَدْقِيق، **أَنْ أَكْتُبَ عَلَى التَّوَالِي إِلَيْكَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ ثَاوُفِيلُسُ، لِتَعْرِفَ صِحَّةَ الْكَلاَمِ الَّذِي عُلِّمْتَ بِهِ**»[1]، وهذا يشير إلى أنه كتبه إلى رجل عظيم يدعى "ثاوفيلس[2]"[3] .

وقد اختُلف في شأن هذا الإنجيل في أمور عدّة: **في مولد وصنعة كاتبه، وفي الجهة التي كتب إليها إنجيله؛** هل كتبه إلى عظيم الروم أم المصريين، **وفي زمن تدوينه؛** فقد قيل سنة 53م، وقيل 58م، وقيل 60م، وقيل 63م، وقيل 64م، غير أن ما اتّفق عليه المؤرّخون هو أن هذا الإنجيل كُتب باللغة اليونانية، وأنّ كاتبه ليس من تلاميذ المسيح عليه السلام ولا من تلاميذ تلاميذه[4] .

4) إنجيل يوحنا:

" يُنسب هذا الإنجيل إلى "يوحنا بن زبدى" أحد الحواريين الإثني عشر، وهو أحدث الأناجيل الأربعة تأليفاً، وأُلّف باللغة اليونانية "[5] .

غير أنّ في نسبته إلى يوحنا الحواري خلافاً ونزاعاً بين النصارى؛ فهناك من ينفي ويرفض نسبته إليه، ومنهم علماء النصارى في القرن الثاني الميلادي الذين اعتبره بعضهم كتاباً مزوّراً، كما أن **هناك خلافاً في زمن تدوينه؛** فمنهم من قال بأنه دوّن سنة 95م أو سنة 98م أو سنة 96م، وقال بعضهم: بل سنة 68م أو 69م، أو 70م، وقيل : سنة 89م [6] .

---

1) لوقا 1 : 1 – 4 .

2) ثاوفيلُس: اسمٌ يعني في اليونانية "محب الله"، وهو رجل شهير عزيز من بلاد اليونان، أو من رومية، كان صديقاً مخلصاً لـ (لوقا)، لذلك صدّر لوقا إنجيله باسمه، وكذا كُتبت له أعمال الرسل **[** قاموس الكتاب المقدّس، جورج بوست، (300/1، 301/2)– بتصرف**]** .

3) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي وافي، (ص 88)– بتصرف.

4) انظر: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، (ص 50) .

5) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي وافي، (ص 88)– بتصرف.

6) انظر: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، (ص 53 – 54) .

"**ويعدّ هذا الإنجيل من أخطر الأناجيل؛ إذ تضمن تقرير ألوهية المسيح بوضوح**، بل إنّ كتّاب النصارى يجمعون أو يكادون على أنّ هذا الإنجيل كُتب لإثبات ألوهية المسيح التي اختلفوا في شأنها، لعدم وجود نص يثبتها في الأناجيل الثلاثة"[1] .

وإلى جانب هذه الأناجيل المعتمدة، فإنّ هناك عدداً من الأناجيل غير المعتمدة عند النصارى، والتي استبعدوها لمخالفتها عقائدهم، أهمها إنجيل آخر لمتّى، وإنجيل الأبيونيين[2]، وإنجيل **برنابا**[3][4] .

أما بقية أسفار العهد الجديد، فهي ثلاثة وعشرون سفراً، يوجزها الباحث فيما يلي:

1.سفر "أعمال الرسل": ينسب للقديس لوقا صاحب الإنجيل الثالث، وقد كتبه باليونانية، عام 63م على خلاف، وموضوعه: تاريخ حياة الحواريين، وبولس، وطائفة من التلاميذ والتابعين؛ كمرقص وبرنابا، وفي ثنايا الحديث عنهم يتطرق إلى بعض العقائد والشرائع[5].

2.رسائل "بولس": "وعددها أربع عشرة **(14)** رسالة، كتبها كلّها في الأصل باليونانية، في أوقات مختلفة، تبدأ من سنة 45م وتنتهي نحو عام 65م، منها **عشر رسائل** إلى بعض الشعوب والبلاد، **وأربع رسائل** إلى بعض تلاميذه، وتعرض هذه الرسائل في صورة مفصلة لكثير من العقائد

---

1) محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، (ص 50، 54)– بتصرف .

2) الأبيونيين: فرقة مسيحية تنتسب إلى زعيمها "أبيون"، ظل لها أشياع حتى أواخر القرن الرابع الميلادي، ثم انقرضت بعد ذلك، ولها إنجيل يسمى إنجيل الأبيونيين، مدون باللغة الآرامية، ويقر هذا الانجيل جميع شرائع موسى، ويعتبر عيسى المسيح المنتظر وينكر ألوهيته، وهو فيما يتعلق بشخصية المسيح يتفق مع العقائد الإسلامية **[** الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي وافي، (ص 108)– بتصرف يسير **]**.

3) برنابا: ومعنى اسمه (ابن الوعظ)، واسمه في الأصل يوسف، وهو بحسب الكتاب المقدّس لاويّ قبرصي الجنس اعتنق الديانة المسيحية في زمن الرسل أي الحواريين، وكرس لها حياته، وينسب له إنجيل برنابا وسفر "أعمال الرسل"، ولا تعترف الكنائس الحاضرة بهذا الإنجيل ولا هذا السفر **[انظر**: موسوعة الكتاب المقدّس، جورج بوست، (1/ 223– 224) **]** .

4) انظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي وافي، (ص 108– 111) .

5) انظر: المصدر السابق، (ص 113– 114) .

والشرائع والعبادات والأخلاق، وتوجّه قسماً كبيراً إلى توضيح العقيدة، وتقرير ألوهية المسيح وبنوته، ومبدأ التثليث "[1] .

3. الرسائل "الكاثوليكية": "وهي **سبع رسائل،** كتبت كلها في الأصل باللغة اليونانية، وكتبت في عهود مختلفة من عام 50م وحتى 90م، ولا تستأثر هذه الرسائل في العهد الجديد سوى بحيز يسير، وتعنى هذه الرسائل بشكل خاص في الرد على البدع المستحدثة إلى جانب تناولها العقائد والشرائع والعبادات والأخلاق، من أجل ذلك يطلق على رسائل بولس والرسائل الكاثوليكية اسم: (الأسفار التعليمية) للعهد الجديد"[2] .

4. رؤيا "يوحنا": وتسمى أيضاً: السفر النبوي، وكاتبها هو يوحنا صاحب الإنجيل الرابع، كتبها باللغة اليونانية، في أواخر القرن الأول، وهي رؤيا منامية أوحي فيها إلى يوحنا بكثير من حقائق الديانة وأحداث المستقبل، ومن أهم ما تشتمل عليه: تقرير ألوهية المسيح، تقرير سلطان المسيح في السماء، وتقرير القيامة والبعث، ورموز مبهمة حول أحداث مستقبلية[3] .

ثالثاً: أفكار و إلهامات "بولس":

تطرق الباحث إلى بولس والأسفار المنسوبة إليه في السطور الفائتة، ولكن الباحث يفرد هذا الجزء للتعريف بإيجاز شديد بأهمية دور بولس في صياغة الديانة النصرانية وعقائدها، والتي لا تزال باقية حتى يومنا هذا.

إذ كان لبولس هذا شأن كبير في النصرانية فيما بعد، فهي تنسب إليه أكثر مما تنسب لأحد سواه، واعتنى به النصارى جداً، و اتفق له من الصفات والأهلية في النشاط والذكاء والتأثير في الجماهير ما جعله محور الدعاة للمسيحية، والذي يفرض ما يراه على المسيحيين، ويحملهم على

1) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي وافي، (ص 116)- بتصرف يسير.

2) المصدر السابق، (ص 117- 118)- بتصرف يسير .

3) انظر: المصدر نفسه، (ص 118 - 119) .

نسيان ماضيه؛ كيهودي من ألدّ أعداء المسيحية، **فبات بحقّ المؤسس الحقيقي للنصرانية الحاضرة**[1].

ووجه الخطورة هو دعوى بولس بأنّه ملهم بوحي من المسيح عليه السلام، وأنّ الدّين الذي جاء به ليس نقلاً عن الحواريين، **وأنه لم يستمد إنجيله و"بشاراته" من تعاليم التلاميذ؛ بل استمده من إلهاماته**، فبعد إلهامه الأول – الذي لا شاهد عليه سوى دعواه وشهادة برنابا له بالصدق– أصبح كلامه أساساً للدين النصراني إلى يومنا هذا[2] .

صرح بولس بهذا الإلهام نصاً: « وَأُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الإِنْجِيلَ الَّذِي بَشَّرْتُ بِهِ، **أَنَّهُ لَيْسَ بِحَسَبِ إِنْسَانٍ. لأَنِّي لَمْ أَقْبَلْهُ مِنْ عِنْدِ إِنْسَانٍ وَلاَ عُلِّمْتُهُ. بَلْ بِإِعْلاَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ**»[3] .

وتحت غطاء هذا الإلهام، قلب بولس المسيحية رأساً على عقب، وتنكر لديانة المسيح عليه السلام، التي هي التوحيد، وأحدثَ ألوهية المسيح، والقول بالصلب والفداء، وغيّر عقيدة اليوم الآخر، وألغى أهمية العمل بالشريعة؛ إنما أمر بالاقتصار على العقائد التي سطّرها هو نفسه، وهكذا أسس بولس ديناً جديداً لا علاقة له بعيسى عليه السلام [4] .

"وفي هذا السياق لابد من الإشارة إلى مسألة تاريخية هامة، **وهي أن رسائل بولس هي الأساس والنصوص الأولى للعهد الجديد، ما دام أنها كتبت بين سنتي 50 و 60 للميلاد، بينما لم تكتب أناجيل العهد الجديد إلا بعد عام 70م، أي أنّ مؤلفي هذه الأناجيل تأثروا برسائل بولس التي دوّنت قبلهم**، وتشربوا بأفكاره وتأويلاته لأعمال عيسى عليه السلام؛ وعليه فبولس حاضر ناظر في العهد الجديد منذ كلمته الأولى، على الرغم من أنّ هذه الأناجيل تتحدث عن أمور سبقت تأثير

---

1) انظر: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، (ص 72، 76) .

2) انظر: المسيحية (النصرانية) دراسة وتحليل، ساجد مير، دار السلام/الرياض، ط1، 1423هـ/2002م، (ص 43).

3) رسالة بولس الرسول إلى أهل أغلاطية 1 : 11 – 12 .

4) انظر: المسيحية دراسة وتحليل، ساجد مير، (ص 46، 47، 57) .

بولس، وحضور أفكار ونظرة بولس في مجموع العهد الجديد تدل على سطوة فكرته على الحياة النصرانية فيما بعد"[1] .

رابعاً: المجامع النصرانية:

يعرّف النصارى المجامع بأنّها: "هيئات شورية في الكنيسة المسيحية رسم الرسل نظامها في حياتهم، حيث عقدوا المجمع الأول في (أورشليم) سنة 51 – 52م، للنظر في مسألة الختان عند الأمم، ومن ثم نسجت الكنيسة على منوالهم بعد ذلك "[2] .

والمجامع النصرانية نوعان[3]:

الأول: مجامع مسكونية أو عالمية: وقد عقدت مرّات معدودة في القرون الأولى، وشهدها ممثلو الكنائس من جميع الأقطار، وكان سبب عقدها ظهور مذاهب دينية غريبة أراد المجتمعون فحصها.

والثاني: مجامع مكانية أو إقليمية: وهي تلك التي تعقدها الكنائس في حيّزها، لإقرار عقائد معينة، أو رفضها، أو النظر في شئون محلية خاصة.

ويلاحظ أنّ لهذه المجامع – في فهم الباحث– أثر كبير وأهمية في صياغة الديانة النصرانية وتحول مساراتها، فهي تناقش أموراً تعدّ من شئون العقيدة الجوهرية غالباً، لذلك كانت هذه المجامع نقاط تحول في التاريخ النصراني، ومصدر لا يستهان به من مصادر الديانة.

وسيوجز الباحث في السطور التالية أهم هذه المجامع (المسكونية) وقراراتها بنظرة مجملة دون الخوض في دقائق وتفاصيل مداولاتها:

---

1) بولس وتحريف المسيحية، هيم ماكبي، ترجمة: سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، ط2، 1991م، (ص 15)– بتصرف .

2) يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، د. رؤوف شلبي، دار ثابت/القاهرة، ط1، 1410هـ/1989م، (ص 193)– بتصرف يسير.

3) المصدر السابق، (ص 194)– بتصرف.

1. مجمع نيقية[1] سنة 325م:

وعقد هذا المجمع في مدينة نيقية، بأمر من الإمبراطور قسطنطين، لما عزم الدخول في النصرانية، **وكان سبب عقده العام؛ هو اختلاف النصارى في شخص المسيح** عليه السلام **ومكانته من الربّ (الآب)، وتناقضهم في ذلك،** كما أن لعقده سبباً خاصاً؛ تمثّل في ظهور ما يسمونه "بدعة آريوس[2]"، وكانت هذه البدعة هي دعوته للتوحيد ورفضه ألوهية المسيح عليه السلام ومحاربته لكنيسة الإسكندرية[3] فيما تبثه بين المسيحيين**!**[4].

وانحاز قسطنطين في هذا المجمع إلى رأي بولس، بعدما شهد اختلافاً عظيماً بين أساقفة المجمع، الذين بلغوا نحو ألفين وثمانمائة وأربعين (2840) أسقفاً، ثم انحاز قسطنطين بثلاثمائة وثمانية عشر (318) أسقفاً ممن يرون رأيه في تأليه المسيح عليه السلام، **وقرر المجمع ألوهية المسيح بأقليته التي انحاز لها الإمبراطور، وبات للمجمع سلطة كهنوتية على الناس تلقي عليهم أوامر الدين، فقرر أن مصدر الدين أصبح ليس الكتب رأساً بل أفواه العلماء ورجال الكهنوت،** بل أمر المجمع بحرق كل الكتب التي تخالف ما انتهى إليه**!**[5] .

---

1) نيقية: مدينة من أعمال إسطنبول على البر الشرقي وهي المدينة التي اجتمع بها آباء الملة المسيحية وكانوا وفيها عقد أول المجامع لهذه الملة، وفي الطريق من هذه المدينة إلى بلاد الروم الشمالية قبر أبي محمد البطال على رأس تل عال في حدّ تخوم البلاد **[** معجم البلدان/ الحموي، (333/5)– بتصرف **]** .

2) آريوس (256–336م): قسّيس في كنيسة الإسكندرية، وكان داعياً قوي التأثير واضح الحجة جريئاً في المجاهرة برأيه، وقد أخذ على نفسه في أوائل القرن الرابع الميلادي مقاومة كنيسة الإسكندرية فيما كانت تذهب إليه من القول بألوهية المسيح وبنوته للآب، فقام يقرر أن المسيح ليس إلهاً ولا ابناً لله إنما هو بشر مخلوق، ويسمى أتباعه بالآريوسيين، ما لبث مذهبه أن انقرض بسبب طرده وتكفيره **[انظر:** الفصل، ابن حزم، (109/1)، **أيضاً:** الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي وافي، (ص 124)– بتصرف **]** .

3) الإسكندرية: مدينة كبيرة شمال مصر على ساحل البحر الأبيض، وكانت تسمّى الإسكندرية العظمى، تمييزاً لها عن ثلاثة عشر إسكندرية أخرى يقال أنّ الإسكندر المقدوني بناها، ومع هذا فقد اختُلف فيمن بناها على أقوال كثيرة **[انظر:** معجم البلدان، الحموي، (182/1– 184) **]** .

4) انظر: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، (ص 125– 126) .

5) انظر: المصدر السابق، (ص 128– 129، 131) .

2. المجمع القسطنطيني الأول سنة 381م:

"وقد عقد هذا المجمع في القسطنطينية[1]، يتقدمهم بطريرك الإسكندرية ونحو مائة وخمسين (150) أسقفاً، ويبدو أن العدد لم يكن ممثلاً لكل الكنائس، فسبب ذلك جدلاً في كونه مجمعاً عاماً، **وكان سبب عقده ظهور شبهة توحيد جديدة على يد رجل يدعى "مقدونيوس[2]"، ولتقرير ماهية الروح القدس أهو إله أم مخلوق، وانتهى أمر المجمع إلى ألوهية الروح القدس وإلى لعن وطرد مقدونيوس وأشياعه**، وبهذا المجمع يكون قد تقرر التثليث في النصرانية، وتمّت أقانيمه"[3] .

3. مجمع أفسس[4] الأول سنة 431م:

وقد اجتمع في هذا المجمع نحو مائتي (200) أسقفٍ، للنظر في أمر أحدثه نسطور[5]، وهو أن هناك أقنوماً وطبيعة، فأقنوم الألوهية من الآب، وطبيعة الإنسان المولود من مريم، **وخلص المجمع إلى تقرير الألوهية المطلقة للمسيح، فمريم العذراء والدة الإله والمسيح إله حق وإنسان معروف بطبيعتين متوحد في الأقنوم، وبالطبع تقرر في المجمع أيضاً لعن نسطور وطرده**[6] .

---

1) **القسطنطينية = إسطنبول حالياً**: تعد المدينة الكبيرة الوحيدة الواقعة في قارتين هما آسيا وأوروبا، وتقع عند الطرف الجنوبي من خليج البوسفور، وهو مضيق في الشمال الغربي من تركيا، وكانت منذ أمد طويل واحدة من أهم مدن العالم، فقد كانت القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية الرومانية، ثم البيزنطية بعد ذلك، ثم أصبحت إسطنبول عاصمة الدولة العثمانية بين 857هـ-1341هـ، وعرفت إبان هذه الفترة باسم الآستانة **[** ملحق مجلة البحوث الإسلامية، التعريف بالأمكنة (76/81) **]** .

2) **مقدونيوس:** كان بطريركاً في القسطنطينية أيام قسطنطين (ابن باني القسطنطينية)، وكان من أتباع فكرة أريوس، وكان من قوله التوحيد المجرد وأن عيسى عبد مخلوق إنسان نبي كسائر الأنبياء، وأنه روح الله وكلمته، وأن الروح والكلمة مخلوقتان **[** الفصل، ابن حزم، (1/ 110)- بتصرف يسير **]**.

3) **انظر:** محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، (ص 136- 138) .

4) **أفسس:** مدينة في آسيا الوسطى، قرب مصب نهر كايستر على بعد نحو 30 ميلاً جنوب أزمير، زارها بولس بحسب الكتاب المقدس نحو عام 54م، وفيها دعا اليهود إلى النصرانية فآمن كثير منهم، وادّعى حلول روح القدس عليهم **[** موسوعة الكتاب المقدس، جورج بوست، (1/ 119-120)- بتصرف **]**.

5) **نسطور = نسطوريوس:** بطريرك القسطنطينية، كان حكيماً، ظهر في زمان الخليفة المأمون، وتصرّف في الأناجيل بحكم رأيه، وقال إن الله تعالى واحد بأقانيم ثلاثة، واتّحدت الكلمة بجسد عيسى – عليه السلام- لا امتزاجاً ولا ظهوراً، وإنما إشراقاً كإشراق الشمس، وتنتسب إليه النسطورية من النصارى **[** الملل والنحل، الشهرستاني، (1/ 535- 536)- بتصرف **]** .

6) **انظر:** محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، (ص 139- 140) .

4. مجمع أفسس الثاني سنة 449م:

عقد هذا المجمع بأمر من الإمبراطور "ثودوسيوس"[1]، **وأصدر قراراً بلعنة كل من يقول بوجود طبيعتين للمسيح**، -بعد أن ظهرت بدعة تقول بأن المسيح له طبيعة واحدة إلهية-، وأطلقت كنيسة روما (الكاثوليكية) على هذا المجمع "مجمع اللصوص" وأبت أن توافق على قراراته[2] .

5. مجمع خلقيدونية[3] سنة 451م:

وقد أيّد هذ المجمع قرار مجمع أفسس الأول ورفض قرار مجمع أفسس الثاني، وحضره أساقفة روما وبطريرك الإسكندرية وأساقفته، **وحصل فيه خلاف كبير وجدل أوشك على الاقتتال، واتّخذ المجتمعون قراراً يقول بالطبيعتين والمشيئتين للمسيح** عليه السلام، وقد رفض بطريرك الإسكندرية هذا القرار فنفاه الإمبراطور بعيداً عن مصر [4] .

" **وقد كان قرار مجمع خلقيدونية هو السبب في انفصال الكنيسة المصرية عن الكنيسة الغربية** نهائياً، إلى يومنا الحاضر، وسمي أتباع مذهب الكنيسة المصرية القائلين بأن للمسيح عليه السلام طبيعة واحدة باليعقوبيين[5] " [6].

هذه خلاصة أهمّ المجامع النصرانية المسكونية قاطبة، فلم يتفق النصارى بعد هذه المجامع على مجمع بأنه عام أو مسكوني، كما أنّ هذه المجامع التي فصّل فيها الباحث، هـــي

---

1) لم يعثر الباحث على ترجمة له .

2) انظر: قصة الحضارة، ديورانت، (102/12) .

3) خلقيدونية: إحدى مدن آسيا الصغرى القديمة بنيت نحو عام (685 ق. م) على ساحل بثنية تجاه الموضع الذي بنيت فيه بعدئذ مدينة القسطنطينية، ويبدو أنها تخربت في القرن الثاني قبل الميلاد فانتقل سكانها إلى مدينة نيقوميدية، ويقال أن موضعها الآن قرية صغيرة باسم " قاضى قوة " **[** موقع كنيسة الأنبا تكلاهيمانوت القبطية الأرثوذكسية/ مصر، رابط: http://st-takla.org، بتاريخ 2013/04/28م- بتصرف يسير **]** .

4) انظر: المسيحية، د. شلبي، (ص 199) .

5) اليعقوبيين = اليعقوبية = اليعاقبة: نسبة إلى رجل يدعى يعقوب (البرادعى)، وهم يقولون بالأقانيم الثلاثة، غير أنهم يزعمون أن الكلمة انقلبت لحماً ودماً، فصار الإله هو المسيح، وهو الظاهر بجسده، بل هو هو **[** الملل والنحل، الشهرستاني، (541/1)- بتصرف يسير **]**.

6) محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، (ص144- 145)- بتصرف.

أهمّ المجامع من حيث تقرير العقيدة النصرانية كما تبيّن[1] .

وقد توالت بعد ذلك مجامع كثيرة لم تكن على قدر أهمية هذه السابقة، **وهي إجمالاً:** مجمع القسطنطينية الثاني سنة 553م، ومجمع القسطنطينية الثالث سنة 680م، ومجمع روما سنة 869م، ومجمع القسطنطينية سنة 879م (وهذان المجمعان الأخيران كانا سبباً في انفصال الكنيسة إلى شرقية يونانية وغربية لاتينية المجمعين)[2] .

أما المجامع الباقية فهي تصنّف جميعها كمجامع غير مسكونية إلا في نظر الكنيسة الغربية، وهي إجمالاً: مجمع روما التاسع سنة 1123م، والعاشر سنة 1139م، والحادي عشر سنة 1179م، والثاني عشر سنة 1215م، وتوالت المجامع بعدها وصولاً إلى المجمع التاسع عشر الذي دام من عام 1542م وحتى 1564م وخصص للرد على البروتستانتية، آخر هذه المجامع المجمع العشرين في روما سنة 1869م الذي قرروا فيه عصمة البابا [3] .

خلاصة المطلب:

أولاً: يعدّ العهد القديم الأساس الأول لمصادر النصرانية عقيدةً وفكراً، وهو القسم الأكبر حجماً في كتابهم المقدّس، على خلاف في تفاصيل اعتماد أو استبعاد بعض الأسفار منه.

ثانياً: يحتلّ العهد الجديد المكانة الأهمّ في مصادر العقيدة النصرانية، وتتصدر الأناجيل الأربعة هذا العهد، إذ يعدّها النصارى أساساً لدينهم.

---

1) انظر: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، (ص 146) .

2) انظر: المسيحية، د. شلبي، (ص199 – 200) .

3) انظر: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، (ص 151– 152) .

ثالثاً: اختلف المؤرخون للنصرانية اختلافاً عظيماً وواسعاً في مصادر الأناجيل وأسفار العهد الجديد، وتنوع الخلاف بين نسبة هذه الأسفار وزمن كتابتها، كما دار الجدل حول شخصيات هامة في التاريخ النصراني؛ مما أثار شكوكاً حول هذه الأسفار ومدى مصداقيتها.

رابعاً: كان لبولس الأثر الأهمّ في تاريخ ودين النصارى بعد عيسى عليه السلام، إذ تنسب إليه النصرانية حتى يومنا الحاضر، وقد أدخل فيها عناصر جديدة، وقلبها رأساً على عقب، وحوّلها من ديانة توحيد خالصة إلى القول بألوهية المسيح عليه السلام، وابتدع فيها أيما ابتداع، وثارت حوله الشكوك، وبات موضعاً للبحث في شخصه ودوره وتاريخه.

خامساً: شكّلت المجامع النصرانية انعطافات حادة وخطيرة في الديانة النصرانية، وخاصة المجامع العامة الأربعة الأولى في نيقية والقسطنطينية وأفسس وخليقدونية، إذ انبرت هذه المجامع – بزعامة كبار بطاركة وأساقفة الكنيسة النصرانية– إلى الدفاع عن عقيدة التثليث وألوهية المسيح والروح القدس، ووقفت سداً منيعاً في وجه أية شبهة توحيد آريوسية أو مقدونيوسية أو نحو ذلك، وعمدت إلى طرد ولعن كلّ قائل بخلاف رأيها.

سادساً: أدّت المجامع النصرانية إلى تفتيت الكنيسة والديانة النصرانية، وفتحت المجال لإقرار طبيعة المسيح غير البشرية، والخوض في الذات الإلهية، مما مزّق الكنيسة إلى شرقية وغربية، ومصرية ويونانية ولاتينية، وكان القرار الفصل دائماً لصاحب السلطة والقوة السياسية في الدولة أو الكنيسة، والذي يفرض الرأي على النصرانية ولو بالقوة أو التحايل والاصطفاف الداخلي.

المطلب الثاني:

المؤثرات والظروف الموضوعية

لقد كان للعديد من الأحداث التاريخية والأزمات والظروف التي مرّ بها النصارى عبر تاريخهم أثرٌ واضح في تحديد ملامح فكرهم وديانتهم، وطرأت عوامل متعددة على الديانة النصرانية غيّرت من مسارها، وجعلت منها ديانة مختلفة تماماً عن تلك التي بعث الله ﷻ بها عيسى عليه السلام.

ومن أهم هذه العوامل والظروف والمؤثرات الموضوعية – في تقدير الباحث– ما يلي:

أولاً: **ضياع الإنجيل الأصلي**:

تطرق الباحث في المطلب الأول إلى الإنجيل (أو الأناجيل) كمصدر أساسي من مصادر العقيدة النصرانية، لكن هذا لا يعني أنّ شيئاً من هذه الأناجيل تمثّل الإنجيل الحقّ الضائع.

ومصدرنا الأساس في معرفة وجود الإنجيل الحقّ هو القرآن العظيم، الذي ذكر الإنجيل في اثني عشر (12) موضعاً من كتاب الله ﷻ[1] .

قال ﷻ: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ **وَالْإِنْجِيلَ**﴾ (آل عمران/3)، و بيّن ﷻ أنه علّم عيسى عليه السلام التوراة والإنجيل، فقال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ **وَالْإِنْجِيلَ**﴾ (آل عمران/48)، وأنه جاء مصدقاً للتوراة، باعثاً للهدى والنور، ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ **وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ** فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة/46)

والنصارى أنفسهم –وإن كانوا يؤمنون بقدسية الأناجيل التي بين أيدينا اليوم– إلا إنّهم لا ينسبونها إلى عيسى عليه السلام، ولا يقولون إنها نزلت عليه، بل هي منسوبة لبعض تلاميذه[2] .

---

1) **آل عمران**/ 3، 48، 65، **المائدة**/ 46، 47، 66، 68، 110، **الأعراف**/157، **التوبة**/111، **الفتح**/29، **الحديد**/27 .

2) **انظر**: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، (ص 55).

لكن النصارى يبررون الاستدلال على أصول عقائدهم بأناجيل ورسائل العهد الجديد – مع كون عيسى ﷺ لا علاقة له بها– **بأنّ القديسين الذين جاءوا بها قد تلقّوها وحياً**[1] .

يقول ابن حزم – رحمه الله–: "إنّ أتباع المسيح بشّروا بإنجيل أتاهم به المسيح ﷺ، وهو ليس عندهم الآن، وإنما عندهم أناجيل أربعة متغايرة، من تأليف أربعة رجال معروفين، ليس منها إنجيلٌ أُلّف إلا بعد رفع المسيح ﷺ بأعوام كثيرة ودهر طويل، **فصحّ أنّ ذلك الإنجيل الذي أخبر المسيح بأنه أتاهم به، وأمرهم بالدعاء إليه، قد ذهب عنهم، لأنهم لا يعرفون له أصلاً** "[2] .

فما حدث يقيناً إذاً، هو أنّ " إنجيل عيسى ﷺ ضاع وحُرّف، فلم يكن للمسيحية عماد يحميها من أعدائها من الداخل والخارج، فخرّت مسيحية عيسى وقامت على أنقاضها مسيحية بولس"[3] .

ثانياً: **تعدد الأسفار واختلافها**:

وهذا الأمر – في فهم الباحث – هو إحدى نتائج ضياع الإنجيل الأصلي الحقّ (إنجيل عيسى ﷺ)، إذ غاب الإنجيل الموحى به أو غُيّب، فسادت الفوضى، وأصبح هذا التعدد هو سبب أساس من أسباب الشقاق، ومن أهم العوامل التي أثّرت في النصرانية على مرّ العصور اللاحقة.

يقول القاضي عبد الجبار[4] –رحمه الله– حكايةً لحال النصارى في كتابة الأناجيل: "وقالوا إنما التوراة موالد الأنبياء وتواريخ أعمارهم، فنبني الإنجيل على ذلك، ويذكر كلّ واحد منا ما حفظه

---

1) **انظر**: المسيحية، د. شلبي، (ص 227).

2) الفصل، ابن حزم، (139/2)– بتصرف يسير .

3) مقارنة الأديان، دراسة في عقائد ومصادر الأديان السماوية والأديان الوضعية، د. طارق خليل السعدي، دار العلوم العربية/بيروت، ط1، 1425هـ/2005م، (ص 139)– بتصرف يسير.

4) **القاضي عبد الجبار**: عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمذاني الأسد أبادي، أبو الحسين: (ت: 415هـ/ 1025م) قاض، أصولي، كان شيخ المعتزلة في عصره، وهم يلقبونه قاضي القضاة، ولا يطلقون هذا اللقب على غيره، ولي القضاء بالريّ، ومات فيها، له تصانيف كثيرة، منها: تنزيه القرآن عن المطاعن، والأمالي، والمجموع في المحيط بالتكليف، وشرح الأصول الخمسة، والمغني في أبواب التوحيد والعدل، وتثبيت دلائل النبوة، ومتشابه القرآن، وغيرها .. **[** الأعلام، الزركلي، (273/3 – 274)– بتصرف يسير **]** .

من ألفاظ الإنجيل، ومما تحدثّ به النصارى عن المسيح؛ فكتب قوم إنجيلاً، ثم أتى من بعدِهم قومٌ وكتبوا إنجيلاً، وكتبوا عدة أناجيل، وسقط عنهم الكثير مما في الأصل، وكان فيهم الواحد بعد الواحد ممن يعرف أموراً كثيرة في الإنجيل الصحيح فأمسكوا عنها لتتم رئاستهم... **وهم يزعمون أنها كانت ثمانين إنجيلاً، فلم تزل تقل وتُختصر حتى بقي منها أربعة أناجيل لأربعة نفر**"[1] .

وعليه فقد " كان لدى النصارى (أو المسيحيين) في القرنين الأول والثاني الميلاديين **أناجيل كثيرة غير الأناجيل الأربعة، وكان لكلّ فرقة من فرقهم إنجيلها أو أناجيلها الخاصة**، التي تعتمد عليها وتغفل ما عداها من الأناجيل، أو تحكم بزيفها وبطلانها" [2] .

ويذكر رحمة الله الهندي أنّ قدماء النصارى كانوا يؤمنون بثمانية وثلاثين (38) سفراً هي القسم الأول من العهد القديم، وتنتهي بسفر ملاخي، **وبقي الشكّ قائماً عندهم حول تسعة أسفارٍ من العهد القديم وسبعةٍ من العهد الجديد**، ولما انعقد مجلسٌ لعلماء النصارى عام 325م (يبدو أنه مجمع نيقية) حكم هؤلاء بعد المشاورة والتحقيق في هذه الكتب أنّ كتاب "يهوديت" واجب التسليم، **وأبقوا سائر الكتب المختلفة مشكوكة كما كانت**[3] .

ثم انعقد مجلس آخر عام 364م، **وزادوا على حكمهم سبعة كتب أخرى وجعلوها واجبة التسليم**، وهي: كتاب أستير، ورسالة يعقوب، والرسالة الثانية لبطرس، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا، ورسالة يهودا، ورسالة بولس إلى العبرانيين، **وبقي كتاب "مشاهدات يوحنا" في هذين المجلسين خارجاً مشكوكاً كما كان**، ثم انعقد بعد ذلك مجلس آخر في سنة 397م، **فاعتمد مجموعة جديدة من الكتب المختلف عليها**، وهي: كتاب وزدم، وكتاب طوبيا، وكتاب باروخ، وكتاب ايكليزيا ستيكس، وكتابا المكابيين، وكتاب مشاهدات يوحنا[4].

---

1) تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، دار المصطفى/القاهرة، ط1، 1386هـ/1966م، (153/1)- بتصرف يسير.

2) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي وافي، (ص 106).

3) انظر: إظهار الحق، رحمة الله الهندي، (1/ 105) .

4) انظر: المصدر السابق، (1/ 107) .

" **وبعد انعقاد هذه المجالس صارت هذه الكتب المشكوكة مسلّمة بين جمهور المسيحيين، وبقيت هكذا إلى مدة ألفٍ ومائتي عام،** إلى أن ظهرت فرقة البروتستنت، فردّوا حكم هؤلاء الأسلاف في باب: كتاب باروخ، وكتاب طوبيا، وكتاب يهوديت، وكتاب وزدم، وكتاب ايكليزيا ستيكس، وكتابي المكابيين، وقالوا: إنّ هذه الكتب واجبة الردّ وغير مسلَّمة، وردّوا حكمهم في بعض أبواب كتاب أستير وسلّموا في البعض"[1] .

يلاحظ الباحث أنّ هذا التعدد في الأسفار والاختلاف حولها منذ القرن الرابع الميلادي وصولاً إلى منتصف القرن السادس عشر **يؤشر إلى مدى ضياع مصادر النصرانية والاختلاف حولها من طوائفهم وفرقهم، فكيف يسوغ أن توصف بعد ذلك بالقدسية والنزاهة،** إذ لم يكن كثير منها –أي الأسفار– حتى موضع اتفاق على وجودها.

ثالثاً: الاضطهادات:

أ. الاضطهاد المبكر:

حيث ابتدأ الاضطهاد مبكراً للدين الحقّ الذي جاء به المسيح عليه السلام، وقد جاء في القرآن تكذيب قومه له، وكفرهم بما جاء به، قال الله عز وجل: ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ **اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ**﴾ (البقرة/87)، وقال تعالى: ﴿**فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ** قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران/52) .

وقد ذكرت الأناجيل بشكل صريح المؤامرات والاضطهاد لعيسى عليه السلام من قبل اليهود خاصة، ومما جاء في ذلك: «حِينَئِذٍ اجْتَمَعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ وَشُيُوخُ الشَّعْبِ إِلَى دَارِ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ الَّذِي يُدْعَى قَيَافَا، **وَتَشَاوَرُوا لِكَيْ يُمْسِكُوا يَسُوعَ بِمَكْرٍ وَيَقْتُلُوهُ.** وَلكِنَّهُمْ قَالُوا: لَيْسَ فِي الْعِيدِ لِئَلاَّ يَكُونَ شَغَبٌ فِي الشَّعْبِ»[2].

---

1) إظهار الحق، رحمة الله الهندي، (1/ 107)– بتصرف يسير.

2) متّى 26: 3 – 5 .

إذ يشير هذا النص، وغيره في الأناجيل الكثير، إلى أنّ قرار اغتيال المسيح ﷺ كان قد اتّخذ بالفعل من رؤساء الكهنة اليهود.

وأما من ملك زمانه "هيرود"، فقد كان قرار الاغتيال للمسيح ﷺ حاضراً أيضاً، وقد ذكرت الأناجيل ذلك: « فِي ذلِكَ الْيَوْمِ تَقَدَّمَ بَعْضُ الْفَرِّيسِيِّينَ قَائِلِينَ لَهُ: اخْرُجْ وَاذْهَبْ مِنْ ههُنَا، **لأَنَّ هِيرُودُسَ يُرِيدُ أَنْ يَقْتُلَكَ**»[1].

ب. الاضطهادات اللاحقة:

كان المسيح ﷺ – بحسب الأناجيل– قد أخبر تلاميذه بما سيكون بعده من اضطهادات ومصائب، ومقتلةٍ تصيبهم بسبب اتّباعه، موصياً إياهم بالثبات، وكان من قوله لهم: « ... حِينَئِذٍ **يُسَلِّمُونَكُمْ إِلَى ضِيق وَيَقْتُلُونَكُمْ، وَتَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنْ جَمِيعِ الأُمَمِ لأَجْلِ اسْمِي** »[2] .

استمرت الاضطهادات عقب رفع المسيح ﷺ مباشرة، مستهدفة رسله وحوارييه وأتباعه، وتحدثت الأناجيل وأسفار العهد الجديد عن جانب من هذه الاضطهادات من قتل وحبس وملاحقة، « وَفِي ذلِكَ الْوَقْتِ مَدَّ هِيرُودُسُ الْمَلِكُ يَدَيْهِ لِيُسِيءَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ الْكَنِيسَةِ، **فَقَتَلَ يَعْقُوبَ أَخَا يُوحَنَّا بِالسَّيْفِ**[3]. **وَإِذْ رَأَى أَنَّ ذلِكَ يُرْضِي الْيَهُودَ، عَادَ فَقَبَضَ عَلَى بُطْرُسَ أَيْضًا. وَكَانَتْ أَيَّامُ الْفَطِيرِ. وَلَمَّا أَمْسَكَهُ وَضَعَهُ فِي السِّجْنِ**، مُسَلِّمًا إِيَّاهُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَرَابعَ مِنَ الْعَسْكَرِ لِيَحْرُسُوهُ، نَاوِيًا أَنْ يُقَدِّمَهُ بَعْدَ الْفِصْحِ إِلَى الشَّعْبِ. فَكَانَ بُطْرُسُ مَحْرُوسًا فِي السِّجْنِ، وَأَمَّا الْكَنِيسَةُ فَكَانَتْ تَصِيرُ مِنْهَا صَلاَةٌ بِلَجَاجَةٍ إِلَى اللهِ مِنْ أَجْلِهِ»[4] .

وكان ممن قُتل من رسل المسيح ﷺ وحوارييه: (متّى) الذي قُتل بأمر من ملك الحبشة[5]، و(مرقص) الذي قُتل في مصر على يد الوثنيين بعد التنكيل به، و(لوقا) الذي قيل أنه قُتل في

---

1) لوقا 13 : 31 .

2) متّى 24 : 9 .

3) كان قتل يعقوب هذا عام 44م، فكان بذلك أول من استشهد من الرسل **[** يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، د. رؤوف شلبي، (ص 107) **]**.

4) أعمال الرسل 12 : 1- 5 .

5) الحبشة: اسم للأمة أطلق على أرضهم، وتسمى حديثاً دولتهم "أثيوبيا"، وأرض الحبشة: هضبة مرتفعة غرب اليمن بينهما البحر، وعاصمتها اليوم "أديس أبابا"، ولهم صلات قديمة مع العرب، ولملكهم موقف يذكر ويشكر مع المسلمين الأوائل الذين هاجروا إليه **[** ملحق مجلة البحوث الإسلامية، التعريف بالأمكنة (149/81) **]** .

مدينة باتراس[1]، و(يعقوب الصغير)[2] الذي أُلقي من علٍ في القدس ورُجم حتى الموت، و(بطرس) الذي صُلب في روما منكَّساً – بناءً على طلبه؛ ليخالف بذلك طريقة صلب (يسوع) على حد زعم النصارى– وكان صلبه بأمر من الإمبراطور نيرون[3]، و (بولس) الذي قُتل كذلك في عهد نيرون في روما، و(يهوذا الرسول)[4] الذي قُتل في بلاد الفرس، و(متياس الرسول)[5] الذي رجمه اليهود حتى الموت في القدس، و(فيلُبس الرسول)[6] الذي عذبه الوثنيون عذاباً أليماً وصلبوه منكّساً، و(سِمعان الرسول)[7] الذي تآمر عليه كهنة اليهود ونشروه بالمنشار من وسطه، و(أندَراوُس

---

1) **باتراس:** مدينة يونانية قديمة، تقع في غرب البلاد، وهي عاصمة مقاطعة غرب اليونان الإدارية حديثاً، وأيضاً مركز مقاطعة "أخايا" التي هي إحدى المقاطعات الثلاث المشكلة لمنطقة غرب اليونان **[** موسوعة ويكيبيديا الحرة، رابط: باتراس/wikipedia.org/wiki، بتاريخ: 2013/05/04م– بتصرف **]** .

2) **يعقوب الصغير:** ابن حلفي ومريم، هو حسب الكتاب المقدس رسول من الرسل الاثني عشر الذين اختارهم المسيح، وقال البعض بأنه كان أخاً لـ "يسوع"، وقد بشر في القسم الجنوبي الغربي من فلسطين، ثم بشّر في مصر **[** قاموس الكتاب المقدّس، جورج بوست، (518/2)– بتصرف **]** .

3) **نيرون:** هو لقب لـ "لوسيوس" ويعني "القوي الشجاع"، ونيرون هو خامس أباطرة الإمبراطور الرومانية، (54–68م)، تولى العرش صغيراً خلفاً لـ " كلوديوس"، وأدرات حاشيته الدولة، ونعمت الإمبراطورية في عهده بالرخاء النسبي، وكان نيرون يزدري جميع أنواع العبادات والديانات، غارقاً في الشهوات والملذات، قتل أمّه التي أنجبته وهو في الثانية والعشرين من عمره، ووصل به الأمر إلى أن ألّه نفسه، وصار يُعبد ويسجد له، وفي عهده حدث حريق روما الهائل، ولفق أمر تدبيره للمسيحيين وسامهم سوء العذاب، وارتكب فظاعات كبيرة ضد أكابر روما بدعوى التآمر عليه، وما لبث أن انقلب عليه هؤلاء، وحقد عليه الشعب بسبب جرائمه الفظيعة، فهرب هائماً على وجهه، وقتل نفسه بخنجر منتحراً عام 68م **[انظر:** قصة الحضارة، وول ديورانت، (10/ 125– 142) **]**.

4) **يهوذا الرسول:** ويسمى كذلك "لباوس"، ولقبه "تداوس"، ويعتقد بأنه كان أخاً ليعقوب بن حلفي أو يعقوب آخر، وتنسب إحدى رسائل العهد الجديد له، ويسمي نفسه فيها عبد يسوع المسيح وأخا يعقوب، وفي رسالته تشابه واضح مع رسالة بطرس الثانية **[** قاموس الكتاب المقدّس، جورج بوست، (533/2 – 534)– بتصرف **]**.

5) **متياس:** وتعني: "عطية يهوه"، وهو تلميذ للمسيح لازمه منذ بداية رسالته إلى صعوده، قُرع بينه وبين يهوذا الإسخريوطي، لا يُعلم شيء حتمي عن حياته ورسالته بعد المسيح **[انظر:** قاموس الكتاب المقدّس، جورج بوست، (311/2) **]**.

6) **فيلُبس:** وتعني: "محب الخيل"، وهو الرسول الخامس من رسل المسيح الاثني عشر، ولد في بيت صيدا، دعاه المسيح ليتبعه، ولم تذكره الأناجيل إلا قليلاً، ويقال بأنه خرج داعياً إلى بلاد فريجية (في آسيا الصغرى)، ومات في هيليوبوليس **[** قاموس الكتاب المقدّس، جورج بوست، (191/2)– بتصرف **]**.

7) **سِمعان:** وتعني: مستمع، وهو أحد الرسل الاثني عشر الذين اختارهم المسيح، ويعرف بسمعان القانوي أو سمعان الغيور، نسبة إلى الطائفة المعروفة بالغيورين **[** قاموس الكتاب المقدّس، جورج بوست، (580/1) **]**.

الرسول)[1] الذي خرج ليبشّر – بعد صعود المسيح عليه السلام– في بلاد فارس واليونان وغيرهما، ثم قبض عليه والي باتراس اليوناني وأوسعه ضرباً، وطاف به عرياناً، وعلّقه لمدة يومين حتى مات، و(توما الرسول)[2] الذي قتله عبدة الأوثان في الهند طعناً بالحراب[3] .

إذاً، كان هذا الاضطهاد وعمليات القتل والإعدام والملاحقة –في تقدير الباحث– قد طالت حواريي المسيح عليه السلام بعد رفعه بسنوات قليلة؛ وهم الرسل والأصحاب الأقربون، الذين من المفترض والبديهي أنهم الموكلون بحمل رسالته وهي صافية أصيلة، **فهذا الأمر يكفي تفسيراً للخلط والاضطراب الذي أصاب الإنجيل، وإذا أضيف إلى هذه الاضطهادات العوامل الأخرى فهذا ولا شك سيؤثر بشكل مباشر في مصادر النصرانية**، التي نُسبت بعد ذلك لهؤلاء، خاصةً وأن هذا الاضطهاد قد بلغ حداً صار معه الأتباع مطاردين من بلاد إلى أخرى ومستهدفين في كل مكان.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل استمر الاضطهاد لخلفاء الرسل على يد الدولة الرومانية، **وامتدّت الاضطهادات لأتباع الدين الجديد طوال القرون الثلاثة الأولى، وقد نالت فلسطين الحظّ الأوفر من هذه الاضطهادات؛** إذ كانت فيها النصرانية بين عدوّين لدودين هما الرومان واليهود، وكانت جهود هذين الطرفين كفيلة بمحو أثر النصرانية في فلسطين[4] .

---

1) **أندَراوُس:** وتعني: ذو المروءة، وهو أحد رسل المسيح الاثني عشر، وهو ابن يونا، وأخو بطرس الرسول، من بيت صيدا في الجليل، وكان من تلاميذ يوحنا المعمدان، ثم من أتباع المسيح حتى رفعه، ورد شيء من أخباره من أناجيل متى ومرقص ويوحنا، بشّر بدعوته في بلاد اليونان وآسيا الصغرى **[** قاموس الكتاب المقدّس، جورج بوست، (150/1)– بتصرف **]**.

2) **توما:** وتعني: التوأم، وهو أحد الرسل الاثني عشر للمسيح، ويقال أنه تردد في الإيمان (بقيامة المسيح المخلّص) وأنه كان بطيء الإيمان –بحسب الكتاب المقدس–، قصد جزائر الهند الشرقية مبشّراً، وفيها استشهد، وينتسب إليه بعض مسيحيي الشرق اليوم ويعرفون بمسيحيي القديس توما **[** قاموس الكتاب المقدّس، جورج بوست، (295/1)– بتصرف **]**.

3) **انظر:** يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، د. رؤوف شلبي، (ص 107– 109) .

4) **انظر:** المصدر السابق، (ص113 – 114) .

يقول رحمة الله الهندي: " واعتذر بعض القسيسين في محفل المناظرة التي كانت بيني وبينهم، فقال: إنّ سبب فِقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن على المسيحيين إلى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة " [1] .

رابعاً: **التأثر بالعقائد الأخرى**:

تأثرت النصرانية – فيما اتضح للباحث – بأفكار وعقائد سابقة لوجودها، أو أفكار كانت وليدة حالة الاضطهاد والفوضى الدينية التي أعقبت رفع المسيح ﵇ كما مرّ أعلاه، **وكان من أبرز الأفكار التي تأثرت بها النصرانية منذ البدايات وكانت سبباً في انحرافها المبكر، ما يلي:**

1. فكرة "المجيء الثاني" للمسيح:

"إذ اعتقد (المسيحيون) الأوائل –ومنهم تلاميذ المسيح ﵇– أنّ نهاية العالم وشيكة الحدوث، وأنّ كثيرين من الذين عاشوا في القرن الأول الميلادي وعاصروا المسيح ﵇، سوف يشهدون تلك النهاية المفزعة، والتي يعقبها عودة المسيح إلى الأرض"[2] .

وقد أشار الإنجيل إلى هذه الفكرة في غير موضع، ومنها: « **وَمَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ مَعَهُ، فَحِينَئِذٍ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ.** وَيَجْتَمِعُ أَمَامَهُ جَمِيعُ الشُّعُوبِ، فَيُمَيِّزُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ كَمَا يُمَيِّزُ الرَّاعِي الْخِرَافَ مِنَ الْجِدَاءِ، فَيُقِيمُ الْخِرَافَ عَنْ يَمِينِهِ وَالْجِدَاءَ عَنِ الْيَسَارِ. ثُمَّ يَقُولُ الْمَلِكُ لِلَّذِينَ عَنْ يَمِينِهِ: تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي، **رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ**» [3] .

إذاً، فالتصور في ذاك الوقت الذي كُتبت فيه الأناجيل الأولى كان يقوم على أساس أن (يسوع) جاء ليعلن عن " **قرب حلول مملكة الله، وأنه جاء ينصح الناس بالخير حتى يجدوا سبيلاً**

---

1) إظهار الحق، رحمة الله الهندي، (111/1) .

2) المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة/القاهرة، ط2، 1408هـ/1988م، (ص 22)– بتصرف يسير .

3) متّى 25 : 31 – 34 .

إلى هذه المملكة ويحصلوا لأنفسهم فيها على مكان، ودعا الناس إلى أن يترقبوا الانقلاب العظيم الذي سوف يطهّر العالم من الظلم والشر"[1] .

والأمر المهم والخطير هو أنّ " **مؤلفات (عصر الرسل والحواريين) التي كُتب أغلبها تحت تأثير هذا الاعتقاد، لم يقصد مؤلفوها أن تكون مرجعاً دائماً للكنيسة تبقى عبر العصور اللاحقة، لقد كتبت هذه المؤلفات تباعاً لتوافق احتياجات الجيل، الذي توقّع أن يعيش نهاية التاريخ، وبداية افتتاح ملكوت الله**"[2] .

وما دامت هذه الفكرة كانت أساس عمل أتباع المسيح ؛ فإنها كانت – في فهم الباحث– أساساً قوياً للتأثير على كافة معتقدات النصرانية وكُتبها المقدّسة التي كُتبت في تلك الأثناء وما تلاها من عقود.

2. العقائد الوثنية:

يكاد المنصفون من المؤرخين المسلمين وغير المسلمين يُجمعون – فيما اتضح للباحث– على كون الديانة النصرانية قد تأثرت بشدّة بالديانات والعقائد الوثنية القديمة، وأخذت نسخة مطابقة أو مشابهة للكثير من الأفكار والمعتقدات والخرافات الوثنية القديمة.

يصف شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– حال تحوّل النصرانية إلى وثنية مطوّرة عن وثنية المشركين فيقول: " ... كان يأتي البترك العظيم منهم إلى كنيسة مبنية لصنم من الأصنام يعبده المشركون، فيحتال حتى يجعلهم يعبدون مكان الصنم مخلوقاً أعظم منه، كملك من الملائكة أو نبي من الأنبياء، كما كان بالإسكندرية للمشركين كنيسة فيها صنم اسمه (ميكائيل) فجعلها النصارى كنيسة باسم (ميكائيل الملك)، **وصاروا يعبدون الملك بعد أن كانوا يعبدون الصنم ويذبحون له، وهذا نقل لهم من الشرك بمخلوق إلى الشرك بمخلوق أعلى منه،** أولئك كانوا يبنون الهياكل ويجعلون فيها الأصنام بأسماء الكواكب"[3] .

---

1) المسيحية الرابعة، د. رؤوف شلبي، مكتبة الأزهر/ القاهرة، ط1، 1980م، (ص 31)– بتصرف.

2) المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب، (ص 22)– بتصرف.

3) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، (382/4)– بتصرف يسير.

ويزيد شيخ الإسلام الأمر وضوحاً فيقول: " **النصارى ركّبوا دِيناً من دينين: من دين الأنبياء الموحدين ودين المشركين، فصار في دينهم قسط مما جاءت به الأنبياء، وقسط مما ابتدعوه من دين المشركين في أقوالهم وأفعالهم،** كما أحدثوا ألفاظ الأقانيم، وهي ألفاظ لا توجد في كلام الأنبياء، وكما أحدثوا الأصنام المرقومة بدل الأصنام المجسدة، والصلاة إلى الشمس والقمر والكواكب، بدل الصلاة لها، والصيام في وقت الربيع، ليجمعوا بين الدين الشرعي والأمر الطبيعي وغير ذلك"[1].

ويقول القاضي عبد الجبار واصفاً حال انتكاس النصرانية تدريجياً إلى دين آخر مختلف تماماً عن ذلك الدين الذي جاء به المسيح ﷺ: " واعلم أن دين المسيح ﷺ وديانات الرسل عليهم السلام **لم تتغير ولم تتبدل جملة واحدة ولكن شيئا بعد شيء، وفي كل عصر وفي كل حين حتى تكامل تغيرها، وما زال أهل الحق فيها يقلّون وأهل الباطل يكثرون، حتى غلبوا ومات بهم الحق**"[2].

وفي القرن العشرين، جمع الباحث محمد التنّير[3] توافقات عجيبة وغزيرة بين الديانة النصرانية والديانات الوثنية القديمة، تصل إلى حدّ التطابق في كثير من النصوص والخرافات، **إذ اغترفت النصرانية من الديانات الوثنية بشكل كبير، وتجلّى هذا الأمر في عقائد النصرانية التي جاءت متوافقة بشكل عجيب مع الديانات الوثنية القديمة الهندية والمصرية وغيرهما، وخاصة عقيدة التثليث، والصلب والفداء**[4].

---

1) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، (5/ 23) .

2) تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، (152/1).

3) محمد التنّير: محمد طاهر بن عبد الوهاب بن سليم التنير، (ت: 1352هـ/1933م) باحث من أهل بيروت، تعلم بها في الجامعة الأميركية، وأصدر جريدة (المصور) وأقام في قرية عين عنوب، وفرّ في خلال الحرب العالمية الأولى عن طريق حوران فلحق بالجيش العربي، ثم رحل إلى مصر، وعاد إلى سورية، فتوفي في دمر (من ضواحي دمشق) ودفن بها، له كتب، منها: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، وعلم الفلك (شارك أباه في تأليفه)، وغيرها.. **[** الأعلام، الزركلي، (6/ 173 – 174) **]** .

4) ليس المقصود هنا سرد هذه التشابهات والتطابقات، للاستزادة **راجع:** العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، محمد بن طاهر التنير البيروتي، تحقيق: د. محمد الشرقاوي، دار الصحوة/ القاهرة، ط1، 1408هـ/1988م.

وكان من أهم أسباب دخول الوثنية إلى النصرانية أن **بولس أصرّ على الذهاب للتبشير في بلاد الوثنية على خلاف وصية المسيح** ﷺ، وكان أن دخل أقوام من الوثنيين في المسيحية، فما لبثت أن تسرّبت إليها عقائد وثنية، سواءً من البلاد الرومانية أو اليونانية أو الشرقية[1] .

يقول وول ديورانت: " نشأَت المسيحية من الإيحاء الغامض العجيب الخاص بحلول الملكوت، واستمدت دوافعها من شخصية المسيح نفسه وتخيلاته، كما استمدت قوتها من عقيدة البعث والحساب، والوعد بحياة الخلود، **واتخذت صورة العقائد الثابتة في لاهوت بولس، ثم نمت باستيعابها العقائد والطقوس الوثنية؛** وأصبحت كنيسة ظافرة منتصرة، بعد أن ورثت ما امتازت به روما من أنماط وعبقرية منظّمة"[2] .

وبعد أن أشار ديورانت إلى (استيعاب) المسيحية للعقائد الوثنية، عاد ليؤكد بأن الأمر بلغ حد (تبني) هذه العقائد إذ يقول: " **إنّ المسيحية لم تقضِ على الوثنية، بل تبنّتها، ذلك أن العقل اليوناني المحتضر عاد إلى الحياة في صورة جديدة في لاهوت الكنيسة وطقوسها،** وأصبحت اللغة اليونانية التي ظلت قروناً عدة صاحبة السلطان على السياسة أداة الآداب، والطقوس المسيحية، وانتقلت الطقوس اليونانية الخفية إلى طقوس القداس الخفية الرهيبة، وساعدت عدة مظاهر أخرى من الثقافة اليونانية على إحداث هذه النتيجة المتناقضة الأطراف"[3] .

" لقد تمكن الباحثون في تاريخ المسيحية من معرفة حقائق هامة، تمثلت خصوصاً في رصد التحوّل الذي عرفته ديانة المسيح ﷺ، والذي كان نكسةً خطيرة لرسالته، وهي لا تزال في مهدها، إذ جُعل ﷺ وثناً يُعبد، بعد أن جاء هو نفسه لتحطيم الوثنية والأوثان، ولا شك أن هذا التحول الديني شكّل أخطر نكسة دينية عرفها التاريخ؛ **إذ انبثقت من ديانة توحيدية صرفة عبادة وثنية**

---

1) انظر: تأثّر المسيحية بالأديان الوضعية، د. أحمد علي عجيبة، دار الآفاق العربية/القاهرة، ط1، 2006م، (ص338).

2) قصة الحضارة، وول ديورانت، (242/11).

3) المصدر السابق، (275/11).

بفعل أفكار بولس، الذي هبط برسالة عيسى ﷺ إلى مستوى العقائد الإغريقية الرومانية السائدة في عصره " [1] .

وحاصل الأمر أن المعتقدات الوثنية كانت من أهم العوامل التي أثّرت في الديانة النصرانية منذ عصرها المبكر، وكان من زعماء من تولى كبر هذه الخطيئة بولس، الذي تُنسب إليه معظم انحرافات الديانة والكنيسة.

3. الاختراق اليهودي:

اتّضح للباحث أنّ النصرانية تأثرت باليهودية منذ نشأتها، فبعد رفع المسيح ﷺ تغلغلت اليهودية – بما ورثته من أسقام دهورها – في المسيحية الحديثة، فأجهزت عليها مبكراً، وصاغت مستقبلها ببصمات يهودية.

يقول ابن تيمية – رحمه الله– حكاية لحال النصارى في أخذهم عن اليهود: "ووضعوا لهم من القوانين والناموس ما لم يوجد في كتب الأنبياء ولا تدل عليه ... وغيّروا كثيراً مما شرعه الأنبياء، فما عند النصارى من القوانين والنواميس التي هي شرائع دينهم وبعضه عن الحواريين، **وكثير منه من ابتداع أكابرهم مع مخالفته لشرع الأنبياء، فدينهم من جنس دين اليهود** "[2].

والتفسير الواقعي لهذا التغلغل هو: " **كون اليهود على المستويين الجغرافي والنفسي أول أتباع الإيمان الجديد، لذا كان طبيعياً ألا تكون اليهودية قد تخلّت بدون قتال عما كان يمكن من بين مبادئها أن يكون قابلاً للتوفيق مع العقيدة المسيحية** "[3] .

وبما أن اتّجاهاً قوياً في القرن الأول الميلادي كان يرى بأن الإنجيل لم يُلغ الناموس (أي شريعة موسى ﷺ)، **فكان هذا الاتجاه يقضي بأن يجعل المسيحية مجرد "بدعة دينية يهودية"**،

---

1) تاريخ وعقائد الكتاب المقدّس بين إشكالية التقنين والتقديس، د. يوسف الكلّام، دار صفحات/ دمشق، ط1، 2009م، (ص 282– 283)– بتصرف يسير.

2) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، (343/1) .

3) الهرطقة في المسيحية، ج. ويتلر، ترجمة: جمال سالم، دار التنوير/بيروت، ط(بدون)، 2007م، (ص 48)– بتصرف يسير .

ومن هنا نشأ ما عُرف عند مفكري النصرانية والمؤرخين بـ "**اليهو–مسيحية**"، والتي كان اليهودي "فيلون"[1] من عمدائها، وذلك أنّ تأمّلات فيلون الفلسفية تركت تأثيرها في الفكر المسيحي، إذ أخضع العهد القديم إلى التفسير الرمزي الذي يجعل "الله" خارج أي تحديد دقيق، وبالتالي أدخل مفردات العقيدة في قضايا فلسفية مائعة غير مفهومة، الأمر الذي أثار إعجاب وتقدير آباء الكنيسة الأوائل و تماشى مع هرطقاتهم الدينية، لذا استخدموا فيما بعد رموزه المبتكرة [2] .

هذا، وقد كان لليهود مصلحة وأولوية – في نظرهم– في هدم المسيحية، ومناصبتها العداء، واختراقها منذ بداياتها، وذلك أنّ اليهود زعموا " أنّ لهم منزلة دينية لا يساميهم فيها أحد، واتّخذوا من هذا ما يمكن أن يسمّى أرستقراطية[3] دينية! ... فلمّا جاء عيسى عليه السلام، وسوّى بين بني البشر في دعايته، أنكروا عليه ذلك وناصبوه العداء"[4] .

وكان لبولس – اليهودي الأصل– دورٌ هام في اختراق اليهود للمسيحية، إذ ورد في العهد الجديد على لسانه قوله: « أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ، **أَنَا فَرِّيسِيٌّ ابْنُ فَرِّيسِيٍّ**، عَلَى رَجَاءِ قِيَامَةِ الأَمْوَاتِ أَنَا أُحَاكَمُ»[5]. وقوله: « فَإِنَّكُمْ سَمِعْتُمْ بِسِيرَتِي قَبْلاً فِي الدِّيَانَةِ الْيَهُودِيَّةِ، **أَنِّي كُنْتُ أَضْطَهِدُ كَنِيسَةَ اللهِ** بِإِفْرَاطٍ وَأُتْلِفُهَا، وَكُنْتُ أَتَقَدَّمُ فِي الدِّيَانَةِ الْيَهُودِيَّةِ عَلَى كَثِيرِينَ مِنْ أَتْرَابِي فِي جِنْسِي، إِذْ كُنْتُ أَوْفَرَ غَيْرَةً فِي تَقْلِيدَاتِ آبَائِي»[6].

---

1) فيلون: فيلسوف يهودي من الإسكندرية، هاجر أبوه إلى فلسطين من مصر ضمن الألوف الأخرى من اليهود التي هاجرت، وكان أبوه من أعضاء النخبة اليهودية في فلسطين، تلقى فيلون تعليماً هيلينياً كاملاً، وأهم مصادر فكر فيلون الفلسفة الأفلاطونية، كما أنه تأثر بأرسطو والفيثاغورثيين الجدد والكلبيين والرواقيين، وقد حاول أن يمزج بين روح الفلسفة اليونانية (خصوصاً فلسفة أفلاطون) وعقائد الدين اليهودي **[** موسوعة اليهود، المسيري، (365/3 – 366)– بتصرف **]** .

2) انظر: الهرطقة في المسيحية، ج. ويتلر، (ص 51 – 52).

3) الأَرُسْتُقْرَاطِيَّةُ: تشير كلمة أرستقراطية – تاريخيًا– إلى شكل من الحكم يسيطر عليه عدد قليل من المواطنين الأثرياء وذوي المكانة الاجتماعية البارزة **[** الموسوعة العربية العالمية، www.mawsoah.net، باب الألف، بتاريخ: 2013/05/11م **]** .

4) محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، (ص 23)– بتصرف يسير .

5) أعمال الرسل 23 : 6 .

6) رسالة بولس إلى أهل أغلاطية 1 : 13 – 14 .

ويحدّث لوقا عن بولس قائلاً: « وَأَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ **يَسْطُو عَلَى الْكَنِيسَةِ**، وَهُوَ يَدْخُلُ الْبُيُوتَ وَيَجُرُّ رِجَالاً وَنِسَاءً وَيُسَلِّمُهُمْ إِلَى السِّجْنِ»[1]. وفي موضع آخر: « أَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ لَمْ يَزَلْ **يَنْفُثُ تَهَدُّدًا وَقَتْلاً عَلَى تَلاَمِيذِ الرَّبِّ**، فَتَقَدَّمَ إِلَى رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، وَطَلَبَ مِنْهُ رَسَائِلَ إِلَى دِمَشْقَ، إِلَى الْجَمَاعَاتِ، حَتَّى إِذَا وَجَدَ أُنَاسًا مِنَ الطَّرِيقِ، رِجَالاً أَوْ نِسَاءً، يَسُوقُهُمْ مُوثَقِينَ إِلَى أُورُشَلِيمَ»[2].

فكيف تحوّل هذا العدو اللدود للمسيح عليه السلام وتلاميذه ورسالته، إلى رائد ومؤسس وحامل للواء هذا الدين، حتى صار يُنسب إليه من دون المسيح؟!

ومن ملامح يهودية بولس أنه كان في خطابه يسعى لاستيعاب اليهود رغم عدائهم للمسيحية، وكان من قوله: « فَإِنِّي إِذْ كُنْتُ حُرًّا مِنَ الْجَمِيعِ، اسْتَعْبَدْتُ نَفْسِي لِلْجَمِيعِ لأَرْبَحَ الأَكْثَرِينَ، **فَصِرْتُ لِلْيَهُودِ كَيَهُودِيٍّ لأَرْبَحَ الْيَهُودَ**. وَلِلَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ كَأَنِّي تَحْتَ النَّامُوسِ لأَرْبَحَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، وَلِلَّذِينَ بِلاَ نَامُوسٍ كَأَنِّي بِلاَ نَامُوسٍ»[3].

"إذ أدخل بولس في المسيحية الجديدة بعض تعاليم اليهود؛ **ليجذب إليه العامة من اليهود، كما أدخل إليها فلسفات وأفكار أخرى ليجذب إليه الرومان وغيرهم**"[4] .

ومن أهم أوجه مسئولية بولس عن اختراق المسيحية، **هو إسهامه مع اليهود في ضياع الإنجيل، إذ إنّ " المتأمّل في تاريخ الديانة النصرانية يجد أنّ الذين بدأوا التحريف في هذه الديانة إنما هم بعض اليهود (ومنهم بولس) أي أنّهم ساهموا في ضياع الإنجيل بوضع البديل الذي يحلّ محلّه، وهذه ربما تكون خطّة اليهود الخبيثة في ضياع الإنجيل**؛ ذلك أنّهم وجدوا أن طريق الاضطهاد مع هؤلاء قد لا يجدي وحده، لذلك عمل بعضهم على أن يتظاهر بالدخول في

---

1) أعمال الرسل 8 : 3 .

2) أعمال الرسل 9 : 1 – 2 .

3) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس 9 : 19 – 21 .

4) المسيحية، د. شلبي، (ص 116)– بتصرف .

الديانة ليعبث بها من الداخل، ويعمل على إنشاء إنجيل جديد بعقائد جديدة، يستغني به النصارى عن الإنجيل الصحيح، وهذا ما حدث" [1] .

خلاصة المطلب:

أولاً: عصفت الظروف والمؤثرات الخارجية بالنصرانية منذ نشأتها، خاصة بعد رفع المسيح عليه السلام، وكانت النتيجة أن وُجد دينٌ جديد لا علاقة له بدين عيسى عليه السلام البتّة.

ثانياً: كان ضياع الإنجيل الأصلي الذي جاء به عيسى عليه السلام من أهم العوامل التي انحرفت بسببها النصرانية منذ البداية، ولم يعد لذلك الإنجيل وجود منذ عهود النصارى المبكّرة.

ثالثاً: تعددت أسفار النصارى وأناجيلهم، وكان لكل إنجيل أنصاره وأعداؤه، وباتت أناجيل كثيرة في موضع النقاش والأخذ والردّ، ومما أضفى اضطراباً كبيراً على الديانة، ودخلت النصرانية في حالة من التيه والضياع والضلال.

رابعاً: كان للاضطهادات التي تعرّضت لها النصرانية منذ مهدها الأثر الكبير في ضياع النبع الأصيل لديانة عيسى عليه السلام التوحيدية، وقد أخذت الاضطهادات طابعاً مزدوجاً، بين فكّي اليهود والرومان، وكان لكلّ أهدافه ودوافعه، وقد شكّلت هذه الاضطهادات بيئة خصبة لتحريف الإنجيل والتغيير الجذري في العقيدة النصرانية.

خامساً: كانت الأسباب السابقة؛ من ضياع الإنجيل الأول، وتعدد الأناجيل التالية، والاضطهادات، مقدّمة لدخول العقائد الدخيلة على أصل الديانة النصرانية، فأُدخلت فيها عقيدة المجيء الثاني للمسيح، والعقائد الوثنية، والأفكار اليهودية، ونُسب إلى بولس إعادة تشكيل النصرانية، من خلال إدخال كل العوامل التي قلبتها رأساً على عقب.

---

1) تأثّر المسيحية بالأديان الوضعية، أحمد عجيبة، (ص 102- 103)- بتصرف يسير.

المطلب الثالث:

مناقشة مصادر العقيدة النصرانية

إنّ مصادر العقيدة النصرانية – في تقدير الباحث– تحمل عوامل نقضها في بنيتها الأساسية، ففيها من النواقض ما يغني عن كثير من التفصيل، فإذا كانت الظروف التي نشأت فيها هذه العقيدة مما ذُكر في المطلبين السابقين قد خلّفت عقيدة مبتدَعة من صنع البشر وخرافات التاريخ، فهي في غنّى عن الغوص في تفاصيلها وجزئياتها.

لكن ومع هذا، فسيطرق الباحث باب مناقشة مصادر العقيدة النصرانية بإيجاز، في نقاط اتّضحت أهميتها للباحث.

وبما أنّ النصارى يؤمنون بالعهد القديم ويعتبرونه مقدّساً، فيُرجع إلى مناقشة مصادر العقيدة اليهودية في المطلب الثالث من الفصل الأول، فجلّ ما قيل هناك يمكن أن يُضمّ مع ما سيأتي في السطور التالية، كمناقشة وردّ على مصادر النصارى.

أما مصادر العقيدة النصرانية الأخرى (وعلى وجه الخصوص العهد الجديد)، **فبالإضافة إلى ما عرّج عليه الباحث في ثنايا المطلبين السابقين، فسيوجز المناقشة هنا – مستعيناً بالله– في نقاط ثلاث:**

أولاً: **ثبوت وقوع التحريف**:

لقد أشار القرآن العظيم إلى تحريف النصارى لكتبهم، وقد توسّع علماء الإسلام في استخلاص ثبوت التحريف، سواءً من صريح كلام الله ﷻ في القرآن، أو من ثنايا الكتاب المقدّس عند أهل الكتاب، وكذا من أقوال علماء النصارى، ومن أبحاث علماء المسلمين قديماً وحديثاً.

قال ﷻ مخاطباً أهل الكتاب: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران/71)، قال الطبري –رحمه الله–: " يعني بذلك جل ثناؤه: يا أهل التوراة والإنجيل لم تلبسون، يقول: لم تخلطون الحق بالباطل"[1].

قال ابن حزم – رحمه الله–: " وما ندري كيف يستحلّ مسلمٌ إنكار تحريف التوراة والإنجيل وهو يسمع كلام الله ﷻ ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ **ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ** كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ (الفتح/29)، وليس شيء من هذا فيما بأيدي اليهود والنصارى – مما يدّعون أنه التوراة والإنجيل– فلا بد لهؤلاء الجهّال من تصديق ربّهم جل وعز أن اليهود والنصارى بدّلوا التوراة والإنجيل، وألا يرجعوا إلى الحمق ويكذبوا ربهم جل وعز ويصدقوا اليهود والنصارى فيلحقوا بهم"[2] .

وقال ابن تيمية –رحمه الله–: "... بخلاف التوراة والإنجيل فإن من ألفاظها ما بَدّل معانيه وأحكامَه اليهودُ والنصارى أو مجموعُهما تبديلاً ظاهراً مشهوراً في عامّتهم... وكما بدّلت النصارى كثيراً مما في التوراة والنبوات من الأخبار ومن الشرائع التي لم يغيّرها المسيح، فإنّ ما نسخه الله على لسان المسيحِ من التوراة يجب اتّباع المسيح فيه"[3].

يقول رحمة الله الهندي –رحمه الله–: والتحريف قسمان: لفظي ومعنوي، ولا نزاع بيننا وبين المسيحيين في القسم الثاني؛ لأنهم يسلّمون كلّهم صدوره عن اليهود في العهد العتيق في تفسير الآيات، التي هي إشارة في زعمهم إلى المسيح، وفي تفسير الأحكام التي هي أبديّة عند اليهود ... بقي القسم الأول، وقد أنكره علماء البروتستانت في الظاهر إنكاراً بليغاً لتغليط جهّال المسلمين

1) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (503/6) .

2) الفصل، ابن حزم، (1/ 318).

3) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، (18/3) .

وأوردوا أدلّة مموّهة مزوّرة في رسائلهم، ليوقعوا الناظرين في الشكّ ... وأقول: إنّ التحريف اللفظي بجميع أقسامه، أعني: بتبديل الألفاظ وزيادتها ونقصانها، ثابتٌ في الكتب المذكورة"[1] .

" والمتّهَمون بتحريف الإنجيل – فيما هو ثابت تاريخياً ومتحتّم عقلاً ومنطقاً–، ثلاث فئات، هم: النُسّاخ، وبعض رجال الدّين، وأعداء الديانة من اليهود والوثنيين وغيرهم"[2].

أما أهم أسباب وقوع التحريف في الإنجيل، فهي[3]:

أ. أنّ الله ﷻ لم يتكفّل بحفظه كما تكفّل سبحانه بحفظ القرآن الكريم.

ب. ما مرّ به النصارى (المسيحيون) من اضطهادات في تاريخهم.

ت. إضافات بولس وتحريفاته الكبيرة في العقائد والشرائع المسيحية.

ويقرر "وول ديورانت" حقيقة وقوع التحريف المقصود في الأناجيل فيقول: " وترجع أقدم النسخ التي لدينا من الأناجيل الأربعة إلى القرن الثالث، أما النسخ الأصلية فيبدو أنها كتبت بين عامي 60، 120م، ثم تعرضت بعد كتابتها على مدى قرنين من الزمان لأخطاء في النقل، **ولعلها تعرضت أيضاً لتحريف مقصود يراد به التوفيق بينها وبين الطائفة التي ينتمي إليها الناسخ أو أغراضها**، والكتّاب الذين عاشوا قبل نهاية القرن الأول الميلادي لا ينقلون قط شيئاً عن العهد الجديد، بل كان ما ينقلونه مأخوذاً من العهد القديم "[4] .

ويصنّف رحمة الله الهندي التحريف إلى ثلاثة أصناف: تحريف بالتبديل، وتحريف بالزيادة وتحريف بالنقصان، ويسوق نحو مائة شاهد على التحريف من ثنايا (الكتاب المقدّس) [5] .

---

1) إظهار الحق، رحمة الله الهندي، (427/2)– بتصرف يسير.

2) دلائل تحريف الكتاب المقدّس، د. شريف سالم، الناشر (بدون)، ط1، 1426هـ/2005م، (8/1) .

3) **انظر**: التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة، د. سارة العبّادي، دار طيبة الخضراء/مكة المكرمة، ط1، 1424هـ/2003م، (ص 67، 71، 76).

4) قصة الحضارة، وول ديورانت، (207/11).

5) **راجع**: إظهار الحق، (2/ 429 – 541).

والتحريف ظاهر في سطور الأناجيل، حتى بعد أن وقع فيها ما وقع من التغيير والتبديل، وبعد أن أصبحت– كما تقرر– شيئاً آخر مختلفاً تماماً عن إنجيل عيسى عليه السلام، **و فيما يلي طرفٌ من أهمّ نماذج هذه التحريفات، في تقدير الباحث:**

1. تحريف ألقاب المسيح عليه السلام: ومنها ما ورد من تحريفات بالزيادة بين إنجيلَي مرقص ومتّى[1]، وهذه التحريفات هي من أهمّ وأخطر ما يرد في الأناجيل –في نظر الباحث– وذلك لأنها تدل على ما وراءها من عقائد يراد إقحامها في الديانة، وهي جليّة لكل مبصر، فمثلاً تجد في إنجيل مرقص على لسان المسيح: « لأَنَّ مَنْ يَصْنَعُ **مَشِيئَةَ اللهِ** هُوَ أَخِي وَأُخْتِي وَأُمِّي»[2] ، وأما في متّى: « لأَنَّ مَنْ يَصْنَعُ **مَشِيئَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ** هُوَ أَخِي وَأُخْتِي وَأُمِّي»[3].

وفي موضع آخر، تجد في مرقص: « فَقَالَ لَهُمْ: وَأَنْتُمْ، مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟ فَأَجَابَ بُطْرُسُ وَقَالَ لَهُ: **أَنْتَ الْمَسِيحُ**!» [4] أما في متّى: « وَقَالَ: **أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ الْحَيِّ**!» [5].

ومن ذلك في غير الأناجيل الأربعة، ما ورد من تحريف بالزيادة في سفر أعمال الرسل ونصّه: « فَقَالَ فِيلُبُّسُ: إِنْ كُنْتَ تُؤْمِنُ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ يَجُوزُ. فَأَجَابَ وَقَالَ: **أَنَا أُومِنُ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ ابْنُ اللهِ**»[6]، قال رحمة الله الهندي: "وهذه الآية إلحاقية، ألحقها أحدٌ من أهل التثليث؛ لأجل هذه الجملة: آمنت بأن عيسى هو ابن اللّه "[7] .

2. تحريف كتبة الأناجيل لألفاظ وأحداث من العهد القديم؛ لتتناسب مع ما يدونوه في أناجيلهم، ومن ذلك: ما نسبه كاتب إنجيل متّى للنبي ارمياء – في سياق ذكر حادثة القبض على المسيح عليه السلام وتسليمه– إذ قال: « حِينَئِذٍ تَمَّ **مَا قِيلَ بِإِرْمِيَا النَّبِيِّ الْقَائِلِ:** وَأَخَذُوا الثَّلاَثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ، ثَمَنَ

1) **انظر**: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب، (ص 95– 97) .
2) مرقص 3 : 35 .
3) متّى 12 : 50 .
4) مرقص 8 : 29 .
5) متّى 16 : 16 .
6) أعمال الرسل 8 : 37 .
7) إظهار الحق، رحمة الله الهندي، (505/2).

الْمُثَمَّنِ الَّذِي ثَمَّنُوهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَعْطَوْهَا عَنْ حَقْلِ الْفَخَّارِيِّ، كَمَا أَمَرَنِي الرَّبُّ» [1]، إذ لم يرد في العهد القديم هذا القول على لسان النبي ارمياء، بل لا يوجد هذا القول في جميع كتب العهد القديم[2] .

3. تحريف ألفاظ معيّنة لتقرير عقيدة التثليث: ومن ذلك ما علّق عليه رحمة الله الهندي مما جاء في "رسالة يوحنا الأولى" والذي نصّه: « فَإِنَّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي السَّمَاءِ هُمْ **ثَلاَثَةٌ: الآبُ، وَالْكَلِمَةُ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ. وَهؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ وَاحِدٌ.** وَالَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي الأَرْضِ هُمْ ثَلاَثَةٌ: الرُّوحُ، وَالْمَاءُ، وَالدَّمُ. وَالثَّلاَثَةُ هُمْ فِي الْوَاحِدِ»[3]، فقال: " ففي هاتين الآيتين كان أصل العبارة على ما زعم محققوهم هذا القدر: (لأن الشهود الذين يشهدون ثلاثة، وهم: الروح، والماء، والدم، وهؤلاء الثلاثة تتحد في واحد)، فزاد معتقدو التثليث هذه العبارة: (في السماء ثلاثة، وهم: الأب، والكلمة، والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة واحد، والشهود الذين يشهدون في الأرض) فيما بين أصل العبارة، وهي ملحقةٌ يقيناً " [4] .

هذا غيض من فيض، وطرف يسير من قائمة طويلة من التحريفات، التي ليس هذا البحث موضعاً لتفصيلها، فتُراجع في مصادرها التي أشار إليها الباحث آنفاً.

ثانياً: **بطلان النسبة وانقطاع السند**:

" لا بدّ للعقائد لكي تكون صحيحة أن تؤخذ من كتاب سماوي نُقل إلينا عن طريق التواتر، أو توفر فيه شرط اتّصال السند، وإن لم يتوفر هذان الشرطان، فإن ذلك الكتاب لا يستحق التقديس"[5].

و قد سبق أن أشار الباحث عند الحديث عن الأناجيل بأنها ليست منسوبة إلى عيسى عليه السلام، ولا هو يعلم بها أصلاً، و أنّه قد ضاع الإنجيل الأصلي بلا خلاف.

---

1) متّى 27 : 9 – 10 .
2) انظر: إظهار الحق، رحمة الله الهندي، (493/2).
3) رسالة يوحنا الأولى 5 : 7 – 8 .
4) إظهار الحق، رحمة الله الهندي، (498/2).
5) التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة، د. سارة العبّادي، (ص 54) .

إذاً، فما هو سند هذه الأناجيل؟ وما مدى صحة نسبتها إلى الوحي والإلهام؟ وما علاقتها بزعيم الديانة ونبيها، المسيح ﷺ؟ بقيت هذه الأسئلة ماثلة تشكك باستمرار في أصول الديانة النصرانية، وقد تتبع الباحثون قديماً وحديثاً منابع الديانة النصرانية فما وجدوا لها سنداً يعتدّ به كأصل لديانة وعقيدة، وإليك طرفاً موجزاً من مناقشات العلماء والباحثين لقضية سند الأناجيل.

قال ابن تيمية –رحمه الله–: "... بخلاف أهل الكتاب فإنه **لو عدمت نسخ الكتب لم يكن عندهم به نقل متواتر بألفاظها إذ لا يحفظها – إن حفظها – إلا قليل لا يوثق بحفظهم؛ فلهذا كان أهل الكتاب بعد انقطاع النبوّة عنهم يقع فيهم من تبديل الكتب**، إما تبديل بعض أحكامها ومعانيها، وإما تبديل بعض ألفاظها ما لم يقوموا بتقويمه، ولهذا لا يوجد فيهم الإسناد الذي للمسلمين، ولا لهم كلام في نقلة العلم وتعديلهم وجرحهم ومعرفة أحوال نقلة العلم ما للمسلمين"[1] .

أما عن الإنجيل، فيقرر شيخ الإسلام ما اتفق عليه المؤرّخون من النصارى وغيرهم عن نسبته إلى أشخاص، فيقول: " وأما الإنجيل الذي بأيديهم فهم معترفون بأنه لم يكتبه المسيح ﷺ ولا أملاه على من كتبه وإنما أملوه بعد رفع المسيح، متى ويوحنا، وكانا قد صحبا المسيح، **ولم يحفظه خلق كثير يبلغون عدد التواتر**، ومرقس ولوقا، وهما لم يريا المسيح ﷺ، وقد ذكر هؤلاء أنهم ذكروا بعض ما قاله المسيح وبعض أخباره، وأنهم لم يستوعبوا ذكر أقواله وأفعاله، **ونقل اثنين وثلاثة وأربعة يجوز عليه الغلط؛ لا سيما وقد غلطوا في المسيح نفسه حتى اشتبه عليهم بالمصلوب**"[2] .

ومع الاتفاق بأن الأناجيل لا صلة بينها وبين المسيح ﷺ البتة، فإنها مع ذلك محل شكّ في نسبتها إلى أصحابها المشهورين، " **فنتائج البحث والدراسة، واستدعاء الشواهد الداخلية والخارجية لا تشجّع على الاعتقاد بأنّ أولئك الرجال الذين نجد أسماءهم على أغلفة الأناجيل هم الذين ألّفوها فعلاً** "[3] .

---

1) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، (26/3) .

2) المصدر السابق، (397/2) .

3) حول موثوقية الأناجيل، محمد السعدي، جمعية الدعوة الإسلامية/ طرابلس الغرب، ط1، 1985م، (ص 14).

ويظهر للباحث أنّ السبب الرئيس في التشكيك في نسبة الأناجيل إلى أصحابها، **أنّ هناك ابتداءً فجوة بين زمن كتابة الأناجيل، وزمن ظهورها.**

يقول في ذلك موريس بوكاي: "**إنّ الأناجيل التي أصبحت فيما بعد رسمية – أي قانونية- عرفت في وقت متأخر جداً رغم أنّ تحريرها قد أنجز في مطلع القرن الثاني** ... ومن الصعب بصورة شبه دائمة تقرير ما إذا كانت الإفادات مبنية على نصوص مكتوبة كان الكتّاب يشاهدونها، أو إنهم اكتفوا بأن يسترجعوا من الذاكرة بقايا من الرواية الشفوية " [1] .

ويشكّك بوكاي في صحة وصف أصحاب الأناجيل بالرسل أو صحابة المسيح ﷺ، فيقول عن متّى: " ما هي شخصية متّى؟ **ولننقل جملة واحدة: إنه لم يعد مقبولاً الآن بأن يقال أنه أحد أصحاب عيسى** ﷺ "[2].

وعن إنجيل مرقص يقول: " إنّه أقصر الأناجيل وأقدمها، **لكنّه ليس كتاب رسول، وكل ما فيه أنه كتاب محرر من تلميذ رسول** ... وهو كاتبٌ غير ماهر، إنّه أسخف الإنجيليين طرا"[3] .

أما عن إنجيل يوحنا فيقول: " من هو الكاتب؟ إنه سؤال موضع جدال؛ إذ الآراء تختلف كثيراً في هذا الموضوع ... **إنّ الملاحظات الفريدة المعطاة من أكبر الكتّاب المسيحيين في مسألة كاتب الإنجيل الرابع تؤكّد كلّها غموض الأمر حول هويّته**"[4] [5] .

وإذا درس الباحث أناجيل العهد الجديد (وهي الجزء الأهم بالنسبة للنصرانية)، فإنه يخلص إلى اضطراب وحيرة في نسبة هذه الأناجيل تفصيلاً إلى أصحابها.

---

1) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، (ص 75)- بتصرف يسير.

2) المصدر السابق، (ص 81) .

3) المصدر نفسه، (ص 84- 85)- بتصرف.

4) المصدر ذاته، (ص 90)- بتصرف.

5) أما لوقا، فلا خلاف أنّه ليس من تلاميذ المسيح ولا حوارييه، كما نقل الباحث ذلك عند ترجمته في المطلب الأول من هذا المبحث (ص 307).

فإذا طالعت **إنجيل متّى،** فإنك لا تجد ما يشير إلى أنّ متّى الحواريّ هو مؤلفه، فالكاتب يتحدث بصيغة الغائب لا بصيغة المتكلّم، وإذا علمنا أنّ متّى قد كتب إنجيله بالعبرانية –على خلاف– وقد عُلم قطعاً بأنّ الأصل العبري مفقود، وما بين أيدينا هو ترجمة له، فهذا يعني أنّ القطع بنسبة الإنجيل الحالي إلى متّى ممتنع، بناءً على امتناع القطع بصواب ترجمته[1].

أما **إنجيل مرقص،** فقد نقل الشيخ محمد أبو زهرة عن بعض مؤرخي النصارى قولهم **بأنّ بطرس هو الذي كتب الإنجيل المعروف بإنجيل مرقص ونسبه إليه،** مع أنّ مرقص هو رئيس الحواريين، والثاني من تلاميذه، ثم عقّب الشيخ على ذلك بقوله : "والحقّ أن ذلك الاختلاف وإن كان زمنياً في ظاهره، فهو في معناه ولبّه اختلاف في شخص المحرّر لهذا الإنجيل ... فمن الكاتب إذن؟ "[2] .

وحول **إنجيل لوقا،** فعلاوة على الخلاف الذي دار حول شخصية مؤلفه، وصنعته، والقوم الذين كتبه لهم، فإن كاتب الموسوعة البريطانية[3] **يشكك في نسبة إنجيل لوقا إليه، ويستدلّ على ذلك بأن لوقا من تلاميذ بولس، ولكنك لا تجد لأفكار بولس أثراً في إنجيل لوقا،** وتنتهي الموسوعة إلى القول: "**باختصار، إنّ مؤلف هذا الإنجيل يظلّ مجهولاً** "[4] .

أما **إنجيل يوحنا،** ففي نسبته إلى يوحنّا الحواري نزاع بين النصارى أنفسهم، **فمن محققي النصارى من أنكر نسبته إلى الحواري، وقالوا بل كتبه يوحنا آخر لا يمت للأول بصلة،** مع أنّ هذا الإنجيل يتميز عن كل الأناجيل بأنه يستحدث القول بألوهية المسيح ﷺ، ويتضمن عبارات التثليث التي لم ترد في غيره من الأناجيل، كما أنّ أسلوب كتابة الإنجيل تضفي شكوكاً إضافية

---

1) انظر: حول موثوقية الأناجيل، محمد السعدي، (ص 15) .

2) محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، (ص 48)– بتصرف يسير.

3) الموسوعة البريطانية: أو الـ"بريتانيكا" هي موسوعة عامة باللغة الإنجليزية تصدرها شركة الموسوعة البريطانية المحدودة الخاصة، المقالات في الموسوعة تستهدف القراء المتعلمين والمثقفين ويكتبها 100 موظف بدوام كامل، وأكثر من 4400 مساهم مختص، وتعد من أشهر وأدق الموسوعات وأشدها سعة واطلاعاً **[** موسوعة ويكيبيديا الحرة، رابط: wikipedia.org/wiki/الموسوعة_البريطانية، بتاريخ: 2013/05/20م **]** .

4) حول موثوقية الأناجيل، محمد السعدي، (ص 19)، نقلاً عن: الموسوعة البريطانية، (954/2)– بتصرف.

حول نسبته لكاتبه، إذ يتحدث فيه بصفة الغائب وليس الشاهد للأحداث، **ويختمه بما يؤكد أنّه لم يشاهد ولم يسمع ما كتبه من أحداث بل ينسبها تارة لغائب وتارة لجمع وتارة لمفرد متكلم**[1].

وانقطاع السند لا يتوقف عند الأناجيل الأربعة، بل يتعداها إلى الكتب الأخرى للنصرانية، "فمجمع نيقية عام 325م مثلاً لم يعترف بالكثير من هذه الكتب، إذ لم يعترف المجمع بـ (رسالة بولس إلى العبرانيين، ورسالة بطرس الثانية، ورسالتي يوحنا الثانية والثالثة، ورسالة يعقوب، ورسالة يهوذا، ورؤيا يوحنا)، ولم يُحكم بصحة هذه الكتب إلا عام 364م، ولم تكن قبل هذا التاريخ مختصة بالتقديس، **فبين آخر كتبهم تدويناً – في زعمهم– وبين معرفته والاعتراف به أكثر من خمس وعشرين سنة ومائتين** (250 سنة) لا راوي يرويها" ! [2] .

إنّ هذا الاضطراب في النسبة، والانقطاع في السند بين الأناجيل وكتبتها، هو – في فهم الباحث– أمر في غاية العجب، فكيف يسوغ أن ينتسب النصارى إلى عقيدة عُلم يقيناً أنّ مصدرها بشري، ثم اختُلف في البشر الذين وضعوها، وحامت حولهم الشكوك، وتضاربت فيهم الأقوال؟!، وهذا كفيل وحده بإبطال دين النصارى بالجملة، ولا يجد المرء أبلغ لوصف هذه الحال من قول الحقّ ﷻ ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (المائدة/68) .

ثالثاً: تناقضات الأناجيل:

استطرد العلماء في سرد تناقضات الإنجيل – فيما ظهر للباحث– كما يتحير الباحث العادي ويُشدَه مما يقرأ من تناقضات الأناجيل، إذ فيها ما لا يخطر على بال أن تكون في كتاب يُزعم أنّه مقدّس، أو أنه يؤول إلى الوحي بطريقٍ ما، كما يزعم مقدِّسوه.

---

1) انظر: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، (ص 50 – 51)، **أيضاً:** حول موثوقية الأناجيل، محمد السعدي، (ص 19 – 20) .

2) محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، (ص 91 – 92)– بتصرف.

أسهب الإمام ابن حزم –رحمه الله– في ذكر تناقضات الإنجيل، وأفرد له مساحة كبيرة في كتابه الفِصل، ابتدأها بقوله : " أما الإنجيل وكتب النصارى، فنحن – إن شاء الله ﷻ– موردون من الكذب المنصوص في أناجيلهم، **ومن التناقض الذي فيها أمراً لا يشكّ كل من رآه في أنهم لا عقول لهم، وأنّهم مخذولون جملةً** "[1] .

ثم ساق – رحمه الله– الكثير من التناقضات في الأناجيل وتصدّى لتفنيدها بالتفصيل، وردّ على النصارى ردوداً كثيرة استغرقت غالبية الجزء الثاني من كتاب الفِصل.

وقد صنّف الأديب أحمد الشِّدياق[2] في القرن التاسع عشر كتاباً قيّماً في تناقضات الإنجيل، سمّاه: مماحكات التأويل في مناقضات الإنجيل، قال في صدره: " فإنّي لمّا رأيت مناقضات كتاب الأناجيل الأربعة كثيرة لا يمكن حصرها، ولا يتأتّى لزابرٍ زبرَها، عمدتُ إلى أحدها – وهو الإنجيل المنسوب إلى متّى– فعارضته بغيره من باقي الأناجيل الثلاثة، معارضةً تؤتُّ الخصم أتّاً، وتَبلته بلتاً "[3] .

ولا تخفى على أحد أهمية السفر العظيم للشيخ رحمة الله الهندي، المعروف بكتاب "إظهار الحق"، والذي فصّل فيه القول في تحريف العهدين القديم والجديد واختلافاتهما وتناقضاتهما.

أما العالم الفرنسي موريس بوكاي فيطرق ذات الباب، ويتناول تناقضات – بل وتضادّ– روايات الأناجيل ويقول– مستهجناً– قبل إيراده نماذج منها: " **وغالباً ما تكون دهشة المسيحيين**

---

1) الفصل، ابن حزم، (13/2) .

2) أحمد الشّدياق (1804– 1887م): أحمد فارس بن يوسف بن منصور الشدياق: عالم باللغة والأدب، ولد في قرية عشقوت (بلبنان) وأبواه مسيحيان مارونيان سمياه فارسا، ورحل إلى مصر فتلقى الأدب عن علمائها، ورحل إلى مالطة فأدار فيها أعمال المطبعة الأمريكانية، وتنقل في أوربا، ثم سافر إلى تونس فاعتنق فيها الدين الإسلامي وتسمى (أحمد فارس) فدعي إلى الآستانة فأقام بضع سنوات، ثم أصدر بها جريدة (الجوائب) سنة 1277هـ فعاشت 23 سنة، وتوفي بالآستانة، ونقل جثمانه إلى لبنان. **[** الأعلام، الزركلي، (193/1) **]** .

3) مماحكات التأويل في مناقضات الإنجيل، أحمد فارس الشدياق، تحقيق: محمد أحمد عمايرة، دار وائل/عمّان، ط1، 2003م، (ص 14)، والزَبر بالشيء: القذف به، يؤتّ: يكبت بالحجة، ويبلَته: يقطعه **[** نفس المصدر ونفس الصفحة **]** .

من هذه التضادّات – عندما يعثرون عليها– بين الأناجيل، لأنه قد تكرّر على مسامعهم التأكيد القوي بأنّ كتّابها كانوا شهود عيان لها "[1] .

وهذا وول ديورانت يؤكّد قطعية وقوع التناقضات في الأناجيل، فيقول: " **وملاك القول أنّ ثمّة تناقضاً كثيراً بين بعض الأناجيل والبعض الآخر، وأن فيها نقطاً تاريخية مشكوكاً في صحتها،** وكثيراً من القصص الباعثة على الريبة والشبيهة بما يروى عن آلهة الوثنيين، وكثيراً من الحوادث التي يبدو أنها وضعت عن قصد لإثبات وقوع النبوءات الواردة في العهد القديم، وفقرات كثيرة ربما كان المقصود منها تقدير أساس تاريخي لعقيدة متأخرة من عقائد الكنيسة أو طقس من طقوسها"[2].

ويمكن إيجاز أهمّ البنود أو الأصول التي تؤول إليها تناقضات الأناجيل – فيما اتّضح للباحث– في عدة نقاط، **فيما يلي:**

أ- تناقض الأناجيل مع العهد القديم (التوراة): وهو تناقض بيّن، وفي هذا التناقض ما فيه من نقض أصول العقيدة النصرانية، إذ إنّ النصارى يعتقدون بالعهد القديم ككتاب مقدّس، ويكملونه بالعهد الجديد، ويستدلون بنصوص نبوءات العهد القديم لإثبات معتقداتهم في المسيح عليه السلام ونهايته[3].

وكمثال على هذا التناقض بين العهدين، خاصة في استجلاب شاهدٍ على نهاية المسيح عليه السلام من نبوءات العهد القديم، ما جاء في إنجيل متّى: « لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِإِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ الْقَائِلِ: هُوَذَا فَتَايَ الَّذِي اخْتَرْتُهُ، حَبِيبِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. أَضَعُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْبِرُ الأُمَمَ بِالْحَقِّ. لاَ يُخَاصِمُ وَلاَ يَصِيحُ، وَلاَ يَسْمَعُ أَحَدٌ فِي الشَّوَارِعِ صَوْتَهُ. قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لاَ يَقْصِفُ، وَفَتِيلَةً مُدَخِّنَةً لاَ يُطْفِئُ، حَتَّى يُخْرِجَ الْحَقَّ إِلَى النُّصْرَةِ. وَعَلَى اسْمِهِ يَكُونُ رَجَاءُ الأُمَمِ»[4].

وبالعودة إلى سفر اشعياء، نجد فيه نصاً: « هُوَذَا عَبْدِي الَّذِي أَعْضُدُهُ، مُخْتَارِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْرِجُ الْحَقَّ لِلأُمَمِ. لاَ يَصِيحُ وَلاَ يَرْفَعُ وَلاَ يُسْمِعُ فِي الشَّارِعِ صَوْتَهُ. قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لاَ

---

1) التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، (ص 121) .

2) قصة الحضارة، وول ديورانت، (11/ 210) .

3) انظر: الفصل، ابن حزم (21/2 – 25)، **أيضاً:** حول موثوقية الأناجيل، محمد السعدي، (ص 38– 40).

4) متّى 12 : 17 – 21 .

يَقْصِفُ، وَفَتِيلَةً خَامِدَةً لاَ يُطْفِئُ. إِلَى الأَمَانِ يُخْرِجُ الْحَقَّ. **لاَ يَكِلُّ وَلاَ يَنْكَسِرُ** حَتَّى يَضَعَ الْحَقَّ فِي الأَرْضِ، وَتَنْتَظِرُ الْجَزَائِرُ شَرِيعَتَهُ»[1] .

فحذف كاتب إنجيل متّى عبارة " **لاَ يَكِلُّ وَلاَ يَنْكَسِرُ** " حتى ينسجم النصّ مع نهاية المسيح عليه السلام على الصليب– بزعمه**!**[2].

ب– تناقض واختلاف الأناجيل فيما بينها: وهذه من أخطر المشاكل التي وقع فيها كتّاب الأناجيل، فهي تختلف فيما بينها اختلافاً كبيراً، **سواءً داخل الإنجيل الواحد، أو في التناقضات والاختلافات بين الأناجيل المختلفة** [3] .

ومن نماذج التناقض في الإنجيل الواحد، ما جاء في إنجيل لوقا على لسان المسيح عليه السلام: «فَالْتَفَتَ وَانْتَهَرَهُمَا وَقَالَ: لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مِنْ أَيِّ رُوحٍ أَنْتُمَا، **لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُهْلِكَ أَنْفُسَ النَّاسِ، بَلْ لِيُخَلِّصَ**، فَمَضَوْا إِلَى قَرْيَةٍ أُخْرَى»[4]، لكنّه ما يلبث أن يقول –أي المسيح– في ذات الإنجيل: «**جِئْتُ لأُلْقِيَ نَارًا عَلَى الأَرْضِ، فَمَاذَا أُرِيدُ لَوِ اضْطَرَمَتْ**؟... أَتَظُنُّونَ أَنِّي جِئْتُ لأُعْطِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ؟ كَلاَّ، أَقُولُ لَكُمْ: **بَلِ انْقِسَامًا** » [5] .

فتارة جاء برسالة سلام وخلاص، وتارة جاء ليلقي حرباً وانقساماً على الأرض، والفاصل بين القولين أسطر معدودة في الإنجيل**!**

ومثل هذه التناقضات في الإنجيل الواحد مشهورة في العهد الجديد – فيما لاحظ الباحث– يستطيع القارئ العادي أن يلمسها، وأن يضع تساؤلات حول الكثير من الاختلافات والتناقضات، ناهيك عن أضعاف ذلك فيما لو استُعرضت الأناجيل جنباً إلى جنب، وفيما ذكره الباحث مثال يسير، التباين فيه بيّن، وهو يدل بلا شك على ما وراءه من تناقضات عميقة.

---

1) اشعياء 42 : 1 – 4 .

2) حول موثوقية الأناجيل، محمد السعدي، (ص 39 – 40)– بتصرف.

3) **انظر**: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، (ص 41– 49)، **أيضاً**: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب، (ص 55– 60) .

4) لوقا 9 : 55 – 56 .

5) لوقا 12 : 49 – 51 .

ت- التناقض في قضايا جوهرية: مثل **التناقض** في قضية نَسب المسيح عليه السلام بين إنجيل لوقا[1] وبين إنجيل متّى[2]، فضلاً عن تناقضهما مع نَسب أجداده المذكور في العهد القديم[3]، **وكذا التناقض** البيّن في قضية القبض على المسيح عليه السلام وحبسه، ثم محاكمته وصلبه- بزعمهم- ثم قيامته، **والتناقض** في موضع دعوة المسيح عليه السلام، هل هو في ولاية اليهودية كما في إنجيل يوحنا[4] أم في أرض الجليل كما في بقية الأناجيل[5]، **وأهم هذه التناقضات على الإطلاق** - في فهم الباحث- هو التناقض في عقيدة ألوهية المسيح؛ إذ وردت في إنجيل يوحنا دون الأناجيل الثلاثة الأخرى (قبل تدوين يوحنا على الأقل) [6] .

يقول أحمد الشِّدياق:" وكثيراً ما تجد أحد كتبة الأناجيل يذكر -مثلاً- عقيدة دينية، أو أمراً مهمّاً، أو حكماً إلهياً عن عيسى عليه السلام، ولا يذكره غيره، أو أنّه يذكر حديثاً ثم ينتقل إلى غيره من دون علاقة، ثم ترى تتمة ذلك الحديث قد أوردها غيره من دون إيراد أوّله، فمثل هذا الخلل والتشويش لا يمكن أن يصدر عن وحي الله، ولو أن أحد مؤلفي عصرنا ارتكب مثل ذلك لما عذره عليه من الناس عاذر"[7] .

ث- التناقض مع التاريخ: وهو ما يشكل دليلاً إضافياً على تناقض واضطراب كتب النصارى، إذ ما يرد فيها من أحداث جسام، وعظائم، ومشاهد، كان من المفترض أن لا تغيب عن شهود ذلك الزمان، خاصّتهم وعوامّهم؛ في حين أنّ هذه الأحداث المذكورة في الأناجيل لم يدوّنها أي مؤرّخ سوى كتبة الأناجيل، ومن أهمّ هذه الأحداث العجيبة: الزلزال الرهيب، وتبعثر القبور عند صلب المسيح وقيامته -بزعمهم-[8] ونصّ هذا الحدث الرهيب المخيف جاء في إنجيل متّى كما

---

1) **انظر**: لوقا: 3: 23 – 38 .

2) **انظر**: متى 1 : 1 – 16.

3) **انظر**: أخبار الأيام الأول 3 : 1 – 24 .

4) **انظر**: يوحنا 3 : 22 .

5) **انظر**: متّى 19 : 1 ، **أيضاً**: مرقص 1 : 14، **أيضاً**: لوقا 1 : 26 .

6) **انظر**: مماحكات التأويل، أحمد الشدياق، (ص 20 –22)، **أيضاً**: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، (ص 86- 89)، **أيضاً**: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب، (ص 70- 80) .

7) مماحكات التأويل، أحمد الشدياق، (ص 17)- بتصرف يسير.

8) **انظر**: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، (ص 90) .

يلي: « فَصَرَخَ يَسُوعُ أَيْضًا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ، وَأَسْلَمَ الرُّوحَ، وَإِذَا حِجَابُ الْهَيْكَلِ قَدِ انْشَقَّ إِلَى اثْنَيْنِ، مِنْ فَوْقُ إِلَى أَسْفَلُ. **وَالأَرْضُ تَزَلْزَلَتْ، وَالصُّخُورُ تَشَقَّقَتْ، وَالْقُبُورُ تَفَتَّحَتْ، وَقَامَ كَثِيرٌ مِنْ أَجْسَادِ الْقِدِّيسِينَ الرَّاقِدِينَ،** وَخَرَجُوا مِنَ الْقُبُورِ بَعْدَ قِيَامَتِهِ، وَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ، وَظَهَرُوا لِكَثِيرِينَ، وَأَمَّا قَائِدُ الْمِئَةِ وَالَّذِينَ مَعَهُ يَحْرُسُونَ يَسُوعَ فَلَمَّا رَأَوْا الزَّلْزَلَةَ وَمَا كَانَ، خَافُوا جِدًّا وَقَالُوا: حَقًّا كَانَ هذَا ابْنَ اللهِ!»[1] .

وهذه الزلزلة العظيمة تكررت في اليوم التالي لصلب المسيح، بزعم كاتب الإنجيل ذاته، إذ يقول: « وَبَعْدَ السَّبْتِ، عِنْدَ فَجْرِ أَوَّلِ الأُسْبُوعِ، جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ الأُخْرَى لِتَنْظُرَا الْقَبْرَ، **وَإِذَا زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَدَثَتْ**، لأَنَّ مَلاَكَ الرَّبِّ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ وَجَاءَ وَدَحْرَجَ الْحَجَرَ عَنِ الْبَابِ، وَجَلَسَ عَلَيْهِ، وَكَانَ مَنْظَرُهُ كَالْبَرْقِ، وَلِبَاسُهُ أَبْيَضَ كَالثَّلْجِ، فَمِنْ خَوْفِهِ ارْتَعَدَ الْحُرَّاسُ وَصَارُوا كَأَمْوَاتٍ، فَأَجَابَ الْمَلاَكُ وَقَالَ لِلْمَرْأَتَيْنِ : لاَ تَخَافَا أَنْتُمَا، فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكُمَا تَطْلُبَانِ يَسُوعَ الْمَصْلُوبَ، لَيْسَ هُوَ ههُنَا، لأَنَّهُ قَامَ كَمَا قَالَ! هَلُمَّا انْظُرَا الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانَ الرَّبُّ مُضْطَجِعًا فِيهِ، وَاذْهَبَا سَرِيعًا قُولاَ لِتَلاَمِيذِهِ: إِنَّهُ قَدْ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ، هَا هُوَ يَسْبِقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ، هُنَاكَ تَرَوْنَهُ »[2] .

ليس هذا فحسب، **بل إنّ نهاية العالم – بحسب الأناجيل– كان موعدها القرن الأول من الميلاد،** فقد دعا المسيح ﷺ تلاميذه الاثني عشر، كما في إنجيل متّى، وأوصاهم بتبليغ رسالته، ثم قال لهم: « ... فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُكَمِّلُونَ مُدُنَ إِسْرَائِيلَ حَتَّى يَأْتِيَ ابْنُ الإِنْسَانِ»[3] ، أي أنّ عودته الثانية إلى الأرض ستحدث قبل أن يُكمل تلاميذه التبشير في (مدن إسرائيل) [4] .

إنّ هذه النصوص وأشباهها من أساطير الكتاب المقدّس، هي –بفهم الباحث– مما سقط فيه مؤلفو هذه الكتب بقدر الله ﷻ؛ ليكون شاهداً للتاريخ وللأمم التالية على زيف وبطلان ما خطّت أيدي هؤلاء المحرّفين.

ومن التناقض التاريخي أيضاً، ما نسبه كاتب إنجيل متّى ليسوع (المسيح)، في آخر فقرة من إنجيله، عندما قال: « فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ **وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ** .وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ

1) متّى 27 : 50 – 54 .
2) متّى 28 : 1 – 7 .
3) متّى 10 : 23 .
4) انظر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب، (ص 102) .

يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيَّامِ إِلَى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ»[1] ، والإشكال التاريخي الذي يرد على هذا النص هو أنّ صيغة التثليث الواردة في النصّ لم تكن معروفة ولم يكن لها نفوذ في العصر الذي كُتب فيه ذلك الإنجيل[2] .

ومن التناقض التاريخي أيضاً ما ورد في إنجيل متّى: « **وَيُوشِيَّا وَلَدَ يَكُنْيَا وَإِخْوَتَهُ عِنْدَ سَبْيِ بَابِلَ**»[3]. ووجه التناقض هنا أورده رحمة الله الهندي إذ يقول: "يظهر منها أن يكُنيا[4] وإخوته أبناء صُلبية ليوشيا، وأن يكُنيا كانت له إخوة، وأن ولادتهم في زمان الجلاء إلى بابل، وهذه الثلاثة كلها ليست بصحيحة؛ (أما الأول): فلأن يكنيا ابن يهوياقيم[5] بن يوشيا فهو ابن الابن، لا الابن، (وأما الثاني): فلأنه ما كان له إخوة، نعم كان لأبيه يهوياقيم ثلاثة إخوة، (وأما الثالث): فلأن يكُنيا في زمان الجلاء إلى بابل كان ابن ثماني عشرة سنة، لا أنه وُلد في زمان الجلاء إلى بابل"[6] .

ج- التناقض في نُسخ وتراجم العهد الجديد: وهذا مقررٌ لدى علماء المسيحية، القدامى والمحدثين، وهم يعترفون بأنّ أكثر من أساء إلى الأناجيل- والعهد الجديد عموماً- هم النسّاخ، **الذين كانت أكبر خطاياهم ما فعلته أيديهم من تحريف وتبديل؛ الأمر الذي أدّى إلى تناقض**

---

1) متّى 28 : 19 – 20 .

2) **انظر**: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب، (ص 61)، نقلاً عن عالم التاريخ الكنسي الألماني د. أدولف هرنك .

3) متّى 1 : 11 .

4) **يَكُنيا**: وتعني: "يهوه ثبّت"، ويدعى أيضاً "يهوياكين"، وهو ابن "يهوياقيم" وخليفته سنة 598 ق.م، وكان عمره 18 سنة عندما تبوأ سدة الحكم، ولم يملك إلا 3 أشهر و10 أيام، ثم غزا نبوخذ نصر المدينة وأخذه إلى بابل مع عائلته ورؤساء الشعب، وبقي 37 سنة أسيراً في بابل **[** قاموس الكتاب المقدس، جورج بوست، (540/2)- بتصرف **]**.

5) **يهوياقيم**: وتعني: "يهوه نصب"، وهو بكر يوشيا وأخو يهوآحاز الذي خلفه في الملك، وكان اسمه الياقيم، فغيره فرعون نخو عندما نصبه ملكاً، أحرق درج النبي ارمياء، وأساء معاملته لأنه ندّد به لظلمه وطمعه ورفاهيته**[** قاموس الكتاب المقدس، جورج بوست، (539/2- 540)- بتصرف يسير **]**.

6) إظهار الحق، رحمة الله الهندي، (2/ 540).

النسخ ولا ريب، إذ كثُر النسّاخ وكثرت النسخ، فوقع الاضطراب والتناقض بينها، وتراكمت الأخطاء جيلاً بعد جيل حتى وصلت إلينا نسخة مثقلة بالأخطاء والتناقضات والتبديل[1] .

وقد تضمّنت الاختلافات في الترجمات تناقضات في قضايا عقائدية رئيسة لدى النصارى، مثل قضية التثليث، وطبيعة المسيح ﷺ، ووالدة المسيح ﷺ، وطبيعة دعوته، وكذا فيما يتعلق بالحساب والعذاب واليوم الآخر، وغيرها من العقائد الأساسية[2] .

ويسوق الباحث في ختام هذا المطلب شيئاً من كلام الشيخ محمد أبو زهرة – رحمه الله– عندما فصّل شروط الكتاب الديني ومواصفاته حتى يكون حجّة، إذ قال: "**وألاّ يكون ذلك الكتاب متناقضاً مضطرباً يهدم بعضه بعضاً، فلا تتعارض تعليماته، ولا تتناقض أخباره، بل يكون كلّ جزء منه متمماً للآخر ومكمّلاً له؛ لأن ما يكون عن الله لا يختلف ولا يفترق، ولا يتناقض، بل إنّ العقلاء في أقوالهم وفي كُتبهم يتحرّون ألاّ يتناقض قولهم ولا يختلف تفكيرهم**"[3] .

خلاصة المطلب:

أولاً: يُجمع علماء التاريخ والأديان – القدامى والمعاصرون من النصارى والمسلمين وغيرهم– على أنّ الأناجيل الموجودة بين أيدينا اليوم لا هي من كلام الله ﷻ الموحى به، ولا هي من كلام عيسى ﷺ، بل هي من كتابة أشخاص لا اتّفاق ولا تواطؤ على أسمائهم ولا أنسابهم ولا عدالتهم ولا معاصرتهم للمسيح ﷺ، وحاصل هذا أنّ الأناجيل مقطوعة لا سند لها البتّة.

ثانياً: تنقض أسفار العهدين القديم والجديد بعضها، وكذا الأناجيل، وذلك مع ثبوت تحريفها بلا منازع، وتناقضها بلا أدنى شك، وقد رصد الباحثون والعلماء نماذج لا حصر لها من تناقضات وتحريفات الأناجيل وكتب العهدين، مما لا يدع مجالاً للشك بأنّها لا تستقيم كمرجع لعقيدة وشريعة ومنهاج، بل هي من صنع بشر لا صلة لهم بوحي من سبيل.

---

1) انظر: اختلافات في تراجم الكتاب المقدّس، أحمد عبد الوهاب، (ص 24 – 25) .
2) انظر: المصدر السابق، (ص 39، 42، 49، 53، 55).
3) محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، (ص 79) .

المبحث الثاني

عقيدة النصارى في الأرض المقدّسة والردّ عليهم

ويتضمن أربعة مطالب:

المطلب الأول: **القدسية والبركة في العقيدة النصرانية**

المطلب الثاني: **أنواع القدسية والبركة في التراث النصراني**

المطلب الثالث: **اعتقاد النصارى بالحق الديني والتاريخي في الأرض المقدسة ومناقشتهم**

المطلب الرابع: **اضطراب وتباين الطوائف النصرانية في هذه العقيدة**

المطلب الأول:

القدسية والبركة في العقيدة النصرانية

لا شك أنّ للنصرانية مقدّسات يستقرؤها من يمعن النظر في الكتاب المقدّس، وخاصة في الأناجيل المعتمدة لدى النصارى، وكذا في سائر كتبهم.

وإذا عُلم –كما مرّ– أنّ النصارى يؤمنون بالعهدين القديم والجديد كليهما، فإن ذلك يُلزم النصارى بما حواه العهد القديم من حديث حول التقديس والبركة، فيما استعرضه الباحث في الفصل الأول من هذا البحث.

والعجيب أنّ توراة اليهود – التي يؤمن بها النصارى ويقدّسونها– تتحدث عن تفضيل اليهود على من سواهم من العالمين, وتقدّس اليهود عرقاً وشعباً وتاريخاً، وهذا ما يتناقض مع موقف النصارى من اليهود عبر التاريخ.

وفي هذا المطلب يستعرض الباحث شيئاً مما ورد في مصادر النصرانية من معاني القداسة، ومما رسمته أيدي كتبة الإنجيل من هالات التقديس والتنزيه، مصنفاً إياها في عناوين محددة، بحسب ما اتضح للباحث بعد دراسة نصوص الأناجيل:

أولاً: **تقديس المسيح**:

رفعت الأناجيل المسيح عليه السلام إلى مكانة سامية، وجعلته أكثر الكائنات قدسية في الكون، بل جعلت له الأمر كلّه مع الله عز وجل أو من دونه.

فقد ذكرت الأناجيل خطاب الله عز وجل المزعوم الذي جاء من السماء معلناً أن يسوع هو ولده – تعالى الله عما يقولون–، إذ جاء فيها: « فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ، فَرَأَى رُوحَ اللهِ نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِيًا عَلَيْهِ، وَصَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلاً: **هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ**»[1] .

1) متّى 3 : 16 – 17، **انظر أيضاً:** مرقص 1 : 11، لوقا 3 : 22 .

ولا يخفى ما في هذا النداء السماوي من تثبيت لقدسية منزّلة من الله ﷻ، إذ أي كرامة وبركة وقداسة تفوق إرسال الربّ أحد أبنائه –بزعمهم– إلى الأرض ليكلّم الناس؟! .

وما دامت هذه هي مكانة يسوع لدى كتبة الإنجيل فلا ضير أن تذكر الأناجيل أنّ النبيّ الذي تسمّيه الأناجيل "يوحنا المعمدان"[1] يصرّح بأنه لا يرقى لشراك نعل المسيح عليه السلام، على الرغم مما تذكره الأناجيل من مكانة مرموقة ليوحنا هذا، « وَكَانَ يَكْرِزُ قَائِلاً: يَأْتِي بَعْدِي مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي، **الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَنْحَنِيَ وَأَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ**. أَنَا عَمَّدْتُكُمْ بِالْمَاءِ، وَأَمَّا هُوَ فَسَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ»[2].

وقد حاول كتبة الأناجيل – فيما اتّضح للباحث– أن يركّبوا بدقة الحوارات التي جرت – بزعمهم– بين اليهود وبين المسيح عليه السلام، لتقرير عقائد هؤلاء الكتبة ومن وراءهم، في المسيح وقداسته الأزلية والأبدية، ومن هذه الحوارات التي بيّن فيها (يسوع ابن الربّ!) لليهود أنّ الله ﷻ قدّسه وأرسله للعالم: « أَجَابَهُ الْيَهُودُ قَائِلِينَ: لَسْنَا نَرْجُمُكَ لأَجْلِ عَمَل حَسَنٍ، بَلْ لأَجْلِ تَجْدِيفٍ، **فَإِنَّكَ وَأَنْتَ إِنْسَانٌ تَجْعَلُ نَفْسَكَ إِلهًا**، أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: لَيْسَ مَكْتُوبًا فِي نَامُوسِكُمْ: أَنَا قُلْتُ إِنَّكُمْ آلِهَةٌ؟ إِنْ قَالَ آلِهَةٌ لأُولئِكَ الَّذِينَ صَارَتْ إِلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللهِ، وَلاَ يُمْكِنُ أَنْ يُنْقَضَ الْمَكْتُوبُ، **فَالَّذِي قَدَّسَهُ الآبُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْعَالَمِ، أَتَقُولُونَ لَهُ: إِنَّكَ تُجَدِّفُ، لأَنِّي قُلْتُ: إِنِّي ابْنُ اللهِ؟**»[3] .

إذن لاشك أنّ هذه القداسة التي خلعها النصارى على بشر (وهو عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله)، ستشكّل أساساً من أساسات هذه الديانة، لذا سيتناول الباحث بشيء من التفصيل جزئيات هذه القداسة التي خلعتها مصادر النصارى على المسيح عليه السلام.

فمما أضفته الأناجيل من صفات قداسة وعلوّ للمسيح عليه السلام ما يلي:

---

1) يوحنا المعمدان: هو يحيى بن زكريا عليه السلام الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، ويسميه إنجيل النصارى بيوحنا المعمدان، لأنّه كان يعمّد الناس في الماء للتوبة من الخطايا حسب معتقدات أهل هذه الديانة، وهو نبي عاصر المسيح عليه السلام وكان من أقربائه، و قد كان له شأن كبير في الدعوة في الشام وفلسطين، وقد حبسه اليهود، ثم قام ملكهم هيرودس بقتله، وقدّم رأسه على طبق من ذهب لامرأة بغي طلبته [**انظر:** قصص الأنبياء، ابن كثير، (ص 444)، **أيضاً:** قاموس الكتاب المقدّس، جورج بوست، (545/2) **]**.

2) مرقص 1 : 7 .

3) يوحنا 10 : 33 – 36 .

أ) عِلمه كلّ شيء:

إذ جاء في إنجيل يوحنّا: « ... آمَنَ كَثِيرُونَ بِاسْمِهِ، إِذْ رَأَوْا الآيَاتِ الَّتِي صَنَعَ. لكِنَّ يَسُوعَ لَمْ يَأْتَمِنْهُمْ عَلَى نَفْسِهِ، لأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ الْجَمِيعَ. **وَلأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُحْتَاجًا أَنْ يَشْهَدَ أَحَدٌ عَنِ الإِنْسَانِ، لأَنَّهُ عَلِمَ مَا كَانَ فِي الإِنْسَانِ**»[1].

ب) مغفرته للخطايا:

أكّد سبحانه في قرآننا العظيم اختصاصه المطلق بمغفرة الخطايا، فقال ﷻ: ﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ﴾ (آل عمران/135)،لكنّ مؤلفي الإنجيل نسبوا مغفرة الذنوب المطلقة ليسوع ، فجاء على لسان المسيح عليه السلام: « ... وَلكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لابْنِ الإِنْسَانِ سُلْطَانًا عَلَى الأَرْضِ **أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا**»[2].

ويعطي المسيح عليه السلام – بزعم الإنجيل– امرأةً يوماً مغفرةً من الخطايا فيستنكر الناس الأمر، لكنه يؤكّد على هذه الخاصية: « ثُمَّ قَالَ لَهَا: **مَغْفُورَةٌ لَكِ خَطَايَاكِ**، فَابْتَدَأَ الْمُتَّكِئُونَ مَعَهُ يَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ: مَنْ هذَا الَّذِي يَغْفِرُ خَطَايَا أَيْضًا؟، فقَالَ لِلْمَرْأَةِ: إِيمَانُكِ قَدْ خَلَّصَكِ، اِذْهَبِي بِسَلاَمٍ»[3].

ت) ربوبيته :

فقد وصفت الأناجيل يسوع بالربوبية، وتعدّت في ذلك على مقام الربّ العظيم ﷻ، القائل في كتابه الخاتم: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (الأنعام/164) .

وقد شطح كاتب الإنجيل إلى نسبة القول بربوبية المسيح عليه السلام إلى نبي من أنبياء الله وهو داود عليه السلام، إذ جاء في إنجيل مرقص: «ثُمَّ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ وَهُوَ يُعَلِّمُ فِي الْهَيْكَلِ: كَيْفَ يَقُولُ الْكَتَبَةُ إِنَّ الْمَسِيحَ ابْنُ دَاوُدَ؟ لأَنَّ دَاوُدَ نَفْسَهُ قَالَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ: **قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي**، حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ. **فَدَاوُدُ نَفْسُهُ يَدْعُوهُ رَبًّا. فَمِنْ أَيْنَ هُوَ ابْنُهُ؟**»[4] .

---

1) يوحنا 2 : 23 – 25 .

2) متّى 9 : 6 ، **انظر أيضاً:** مرقص 2 : 10 ، لوقا 5 : 24 .

3) لوقا 7 : 48 – 50 .

4) مرقص 12 : 35 – 37 .

وفي سائر كتب النصارى – سوى الأناجيل الأربعة– حدّث ولا حرج عن وصف المسيح عليه السلام بالربوبية، وقد جاء غالب وصف يسوع بقولهم "ربنا يسوع المسيح": « ... رَجُلَيْنِ قَدْ بَذَلاَ نَفْسَيْهِمَا لأَجْلِ اسْمِ **رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ**»(1).

ث) يسوع كائن سماوي:

لأجل إثبات هذه الفكرة عمد كتبة الأناجيل إلى ترتيب زفاف سماوي لمولد المسيح عليه السلام، فذكر كاتب إنجيل لوقا في سياق قصة مولده: « ... وَظَهَرَ بَغْتَةً مَعَ الْمَلاَكِ **جُمْهُورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ** مُسَبِّحِينَ اللهَ وَقَائِلِينَ: الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ»(2) .

و توالت دلائل كون المسيح كائناً سماوياً مقدّساً في مفهوم الأناجيل، فزعم كاتب إنجيل يوحنا أن المسيح عليه السلام وصف نفسه بالسماوي، فقال: « ... أَجَابَ يَسُوعُ ... إِنْ كُنْتُ قُلْتُ لَكُمُ الأَرْضِيَّاتِ وَلَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ، فَكَيْفَ تُؤْمِنُونَ إِنْ قُلْتُ لَكُمُ السَّمَاوِيَّاتِ؟ **وَلَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلاَّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ، ابْنُ الإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ**» (3) .

وفي موضع آخر يصرّح المسيح عليه السلام لليهود بشكل أكثر وضوحاً بأنّه منزل من السماء! فيقول: « ... فَقَالَ لَهُمْ: **أَنْتُمْ مِنْ أَسْفَلُ، أَمَّا أَنَا فَمِنْ فَوْقُ. أَنْتُمْ مِنْ هذَا الْعَالَمِ، أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مِنْ هذَا الْعَالَمِ**» (4).

ويضع كاتب هذا الإنجيل – وهو الأخطر من بين الأناجيل كما تقدّم– على لسان المسيح عليه السلام قوله بأنه "خبز الحياة النازل من السماء"! « فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: ... لأَنَّ **خُبْزَ اللهِ هُوَ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ** الْوَاهِبُ حَيَاةً لِلْعَالَمِ، فَقَالُوا لَهُ: يَا سَيِّدُ، أَعْطِنَا فِي كُلِّ حِينٍ هذَا الْخُبْزَ **فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: أَنَا هُوَ خُبْزُ الْحَيَاةِ**»(5).

وبما أنّ يسوع كائن سماوي؛ فوجوده ليس مرتبطاً بالأسباب الأرضية، لذا فهو موجود حتى قبل إبراهيم عليه السلام!، إذ يقول يسوع – بزعم كاتب الإنجيل–: « أَبُوكُمْ إِبْرَاهِيمُ تَهَلَّلَ بِأَنْ يَرَى يَوْمِي فَرَأَى

1) أعمال الرسل 12 : 15 – 26 .
2) لوقا 2 : 13 – 14 .
3) يوحنا 3 : 10 – 13 .
4) يوحنا 3 : 10 – 13 .
5) يوحنا 6 : 32 – 35 .

وَفَرِحَ، فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ: لَيْسَ لَكَ خَمْسُونَ سَنَةً بَعْدُ، أَفَرَأَيْتَ إِبْرَاهِيمَ؟، قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: **الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ**»[1].

ج) يسوع مخلّص البشرية:

وإذا كان هذا حال المسيح ﷺ في مصادر النصارى حال حياته، فهل انتهت قصّته بالصلب المزعوم؟ كلا، بل إنّ دمه إنّما سُفك لفداء العالم، فهو دمٌ مقدّس ذو شأن عظيم –بزعم الإنجيل– وقد أهريق لفداء البشرية جمعاء!

أخبرت الأناجيل بفكرة المخلص للبشرية، وكانت حاضرة مع سرد قصة ولادة المسيح ﷺ، إذ جاء فيها: « فَقَالَ لَهُمُ الْمَلاَكُ: لاَ تَخَافُوا! فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: **أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ**»[2] .

ولأجل ذلك فقد وصفه يوحنا المعمدان بأنه (حَمَلُ الله)! « وَفِي الْغَدِ نَظَرَ يُوحَنَّا يَسُوعَ مُقْبِلاً إِلَيْهِ، فَقَالَ: **هُوَذَا حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ**»[3] .

أما فكرة الدم المقدّس الذي سُفك لفداء البشرية ومغفرة الخطايا فقد جاءت بوضوح في الإنجيل: « وَأَخَذَ (أي يسوع) الْكَأْسَ وَشَكَرَ وَأَعْطَاهُمْ قَائِلاً: اشْرَبُوا مِنْهَا كُلُّكُمْ، **لأَنَّ هذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا**»[4].

وقد أكّد الإنجيل بأنّ السبيل الوحيد للخلاص هو الإيمان بالمخلّص المسيح الذي هو (ابن الله) الذي بذله من أجل هذه الغاية السامية! « لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى **بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ**، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ. لأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ اللهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ، **بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ**»[5].

---

1) يوحنا 8 : 56 – 58 .

2) لوقا 2 : 11 .

3) يوحنا 1 : 29 .

4) متّى 26 : 27 – 28 ، **انظر أيضاً**: مرقص 14 : 23 – 24 .

5) يوحنا 3 : 16 – 18 .

ويلجأ مؤلف إنجيل يوحنا إلى تفسير عجيب لتخليص يسوع للبشرية، فيقرر– على لسان المسيح– بأن لحمه مأكل ودمه مشرب على الحقيقة! وأكلُ جسدِه وشربُ دمِه إنما هو الحياة الأبدية! « فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ. **مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ**، لأَنَّ جَسَدِي مَأْكَلٌ حَق، وَدَمِي مَشْرَبٌ حَق، **مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ**. كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ الْحَيُّ، وَأَنَا حَيٌّ بِالآبِ، فَمَنْ يَأْكُلْنِي فَهُوَ يَحْيَا بِي. هذَا هُوَ الْخُبْزُ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ»[1].

وفيما اتّضح للباحث، إن كان لمفسري الأناجيل تأويل لهذا النصّ وأشباهه، فما لا خلاف عليه – لدى من يقرأ النص– أنه يتحدث عن فكرة خلاص البشرية على يد المسيح المخلّص.

ح) ألوهية المسيح:

وهذه العقيدة الخطيرة لم ترد صراحة في الأناجيل الأربعة إلّا في إنجيل يوحنا، الذي يجد الدارس لنصوصه عياناً إدخال مفاهيم ألوهية المسيح عليه السلام ومساواته بالخالق، الأمر الذي جاء القرآن مستنكراً له لخطورته، وحاكماً بكفر قائليه، وذلك في قوله ﷻ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (المائدة/17) .

وقد أورد كاتب هذا الإنجيل على لسان المسيح عليه السلام قوله بأنّه **(من الله)**: « تَعْرِفُونَنِي وَتَعْرِفُونَ مِنْ أَيْنَ أَنَا، وَمِنْ نَفْسِي لَمْ آتِ، بَلِ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ حَق، الَّذِي أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ. **أَنَا أَعْرِفُهُ لأَنِّي مِنْهُ**، وَهُوَ أَرْسَلَنِي»[2] .

والأخطر من ذلك تصريح يسوع لليهود –بزعم الإنجيل– بأنه هو والله شيءٌ واحد**!**: «... الَّذِي أَعْطَانِي إِيَّاهَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْكُلِّ، وَلاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْطَفَ مِنْ يَدِ أَبِي. **أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ»**[3].

ويفصح كاتب الإنجيل عن عقيدته بوضوح إذ يفسّر ما معنى (ألوهية المسيح) التي كررها في إنجيله، موضحاً أن "يسوع في الآب والآب في يسوع"، وأن "الآب حلّ في يسوع"، وهذا التفسير

---

1) يوحنا 6 : 53 – 58 .

2) يوحنا 7 : 28 – 29 .

3) يوحنا 10 : 29 – 30 .

يضعه من جديد على لسان يسوع ونصّه: «... **اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ**، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: أَرِنَا الآبَ؟ **أَلَسْتَ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ**؟ اَلْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، **لكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ**. صَدِّقُونِي أَنِّي فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ»[1].

خ) المسيح قدّوس:

وصَف كتبة الإنجيل المسيح عليه السلام بالقدّوس، وهو الوصف الذي اختصّ به ذو الجلال سبحانه وتعالى وكان من أسمائه الحسنى التي سطّرها كتابه العزيز ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ **الْقُدُّوسِ** الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (الجمعة/1) .

ومن المواضع التي جاء فيه وصف المسيح عليه السلام بالقدّوس في الأناجيل، ما جاء في إنجيل مرقص: « آهِ! مَا لَنَا وَلَكَ يَا يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ؟ أَتَيْتَ لِتُهْلِكَنَا! أَنَا أَعْرِفُكَ مَن أَنْتَ: **قُدُّوسُ اللهِ!**»[2].

وكان الربّ قد سماه "قدوساً" عندما بشّر أمّه بحمله – بزعم الإنجيل: « فَقَالَتْ مَرْيَمُ لِلْمَلاَكِ: كَيْفَ يَكُونُ هذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلاً؟ فَأَجَابَ الْمَلاَكُ وَقَالَ لَهَا: اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ، **فَلِذلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ**»[3].

وما يؤكّد – بفهم الباحث– أنّ لفظة "القدّوس" التي أطلقها الإنجيل على المسيح عليه السلام لها دلالة قدسية خاصة، هو ورود ذات اللفظة في حق الله سبحانه وتعالى في دعاء يسوع لربّه رافعاً عينيه إلى السماء قائلاً: « ... **أَيُّهَا الآبُ الْقُدُّوسُ**، احْفَظْهُمْ فِي اسْمِكَ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِدًا كَمَا نَحْنُ »[4].

بل ورد في بعض رسائل الكتاب المقدّس ما يصف الله وحده بالقدوس دون سواه**!**، كما جاء في سفر يوحنا اللاهوتي: « مَنْ لاَ يَخَافُكَ يَا رَبُّ وَيُمَجِّدُ اسْمَكَ؟ **لأَنَّكَ وَحْدَكَ قُدُّوسٌ**، لأَنَّ جَمِيعَ الأُمَمِ سَيَأْتُونَ وَيَسْجُدُونَ أَمَامَكَ، لأَنَّ أَحْكَامَكَ قَدْ أُظْهِرَتْ»[5].

---

1) يوحنا 14 : 9 – 11 .
2) مرقص 1 : 24 .
3) لوقا 1 : 34 – 35 .
4) يوحنا 17 : 11 .
5) رؤيا يوحنا اللاهوتي 15 : 4 .

ثانياً: **تقديس تلاميذ المسيح**:

سطّر كتبة الأناجيل ما يثبت قدسية خاصة، ومكانة تحيطها هالة من التعظيم والتبجيل لتلاميذ المسيح ﵇، أو حوارييه، وهذا مبرر في فهم الباحث، إذ حرص هؤلاء الكتبة على أن يضعوا هذه القداسة في أولئك الذين نُسب إليهم دين النصارى فيما بعد، فمعلوم أنّ هذا الدين –كما تقرر سابقاً– ليس للمسيح ﵇ فيه نصيب، وعليه فلابد أن ينال أتباع المسيح ﵇ حملة هذا الدين –المحرّف– قدراً من (السلطان) الذي يؤهلهم لتمرير الديانة التي زعموا نقلها عن المسيح ﵇.

ومما أضفته الأناجيل من صفات قداسة وعلوّ لتلاميذ المسيح ﵇ ما يلي:

أ- التلاميذ حلّت فيهم روح الله:

زعم كاتب إنجيل متّى أنّ المسيح ﵇ أوصى تلاميذه وحوارييه بالوصية التالية: « هَا أَنَا أُرْسِلُكُمْ كَغَنَمٍ فِي وَسْطِ ذِئَابٍ، فَكُونُوا حُكَمَاءَ كَالْحَيَّاتِ وَبُسَطَاءَ كَالْحَمَامِ. وَلكِنِ احْذَرُوا مِنَ النَّاسِ، لأَنَّهُمْ سَيُسْلِمُونَكُمْ إِلَى مَجَالِسَ، وَفِي مَجَامِعِهِمْ يَجْلِدُونَكُمْ. وَتُسَاقُونَ أَمَامَ وُلاَةٍ وَمُلُوكٍ مِنْ أَجْلِي شَهَادَةً لَهُمْ وَلِلأُمَمِ. فَمَتَى **أَسْلَمُوكُمْ فَلاَ تَهْتَمُّوا كَيْفَ أَوْ بِمَا تَتَكَلَّمُونَ، لأَنَّكُمْ تُعْطَوْنَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مَا تَتَكَلَّمُونَ بِهِ، لأَنْ لَسْتُمْ أَنْتُمُ الْمُتَكَلِّمِينَ بَلْ رُوحُ أَبِيكُمُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيكُمْ** ... »[1] .

في فهم الباحث فإن في هذا النصّ أمراً خطيراً، ففيه يكمن تبرير صريح لتضييع الشريعة والتلاعب بالدين؛ ذلك أن يسوع – المزعوم– يوصي تلاميذه –المزعومين– بأن لا يهتموا ولا يأبهوا بما سيقولون عند هجوم الولاة والحكام الظلمة عليهم ومحاربتهم إياهم في دينهم، فمن يتكلم ساعتها على ألسنتهم هو الله ﷻ، فكاتب هذا النص أراد أن يعطي قدسية مطلقة لما سيقوله هؤلاء التلاميذ أو الأتباع فيما بعد من جهة، ويتيح التلاعب بأصول الديانة التي جاء بها المسيح ﵇ من جهة أخرى، وهذا ما حدث بالفعل، والله أعلم.

---

1) متّى 10 : 16 – 20 .

ب- التلاميذ أُعطوا السلطان العظيم:

وقد أعطى المسيح ﷺ -بزعم كاتب إنجيل لوقا- تلاميذه سلطاناً عظيماً، لا يضاهيه سلطان، وكُتبت أسماؤهم في السماوات العلى، وهذا ليس للمقربين الإثني عشر فحسب، بل للتلاميذ السبعين.

جاء في ذلك نص صريح: « فَرَجَعَ السَّبْعُونَ بِفَرَحٍ قَائِلِينَ: يَا رَبُّ، حَتَّى الشَّيَاطِينُ تَخْضَعُ لَنَا بِاسْمِكَ! فَقَالَ لَهُمْ: رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ سَاقِطًا مِثْلَ الْبَرْقِ مِنَ السَّمَاءِ. **هَا أَنَا أُعْطِيكُمْ سُلْطَانًا لِتَدُوسُوا الْحَيَّاتِ وَالْعَقَارِبَ وَكُلَّ قُوَّةِ الْعَدُوِّ، وَلاَ يَضُرُّكُمْ شَيْءٌ.** وَلكِنْ لاَ تَفْرَحُوا بِهذَا: أَنَّ الأَرْوَاحَ تَخْضَعُ لَكُمْ، بَلِ افْرَحُوا بِالْحَرِيِّ أَنَّ **أَسْمَاءَكُمْ كُتِبَتْ فِي السَّمَاوَاتِ**»[1].

بل لقد أعطاهم المسيح ﷺ ما اختصّه الله ﷻ به، فهم بهذا السلطان يشفون كل داء وكل ضعف، وكل روح نجسة -بزعم الإنجيل المحرّف- « ثُمَّ دَعَا تَلاَمِيذَهُ الاثْنَيْ عَشَرَ **وَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا عَلَى أَرْوَاحٍ نَجِسَةٍ حَتَّى يُخْرِجُوهَا، وَيَشْفُوا كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضُعْفٍ**»[2].

ولكن! سرعان ما يقع كاتب الإنجيل في تناقض -كما هو حال الأناجيل- إذ وقع أصحاب السلطان -التلاميذ- في مأزق، فلم يستطيعوا جميعاً أن يشفوا مريضاً، فاستدعوا المسيح ﷺ، وسألوه، فشفى المريض من فوره[3]، وعندما سألوا المسيح ﷺ عن سبب عدم قدرتهم قال لهم: « **لِعَدَمِ إِيمَانِكُمْ. فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَوْ كَانَ لَكُمْ إِيمَانٌ مِثْلُ حَبَّةِ خَرْدَل لَكُنْتُمْ تَقُولُونَ لِهذَا الْجَبَلِ: انْتَقِلْ مِنْ هُنَا إِلَى هُنَاكَ فَيَنْتَقِلُ**»[4] .

وهذا من جملة عجائب الكتاب المقدّس، إذ كيف يعطيهم سلطاناً على إخراج الشياطين وشفاء كل داء ومعافاة كل بلاء، وليس في قلوبهم حبة خردل من إيمان؟! ..

---

1) لوقا 10 : 17 – 20 .
2) متّى 10 : 1 ، **انظر أيضاً**: مرقص 6 : 7، لوقا 9 : 1 .
3) انظر: متّى 17 : 14 – 19 .
4) متّى 17 : 20 .

ومن أعظم ما أعطاه المسيح عليه السلام لتلاميذه – فيما زعم إنجيل متّى– **ما أعطاه لبطرس الحواري، إذ سلّمه مفاتيح ملكوت السماوات والأرض! ليقرر ما يكون في السماوات والأرض!** فيما ورد نصاً: « فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا، إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لَمْ يُعْلِنْ لَكَ، لكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بُطْرُسُ، وَعَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا. **وَأُعْطِيكَ مَفَاتِيحَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ، فَكُلُّ مَا تَرْبِطُهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاوَاتِ. وَكُلُّ مَا تَحُلُّهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاوَاتِ**»[1].

وهذا الشطط الذي وقع فيه كاتب هذا الإنجيل –في فهم الباحث– يتنافى مع الفطرة المستقيمة والعقل السليم والواقع المنظور، إذ لم يثبت – حتى في الأناجيل ذاتها– أن بطرس استخدم هذا السلطان، فضلاً عن أن بشراً لا يمكن أن يصدّق أنّ إنساناً ضعيفاً يقرر في شأن السماوات والأرض، هذا وقد عُلم أنّ صاحب الملكوت هذا قد أُعدم فيما بعد مصلوباً منكّساً في روما، بأمر من الإمبراطور نيرون، فأين سلطانه العظيم!.

وينتفي هذا العجب إذا علمت أنّ ذات الإنجيل وفي ذات الإصحاح – في تناقض عجيب– يصف بطرس بالشيطان، والمعثرة، وغير المخلِص، ويعمل من أجل الناس!!، كلّ هذا على لسان المسيح عليه السلام نفسه الذي أعطاه الملكوت بأمر الربّ، إذ جاء بعد حكاية الملكوت بكلمات يسيرة: « مِنْ ذلِكَ الْوَقْتِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يُظْهِرُ لِتَلاَمِيذِهِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَأَلَّمَ كَثِيرًا مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلَ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومَ. فَأَخَذَهُ بُطْرُسُ إِلَيْهِ وَابْتَدَأَ يَنْتَهِرُهُ قَائِلاً: حَاشَاكَ يَا رَبُّ! لاَ يَكُونُ لَكَ هذَا! **فَالْتَفَتَ وَقَالَ لِبُطْرُسَ: اذْهَبْ عَنِّي يَاشَيْطَانُ! أَنْتَ مَعْثَرَةٌ لِي، لأَنَّكَ لاَ تَهْتَمُّ بِمَا للهِ لكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ**»[2].

ت– منزلة التلاميذ فوق النبيين:

إذ ورد في الإنجيل أن المسيح عليه السلام قال لتلاميذه: « طُوبَى لِلْعُيُونِ الَّتِي تَنْظُرُ مَا تَنْظُرُونَهُ! لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: **إِنَّ أَنْبِيَاءَ كَثِيرِينَ وَمُلُوكًا أَرَادُوا أَنْ يَنْظُرُوا مَا أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ وَلَمْ يَنْظُرُوا، وَأَنْ يَسْمَعُوا مَا أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ وَلَمْ يَسْمَعُوا**»[3].

---

1) متّى 16 : 17 – 19 .

2) متّى 16 : 21– 23 ، **انظر أيضاً:** مرقص 8 : 33 .

3) لوقا 10 : 23 – 24 ، **انظر أيضاً:** متّى 13 : 17 .

وهذا ليس غريباً إذا علمت أنّ هؤلاء التلاميذ ليسوا من العالم أصلاً –كما يسوع– وهذا ما قاله يسوع نفسه – بزعم كاتب إنجيل يوحنا– « أَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمْ كَلاَمَكَ، **وَالْعَالَمُ أَبْغَضَهُمْ لأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنَ الْعَالَمِ، كَمَا أَنِّي أَنَا لَسْتُ مِنَ الْعَالَمِ**. لَسْتُ أَسْأَلُ أَنْ تَأْخُذَهُمْ مِنَ الْعَالَمِ بَلْ أَنْ تَحْفَظَهُمْ مِنَ الشِّرِّيرِ. **لَيْسُوا مِنَ الْعَالَمِ كَمَا أَنِّي أَنَا لَسْتُ مِنَ الْعَالَمِ**. قَدِّسْهُمْ فِي حَقِّكَ. كَلاَمُكَ هُوَ حَق، كَمَا أَرْسَلْتَنِي إِلَى الْعَالَمِ أَرْسَلْتُهُمْ أَنَا إِلَى الْعَالَمِ، وَلأَجْلِهِمْ أُقَدِّسُ أَنَا ذَاتِي، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا مُقَدَّسِينَ فِي الْحَقِّ» [1].

ثالثاً: **تقديس الناموس**:

وردت كلمة "ناموس" ومشتقاتها في الأناجيل الأربعة، في ستة وثلاثين(36) موضعاً[2]، وهو ما يعني أنّ الأناجيل – والعهد الجديد عموماً – قد اعتنى بأمر الناموس عناية كبيرة.

و"الناموس" في مفهوم الإنجيل هو شريعة موسى ، بما تتضمنه من ناموس أدبي وطقسي وسياسي، **أما الأدبي** فهو متمثّلٌ في الوصايا العشر التي أعطاه الله ﷻ لموسى في الألواح، **وأما الناموس الطقسي**، فهو متمثل في الشعائر الدينية ودستور العبادة بما فيها من صلاة وصيام وذبائح وتطهير وخلافه، **وأما الناموس السياسي** فهو مبني على الأدبي، وهو يشير إلى علاقة الربّ بالشعب والأرض[3] .

ومما يشير إلى قداسة الناموس عند كتبة الأناجيل، وبالتالي عند النصارى المؤمنين بها، ما يلي:

1) تأكيد المسيح أنّه جاء مكمّلاً للناموس، وليس ناقضاً له؛ إذ قال لقومه: **« لاَ تَظُنُّوا** أَنِّي **جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ.** فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ»[4] .

---

1) يوحنا 17 : 14 – 19 .

2) متّى 5 : 17، 18، **7** : 12 ، **11** : 13، **22** : 35، 36، 40، **23**: 23، **لوقا 2**: 23، 24، 27، 39، **5**: 17، **7**: 30، **10**: 25، 26، **11**: 45، 46، 52، **14**: 3، **16**: 16، 17، **24**: 44، **يوحنا 1**: 17، 45، **7**: 19، 23، 49، 51، **8**: 5، 17، **10**: 34، **12**: 34، **15**: 25، **18**: 31، **19**: 7 .

3) انظر: قاموس الكتاب المقدّس، جورج بوست، (2/ 433– 434) .

4) متّى 5 : 17 – 18 .

2) إقرار **المسيح** عليه السلام– بحسب إنجيل لوقا– مخاطباً اليهود، بأنّ زوال السماء والأرض أهون من ضياع نقطة واحدة من الناموس! « **وَلكِنَّ زَوَالَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ تَسْقُطَ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ**»[1] .

3) استشهاد المسيح عليه السلام بعد قيامته المزعومة أمام تلاميذه بما ورد في الناموس عن قيامته هذه، قائلاً لهم: « هذَا هُوَ الْكَلاَمُ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ وَأَنَا بَعْدُ مَعَكُمْ: **أَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنْ يَتِمَّ جَمِيعُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَنِّي فِي نَامُوسِ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءِ وَالْمَزَامِيرِ، حِينَئِذٍ فَتَحَ ذِهْنَهُمْ لِيَفْهَمُوا الْكُتُبَ**»[2] .

4) كثرة استدلال الأناجيل بما ورد في الناموس من أحكام أو تنبوءات، سواءً في المناظرات المنسوبة للمسيح عليه السلام مع اليهود، أو في أقوال المسيح عليه السلام، أو في النصوص المرسلة، وذلك مثل:

- « لكِنْ لِكَيْ تَتِمَّ الْكَلِمَةُ **الْمَكْتُوبَةُ فِي نَامُوسِهِمْ**: إِنَّهُمْ أَبْغَضُونِي بِلاَ سَبَبٍ»[3] .

- « وَأَيْضًا فِي **نَامُوسِكُمْ مَكْتُوبٌ** أَنَّ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ حَقٌّ»[4] .

- « **وَمُوسَى فِي النَّامُوسِ أَوْصَانَا** أَنَّ مِثْلَ هذِهِ تُرْجَمُ. فَمَاذَا تَقُولُ أَنْتَ؟»[5] .

- « يَا مُعَلِّمُ، **أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ الْعُظْمَى فِي النَّامُوسِ**؟»[6] .

- « **كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ:** أَنَّ كُلَّ ذَكَرٍ فَاتِحَ رَحِمٍ يُدْعَى قُدُّوسًا لِلرَّبِّ. وَلِكَيْ يُقَدِّمُوا ذَبِيحَةً **كَمَا قِيلَ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ:** زَوْجَ يَمَامٍ أَوْ فَرْخَيْ حَمَامٍ»[7] .

---

1) لوقا 16 : 17 .
2) لوقا 24 : 44 .
3) يوحنا 15 : 25 .
4) يوحنا 8 : 17 .
5) يوحنا 8 : 5 .
6) متّى 22 : 36 .
7) لوقا 2 : 23 – 24 .

رابعاً: **تقديس الكنيسة**:

قال صاحب قاموس الكتاب المقدّس: " معنى الكلمة اليونانية المترجمة بكنيسة : المحفل، فإذا أريد به المحفل المدني تُرجمت محفلاً، أو المحفل الديني تُرجمت كنيسةً، وتطلق الكنيسة على عدة معان منها: الدلالة على (جماعة المؤمنين) عموماً، وهي الكنيسة العمومية، ومنها: الدلالة على جماعة من المسيحيين في مدينة بعينها، ككنيسة (أورشليم)، ومنها: البناء المختص بالعبادة المسيحية، وقد استعمل بولس لفظ الكنيسة بمعنى جسد المسيح"(1) .

هذا ولم يرد لفظ "كنيسة" في الأناجيل الأربعة سوى في موضعين من إنجيل متّى وهما:

1- قول المسيح ﷺ المزعوم لكبير تلاميذه "بطرس"، في حادثة إعطائه ملكوت السماوات والأرض (آنفة الذكر): « وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا: أَنْتَ بُطْرُسُ، **وَعَلَى هذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي**، وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا »(2) .

2- التوضيح المنسوب للمسيح ﷺ في شأن دور الكنيسة في علاقات الناس، ونصّ هذا القول: « وَإِنْ أَخْطَأَ إِلَيْكَ أَخُوكَ فَاذْهَبْ وَعَاتِبْهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ وَحْدَكُمَا. إِنْ سَمِعَ مِنْكَ فَقَدْ رَبِحْتَ أَخَاكَ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ، فَخُذْ مَعَكَ أَيْضًا وَاحِدًا أَوِ اثْنَيْنِ، لِكَيْ تَقُومَ كُلُّ كَلِمَةٍ عَلَى فَمِ شَاهِدَيْنِ أَوْ ثَلاَثَةٍ. **وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنْهُمْ فَقُلْ لِلْكَنِيسَةِ. وَإِنْ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ الْكَنِيسَةِ فَلْيَكُنْ عِنْدَكَ كَالْوَثَنِيِّ وَالْعَشَّارِ**. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: كُلُّ مَا تَرْبِطُونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَرْبُوطًا فِي السَّمَاءِ، وَكُلُّ مَا تَحُلُّونَهُ عَلَى الأَرْضِ يَكُونُ مَحْلُولاً فِي السَّمَاءِ»(3) .

وفي هذا النص الأخير – في فهم الباحث- ما يبين خطورة شأن الكنيسة وأهميته في نظر كاتب إنجيل متّى، ذلك أنّه جعل القول الفصل لها في المنازعات، ومن لم يعترف بحكمها كان وثنياً، وأنّ قولها هو المعتمد في السماوات والأرض**!**.

---

1) قاموس الكتاب المقدّس، جورج بوست، (2/ 267- 268)- بتصرف يسير .

2) متّى 16 : 18 .

3) متّى 18 : 15- 18 .

وقد أسهبت بقية أسفار العهد الجديد في ذكر الكنيسة، وخاصة في سفر أعمال الرسل و رسائل بولس، وكان من وصايا بولس في رحلاته (التبشيرية) قوله: « اِحْتَرِزُوا اِذًا لأَنْفُسِكُمْ وَلِجَمِيعِ الرَّعِيَّةِ الَّتِي أَقَامَكُمُ الرُّوحُ الْقُدُسُ فِيهَا **أَسَاقِفَةً، لِتَرْعَوْا كَنِيسَةَ اللهِ الَّتِي اقْتَنَاهَا بِدَمِهِ** »[1] .

لأجل هذه المكانة كان النصارى يقدّسون رؤساء الكنائس بألقابهم المختلفة، ويعتقدون أن الله قد وضع في أيديهم ما لم يضعه في أيدي أحد، ولذلك فكل ما يفعلونه في الأرض يفعله الله في السماء، فإذا أذنب العباد فهم الذين يقبلون التوبات، ويعفون عن السيئات، وبأيديهم صلاح الأحياء والأموات، ومنحت المجامع الدينية (البابا) سلطات دينية ترفعه إلى مرتبة غفران الذنوب، فقد قرر مجمع روما المنعقد سنة 869م بأن المسيحيين في كل أنحاء العالم يجب أن يخضعوا لرئيس كنيسة روما، ومجمع روما المنعقد سنة 1215م قرر أن **الكنيسة البابوية تملك حق الغفران وتمنحه لمن تشاء**، ومجمع روما المنعقد سنة 1869م **قرر أن البابا معصوم**[2] .

"وقد باشر رجال الدين في الكنيسة هذه السلطة وتوسّعوا فيها، فأخذوا يبيعون صكوك الغفران، ويصدرون قرارات الحرمان، حتى لو تعلقت بالملوك والعظماء، **وشاع بين النصارى أنّ الله يغفر لمن يرضى عنه آباء الكنيسة، فانتشرت صكوك الغفران وذاعت، ومارستها كل الكنائس التي كانت تخضع للكنيسة البابوية**، فكان المذنب يدفع قدراً من المال في مقابل الحصول على صكّ مكتوب فيه: ربنا يسوع المسيح يرحمك يا (يكتب اسم الذي سيغفر له) ... "[3] .

ومن المظاهر الأساسية والبليغة الأثر في النصرانية – في تقدير الباحث– فيما يتعلق بمكانة الكنائس وقدسيتها، هو فصلها في شأن أخطر القضايا في الديانة النصرانية، كألوهية المسيح، وطبيعته، والتثليث، والأقانيم، وغيرها من القضايا العقائدية التي بتّت فيها مجامع النصارى كما تم عرضه في المبحث الأول.

---

1) أعمال الرسل 20 : 28 .

2) انظر: بين الإسلام والمسيحية، أبي عبيدة الخزرجي، تحقيق: د. محمد شامة، مكتبة وهبة/ القاهرة، ط2، 1395هـ/1975م، (ص 77)، أيضاً: المسيحية، د. شلبي، (ص 200) .

3) المصدر السابق، من تعليقات د. محمد شامة على الكتاب، (ص 77)– بتصرف يسير.

"وقد انساب سلطان كنيسة روما إلى كافة الكنائس الأخرى، ليس فقط في الاجتهاد والتشريع وتفسير الكتاب المقدّس وغيرها مما احتفظت به كنيسة روما لنفسها، **بل في وجوب طاعة المسيحيين للأساقفة والآباء الروحانيين دون تفكير، كما يطيعون الله، وكما أطاع عيسى أباه – على حد قولهم–**، ومن العجيب أن المسيحين جعلوا عيسى إلهاً، ثم جعلوا الأساقفة في مقام عيسى، أي أحلّوهم أيضاً محلّ الآلهة، فمقام الآلهة عندهم سهل الوصول"[1] .

خامساً: **تقديس الصليب**:

اعتنى النصارى بالصليب عناية كبيرة في كتبهم وممارساتهم، وقد أصبح هذا الصليب شعاراً لهم، متّكئين في ذلك على أعظم فرية تاريخية ودينية، نقضها القرآن العظيم، وبيّن تهافتها وكذبها في قوله ﷻ: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ** وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (النساء/157– 158) .

وقد ورد ذكر الصليب في الأناجيل الأربعة في سبعة عشر(17) موضعاً[2]، كما ورد في رسائل بولس أيضاً في أحد عشر (11) موضعاً[3] .

وجعل كتبة العهد الجديد للصليب مكانة وقدسية خاصة فيما يتضح من العبارات التي ذكرت الصليب في كتبهم.

---

1) المسيحية، د. شلبي، (ص 202) .

2) **متّى 10**: 38، **16**: 24، **27**: 32، 40، 42، **مرقص 8**: 34، **10**: 21، **15**: 21، 30، 32، **لوقا 9**: 23، **14**: 27، **23**: 26، **يوحنا 19**: 17، 19، 25، 31 .

3) رسالة بولس إلى أهل **كورنثوس 1**: 17، 18، رسالة بولس إلى أهل **أغلاطية 5**: 11، **6**: 12، 14، رسالة بولس إلى أهل **أفسس 2**: 16، رسالة بولس إلى أهل **فيلبي 2**: 8، **3**: 18 ، رسالة بولس إلى أهل **كولوسي 1**: 20، **2**: 14 ، رسالة بولس إلى **العبرانيين 12**: 2 .

وكان من كلام يسوع المسيح عليه السلام بزعمهم: « وَمَنْ لاَ **يَأْخُذُ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعُنِي** فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي »[1] .
وفي موضع آخر: « حِينَئِذٍ قَالَ يَسُوعُ لِتَلاَمِيذِهِ: إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي **فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي**»[2] .

ويأتي رجلٌ إلى المسيح عليه السلام طالباً الحياة الأبدية، فتكون وصيته له: «يُعْوِزُكَ شَيْءٌ وَاحِدٌ: اِذْهَبْ بِعْ كُلَّ مَا لَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ، **وَتَعَالَ اتْبَعْنِي حَامِلاً الصَّلِيبَ**»[3].

فما سرّ هذا الصليب الذي يسبب الحياة الأبدية، ويكون رمزاً لاتّباع المسيح والنجاة والسعادة؟**!** بل إنّ من لا يحمل الصليب فليس أهلاً لأن يكون تلميذاً للمسيح عليه السلام، « **وَمَنْ لاَ يَحْمِلُ صَلِيبَهُ وَيَأْتِي وَرَائِي فَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا**»[4].

"إذاً، فتقديس الصليب سبَق صلبَ المسيح عليه السلام – الذي يزعمونه–، **ومعنى حملُ الصليب عندهم هو الاستهانة بالحياة والاستعداد للموت في أبشع صورة**؛ أي صلباً على خشبة، كما يُفعل بالمجرمين والآثمين"[5]**!** .

" وحمل الصليب –كما يقول كتّاب النصارى– هو إشعار بإنكار النفس، واقتفاء أثر المسيح عليه السلام في هذا الإنكار، والسير وراء مخلّصهم، وفاديهم "[6] .

والصليب في مفهوم بولس هو (قوّة الله)، فتراه يقول في رسائله: « لأَنَّ الْمَسِيحَ لَمْ يُرْسِلْنِي لأُعَمِّدَ بَلْ لأُبَشِّرَ، لاَ بِحِكْمَةِ كَلاَمٍ **لِئَلاَّ يَتَعَطَّلَ صَلِيبُ الْمَسِيحِ**. فَإِنَّ كَلِمَةَ الصَّلِيبِ عِنْدَ الْهَالِكِينَ جَهَالَةٌ، وَأَمَّا عِنْدَنَا نَحْنُ الْمُخَلَّصِينَ **فَهِيَ قُوَّةُ اللهِ** »[7].

---

1) متّى 10 : 38 .
2) متّى 16 : 24، **انظر أيضاً:** مرقص 8: 34، لوقا 9: 23 .
3) مرقص 10: 21 .
4) لوقا 14: 27 .
5) المسيحية، د. شلبي، (ص 174)– بتصرف يسير.
6) محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، (ص 113)– بتصرف يسير.
7) رسالة بولس إلى أهل كورنثوس 1: 17، 18 .

ويستحدث بولس في رسائله مفهوماً جديداً وعجيباً للصليب فيقول: « وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ **أَفْتَخِرَ إِلاَّ بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ**»[1].

فهو لا يفتخر بشيء سوى بالصليب (وليس بالمسيح ذاته**!**)، والعلّة أنّه قد صُلب عليه العالم**!** كيف ذلك؟ لا يفسر الكاتب الأمر.

وللصليب مصدر قدسية آخر في زعم بولس – أو من كتب رسائله –، وهو أنّ الصليب رفع يسوع ليجلس إلى يمين عرش الله –بزعمه– إذ يقول: « ... رَئِيسِ الإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ، الَّذِي مِنْ أَجْلِ السُّرُورِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ، **احْتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهِينًا بِالْخِزْيِ، فَجَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ اللهِ**»[2].

" وتقديس الصليب لدى النصارى يكون بواسطة حمله، أو رسمه على صدورهم بإشارة من اليد، يرسمون بها الصليب على صدوهم في الهواء؛ عندما يتذكرون أمراً هاماً أو يمرون بضائقة، أو يعلقون الصليب بسلاسل على صدورهم، وقد يصنعون الصليب من الذهب أو الخشب أو أي معدن آخر "[3] .

وفي عصور الظلام التي مرّت بها النصرانية " **لم يعظم الناس الصور التي يزعمون أنها تمثل المسيح فحسب، بل عظموا معها خشبة الصليب؛ حتى لقد أصبح الصليب في نظر ذوي العقول الساذجة طلسماً ذا قوة سحرية عجيبة،** وأطلق الشعب العنان لفطرته فحول الآثار، والصور، والتماثيل المقدسة، إلى معبودات، يسجد الناس لها، ويقبّلونها، ويوقدون الشموع، ويحرقون البخور أمامها، ويتوجونها بالأزهار، ويطلبون المعجزات بتأثيرها الخفي"[4].

يقول ابن القيّم – رحمه الله– معلّقاً على تعظيم النصارى للصليب: " وكيف ينكر على أمة أطبقت على صلب معبودها وإلهها، ثم عمدت إلى الصليب فعبدته وعظّمته– **وكان ينبغي لها أن تحرق كل صليب تقدر على إحراقه، وأن تهينه غاية الإهانة، إذ صُلب عليه إلهها**، الذي يقولون

1) رسالة بولس إلى أهل أغلاطية 6: 14 .

2) رسالة بولس إلى العبرانيين 12: 2 .

3) النصرانية تاريخاً وعقيدةً وكتباً ومذاهب، د. مصطفى شاهين، (ص 117)– بتصرف.

4) قصة الحضارة، وول ديورانت، (158/14).

تارة أنه الله، وتارة يقولون أنه ابنه، وتارة يقولون ثالث ثلاثة، فجحدت حق خالقها وكفرت به أعظم كفر وسبّته أقبح مسبّة – أن تجحد حقّ عبده ورسوله وتكفر به**!**"[1] .

خلاصة المطلب:

أولاً: أخذت مقدّسات النصارى حظاً وافراً من التطرّف والشطط، وتحدّثت مصادر النصارى عن قصص المقدّسات بشكل يتنافى مع العقول السليمة والفطر المستقيمة، ويتناقض مع الواقع والتاريخ، وينحى نحو الخرافات والأساطير التي تغترف من ثقافات وثنية، وبدعٍ بشرية لا أثر فيها للوحي أو النبوة بحال.

ثانياً: يعدّ المسيح أو يسوع أو المخلّص – ذاك الذي يعرفونه ويتحدثون عنه وليس عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله– أعظم مقدّسات النصارى؛ إذ أعطوا له هالة عظيمة من التقديس رفعته إلى درجة الربوبية والألوهية، والعلم المطلق، ومغفرة الذنوب، والوجود الأزلي، والخلود، وخاض كتبة الأناجيل في سرد معجزات المسيح وصفاته، بما حوّل الديانة من التوحيد إلى الشرك والوثنية وعبادة البشر والصلبان.

ثالثاً: منح كتبة العهد الجديد تلاميذ المسيح عليه السلام أو الحواريين درجةً من القداسة والتعظيم، لم يحصل عليها أنصار أي نبي مرسل، وجعلوا لهم سلطاناً عظيماً، وتحكّماً في ملكوت السماوات والأرض، ودرجة فوق النبيين المرسلين.

رابعاً: أعطت الأناجيل وأسفار العهد الجديد قداسة للناموس أو شريعة موسى عليه السلام، واهتمّت بربط تعاليم الناموس بأحداث حياة المسيح عليه السلام وصلبه المكذوب، وقيامته المزعومة، و أكثرت من الاستدلال به على ما يوافق السرد الذي حبكه مؤلفو هذه الكتب.

1) هداية الحيارى، ابن قيم الجوزية، (ص 32 – 33) .

خامساً: جعل النصارى للكنيسة ورؤسائها قداسة، ومكانة، وصلاحيات، لم يدّعيها الأنبياء والمرسلون، إذ كان للكنيسة وآباؤها حق غفران الذنوب، والطرد من رحمة الله، والتفسير الحصري للكتاب المقدّس، والتقرير في أهم قضايا العقيدة والغيبيات.

سادساً: عظّم النصارى الصليب وقدّسوه، وجعلوه رمزاً وشعاراً لديانتهم، واعتبروه دليلاً على اتّباعهم المزعوم للمسيح عليه السلام (الذي يصفونه بالربّ يسوع)، وأصبح الصليب هو العلامة الأساسية التي يعرف بها النصارى، في مفارقة عجيبة مع مقتضيات صلب إلههم، وأوجدوا لهذه المفارقات من التفسيرات ما لا يحتمل تفسيرَه منطقٌ قويم.

المطلب الثاني:

أنواع القدسية والبركة في التراث النصراني

بات من نافلة القول أن يوضح الباحث أنّ ما تم استقراؤه واستنباطه من أسفار العهد القديم فهو حجّة على النصارى في مناقشة أنواع القدسية والتقديس والبركة، وكان الباحث قد تطرّق بالتفصيل إلى أنواع القدسية والبركة من حيث المعنى والمصدر والدلائل في التوراة، أو العهد القديم[1] .

ولكن، وبما أنّ العهد الجديد هو كتلة غير منسجمة مع العهد القديم من حيث اللغة والأسلوب والأحداث والزمن وبعض المفاهيم والعقائد – كما ناقش الباحث ذلك في المبحث الأول من هذ الفصل– كان لابد أن ينفرد العهد الجديد ببعض التأويلات والدلالات فيما يتعلق بالقداسة ومتعلقاتها، لذا فسيسلك الباحث ذات النهج في استقراء العهد الجديد، والبحث بين ثنايا استخدامات كتبته لمفاهيم التقديس والبركة، ومن ثم يصنّفها إلى عناوين محددة بعون الله ﷻ .

أما عن مصدر التقديس، فهو –غالباً– (بشري رباني)**!**، وهذا التناقض موجود في بنية النصرانية –كما سبق إيضاحه–، إذ يدعون المسيح عليه السلام "ربنا يسوع"، فهو في نظرهم بشرٌ وربٌ وإلهٌ على السواء، لذا يصعب تحديد مصدر التقديس والمباركة لدى النصارى، حيث تختلط البشرية بالربوبية والألوهية.

الروح القدس:

قال ابن حزم –رحمه الله: " قال بعض النصارى: لما وجب أن يكون الباري تعالى حياً وعالماً، وجب أن تكون له حياة وعلم، **فحياته هي التي تسمى روح القدس، وعلمه هو الذي يسمى الابن**" [2] .

---

1) انظر: هذا البحث الذي بين يديك، (ص 146– 164) .

2) الفصل، ابن حزم، (113/1)– بتصرف يسير .

ويقول ابن تيميّة – رحمه الله: " **ظنّ النصارى أنّ روح القدس هو صفة لله ﷻ، وجعلوها حياته وقدرته وهو ربٌّ**، وهذا غلط منهم؛ فإنّه لم يسمّ أحدٌ من الأنبياء حياة الله ولا قدرته ولا شيئاً من صفاته روح القدس، بل روح القدس – في غير موضع من كلام الأنبياء عليهم السلام- يراد بها ما ينزله الله على قلوب الأنبياء؛ كالوحي، والهدى، والتأييد، ويراد بها الملَك"(1) .

يقول صاحب قاموس الكتاب المقدّس: "**يدعى الأقنوم الثالث من الثالوث الروح القدس، وسمي روحاً لأنّه مبدع الحياة، وقدوساً لأن من فعله الخصوصي تقديس قلب المؤمن، ويدعى روح الله وروح المسيح بالنظر إلى علاقته الخاصة بهما**"(2) .

وصار معلوماً أنّ النصارى قد قرروا في مجمعهم – المنعقد في القسطنطينية عام 381م- ألوهية الروح القدس.

لكن كون الروح القدس إلهاً، فهذا ينطوي على الكثير من التناقض والغرائب عند استقراء نصوص العهد الجديد، لذا فإنّ تتبع معاني الروح القدس لدى كتبة العهد الجديد يعطي إشارة إلى أنواع القدسية عند النصارى، إذ نجد في معاني الروح القدس، وتجلّياته، ودوره، وأفعاله، العديد من المدلولات **يفصّلها الباحث فيما يلي:**

1. العذراء تحمل بالروح القدس:

إذ صرّح الإنجيل أنّ مريم أم المسيح ﷺ، قد حملت بالروح القدس، « أَمَّا وِلاَدَةُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَكَانَتْ هكَذَا: لَمَّا كَانَتْ مَرْيَمُ أُمُّهُ مَخْطُوبَةً لِيُوسُفَ، قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا، وُجِدَتْ **حُبْلَى مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ**»(3). «... لأَنَّ الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا **هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ**»(4).

---

1) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، (20/2)- بتصرف يسير.
2) قاموس الكتاب المقدس، جورج بوست، (497/1) .
3) متّى 1 : 18 .
4) متّى 1 : 20 .

وهذا القدر– أي حملها من الروح القدس– لا يتنافى مع القرآن الكريم، إذا أريد بروح القدُس جبريل عليه السلام، إذ قال الله عز وجل في محكم التنزيل: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء/91) .

قال القرطبي: " ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ يعني: أمرنا جبريل حتى نفخ في درعها ، فأحدثنا بذلك النفخ المسيح في بطنها"[1].

لكن، هل يعني النصارى بالروح القدس جبريل، هذا ما لا تحتمله ألفاظ وتراكيب ومعاني استخداماتهم له، كما سيأتي.

2. التعميد[2] بالروح القدس:

قد يكون مفهوماً التعميد بالماء كطقس ديني، والذي كان يقوم به يوحنا المعمدان مثلاً كما تزعم الأناجيل[3]، لكن العهد الجديد يستحدث طريقة جديدة للتعميد بالروح القدس والنار، والذي يقوم بهذا التعميد هو المسيح عليه السلام.

جاء في متّى: « أَنَا أُعَمِّدُكُمْ بِمَاءٍ لِلتَّوْبَةِ، وَلكِنِ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي هُوَ أَقْوَى مِنِّي، الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَحْمِلَ حِذَاءَهُ. **هُوَ سَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَنَارٍ**»[4] .

---

1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (338/11) .

2) التعميد: أحد الأسرار المقدّسة في نظر النصارى، وهو من أهم الشعائر الدينية لديهم، يهدف بزعمهم إلى محو الخطيئة الأولى، بحيث يولد الشخص مولداً جديداً يستقبل على أثره في حظيرة الدين المسيحي، وكانت طريقة التعميد المسيحية الأولى أن يغمر الطفل كله (في الماء المقدّس) ثم استبدلت تدريجاً بطريقة الرش، ولم يكن يقوم بهذه العملية إلا أحد الأساقفة، ويصحبها دعاء إلى الروح القدس أن يدخل في جسم التعميد، ومسح جبهته بالزيت المقدس ولطمه لطمة خفيفة على خده، وبهذه الطريقة الشبيهة بما كان متبعاً في مراسم الفروسية يثبت المسيحي الصغير في دينه، ويكون له تبعاً لذلك كل ما للمسيحي من حقوق وعليه كل ما على المسيحي من واجبات **[** قصة الحضارة، وول ديورانت، (15/16)– بتصرف **]**.

3) انظر: مرقص 1 : 8، يوحنا 1 : 31– 33، أعمال الرسل 1 : 5 .

4) متّى 3 : 11 .

فما علاقة الروح القدُس بالنار حتّى يتم التعميد بهما؟ وكيف يجمع المسيح عليه السلام بين الإله والنار في التعميد؟! وما دام يوحنا نبياً فلم لم يعمّد بالروح القدس أيضاً؟ أم أنّ هذا التعميد هو من اختصاص (ابن الآب) كما يزعمون.

وهذا المعنى يتضح جلياً عندما يفسّر يوحنا سبب هذا الاختصاص ليسوع على أنّه (ابن الله) فيقول يوحنا: « وَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ، لكِنَّ **الَّذِي أَرْسَلَنِي لأُعَمِّدَ بِالْمَاءِ**، ذَاكَ قَالَ لِي: الَّذِي تَرَى الرُّوحَ نَازِلاً وَمُسْتَقِرًّا عَلَيْهِ، فَهذَا هُوَ الَّذِي **يُعَمِّدُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ**. وَأَنَا قَدْ رَأَيْتُ وَشَهِدْتُ أَنَّ هذَا **هُوَ ابْنُ اللهِ** »[1].

وإذا كان (يسوع) يعمّد بالروح القدس، فتلاميذه مأمورون بالتعميد (باسم الآب والابن والروح القدس)، « فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ **وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ**»[2] .

3. الكذب على الروح القدس:

جعل الإنجيل الكذب والتجديف على الروح القدس كبيرة لا تغتفر، وجعل عقوبتها (الدينونة الأبدية)، إذ جاء في متّى: « وَمَنْ قَالَ كَلِمَةً عَلَى ابْنِ الإِنْسَانِ يُغْفَرُ لَهُ، **وَأَمَّا مَنْ قَالَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ فَلَنْ يُغْفَرَ لَهُ**، لاَ فِي هذَا الْعَالَمِ وَلاَ فِي الآتِي»[3] .

وفي مرقص: « **مَنْ جَدَّفَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ فَلَيْسَ لَهُ مَغْفِرَةٌ إِلَى الأَبَدِ**، بَلْ هُوَ مُسْتَوْجِبٌ دَيْنُونَةً أَبَدِيَّةً»[4].

4. الروح القدس يتكلم على لسان البشر:

كانت وصية المسيح عليه السلام إلى تلاميذه: « فَمَتَى سَاقُوكُمْ لِيُسَلِّمُوكُمْ، فَلاَ تَعْتَنُوا مِنْ قَبْلُ بِمَا تَتَكَلَّمُونَ وَلاَ تَهْتَمُّوا، بَلْ مَهْمَا أُعْطِيتُمْ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَبِذلِكَ تَكَلَّمُوا. **لأَنْ لَسْتُمْ أَنْتُمُ الْمُتَكَلِّمِينَ بَلِ الرُّوحُ الْقُدُسُ**»[5].

---

1) يوحنا 1 : 33 – 34 .
2) متّى 28 : 19 .
3) متّى 12 : 32 .
4) مرقص 3 : 29 .
5) مرقص 13 : 11 .

وفي سفر أعمال الرسل حدثٌ عجيبٌ في حلول الروح القدس، وكلامهِ على ألسنة الحاضرين، حيث صارت لهم ألسنةٌ أخرى: « وَصَارَ بَغْتَةً مِنَ السَّمَاءِ صَوْتٌ كَمَا مِنْ هُبُوبِ رِيحٍ عَاصِفَةٍ وَمَلأَ كُلَّ الْبَيْتِ حَيْثُ كَانُوا جَالِسِينَ، وَظَهَرَتْ لَهُمْ أَلْسِنَةٌ مُنْقَسِمَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ. **وَامْتَلأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَابْتَدَأُوا يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ أُخْرَى كَمَا أَعْطَاهُمُ الرُّوحُ أَنْ يَنْطِقُوا** »[1].

وهذا يُلزم النصارى أن يكون الإله يتكلم على ألسنة البشر، وهذا مفهوم تماماً – في تقدير الباحث– إذا عُلم أنّ النصارى يعتبرون قول زعمائهم ورهبانهم كلاماً قدسياً، وأنّهم يمنحون للبشر النعيم والعذاب في الآخرة، إذ قد يكون الروح القدس هذا يتكلم على ألسنتهم كذلك**!** .

5. الله يهب الروح القدس:

ومع أنّ الروح القدس إله، وضلع في مثلث القدسية لدى النصارى، إلاّ أن الرّب (الآب) قد يعطي "الروح القدس" للذين يسألونه، جاء في لوقا: « فَإِنْ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلاَدَكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً، **فَكَمْ بِالْحَرِيِّ الآبُ الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ، يُعْطِي الرُّوحَ الْقُدُسَ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ**؟ »[2].

وكما يعطي الآب الروح القدس فإنّه أرسله أيضاً باسم يسوع، إذ يقول يسوع فيما كتبه صاحب إنجيل يوحنا: « **الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ**، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ »[3].

وجاء على لسان بطرس في سفر أعمال الرسل قوله: « وَنَحْنُ شُهُودٌ لَهُ بِهذِهِ الأُمُورِ، **وَالرُّوحُ الْقُدُسُ أَيْضًا، الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُطِيعُونَهُ**» [4].

فكيف يكون الروح القدُس إلهًا، ثم يهبه الله لعباده؟! ففي هذا تناقض ظاهر لا يقول به عاقل، وقد علّق ابن حزم – رحمه الله– على هذا التناقض بقوله: " **وأنتم تقولون إن الثلاثة واحد، وأن كل واحد منهما هو الآخر، فالأب هو الابن، والابن هو الأب، وهما الروح القدس، وليس**

---

1) أعمال الرسل 2 : 2 – 4 .

2) لوقا 11 : 13 .

3) يوحنا 14 : 26 .

4) أعمال الرسل 5 : 32 .

روح القدس سواهما، وهذا هو عين التخليط، وإنجيلهم يبطل هذا بقولهم فيه: سأقعد عن يمين أبي[1]"[2] .

6. الروح القدس يحلّ على الناس:

إذ كان مما قالته الملائكة لمريم فيما ذكره كاتب الإنجيل: « فَأَجَابَ الْمَلاَكُ وَقَالَ لَها: **اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ**، وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ، فَلِذلِكَ أَيْضًا الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ»[3].

وفي شأن والدة يوحنا المعمدان يقول كاتب لوقا:« فَلَمَّا سَمِعَتْ أَلِيصَابَاتُ سَلاَمَ مَرْيَمَ ارْتَكَضَ الْجَنِينُ فِي بَطْنِهَا، **وَامْتَلأَتْ أَلِيصَابَاتُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ**»[4]. أما زوجها: « **وَامْتَلأَ** زَكَرِيَّا أَبُوهُ **مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ**» [5].

وعندما وقع بطرس في أزمة، ما لبث أن حلّ عليه الروح القدس حتى امتلأ منه، « وَلَمَّا أَقَامُوهُمَا فِي الْوَسْطِ، جَعَلُوا يَسْأَلُونَهُمَا: بِأَيَّةِ قُوَّةٍ وَبِأَيِّ اسْمٍ صَنَعْتُمَا أَنْتُمَا هذَا؟ **حِينَئِذٍ امْتَلأَ بُطْرُسُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَقَالَ لَهُمْ**: يَا رُؤَسَاءَ الشَّعْبِ وَشُيُوخَ إِسْرَائِيلَ ... »[6] .

ولما صلّى بطرس ومن معه، امتلأ الجميع بالروح القدس! جملة واحدة، « وَلَمَّا صَلَّوْا تَزَعْزَعَ الْمَكَانُ الَّذِي كَانُوا مُجْتَمِعِينَ فِيهِ، **وَامْتَلأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ بِكَلاَمِ اللهِ** بِمُجَاهَرَةٍ»[7] .

وعندما يحلّ روح القدس تتولد القوة: « لكِنَّكُمْ **سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ**، وَتَكُونُونَ لِي شُهُودًا فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الأَرْضِ»[8].

---

1) يشير هنا ابن حزم – رحمه الله– إلى قولهم في الإنجيل على لسان داود عليه السلام: " قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ" [متّى 22 : 44] .

2) الفصل، ابن حزم، (112/1).

3) لوقا 1 : 35 .

4) لوقا 1 : 41 .

5) لوقا 1 : 67 .

6) أعمال الرسل 4 : 7 – 8 .

7) أعمال الرسل 4 : 7 – 8 .

8) أعمال الرسل 1 : 8

7. الروح القدس يوهب بالجملة:

وقد يحلّ الروح القدس على جمع من الناس جملةً واحدة، حتى يستوعبهم جميعاً، فقد حدث ذلك فعلاً بزعم كاتب أعمال الرسل: « وَلَمَّا سَمِعَ الرُّسُلُ الَّذِينَ فِي أُورُشَلِيمَ أَنَّ السَّامِرَةَ قَدْ قَبِلَتْ كَلِمَةَ اللهِ، أَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ بُطْرُسَ وَيُوحَنَّا، اللَّذَيْنِ لَمَّا نَزَلاَ **صَلَّيَا لأَجْلِهِمْ لِكَيْ يَقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ حَلَّ بَعْدُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ،** غَيْرَ أَنَّهُمْ كَانُوا مُعْتَمِدِينَ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ. **حِينَئِذٍ وَضَعَا الأَيَادِيَ عَلَيْهِمْ فَقَبِلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ.** وَلَمَّا رَأَى سِيمُونُ أَنَّهُ **بِوَضْعِ أَيْدِي الرُّسُلِ يُعْطَى الرُّوحُ الْقُدُسُ** قَدَّمَ لَهُمَا دَرَاهِمَ قَائِلاً: أَعْطِيَانِي أَنَا أَيْضًا هذَا السُّلْطَانَ، حَتَّى أَيُّ مَنْ وَضَعْتُ عَلَيْهِ يَدَيَّ يَقْبَلُ الرُّوحَ الْقُدُسَ»[1].

يلاحظ الباحث في هذا النص حجم التخليط والغرابة في مفهوم الروح القدس، فهو يحلّ على جمع كبير من الناس بمجرد وضع الأيادي عليهم! مما يثير استغراب أحدهم، والذي آمن من قريب، ويدفع دراهم مقابل شراء خاصية إعطاء الروح القدس بمسحة يد! .

وفي موضع آخر ينسكب الروح القدس انسكاباً على جميع الحاضرين لمحاضرة بطرس؛ مما أثار دهشة الجموع!: « فَبَيْنَمَا بُطْرُسُ يَتَكَلَّمُ بِهذِهِ الأُمُورِ **حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَى جَمِيعِ الَّذِينَ كَانُوا يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ.** فَانْدَهَشَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ مِنْ أَهْلِ الْخِتَانِ، كُلُّ مَنْ جَاءَ مَعَ بُطْرُسَ، **لأَنَّ مَوْهِبَةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ قَدِ انْسَكَبَتْ عَلَى الأُمَمِ أَيْضًا**»[2].

وانسجاماً مع هذه الخاصية الفائقة للروح القدس، فإن مسحة يدٍ بالروح القدس حوّلت "بولس" من يهودي من ألدّ أعداء المسيحية إلى قدّيسها الأعظم وحامل لوائها الأوحد، كل هذا بمسحة يدٍ من الروح القدس لا سند لها ولا شهود، إلاّ قليلاً من المجهولين، اقرأ ذلك في سفر أعمال الرسل: «فَمَضَى حَنَانِيَّا وَدَخَلَ الْبَيْتَ **وَوَضَعَ عَلَيْهِ يَدَيْهِ وَقَالَ: «أَيُّهَا الأَخُ شَاوُلُ، قَدْ أَرْسَلَنِي الرَّبُّ يَسُوعُ الَّذِي ظَهَرَ لَكَ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي جِئْتَ فِيهِ، لِكَيْ تُبْصِرَ وَتَمْتَلِئَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ** فَلِلْوَقْتِ وَقَعَ مِنْ عَيْنَيْهِ شَيْءٌ كَأَنَّهُ قُشُورٌ، فَأَبْصَرَ فِي الْحَالِ، وَقَامَ وَاعْتَمَدَ. وَتَنَاوَلَ طَعَامًا فَتَقَوَّى. وَكَانَ شَاوُلُ مَعَ التَّلاَمِيذِ الَّذِينَ فِي دِمَشْقَ أَيَّامًا. **وَلِلْوَقْتِ جَعَلَ يَكْرِزُ**

---

1) أعمال الرسل 8 : 14 – 19 .

2) أعمال الرسل 10 : 44 – 45 .

فِي الْمَجَامِعِ بِالْمَسِيحِ أَنْ هذَا هُوَ ابْنُ اللهِ **فَبُهِتَ جَمِيعُ الَّذِينَ كَانُوا يَسْمَعُونَ** وَقَالُوا: **أَلَيْسَ هذَا هُوَ الَّذِي أَهْلَكَ فِي أُورُشَلِيمَ الَّذِينَ يَدْعُونَ بِهذَا الاسْمِ؟** وَقَدْ جَاءَ إِلَى هُنَا لِهذَا لِيَسُوقَهُمْ مُوثَقِينَ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ»[1] .

ولما تقدّس بولس بروح القدس، انطلق كالسهم يبشّر بالإنجيل، وأصبح يهب روح القدس بذات الطريقة التي اكتسبه فيها، فتجده يضع يده على اثني عشر رجلاً، فيحلّ عليهم روح القدس دفعة واحدة! « **وَلَمَّا وَضَعَ بُولُسُ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْهِمْ،** فَطَفِقُوا يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَاتٍ وَيَتَنَبَّأُونَ. وَكَانَ جَمِيعُ الرِّجَالِ نَحْوَ اثْنَيْ عَشَرَ»[2].

لذلك ليس غريباً أن يصف بولس الروح القدس في إحدى رسائله بأنّه (ساكن فيه)، إذ يقول: « اِحْفَظِ الْوَدِيعَةَ الصَّالِحَةَ **بِالرُّوحِ الْقُدُسِ السَّاكِنِ فِينَا**» [3] .

بل قد يخاطب الروح القدس جمعاً من (المعلّمين) كفاحاً، ويعطيهم جملة من التعليمات والأوامر، جاء في ذلك: « وَكَانَ فِي أَنْطَاكِيَةَ فِي الْكَنِيسَةِ هُنَاكَ **أَنْبِيَاءُ وَمُعَلِّمُونَ:** بَرْنَابَا، وَسِمْعَانُ الَّذِي يُدْعَى نِيجَرَ، وَلُوكِيُوسُ الْقَيْرَوَانِيُّ، وَمَنَايِنُ الَّذِي تَرَبَّى مَعَ هِيرُودُسَ رَئِيسِ الرُّبْعِ، وَشَاوُلُ. وَبَيْنَمَا هُمْ يَخْدِمُونَ الرَّبَّ وَيَصُومُونَ، **قَالَ الرُّوحُ الْقُدُسُ: أَفْرِزُوا لِي بَرْنَابَا وَشَاوُلَ لِلْعَمَلِ** الَّذِي دَعَوْتُهُمَا إِلَيْهِ»[4].

قد يجد النصارى تأويلات كثيرة للتلاعب بهذه الألفاظ التي وردت في أناجيلهم، كحلول الروح القدس وامتلاء الأجساد به وما شابه ذلك من ألفاظ وأوصاف، ولكنّ هذه التأويلات –في فهم الباحث– لا تغني من الحق شيئاً، إذ هي تتعلق بأمور عقائدية وبعالم الغيب، فإذا كان الروح القدس إلهاً فكيف يحل في الأشياء، وإذا لم يكن إلهاً فيلزمهم تفسير طبيعته وحقيقته.

من أنواع التقديس والبركة:

وقد وردت أنواع وأشكال وأساليب كثيرة للتقديس في العهد الجديد، بخلاف قدسية وتقديس الروح القدس، **يورد الباحث نماذج منها فيما يلي:**

---

1) أعمال الرسل 9 : 17 – 21 .

2) أعمال الرسل 19 : 6 – 7 .

3) رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس 1 : 14 .

4) أعمال الرسل 13 : 1 – 2 .

1) تقديس اسم الآب:

يعتقد كاتب إنجيل متى بأنّ الإلحاح في الدعاء هو أمر غير مرغوب، بل باطل، (فالآب) الذي في السماء يعرف جيداً ما يحتاجه المؤمنون، لذا فإنّ الدعاء ليس سوى (تقديس اسم الآب) بصيغة علّمها المسيح ﷺ للناس، بزعم المؤلف، إذ يقول على لسان (يسوع): « ... وَحِينَمَا تُصَلُّونَ **لاَ تُكَرِّرُوا الْكَلاَمَ بَاطِلاً كَالأُمَمِ،** فَإِنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُ بِكَثْرَةِ كَلاَمِهِمْ يُسْتَجَابُ لَهُمْ. فَلاَ تَتَشَبَّهُوا بِهِمْ. لأَنَّ **أَبَاكُمْ يَعْلَمُ مَا تَحْتَاجُونَ** إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلُوهُ. **فَصَلُّوا أَنْتُمْ هكَذَا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ.** لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ. لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ»[1] .

وكما وُصف الآب بالتقديس، فقد ورد ذكره في الإنجيل باسم "المُبارك"، جاء في مرقص: «فَسَأَلَهُ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ أَيْضًا وَقَالَ لَهُ: **أَأَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ الْمُبَارَكِ**؟» [2].

2) الآب يقدّس ابنه وأتباعه:

زعم كاتب إنجيل يوحنا أن المسيح ﷺ قد حاجّ اليهود ناسباً لنفسه تقديس أباه الذي في السماء له وإرساله للعالم، فقال: « فَالَّذِي **قَدَّسَهُ الآبُ وَأَرْسَلَهُ إِلَى الْعَالَمِ،** أَتَقُولُونَ لَهُ: إِنَّكَ تُجَدِّفُ، لأَنِّي قُلْتُ: إِنِّي ابْنُ اللهِ؟ إِنْ كُنْتُ لَسْتُ أَعْمَلُ أَعْمَالَ أَبِي فَلاَ تُؤْمِنُوا بِي وَلكِنْ إِنْ كُنْتُ أَعْمَلُ، فَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِي فَآمِنُوا بِالأَعْمَالِ، **لِكَيْ تَعْرِفُوا وَتُؤْمِنُوا أَنَّ الآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ**»[3] .

لاحظ كيف يحاول كاتب هذا الإنجيل إقحام قضية التثليث وألوهية المسيح ﷺ واتّحاده مع الآب في كل مناسبة ومجادلة مزعومة.

وكما قدّس الآب ابنه، فإنّه يبارك أتباع هذا الابن، إذ يناديهم (ابن الإنسان) يوم عودته المزعومة وهم يجلسون عن يمينه قائلاً لهم: « **تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي،** رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ»[4] .

---

1) متّى 6 : 7 – 10، **انظر أيضاً:** لوقا 11 : 2 .

2) مرقص 14 : 61 .

3) يوحنا 10 : 36 – 38 .

4) متى 25 : 34 .

3) يسوع يقدّس ذاته وتلاميذه:

يخاطب يسوع أباه الذي في السماء –بزعم الإنجيل– ويتضرع إليه بأدعية كثيرة، وكان مما قاله في حق تلاميذه: « كَمَا أَرْسَلْتَنِي إِلَى الْعَالَمِ أَرْسَلْتُهُمْ أَنَا إِلَى الْعَالَمِ، **وَلأَجْلِهِمْ أُقَدِّسُ أَنَا ذَاتِي، لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا مُقَدَّسِينَ فِي الْحَقِّ**»[1] .

وكأن كاتب إنجيل يوحنا – بحسب فهم الباحث– استدرك على نفسه عندما ذكر مخاطبة المسيح عليه السلام لربّه رافعاً عينيه إلى السماء، مما فتح ثغرة لكشف تناقض توجه الرب إلى الربّ بالدعاء! فخاف المؤلف أن يتوهم أحدٌ أن (يسوع) هو عبدٌ لله ومحتاج، فسارع إلى تأكيد قدرته على تقديس ذاته، وتقديس من سواه، حتى يقحم من جديد قضية الاندماج والتثليث، والله أعلم.

وفي قصة قيامة المسيح من قبره – بزعمهم– فإنّه –أي يسوع– من جديد ينفخ بالقداسة نفخاً على تلاميذه ويعطيهم قدسية مطلقة تصل لحد منحهم خصائص الإله، فيقول لهم: « سَلاَمٌ لَكُمْ! كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ أُرْسِلُكُمْ أَنَا **وَلَمَّا قَالَ هذَا نَفَخَ وَقَالَ لَهُمْ: اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ . مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ، وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكَتْ**»[2] .

ويباركهم المسيح عليه السلام قبل لحظات من صعوده إلى السماء، جاء في لوقا: «... وَرَفَعَ يَدَيْهِ **وَبَارَكَهُمْ**. وَفِيمَا **هُوَ يُبَارِكُهُمْ**، انْفَرَدَ عَنْهُمْ وَأُصْعِدَ إِلَى السَّمَاءِ»[3] .

وبهذا تنتقل القداسة والبركة المطلقة من يسوع – الذي يغفر الخطايا بزعمهم– إلى تلاميذه، فيصير كل واحد منهم غفّار للخطايا ومانح للمثوبات! .

وفي هذا المعنى يضع مؤسس النصرانية الحقيقي بولس مفهوماً في التقديس، يبيّن فيه أنّ المقدِّس والمقدَّسين هما من أصلٍ واحد، فهناك اندماج بينهما، فيقول في إحدى رسائله: « **لأَنَّ**

1) يوحنا 17 : 18 – 19 .

2) يوحنا 20 : 21 – 23 .

3) لوقا 24 : 50 – 51 .

الْمُقَدِّسَ وَالْمُقَدَّسِينَ جَمِيعَهُمْ مِنْ وَاحِدٍ، فَلِهذَا السَّبَبِ لاَ يَسْتَحِي أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِخْوَةً، قَائِلاً: أُخَبِّرُ بِاسْمِكَ إِخْوَتِي، وَفِي وَسَطِ الْكَنِيسَةِ أُسَبِّحُكَ» [1] .

4) الهيكل يقدّس الأشياء:

ينقل كاتب إنجيل متّى مخاطبة (يسوع) اليهود مستنكراً عليهم الحلف بذهب الهيكل دون الهيكل ذاته، ذاك أن الهيكل هو مصدر القداسة لما يوضع فيه، فيقول: « ... أَيُّهَا الْجُهَّالُ وَالْعُمْيَانُ! أَيُّمَا أَعْظَمُ: الذَّهَبُ أَمِ **الْهَيْكَلُ الَّذِي يُقَدِّسُ الذَّهَبَ؟** وَمَنْ حَلَفَ بِالْمَذْبَحِ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ، وَلكِنْ مَنْ حَلَفَ بِالْقُرْبَانِ الَّذِي عَلَيْهِ يَلْتَزِمُ. أَيُّهَا الْجُهَّالُ وَالْعُمْيَانُ! أَيُّمَا أَعْظَمُ: الْقُربانُ أَمِ **الْمَذْبَحُ الَّذِي يُقَدِّسُ الْقُرْبَانَ**؟»[2] .

وتندرج هذه القداسة المتنقلة باللمس والمسح والوضع – فيما يلاحظ الباحث– تحت قاعدة سطّرها بولس في إحدى رسائله حول مفهوم التقديس، هذه القاعدة تقول: « وَإِنْ كَانَتِ الْبَاكُورَةُ مُقَدَّسَةً فَكَذلِكَ الْعَجِينُ، **وَإِنْ كَانَ الأَصْلُ مُقَدَّسًا فَكَذلِكَ الأَغْصَانُ**»[3] .

ومن استخدامات لفظ (الهيكل) في القداسة، ما ضربه بولس مثلاً لقداسة يسوع، فمثّل للأنبياء ويسوع بـ (هيكل مقدّس في الربّ) حجر الزاوية فيه (يسوع)، وأساساته الأنبياء والمرسلون، فقال بولس في إحدى رسائله: « فَلَسْتُمْ إِذًا بَعْدُ غُرَبَاءَ وَنُزُلاً، بَلْ رَعِيَّةٌ مَعَ الْقِدِّيسِينَ وَأَهْلِ بَيْتِ اللهِ، مَبْنِيِّينَ عَلَى أَسَاسِ الرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ، **وَيَسُوعُ الْمَسِيحُ نَفْسُهُ حَجَرُ الزَّاوِيَةِ، الَّذِي فِيهِ كُلُّ الْبِنَاءِ مُرَكَّبًا مَعًا، يَنْمُو هَيْكَلاً مُقَدَّسًا فِي الرَّبِّ.** الَّذِي فِيهِ أَنْتُمْ أَيْضًا مَبْنِيُّونَ مَعًا، مَسْكَنًا للهِ فِي الرُّوحِ»[4] .

يلاحظ الباحث أنّ بولس قدّم تفسيرات عجيبة وأكثر من الإبهام والكنايات في حديثه عن القداسة والروح القدس في الأسفار والرسائل المنسوبة إليه في العهد الجديد.

---

1) رسالة بولس إلى العبرانيين 2 : 11 – 12 .
2) متّى 23 : 17 – 19 .
3) رسالة بولس إلى أهل رومية 11 : 16 .
4) رسالة بولس إلى أهل أفسس 2 : 19 – 22 .

5) القُبلة المقدّسة:

تجد من عجائب الكتاب المقدّس أنّ القداسة تعدّت من الإله إلى الأشخاص والجماعات، حتى وصلت إلى أدّق السلوكيات البشرية، فصارت توصف بالقدسية، ومن هذه السلوكيات "القُبلة المقدّسة"، التي ابتدعها بولس، فذكرها أربع مرّات في رسائله، موصياً (المؤمنين) بتبادل القبلات المقدّسة، فتجده يقول: « **سَلِّمُوا بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِقُبْلَةٍ مُقَدَّسَةٍ.** كَنَائِسُ الْمَسِيحِ تُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ» [1] .

6) الكأس المباركة والخبز المقدّس:

يتحدث بولس عن كأس البركة التي يشربها النصارى، ويصفها (بشركة دم المسيح)، والخبز الذي يكسرونه هو (شركة جسد المسيح) « **كَأْسُ الْبَرَكَةِ الَّتِي نُبَارِكُهَا**، أَلَيْسَتْ هِيَ شَرِكَةَ دَمِ الْمَسِيحِ؟ الْخُبْزُ الَّذِي نَكْسِرُهُ، أَلَيْسَ هُوَ شَرِكَةَ جَسَدِ الْمَسِيحِ؟ »[2] .

ويوضح بولس سرّ هذا الكأس المقدّسة وهذا الخبز المبارك في ذات الرسالة فيقول: « إِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي أُسْلِمَ فِيهَا، أَخَذَ خُبْزًا، وَشَكَرَ فَكَسَّرَ، وَقَالَ: **خُذُوا كُلُوا هذَا هُوَ جَسَدِي الْمَكْسُورُ لأَجْلِكُمْ.** اصْنَعُوا هذَا لِذِكْرِي، كَذلِكَ الْكَأْسَ أَيْضًا بَعْدَمَا تَعَشَّوْا، قَائِلاً: **هذِهِ الْكَأْسُ هِيَ الْعَهْدُ الْجَدِيدُ بِدَمِي.** اصْنَعُوا هذَا كُلَّمَا شَرِبْتُمْ لِذِكْرِي، فَإِنَّكُمْ كُلَّمَا أَكَلْتُمْ هذَا الْخُبْزَ وَشَرِبْتُمْ هذِهِ الْكَأْسَ، تُخْبِرُونَ بِمَوْتِ الرَّبِّ إِلَى أَنْ يَجِيءَ»[3] .

وهذه النصوص وأشباهها كانت أساساً لشعيرة من شعائر النصرانية وهي: العشاء الرباني، أو (التناول)، " ويرمز به إلى عشاء عيسى عليه السلام الأخير مع تلاميذه، إذ اقتسم معهم الخبز والنبيذ، والخبز يرمز إلى جسد المسيح عليه السلام، الذي كُسر لنجاة البشرية، أما النبيذ فيرمز إلى دمه الذي سُكب لنفس الغرض، بزعمهم، وفي العشاء الرباني يتم تناول شيء من الخبز مع الخمر، ومن أكل

---

1) رسالة بولس إلى أهل رومية 16 : 16، **انظر أيضاً:** رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس 16: 20، رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس 13: 12، رسالة بولس الأولى إلى أهل تسالونيكي 5: 26 .

2) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس 10 : 16 .

3) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس 11 : 23 – 26 .

منه وشرب فكأنما أكل من لحم المسيح وشرب من دمه؛ وبالتالي حصل امتزاج بينه وبين المسيح وتعاليمه" [1] .

خلاصة المطلب:

أولاً: اعتنى كتبة العهد الجديد بمفهوم الروح القُدس عناية كبيرة، وجعلوا له من القداسة ما يؤهله للانسجام مع عقيدتهم في تأليه الروح القدُس، واختلفت صياغات الأناجيل والعهد الجديد في وصفها للروح القدس، فهو روح قد يتجسد وقد يتكلم، وقد يحلّ في الأشخاص والجماعات، وقد ينتقل من شخص إلى شخص أو جماعة، وقد ينتقل بالنفخ أو المسح أو الحلول أو الاندماج، ويعدّ الروح القدس مصدر القداسة الأكثر تأثيراً، وهو صانع القديسين، ومبدّل قلوب العباد، بحسب مفهوم مؤلفي العهد الجديد.

ثانياً: تعددت أشكال القداسة والبركة، وطريقة منحها وحلولها في العهد الجديد، واضطربت وتناقضت معاني التقديس، كما في العهد القديم، فالتقديس قد يوهب عطيّةً، وقد ينتقل من بشر إلى بشر، ومن السماء إلى الأرض وبالعكس، ومن يسوع إلى تلاميذه، ومن تلاميذه إلى العالم، وقد يكون الشخص مقدّساً، والأكل مقدّساً، والشراب مقدساً، وحتى قد تكون القُبلة مقدّسة، وكذا سائر الأعيان، والمعاني، والسلوكيات، وغيرها.

1) المسيحية، د. شلبي، (ص 173)- بتصرف.

المطلب الثالث:

اعتقاد النصارى بالحق الديني والتاريخي في الأرض المقدسة ومناقشتهم

تمهيد:

ينطلق الباحث في هذا المطلب من منطلقين اثنين:

الأول: التقاء اليهود مع النصارى في القسم الأول والأكبر من الكتاب المقدّس –في نظرهم– وهو ما يسمّى بالعهد القديم، والذي ينصّ في الكثير من نصوصه – كما سلف في الفصل الأول– على أحقّية اليهود في الأرض المقدّسة، ملكاً أبدياً من الناحية الدينية والتاريخية.

والنصارى – كما هو معلوم– يؤمنون بالعهد القديم نصاً، ويقدّسونه، ويستشهدون به، وتستدلّ أناجيلهم بما ورد في الناموس والعهد القديم عموماً؛ من أحداث وتنبؤات وعقائد وأحكام، كما تشير بعض نصوص العهد الجديد –فيما اتّضح للباحث– إلى الوعد الرباني المقدّس –المزعوم– المقطوع في العهد القديم لإبراهيم عليه السلام ونسله من أبناء إسحاق عليه السلام ويعقوب عليه السلام، لكن الملاحظ أنّ نصوص العهد الجديد المستشهِدة بذلك الوعد تلمح إلى تأييده واستحسانه، لكن؛ مع انتقال هذا الحق والوعد إلى أتباع المسيح عليه السلام، كونه جاء ليكمّل الناموس ويجدد الدين بعد انحراف اليهود وكفرهم، وهذه المعاني والمفاهيم النصرانية المصدر سيتعرض لها الباحث تفصيلاً في هذا المطلب.

الثاني: أنّ نصوص العهد الجديد –فيما تبيّن للباحث– أشارت إلى قدسية أرض فلسطين وأهمّيتها بالنسبة لحملة الدين الجديد (دين النصارى)، وعليه فإنّ هذه الأرض هي في معتقدهم مهد المسيح عليه السلام وأرض (بشارته) ومعجزاته، واضطهاده، وصلبه، وقيامته –بزعمهم، وهذا الاعتقاد له ما يدلّ عليه من نصوص مقدّسة لديهم، وله من الآثار والتبعات والتطبيقات على أرض الواقع ما يدلّ على أهميته وجوهريته بالنسبة لعباد المسيح عليه السلام .

ولن يلتفت الباحث كثيراً إلى التأويلات والتفسيرات الروحانية الهلامية التي أوردها اللاهوتيون من النصارى، والتي كثيراً ما تحرّف النصوص الدينية (المحرّفة أصلاً)، وتعطيها معاني فضفاضة

لا تنسجم مع منطوق ومفهوم (النص المقدّس)، إذ سيتم الاعتماد على النصوص بشكل أساس؛ إذ هي – في فهم الباحث– مظنّة البحث الديني والدليل العقائدي.

وإذا ما تجاهل المرء النصّ الديني الواضح والتفت إلى أقوال هؤلاء من علماء اللاهوت، فسيجد نفسه في متاهة التفسيرات الخرافية؛ ذلك أنّ هؤلاء " **يؤمنون بسلطة عرفية للكنيسة وبعلم لاهوت لا عقلاني، وباحتكار الحياة الدينية عن طريق القداس، وهي تتنكر للحياة والأرض؛ بإيمانها بمملكة أخرى غير الأرض وخارج الزمان والمكان الذي نعرف، وهي المملكة التي تصبو إليها دون الدنيا** " [1] .

موقف العهد الجديد من الوعد المقدّس:

فصّل الباحث القول – في نظير هذا المطلب من الفصل الأول – في قول اليهود بأحقّيتهم في أرض فلسطين المقدّسة دينياً، معتمدين على نصوص العهد القديم التي أعطت لهم هذا الحق ميراثاً، وفق وعد علوي لإبراهيم الخليل عليه السلام، فما موقف العهد الجديد من هذا الوعد المقدّس المزعوم؟ وما هو توجيههم له؟ إذ معلوم –كما أشار الباحث في الفصل التمهيدي– أنّ النصارى واليهود كانوا دوماً طرفا عداوة على هذه الأرض المباركة، والحال هذه كان ينبغي أن يكون النصّ الديني (الذي يؤمن به الطرفان) منسجماً مع هذه العداوة، لذا حرص كتبة العهد الجديد –بحسب فهم الباحث– على إضفاء شرعية مؤقتة على نصّ الوعد المقدّس في العهد القديم، مع تعديله ليتناسب مع الميراث الجديد للبشرية الذي أضفاه ظهور المسيح عليه السلام كنبي على هذه الأرض، مروراً بدعوته التي واجهت اضطهاداً مرّاً من اليهود، وصولاً إلى الحدث الكوني الهائل المتمثل بصلبه وقيامته المزعومة.

لذا فإنّ العهد الجديد أشار تلميحاً وتصريحاً إلى انتقال الوعد المقدّس، وميراث نسل إبراهيم وإسحاق –عليهما السلام– إلى المسيح عليه السلام، وبالتالي إلى أتباعه والمؤمنين به.

1) مجلة البحوث الإسلامية، (591/2) .

فقد ذكر الإنجيل أنّ ملاك الربّ قد بشّر والدة المسيح (عليه السلام) قبل الحمل به بأنّه سيرث كرسي (أبيه) داود (عليه السلام) وسيكون له الملك على (بيت يعقوب) إلى الأبد، إذ جاء في إنجيل لوقا: « فَقَالَ لَهَا الْمَلاَكُ: لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ، لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ، وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ. **هذَا يَكُونُ عَظِيمًا، وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى، وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ، وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ، وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ**»[1].

وفي هذا النص وأمثاله مما سيأتي إشكالات لا تنتهي– في نظر الباحث– ، إذ في أصله كسرٌ لا ينجبر، فكيف ينسب المسيح (عليه السلام) إلى داود (عليه السلام) أصلاً، وعلى أي أساس يكون الإله أو ابن الإله –بزعمهم– ذا نسبٍ ويرث كرسيّ أبيه؟! ثم كيف يملك الربّ المزعوم على (بيت يعقوب) بعد أن تقرر لديهم أنّه المتحكّم في ملكوت السماء والأرض؟! ثم كيف جاز لمؤلف الإنجيل أن يزعم أنّ هناك قراراً سماوياً بأن يملّك المسيح (عليه السلام) إلى الأبد على بيت يعقوب وأن لا يكون لملكه نهاية، في حين أن التاريخ نقض هذا الزعم جملةً وتفصيلاً؟! إلى غير ذلك من تناقضات؛ لكننا مضطرون للتعامل مع هذا التناقض ومناقشته؛ إذ هو موجود في أصل الديانة – كما سلف.

وبعد ميلاد المسيح (عليه السلام) يزعم كاتب الإنجيل المحرّف ذاته أنّ والدته العذراء قد اعتبرت ميلاده تحقيقاً للوعد الإلهي لإبراهيم (عليه السلام) فقالت في تسبيحها للربّ: « **عَضَدَ إِسْرَائِيلَ فَتَاهُ** لِيَذْكُرَ رَحْمَةً، **كَمَا كَلَّمَ آبَاءَنَا. لإِبْرَاهِيمَ وَنَسْلِهِ إِلَى الأَبَدِ**»[2].

وفي نفس السياق يكرر زكريا (أبو يوحنا المعمدان)، القول بعدما (يمتلئ من الروح القدس) بأنّ الربّ –بميلاد يسوع– قد أنفذ "عهده المقدّس، القسم الذي حلف لآبائنا"، فيقول ما نصّه: «مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ لأَنَّهُ افْتَقَدَ وَصَنَعَ فِدَاءً لِشَعْبِهِ، **وَأَقَامَ لَنَا قَرْنَ خَلاَصٍ فِي بَيْتِ دَاوُدَ فَتَاهُ**. كَمَا تَكَلَّمَ بِفَمِ أَنْبِيَائِهِ الْقِدِّيسِينَ الَّذِينَ هُمْ مُنْذُ الدَّهْرِ، خَلاَصٍ مِنْ أَعْدَائِنَا وَمِنْ أَيْدِي جَمِيعِ مُبْغِضِينَا. لِيَصْنَعَ رَحْمَةً مَعَ آبَائِنَا **وَيَذْكُرَ عَهْدَهُ الْمُقَدَّسَ، الْقَسَمَ الَّذِي حَلَفَ لإِبْرَاهِيمَ أَبِينَا** ... »[3].

---

1) لوقا 1 : 30 – 33 .

2) لوقا 1 : 54 – 55 .

3) لوقا 1 : 68 – 73 .

وإذا نظرت في النصين الأخيرين إلى موضعَي استشهاد العذراء وزكريا بنصوصٍ في العهد القديم، وهي: «**لإِبْرَاهِيمَ وَنَسْلِهِ إِلَى الأَبَدِ**»، « **الْقَسَمَ الَّذِي حَلَفَ لإِبْرَاهِيمَ أَبِينَا**»، فلن تجد هذه النصوص قد ذُكرت في العهد القديم إلاّ في موضع وعد الله المقدّس الأبدي لإبراهيم عليه السلام ونسله بإعطائهم الأرض الموعودة[1] أي: أرض فلسطين المقدّسة، **وعليه فإنّ هذا نصّ من كاتب هذا الإنجيل بأنّ الربّ قد استكمل وعده السابق المعطى لإبراهيم عليه السلام، وأعطاه للمسيح عليه السلام.**

وقد نقل كاتب إنجيل متّى عن المسيح عليه السلام نفسه بشراه لتلاميذه بميراث الأرض: « وَلَمَّا رَأَى الْجُمُوعَ صَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ، فَلَمَّا جَلَسَ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تَلاَمِيذُهُ، فَفتحَ فاهُ وعَلَّمَهُمْ قَائِلاً: ... طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ، **طُوبَى لِلْوُدَعَاءِ، لأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الأَرْضَ**»[2] .

ثم يؤكّد لهم هذا المعنى في ذات المجلس: « ... فَإِنَّهُمْ هكَذَا طَرَدُوا الأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، **أَنْتُمْ مِلْحُ الأَرْضِ**، وَلكِنْ إِنْ فَسَدَ الْمِلْحُ فَبِمَاذَا يُمَلَّحُ؟ لاَ يَصْلُحُ بَعْدُ لِشَيْءٍ، إِلاَّ أَنْ يُطْرَحَ خَارِجًا وَيُدَاسَ مِنَ النَّاسِ، **أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ**. لاَ يُمْكِنُ أَنْ تُخْفَى مَدِينَةٌ مَوْضُوعَةٌ عَلَى جَبَل ... »[3] .

وما دامت للتلاميذ والأتباع هذه المكانة التي يعزّيهم بها المسيح عليه السلام، **ناعياً على اليهود اضطهادهم، مبشّراً إياهم بميراث الأرض، فهذا نصّ بانتفائه عن اليهود منذ مبعث المسيح عليه السلام.**

وقد جاء في أعمال الرسل كذلك تصريح بطرس لليهود بأنّ ميراث الأنبياء أو (الآباء)، وخاصة وعد الله جل جلاله لإبراهيم عليه السلام، أنّ نسله ستتبارك به جميع أمم الأرض، **إنما انتقل إلى (يسوع) فهو صاحب البركة الموروثة**، إذ جاء على لسان بطرس قوله لليهود: « أَنْتُمْ أَبْنَاءُ الأَنْبِيَاءِ، **وَالْعَهْدِ الَّذِي عَاهَدَ بِهِ اللهُ آبَاءَنَا قَائِلاً لإِبْرَاهِيمَ: وَبِنَسْلِكَ تَتَبَارَكُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ**، إِلَيْكُمْ أَوَّلاً، **إِذْ أَقَامَ اللهُ فَتَاهُ يَسُوعَ، أَرْسَلَهُ يُبَارِكُكُمْ بِرَدِّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَنْ شُرُورِهِ**»[4] .

---

1) انظر: تكوين 13 : 14 – 16 .
2) متّى 5 : 1 – 5 .
3) متّى 5 : 12 – 14 .
4) أعمال الرسل 3 : 25 – 26 .

بل يؤكّد بطرس أنّ المسيح ﷺ قد ورث كرسيّ (أبيه داود) ﷺ، فيقول أيضاً في محاجّته لليهود: « أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ، يَسُوغُ أَنْ يُقَالَ لَكُمْ جِهَارًا عَنْ **رَئِيسِ الآبَاءِ دَاوُدَ إِنَّهُ مَاتَ وَدُفِنَ**، وَقَبْرُهُ عِنْدَنَا حَتَّى هذَا الْيَوْمِ .فَإِذْ كَانَ نَبِيًّا، **وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ حَلَفَ لَهُ بِقَسَمٍ أَنَّهُ مِنْ ثَمَرَةِ صُلْبِهِ يُقِيمُ الْمَسِيحَ حَسَبَ الْجَسَدِ لِيَجْلِسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ**، سَبَقَ فَرَأَى وَتَكَلَّمَ عَنْ قِيَامَةِ الْمَسِيحِ، أَنَّهُ لَمْ تُتْرَكْ نَفْسُهُ فِي الْهَاوِيَةِ وَلاَ رَأَى جَسَدُهُ فَسَادًا، فَيَسُوعُ هذَا أَقَامَهُ اللهُ، وَنَحْنُ جَمِيعًا شُهُودٌ لِذلِكَ»[1] .

ومعلوم أنّ داود ﷺ كان ملكاً وحاكماً، ويعتبر اليهود فترة حكمه – كما مر في البحث– السند الأقوى في أحقيتهم بوراثة كرسيه على الأرض المقدّسة، فإذا كان (يسوع) قد ورث كرسيّه فهذا يتناقض –في فهم الباحث– مع الواقع، إذ لم يحكم المسيح ﷺ البتة، بل كان مضطهداً، فكيف يسوغ وصفه بأنه ورث كرسي داود ﷺ؟ إلا إذا قصد كاتب النص انتقال وراثة العهد المقدّس إلى (أتباع يسوع)، كما سيأتي من نصوص.

إنّ كتبة العهد الجديد يكثرون من أمثال هذه النصوص – فيما اتّضح للباحث– والتي يؤتى بها من بين ثنايا العهد القديم لتؤكد على اعتقاداتهم الجديدة، ولتفسّر أقوال وأفعال وغرائب (يسوع) التي يمتلئ بها العهد الجديد، ومن بين هذه النصوص تلك التي توحي بانتقال البركة لمنصوص عليها لنسل إبراهيم ويعقوب –عليهما السلام– من اليهود إليهم، على خلاف ما يعتقده اليهود من اختصاصهم بالبركة، وأنّهم شعب الله وخاصته!.

وكان أكثر من تحدّث عن الوعد المقدّس في العهد الجديد – فيما لاحظه الباحث– هو زعيم النصرانية بولس، إذ تحدث عنه بالتلميح والتصريح، وأكثر بولس من الكلام الغريب في هذا الشأن، كما في كل شأن، وهذا بطرس يقرّ بطلاسم بولس فيقول: « ... مَا كَتَبَ إِلَيْكُمْ أَخُونَا الْحَبِيبُ بُولُسُ أَيْضًا بِحَسَبِ الْحِكْمَةِ الْمُعْطَاةِ لَهُ، كَمَا فِي الرَّسَائِلِ كُلِّهَا أَيْضًا، **مُتَكَلِّمًا فِيهَا عَنْ هذِهِ الأُمُورِ، الَّتِي فِيهَا أَشْيَاءُ عَسِرَةُ الْفَهْمِ، يُحَرِّفُهَا غَيْرُ الْعُلَمَاءِ وَغَيْرُ الثَّابِتِينَ**، كَبَاقِي الْكُتُبِ أَيْضًا، لِهَلاَكِ أَنْفُسِهِمِ»[2] .

---

1) أعمال الرسل 2 : 29 – 32 .

2) رسالة بطرس الثانية 3 : 15 – 16 .

لكننا – بما ورد من كلامٍ واضحٍ لبولس في شأن هذا الوعد– في غنىً عن طلاسمه، فهو يتكلم بصراحةٍ عن نقل الوعد المتسلسل من إبراهيم عليه السلام ليصل به إلى (يسوع)، فينقل عنه مؤلف أعمال الرسل قوله لجموع اليهود: « أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ اللهَ، اسْمَعُوا! إِلهُ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ هذَا اخْتَارَ آبَاءَنَا، وَرَفَعَ الشَّعْبَ فِي الْغُرْبَةِ فِي أَرْضِ مِصْرَ، وَبِذِرَاعٍ مُرْتَفِعَةٍ أَخْرَجَهُمْ مِنْهَا. وَنَحْوَ مُدَّةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، احْتَمَلَ عَوَائِدَهُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ **ثُمَّ أَهْلَكَ سَبْعَ أُمَمٍ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ وَقَسَمَ لَهُمْ أَرْضَهُمْ بِالْقُرْعَةِ.** وَبَعْدَ ذلِكَ فِي نَحْوِ أَرْبَعِمِئَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً أَعْطَاهُمْ قُضَاةً حَتَّى صَمُوئِيلَ النَّبِيِّ وَمِنْ ثَمَّ طَلَبُوا مَلِكًا، فَأَعْطَاهُمُ اللهُ شَاوُلَ بْنَ قَيْسٍ، رَجُلاً مِنْ سِبْطِ بِنْيَامِينَ، أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ عَزَلَهُ وَأَقَامَ لَهُمْ دَاوُدَ مَلِكًا، الَّذِي شَهِدَ لَهُ أَيْضًا، إِذْ قَالَ: وَجَدْتُ دَاوُدَ بْنَ يَسَّى رَجُلاً حَسَبَ قَلْبِي، الَّذِي سَيَصْنَعُ كُلَّ مَشِيئَتِي، **مِنْ نَسْلِ هذَا، حَسَبَ الْوَعْدِ، أَقَامَ اللهُ لإِسْرَائِيلَ مُخَلِّصًا، يَسُوعَ**»[1].

ثم ينتهي بولس إلى القول: « وَلكِنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَظَهَرَ أَيَّامًا كَثِيرَةً لِلَّذِينَ صَعِدُوا مَعَهُ مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى أُورُشَلِيمَ، الَّذِينَ هُمْ شُهُودُهُ عِنْدَ الشَّعْبِ، **وَنَحْنُ نُبَشِّرُكُمْ بِالْمَوْعِدِ الَّذِي صَارَ لآبَائِنَا**»[2].

إن محاولات إقناع بولس المتكررة لليهود، مستشهداً بالبشارات و(الموعد) الذي أعطي للآباء في التوراة، لا يقتصر – في تقدير الباحث– على إقناعهم بالإيمان برسالته، بل هو يتحدث عن (وعد الله للآباء)، ومعلوم أنّ هذا الوعد المتكرر بكثرة في العهد القديم إنّما كان بشأن ميراث الأرض المقدّسة، وبالتالي اكتمال الثالوث المقدّس، والعلوّ على العالمين.

لذلك فإنك تجد من تفسيرات بولس لميراث وعد الأنبياء بالأرض المقدّسة، تقريره في بعض رسائله بأنّ ميعاد الله عز وجل لنسل إبراهيم وإسحاق –عليهما السلام–، لم يتحقق بعد (في زمانه)، ملمحاً إلى أنّ المقصود بهذا الميراث هو المسيح عليه السلام وأتباعه، إذ يقول: « بِالإِيمَانِ إِبْرَاهِيمُ لَمَّا دُعِيَ أَطَاعَ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْمَكَانِ **الَّذِي كَانَ عَتِيدًا أَنْ يَأْخُذَهُ مِيرَاثًا، فَخَرَجَ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ إِلَى أَيْنَ يَأْتِي . بِالإِيمَانِ تَغَرَّبَ فِي أَرْضِ الْمَوْعِدِ كَأَنَّهَا غَرِيبَةٌ، سَاكِنًا فِي خِيَامٍ** مَعَ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ الْوَارِثَيْنِ مَعَهُ لِهذَا الْمَوْعِدِ عَيْنِهِ. **لأَنَّهُ كَانَ يَنْتَظِرُ الْمَدِينَةَ الَّتِي لَهَا الأَسَاسَاتُ، الَّتِي صَانِعُهَا وَبَارِئُهَا اللهُ.** بِالإِيمَانِ سَارَةُ نَفْسُهَا أَيْضًا أَخَذَتْ قُدْرَةً عَلَى إِنْشَاءِ نَسْل، وَبَعْدَ وَقْتِ السِّنِّ وَلَدَتْ، إِذْ حَسِبَتِ الَّذِي وَعَدَ صَادِقًا. لِذلِكَ وُلِدَ أَيْضًا مِنْ وَاحِدٍ، وَذلِكَ مِنْ مُمَاتٍ، مِثْلُ نُجُومِ

---

1) أعمال الرسل 13 : 16 – 23 .

2) أعمال الرسل 13 : 30 – 32 .

السَّمَاءِ فِي الْكَثْرَةِ، وَكَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ الَّذِي لاَ يُعَدُّ. **فِي الإِيمَانِ مَاتَ هؤُلاَءِ أَجْمَعُونَ، وَهُمْ لَمْ يَنَالُوا الْمَوَاعِيدَ، بَلْ مِنْ بَعِيدٍ نَظَرُوهَا وَصَدَّقُوهَا وَحَيُّوهَا، وَأَقَرُّوا بِأَنَّهُمْ غُرَبَاءُ وَنُزَلاَءُ عَلَى الأَرْضِ»**[1].

يفهم الباحث من هذا النصّ بأن بولس يريد إثبات أنّ (الآباء) الأقدمين جاءوا إلى هذه الأرض بدون إرادة، إنما ساقهم الربّ إليها سوقاً، وهم غرباء وليست الأرض لهم وطناً، وقد ماتوا ولم يتحقق لهم وعد الله ﷻ بميراث الأرض المقدّسة، وخاصة المدينة المقدّسة، **إذ كان الوعد المقدّس المقصود هو للمسيح** عليه السلام، **وارث هذه الأرض، وصانع مدينتها وبارئها، كما يزعم.**

ومن تفسيرات بولس أيضاً لوعد الله ﷻ لإبراهيم عليه السلام **(بميراث العالَم)**، أنّ هذا الوعد ليس لأهل الناموس (أي اليهود)، بل لأهل الإيمان (ربما يقصد النصارى وأتباع المسيح عليه السلام)، لأن الوعد لإبراهيم كان قبل الناموس[2] إذ يقول في رسالة أخرى لأهل البلاد: « **فَإِنَّهُ لَيْسَ بِالنَّامُوسِ كَانَ الْوَعْدُ لإِبْرَاهِيمَ أَوْ لِنَسْلِهِ أَنْ يَكُونَ وَارِثًا لِلْعَالَمِ، بَلْ بِبِرِّ الإِيمَانِ ، لأَنَّهُ إِنْ كَانَ الَّذِينَ مِنَ النَّامُوسِ هُمْ وَرَثَةً، فَقَدْ تَعَطَّلَ الإِيمَانُ وَبَطَلَ الْوَعْدُ:** لأَنَّ النَّامُوسَ يُنْشِئُ غَضَبًا، إِذْ حَيْثُ لَيْسَ نَامُوسٌ لَيْسَ أَيْضًا تَعَدٍّ .لِهذَا هُوَ مِنَ الإِيمَانِ، كَيْ يَكُونَ عَلَى سَبِيلِ النِّعْمَةِ، **لِيَكُونَ الْوَعْدُ وَطِيدًا لِجَمِيعِ النَّسْلِ. لَيْسَ لِمَنْ هُوَ مِنَ النَّامُوسِ فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا لِمَنْ هُوَ مِنْ إِيمَانِ إِبْرَاهِيمَ، الَّذِي هُوَ أَبٌ لِجَمِيعِنَا»**[3].

وعندما أراد بولس أن يربط أتباع المسيح عليه السلام بالوعد المقدس الموهوب لنسل إسرائيل عليه السلام في العهد القديم، استحدث تأويلاً جديداً، إذ قال: « **لَيْسَ جَمِيعُ الَّذِينَ مِنْ إِسْرَائِيلَ هُمْ إِسْرَائِيلِيُّونَ**، وَلاَ لأَنَّهُمْ مِنْ نَسْلِ إِبْرَاهِيمَ هُمْ جَمِيعًا أَوْلاَدٌ. بَلْ "بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ" أَيْ لَيْسَ أَوْلاَدُ الْجَسَدِ هُمْ أَوْلاَدَ اللهِ، بَلْ أَوْلاَدُ الْمَوْعِدِ يُحْسَبُونَ نَسْلاً **...»**[4].

بل إنّ بولس كان أكثر وضوحاً إذ قرر أنّ المقصود حصراً في نسل إبراهيم عليه السلام هو المسيح عليه السلام، وبالطبع هذا المسيح هو الذي وهب بولس السلطان ليكون خليفته في الأرض وحامل لوائه،

---

1) رسالة بولس إلى العبرانيين 11 : 8 – 13 .

2) إذ ورد الوعد المزعوم في سفر التكوين، وهذا قبل موسى عليه السلام –صاحب الناموس– بمئات السنين، وقد ناقش الباحث ذلك في موضعه في الفصل الأول من هذا البحث.

3) رسالة بولس إلى أهل رومية 4 : 13 – 16 .

4) رسالة بولس إلى أهل رومية 9 : 6 – 8 .

فتجده –أي بولس– يقول: « **وَأَمَّا الْمَوَاعِيدُ فَقِيلَتْ فِي إِبْرَاهِيمَ وَفِي نَسْلِهِ.** لاَ يَقُولُ: "وَفِي الأَنْسَالِ" كَأَنَّهُ عَنْ كَثِيرِينَ، **بَلْ كَأَنَّهُ عَنْ وَاحِدٍ: "وَفِي نَسْلِكَ" الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ»**[1] .

وهذا – في تقدير الباحث– من أعجب ما ذكره بولس من تفسيرات للوعد والميراث؛ ذلك أنّ كلمة "نسل" لا يمكن أن يراد بها فردٌ واحدٌ[2]، وخاصةً في سياق الوعد المتكرّر في العهد القديم والذي كثيراً ما يرافقه عبارات مثل: « **وَأَجْعَلُ نَسْلَكَ كَتُرَابِ الأَرْضِ،** حَتَّى إِذَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يَعُدَّ تُرَابَ الأَرْضِ فَنَسْلُكَ أَيْضًا يُعَدُّ»[3]، فكيف يجوز لبولس أن يدّعي أنّ المقصود بـ "نسلك" هو المسيح عليه السلام، فهذا من أعظم الوهم والتخليط.

ويبدو أنّ بولس قد استنسخ فكرة أبناء الله، وشعب الله، من اليهود، وكرّرها واصفاً أتباع دينه الجديد بـ "**أبناء الله بالإيمان بالمسيح**" و"**لابسي المسيح**"!، واعداً إياهم بوراثة وعد الله للأنبياء، إذ يقول: « **لأَنَّكُمْ جَمِيعًا أَبْنَاءُ اللهِ بِالإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ.** لأَنَّ كُلَّكُمُ الَّذِينَ اعْتَمَدْتُمْ بِالْمَسِيحِ **قَدْ لَبِسْتُمُ الْمَسِيحَ:** لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلاَ يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلاَ حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لأَنَّكُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. **فَإِنْ كُنْتُمْ لِلْمَسِيحِ، فَأَنْتُمْ إِذًا نَسْلُ إِبْرَاهِيمَ، وَحَسَبَ الْمَوْعِدِ وَرَثَةٌ»**[4] .

يريد بولس من خلال هذا التفسير العجيب –حسب فهم الباحث– أن يخرج من إشكال عدم كون أتباع المسيح من نسله، حتى يرثوا موعود الله، فقرر أنّ كل من آمن بالمسيح رباً – بزعمه– فهو (ابن الله)، وعليه فهو من نسله، وبالتالي من نسل إبراهيم، إذاً فهو وارث للوعد!! .

وبما أنّ بولس قد فسّر الوعد المقدّس بأنّه للمسيح عليه السلام وأتباعه، فقد قدّم تبريره لهذا الأمر، إذ إن المسيح عليه السلام سُفك دمه –بزعمه– من أجل أن ينال المؤمنون به وعد الميراث الأبدي كما يقرر ذلك بولس في رسائله، وفيها يقول: « فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ للهِ بِلاَ

---

1) رسالة بولس إلى أهل أغلاطية 3 : 16 .

2) قال ابن منظور في لسان العرب: النسلُ الخلقُ، والنسل الولدُ والذرية، وقد نسلَ ينسلُ نسلاً وأنسلَ، وتناسلوا: أنسلَ بعضهم بعضاً، وتناسلَ بنو فلان: إذا كثر أولادهم، وتناسلوا: أي ولد بعضهم من بعض، ونسلت الناقة بولد كثير **[** لسان العرب، ابن منظور، (4413/6)– بتصرف يسير **]**.

3) تكوين 13 : 16 .

4) رسالة بولس إلى أهل أغلاطية 3 : 26 – 29 .

عَيْبٍ، يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَال مَيِّتَةٍ لِتَخْدِمُوا اللهَ الْحَيَّ! وَلأَجْلِ هذَا هُوَ وَسِيطُ عَهْدٍ جَدِيدٍ، **لِكَيْ يَكُونَ الْمَدْعُوُّونَ - إِذْ صَارَ مَوْتٌ لِفِدَاءِ التَّعَدِّيَاتِ الَّتِي فِي الْعَهْدِ الأَوَّلِ - يَنَالُونَ وَعْدَ الْمِيرَاثِ الأَبَدِيِّ**»[1].

ويلاحظ الباحث مما سبق من نصوص أنّ بولس – واضع النصرانية– يريد أن يقفز بالوعد المقدّس وبميراث الأنبياء من إبراهيم عليه السلام إلى المسيح عليه السلام بتفسيرات ملتوية، ليتجاوز موسى عليه السلام والناموس، وبالتالي ليقرر العقيدة الجديدة التي جاء بها بولس، مع أنّ تفسيره في ذلك الحين (خاصة في قوله عن إبراهيم عليه السلام: أبٌ لجميعنا) لا يقصر بالضرورة هذا الميراث على أتباع دينه؛ إذ بمبدأ الإيمان هذا قد ينتقل الميراث أو الوعد إلى خاتم الأنبياء محمد ﷺ وأتباعه، بل هم الأحرى به من جهة الإيمان الصحيح الذي هو على ملّة إبراهيم عليه السلام.

لكنّك تجد النصارى – حتى يومنا هذا– إذ يؤولون هذه النصوص، يستثنون منها إسماعيل عليه السلام، وفي ذلك مثلاً يقول القس أنطونيوس فكري[2] في شرح الكتاب المقدس: "يفتخر اليهود بكونهم نسلًا لإبراهيم، والرسول يردّ عليهم، أنّ ليس كل أولاد إبراهيم بالجسد هم أولاد وعد، **فإسماعيل مثلًا لا يُدعي نسلًا لإبراهيم على أساس الوعد، ولاحظْ أن الوعد كان بإسحاق، الذي هو رمز للمسيح،** فكلاهما من مستودع لا يمكن أن ينجب (يلد) بحسب الطبيعة، فالوعد إذًا خاص بمجيء المسيح، الذي هو ليس بحسب الطبيعة، لذلك فإن الإسرائيلي الحقيقي هو من آمن بالوعد أي آمن بالمسيح"[3] .

ويُردّ على هذا القس بأنّ استثناء إسماعيل عليه السلام فيه تناقض صريح مع الادّعاء بأن الاختيار والوعد بميراث الأرض والنبوة هو بحسب الإيمان وليس بحسب النسل، فلماذا يُستثنى إسماعيل دون

---

1) رسالة بولس إلى العبرانيين 9 : 14 – 15 .

2) أنطونيوس فكري: هو كاهن الكنيسة المسماة بـ (كنيسة السيدة مريم العذراء) بالفجالة، في القاهرة بمصر، وله كتب عديدة، منها: تفاسير العهد القديم، وتفاسير العهد الجديد، والأسرار السبعة، والرموز في الكتاب المقدّس، وغيرها، وله مناقشات وكتابات ومقالات كثيرة في قضايا الأناجيل والمسيحية **[انظر:** موقع كنيسة الأنبا تكلاهيمانوت القبطية الأرثوذكسية/ مصر، رابط: http://st-takla.org، بتاريخ: 2013/06/06م **]** .

3) موقع كنيسة الأنبا تكلاهيمانوت القبطية الأرثوذكسية/ مصر، رابط: http://st-takla.org، بتاريخ: 2013/06/06م.

إسحاق –عليهما السلام؟! ليس ذلك إلا لأنّ واضعي العهد الجديد والمؤمنين به، من أمثال القس، يسيرون في ركب الاعتقاد اليهودي بتخصيص نسلٍ دون نسلٍ في الاصطفاء والوعد المقدّس.

وقد ورد على لسان بولس في العهد الجديد بعض النصوص العنصرية – في نظر الباحث–، والتي لا تقل عن عنصرية اليهود في تفضيلهم لأبناء جنسهم، بل هي امتداد لها، ومنها تشبيهه فرع إسماعيل عليه السلام في البشر بالعبودية، وفرع إسحاق عليه السلام – وصولاً إلى المسيح عليه السلام –بالحرية!، إذ يقول: « فَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ أَنَّهُ كَانَ لإِبْرَاهِيمَ ابْنَانِ، **وَاحِدٌ مِنَ الْجَارِيَةِ وَالآخَرُ مِنَ الْحُرَّةِ .لكِنَّ الَّذِي مِنَ الْجَارِيَةِ وُلِدَ حَسَبَ الْجَسَدِ، وَأَمَّا الَّذِي مِنَ الْحُرَّةِ فَبِالْمَوْعِدِ** .وَكُلُّ ذلِكَ رَمْزٌ، لأَنَّ هَاتَيْنِ هُمَا الْعَهْدَانِ، أَحَدُهُمَا مِنْ جَبَلِ سِينَاءَ، **الْوَالِدُ لِلْعُبُودِيَّةِ**، **الَّذِي هُوَ هَاجَرُ .لأَنَّ هَاجَرَ جَبَلُ سِينَاءَ فِي الْعَرَبِيَّةِ. وَلكِنَّهُ يُقَابِلُ أُورُشَلِيمَ الْحَاضِرَةَ، فَإِنَّهَا مُسْتَعْبَدَةٌ مَعَ بَنِيهَا. وَأَمَّا أُورُشَلِيمُ الْعُلْيَا، الَّتِي هِيَ أُمُّنَا جَمِيعًا، فَهِيَ حُرَّةٌ** .لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: افْرَحِي أَيَّتُهَا الْعَاقِرُ الَّتِي لَمْ تَلِدْ. اِهْتِفِي وَاصْرُخِي أَيَّتُهَا الَّتِي لَمْ تَتَمَخَّضْ، فَإِنَّ أَوْلاَدَ الْمُوحِشَةِ أَكْثَرُ مِنَ الَّتِي لَهَا زَوْجٌ وَأَمَّا نَحْنُ أَيُّهَا الإِخْوَةُ فَنَظِيرُ إِسْحَاقَ، أَوْلاَدُ الْمَوْعِدِ .وَلكِنْ كَمَا كَانَ حِينَئِذٍ الَّذِي وُلِدَ حَسَبَ الْجَسَدِ يَضْطَهِدُ الَّذِي حَسَبَ الرُّوحِ، هكَذَا الآنَ أَيْضًا .لكِنْ مَاذَا يَقُولُ الْكِتَابُ؟ اطْرُدِ الْجَارِيَةَ وَابْنَهَا، لأَنَّهُ لاَ يَرِثُ ابْنُ الْجَارِيَةِ مَعَ ابْنِ الْحُرَّةِ. **إِذًا أَيُّهَا الإِخْوَةُ لَسْنَا أَوْلاَدَ جَارِيَةٍ بَلْ أَوْلاَدُ الْحُرَّةِ**»(1) .

يؤكّد القس أنطونيوس فكري التفسير العنصري الذي يحتوي عليه هذا النص بقوله: " يلجأ الرسول لتشبيه جديد، ويستخدم صورة زوجتَي إبراهيم، سارة الحرة، وهاجر العبدة، سارة الحرة تنجب ابنًا بحسب وعد الله وضد الطبيعة، ابناً يعطيه الله حياة من موت، وهاجر الجارية تنجب ابنًا بطريقة طبيعية مثل كل الناس، والرسول يقارن بين عهد النعمة والحرية بيسوع المسيح، وبين عهد الناموس الذي أخذوه في سيناء، **وشبه بولس عهد سيناء بهاجر عبدة سارة التي ولدت إسماعيل، وهذا العهد هو عهد العبودية، ويقارن مع إسحق ابن الموعد الذي هو ليس ابنًا بحسب الطبيعة ... هكذا عبر شعب الله من عهد العبودية في سيناء، وهو عهد الختانة والناموس إلى عهد الحرية بالمسيح النسل الموعود**"(2).

---

1) رسالة بولس إلى أهل أغلاطية 4 : 22 – 31 .

2) موقع كنيسة الأنبا تكلاهيمانوت القبطية الأرثوذكسية/ مصر، رابط: http://st-takla.org، بتاريخ: 2013/06/07م.

الأرض المقدّسة في العهد الجديد:

أولاً: موضع ميلاد المسيح عليه السلام :

وُلد المسيح عليه السلام في بيت لحم، التي يسمّيها الإنجيل (بيت لحم اليهودية)، « وَلَمَّا **وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ**، فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ، إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ»[1] .

وقد ذكر كتبة الإنجيل أنّ نبوءة ميلاد المسيح عليه السلام في بيت لحم قد وردت في العهد القديم، « قَالُوا لَهُ: فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ، **لأَنَّهُ هكَذَا مَكْتُوبٌ بِالنَّبِيِّ: وَأَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمٍ**، أَرْضَ يَهُوذَا لَسْتِ الصُّغْرَى بَيْنَ رُؤَسَاءِ يَهُوذَا، **لأَنْ مِنْكِ يَخْرُجُ مُدَبِّرٌ يَرْعَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ**»[2] .

لكنّك عند مراجعة العهد القديم تجد نصاً مختلفاً لفظاً ومعنىً عن هذه البشارة الواردة في متّى، إذ نصُ ما جاء في العهد القديم: « أَمَّا أَنْتِ **يَا بَيْتَ لَحْمِ أَفْرَاتَةَ، وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ** أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفِ يَهُوذَا، **فَمِنْكِ يَخْرُجُ لِي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطًا عَلَى إِسْرَائِيلَ**، وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ الْقَدِيمِ، مُنْذُ أَيَّامِ الأَزَلِ»[3] .

وليس المقصود الخوض هنا في هذا النصّ، فإشكالات النصوص في الكتاب المقدّس لا تنتهي، إنما المقصود ذكرُ مكانة بيت لحم لدى النصارى في العهد الجديد، وسببها.

ويحكي الإنجيل أنّ ملاك الربّ قد ظهر لمجموعة من الرعاة البسطاء في نواحي بيت لحم، وأخبرهم بمولد المسيح عليه السلام وبشّرهم بكونه (مخلّص شعب إسرائيل) وأنه (المسيح الربّ)، وأنّه يولد في (مدينة داود)، إذ جاء في لوقا: « وَكَانَ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ **رُعَاةٌ مُتَبَدِّينَ يَحْرُسُونَ حِرَاسَاتِ اللَّيْلِ** عَلَى رَعِيَّتِهِمْ، وَإِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ وَقَفَ بِهِمْ، وَمَجْدُ الرَّبِّ أَضَاءَ حَوْلَهُمْ، فَخَافُوا خَوْفًا عَظِيمًا، فَقَالَ لَهُمُ الْمَلاَكُ: لاَ تَخَافُوا! فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: **أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ**»[4] .

---

1) متّى 2 : 1 .
2) متّى 2 : 5 – 6 .
3) ميخا 5 : 2 .
4) لوقا 2 : 8 – 11 .

يلاحظ الباحث أنّ هذا النص سمّى مدينة بيت لحم بمدينة داود، على الرغم من أنّ مدينة داود بمفهوم الكتاب المقدّس هي مدينة القدس أو(حصن صهيون) كما جاء ذلك بكثرةٍ في العهد القديم[1]، كما أنّ المسيح عليه السلام نفسه سمّى مدينة القدس بمدينة الملك العظيم، كما مرّ آنفاً.

وحاصل الأمر أنّ المسيح عليه السلام ولد في بيت لحم من أرض فلسطين، وقد تطرق الباحث في الفصل التمهيدي إلى الأوضاع السياسية التي سادت في فلسطين في ذلك الزمان.

ويشير العهد الجديد إلى يسوع باسم (يسوع الناصري) في الكثير من المواضع، فتجد كاتب إنجيل مرقص، مثلاً، يورد قصةَ رجلٍ أعمى يستغيث بيسوع، جاء فيها: « فَلَمَّا سَمِعَ أَنَّهُ **يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ،** ابْتَدَأَ يَصْرُخُ وَيَقُولُ: يَا يَسُوعُ ابْنَ دَاوُدَ، ارْحَمْنِي! »[2] .

حتى إنّ الشيطان سماه بذات الاسم! وصرخ إذ رآه قائلاً: « آهِ! مَا لَنَا **وَلَكَ يَا يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ؟** أَتَيْتَ لِتُهْلِكَنَا! أَنَا أَعْرِفُكَ مَنْ أَنْتَ: قُدُّوسُ اللهِ!»[3] .

وسمّي المسيح عليه السلام – بحسب النصارى– ناصرياً، وأتباعه بالناصريين، نسبةً إلى مدينة الناصرة في فلسطين، والتي لم تذكر في العهد القديم أبداً، إنما جاء ذكرها في الإنجيل، وكانت محتقرة بين اليهود، ونُسب المسيح إليها[4] .

لكنّ بعض محققي النصارى ذكروا أنّ النسخة الأصلية اليونانية للعهد الجديد تشير إلى "المسيح الناصريّ"، وقد أسيء ترجمتها لتكون "المسيح من الناصرة"، وهم يؤكّدون أنّ كلمة "الناصري" هي كلمة طائفية محضة، ولا علاقة لها بمدينة الناصرة، أي أنّ هذه التسمية ليست إلا

---

1) **انظر مثلاً:** صموئيل الثاني 5 : 7، الملوك الأول 2 : 10، أخبار الأيام الأول 11 : 5 ، أخبار الأيام الثاني 5 : 2 ، اشعياء 37 : 35 .
2) مرقص 10 : 47 .
3) مرقص 1 : 24 .
4) **انظر:** قاموس الكتاب المقدس، جورج بوست، (406/2) .

وليدة ظروف سياسية معيّنة، كان اللاعبان الأساسيان فيها هما: اليهود من جهة، والرومان من جهة أخرى[1] .

ثانياً: القدس (أورشليم) في العهد الجديد:

إنّ مدينة القدس، التي يسمّيها العهد الجديد (أورشليم)، أو المدينة المقدّسة، وردت في مواطن كثيرة من العهد الجديد، وكانت محطّ عناية مؤلفي هذه الأسفار بحسب ما اتّضح للباحث.

وقد سمّى كتبة العهد الجديد مدينة أورشليم بعدّة أسماء – سوى أورشليم– وهي:

1) مدينة الله السماوية:

إذ ورد على لسان بولس في رسائله قوله: « بَلْ قَدْ أَتَيْتُمْ **إِلَى جَبَلِ صِهْيَوْنَ، وَإِلَى مَدِينَةِ اللهِ الْحَيِّ. أُورُشَلِيمَ السَّمَاوِيَّةِ**، وَإِلَى رَبَوَاتٍ هُمْ مَحْفِلُ مَلاَئِكَةٍ»[2] .

ويقول بولس في رسالته ذاتها: « لأَنَّهُ كَانَ يَنْتَظِرُ الْمَدِينَةَ الَّتِي لَهَا الأَسَاسَاتُ، **الَّتِي صَانِعُهَا وَبَارِئُهَا اللهُ**»[3] .

2) المدينة المقدّسة:

سمّى العهد الجديد مدينة القدس بالمدينة المقدّسة في مواضع عديدة، إذ جاء في متّى مثلاً: « وَخَرَجُوا مِنَ الْقُبُورِ بَعْدَ قِيَامَتِهِ، وَدَخَلُوا **الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ**، وَظَهَرُوا لِكَثِيرِينَ »[4] .

وجاء في رؤيا يوحنا وصف (أورشليم) بالمدينة المقدّسة النازلة من السماء، المهيّأة من الربّ كالعروس!، « وَأَنَا يُوحَنَّا **رَأَيْتُ الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ أُورُشَلِيمَ الْجَدِيدَةَ نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللهِ** مُهَيَّأَةً كَعَرُوسٍ مُزَيَّنَةٍ لِرَجُلِهَا »[5] .

---

1) انظر: الدم المقدّس والكأس المقدّسة، ميشيل بيجنت وَ هنري لنكولن وَ ريتشارد لي، ترجمة: محمد الواكد، دار الأوائل/ دمشق، ط2، 2008م، (ص 459) .

2) رسالة بولس إلى العبرانيين 12 : 22 .

3) رسالة بولس إلى العبرانيين 11 : 10 .

4) متّى 27 : 53 .

5) رؤيا يوحنا اللاهوتي 21 : 2 .

3) مدينة الملك العظيم:

إذ جاء على لسان المسيح ﷺ –بحسب كاتب إنجيل متّى– تسميته لمدينة القدس بمدينة الملك العظيم، طلباً من أتباعه أن يمتنعوا عن القسم بالمدينة المقدّسة، مخالفةً لليهود، فيقول: « وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تَحْلِفُوا الْبَتَّةَ، لاَ بِالسَّمَاءِ لأَنَّهَا كُرْسِيُّ اللهِ، وَلاَ بِالأَرْضِ لأَنَّهَا مَوْطِئُ قَدَمَيْهِ، **وَلاَ بِأُورُشَلِيمَ لأَنَّهَا مَدِينَةُ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ**»[1] .

4) المدينة العظيمة:

وفي رؤيا يوحنا جاء أيضاً وصف (أورشليم) بالمدينة العظيمة، إذ قال: « وَذَهَبَ بِي بِالرُّوحِ إِلَى جَبَل عَظِيمٍ عَال، **وَأَرَانِي الْمَدِينَةَ الْعَظِيمَةَ أُورُشَلِيمَ الْمُقَدَّسَةَ** نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللهِ »[2].

وتحكي مصادر النصرانية أنّ فلسطين كانت محل دعوة المسيح ﷺ، وفي القلب منها مدينة القدس أو (أورشليم)، ويورد العهد الجديد من المواقف والقصص والتعاليم ما يعطي الأرض المقدّسة مكانة خاصة وغير عادية تصل أحياناً إلى حد الخرافة، فيما اتضّح للباحث.

وكان أول عهد (يسوع) مع (أورشليم) فيما ذكره مؤلفو الأناجيل أنّه (تقدّس للربّ) في الهيكل (بأورشليم) بعد ميلاده، عملاً بالناموس، « وَلَمَّا تَمَّتْ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا، حَسَبَ شَرِيعَةِ مُوسَى، **صَعِدُوا بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيُقَدِّمُوهُ لِلرَّبِّ**، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ: أَنَّ كُلَّ ذَكَرٍ فَاتِحَ رَحِمٍ يُدْعَى **قُدُّوسًا لِلرَّبِّ**»[3] .

ويذكر ذات الإنجيل أن (أبويه) كانا يذهبان به في صباه كل سنة إلى (أورشليم) «وَكَانَ أَبَوَاهُ **يَذْهَبَانِ كُلَّ سَنَةٍ إِلَى أُورُشَلِيمَ** فِي عِيدِ الْفِصْحِ»[4] .

وكان من شأن (يسوع) مع (أورشليم) أنّه لما ابتدأ دعوته أخذه إبليس في جولة اختبار إلى المدينة المقدّسة!، وأدخله إليها، وأصعده على (جناح الهيكل) آمراً إياه بإلقاء نفسه ليحميه الربّ إن كان ابن الله!، جاء في متّى: « ثُمَّ **أَخَذَهُ إِبْلِيسُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَأَوْقَفَهُ عَلَى جَنَاحِ الْهَيْكَلِ**،

---

1) متّى 27 : 53 .

2) رؤيا يوحنا اللاهوتي 21 : 10 .

3) لوقا 2 : 22 – 23 .

4) لوقا 2 : 41 .

وَقَالَ لَهُ: إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَاطْرَحْ نَفْسَكَ إِلَى أَسْفَلُ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ، فَعَلَى أَيَادِيهِمْ يَحْمِلُونَكَ لِكَيْ لاَ تَصْدِمَ بِحَجَرٍ رِجْلَكَ. قَالَ لَهُ يَسُوعُ: مَكْتُوبٌ أَيْضًا: لاَ تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلهَكَ»[1] .

وفي خضمّ دعوة (يسوع) وتعليمه لتلاميذه، تراه يذكّرهم بأن نهايته ستكون في (أورشليم) حصراً، وأنها موعد صلبه وقيامته، وأنّه لا بد وأن يدخلها من أجل أن يتألّم ويُقتل ويقوم في اليوم الثالث –بزعمهم- « مِنْ ذلِكَ الْوَقْتِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يُظْهِرُ لِتَلاَمِيذِهِ أَنَّهُ **يَنْبَغِي أَنْ يَذْهَبَ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَيَتَأَلَّمَ كَثِيرًا** مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، **وَيُقْتَلَ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومَ**»[2] .

وأثناء صعوده إلى (أورشليم)، يبلّغ تلاميذه الاثني عشر سراً في الطريق بأنّه سيحاكم ويقتل في هذه البلدة! « **وَفِيمَا كَانَ يَسُوعُ صَاعِدًا إِلَى أُورُشَلِيمَ** أَخَذَ الاثْنَيْ عَشَرَ تِلْمِيذًا عَلَى انْفِرَادٍ فِي الطَّرِيقِ وَقَالَ لَهُمْ: **هَا نَحْنُ صَاعِدُونَ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، فَيَحْكُمُونَ عَلَيْهِ بِالْمَوْتِ**»[3] .

فـ(أورشليم) إذاً مرتبطة حسب العهد الجديد ارتباطاً وثيقاً بميعاد الله لارتفاع (يسوع)، وبقيامته، « **وَحِينَ تَمَّتِ الأَيَّامُ لارْتِفَاعِهِ ثَبَّتَ وَجْهَهُ لِيَنْطَلِقَ إِلَى أُورُشَلِيمَ**»[4] .

وقبل انطلاقه حدثت له حادثة عجيبة – بزعم كاتب الإنجيل–، **فقد ظهر له في الجبل كلٌ من موسى عليه السلام وإيليا النبي، وكلّماه عن موعد خروجه الحتمي والقريب إلى (أورشليم)!** فيما نصّه: « وَبَعْدَ هذَا الْكَلاَمِ بِنَحْوِ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ، أَخَذَ بُطْرُسَ وَيُوحَنَّا وَيَعْقُوبَ وَصَعِدَ إِلَى جَبَلٍ لِيُصَلِّيَ .وَفِيمَا هُوَ يُصَلِّي صَارَتْ هَيْئَةُ وَجْهِهِ مُتَغَيِّرَةً، وَلِبَاسُهُ مُبْيَضًّا لاَمِعًا. **وَإِذَا رَجُلاَنِ يَتَكَلَّمَانِ مَعَهُ، وَهُمَا مُوسَى وَإِيلِيَّا، اَللَّذَانِ ظَهَرَا بِمَجْدٍ، وَتَكَلَّمَا عَنْ خُرُوجِهِ الَّذِي كَانَ عَتِيدًا أَنْ يُكَمِّلَهُ فِي أُورُشَلِيمَ**»[5] .

والعجيب أنّ المزعوم أنّه (ابن الله الحبيب) يرسل له الله عز وجل اثنين من أنبيائه الذين قضوا قبله بعهود بعيدة، وذلك ليكلّموه عن موعد موته وقيامته، وأن يكون محور حديثهم عن (أورشليم)!

---

1) متّى 4 : 5 – 7 .
2) متّى 16 : 21 ، **انظر أيضاً:** مرقص 10 : 32 – 33 .
3) متّى 20 : 17 – 18 .
4) لوقا 9 : 51 .
5) لوقا 9 : 28 – 31 .

ولما أشرف المسيح ﷺ على (أورشليم) أخذ يبكي عليها –بزعم الإنجيل–، وتنبأ بخرابها ودمارها فوق رؤوس ساكنيها! وتوعّدها بأيام سخط وانتقام لا يبقي ولا يذر، بل تبقى مدوسةً من كافة الأمم إلى نهاية الزمان! « وَفِيمَا هُوَ يَقْتَرِبُ نَظَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ **وَبَكَى عَلَيْهَا** قَائِلاً: إِنَّكِ لَوْ عَلِمْتِ أَنْتِ أَيْضًا، حَتَّى فِي يَوْمِكِ هذَا، مَا هُوَ لِسَلاَمِكِ! وَلكِنِ الآنَ قَدْ أُخْفِيَ عَنْ عَيْنَيْكِ .**فَإِنَّهُ سَتَأْتِي أَيَّامٌ وَيُحِيطُ بِكِ أَعْدَاؤُكِ بِمِتْرَسَةٍ، وَيُحْدِقُونَ بِكِ وَيُحَاصِرُونَكِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ، وَيَهْدِمُونَكِ وَبَنِيكِ فِيكِ، وَلاَ يَتْرُكُونَ فِيكِ حَجَرًا عَلَى حَجَرٍ**»[1].

ويزيد على ذلك في ذات السفر قوله: « **وَمَتَى رَأَيْتُمْ أُورُشَلِيمَ مُحَاطَةً بِجُيُوشٍ، فَحِينَئِذٍ اعْلَمُوا أَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ خَرَابُهَا.** حِينَئِذٍ لِيَهْرُبِ الَّذِينَ فِي الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْجِبَالِ، وَالَّذِينَ فِي وَسْطِهَا فَلْيَفِرُّوا خَارِجًا، وَالَّذِينَ فِي الْكُوَرِ فَلاَ يَدْخُلُوهَا، **لأَنَّ هذِهِ أَيَّامُ انْتِقَامٍ**، لِيَتِمَّ كُلُّ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ. **وَوَيْلٌ لِلْحَبَالَى وَالْمُرْضِعَاتِ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ!** لأَنَّهُ يَكُونُ ضِيقٌ عَظِيمٌ عَلَى الأَرْضِ وَسُخْطٌ عَلَى هذَا الشَّعْبِ. وَيَقَعُونَ بِفَمِ السَّيْفِ، وَيُسْبَوْنَ إِلَى جَمِيعِ الأُمَمِ، وَتَكُونُ **أُورُشَلِيمُ مَدُوسَةً مِنَ الأُمَمِ، حَتَّى تُكَمَّلَ أَزْمِنَةُ الأُمَمِ**»[2].

وتحكي الأناجيل قصة دخول المسيح ﷺ إلى (أورشليم) وارتجاج المدينة وترحيبها به، ومجادلته للكهنة والشيوخ[3]، واقتحامه للهيكل علانيةً، وهدمه لما فيه من مظاهر دنيونية، ووصفه إياه بأنّه صار (مغارة لصوص)، « **وَدَخَلَ يَسُوعُ إِلَى هَيْكَلِ اللهِ** وَأَخْرَجَ جَمِيعَ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ فِي الْهَيْكَلِ، وَقَلَبَ مَوَائِدَ الصَّيَارِفَةِ وَكَرَاسِيَّ بَاعَةِ الْحَمَامِ وَقَالَ لَهُمْ: مَكْتُوبٌ: بَيْتِي بَيْتَ الصَّلاَةِ يُدْعَى. وَأَنْتُمْ جَعَلْتُمُوهُ مَغَارَةَ لُصُوصٍ!»[4] .

ثم كان آخر عهد للمسيح ﷺ (بأورشليم) أن هجاها هجاءً لاذعاً، وتوعّدها بالويل والخراب والدمار، بزعم كاتب الإنجيل « **يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا**، كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا! **هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَابًا**»[5] .

---

1) لوقا 19: 41 – 44 .

2) لوقا 19: 41 – 44 .

3) انظر: الإصحاح 21 من إنجيل متّى.

4) متّى 21 : 12 – 13 .

5) متّى 23 : 37 – 38، **أيضاً**: لوقا 13 : 34 – 35 .

بل كان من عجائب ما قاله المسيح ﷺ في شأن (أورشليم) – بزعمهم– أنّها قاتلة، ولا يهلك نبيٌ خارجها مطلقاً! : « ... **لأَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَهْلِكَ نَبِيٌّ خَارِجًا عَنْ أُورُشَلِيمَ!** »[1] .

وهذا النصّ في غاية الغرابة – في تقدير الباحث–؛ إذ هل يُعقل أن جميع أنبياء الله ﷻ قد ماتوا أو هلكوا في (أورشليم)؟!.

ويستغرب الباحث من كثرة ما ورد في الأناجيل من ألفاظ عنيفة وصادمة وضعها الكتبة على لسان المسيح ﷺ، من أمثال هذه النصوص الأخيرة، التي يدعو فيها نبي الله –بزعمهم– على قومه بالويل والثبور، ويبشّر بالدمار والهلاك والحرق، ويتنبأ بفظائع ومشاهد مؤلمة، وكأنّ الكاتب يريد أن ينتقم من قومٍ بعينهم أو من مدينة لذاتها!

و(أورشليم) التي تحدّث عنها كتبة الأناجيل شهدت حدثاً هائلاً لم يسبق أن وقع في التاريخ! إذ عند صلب المسيح ﷺ –بزعمهم– وصرخته العظيمة المشهورة، حدث أن تبعثرت القبور وخرج الكثير من (القديسين) من قبورهم، وتجوّلوا في شوارع (أورشليم)، وشاهدهم الكثير من الناس! « فَصَرَخَ يَسُوعُ أَيْضًا بِصَوْتٍ عَظِيمٍ، وَأَسْلَمَ الرُّوحَ، وَإِذَا حِجَابُ الْهَيْكَلِ قَدِ انْشَقَّ إِلَى اثْنَيْنِ، مِنْ فَوْقُ إِلَى أَسْفَلُ. وَالأَرْضُ تَزَلْزَلَتْ، وَالصُّخُورُ تَشَقَّقَتْ، وَالْقُبُورُ تَفَتَّحَتْ، **وَقَامَ كَثِيرٌ مِنْ أَجْسَادِ الْقِدِّيسِينَ الرَّاقِدِينَ**، وَخَرَجُوا مِنَ الْقُبُورِ بَعْدَ قِيَامَتِهِ، **وَدَخَلُوا الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ، وَظَهَرُوا لِكَثِيرِينَ**»[2] .

من هم هؤلاء القديسون؟ وأين ظهروا في أورشليم؟ ولماذا لم يسجّل التاريخ هذه الحادثة، ولا عرف أسماء وأحوال هؤلاء القديسين الذين قامت قيامتهم؟! إلا إذا كانت أورشليم التي يتحدث عنها كاتب النص هي مدينة أخرى على كوكب آخر.

ما سبق كان في حياة المسيح ﷺ، أما بعد صلبه المُدّعى، وقيامته المزعومة، فإنه – بحسب الإنجيل– حرص على الاجتماع بتلاميذه ومريديه، منوهاً إليهم بوعد الله لهم، داعياً إياهم إلى الإقامة في (أورشليم)، فهي باكورة انطلاقتهم، « وَقَالَ لَهُمْ: هكَذَا هُوَ مَكْتُوبٌ، وَهكَذَا كَانَ يَنْبَغِي أَنَّ الْمَسِيحَ يَتَأَلَّمُ وَيَقُومُ مِنَ الأَمْوَاتِ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ، وَأَنْ يُكْرَزَ بِاسْمِهِ بِالتَّوْبَةِ وَمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا لِجَمِيعِ الأُمَمِ، **مُبْتَدَأً مِنْ**

---

1) لوقا 13 : 33 .

2) متّى 27 : 50 – 53 .

أُورُشَلِيمَ وَأَنْتُمْ شُهُودٌ لِذلِكَ. وَهَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ مَوْعِدَ أَبِي. فَأَقِيمُوا فِي مَدِينَةِ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَنْ تُلْبَسُوا قُوَّةً مِنَ الأَعَالِي»[1] .

وهذا النصّ –في فهم الباحث– يضع فيه كاتب الإنجيل أساساً لانطلاق النصرانية من الأرض التي صُلب فيها المسيح عليه السلام وقام من قبره –بزعمهم، فهو يعطي لهذه الأرض قدسية مطلقة، إذ فيها ظهر الإله المزعوم على الأرض معتبراً إياها منطلقاً صريحاً ووحيداً للبشارة به، على أن يظلّ أتباعه منتظرين «**قُوَّةً مِنَ الأَعَالِي**» ستنزل على أرض (أورشليم)، وفي هذا إشارة أيضاً إلى ما سبق من دعوى انتقال الوعد المقدّس إلى أتباع (يسوع المخلّص).

وقد ورد على لسان مؤلف "أعمال الرسل" ما يؤكد ذلك، إذ في هذا اللقاء الروحاني العجيب –أي بعد القيامة– **أمَر يسوعُ أتباعه أن (لا يبرحوا أورشليم)!** « وَهُوَ يَظْهَرُ لَهُمْ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَيَتَكَلَّمُ عَنِ الأُمُورِ الْمُخْتَصَّةِ بِمَلَكُوتِ اللهِ، **وَفِيمَا هُوَ مُجْتَمِعٌ مَعَهُمْ أَوْصَاهُمْ أَنْ لاَ يَبْرَحُوا مِنْ أُورُشَلِيمَ، بَلْ يَنْتَظِرُوا مَوْعِدَ الآبِ الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ مِنِّي**»[2] .

كما بشّرهم المسيح عليه السلام **بأنهم سيكونون شهوداً له في (أورشليم) ومنها إلى أقصى الأرض**، وذلك بقوة الروح القدس الذي وهبهم إياها، « لكِنَّكُمْ سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ، **وَتَكُونُونَ لِي شُهُودًا فِي أُورُشَلِيمَ وَفِي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الأَرْضِ**»[3] .

يلاحظ الباحث أنّ سيرة المسيح عليه السلام في القدس قد كرّسها مؤلفو الأناجيل في معظمها لقضية (نهاية يسوع) وبدء الدعوة الجديدة (نصرانية ما بعد المسيح)، وكأنّ المراد من القدس أن تكون – حسم زعم العهد الجديد – منطلقاً للدعوة الجديدة المرتكزة على قصة صلب المسيح وفدائه وقيامته والوعد بعودته الثانية.

لذلك نجد أنّ مؤلف أعمال الرسل يذكر أنّ التلاميذ بدؤوا بعد المسيح عليه السلام (تبشيرهم) من (أورشليم)، كيف لا وهي الآن جزءٌ أساس من وصية يسوع الأخيرة في ظهوره على الأرض بعد

---

1) لوقا 24 : 26 – 49 .
2) أعمال الرسل 1 : 3 – 4 .
3) أعمال الرسل 1 : 8 .

قيامته؟! « ... فَوَقَفَ بُطْرُسُ مَعَ الأَحَدَ عَشَرَ وَرَفَعَ صَوْتَهُ وَقَالَ لَهُمْ: أَيُّهَا الرِّجَالُ الْيَهُودُ **وَالسَّاكِنُونَ فِي أُورُشَلِيمَ أَجْمَعُونَ**، لِيَكُنْ هذَا مَعْلُومًا عِنْدَكُمْ وَأَصْغُوا إِلَى كَلاَمِي ... »[1] .

حتى إنّ المرضى من كل البلاد أصبحوا ينقلون إلى (أورشليم) حيث التلاميذ، الذين يشفون مرضاهم من كل داء (سبق وأن أعطوا السلطان على ذلك من يسوع)، وتكاثر عدد التلاميذ في المدينة المقدّسة .. « **وَاجْتَمَعَ جُمْهُورُ الْمُدُنِ الْمُحِيطَةِ إِلَى أُورُشَلِيمَ** حَامِلِينَ مَرْضَى وَمُعَذَّبِينَ مِنْ أَرْوَاحٍ نَجِسَةٍ، وَكَانُوا يُبْرَأُونَ جَمِيعُهُمْ»[2] ، « وَكَانَتْ كَلِمَةُ اللهِ تَنْمُو، **وَعَدَدُ التَّلاَمِيذِ يَتَكَاثَرُ جِدًّا فِي أُورُشَلِيمَ**، وَجُمْهُورٌ كَثِيرٌ مِنَ الْكَهَنَةِ يُطِيعُونَ الإِيمَانَ »[3] .

وكان من أهم من بدأ دعوته من المدينة المقدّسة، بولس، المؤسس الجديد، والتلميذ المفاجئ الذي ظهر له الربّ وأوصاه بقيادة الركب –بزعمهم– « وَلَمَّا **جَاءَ شَاوُلُ إِلَى أُورُشَلِيمَ** حَاوَلَ أَنْ يَلْتَصِقَ بِالتَّلاَمِيذِ، وَكَانَ الْجَمِيعُ يَخَافُونَهُ غَيْرَ مُصَدِّقِينَ أَنَّهُ تِلْمِيذٌ. فَأَخَذَهُ بَرْنَابَا وَأَحْضَرَهُ إِلَى الرُّسُلِ، وَحَدَّثَهُمْ كَيْفَ أَبْصَرَ الرَّبَّ فِي الطَّرِيقِ وَأَنَّهُ كَلَّمَهُ، وَكَيْفَ جَاهَرَ فِي دِمَشْقَ بِاسْمِ يَسُوعَ. **فَكَانَ مَعَهُمْ يَدْخُلُ وَيَخْرُجُ فِي أُورُشَلِيمَ وَيُجَاهِرُ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ** »[4] .

وما لبث أن صار بولس زعيم النصرانية، واعتبر أن غاية عمله هي (خدمة أورشليم)، إذ يقول في إحدى رسائله: « فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَبِمَحَبَّةِ الرُّوحِ، أَنْ تُجَاهِدُوا مَعِي فِي الصَّلَوَاتِ مِنْ أَجْلِي إِلَى اللهِ، لِكَيْ أُنْقَذَ مِنَ الَّذِينَ هُمْ غَيْرُ مُؤْمِنِينَ فِي الْيَهُودِيَّةِ، **وَلِكَيْ تَكُونَ خِدْمَتِي لأَجْلِ أُورُشَلِيمَ مَقْبُولَةً عِنْدَ الْقِدِّيسِينَ**»[5] .

مقدّسات النصارى في فلسطين:

واستناداً إلى هذه القدسية والمكانة المزعومة لدى المسيح ﷺ وأتباعه في نصوص العهد الجديد لمدينة القدس وبيت لحم، فإنّ النصارى اتّخذوا لأنفسهم مقدّساتٍ في هذه البلاد، وربطوها

---

1) أعمال الرسل 2 : 14 .

2) أعمال الرسل 5 : 16 .

3) أعمال الرسل 6 : 7 .

4) أعمال الرسل 9 : 26 – 28 .

5) رسالة بولس إلى أهل رومية 15 : 30 – 31 .

بالأحداث التاريخية المروية في هذه الكتب، وكذلك بالعقائد النصرانية الموروثة عن مؤلفي هذه الكتب، **ومن أهمّ هذه المقدّسات النصرانية كنيسة القيامة،** " وتقع في مدينة القدس، ويُنسب بناؤها إلى هيلانة[1] والدة الإمبراطور الروماني قسطنطين الذي اعتنق النصرانية، إذ زعمت النصارى إنّه بعد ست سنين خلت من ملك قسطنطين ظهر له من السماء شبه الصليب فأمر بالنصرانية، وسارت أمه هيلانة إلى القدس في طلب (خشبه المسيح) التي تزعم النصارى أنّ عيسى عليه السلام صلب عليها، ولما وصلت إلى القدس أخرجت خشبه الصليب، وأقامت لذلك عيد الصليب، وبنت (كنيسة قمامة) على القبر الذي تزعم النصارى أنّ عيسى عليه السلام دفن فيه، وبنت المكان المقابل للقمامة المعروف يومئذ بـ «الدركارة»، **وكنيسة بيت لحم**[2]، **والكنيسة بطور زيتا**[3]، بمصعد سيدنا عيسى عليه السلام، **وكنيسة الجيسمانية**[4]، التي بها قبر مريم عليها السلام، وغير ذلك، وخرّبت هيكل بيت

1) **هيلانة** = **هلينا:** والدة الإمبراطور قسطنطين، أوّل من تنصّر من ملوك الرومان وثبت على دينه، حملت به هيلانة من والده "قنسطنطيوس"، فلما أصبح "قنسطنطيوس" قيصراً طلب إليه "دقلديانوس" أن يتنحى عن "هلينا" ويتزوج بثيودورا ربيبة "مكسميان"، فطلقها، واعتنقت النصرانية بعدما تقلّد ولدها الحكم في الإمبراطورية، وأثّرت فيما بعد على ابنها الإمبراطور لاعتناق الدين الجديد **[انظر:** قصة الحضارة، وول ديورانت، (382/11 – 383) **]**.

2) **كنيسة بيت لحم** = **كنيسة المهد:** وهي الكنيسة التي شيّدتها هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين بين عامي 326 – 333م، وهي مشيّدة فوق ما يُعتقد أنّه الكهف الذي وُلد فيه المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام في بيت لحم، وكانت تسمّى قديماً أيضاً بكنيسة مريم، وهي من أقدم الكنائس المسيحية في العالم، ويعتبرها النصارى ثاني أقدس مكان بعد كنيسة القيامة في القدس **[** الموسوعة الفلسطينية الميسّرة، (ص 119)– بتصرف **]** .

3) **طور زيتا** = **جبل الزيتون** = **جبل الطور:** سمي بجبل الزيتون لكثرة شجر الزيتون عليه، ويقوم حيّ الطور عليه، وهو إحدى ضواحي القدس الآن، ويرتفع عن سطح البحر (826م)، ويشرف على مدينة القدس القديمة من الشرق، وهو المكان الذي يعتقد أن المسيح عليه السلام قد لجأ إليه هرباً من أذى اليهود، وأقيمت عليه مقدّسات إسلامية و مسيحية **[** الموسوعة الفلسطينية الميسّرة، (ص 119)– بتصرف **]** .

4) **كنيسة الجيسمانية** = **كنيسة سيدتنا مريم:** تقع في وادي قدرون، في مكان متوسط بين سلوان وجبل الزيتون وباب الأسباط، وتحتوي الكنيسة على قبور "مريم البتول" ووالديها، وكذلك قبر يوسف النجار، وقد بنيت بين عامي 450– 457م **[** مركز المعلومات الوطني الفلسطيني، www.wafainfo.ps، بتاريخ: 2013/06/09م **]** .

المقدس إلى الأرض، وهو الذي كان في المسجد، وأمرت أن يلقي في موضعه قمامات البلد وزبالته، فصار موضع الصخرة الشريفة مزبلة" [1] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيميّة – رحمه الله: " إنّما ظهرت (قمامة) في زمن قسطنطين الملك، لما أظهرتها أمه هيلانة الحرانية لما جاءت بيت المقدس، واختارت من اليهود ثلاثة، **وسألتهم أن يدلوها على موضع الصليب فامتنعوا، فعاقبتهم بالحبس والجوع، فدلّوها على موضعه في مزبلة فاستخرجوه، وجعلته في غلاف من ذهب وحملته، وبنت كنيسة القمامة في موضعه**"[2] .

ويقول ابن القيّم – رحمه الله: " تقدم قسطنطين إلى أسقف بيت المقدس أن يطلب موضع المقبرة والصليب، ويبني الكنائس، ويبدأ ببناء القيامة، فقالت هيلانة أمه: إني نذرت أن أسير إلى بيت المقدس وأطلب المواضع المقدسة، وأبنيها، فدفع إلهيا الملك أموالاً جزيلة، وسارت مع أسقف بيت المقدس فبنت كنيسة القيامة في موضع الصليب"[3] .

" **ويعتقد النصارى في أدبياتهم أنّ دائرة الرخام البيضاء الموجودة في كنيسة القيامة في القدس هي مركز الدنيا**، والقيامة لديهم هي الحدث المركزي الأساسي، وهي قلب الإيمان المسيحي، ومن دون القيامة لا وجود للمسيحية ولا معنى للعقيدة، وبالتالي فإن القدس –التي هي موضع القيامة– هي مركز العالم المسيحي ومنطلق النصرانية إلى المعمورة "[4] .

وبدأ النصارى في القرن الرابع الميلادي يبنون الكنائس والأديرة في القدس، وأرادوا – نكاية ببقايا اليهود غالباً– **أن يحوّلوا طابع المدينة إلى مدينة مسيحية مقدّسة**، بعدما كانوا يعتبرونها صارت مدينة وثنية قبل ذلك– فكانوا يحتلّون المدينة في أعيادهم الرئيسية، وصاروا ينقلون الشعائر

---

1) **انظر**: الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، مجير الدين الحنبلي العليمي، تحقيق: عدنان نباتة، مكتبة دنديس/عمان، 1420هـ/1999م، (1/ 170)، **أيضاً**: تاريخ القدس المعروف بتاريخ أورشليم، خليل سركيس، مكتبة الثقافة الدينية/بور سعيد، ط1، 1421هـ/2001م، (ص 100– 101) .

2) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، (141/3) .

3) هداية الحيارى، ابن قيم الجوزية، (ص 218) .

4) القدس دراسات فلسطينية إسلامية ومسيحية، جريس خوري وَ عدنان مسلّم وَ موسى درويش، مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية/القدس، ط1، 1996م، (ص 37)– بتصرف.

والطقوس الدينية المعتادة في روما إلى قلب (أورشليم)، وأضافوا إليها الطقوس المنسجمة مع نصوص الكتاب المقدّس، فصار كتابهم المقدّس كتاب إرشاد سياحي في القدس وبيت لحم وما حولهما، واستحدثوا أعياداً ومناسبات وطقوساً جديدة، ومنها السير في مواكب من بيت لحم إلى القدس، والاحتفال بأعياد ميلاد المسيح، والخروج بالمسيرات الدينية في سفوح جبل الزيتون[1] .

وكان النصارى مندفعون إلى تثبيت وجودهم في (أورشليم) وجميع أنحاء فلسطين، لشعورهم بتهديد كيانهم في هذه الأرض، وبدأوا ينتشرون في أرض فلسطين ليصعب استئصالهم بعد ذلك، وكان خوفهم الأساس من جهة اليهود والحكام الوثنيين، لذا فبحلول عام 390م أصبحت مدينة القدس ذات ملامح نصرانية، ينتشر فيها الرهبان والراهبات، وأصبح المسيحيون يمثّلون غالبية سكانها، وفق روايات المؤرخين النصارى[2] .

وقد صنّفت حديثاً مؤسسة القدس الدولية نحو ثلاثين موقعاً مقدّساً للنصارى في مدينة القدس، ومن أهمّها: – عدا ما تقدّم– **طريق الآلام** (وهو الطريق الذي سار فيه المسيح عليه السلام عبر القدس –بزعمهم– حاملاً الصليب من قصر الحاكم الروماني حتى موقع صلبه، وينقسم هذا الطريق إلى 14 مرحلة)، ومنها: دير يوحنا المعمدان، ودير أبينا إبراهيم، ودير السلطان، وكنيسة الثلاث مريمات، وكنيسة العذراء البتول، **وكنيسة حبس المسيح** (الموضع الذي شهد حبس المسيح عليه السلام في بيت الكاهن اليهودي)، وعدة أماكن على جبل الزيتون، وكنيسة الصعود، وكنيسة ظهور جبرائيل لمريم العذراء[3].

مناقشة اعتقاد النصارى في الأرض المقدّسة:

إضافة إلى ما سبق من مناقشة أثناء العرض لهذا المطلب، فإنّ الباحث يسجّل جملة من الملاحظات على اعتقاد النصارى في الأرض المقدّسة، وأهمّها:

---

1) انظر: القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث، كارين أرمسترونج، ترجمة: د. فاطمة نصر وَ د. محمد عناني، دار سطور/ القاهرة، ط1، 1998م، (ص 332– 335).

2) انظر: المصدر السابق، (ص 329) .

3) انظر: مؤسسة القدس الدولية، الموقع الرسمي، رابط: www.alquds-online.org، بتاريخ: 2013/6/9م.

أولاً: إنّ اعتقاد النصارى في الأرض المقدّسة ليس مستنداً إلى وحي سماوي، وهذا أمرٌ جوهري في مسائل الاعتقاد والتقديس، فالنصارى يعتمدون في رواياتهم عن الأرض المقدسة على كتابهم المقدّس (الدليل السياحي)، وهذا الكتاب مختلفٌ في أصوله وفروعه –كما مرّ في المبحث الأول– ولا يتفق النصارى على مؤلفيه، ولا على فترات كتابته، ولا يُعرف له سند حقيقي، فكيف يجوز إذاً أن ينبني عليه أمر ديني وعقائدي؟!

وسائر ما نُقل في اعتقادهم في الأرض المقدّسة إنما هو عن جمعٍ ممن يسميهم النصارى بالرسل، وهم ليسوا رسلاً " ونطالبهم بالدليل على أنهم رسل الله وليس لهم على ذلك دليل، فإنه لا يثبت أنهم رسل الله إن لم يثبت أنّ المسيح هو الله، وإثباتهم أن المسيح هو الله إما أن يكون بالعقل أو بالسمع، والعقل لا يثبت ذلك بل يحيله وهم لا يدعون ثبوت ذلك بالعقل ... وإنما يدّعون ثبوت وجوده بالسمع ... ولكن يقال لهم في هذا المقام أنتم لا يمكنكم إثبات كون المسيح هو الله إلا بهذه الكتب، ولا يمكنكم تصحيح هذه الكتب إلا بإثبات أن الحواريين رسل الله معصومون، ولا يمكنكم إثبات أنهم رسل الله إلا بإثبات أن المسيح هو الله، فصار ذلك دوراً ممتنعاً"[(1)].

ثانياً: إنّ سائر مقدّسات النصارى في فلسطين مبنية على أساسٍ رمزي لمعتقدات دينية ثبت بُطلانها، فكنيسة القيامة (وهي المكان الأكثر قدسية في نظر النصارى)، قامت على أنقاض صليبٍ مدفون مزعوم، فأساس رمزيتها قائم –في فهم الباحث– على معتقد النصارى بصلب المسيح ﷺ وقيامته، وما حول القيامة من الكنائس والأديرة والمقامات النصرانية قائمة على نفس الأساس، ويعتقد حجّاجها بأن المسيح هو الله، ويعتقدون بالثالوث، ويعبدون المسيح ﷺ من دون الله ﷻ، وهذه المعتقدات محلّ جدلٍ أيضاً بين النصارى، فقد اختلفوا وتناقضوا في مسائل الاعتقاد هذه –كما سبق بيانه– فلا هم متّفقون على مكان صلبه ولا موعده، ولا قبره، ولا طبيعة قيامته، ولا حتى حول طبيعة المسيح نفسه، وبالتالي فإنّ هذا ينقض اعتقادهم بالمقدّسات التي ترمز إلى هذه المعتقدات محلّ الإشكال.

1) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، (398/2)– بتصرف .

ومؤرخو النصارى أنفسهم يعترفون بأنّ حياة النصارى الدينية والروحية في (أورشليم) – قبيل الفتح الإسلامي لها تحديداً – كانت قد بلغت ذروتها من الخرافية والأساطير، إذ استنسخ النصارى (بكائيات) اليهود– عندما كانوا يتعرضون للنفي والاضطهاد والطرد من (أورشليم)– وصاروا ينقلون معهم بقايا الصليب المقدّس، والإسفنجة[1]، والحربة التي نفذت من جنب المسيح ﷺ عند قتله، والكأس التي شرب منها في العشاء الأخير، وغير ذلك، **ووضع النصارى لأنفسهم جغرافيا مقدّسة كاملة، تقوم على الأساطير التي كانوا يزدرونها في يومٍ من الأيام، إذ أصبحوا يعتبرون أنّ أورشليم هي مركز العالم، ونبع الحياة، والخصب، والخلاص**"[2] .

ثالثاً: إنّ الجغرافيا المحدودة للقدسية النصرانية مقارنةً بمعتقدهم في المسيح ﷺ تبعث على الغرابة – في فهم الباحث– **إذ كيف يجوز تقديس بقاع معيّنة، كموضعٍ لصليب خشبي مهترئ، أو أو درب، أو جبل، أو ما شابه، إذا كان الأمر يتعلق بشخصية الإله والربّ –كما يعتقدون–، فهل يقتصر ميراث الربّ المتجسدّ على أرضٍ صغيرةٍ محدودةِ المساحة؟!**، وإذا كان (ربّهم يسوع) قد أُعطي – بل وتلاميذه– ملكوت السماوات والأرض، والروح القدس يحلّ عليهم زرافات ووحدانا**!** فما الحاجة بعد ذلك إلى ميراث الأرض المقدّسة؟**!** ويتضح للباحث بأنّ هذا الإشكال هو فرع عن أصلٍ كبير ورّط فيه النصارى أنفسهم، ذلك عندما قالوا بألوهية المسيح ﷺ وبنوّته لله ﷻ.

لذلك تراهم يميلون دوماً إلى التفسيرات الغامضة والغريبة التي لا تحمل وجهاً مقبولاً في اللغة والمنطق، فترى قساوستهم ورهبانهم يعبّرون عن قداسة (أورشليم) في مواعظهم وأدبياتهم **بقولهم:** نريد أن نجد الله هنا على الأرض بدلاً من إرهاق أنفسنا إلى الأبد في الوصول إلى الأشياء العلوية**!**، **وقولهم:** كيف لا تصبح المدينة مقدّسة بعد أن شهدت خلاص العالم، فهي لم تُذنب بحادثة الصلب، ولم يكن الصليب عاراً وخزياً بل مجداً وتاجاً لأورشليم**!**، **وقولهم:** إنّ الأماكن

---

1) الإسفنجة هنا إشارة إلى ما ورد في الأناجيل بأنّ قتلة المسيح ﷺ –بزعمهم– قد وضعوا خلاً على إسفنجة وسقوه منها وهو على الصليب؛ إمعاناً في إهانته [**انظر**: متّى 27 : 48، مرقص 15 : 36، يوحنا 19 : 29] .

2) القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث، كارين أرمسترونج، (ص 365، 368)– بتصرف.

المقدّسة في أورشليم تعين المسيحيين على الاتصال بالقوة الإلهية؛ فهي الأماكن التي لمس الله فيها عالمنا![1] .

" والإمبراطور قسطنطين الذي لم يحضر افتتاح الكنيسة التي أتمّ بناءها في القدس عام 335م، طمأنه كبير الأساقفة الحاضرين قائلاً: إنّ غيابه عن (إيليا) لن ينتقص من ممارسته المسيحية، (فالكلمة) يمكن أن تزوره في القسطنطينية بالسهولة التي تزوره بها في أورشليم الجديدة!"[2] .

لكن هذه الجغرافيا المحدودة للقدسية النصرانية " بدأت تتمدد (بدوافع سياسية غالباً) منذ عهد قسطنطين فصاعداً، فأخذت خريطة الجغرافيا المقدّسة تتوسع، ولم تلتزم حدود الأرض المقدّسة التي ذكرها الكتاب المقدّس (أي مواضع سير المسيح)، إنما أصبحت تضمّ ما شيّده النصارى بعد ذلك من مبانٍ وأديرة وكنائس، فحوّلوا المكان إلى مكان مقدّس، وفي القلب منه (أورشليم المقدّسة)"[3] .

رابعاً: إنّ ادّعاء النصارى – في فهم الباحث– بأنّ الصليب هو رمزٌ للفداء والخلاص، وأنّ حادثة الصلب المزعومة للمسيح عليه السلام كانت أمراً طبيعياً وصحيحاً، بل و(مجداً لأورشليم) –كما مرّ آنفاً– يتناقض مع نصوص كتابهم المقدّس الذي أورد خبر بكاء المسيح عليه السلام على (أورشليم)، وحسرته عليها، وإخباره بأنّ المدينة متخصصة في قتل الأنبياء، ونعتها بقوله: **«يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا»**[4]، ولم يشر المسيح عليه السلام –بحسب كتابهم المقدّس– في أي من كلامه إلى أنّ المجد والفخر سيكون لأورشليم لأنّ قومها سيقتلونه!، وهذا لا ينفي قدسية المدينة، إنّما المقصود هو الردّ على النصارى في تقديسهم لأماكن بعينها، وتبريراتهم المتهافتة لهذا التقديس، والله أعلم.

---

1) **انظر:** القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث، كارين أرمسترونج، (ص 318 – 320).

2) المصدر السابق، (ص 317)– بتصرف.

3) المصدر نفسه، (ص 358)– بتصرف .

4) متّى 23 : 37 .

خلاصة المطلب:

أولاً: إنّ اعتقاد النصارى في الأرض المقدّسة في جملته، يُلزمهم بما يعتقده اليهود فيها، نظراً لإيمانهم بالعهد القديم وتقديسه، فهم فيه شركاء، وما اختلفوا فيه فهو خلاف بشري يدل على التناقض في أصول المعتقد، مما يؤكد تهافت اعتقاد الفريقين في هذا الباب.

ثانياً: يشير العهد الجديد تصريحاً وتلميحاً إلى انتقال الوعد الإلهي المزعوم لإبراهيم ﷺ بوراثة الأرض المقدسة إلى المسيح ﷺ وأتباعه.

ثالثاً: اهتمّ كتبة العهد الجديد بإضفاء الأهمية الدينية لمدينة القدس خاصة، واعتبروها مركز الديانة التي ينبغي أن تعمّ المعمورة.

رابعاً: اتّخذ النصارى لهم مقدّسات صنعوها بأيديهم في الأرض المقدّسة، وهي مرتبطة في معظمها باعتقادهم في المسيح ﷺ، خاصة قضية صلبه المزعوم وقيامته المفتراه، وطريق آلامه المدّعى، ولم يكن لهذه المقدّسات سند بوحي ثابت أو أمر نبوي.

خامساً: ليس للنصارى حقّ ديني أو تاريخي في فلسطين، وما قيل في الردّ على اليهود في دعواهم المماثلة، يقال في حقّ النصارى كذلك، فالحق الديني منتقضٌ بأمرين أساسيين وهما: عدم ثبوت الوعد الإلهي الأول المزعوم وتهافته، وعدم صحة اعتقاد النصارى في المسيح ﷺ، فمسيحهم هو إله ورب معبود مصلوب، وهذه العقائد متناقضة وباطلة في الشرع والعقل، ومردود عليها، والحق الديني المزعوم للنصارى مرتبط بهذه العقائد، فإذا بطل المبدأ بطل الفرع، والحق التاريخي للنصارى مردودٌ عليه بما تقرر في الردّ على اليهود من ناحية الحقّ السابق لأصحاب الأرض من العرب، وورثتهم العرب المسلمون فيما بعد، وعدم ثبوت الحق الديني والتاريخي لا يعني عدم حق النصارى في العيش على أرض فلسطين، خاصة وأن نصارى فلسطين هم من العرب، وقد أقرّ الفتح العمري بوجودهم وحفظ لهم الحق في العبادة والعيش الآمن.

المطلب الرابع:

اضطراب وتباين الطوائف النصرانية في هذه العقيدة

اتضح للباحث أنّ اضطراب النصارى في عقيدتهم في الأرض المقدّسة هو –غالباً– فرعٌ عن اضطرابهم في أساس عقائدهم؛ ذلك أنّ تقديس النصارى للأرض هو بسبب ما دار عليها من أحداث مزعومة، وبسبب عقيدتهم الأساسية في الربوبية والألوهية والنبوّة.

" **وبسبب الاضطراب في الديانة النصرانية، نشأت مذاهب وفرق لا تكاد تقع تحت حصرٍ، منذ البدايات وحتى عصرنا الحاضر**، وذلك لأنّ المسائل التي أعلنتها النصرانية على الملأ ليست من طبيعةٍ يمكن البرهنة عليها سلباً أو إيجاباً؛ بسبب إيغالها في الغَيْبية، وغموضها الشديد، حتى ليتعذّر صوغها في لغةٍ بشرية، مهما دقّت واتّسعت، إذ ستظل اللغة عاجزةً عن الإحاطة بمضمونٍ هو مطلقٌ عن الحدود والقيود، كالألوهية ذاتاً وأسماءً وصفات"[1] .

وقد التفت كتبة العهد الجديد –في تقدير الباحث– إلى خاصية (التناقض في التقديس)، فحرص كاتب إنجيل متّى –مثلاً– أن يورد على لسان المسيح عليه السلام نصاً مفاده: **«لاَ تُعْطُوا الْقُدْسَ لِلْكِلاَبِ**، وَلاَ تَطْرَحُوا دُرَرَكُمْ قُدَّامَ الْخَنَازِيرِ، لِئَلاَّ تَدُوسَهَا بِأَرْجُلِهَا وَتَلْتَفِتَ فَتُمَزِّقَكُمْ»[2]، **إذ يشير النصّ إلى ضرورة إبقاء المقدّسات في إطار الغيب، لأنّ إظهارها بابٌ لإبطالها.**

يقول القس أنطونيوس فكري في تفسيره لهذا النص: " ومعنى هذه الآية أن لا نقدم ولا نتكلم عن مقدساتنا للمستهزئين؛ **فأسرار ملكوت الله لا تقدم إلاّ لمن يقيمونها حق قيمتها ويتقبلونها بخشوع وورع** ... والقدس مشبه هنا بالدرر الثمينة التي ينبغي أن نحافظ عليها، إذًا علينا أن نعرف ماذا نقدم ولمن نقدمه" [3] .

---

1) الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، نهاد خياطة، دار الأوائل/ دمشق، ط (بدون)، (ص 71– 72)– بتصرف.

2) متّى 7 : 6 .

3) تفسير الكتاب المقدّس، القس أنطونيوس فكري، موقع كنيسة الأنبا تكلاهيمانوت القبطية الأرثوذكسية/ مصر، رابط: http://st-takla.org، بتاريخ: 2013/06/10م.

ومن أوجه اضطراب النصارى في عقيدتهم في الأرض المقدّسة ما يلي:

أولاً: **موقف مسيحيي القرن الأول**:

إنّ عقيدة النصارى في الأرض المقدّسة مبنية على الصورة الأخيرة للنصرانية التي استقرّت عليها بعد المسيح عليه السلام بفترات طويلة، وهي مرتكزة على ما ورد في العهد الجديد من أحداث وقصص لحياة المسيح عليه السلام، ومكانة خاصة للقدس ومواضع فيها، ومرّ في المطلب السابق كيف أنّ المسيح عليه السلام قد أعطى أتباعه أمراً بأن "لا يبرحوا أورشليم" في لقائه الأخير معهم.

لكنك تجد أنّ مؤرخي النصارى يقررون بأن المسيحية التي كانت مسيطرة على الكنيسة في القرن الأول الميلادي هي المسيحية- اليهودية، والتي تنكّرت للنصرانية البولسية ورفضتها، بل وتصادمت معها في مواطن، وهذه الجماعة الصغيرة شكّلت مذهباً يهودياً أميناً على مقدّسات اليهود وممارساتهم ومراسم معبدهم، ولم تكن هيمنتها – طيلة القرن الأول الميلادي- مخصصةً في القدس وفلسطين، بل كانت منتشرةً في كل مكان، سابقةً على الرسالة البولسية، حتى أنها اعتبرت روما مركزاً مهماً، ووصل إنجيلها إلى إفريقيا قبل أي إنجيل آخر(1) .

يقول موريس بوكاي معلّقاً على هذه الحقيقة: "من المهم أن نعرف هذه الوقائع لندرك في أي جو من النزاع بين الطوائف كُتبت الأناجيل، ولتوضيح أنّ النصوص التي بين أيدينا اليوم بدأت بعد كثير من تعديلات المصادر، حوالي سنة 70م، **في العصر الذي كانت فيه الطائفتان المتنافستان في ألدّ الخصام، وأن اليهود- المسيحيين كانوا ما برحوا هم المسيطرين**"(2) .

والعجيب أنّ بولس، المؤسس الحقيقي لعقائد النصرانية- ومنها العقيدة في الأرض المقدّسة- " **كان يُنظر إليه على أنه خائن لفكرة المسيح من قبل أسرته، ومن قبل الرسل الذين بقوا في القدس،** ولكنّه صنع المسيحية على حساب الذين أحاط بهم المسيح نفسه لينشر تعاليمه"(3).

---

1) انظر: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، (ص 71 – 72) .

2) المصدر السابق، (ص 72) .

3) المصدر نفسه، (ص 73)- بتصرف.

ثانياً: **موقف الآريوسيين**:

وهؤلاء هم أتباع القديس آريوس، الذي تم لعنه وحرمانه وطرده وتكفيره في مجمع نيقية، كما سلف.

وأفكار هذه الطائفة اعتبرتها النصرانية الأرثوذكسية هرطقةً وزندقة، وشكّلت خطراً على العقيدة النصرانية (عقيدة بولس) خلال القرون العشرة الأولى من التاريخ النصراني، ويقوم خلاف الكنيسة مع الآريوسيين على نقطة واحدة وهي: اعتبار الآريوسيين المسيح ﷷ بشراً وليس إلهاً[1].

"وقد لقي هذا المذهب قبولاً عند جمعٍ من النصارى وخاصة بعض الأساقفة والأباطرة، وكانت فكرة آريوس عن الإله العلي تلقى قبولاً عندهم؛ إذ هم يميلون إلى التواحد مع هذا الإله أكثر من ميلهم إلى التواحد مع إله ضعيف سلبي يخضع بدون مقاومة إلى الشهادة، ويتجنّب الاتصال بالعالم**!** (أي المسيحﷷ بزعمهم)"[2] .

ولا يخفى أنّ هذا المذهب التوحيدي – الذي اعتبرته النصرانية بدعة وكفراً– هو مذهب يقضي على عقيدة النصارى في المسيح ﷷ، وبالتالي في الأرض المقدّسة والمقدّسات القائمة على فكرة ألوهية المسيح، وصلبه وآلامه وخلاصه للعالم.

ثالثاً: **دور قسطنطين**:

تعرض الباحث في المطلب السابق إلى طرفٍ من دور الإمبراطور قسطنطين وأمّه هيلانة في تأسيس الكثير من الكنائس في فلسطين، وأهمّها كنيسة القيامة، **وكان له الأثر الأهمّ في تثبيت العقيدة النصرانية في الأرض المقدّسة، من خلال دوره في مجمع نيقية.**

" ففي مجمع نيقية، الذي قاده ووجّهه قسطنطين عام 325م، أُعلن المسيح "إلها" بالتصويت (نتيجة التصويت كانت 218 قبول، 2 رفض، بذلك تم إقرار أن الآب هو الابن)**!، وبعد عام أمر قسطنطين بإتلاف جميع النُسخ التي تعارض التعاليم الأرثوذكسية**، كذلك عمد إلى رصد مبالغ

1) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، نهاد خياطة، (ص 81) .

2) المصدر السابق، (ص 83)– بتصرف يسير.

ثابتة خصصها للكنيسة، ثم في عام 331م كلّف لجنة جديدة بإعداد نسخ جديدة من الكتاب المقدّس، ورصد لها المال اللازم، **وقد كان هذا أحد العوامل الحاسمة في تاريخ المسيحية بكامله**"[1].

"**وفي هذه اللحظة الهامة استغّلت الأرثوذكسية الفرصة، وأعادت تنقيح الوثائق التي بين أيديها وأعادت تحريرها وصياغتها، بما يتوافق مع مبادئها، وهي اللحظة التي أُدخلت فيها معظم التغييرات الحاسمة على العهد الجديد**"[2] .

وحاصل الأمر أنّ هذا الإمبراطور الذي كان له أثر كبير في وجود النصرانية على أرض فلسطين، هو الذي أشرف على صياغة العقيدة النصرانية على المذهب البولسي المحرّف، وبالتالي أنتج فكراً نصرانياً مشوّهاً حول أحداث حياة المسيح ﷺ على الأرض المقدّسة، وما ترتب على ذلك من مقدّسات نصرانية، واعتقادات مستقبلية.

رابعاً: عدم مركزية "أورشليم":

بالرغم من أّن العهد الجديد يدعو (أورشليم) بمدينة الله، وأنّ المسيح ﷺ أمر رسله بالمرابطة فيها –بزعمهم–، واعتبارها منطلق الديانة، إلاّ أنّ واقع الكنائس في التاريخ النصراني ينقض ذلك، فقد وقع الانفصال الكبير في الكنيسة إلى شرقية وغربية، كان من أهمّ مقدّمات هذا الانفصال أن أخذت الكنيسة الغربية – بدءاً من القرن الرابع الميلادي– **تسيطر على الحياة الكنسية في العالم المسيحي لعدة قرون**، وتحرّف في العقائد والطقوس والقوانين، وجعلت البابا رأساً وحاكماً أعلى لكل الكنيسة المسكونية، **وقد رأت الكنيسة الشرقية في ذلك خروجاً عن الدين المسيحي وتحريفاً واضحاً لتعليمات السيد يسوع والرسل**[3] .

---

1) الدم المقدّس والكأس المقدّسة، ميشيل بيجنت وَ هنري لنكولن وَ ريتشارد لي، (ص 515– 516)– بتصرف.

2) الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، نهاد خياطة، (ص 20)– بتصرف.

3) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، سعد رستم، دار الأوائل/دمشق، ط2، 2005م، (ص 36).

ودبّ الصراع الفكري والقومي في الكنيسة، فلم تعد المسألة مسألة دين، ولكنها باتت مسألة سلطة وقومية، فانفصلت كل كنيسة تبعاً لشعورها الوطني تجاه بطارقتها، **وادّعت كل كنيسة السلطة على نصارى العالم**[1] .

ووسط هذه الصراعات لا ذكر لأورشليم كمدينة الله أو كوصية يسوع، أو كمحلّ لنشر الديانة كما هو مسطور في الكتاب المقدّس.

بل إنّ المتتبع لتاريخ الكنيسة يجد أنّ كنيسة القدس لم تحصل على مرتبة "كرسي الأسقفية" –(وهو منصب كنسي يعطى لأساقفة للمدن الكبرى)– بين الكنائس الكبرى، سوى بعد مجمع خلقيدونية، **إذ لم تكن كنيسة القدس تعتبر كنيسة مركزية أو كبرى سوى بعد منتصف القرن الخامس الميلادي، وقد سبقها في ذلك أربع كنائس كبرى**، وهي: كنيسة أنطاكية، وكنيسة روما، وكنيسة الإسكندرية، وكنيسة القسطنطينية، وحلّت كنيسة القدس خامساً، ولم يمنح أسقفها لقب (بطريرك) إلا متأخراً[2] .

ومن المؤرخين النصارى من يقرر بأنّ قضية تقديس الأماكن التي ابتدعها النصارى في القدس في منتصف القرن الرابع واعتبروها مواضع حياة المسيح ﷺ ومعاناته وصلبه وغير ذلك، **لم تكن سوى تخمينات وتقديرات لنصارى القدس، ولا سند لها من جهة التاريخ، كما أنّ أسقف القدس كان يسوّق هذه الأماكن المقدّسة في حملته لجعل القدس مركزاً للكنيسة**[3] .

خامساً: **تشتت كنائس القدس**:

تنتمي كنائس القدس –وفلسطين عموماً– إلى طيف متنوع من الفرق والطوائف النصرانية المتناقضة فيما بينها في أصل الديانة، وغالباً ما يكون الخلاف بين هذه الكنائس في طبيعة المسيح ﷺ وأمّه العذراء، والروح القدس، وغيرها من قضايا العقيدة الأساسية.

---

1) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، سعد رستم ، (ص 43) .
2) انظر: المصدر السابق، (ص 49) .
3) انظر: القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث، كارين أرمسترونج، (ص 296).

لذا فإن الباحث قد تتبع الطوائف النصرانية التي تتواجد في القدس، كنموذج على الخلاف المتجذر، والنزاع القديم الحديث بين طوائف النصارى، وما لذلك من أثر في جملة اعتقادهم.

إذ تضمّ الطوائف النصرانية في مدينة القدس نحو ثماني طوائف وفرق أساسية، وهي كالتالي[1]:

أ. الروم الأرثوذكس[2]:

وهي الطائفة التي مثّلت أغلبية نصارى القدس في القرن التاسع عشر، وسيطرت على أغلب الأماكن المقّدسة في القدس وجوارها، **وحدث صراع عنيف داخل هذه الطائفة في القدس بين الرهبان اليونانيين والنصارى العرب،** بسبب استحواذ اليونانيين على المناصب الدينية العليا في الكنيسة.

ب. الروم الكاثوليك[3]:

---

1) **انظر:** نصارى القدس، أحمد حامد القضاة، مركز دراسات الوحدة العربية/بيروت، ط1، 2007م، (ص 201-210)، **انظر أيضاً:** مؤسسة القدس الدولية، الموقع الرسمي، رابط: www.alquds-online.org، بتاريخ: 2013/6/11م، **انظر أيضاً:** مجلّة فلسطين "السفير العربي"، دار العروة الوثقى/بيروت، العدد 18، الصادر في: 2011/10/15م، (ص 20).

2) **الروم الأرثوذكس = الكنيسة الشرقية:** وهي طائفة من النصارى تعتقد بانبثاق الروح القدس من الآب فقط دون الابن، على خلاف الكنيسة الغربية، انشقّت عن الكنيسة الغربية الرومانية الكاثوليكية، وعقدت لذلك مجمعاً في القسطنطينية عام 879م، ويسمى المجمع الشرقي اليوناني، قام هذا المجمع بإلغاء قرار المجمع الغربي اللاتيني السابق له (عام 869م) حول انبثاق الروح القدس، وكان هذا المجمع السبب في انفصال الكنيسة **[انظر:** محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، (ص 150) **]**.

3) **الروم الكاثوليك:** أتباع الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، والتي تمثّل أكبر تجمّع للنصارى في العالم، إذ يقدّر عدد أتباعها بنحو مليار نسمة، ويقود الكنيسة الكاثوليكية البابا، وهو أسقف روما، من مقرّه بمدينة الفاتيكان، ومن أقدس مقدّسات الكاثوليك "كاتدرائية القديس بطرس" في الفاتيكان في روما، وتعتبر الكنيسة الكاثوليكية نفسها الوريث الشرعي والوحيد للكرسي الرسولي الممتد من بطرس إلى بابا اليوم، وبالتالي وراثة مهمة الرسل، وتعترف هذه الكنيسة بقرارات المجامع المسكونية جميعها منذ نيقية وحتى آخر مجمع في القرن الماضي **[انظر:** الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، سعد رستم، (ص 68 - 69) **]** .

وهي الطائفة التي انشقّت عن الروم الأرثوذكس، وتتبع لهم كنيسة "القديسة حنّة" (و"حنّة" هي في اعتقاد النصارى والدة مريم العذراء)، وتقع الكنيسة شمال المسجد الأقصى المبارك، وكذلك كنيسة "القديس أنفريوس"، وعدد من الأديرة الأخرى.

ت. اللاتين:

وهي تتبع الكنيسة الكاثوليكية الغربية، هي ليست مستقلة عنها، بل هي أشبه بأسقفية أو مطرانية، يرأسها في القدس بطريرك يلقب ببطريرك القدس على اللاتين، وهم من بقايا الحروب الصليبية في بلاد الشام، وكانت هذه الطائفة محرومة من رئيس كنسي مقيم في القدس حتى أواسط القرن التاسع عشر، ثم تمّ إعادة إحيائها لظروف سياسية، **ولم ترحّب طوائف النصارى الأخرى في القدس بإعادة اللاتين إليها وجرى نزاع طويل ومرّ بينها وبين الأرثوذكسية على رئاسة كنيسة القيامة،** ولهم من المقدّسات في القدس "دير اللاتين" شمال غرب ما يعرف بـ "حارة النصارى".

ث. الأقباط[1]:

وكانت أول مجموعة منهم تصل القدس عند تدشين كنيسة القيامة أواسط القرن الرابع، وهم تبعٌ لبطريرك الأقباط في مصر، ولهم في القدس "دير السلطان"، وهو من الأديرة القديمة في القدس، ويقع قرب كنيسة القيامة، وله أهمية خاصة عند الأقباط، **وتنازع الأقباط في ملكيته مع الأحباش[2]،** كما يوجد في القدس للأقباط ديراً يسمى بـ "دير مار أنطونيوس" شمال كنيسة "القديسة هيلانة"، و كذلك "دير جرجس" الذي شيّد في العصر العثماني قرب باب الخليل.

---

1) **الأقباط:** هم أتباع الكنيسة المصرية التي انفصلت عن السلطة الكنيسة الغربية بعد مجمع خلقيدونية عام 451م، وانصرفوا إلى طقوسهم المحلّية وطرائق عباداتهم المصرية، انتصاراً لهويتهم الوطنية ضد الهيمنة الكنسية في الغرب الأوروبي، ويعتبر الأقباط بأنّ مؤسس كنيستهم هو "القديس مرقص" **[انظر:** تاريخ المسيحية الشرقية، عزيز سوريل عطية، ترجمة: إسحاق عبيد، المجلس الأعلى للثقافة/مصر، ط1، 2005م، (ص 19، 33) **]** .

2) **الأحباش:** وهم النصارى التابعون لكنيسة الحبشة، وهم يندرجون ضمن الكنائس الأرثوذكسية (اللا خلقيدونية) وكانت كنيسة الحبشة مرتبطة ببطريركية الأقباط في القاهرة، إلا أنّها عادت واستقّلت عنها، ورعيّتها نحو ثلاثين مليوناً **[** الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، سعد رستم، (ص 63)- بتصرف**]** .

ج. الأحباش:

وصلوا إلى القدس أواسط القرن الرابع، وكانوا يتبعون البطريركية القبطية في مصر، وعاشوا في "دير السلطان" مع الأقباط، **وتنازعوا مع اللاتين في القدس**، ولهم من المقدّسات: "دير الحبش" الملاصق لكنيسة القيامة، و"كنيسة الحبش" وتقع خارج أسوار المدينة القديمة.

ح. السريان[1]:

انقسموا عام 1662م إلى أرثوذكس وكاثوليك، وعاشوا في القدس في مكان خاص بهم عرف بـ "محلة السريان"، وعلى الرغم من قلة عددهم إلاّ أنّهم أشرفوا على جزء من كنيسة القيامة بالتقاسم مع الطوائف الأخرى، كما لهم "دير السريان" الذي يقيم فيه أسقفهم والذي عرف قديماً باسم كنيسة "القديس مرقص" .

خ. البروتستانت:

ظهروا في القدس عام 1820م، عن طريق عمليات تبشيرية، **وعارضت طوائف النصارى وجودهم وتنازعت معهم، وكذلك عارضتهم الدولة العثمانية**، لكنّهم عادوا للعمل من جديد في ثلاثينيات القرن التاسع عشر، ولهم في القدس منزلٌ على "طريق الآلام"، وكنيسة في جبل الزيتون.

د. الموارنة[2]:

---

1) **السريان:** وهم النصارى التابعون لمجموعة الكنائس الأرثوذكسية (اللاخلقيدونية)، واسم كنيستهم: "بطريركية أنطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذوكس"، ومقرّها دمشق، وتقدر رعيتها في العالم بنحو بنحو 3 ملايين سرياني، لذا يدعى بطريركها: الرئيس الأعلى للكنيسة السريانية الأرثوذكسية في العالم **[** الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، سعد رستم، (ص 63)- بتصرف**]** .

2) **الموارنة = المارونية:** "أتباع يوحنا مارون"، والذي اشتهر برأيه سنة 667م، قال بأنّ المسيح ذو طبيعتين، ولكنه ذو إرادة ومشيئة واحدة، من أجل ذلك فإن المجمع العام السادس في القسطنطينية اجتمع لمناقشة هذه النحلة الجديدة، وقرر المجمع طرد مارون وتكفيره ولعنه وكل من يذهب مذهبه، فاضطُهد اتباع هذه النحلة ولاذوا بالفرار إلى جبل لبنان، حتى قرّبتهم الكنيسة الرومانية إليها، حتى اعلنوا الطاعة للكنيسة الكاثوليكية والاتحاد معها سنة 1182م **[** محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، (ص 164)- بتصرف **]** .

و**هؤلاء لم يكن لهم وجود حقيقي في القدس قبل عام 1860م**، إذ قدم عدد من الموارنة من لبنان، واستقروا في القدس، ثم عملوا على إقامة نشاط ديني فيها، فأنشأوا "البطريركية المارونية" على جبل صهيون في القدس.

وحاصل الأمر، أنّ الكنائس الموجودة في القدس تنتمي (كتابع) إلى طيف متنوع من الكنائس والمذاهب المختلفة، والتي تتناحر في أصول العقيدة النصرانية.

خلاصة المطلب:

أولاً: إنّ الاعتقاد النصراني في القدس وفلسطين هو اعتقاد له علاقة مباشرة بالألوهية والربوبية؛ إذ إنّ مناطق الحجّ النصراني إلى القدس هي –في ظنّهم– مواضع أقدام الإله ومواضع آلامه وصلبه، وقيامته، وغير ذلك، وبالتالي فإنّ الخلاف في هذه الموضوعات، والاضطراب القائم بين طوائف النصارى ومذاهبهم ينقض أساس اعتقادهم في الأرض المقدّسة.

ثانياً: إنّ عقيدة التوحيد التي ظهرت في القرن الأول الميلادي– أي قبل ظهور الأناجيل والعهد الجديد– تشير بوضوح إلى خلل اعتقاد النصارى اللاحقين (أتباع بولس) في كل المسائل المتعلقة بالمسيح وأرض فلسطين، وما دار فيها من أحداث مزعومة، كانت أساساً للاعتقاد اللاحق بأنّها مركز العالم الروحي للنصرانية.

ثالثاً: هناك مفارقة مثيرة في التاريخ النصراني، وهي أنّ قسطنطين فاتح العصر الذهبي للنصرانية ومؤسس كنائسها في القدس وما حولها، والذي ادّعى رؤية الصليب، هو نفسه الذي أشرف على: تحريف العهد الجديد، وحرق نسخ الأناجيل التي تخالف رأيه الظاهر، وتثبيت عقائد التثليث وألوهية المسيح، بقوة السلطة السياسية!.

رابعاً: إنّ الثقل الكنسي في الغرب الأوربي، وتأخّر مكانة كنيسة (أورشليم) عبر التاريخ النصراني مقارنة بغيرها من الكنائس، يشير إلى اضطراب في مبدأ اعتقاد النصارى بأنّ (أورشليم) هي منطلق النصرانية، ووصية المسيح ﷺ، ومحلّ هبوط الروح القدس على الرسل والأتباع.

خامساً: تعددت الكنائس والطوائف النصرانية في مدينة القدس بشكل كبير، وتنازعت في السيادة على المقدّسات النصرانية، وابتدع كلٌّ منها مقدّسات وأديرة ومعابد، وكان تنازعها فرعاً عن التنازع في أصولها العقائدية، واختلافاتها في أصل الديانة.

المبحث الثالث:

آثار العقيدة النصرانية في الأرض المقدسة

ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحروب الصليبية على الأرض المقدّسة

المطلب الثاني: الصهيونية المسيحية ودورها في تثبيت اليهود في الأرض المقدّسة

المطلب الثالث: مظاهر الدعم الغربي (النصراني) المعاصر لليهود في الأرض المقدسة

المطلب الأول:

الحروب الصليبية على الأرض المقدّسة

تعرّض الباحث في المبحث الأول من الفصل التمهيدي لذكر فترة الحروب الصليبية على الأرض المقدّسة[1]، كمرحلة من مراحل تاريخ النصارى على هذه الأرض، والذي اتّسم بالعنف، وإراقة الدماء، وإزهاق الأرواح.

والمقصود في هذا المطلب التطرق للحروب الصليبية، ليس من الناحية التاريخية، أو سرد الأحداث، وإنّما من ناحية البواعث والأسباب والملابسات الدينية، وربط هذه الحروب بالعقيدة النصرانية فيما يتعلق بالأرض المقدّسة.

العنف في العهد الجديد:

إنّ تجذّر العنف في الفكر النصراني لا يقتصر -في فهم الباحث- على ما ورد في العهد الجديد فحسب، بل ما ورد في العهد القديم كذلك، - مما استطرد الباحث في ذكره في الفصل الأول[2]- وذلك لإيمان النصارى بنصوص العهدين وتقديسهما، ولأنّ إلههم الذي حثّهم على القتال في العهد القديم هو ذاته في العهد الجديد، ولكنّه في الجديد أرسل ابنه -بزعمهم- في عملية انتحار من أجل فداء البشرية، وهذه قمّة العنف المكتسي بحلّة روحانية خرافية! .

وبالرغم من الدعاية النصرانية الواسعة التيّ تروّج بأنّ تعاليم (الكتاب المقدّس)، وخاصةً الأناجيل، هي تعاليمٌ تدعو إلى السلام والوئام والحب والتعايش، إلاّ أنّ الحقيقة التي تتجلّى لكل دارس متفحّصٍ لنصوص العهد الجديد، هي أنّه احتوى- كما العهد القديم- على **الدعوة الصريحة للعنف، حتّى على لسان المسيح** ﷺ **-بزعم مؤلفيه- في صورٍ متعددة، ومن أهمّها:**

---

1) **انظر:** هذا البحث الذي بين يديك، (ص 58- 64) .

2) **انظر:** هذا البحث الذي بين يديك، (ص 238- 242) .

1. المسيح جاء ليلقي على الأرض سيفاً وناراً وانقساماً:

جاء ذلك بشكلٍ صريح وواضح على لسان المسيح عليه السلام -بزعم كاتب الإنجيل-، حيث ورد في إنجيل متّى: « لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ. **مَا جِئْتُ لأُلْقِيَ سَلاَمًا بَلْ سَيْفًا.** فَإِنِّي جِئْتُ لأُفَرِّقَ الإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ، وَالابْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا، وَالْكَنَّةَ ضِدَّ حَمَاتِهَا. وَأَعْدَاءُ الإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ»[1] .

كما جاء أيضاً على لسان المسيح عليه السلام: « **جِئْتُ لأُلْقِيَ نَارًا عَلَى الأَرْضِ، فَمَاذَا أُرِيدُ لَوِ اضْطَرَمَتْ؟** وَلِي صِبْغَةٌ أَصْطَبِغُهَا، وَكَيْفَ أَنْحَصِرُ حَتَّى تُكْمَلَ؟ **أَتَظُنُّونَ أَنِّي جِئْتُ لأُعْطِيَ سَلاَمًا عَلَى الأَرْضِ؟ كَلاَّ، أَقُولُ لَكُمْ: بَلِ انْقِسَامًا**» [2] .

إنّ هذه النصوص لا تحتمل تفسيراً سوى الدعوة إلى العنف والقتل وحمل السلاح على الأقربين والأبعدين، وحاشا نبي الله عليه السلام أن يأتي برسالة السيف وينبذ رسالة السلام، وأن يُبعث لتدمير البيوت والمجتمعات، لكنّها أمانيّ الذين سطّروا أفكارهم على لسان المسيح عليه السلام.

2. المسيح يأمر ببيع الأمتعة وشراء السيوف:

حيث جاء في إنجيل لوقا أنّ المسيح عليه السلام أمر أتباعه ببيع أمتعتهم الشخصية وشراء السيوف**!**، فيما نصّه: « فَقَالَ لَهُمْ(أي المسيح): لكِنِ الآنَ، مَنْ لَهُ كِيسٌ فَلْيَأْخُذْهُ وَمِزْوَدٌ كَذلِكَ. **وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَلْيَبِعْ ثَوْبَهُ وَيَشْتَرِ سَيْفًا**»[3] .

وهل شراء السيوف هو لنشر السلام والمحبّة**؟!** أم للقتال والذبح**؟!** لا شكّ أنها للقتال، ومادام المسيح عليه السلام بواقع الحال لم يقاتل، فلا ريب أنّ كتبة الإنجيل **قد ورّثوا تعاليم حمل السلاح إلى من جاء بعد أزمان من المسيح** عليه السلام**، واقتبس من أدبيات الإنجيل السيف والصليب، وخرج يقاتل تحت شعارات (ربّنا يسوع المخلص) و(مدينة الله)، وغيرها!! .**

---

1) متّى 10 : 34 – 36 .

2) لوقا 12 : 49 – 51 .

3) لوقا 22 : 36 .

3. بدون سفك الدم لا تحصل المغفرة:

جاء في رسالة بولس للعبرانيين: « **وَكُلُّ شَيْءٍ تَقْرِيبًا يَتَطَهَّرُ حَسَبَ النَّامُوسِ بِالدَّمِ، وَبِدُونِ سَفْكِ دَمٍ لاَ تَحْصُلُ مَغْفِرَةٌ**»! [1] .

وتبقى مثل هذه الكلمات والعبارات المفتوحة المسطورة في العهد الجديد، في متناول أتباع هذا الكتاب، بما فيها من دعوة للعنف وسفك الدماء، إذ كيف تحصل لهم المغفرة ما لم يسفكوا الدم؟! .

4. غلبة الأمم مرتبطة بالدم:

وإن احتوى العهد الجديد على كلمات غامضة ومفاهيم مطّاطة، فإنك تستطيع أن تفهم– في باب العنف– الربط بين غلبة (المؤمنين بابن الله) للأمم، (بشهادة الدم)! إذ الدم أحد الشهود الثلاثة على الأرض، إذ جاءت هذه النظرية العجيبة في رسالة يوحنا، حيث يقول: « **مَنْ هُوَ الَّذِي يَغْلِبُ الْعَالَمَ، إِلاَّ الَّذِي يُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ ابْنُ اللهِ؟ هذَا هُوَ الَّذِي أَتَى بِمَاءٍ وَدَمٍ**، يَسُوعُ الْمَسِيحُ. لاَ بِالْمَاءِ فَقَطْ، بَلْ بِالْمَاءِ وَالدَّمِ .وَالرُّوحُ هُوَ الَّذِي يَشْهَدُ، لأَنَّ الرُّوحَ هُوَ الْحَقُّ .فَإِنَّ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي السَّمَاءِ هُمْ ثَلاَثَةٌ: الآبُ، وَالْكَلِمَةُ، وَالرُّوحُ الْقُدُسُ. وَهؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ هُمْ وَاحِدٌ .**وَالَّذِينَ يَشْهَدُونَ فِي الأَرْضِ هُمْ ثَلاَثَةٌ: الرُّوحُ، وَالْمَاءُ، وَالدَّمُ .وَالثَّلاَثَةُ هُمْ فِي الْوَاحِدِ**»[2] .

5. رمزية السيف في يد الربّ:

وفي مشهد العنف في العهد الجديد، تجد رمزيّة السيف في "رؤيا يوحنا اللاهوتي"، فصورة الربّ –بزعمهم– في هذه الرؤيا، **إلهاً عنيفاً مقاتلاً يحمل سيفاً، بل ويخرج من فمه سيفٌ ماضٍ ذو حدّين، وتراه يضرب الأمم بالسيف، وينزع السلام من الأرض، ويضرب الأمم بعضها ببعض!**

ومما جاء في هذه الرؤيا: « وَمَعَهُ فِي يَدِهِ الْيُمْنَى سَبْعَةُ كَوَاكِبَ، **وَسَيْفٌ مَاضٍ ذُو حَدَّيْنِ يَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ** ... »[3]، « فَخَرَجَ فَرَسٌ آخَرُ أَحْمَرُ، **وَلِلْجَالِسِ عَلَيْهِ أُعْطِيَ أَنْ يَنْزِعَ السَّلاَمَ مِنَ الأَرْضِ، وَأَنْ يَقْتُلَ بَعْضُهُمْ**

---

1) رسالة بولس إلى العبرانيين 9 : 22 .

2) رسالة يوحنا الأولى 5 : 5 – 8 .

3) رؤيا يوحنا اللاهوتي 1 : 16 .

بَعْضًا، وَأُعْطِيَ سَيْفًا عَظِيمًا »[1] ، « وَمِنْ فَمِهِ يَخْرُجُ **سَيْفٌ مَاضٍ لِكَيْ يَضْرِبَ بِهِ الأُمَمَ**. وَهُوَ سَيَرْعَاهُمْ بِعَصًا مِنْ حَدِيدٍ، وَهُوَ يَدُوسُ مَعْصَرَةَ خَمْرِ سَخَطِ وَغَضَبِ اللهِ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»[2] ، « **وَالْبَاقُونَ قُتِلُوا بِسَيْفِ الْجَالِسِ عَلَى الْفَرَسِ الْخَارِجِ مِنْ فَمِهِ**، وَجَمِيعُ الطُّيُورِ شَبِعَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ »[3] .

كل هذا وإن وجد له النصارى تفسيرات وتأويلات، فهو لكل مبصرٍ يرمز إلى العنف وزرع الكراهية بين الأمم، والقتال بدعوى حمل (سيف الربّ).

وإن تعجب فإنّ بولس في رسالته إلى العبرانيين يصف ربّه بأنّه (نارٌ آكلة)!: « **لأَنَّ إِلهَنَا نَارٌ آكِلَةٌ** »[4] .

هذه لمحة عن بعض ما ورد في العهد الجديد من نصوص تحثّ على العنف والقتل وسفك الدماء، وهي التي شكّلت – مع غيرها من عوامل – الخلفية الأساسية للحروب الصليبية، التي هي موضع الحديث هنا.

الحماسة الدينية للحروب الصليبية:

تبرز الخلفية الدينية ابتداءً من الاسم الديني الصارخ لهذه الحروب العدوانية الطاحنة، وإن كان بعض المؤرخين يقولون بأنّ تسمية هذه الحروب بالصليبية لم تكن من بدايتها، بل جاءت متأخرة في أواخر القرن الثاني عشر، إلا أنّ الأسماء التي كانت تطلق على هؤلاء الغزاة منذ بداية غزواتهم لا تقل أهمية –في تقدير الباحث– من ناحية مدلولاتها الدينية الواضحة، عن رمز الصليب.

إذ كان هؤلاء يوصفون بألقاب مثل: "الحجاج"، و"رحلة الحج"، و "الرحلة إلى الأرض المقدّسة"، و "مشروع يسوع المسيح"، و "حملة الصليب"[5] .

---

1) رؤيا يوحنا اللاهوتي 6 : 4 .

2) رؤيا يوحنا اللاهوتي 19 : 15 .

3) رؤيا يوحنا اللاهوتي 19 : 21 .

4) رسالة بولس إلى العبرانيين 12 : 29 .

5) انظر: ماهية الحروب الصليبية، قاسم عبده قاسم، (ص 9 – 10) .

وإنّ الباحث ليستغرب من تقليل بعض الكتاب من العرب والمسلمين من أهميّة العامل الديني في الحروب الصليبية، واعتبارهم أنّ الصليب في الفكر النصراني لم يكن يوماً رمزاً للعدوان والحروب! متعللين في ذلك بأنّ وصف الحروب الصليبية بالدينية فيه ظلم لنصارى الشرق الذين عانوا منها، ويُردّ على هؤلاء – بحسب فهم الباحث– **بأنّ فكرة الصليب تحمل عوامل العنف والحروب في ذاتها وبُنيتها، فهي ترمز إلى الصلب والقتل وسفك الدم من أجل الخلاص، ثمّ إنّ التأكيد على البعد الديني والعقائدي لهذه الحروب لا يتعارض مع رفض بعض النصارى الشرقيين لها واعتبارها مشروعاً استعمارياً وعدوانياً**، ثم إنّ رفض هؤلاء لفكرة الحروب الصليبية لا يعفي النصرانية –كديانة منحرفة– من المسئولية عن هذه الحقبة، الأكثر سواداً في تاريخها.

يقول وول ديورانت في مطلع حديثه عن الحروب الصليبية: " كانت الحروب الصليبية هي الفصل الأخير من مسرحية العصور الوسطى؛ ولعلها أجدر الحوادث بالتصوير في تاريخ أوربا والشرق الأدنى، **ففيها عمد الدينان العظيمان– المسيحية والإسلام– آخر الأمر، وبعد قرون من الجدل والنقاش، إلى الفيصل الأخير فيما بين بني الإنسان من نزاع، ونعني به محكمة الحرب العليا**؛ وفيها بلغ كل تطور في العصور الوسطى، وكل توسع في الشؤون التجارية والديانة المسيحية، وكل تحمس في العقيدة الدينية" [1] .

يعطي هذا المؤرخ الأمريكي وصفاً للحروب الصليبية على أنّها حرب بين دينين لها مقدّمات تاريخية، لكنّ الحقيقة – في فهم الباحث– هي أنّ هذه الحروب ما هي إلا عدوان سافر على الأمة الإسلامية تحت شعار الصليب، الذي من المفترض أنّه رمزٌ للتضحية والفداء كما يزعم النصارى، ولا شكّ أنّ المسلمين هبّوا لنصرة دينهم وأرضهم المقدّسة في وجه هذا العدوان.

وكدليل صارخ على هذا التحمّس الديني المشحون بالعصبية، والرغبة العارمة في الحرب على المسلمين، لم تكن الدعوة إلى الحروب الصليبية صادرة عن الزعامة السياسية النصرانية في الغرب فحسب، **بل جاءت هذه الدعوة من رأس الهرم الديني النصراني في أوروبا آنذاك، وهو**

---

1) قصة الحضارة، وول ديورانت، (11/15) .

البابا أوربان الثاني[1] **الذي أعلنها حرباً مقدّسة، في خطاب لرجال الدين وفقراء الناس وعامّتهم، وذلك في أواخر عام 1095م**، في ختام مجمع ديني (مقدّس)، داعياً النصارى إلى هبّة لتخليص (قبر المسيح في أورشليم) من (الكفرة)، لتندلع (حرب الربّ)، ودعاهم إلى الحجّ المقدّس إلى أرض يسوع، لكنّه حجّ مسلّح**!** وقوبلت دعوته بنداءات التأييد والحماس الكبير، **وهتف الناس: الربّ يريد ذلك**[2] .

وكان خطاب أوربان هذا –في فهم الباحث– خطاباً تاريخياً بامتياز، فهو الذي مثّل الشرارة الأولى والسند القانوني والديني للحروب الصليبية، لذا فإنّ نصّ هذا الخطاب يعطي دلالة كبيرة حول ماهية هذه الحرب الطاحنة التي استمرت لقرنين من الزمان.

وهاك شيئاً مما ورد في هذا الخطاب التاريخي: " يا شعب الفرنجة**!** شعب الله المحبوب المختار**!**، لقد جاءت من تخوم فلسطين، ومن مدينة القسطنطينية، أنباء محزنة تعلن أن جنساً لعيناً أبعد ما يكون عن الله، قد طغى وبغى في تلك البلاد، بلاد المسيحيين ... **فليثر همتكم ضريح المسيح المقدس ربنا ومنقذنا، الضريح الذي تمتلكه الآن أمم نجسة، وغيره من الأماكن المقدسة** التي لوثت ودنست ... طهروا قلوبكم إذن من أدران الحقد، واقضوا على ما بينكم من نزاع، واتخذوا طريقكم إلى الضريح المقدس، وانتزعوا هذه الأرض من ذلك الجنس الخبيث، وتملكوها أنتم، **إنّ أورشليم أرض لا نظير لها في ثمارها، هي فردوس المباهج، إنّ المدينة العظمى القائمة في وسط العالم تستغيث بكم أن هبوا لإنقاذها، فقوموا بهذه الرحلة راغبين متحمسين تتخلصوا من ذنوبكم**، وثقوا بأنكم ستنالون من أجل ذلك مجداً لا يفنى في ملكوت السموات "[3] .

---

1) **أوربان الثاني:** ولد باسم "أوتو اللاجيري"، وهو معروف إطلاقه الحملة الصليبية الأولى في التاريخ (1095–1099م)، وهو الذي تولى الكرسي البابوي في إحدى عشرة سنة، وذلك من سنة (480هـ) 1088 إلى سنة (492هـ) 1099م، وكان هو الآخذ لقرار الحروب الصليبية على المشرق الإسلامي، وكان أوربان رجلاً ذكيًّا سياسيًّا لبقًا، وكان خطيبًا مفوّهًا، وكان أيضًا جريئًا حاسمًا، وكان مطلعًا على أحوال العالم المعاصر له **[** موسوعة ويكيبيديا الحرة، **رابط:** wikipedia.org/wiki/أوربانوس_الثاني، بتاريخ: 2013/06/12م– بتصرف **]** .

2) **انظر:** القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث، كارين أرمسترونج، (ص 449، 450) .

3) قصة الحضارة، وول ديورانت، (15/15– 16) .

" وعلت أصوات هذا الجمع الحاشد المتحمس قائلة: « **تلك إرادة الله!** »، وردّد أوربان هذا النداء ودعاهم إلى أن يجعلوه نداءهم في الحرب، وأمر الذاهبين إلى الحرب الصليبية أن يضعوا علامة الصليب على جباههم أو صدورهم، وتقدّم بعض النبلاء من فورهم، وخروا راكعين بين يدي البابا، **ووهبوا أنفسهم وأموالهم لله! وحذا حذوهم آلاف من عامة الشعب، وخرج الرهبان والنسّاك من صوامعهم ليكونوا** « **جنود المسيح** »، بالمعنى الحرفي لهذا اللفظ لا بمعناه المجازي"[1].

جذور دينية سابقة:

وهذا الالتفاف حول دعوات الحروب الصليبية كان له أساسه الديني والفكري، حتى لدى عامة الناس في أوروبا، فقد " **كانت الأفكار التي تدور حول نهاية العالم بعد الألف الأولى من (معاناة المسيح) على الصليب، والأفكار التي تتعلق بالعالم الآخر، أحد ينابيع الفكرة الصليبية،** فقد شاعت في أوروبا قرب نهاية القرن العاشر الميلادي وفي بداية القرن الحادي عشر الميلادي أفكار، وحكايات، وقصص، وأساطير، تتحدث عن قرب نهاية العالم مع اكتمال الألف الأولى بعد المسيح"[2] .

بل لقد شاع عند النصارى في الغرب آنذاك أخبار خرافية تتحدث عن إشارات مقدّسة تتعلق باليوم الآخر، وكان الناس من المتعلّمين والبسطاء على السواء يسلّمون بها ويعتبرونها من الحقائق، كالأخبار عن هجوم الجراد بشكل وبائي، والنجوم التي أمطرتها السماء، وغيرها من الأخبار التي تتعلق باليوم الآخر، مما ورد في سفر الرؤيا[3]، **وهذا ما شكّل حافزاً للرحيل إلى المكان الذي سيشهد قدوم المخلّص، أي أورشليم**[4] .

---

1) قصة الحضارة، وول ديورانت، (15/ 16) .

2) ماهية الحروب الصليبية، قاسم عبده قاسم، (ص 13) .

3) جاء في رؤيا يوحنا اللاهوتي 6 : 13 خبر النجوم المتساقطة، ما نصّه: « **وَنُجُومُ السَّمَاءِ سَقَطَتْ إِلَى الأَرْضِ** كَمَا تَطْرَحُ شَجَرَةُ التِّينِ سُقَاطَهَا إِذَا هَزَّتْهَا رِيحٌ عَظِيمَةٌ» ، وفي ذات الرؤيا 9 : 3، جاء خبر الجراد، ما نصّه: « وَمِنَ الدُّخَانِ **خَرَجَ جَرَادٌ عَلَى الأَرْضِ**، فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا كَمَا لِعَقَارِبِ الأَرْضِ سُلْطَانٌ» .

4) انظر: ماهية الحروب الصليبية، قاسم عبده قاسم، (ص 15) .

كما كان شائعاً في أوروبا وسيلة التخلّص من الذنوب والتكفير عن الخطايا، وذلك بدفع المال للكنيسة، أو بالحجّ إلى فلسطين، وكان الحجّ يستغرق من الناس جهداً ووقتاً ومالاً كثيراً، **لكنّ العاطفة الدينية التي أشاعها الباباوات والقساوسة النصارى في قلوب الجماهير التي تُساق من الكنيسة كالقطعان، جعل هؤلاء يبذلون كل جهد من أجل الحج إلى فلسطين**، فكان هذا الأمر عاملاً إضافياً ومقدمةً لقبول فكرة الحروب الصليبية[1] .

لذلك، ليس غريباً أن ترتبط أوصاف الصليبيين لما تحقق من (انتصار) – من وجهة نظرهم– أن **ترتبط أوصافهم له بما ورّثته الكنيسة من خرافات وأحلام دينية مرتبطة بالاعتقاد في الأرض المقدّسة**، فإنك –مثلاً– تجد الصليبي ريمون تولوز[2]، في تعبيره عن نشوة النصر وتحقيق الأحلام النصرانية، يقول يوم احتلال الصليبيين للقدس: " سيشتهر هذا اليوم في العصور المقبلة كلّها، فقد حوّل جهودنا وأحزاننا إلى فرحٍ وجذل، **إنّ هذا اليوم دليل صدق المسيحية جمعاء، وهو مذلّة للوثنية، وتجديد للعقيدة، إنّه اليوم الذي صنعه الربّ**، فلنبتهج ونفرح من الآن، **لأنّ الربّ قد كشف عن نفسه لشعبه وباركه!** "[3] .

وكما هو واضحٌ، فإنّ في هذا التعبير لتولوز – تماماً كما في خطاب أوربان السابق– اقتباسات من تعبيرات وأفكار اليهود كعبارات: (الشعب المختار المحبوب)، و(الشعب المبارك للرب)، و(أورشليم أرض المباهج) و(الفردوس الأرضي)، وغيرها مما يؤكد عمق تعلّق الصليبيين بالنصّ الديني المقدّس حول أرض فلسطين.

---

1) انظر: ماهية الحروب الصليبية، قاسم عبده قاسم، (ص 16) .

2) ريمون تولوز: عرف لدى المؤرخين العرب في العصور الوسطى باسم ريموند صنجيل، هو دوق إقليم "الناربون" في فرنسا، اشترك في الحملة الصليبية الأولى وشارك في حصار القدس 1099م والاستيلاء عليها، استولى أيضًا على قلعة الحصن الواقعة غرب حمص، وشيد قلعة طرابلس، وقيل إنه عرض عليه تاج مملكة بيت المقدس لكنّه رفض أن "يملك مكانًا عذّب فيه عيسى"، بعد الحملة الصليبية الأولى سافر إلى القسطنطينية وحلّ ضيفاً على إمبراطورها البيزنطي **[** موسوعة ويكيبيديا الحرة، **رابط:** wikipedia.org/wiki/ريمون_تولوز، بتاريخ: 2013/06/12م– بتصرف **]** .

3) القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث، كارين أرمسترونج، (ص 454) .

وقد وصف المؤرّخ هـ.ج ويلز[1] الحروب الصليبية بأنّها: " **ثمار قرون طويلة من الدعوة المسيحية**، وأنّها موجة عظيمة من الحماسة اجتاحت العالم الغربي، **وعند ذلك اكتشفت النصرانية الغربية نفسها لأول مرّة** "[2] .

لذا فإنه – وانسجاماً مع هذا الموروث الثقافي والديني– اندفع الفرسان، والفقراء، والقساوسة، والبسطاء، نحو واجبهم المقدّس الذي رسمه لهم رهبانهم، حتى انطبع في مخيّلتهم، وهو **القتال من أجل أورشليم وإرث المسيح**، فلما انطلقوا تحت هذا الشعار حرقوا الأخضر واليابس في طريقهم، وأعملوا القتل والخراب في كل ما وقع تحت أيديهم، فقد كان نصارى أوروبا معروفين بالقسوة المتحجّرة المطلقة، والتعصب في حماسهم الديني[3] .

النتائج الدموية القاسية:

ولا شكّ أنّ هذا الاندفاع، وهذه الحماسة المجنونة كان لها ثمنٌ باهظٌ، دفعه المسلمون المقدسيون من دمائهم أولاً، بل دفعته الأمة الإسلامية قاطبةً لقرون لاحقة.

فقد وصف مؤرخو النصارى – الذين رافقوا الحملات الصليبية يوم الاستيلاء على القدس– المشهد بأوصاف لا يصدّقها عقلٌ، ونقلوا من صور البشاعة والإجرام ما تشمئزّ منه النفوس، فقد أقدم هؤلاء (الحجاج إلى قبر المسيح) على قتل (كلّ المسلمين) و (كلّ اليهود) في المدينة المقدّسة، ولم يُبقوا نسمةً، واستولوا على كل الأملاك، وكان يكفي الصليبيَّ أن يدخل بيتاً أو قصراً، فيصبح ملكاً له لا ينازعه في امتلاكه صليبي آخر، ويقول أحد الصليبيين ممن شاهد الأمر: " فقد ركب

---

1) هـ.ج ويلز (1866– 1946م): واسمه: هربرت جورج ويلز، أديب و مفكر و صحفي و عالم اجتماع ومؤرخ إنجليزي، يعتبر من مؤسسي أدب الخيال العلمي، وقد اكتسب شهرته بفضل رواياته التي تنتمي لذاك الصنف الأدبي، عند انتهاء الحرب العالمية الأولى نشر عام 1920 موجز تاريخ العالم في مجلدين، ثار جدل كبير في أوروبا حول كتاباته وتنبؤاته بالأحداث، نشر كتابه الأخير عام 1945م، وهو يحمل نظرة متشائمة حول مستقبل البشرية [موسوعة ويكيبيديا الحرة، رابط: wikipedia.org/wiki/هربرت_جورج_ويلز، بتاريخ: 2013/06/12م– بتصرف] .

2) موجز تاريخ العالم، هـ.ج ويلز، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، دار كتب عربية/مصر، ط(بدون)، 1958م، (ص 448) .

3) انظر: القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث، كارين أرمسترونج، (ص 451) .

الرجال على الأقل في المعبد ورواق سليمان، والدماء تصل إلى ركبهم وألجمة خيولهم، **وكان ذلك في الواقع حكماً إلهياً عادلاً رائعاً قضى أن يمتلئ ذلك المكان الذي عانى طويلاً من كُفر الكفرة بدمائهم**"!! [1] .

وإنّ من العجيب أنّ هذا العنف الدموي الأعمى لم يستثنِ بعض النصارى الشرقيين الذين كانوا في القدس يعيشون في رحاب المسلمين في أمن وأمان، فطالهم النهب والسلب والترويع، " إذ استولى الصليبيون على معظم المباني والممتلكات في المدينة المقدّسة، سواءً كانت للمسلمين أو للنصارى المنتمين للكنيسة الشرقية! وحوّلوا قبّة الصخرة إلى كنيسة، واستعملوا المسجد الأقصى لمصالحهم، فأنقصوا من حجمه كثيراً، وقسّموه إلى أقسام، فاتّخذوا قسماً منه كنيسة، وقسماً آخر جعلوه مسكناً لفرسان الهيكل[2]، والباقي استعملوه مستودعاً لذخائرهم، واتّخذوا السراديب التي تحت المسجد مستودعاً لخيولهم" [3] .

ويصف هيلز نهاية المذبحة بقوله: " كان الصليبيون قد شقوا سبيلهم قتالاً إلى كنيسة القبر المقدّس، وتغلبوا على كل مقاومة في المدينة، **وهناك جثوا للصلاة ملطّخين بالدماء، متعبين مكدودين، يبكون من فرط السرور!**"[4] .

ولك أن تتصور أن الرهبان النصارى نظروا لهذه (الحملة الصليبية على بلاد الإسلام) على أنّها " **فعل إلهي يماثل خروج الإسرائيليين من مصر، وأن الفرنجة أصبحوا (شعب الله المختار الجديد)؛ لأنّهم حملوا الرسالة التي أضاعها اليهود**، وادّعى أحد رهبانهم ادّعاءً غريباً يثير الدهشة،

---

1) القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث، كارين أرمسترونج، (ص 453 – 454)- بتصرف .

2) فرسان الهيكل: تنظيم اسمه الحقيقي: " نظام الفقراء فرسان السيد المسيح وهيكل سليمان " قيل أنه تأسس عام 1118م على يد أحد النبلاء من "شمبانيا"، واسمه "هيوغز دو باين"، بعد وصول حملات الصليبيين لأرض الشام بما لا يزيد على عشرين عاماً، وكوّنوا جماعة وظيفية قتالية استيطانية في العالم الإسلامي، وجماعة وظيفية مالية وسيطة في العالم الغربي. ، زعموا بأنّ مهمّتهم الأساسية حماية طرق الحجاج إلى الأرض المقدّسة، وقيل بأنّهم بدؤوا تسعة فرسان فقط واستمروا لنحو تسع سنوات، وذاع صيتهم في أوروبا **[انظر:** موسوعة اليهود، المسيري، (144/6)، **أيضاً:** الدم المقدّس والكأس المقدّسة، ميشيل بيجنت وَ هنري لنكولن وَ ريتشارد لي، (ص83– 85) **]**.

3) تاريخ القدس، عارف باشا العارف، دار المعارف/ القاهرة، ط2، 1951م، (ص 74) .

4) موجز تاريخ العالم، هـ.ج ويلز، (ص 451) .

مفاده أنّ **(غزو الصليبيين لأورشليم يعتبر أهمّ أحداث التاريخ منذ الصّلب)**، وأن أعداء المسيح سرعان ما ستصل إلى أورشليم وتبدأ أحداث القيامة**!** "[1] .

دوافع أخرى:

بالإضافة إلى ما سبق من بيانٍ للدافع الديني والحماسة والتعصب النصراني الذي دفع بالصليبيين في معركة رهيبة وحرب شعواء على بلاد المسلمين، وخاصة على الأرض المقدّسة، فإنه لا يخفى أن هناك دوافع أخرى لهذه الحروب، كالدافع الاقتصادي، والدافع السياسي، والدافع الاجتماعي، وغير ذلك من دوافع وأسباب، ليس هنا محلّ تفصيلها[2] .

والدافع الديني – في فهم الباحث– لا يعني البتّة أنّ الذين خرجوا في هذه الحروب المسعورة هم من المتدينين بالمعنى القويم، بل إنّ أفعالهم منذ بدء حملاتهم من فسق وفجور وانتهاك للمحرمات وسفك للدماء – كما سبق إيضاحه –هو مما يتنافى مع أيّ دين قويم، أو فطرة سويّة، **إنّما المقصود بالباعث الديني هو الحشد الديني الباطل، والخلفية الدينية المشوّهة المبنية على عقيدة باطلة في الأرض المقدّسة.**

خلاصة المطلب:

أولاً: إنّ الحروب الصليبية هي غاية تجسّد الفساد المتأصل في العقيدة النصرانية الموروثة عن صانعي هذه الديانة الوضعية الوثنية (إذ ليست هي ديانة التوحيد التي جاء بها المسيح ﵇)، وهي التطبيق العملي للاعتقاد الباطل في شخص المسيح عيسى ابن مريم ﵇، وهي النتيجة الحتمية للفكر المتطرف؛ الذي ساوى بين الله ﷻ وخلقه، وجعل لله ﷻ مسكناً على الأرض، وجعله إلهاً مصلوباً ومتألّماً، ونازلاً إلى قبرٍ، وعائداً من أكفانه**!!** .

---

1) القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث، كارين أرمسترونج، (ص 454 – 455)– بتصرف .

2) انظر: قصة الحضارة، وول ديورانت، (15/ 19 – 25)، **أيضاً**: ماهية الحروب الصليبية، قاسم عبده قاسم، (ص 47، وما بعدها)، **أيضاً**: قصة الحروب الصليبية، د. راغب السرجاني، مؤسسة اقرأ/القاهرة، ط2، 2009م، (ص 63 – 65).

ثانياً: إنّ الكتاب المقدّس –عند النصارى– بعهديه القديم والجديد، هو كتابٌ يمجّد العنف والسيف والنار والإرهاب، ويدعو إليها، ويأمر بسفك دماء المخالفين، ويصف أنبياء الله ﷺ بعشاق الدم والنار!، وبالتالي فإنّ الحروب الصليبية هي – في جزء لا يستهان به منها– تطبيق عملي عنيف لهذه النصوص المسطورة المقدّسة! .

ثالثاً: إنّ الحروب الصليبية هي من أبشع حوادث التاريخ قاطبةً، في الاستهانة بحياة البشر، وإزهاق الأرواح البريئة، وسفك الدماء الحرام في الأرض الحرام وفي المواقع المقدّسة، وهي من أحلك صفحات التاريخ النصراني سواداً، خاصة فيما يتعلق بأرض فلسطين.

رابعاً: إنّ النصارى – وخاصة نصارى الغرب الكاثوليك – لم يحفظوا الجميل الذي قدّمه الإسلام لهم، بدءً بالعهدة العمرية العظيمة، ومروراً بالتسامح معهم قروناً طويلة في كنف الإسلام وأهله، وصولاً إلى الحرية الدينية الكبيرة، ومنقطعة النظير، التي عاشوها في ظل دولة الإسلام.

خامساً: تعدّ الحروب الصليبية من أبرز وجوه التخلّف الحضاري والديني والإنساني الذي ورّثته الكنيسة النصرانية الغربية، لذا كانت هذه الحروب باكورة سقوط هذه الكنيسة التي أُسّست على أكل أموال الناس بالباطل، والظلم والعدوان، والتسلّط على البشر، وانتحال السلطة الإلهية، واحتكار صفات الربوبية زوراً وبهتاناً ! .

المطلب الثاني:

الصهيونية المسيحية ودورها في تثبيت اليهود في الأرض المقدسة

إنّ النتيجة الأسوأ لعقيدة النصارى في الأرض المقدّسة – فيما اتّضح للباحث– هي تزاوج هذه العقيدة مع عقيدة اليهود، رغم الاختلاف والعداوة بينهما؛ مما أنتج فِرقاً وطوائف نصرانية تدعم اليهود في فلسطين، وتسعى لتثبيت كيانهم، على خلفية دينية وعقائدية.

والسبب الأساس في هذا التماهي بين اليهودية والنصرانية هو " **جنوح بعض المعتقدات النصرانية للدعوة إلى التمسك بالتوراة وحرفيتها، واعتبارها نصوص التوراة جزءاً لا ينفصل عن الإيمان المسيحي، وانحدار بعض الفرق النصرانية إلى حد المبالغة في التهوّد**، حتى أصبح خطابها الديني والسياسي لا يختلف في شيء عن التوجه اليهودي، وحتى إنّها انحازت وتحالفت مع الصهيونية اليهودية " [1] .

ويُطلق على هذه الفِرق في الغالب اسم "**الصهيونية المسيحية**"، أي النصرانية المؤمنة بتوطين اليهود في أرض فلسطين، وهي نزعة ليست جديدة على العالم النصراني، بل هي موجودة منذ قرون عديدة، وخاصة منذ القرن السادس عشر الميلادي، أي بعد ظهور ما سمّي بحركة الإصلاح البروتستانتية، وبعد أن تُرجم الكتاب المقدس –خاصة العهد القديم– إلى اللغات المحلّية في الغرب، **حيث ازداد تأثّر نصارى الغرب بما ورد في العهد القديم من وعود لليهود بأرض كنعان كوطن لهم، وكبقعة ستشهد قدوم المسيح إلى ذلك (الشعب المقدس)**[2] .

---

1) المسيحية المتهوّدة في خدمة الصهيونية العالمية، عيسى اليازجي، الدار الوطنية الجديدة/ دمشق، ط1، 2004م، (ص 101)– بتصرف.

2) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، سعد رستم، (ص 319) .

فبانطلاق (الحركة الإصلاحية) على يد مارتن لوثر من أوروبا، " **أدرك يهود أوروبا أنّهم أمام فرصتهم التاريخية للولوج إلى داخل الفكر المسيحي،** وبقوة تكفل لهم تحقيق مآربهم التي عجزوا عنها طوال مئات السنين بكل السبل"[1] .

" ذلك أنّ لوثر، دعا في بداية حياته إلى دراسة اللغة العبرية، وركّز على دور التوراة في الحياة المسيحية، وقد كان يهدف إلى تحويل اليهود إلى المسيحية، وتحقيق النبوءة التوراتية المتعلقة بإنقاذ اليهود وإقامة دولتهم في فلسطين، وبعد أن يئس لوثر من تنصيرهم، عبّر في المرحلة الأخيرة من حياته عن كره اليهود، وطالب بطردهم، **إلاّ أن دعوته للتخلص منهم كانت بدفعهم إلى أرضهم (يهودا)، وليس إلى أيّ مكان آخر**"[2] .

وبما أنّ البروتستانتية كانت هي نواة هذا الفكر النصراني المتهوّد، فإنّ هجرة البروتستانت من أوروبا إلى الولايات المتّحدة – وهم غالبية المهاجرين– أدّى إلى سيادة كنيستهم وانتشار مذهبهم، **وكان هؤلاء المهاجرون متأثّرين باليهودية تأثّراً مركّباً، لاهوتياً، وتاريخياً، وكتابياً، وسياسياً، حيث أفرز هذا التأثير صيغة تعايش بين البروتستانتية واليهودية بقيت إلى الآن،** وبالذات في الاتّجاهات والتيارات المتطرفة (المسماة بالأصولية)[3] .

وقد ازداد تأثير وفاعلية هذه الطائفة في القرنين الأخيرين، وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، إذ تجمّعت عدة اتّجاهات ومنظّمات بروتستانتية وأعلنت عن نفسها صراحة باسم: "**الصهيونيين المسيحيين**"، وأنشأوا لأنفسهم مركزاً في القدس، وأسموه: "السفارة المسيحية الدولية في أورشليم"[4] .

---

1) ذئاب في ثياب حملان، مختصر قصة الأصولية الأمريكية، إميل أمين، دار المريخ/القاهرة، ط1، 1427هـ/2006م، (ص 39).

2) المسيح اليهودي ونهاية العالم، رضا هلال، (ص 49) .

3) انظر: رسالة في الأصولية البروتستانتية والسياسة الخارجية الأمريكية، سمير مرقس، مكتبة الشروق/القاهرة، ط1، 1422هـ/2001م، (ص 6) .

4) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، سعد رستم، (ص 320) .

"**إنّ هذه العلاقة بين النصرانية البروتستانتية واليهودية أدّت إلى أن يتضمن الاعتقاد البروتستانتي كثيراً من تعاليم اليهود الروحية والعقائدية، ثم الصهيونية لاحقاً**، حيث أصبح هناك ميل بروتستانتي قوي للاعتقاد بأنّ معنى المسيح المنتظر يجب أن ينتظر عودة الدولة اليهودية، وبذلك التقوا مع الحركة الصهيونية في مبادئها"[(1)] .

" وقد بدأت الصهيونية المسيحية تتمتع ببعث جديد بعد إنشاء الدولة الصهيونية، وبدأت الفكرة الاسترجاعية تنتشر بشكل كبير في الأوساط البروتستانتية المتطرفة (الأصولية) في الولايات المتحدة، **والتي تُصر على أن (دولة إسرائيل) هي تحقق النبوءة حرفياً في العصر الحديث وهي بُشرى الألف سنة السعيدة**، أي أن الحلول أو التجسد الذي حدث مرة واحدة وبشكل مؤقت في التاريخ من منظور كاثوليكي، أصبح حلولاً حرفياً ودائماً ومادياً في شكل الدولة الصهيونية وفي أحداث التاريخ الحديث"[(2)] .

" وقد أدّت هذه الاتّجاهات المتهوّدة إلى صياغة قالب ديني بروتستانتي يهودي، قاعدته التوراة، كان من نتيجته الترويج لمصطلحات مثل: التراث المسيحي اليهودي المشترك، والأخلاق المسيحية اليهودية، والالتزام الأدبي الأخلاقي بدعم (إسرائيل) ... **والخطير، أنّ هذا الاتّجاه انتشر في كنائس الطبقة العليا الحاكمة في الولايات المتحدة على مدى أكثر من مائتي عام من عمر أمريكا، الأمر الذي أثّر في صياغة سياستها الخارجية** "[(3)] .

وكانت هذه النزعة الصهيونية المسيحية ستظلّ نزعةً نظريةً أو هامشيةً – في فهم الباحث– لولا أنّها باتت نزعةً متجذرة متأصّلة وفاعلة في واقع الغرب النصراني، وهو الذي يمثّل القوّة المادّية العظمى في عالم اليوم.

---

1) رسالة في الأصولية البروتستانتية، سمير مرقس، (ص 7)– بتصرف .

2) موسوعة اليهود، المسيري، (138/6)– بتصرف .

3) رسالة في الأصولية البروتستانتية، سمير مرقس، (ص 10 – 11)– بتصرف يسير.

" فتجد أنّ الإنجيليين[1] في الولايات المتحدة يبلغون نحو ستين مليوناً، وقد ارتقوا في السنوات الأخيرة إلى مراكز قيادة استراتيجية، تتراوح بين الرئاسة الجمهورية وعضوية الكونجرس[2]، وإدارة الشركات الكبرى، والفرع (الأصولي) من هذه الحركة الإنجيلية الأمريكية يشكل نحو 25% من الإنجيليين، وهو الفرع الأكثر نشاطاً بين أجنحة الحركة، وهو الذي يحتكر التبشير الإذاعي والتلفزيوني، وهو الفرع الأكثر نمواً في العالم النصراني الغربي، **ومن الملاحظ أنّ النزعة (الصهيونية المسيحية) هي الأكثر نشاطاً بين هؤلاء الأصوليين**"[3].

ورغم أنّ البروتستانتية هي المتّهمة بنشأة الصهيونية المسيحية، إلاّ أنّ هناك من ساعد على بقائها وتمدّدها من طوائف النصارى الأخرى المناقضة للبروتستانتية تقليدياً، " فالفاتيكان[4] (الكاثوليكي) أسهم في نموّ هذا التيار؛ من خلال انحرافه عن موقفه التقليدي الرافض اعتبار أسفار التوراة جزءاً من الإيمان المسيحي، وتحوّله إلى اعتبارها كذلك، حيث باتت تتلى في صلاتهم على أنّها (كلام الله) قبل تلاوة (رسائل بولس) و(الإنجيل المقدّس)، بل واتّخاذه مواقف أخرى تعبّر عن

---

1) **الإنجيليين:** طيف واسع من المعتقدات اللاهوتية والكنائس والمنظمات، ويدل لفظ "إنجيلي" في معظم أنحاء أوروبا والشرق الأوسط على الكنائس التاريخية للإصلاح البروتستانتي، أما في شمال أمريكا وجنوبها وإلى حد ما في أفريقيا وآسيا فيختلف المدلول، ففي الغرب يدل هذا المصطلح على حركة داخل المسيحية البروتستانتية تركّز على خبرة الولادة الثانية والكتاب المقدّس باعتباره كلمة الله المعصومة، وتوقع عودة المسيح الوشيكة، وفي أمريكا هناك ثلاث تيارات إنجيلية أساسية وهي: الجناح اليساري والوسط والأصولي **[** الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، سعد رستم، (ص 322- 323)- بتصرف **]** .

2) **الكونجرس:** لفظ مأخوذ من كلمة لاتينية معناها "مؤتمر"، وتُطلق على أيِّة مجموعة من الناس تمثل هيئات أو أقاليم أو دولاً يجتمعون لمناقشة مشكلاتهم، وفي أمريكا تشير كلمة "كونجرس" الهيئة التشريعية العليا في الولايات المتحدة الأمريكية **[** الموسوعة العربية العالمية، www.mawsoah.net، باب الكاف، بتاريخ: 2013/06/13م **]**

3) الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، سعد رستم، (ص 323)- بتصرف .

4) **الفاتيكان:** أصغر دولة مستقلة، وتغطي مدينة الفاتيكان مساحة قدرها أربعة وأربعين هكتارا، لكن نفوذها الروحي يشمل الملايين من النصارى الكاثوليك في جميع أنحاء العالم، ولفظة الفاتيكان هي الاسم الذي يطلق على المدينة والدولة على حدّ سواء، وكثيرا ما تستخدم للإشارة إلى البابا أو حكومة الفاتيكان، تقع على تل الفاتيكان في شمال غربي روما، على مقربة من غربي نهر التيبر **[** ملحق مجلة البحوث الإسلامية، التعريف بالأمكنة (267/81) **]** .

مدى النفوذ اليهودي المتعاظم في أروقة الفاتيكان وبين رجالاته البارزين، لعلّ أهمّها وأشدّها خطورةً (الإعلان البابوي) القاضي **بتبرئة اليهود من (صلب المسيح)!** " [1] .

رواد الصهيونية المسيحية:

لقد كان السبب الرئيس في وصول الصهيونية المسيحية إلى حالة من القوة والتأثير والدعم لليهود، هو وصول هذه النزعة – كما سلف– إلى الفئة الحاكمة وأصحاب القرار، وسيذكر الباحث فيما يلي من سطور، بعض النماذج المهمّة من رواد ومنظّري الصهيونية المسيحية، والنماذج كثيرة ولا تستوعبها صفحات هذا البحث، لكنّها إشارات إلى شخصيات كان لها ثقل خاص في الصهيونية المسيحية المبشِّرة بفلسطين لليهود.

" كان من أهمّ الشخصيات الأمريكية التي روّجت على نطاق واسع للصيغة السياسية من الصهيونية المسيحية، **ويليام بلاكستون**[2]، مؤلف كتاب "المسيح آت" عام 1878م، الذي نظّم أولى مساعي اللوبي الأمريكي المؤيد لإنشاء دولة يهودية بفلسطين، فقبل ستة أعوام من المؤتمر الصهيوني العالمي الذي عقده هرتزل، أطلق بلاكستون حملة مكثفة لحشد التأييد من أعضاء بمجلس الشيوخ الأمريكي وكافة المؤسسات السيادية في أمريكا وصولاً إلى حثّ الرئيس الأمريكي على تأييد هذا التوجّه" [3] .

---

1) المسيحية المتهودة في خدمة الصهيونية العالمية، عيسى اليازجي، (ص 101) .

2) ويليام بلاكستون (1841–1935م): صهيوني غير يهودي، يستخدم ديباجات مسيحية وعلمانية، وهو رجل أعمال أمريكي من شيكاغو، أنفق الملايين على التبشير، وتزَّعم حملة لعودة اليهود إلى فلسطين تمهيداً لعودة السيد المسيح وبداية العهد الألفي الذهبي، وكان لكتابه "يسوع قادم" (1878م) أثر كبير في الأوساط الشعبية البروتستانتية الأمريكية الإنجيلية، وكان من أكثر الكتب رواجاً إذ بيع منه أكثر من مليون نسخة وترجم إلى 84 لغة منها العبرية، وكان عدد الزعماء المسيحيين الذين أثار الكتاب انتباههم يفوق عدد من أثَّر فيهم أي كتاب آخر نُشر طوال عشرات السنين، وتعود أهمية بلاكستون إلى أنه نقل الصهيونية ذات الديباجة المسيحية من عالم التبشير والعقيدة إلى عالم الممارسة السياسية [موسوعة اليهود، المسيري، (168/6)] .

3) الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، سعد رستم، (ص 333)– بتصرف .

كما كان القس البريطاني **ويليام هشلر**[1] من أشد الضالعين في هذا الفكر الصهيوني المسيحي، إذ وصف هشلر كتاب هرتزل (دولة اليهود) قائلاً: "**إنّه أول محاولة عملية وموضوعية وجادة لتعليم اليهود كيف يتحدون من جديد لتكوين أمة في أرض الميعاد التي وعدهم الإله بها،** وكان هشلر مولعاً بالحسابات الرامية إلى تحديد نهاية العالم وبداية العهد الذهبي الألفي وتحوُّل اليهود إلى المسيحية، وقد ضمَّن هذه الحسابات كتابه: (استرجاع اليهود لفلسطين حسب تعاليم الأنبياء) عام 1884م، وقد كتب حول استنتاجاته النهائية والحاسمة عن الخلاص الأبدي الوشيك، وأكد اقتناعه بأن الصهيونية هي الحل النهائي للوصول إلى الخلاص"[2] .

" كما كان " **آرثر بلفور**" **صاحب الوعد المشئوم** المشهور، صهيونياً مسيحياً، وكان يؤمن بعودة المسيح إلى الأرض ليحكم العالم ألف سنة، ومال إلى الدعوة الصهيونية على أساس عقائدي"[3].

وكان بلفور –مع صهيونيته– يؤمن بالعامل الديني في خدمة السياسة، **كما أعلن عن أهمية مؤسسات التنصير في خدمة أهداف السياسة**[4]، **وكان من أهداف وعد بلفور بعث الآمال الصهيونية، وتعزيز الأطماع الاستعمارية، وتشكيك المسلمين في جدوى قرآنهم، لغة وعقيدةً وشريعة**[5] .

---

1) ويليام هشلر(1845- 1931م): صهيوني مسيحي وُلد في الهند، حيث كان أبوه يعمل مبشراً مسيحياً إنجيلياً، عمل عام 1871م مبشراً في نيجيريا، ثم عمل عام 1874م معلماً لأطفال فريدريك دوق بادن الأعظم عم القيصر فيلهلم الثاني قيصر ألمانيا، اشترك هشلر عام 1882م في اجتماع عقده بعض المسيحيين المرموقين لمناقشة إمكانية توطين المهاجرين من يهود اليديشية في فلسطين، ثم ارتحل إلى القسطنطينية حاملاً رسالة إلى السلطان العثماني من الملكة فيكتوريا تطلب فيها السماح بتوطين يهود روسيا في الأراضي المقدَّسة **[** موسوعة اليهود، المسيري، (6/ 168) **]** .

2) موسوعة اليهود، المسيري، (6/ 168)– بتصرف.

3) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، سعد رستم، (ص 331) .

4) مجلة البحوث الإسلامية، (300/22)– بتصرف .

5) انظر: المصدر السابق، (469/2) .

وهذا الأمر – في تقدير الباحث– يعطي دلالة على خطورة التحوّل الذي طرأ على الفكر النصراني الغربي، إذ تبدّلت النصرانية –بفعلٍ يهودي– من ألدّ أعداء اليهودية إلى الحاضن لأفكار اليهود والصهيونية، خاصة في الغرب النصراني البروتستانتي.

الألفية السعيدة و معركة هرمجدّون[1]:

تحدّث سفر رؤيا يوحنا في العهد الجديد عن غضب الربّ القادم، وساق كاتب السفر في الرؤيا المذكورة مشاهد مرعبة لسبعة ملائكة صبّوا جام غضبهم على أهل الأرض، واحداً تلو الآخر[2]، وجاء في أواخر هذا المشهد: « **فَجَمَعَهُمْ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يُدْعَى بِالْعِبْرَانِيَّةِ هَرْمَجَدُّونَ،** ثُمَّ سَكَبَ الْمَلاَكُ السَّابِعُ جَامَهُ عَلَى الْهَوَاءِ، فَخَرَجَ صَوْتٌ عَظِيمٌ مِنْ هَيْكَلِ السَّمَاءِ مِنَ الْعَرْشِ قَائِلاً: قَدْ تَمَّ!، فَحَدَثَتْ أَصْوَاتٌ وَرُعُودٌ وَبُرُوقٌ، وَحَدَثَتْ زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ، لَمْ يَحْدُثْ مِثْلُهَا مُنْذُ صَارَ النَّاسُ عَلَى الأَرْضِ، زَلْزَلَةٌ بِمِقْدَارِهَا عَظِيمَةٌ هكَذَا »[3] .

وقد بلغ التطرف والهوس عند بعض الأصوليين الإنجيليين – الذين تمثّل الصهيونية المسيحية أحد أوجههم– ذروته عندما خاضوا في تأويل هذه النبوءة المزعومة المذكورة في العهد الجديد، "وتشير الدراسات إلى أنّ أعداداً متزايدة من المسيحيين يتعلّقون بنظرية "هرمَجدّون"، ويعتقدون أنّ المسيح وعد المسيحيين بسماء جديدة وأرض جديدة، **وبما أن الأمر كذلك، فعليهم أن لا يقلقوا على مصير الأرض، فليذهب العالم كلّه إلى الجحيم! ليحقق المسيح للقلة المختارة سماءً وأرضاً جديدتين**"! [4] .

وقد أُجريت دراسةٌ عام 1985م أظهرت أنّ **61 مليون أمريكي،** يستمعون بانتظام إلى (مبشّرين) يقولون لهم بحتمية حدوث معركة هرمجدّون، وذلك كلّه يبثّ بانتظام عبر **1400 محطة**

---

1) هرمجدون = "**آرمجدون**": كلمة مكونة من كلمتين: «هار» بمعنى «تل»، و«مجدو» اسم مدينة في فلسطين «مجيدو»، والتي تقع بالقرب منها عدة جبال ذات أهمية استراتيجية، وهو ما جعل المدينة حلبة لكثير من المعارك العسكرية في العالم القديم **[** موسوعة اليهود، المسيري، (143/6) **]** .

2) انظر: رؤيا يوحنا اللاهوتي، الإصحاح 16 .

3) رؤيا يوحنا اللاهوتي 16 : 16 – 18 .

4) النبوءة والسياسة، جريس هالسل، (ص 20)– بتصرف يسير.

دينية في أمريكا، كما أنّ **80 ألف** قسيس إنجيلي يذيعون يومياً من خلال **400 محطة** راديو، أغلبهم من أصحاب هذه النظرية**!**[1] .

ويعتمد هؤلاء المفسرون للنبوءات المقدّسة – إضافة لعقيدة "هرمجدّون"– على ما ورد من ذكرٍ للألف عام التي سيحكم فيها مسيح آخر الزمان الأرض مع أنصاره، والتي وردت في سفر يوحنا اللاهوتي أيضاً، وجاء فيها: « وَرَأَيْتُ عُرُوشًا فَجَلَسُوا عَلَيْهَا، وَأُعْطُوا حُكْمًا. وَرَأَيْتُ نُفُوسَ الَّذِينَ قُتِلُوا مِنْ أَجْلِ شَهَادَةِ يَسُوعَ وَمِنْ أَجْلِ كَلِمَةِ اللهِ ... **فَعَاشُوا وَمَلَكُوا مَعَ الْمَسِيحِ أَلْفَ سَنَةٍ**، وَأَمَّا بَقِيَّةُ الأَمْوَاتِ فَلَمْ تَعِشْ **حَتَّى تَتِمَّ الأَلْفُ السَّنَةِ**، هذِهِ هِيَ الْقِيَامَةُ الأُولَى، مُبَارَكٌ وَمُقَدَّسٌ مَنْ لَهُ نَصِيبٌ فِي الْقِيَامَةِ الأُولَى، هؤُلاَءِ لَيْسَ لِلْمَوْتِ الثَّانِي سُلْطَانٌ عَلَيْهِمْ، بَلْ سَيَكُونُونَ كَهَنَةً للهِ وَالْمَسِيحِ، **وَسَيَمْلِكُونَ مَعَهُ أَلْفَ سَنَةٍ**»[2] .

فما هي هذه (الألفية السعيدة) المزعومة التي تتجسد فيها هذه المعركة الوجودية على ظهر الأرض في آخر الزمان؟

هنا تقفز من جديد اليهودية وتأثيرها في هذه الفكرة، " **فالعقيدة الألفية تعود جذورها إلى اليهودية، ولكنها أصبحت فكرة مركزية في المسيحية البروتستانتية، إذ يؤمن كثير من المسيحيين البروتستانت بأنه حينما يعود المسيح المخلّص (أو الماشيَّح حسب الرؤية اليهودية) (الذي يُشار إليه فيها بالملك الألفي)، سيحكم العالم (باعتباره الملك المقدَّس)**، هو والقديسون لمدة ألف عام، يشار إليها أحياناً باسم «أيام الماشيَّح» أو «أيام المسيح»، وهي فترة سيسود فيها السلام والعدل في عالم التاريخ والطبيعة وفي مجتمع الإنسان والحيوان"[3] .

" إذاً، فالمسيحيون الصهيونيون يرون بأنّ (المسيح) سيأتي ليؤسس (المملكة الألفية)، وستسبق مجيئه اضطرابات كثيرة في شكل حروب (في الأرض المقدسة)، وتلي هذه الاضطرابات

1) انظر: النبوءة والسياسة، جريس هالسل، (ص 23، 26) .
2) رؤيا يوحنا اللاهوتي 20 : 4 – 6 .
3) موسوعة اليهود، المسيري، (6/ 139) .

معركة "هرمجدّون" – التي هي معركة آخر الزمان بين الخير والشر بزعمهم–، **ويلمّحون بشكل واضح إلى أنّ هذه المعركة ماهي إلاّ حرب ذرّية!** "[1] .

يرى معتنقو هذه العقيدة أنّ هذه الأحداث – أي الحروب المدمّرة– " ستكون خاتمةً للعصر القائم، وتمهيداً ضروري للمجيء الثاني ليسوع المسيح، **وقبل أن يصل الجنس البشري إلى مرحلة التدمير الذاتي، سيعود (يسوع) بجيش من القدّيسين ليدمّر قوى المسيح الدجّال – عدو الله الأكبر– في معركة هرمجدّون،** وسينتهي الاضطراب ببزوغ فجر السنوات الألف، وهي حقبة من ألف سنة من السلام تحكمها (نخبة روحانية) من (المسيحيين المتجدّدين) " [2] .

وبناءً على هذا الفهم، فإنّ هؤلاء الإنجيليين الذين يؤمنون بالتنبؤات المقدّسة، ينصهرون مع الاغتصاب اليهودي لأرض فلسطين، فيؤمنون –مثلاً– بأنّ على اليهود– وفقاً للتنبؤات– أن يزيلوا المسجد الأقصى ليبنوا الهيكل على أنقاضه، لذا فمنهم من يعتبر الصهاينة الذين خطّطوا لنسف المسجد الأقصى أبطالاً، بل وأمدّهم بالمال بسخاء! [3] .

ليس هذا فحسب، بل إنّ معتنقي هذه المعتقدات من النصارى، قد فاقوا حتى اليهود في بيان أفضلية الجنس اليهودي، فهم يعتقدون أنّ معركة آخر الزمان سيدمّر الربّ فيها ثلثي العالم –بما فيهم جزء كبير من يهود العالم–، ويبيد معظم شعوب المعمورة بلا رحمة، كلّ هذا يفعله الربّ من أجل شعبه القديم، أي اليهود بزعمهم، لأنّه يريد من شعبه أن ينحني أمام ابنه المسيح، **ومن أجل ذلك سيدمّر ثلثي شعب اليهود من أجل نجاة الباقين وتخليص (أرض إسرائيل)!** [4] .

إنّ هذه العقيدة –مع تناقضها– فإنّها منافية لكل منطق ودين، **فهل يُعقل أنّ يدمّر الله ﷻ البشرية ويمحو الحياة من على وجه الرض من أجل بعض شعبٍ! ثم إذا كان هذا الإله هدفه الدمار والقتل والفتك بالبشرية،** فمن أولئك الذين سيحكمهم المسيح المزعوم ألف عام من السلام

---

1) الحرب بين الكنائس الأمريكية والعربية (تقرير مجلس كنائس الشرق الأوسط عن الحركات الإنجيلية الغربية الجديدة حيال الشرق الأوسط)، دار الوحدة/ بيروت، ط1، 1988م، (ص 9)– بتصرف .

2) المصدر السابق، (ص 18) .

3) انظر: النبوءة والسياسة، جريس هالسل، (ص 21) .

4) انظر: المصدر السابق، (ص 35).

والأمن؟ هل سيحكم نفسه وقديسيه، فما الحكمة من هذا الحكم المبتور؟! إنّها عقيدة تعبّر عن تصوّر يهودي عنصري مقيت، يؤمن بالأفضلية على كل الأجناس.

"**والملفت للنظر أنّ كثيراً من الباحثين في نصوص النبوءات التوراتية والإنجيلية هم ممن يشغلون مراكز حساسة في السلك السياسي والعسكري والديني**، ولا يُعقل أن لا تتأثر القرارات السياسية والعسكرية لهؤلاء بما يحملونه من أفكار ومعتقدات"(1) .

ومن أهمّ الشخصيات القيادية السياسية النصرانية التي اعتنقت هذه الرؤية هو " الرئيس الأمريكي رونالد ريغان(2)، **الذي يرى بعض اللاهوتيين بأنّه تقبّل هذه العقيدة، لأنّها تمدّه بالجانب اللاهوتي لقناعاته الاستراتيجية، التي تؤكّد أنّه يمكن كسب حرب ذرّية**" (3) .

وعندما كان ريغان مرشحاً للرئاسة الأمريكية عام 1980م واصل حديثه عن هرمجدّون قائلاً في مقابلاته وتصريحاته: " قد نكون من الجيل الذي سيشهد هرمجدّون"، و "إنّ نهاية العالم قد تكون بيدنا" و "(إسرائيل) هي الديمقراطية الثابتة والوحيدة التي يمكن أن نعتمد عليها كموقع لحدوث هرمجدون" و "إنّ تدمير العالم قد يحدث سريعاً جداً، وإنّ التاريخ سيصل إلى ذروته" و "بين دفّتي الكتاب المقدّس توجد جميع الإجابات على المشاكل التي تواجهنا اليوم"، وغيرها من العبارات، التي تدلّ على شدة حماسته لنظرية هرمجدّون! (4) .

إنّ من الخطورة البالغة أن تصل القناعات بهذه الأفكار الظلامية السوداء إلى سدة الحكم في أكبر دولة في العالم، خاصةً تلك الدولة التي تدّعي سهرها على رعاية حقوق الإنسان، والحفاظ على السِلم العالمي.

---

1) هرمجدون ونهاية أمريكا وإسرائيل، منصور عبد الحكيم وَ الحسيني الحسيني معدي، (ص 32) .
2) رونالد ريغان (1911– 2004م): الرئيس الأربعين للولايات المتحدة الأمريكية من عام 1981م إلى 1989م، وقبلها كان الحاكم رقم 33 على ولاية كاليفورنيا من عام 1967 إلى عام 1975م، كان يعمل بمجال التمثيل قبل أن يدخل المجال السياسي الذي بدأه في بداية الخمسينيات، عند وفاته كان مصاب بالزهايمر، بلغ عمره عند وفاته أكثر من 93 سنة، بالإضافة إلى أن عمره كان حين انتخابه نحو 70 سنة **[** موسوعة ويكيبيديا الحرة، **رابط:** wikipedia.org/wiki/رونالد_ريغان، بتاريخ: 2013/06/16م– بتصرف **]** .
3) الحرب بين الكنائس الأمريكية والعربية، مجلس كنائس الشرق الأوسط، (ص 19) .
4) انظر: النبوءة والسياسة، جريس هالسل، (ص 49 – 51) .

منظمات مسيحية صهيونية:

هذه العقيدة انطلقت من الكنيسة البروتستانتية الغربية، ووجدت طريقها إلى نصارى العالم، وأنشأ معتنقوها منظمات وجماعات تدعم هذه الأفكار وتسعى لنشرها وتحشد لها مادياً ومعنوياً، **وكان من أبرز المنظمات التي اعتنقت الفكر (المسيحي الصهيوني) ما يلي:**

1. **جمعية فرسان الهيكل:**

"وهي جمعية استيطانية صهيونية مسيحية، تعود جذورها إلى القرن السابع عشر ... وقد أُعيد تنظيمها عام 1861م تحت اسم (جماعة الهيكل الألمانية) وكان شعارها: (من أجل تجديد الحياة الدينية والاجتماعية لشعب الإله)، وكان من الطبيعي أن تتم عملية التجديد هذه من خلال صيغة صهيونية واضحة، وهي: خروج الشعب المختار، أو البقية الصالحة، من أرض السبي والمنفى (أوربا التي تسودها الآثام الأخلاقية والبطالة)، ودخول أرض الميعاد أو صهيون (استعمار فلسطين)، وقيام مجتمع مثالي (صهيوني) "[1] .

2. **حركة المورمون:**

" حركة دينية اسمها الحقيقي: (كنيسة المسيح عيسى، قديس آخر الأيام)، نشأت في عشرينيات القرن التاسع عشر، زعم زعيم الحركة بأنّه تَلقَّى وحياً من الرب من خلال ملاك يُدعَى (موروني)– ومن هنا التسمية التي اشتهروا بها– بألاّ ينضم لأيٍّ من الكنائس القائمة، لأنها كلّها خاطئة، **ثم تَلقَّى وحياً آخر بأن الربّ اختاره، ليكون أداته؛ لاستعادة الكنيسة الحقيقية أو الصحيحة**، فقد هداه الملاك إلى أن يذهب إلى مكانٍ، حيث عثر على صحائف ذهبية، فترجمها، ونشرها عام 1830م، تحت عنوان (كتاب المورمون)" [2] .

" وقد لعب المورمون في الولايات المتحدة دوراً مهماً في التبشير بالعقائد الصهيونية، وبأفكار عودة اليهود، وتجميعهم في فلسطين ... ومع صدور وعد بلفور، **أعرب المورمون عن فرحهم**

---

1) موسوعة اليهود، المسيري، (6/ 144 – 145)– بتصرف .

2) المصدر السابق، (6/ 147)– بتصرف .

الشديد لتحقيق الوعد وجَمْع شمل اليهود في فلسطين، وذلك لتحقيق ملكوت السموات، وقد سافر اثنان من قادة المورمون إلى فلسطين بمناسبة الذكرى الرابعة لصدور وعد بلفور، وعبَّرا عن دهشتهما مما شاهداه من مظاهر الرفض المسيحي والإسلامي لحركة الاستيطان اليهودي، كما أعلنا أن الأمريكيين يحبذون عودة اليهود لفلسطين لأنهم مسيحيون مخلصون**!** " [1] .

3. جماعة "شهود يهوه":

" جماعة دينية مسيحية بروتستانتية نشأت في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1872م، يؤمن أتباعها بعدد من (الأفكار الماشيحانية) الصهيونية، ويعود اسم الجماعة الشائع إلى إيمانها بأن اسم الإله الحقيقي هو (يهوه)، وأنّ الاسم الحقيقي للمسيحيين هو (شهود)، وفي عام 1879م، قامت الجماعة بتأسيس مجلة (برج صهيون وبشير مجيئ المسيح) الشهرية، التي ازداد توزيعها بمرور الوقت، **وترى جماعة شهود يهوه أنه يوجد 144 ألف من المؤمنين عميقي الإيمان عبر التاريخ سيولدون كأبناء الإله الروحانيين، وسيشاركون في حكم العالم مع المسيح!،** ومملكة المسيح ليست مفارقة للأرض، فالمملكة الألفية ستؤسَّس هنا، وهي مملكة كلّ ما فيها مثالي، إذ ستمتلئ الدنيا عدلاً بعد أن امتلأت جوراً " [2] .

4. منظمة المائدة المستديرة:

" وهي منظمة دينية أسسها عام 1979م عدد من القيادات النصرانية الأصولية والسياسية، وهدف هذه المنظمة هو تنظيم لقاءات بين القيادات السياسية والقيادات الأصولية والإنجيلية بشكل عام، وإعداد الندوات لتعليم المتدينين السياسة، ومن أبرز نشاطاتها: **حفلات الإفطار السنوية التي تقيمها للصلاة من أجل (إسرائيل) ودعم سياساتها وأغراضها، ودرجت على إصدار بيان بعد الصلاة تبارك فيه (إسرائيل) باسم 50 مليون مسيحي يؤمنون بالتوراة في الولايات المتحدة** "[3].

---

1) موسوعة اليهود، المسيري، (6/ 149)- بتصرف .

2) المصدر السابق، (6/ 150) .

3) الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، سعد رستم، (ص 347)- بتصرف يسير .

5. مؤتمر القيادة المسيحية- الصهيونية الدولية:

" وقد نظمته المجموعة المعروفة باسم: (السفارة المسيحية الدولية في القدس) عام 1985م، في سويسرا، وجمعت له نحو 500 مشترك، وقال منظمو المؤتمر بأنّه عُقد " **استجابة في المقام الأول لمعجزة إعادة الله شعبه إلى أرضهم**" ، وقالوا أيضاً: " **إنّ غرضنا هو تفحّص الجذور التاريخية والأساس التوراتي للموقف المسيحي حيال (إسرائيل)**"، وتضمّن البيان الختامي تأييداً بلا تحفظ للكيان الصهيوني، وأُرفق بتحذيرات لأي شخصٍ أو مجموعة لا تشاطر المؤتمرين رأيهم"[1] .

6. مؤسسة جبل المعبد:

" **وهي منظمة صهيونية مسيحية لها امتدادها داخل الكيان الصهيوني، وتركز هدفها على إنشاء المعبد في القدس،** وقد تفرّع عنها عدة لجان ومعاهد ومنظمات لخدمة أغراضها، ويشكل بناء المعبد اليهودي عند هذه المنظمة واحدة من آخر الإشارات التي تسبق العودة الثانية للمسيح"[2].

7. المصرف المسيحي الأمريكي لدعم (إسرائيل) :

" **وهو من المنظمات المسيحية الأمريكية التي تكرّس نفسها لخدمة الكيان الصهيوني، وسياساته التهويدية والتوسعية،** وخاصة في شراء الأراضي العربية، أو السيطرة عليها وحيازتها لأغراض بناء المستوطنات اليهودية في الضفة الغربية"[3] .

هذا بعضٌ من المنظمات والجمعيات الناشطة، وإلا فإنّ جماعات الضغط ومنظمات الصهيونية المسيحية في الغرب – وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية- لا يمكن أن تقع تحت حصر، فمنها المجموعات الصغيرة، ومنها الجماعات التي تكتفي بالفعاليات والأنشطة التضامنية مع الكيان الصهيوني، ومنها ما يتخصص في كتابة الرسائل إلى الإعلام المحلي وأصحاب الرأي والسياسيين ورؤساء المحلّيات، ومنها ما يكرّس نفسه لعرض الأفلام وطباعة المجلات والمنشورات

---

1) الحرب بين الكنائس الأمريكية والعربية، مجلس كنائس الشرق الأوسط، (ص 12 – 13) بتصرف يسير.
2) الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، سعد رستم، (ص 349 – 350)- بتصرف يسير.
3) المصدر السابق، (ص 357) .

وإلقاء المحاضرات، ومنها ما يقوم بتسيير التظاهرات والمسيرات المؤيدة لليهود في فلسطين، وهكذا[1] .

يلاحظ مما سبق أنّ هذه الجمعيات والمنظمات والمصارف – وغيرها الكثير– تعمل على مدار الأيام والساعات على توفير كلّ دعمٍ ممكن للكيان الصهيوني الجاثم على أرض فلسطين، باسم الدّين والتوراة والإنجيل والمسيح، وتستخدم نفوذها السياسي والمالي والمعنوي من أجل خدمة هذا المشروع الصهيوني.

خلاصة المطلب:

أولاً: أفرزت مصادر النصرانية، وخاصة الكتاب المقدّس بعهديه، طوائف وجماعات نصرانية في الغرب، استدرجها اليهود إلى الإيمان بحرفية العهد القديم والجديد، وبالتالي الوقوع في شراك اليهود، وتقرير أفضليتهم كجنس وكشعب مختار، وتخصيصهم بملك أرض فلسطين، كعلامة على قدوم المسيح المخلّص المزعوم.

ثانياً: رفعت البروتستانتية النصرانية شعار الإصلاح، لكنها زادت الدين النصراني المحرّف فساداً فوق فساده العقائدي، وأضفت عليه مظاهر يهودية، خاصةً فيما تفرع عنها من طوائف، كالإنجيليين الأصوليين، والصهيونيين المسيحيين، وغيرهم.

ثالثاً: عملت الصهيونية المسيحية في الغرب على خدمة الكيان الصهيوني وتثبيت وجود اليهود في فلسطين، واستطاع اليهود الاعتماد على هذا القطاع الأهمّ من الصهاينة غير اليهود، وأصبح سوادٌ كبير من نصارى العالم يعملون تلقائياً لصالح المشروع اليهودي الصهيوني على أرض فلسطين، بصبغته الدينية الواضحة.

---

1) انظر: الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، سعد رستم، (ص 360) .

رابعاً: اعتنق الإنجيليون الأصوليون، والصهاينة النصارى مذهب الألفية السعيدة في آخر الزمان، ومعركة هرمجدون الفاصلة، التي تعبّر عن مستوى متدنٍ من العنصرية والتطرف الديني، والتي تنحرف بملايين البشر إلى خرافاتٍ وأساطير هي أبعد ما تكون عن الدين القويم، بل تتعارض مع ما ألفته العقول والفطر السويّة من رحمة الإله الخالق ﷻ بعباده، وعدله وحكمته.

خامساً: وصل الإيمان بنظرية هرمجدون إلى مستوى القيادات السياسية والدينية في الغرب النصراني، وكثيرٌ من هؤلاء باتوا يؤمنون بالنبوءات الواردة في الكتاب المقدّس، ويبنون عليها مواقفهم وقيمهم وسياساتهم، وعقيدة كهذه تؤثر على معتنقيها بلا شك في قراراتهم واتّجاهاتهم السياسية والعسكرية والفكرية.

سادساً: إنّ معتقدات وأفكار ما عُرف بالصهيونية المسيحية زادت النصرانية انقساماً، خاصة بين نصارى الشرق والغرب، وأدخلت المعتقدات النصرانية فيما يتعلق بأرض فلسطين في أتون صراع شرقي غربي نصراني، لكنّ الأساس الديني المعلول لهذه العقائد هو محلّ النظر، إذ لا سبيل للفصل في هذه المنازعات النصرانية سوى بإبطال العمل بالكتاب المحرّف الذي هو منشأ هذه الأفكار بما يحتويه من زيف وبطلان وتحريف.

المطلب الثالث:

مظاهر الدعم الغربي (النصراني) المعاصر لليهود في الأرض المقدّسة

إنّ اليهود –في فهم الباحث– وجدوا ضالّتهم في العقيدة النصرانية الغربية الجديدة، واكتسبوا – بسبب هذا الفهم الغريب لأحداث نهاية الزمان في الأرض المقدّسة– اكتسبوا عامل دعمٍ وإسناد لهم في كيانهم المغتصِب لأرض فلسطين من الغرب النصراني في كل المجالات، وخاصة من رأس القوة العالمية في الغرب، الولايات المتحدة.

ولا يخفى على أحدٍ حجم الدعم الهائل – وغير المنطقي – الذي يحظى به الكيان الصهيوني من هذا الغرب، **وما لذلك من تفسير سوى الانسجام الفكري العقائدي بين يهود اليوم وبين النصرانية الحاكمة في الغرب، والتي جسّدت الحروب الصليبية من خلال صورٍ جديدة.**

ومن أهمّ مظاهر الدعم الغربي (النصراني) لليهود في فلسطين في العصر الحديث – فيما اتضح للباحث– ما يلي:

أولاً: **الدعم العسكري**:

بدأت قصّة الدعم الغربي العسكري لليهود منذ ما قبل احتلال فلسطين عام 1948م، فقد كان الضباط البريطانيون يقدّمون المساعدة للمنظمات العسكرية اليهودية على أرض فلسطين، من حيث تقديم الأسلحة اللازمة لهم، وتدريبهم، في مقابل التضييق على العرب في التسلّح من أجل مواجهة هذه المنظمات(1) .

وتاريخ القوات البريطانية في فلسطين **حافل بقصص الضباط البريطانيين، أصحاب العقيدة البروتستانتية الصارمة، الذين كانوا يقدّمون الدعم العسكري على خلفية عقائدية، ويعتبرون أنفسهم جنوداً في سبيل تحقيق أحلام اليهود التوراتية، ويعدّون أنفسهم في مهام مقدّسة،** وهؤلاء

---

1) انظر: الصليبيون الجدد الحملة الثامنة .. دراسة في أسباب التحيز الأمريكي والبريطاني (لإسرائيل)، يوسف العاصي الطويل، مكتبة مدبولي/القاهرة، ط1، 1997م، (ص 57) .

الضباط ساعدوا بشكل فعّال في تشكيل الجيش اليهودي في فلسطين، كما ساهموا في محاربة الثوار الفلسطينيين[1] .

كما لا يخفى أنّ من أهم أسباب سيطرة اليهود على فلسطين في حرب عام 1948م هو **الدعم العسكري الأمريكي والبريطاني السرّي لليهود أثناء فترة الهدنة**، أواخر مايو من ذلك العام، إذ لم يلتزم اليهود – بتشجيع من هذا الدعم العسكري– بشرط عدم التسلّح خلال الهدنة، فحصلوا على عتاد ضخم وأسلحة كثيرة خلال فترة الهدنة، مما قلب موازين القوى في هذه الحرب[2] .

ومنذ ذلك التاريخ تدفقت المساعدات العسكرية الغربية – والأمريكية خاصة– على الدولة اليهودية، ولا زالت حتى يومنا الحاضر.

وكمعطيات حديثة في السنوات القليلة الماضية، تجد –مثلاً– أنّ " الولايات المتحدة سمحت بين عامي 2007–2009م فقط **بتصدير ما يزيد على (47 مليون) طلقة من الذخيرة إلى الكيان الصهيوني، وهذا الرصاص يكفي لجرح أو قتل عشرة أضعاف جميع الفلسطينيين الواقعين تحت الاحتلال**، كما أن أمريكا قد نقلت إلى الدولة العبرية حوالي (**500** نوع مختلف من الأسلحة) أثناء العقد الماضي، وعليه أصبح من غير المتوقع أن يقوم الجيش الصهيوني بأي عمل دون استخدام الأسلحة الأمريكية، حتى الوظائف الروتينية؛ كتسيير دورية مثلاً**!**، وهذا الأمر سيستمر لسنوات طويلة، إذ في عام 2007م وقّع اليهود مع أمريكا مذكّرة تفاهم تقضي بتزويد الكيان الصهيوني بما مجموعه **30 مليار دولار من الأسلحة بين عامي 2009 و 2018م**" [3] .

ولك أن تتصور أنه " وبعد شهرين من قتل الكيان الصهيوني **1400** فلسطينياً أثناء الحرب على غزة (2009/2008م)، لم تقم الولايات المتحدة بمعاقبة الكيان الصهيوني لإساءة استخدام أسلحتها بهذه الطريقة الوحشية، ولم تعاقبها بسبب ما أسمته منظمة العفو الدولية بجرائم الحرب،

---

1) انظر: الصليبيون الجدد، يوسف العاصي الطويل، (ص 58 – 60) .

2) انظر: المصدر السابق، (ص 77) .

3) ورقة سياسية حول المساعدات العسكرية الأمريكية (لإسرائيل)، بقلم: جوش روبنر، مدير المبادرة القومية في الحملة الأمريكية لإنهاء الاحتلال (الإسرائيلي)، **عن:** المركز الفلسطيني في واشنطن، **عنه:** مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، رابط: www.alzaytouna.net، بتاريخ: 2013/06/17م .

واتهمت فيها الولايات المتحدة بإشعال الصراع من خلال إرسال هذه الأسلحة، **بل قام الرئيس الأمريكي باراك أوباما[1]، بعد شهرين فقط، بتزويد الدولة اليهودية بـ (300) حاوية جديدة من الأسلحة!** "[2].

ومن المفارقات العجيبة –مثلاً– في هذا الدعم الأمريكي المستميت للكيان، حديثاً، أنّه " على الرغم من تقليص ميزانية الدفاع الأمريكية نتيجة للوضع الاقتصادي الصعب الذي تمر به الولايات المتحدة، فقد أعلنت مؤخراً (يونيو 2013م) بأنها ستقوم بتحويل مبلغ (268 مليون دولار) إضافي للدولة العبرية؛ لدعم منظومة الصواريخ الاعتراضية، **ليصل مجموع الدعم العسكري الإضافي (488 مليون دولار) حتى نهاية عام 2014م**، وجاء ذلك بعد قرار لجنة الخدمات المسلحة التابعة لمجلس النواب الأمريكي مطلع يونيو، مع التأكيد أنّ هذا السخاء ليس من ضمن الدعم السنوي العسكري الذي تقدمة الولايات المتحدة، والذي يصل إلى **3,1 مليار دولار سنوياً** "[3].

والدعم العسكري الأمريكي للكيان الصهيوني عبّر عنه جميع زعماء أمريكا منذ قيام الكيان، وكان آخرهم الرئيس الأمريكي باراك أوباما، الذي أكّد في خطابه لجماهير اليهود – في مارس 2012م عندما زار فلسطين المحتلّة– **أكّد التزام بلاده المطلق بلا قيود بدعم التفوق العسكري للدولة العبرية**، إذ قال ما نصّه: " إنني فخور لأن العلاقة الأمنية بين الولايات المتحدة و(إسرائيل) هي الآن أقوى من أي وقت مضى، على الإطلاق، هناك عدد أكبر من المناورات العسكرية

---

1) باراك أوباما: واسمه: باراك حسين أوباما الابن، ولد عام 1961م، هو الرئيس الرابع والأربعون للولايات المتحدة الأمريكية منذ 20 يناير 2009م حتى الآن (يونيو 2013م)، وأول رئيس من أصول أفريقية يصل للبيت الأبيض، حقق انتصاراً على خصمه جون ماكين، حصل على جائزة نوبل للسلام لعام 2009م نظير (جهوده في تقوية الدبلوماسية الدولية والتعاون بين الشعوب)، وذلك قبل إكماله سنة في السلطة **[** موسوعة ويكيبيديا الحرة، **رابط:** wikipedia.org/wiki/باراك_أوباما، بتاريخ: 2013/06/18م **]** .

2) ورقة سياسية حول المساعدات العسكرية الأمريكية (لإسرائيل)، جوش روبنر، عن: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، رابط: www.alzaytouna.net، بتاريخ: 2013/06/17م .

3) صحيفة القدس العربي/ لندن، العدد (7459)، الصادر بتاريخ 2013/06/12م، (ص 4)– بتصرف .

المشتركة، وعدد من المبادلات بين مسؤولينا السياسيين والعسكريين والمخابراتيين أكثر من أي وقت مضى؛ **ولدينا أكبر برنامج حتى الآن لمساعدتكم على الاحتفاظ بتفوق عسكري نوعي**"[(1)].

والدعم العسكري الغربي لا يقتصر على الولايات المتّحدة، فمن أبرز دول الغرب التي تدعم الكيان الصهيوني عسكرياً، هي ألمانيا، " فعلى سبيل المثال فإنّ **دبابة (ميركافا)** التي تعدّ من أكثر الدبابات في العالم كفاءةً وقدرةً علي المناورة، تم تطوير تصفيحها ومدفعها في ألمانيا، إضافة إلى أنّ محرّكها ألماني الصنع، ولا ينحصر الدعم الألماني في هذه الدبابة وإنما يتجاوزه إلى **البوارج والسفن وطائرات سلاح الجو**، التي تحتوي علي تقنيات وقطع صنعت وطوّرت في ألمانيا، ورغم إعلان ألمانيا أنها لن تورد إلى الكيان الصهيوني أسلحة حربية ذات طبيعة هجومية لأسباب سياسية، إلا أنّ **الغواصات الألمانية** التي استلمتها الدولة اليهودية تثبت عكس ذلك، فقد زودت ألمانيا الدولة العبرية ما بين الفترة 1998 و2000م بثلاث غواصات تم تمويلها من قبل دافع الضريبة الألماني بنسبة 80 بالمائة"[(2)] .

وهذا الدعم – ولا شك– هو الذي يرتكب من خلاله الكيان اليهودي في فلسطين أبشع الجرائم، ويستخدم هذه الأسلحة الفتاكة ضد شعب فلسطين الأعزل وشعوب المنطقة العربية.

ثانياً: **الدعم الاقتصادي**:

تدعم النصرانية الغربية –من خلال دولها القائمة وحكوماتها وأنظمتها– اليهود في فلسطين من الناحية الاقتصادية، بطرق مباشرةٍ، وغير مباشرة .

أما **الدعم المباشر**، فتقف على رأسه الولايات المتحدة الأمريكية، إذ تقدّم للكيان الصهيوني في فلسطين دعماً مادياً هائلاً، حتى على حساب المواطن الأمريكي في بعض الأحيان، وكنموذج حيّ وحديث على هذا الدعم المتواصل منذ إقامة الكيان، " كشفت صحيفة (كريتسان ساينس

1) موقع وزارة الخارجية الأمريكية، www.iipdigital.usembassy.gov/st/arabic، بتاريخ 2013/06/18م.

2) صحيفة القدس العربي، العدد (5379)، مقال لعبد العظيم محمود حنفي (مدير مركز الكنانة للبحوث والدراسات القاهرة)، بتاريخ 2006/09/13م، (ص 18)– بتصرف يسير .

منيتور)[1] الأمريكية مؤخراً (يونيو 2013م) النقاب عن أن (إسرائيل) كلفت الولايات المتحدة ماليًا **منذ العام 1973م، ما مقداره 1,6 تريليون دولار (أي 1600 مليار دولار)، أي أن كل مواطن أمريكي دفع 5700 دولار للكيان الصهيوني، بناءً على عدد سكان أمريكا اليوم!** كما أنّ النفقات (المعلنة) لدعم (إسرائيل) سنويا تبلغ أكثر من (ثلاثة مليارات دولار)، وهذا المبلغ لا يمثل سوى الجزء الذي يعرفه غالبية الأمريكيين الذين يعتقدون أنه ينفق في موضعه لخدمة (الديمقراطية والمصالح الاستراتيجية) في المنطقة "[2].

وقد قدّم الخبير الاقتصادي الأمريكي "توماس ستوفار[3]" لنفس الصحيفة الأمريكية حقائق حول الدعم الاقتصادي الأمريكي للدولة اليهودية، مشيراً إلى أن " **الأموال التي تجمعها المنظمات الخيرية اليهودية في أمريكا في شكل منح، وصلت إلى 60 مليار دولار منذ عام 1973م**، كما أنّ الولايات المتحدة ضمنت للدولة اليهودية قروضًا تجارية بـ 10 مليارات دولار، وأخرى ‘سكنية’ بـ 600 مليار دولار في ذات الفترة"[4] .

وهذا الدعم الاقتصادي لا يقتصر أيضاً على الولايات المتحدة، وإن كانت أكبر الداعمين، إذ " **تعد ألمانيا ثاني أكبر شريك تجارى للدولة العبرية بعد الولايات المتحدة، فتجد أن التجارة البينية تقدر قيمتها بنحو 4.8 مليار دولار**، وقد لوحظ أيضا تصاعد الاستثمارات الألمانية المباشرة في الكيان الصهيوني، وإلى جانب ذلك، فقد قامت جمعيات رجال الأعمال لدى الطرفين بتأسيس مجلس مشترك لرجال الأعمال وذلك خلال عام 2005م، بهدف دعم العلاقات بين

---

1) كريتسان ساينس منيتور: صحيفة أمريكية يومية تصدر من الاثنين وحتى الجمعة، في بوسطن في ولاية ماساتشوستس، الصحيفة مملوكة لـ (كنيسة المسيح)، وتهتم الصحيفة بالشؤون السياسية مع أنها تحتوي على مقال ديني في كل عدد، توقفت النشرة الورقية عن الصدور في عام 2009 بسبب الخسائر المتواصلة، لكنها احتفظت بطبعتها الإلكترونية [موسوعة ويكيبيديا الحرة، **رابط:** wikipedia.org/wiki/كريتسان_ساينس_منيتور، بتاريخ: 2013/06/17م] .

2) صحيفة القدس العربي/ لندن، العدد (7459)، الصادر بتاريخ 2013/06/12م، (ص 4)– بتصرف يسير .

3) لم يعثر الباحث على ترجمة له .

4) صحيفة القدس العربي، العدد (7459)، (ص 4)– بتصرف يسير.

الجانبين في مجال الأعمال الحرة، وتعد ألمانيا أيضا أكبر داعم للكيان الصهيوني فيما يتعلق بمسألة توقيع اتفاقيات التجارة التفضيلية بين الكيان الصهيوني والاتحاد الأوروبي"[1].

وليس أدلّ على الدعم الاقتصادي الغربي – والألماني خاصة– من (اتفاقية دفع التعويضات الألمانية) المعروفة بـ "**اتفاقية لوكسمبورغ**[2]"، **وهي اتفاقية بين الكيان الصهيوني وجمهورية ألمانيا الاتحادية تم التوقيع عليها في سبتمبر 1952م والتزمت ألمانيا فيها بدفع تعويضات لليهود الناجين من (الهولوكوست)[3]، وللدولة العبرية باعتبارها الدولة التي ترث حقوق الضحايا اليهود والتي تعتني بتأهيل أغلبية الناجين اليهود**، في إطار هذه الاتفاقية دفعت جمهورية ألمانيا الاتحادية لدولة اليهود ما يقدر بـ 3 مليارات مارك ألماني غربي في غضون 12 عاما ما بين عام 1953 و1965م، كذلك التزمت حكومة ألمانية بدفع معاش شهري لكل يهودي أينما كان، إذا أثبت تعرضه لمطاردة الحكم النازي في أوروبا منذ 1933 وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية "[4].

" وقد حلّت الاتفاقية مشكلة العوز المالي الذي عانى الكيان الصهيوني منه، مما أدى إلى خفض نسبة التضخم المالي من 66% في 1952م إلى 4–5% سنوياً في السنوات المتلاحقة، **وكانت المدفوعات الألمانية جزءا كبيرا من موارد ميزانية الدولة العبرية لمدة 12 عاماً** " [5].

---

1) صحيفة الأهرام المصرية (الأهرام الرقمي)، العدد الصادر بتاريخ 2008/07/01م، مقال: سامية بيبرس، رابط: digital.ahram.org.eg/articles، بتاريخ: 2013/06/18م– بتصرف يسير.

2) لوكسمبورغ: هي إحدى دول البنلوكس (وهو اتّحاد اقتصادي بين ثلاث ممالك أوروبية غربية)، تقع لوكسمبورغ في غرب أوروبا، بين كل من ألمانيا، وفرنسا، وبلجيكا، وتُعد إحدى أصغر دول أوروبا مساحةً وسكاناً **[** موسوعة ويكيبيديا الحرة، **رابط:** لوكسمبورغ/wikipedia.org/wiki، بتاريخ: 2013/07/24م– بتصرف يسير **]** .

3) هولوكوست: كلمة يونانية تعني (حرق القربان بالكامل)، وتُترجم إلى العبرية بكلمة "شواه"، وتُترجم إلى العربية أحياناً بكلمة "المحرقة"، وكانت كلمة "هولوكوست" في الأصل مصطلحاً دينياً يهودياً يشير إلى القربان الذي يُضحَّى به للرب، فلا يُشوى فقط بل يُحرق حرقاً كاملاً غير منقوص على المذبح. ولذلك، كان الهولوكوست يُعّدُّ من أكثر الطقوس قداسة، ولكنه يشير في الاصطلاح اليهودي إلى الإبادة الجماعية التي يزعم اليهود أنّهم تعرّضوا لها على يد النازية في ألمانيا **[** موسوعة اليهود، المسيري، (395/2)– بتصرف **]** .

4) موسوعة ويكيبيديا الحرة، **رابط:** اتفاقية_لوكسمبورغ/wikipedia.org/wiki، بتاريخ: 2013/06/18م–بتصرف.

5) المصدر السابق .

وربما تكون هذه الاتفاقية بهذا الشكل حدثاً غير مسبوق في التاريخ، وهو حدثٌ له – في فهم الباحث– تأثيراته المتراكمة عدا البعد الاقتصادي، إذ يثبّت اليهود من خلاله روايتهم عن الهولوكوست المزعوم، ناهيك عن أثره الدعائي الكبير للكيان الصهيوني.

ومن أهمّ أشكال **الدعم الغربي (غير المباشر) لاقتصاد الدولة العبرية**، هو **السياحة إلى الأماكن المقدّسة**، فإنّ اليهود منذ احتلال فلسطين يسمحون للسياح اليهود والنصارى بزيارة الأرض المقدّسة، وخاصةً مدينة القدس المحتلة، ويتقاطر السياح بإرشادٍ يهودي أو نصراني متواطئ مع اليهود في نظرياته الدينية، **ويحقق اليهود عوائد اقتصادية كبيرة من وراء هذه السياحة الدينية، إذ يزور القدس نحو 100 ألف سائح سنوياً، الأمر الذي يعود على الكيان الصهيوني بعوائد لا تقل عن (بليون دولار) سنوياً** [1] .

حيث تقوم "السفارة المسيحية العالمية" في القدس بالتعاون مع دائرة السياحة في الدولة اليهودية، بتنظيم رحلات سياحية منظمّة تخصّ اليهود، و"المسيحيين الإنجيليين" الذين يؤمنون بنظام ديني قائم على أن العدّ العكسي لنهاية التاريخ قد بدأ، وأن (أرض إسرائيل) ستشهد أحداثاً غير طبيعية، **ويقوم السيّاح الذين يتوافدون سنوياً بالآلاف بإنفاق ملايين الدولارات دعماً للاقتصاد الصهيوني**[2].

ثالثاً: الدعم السياسي والمعنوي:

وهذا الدعم يأخذ وجوهاً عديدة ومتشعّبة، إلى حدٍّ يصعب معه حصرها، إذ إنّ الكثير من أوجه الدعم الاقتصادي والعسكري سابقة الذكر، تعدّ ضمن جهود الدول الغربية في الدعم السياسي والمعنوي للكيان الصهيوني.

---

1) انظر: النبوءة والسياسة، جريس هالسل، (ص 92) .

2) انظر: المصدر السابق، (ص 94) .

وتعود بذور هذا الدعم إلى " الدور السياسي الحاسم الذي لعبه النصارى الإنجيليين الغربيين في **تسهيل مهام الحركة الصهيونية**، بل إنّ الشعار الصهيوني الأول (وطن بلا شعب لشعبٍ بلا وطن) إنما هو من سكّ هؤلاء النصارى، وجاء هرتزل ليستخدمه بعد ستين سنة"[1] .

" وامتدّ هذا الدعم السياسي المبكّر لليهود إلى عصرنا الحاضر، **فكانت الولايات المتحدة أوّل دولة في العالم تعترف بالكيان الصهيوني رسمياً بعد إعلان اليهود إنشاء دولتهم في الرابع عشر من مايو عام 1948م بإحدى عشرة دقيقة فقط!** ولم يكن ذلك إلاّ أمراً بيّته الأمريكيون، بضغط مباشر وواضح من اللوبي الصهيوني المتجذّر، والساكن للبيت الأبيض منذ عهود طويلة[2] .

وبرز الكثير من السياسيين النصارى المشبعين بالأفكار الدينية الصهيونية في الغرب – وأمريكا خاصة– ليساندوا اليهود على نطاق واسع ويقدّموا لهم كل دعم معنوي وسياسي، وحتى مالي، وفي كل المناسبات، وكان من أبرز هؤلاء – وأوّلهم أمريكياً– "جيري فولويل"[3] الذي أسس منظمة سمّاها "منظمة الأغلبية الأخلاقية"، ويرى فولويل أنّ الولايات المتحدة يجب أن تدعم الكيان الصهيوني لا من أجل (إسرائيل) فحسب، بل من أجل أمريكا، **ويرفق آراءه السياسية بأقوال من التوراة والعقائد الألفية، ويسعى لنشر فكرة مفادها بأنّ (معاداة إسرائيل هي معاداة الله)!** [4] .

و فولويل هذا " كان من أبرز الحاضرين حول الرئيس جورج بوش الابن عام 2000م في حفل تنصيبه كرئيس للولايات المتحدة، في إشارة واضحة إلى أنّ (إسرائيل) حاضرة وبعمق من

---

1) الحرب بين الكنائس الأمريكية والعربية، مجلس كنائس الشرق الأوسط، (ص 51)– بتصرف.

2) انظر: ذئاب في ثياب حملان، إميل أمين، (ص 159) .

3) جيري فولويل(1933–2007م): قس أمريكي مسيحي أصولي، أسس كنيسة "توماس رود" المعمدانية في لينشبرغ، وكذلك جامعة "ليبرتي"، كانت لديه آراء متشددة في مواضيع مثل المثلية والإجهاض والعلمانية، كانت لديه مواقف مؤيدة لدولة (إسرائيل) ومعادية للإسلام، حيث وصف الرسول محمد ﷺ بالإرهابي! **[** موسوعة ويكيبيديا الحرة، **رابط:** wikipedia.org/wiki/جيري_فالويل، بتاريخ: 2013/06/16م **]**.

4) انظر: الحرب بين الكنائس الأمريكية والعربية، مجلس كنائس الشرق الأوسط، (ص 74) .

خلال ممثلها الأشهر في أمريكا، هذا الحضور الذي سيسمح لها بتوجيه دقّة الأمور فيما بعد، وهو ما كان بالفعل خلال سنوات حكم هذا الرئيس"[1] .

وما هذا إلا نموذج واحد لطبيعة الشخصيات التي تعتلي رأس السلطة في أكبر الدول الغربية النصرانية، مما يفسر – في فهم الباحث – حالة الدّعم غير المشروط والمستميت للصهاينة في فلسطين، من قبل هذه الحكومات والإدارات الأمريكية المتعاقبة.

والقائمة تطول في سرد أسماء وألقاب وأعمال ونشاطات هؤلاء المتصهينين الساكنين للبيت الأبيض الأمريكي، فكلٌّ له دوره وتأثيره، الذي يمتد للمستقبل بشكلٍ واضح، ويشكّل رأياً عاماً فاعلاً وقوياً في استراتيجية أمريكا[2] .

ولعلّ منظمة "إيباك"[3] الأمريكية الصهيونية، تعبّر عن مدى الدعم السياسي والمعنوي الذي تكيله أمريكا للكيان الصهيوني في فلسطين، و كنموذج على ذلك، تجد أنّ المؤتمر السياسي الرابع والأربعين للإيباك الذي عقد في مارس عام 2003م " أكّد على عمق العلاقة والدعم، إذ ناقش فيه اليهود والأمريكان (في حضور أكثر من **1000** شخصية) سوياً موضوع (إعادة تشكيل الشرق الأوسط) – وفق الرؤية الصهيونية بالطبع–، وبدأت الكلمات في هذا المؤتمر بعبارة على لسان مبشّر أمريكي نصراني يقول فيها: " **لقد أعطى الله أرض (إسرائيل) للشعب اليهودي ... ولا يمكن لأحد، لا هيئة الأمم، ولا الاتحاد الأوروبي، ولا روسيا، ولا أي رباعي أو ثلاثي إن كان**

---

1) ذئاب في ثياب حملان، إميل أمين، (ص 219)– بتصرف .

2) انظر: المصدر السابق، (ص 228) .

3) إيباك: وهي في معناها المحدد تعني اللوبي الصهيوني، وتسمى: لجنة الشئون العامة (الإسرائيلية) الأمريكية، وهي من أهم جماعات الضغط، ومهمتها، كما يدل اسمها، الضغط على المشرّعين الأمريكيين لتأييد الدولة الصهيونية، ويتم ذلك بعدة سبل، من بينها تجميع الطاقات المختلفة للجمعيات اليهودية والصهيونية، وتوجيه حركتها في اتجاه سياسات وأهداف محددة عادةً تخدم (إسرائيل)، كما أن اللوبي يحاول أيضاً أن يحوِّل قوة الأثرياء من أعضاء الجماعات اليهودية (وخصوصاً القادرين على تمويل الحملات الانتخابية)، وأعضاء الجماعات اليهودية على وجه العموم (أصحاب ما يُسمَّى الصوت اليهودي) إلى أداة ضغط على صناع القرار في الولايات المتحدة، فيلوح بالمساعدات والأصوات التي يمكن أن يحصل المرشح عليها إن هو ساند الدولة الصهيونية والتي سيفقدها لا محالة إن لم يفعل **[** موسوعة اليهود، المسيري، (344/6)– بتصرف يسير **]**.

يمكنه أن يقرر أي شيء حول هذه الأرض التي ليست ملكاً لهم! ... إنه لأمر فاحش أن تطلب إدارة بوش من (الشعب الإسرائيلي) جهوداً إضافية من أجل السلام**!**" "[1] .

وامتدّ هذا الدعم السياسي – كما لا يشك أحدٌ– إلى **العلاقات الرسمية بين اليهود والغرب،** فجعل الغرب – من خلال هذا التوجه الديني المعقّد– كيان اليهود في فلسطين، دولةً فوق القانون، تتجرأ على الدماء والأعراض، ولا تقيم وزناً للقوانين الدولية أو الأعراف أو المعاهدات، وترتكب ما تشاء من فظائع تحت غطاءٍ غربي–وأمريكي خاصةً– وهذا واقعٌ مشاهدٌ لا يحتاج إلى إثبات.

إنّ العالم البروتستانتي الغربي بقيادة الولايات المتحدة لم يكن وحيداً في عالم النصرانية الداعمة للكيان اليهودي على أسس دينية.

بل إنّك تجد ذلك التواؤم والانسجام الكبيرين بين (باباوات الفاتيكان) – الذين يمثّلون العالم النصراني الكاثوليكي في الغرب – وبين اليهود الصهاينة محتلي فلسطين، إذ دأب هؤلاء الباباوات على استقبال اليهود، والتقرّب منهم، والاعتراف بدولتهم، بل والاعتذار لهم عن التقصير في حقّ اليهود من قبل أسلافهم من الباباوات في شأن اضطهاد اليهود ومعاناتهم في أوروبا، وسكوتهم المطلق على ما يقوم به اليهود في فلسطين وما حولها من جرائم وفظائع، وزياراتهم المتكررة لأرض فلسطين في ظل احتلالها من اليهود، وانحنائهم أمام ما صنعه اليهود من نصُب تذكارية تجسّد ما يعرف بالهولوكوست، الذي يزعم اليهود أنّهم تعرضوا له في أوروبا[2].

"وكان من أهم مظاهر هذا الدعم، هو: **قيام الفاتيكان في 1993/06/30م بالاعتراف رسمياً (بالوضع الراهن) للكيان الصهيوني المحتل لأرض فلسطين** " [3] .

---

1) حرب صليبية بكل المقاييس، د. زينب عبد العزيز، دار الكتاب العربي/دمشق– القاهرة، ط1، 2003م (ص 59– 60)– بتصرف .

2) انظر: المسيحية المتهودة في خدمة الصهيونية العالمية، عيسى اليازجي، (ص 121) .

3) حرب صليبية بكل المقاييس، د. زينب عبد العزيز، (ص 36) .

وهذا التلاحم الكاثوليكي اليهودي من ناحية سياسية صريحة، هو ليس – في فهم الباحث– ظاهرةً سياسية أو قضية متعلقة بالمصالح المشتركة، بقدر ماهي دعمٌ وإسناد له خلفياته الدينية الواضحة.

رابعاً: **الدعم الثقافي والإعلامي**:

تعدّدت أشكال الدعم الثقافي والإعلامي الغربي للكيان الصهيوني واليهود في فلسطين، وباتت منظمات اللوبي النصراني في الغرب تتكاثر، وأصبحت هي أبرز المدافعين عن اليهود المحتلّين لفلسطين، **وكوّنت هذه المنظّمات شبكات تلفزة باتت تعرف بـ (التلفنجيليون) أي: (الإنجيليون التلفزيونيون)، وتبثّ تلك المحطات والإذاعات الدعاية المتواصلة لليهود في فلسطين**، وتبشّر بعقيدة هرمجدون وأفضلية اليهود، وتغطّي أنحاء واسعة من العالم النصراني[1] .

ولا يخفى ما لهذه الوسائل الإعلامية من دور في صياغة ثقافات الشعوب الغربية، باتجاه دعم ومساندة اليهود، على أساس فكري وعقائدي موجّه.

ويعدّ بات روبرتسون[2] من أبرز المؤسسين للدعم الإعلامي للصهيونية واليهود في أرض فلسطين، إذ كان من أخطر التلفنجيليين نفوذاً وتأثيراً على الإطلاق، وكان قد بدأ مشروعه بمحطّة تلفزيونية صغيرة في أمريكا عام 1961م، **واليوم تمتلك** "**مؤسسة روبرتسون**" **شبكة تلفزة دولية كبيرة، وقمراً صناعياً ومراسلون دوليون، وتبث المؤسسة برامجها إلى 180 دولة، وتذاع برامجها بـ 71 لغة، عبر معدات وتجهيزات هي الأحدث والأكثر تطوراً في مجال البث التلفزيوني**، ويعدّ

---

1) **انظر**: الحرب بين الكنائس الأمريكية والعربية، مجلس كنائس الشرق الأوسط، (ص 73) .

2) **بات روبرتسون**: ولد عام 1930م، قس معمداني أمريكي، رشّح نفسه للانتخابات الأمريكية عام 1988م، كما أسس روبرتسون وكالة البث المسيحية (CBN) التي تحولت إلى إمبراطورية إعلامية ضخمة، و أسس جامعة باسم (جامعة وكالة البث المسيحية) عام 1977م (تمسى حاليا جامعة ريجينت)، ووكالة إغاثة خيرية تعرف باسم (وكالة عملية الرحمة الدولية للإغاثة والتنمية)، ومكتبا قانونيا يعرف باسم (المركز الأميركي للقانون والعدالة) الذي يتخصص في الدفاع عن قضايا المسيحيين المتدينين في الحياة العامة الأميركية، كما يقدم برنامجا تلفزيونياً يسمى "نادي السبعمائة" الذي يعد أحد أشهر برامج اليمين المسيحي في أميركا وتنقله قنوات أميركية مختلفة، عرف بعدائه الشديد للإسلام، وشتمه للنبي محمد ﷺ [موسوعة ويكيبيديا الحرة، **رابط:** wikipedia.org/wiki/بات_روبرتسون، بتاريخ: 2013/06/16م– بتصرف].

روبرتسون ضالعاً في السياسة، وتستميت مؤسسته دفاعاً عن الكيان الصهيوني، مستغلةً هذا الفضاء الرحب[1].

كما أنّ الدعم الثقافي لم يقتصر على ما تبثّه وسال الإعلام من برامج وأفكار، **بل إنّ الكتّاب والمفكرين والعلماء من النصارى البروتستانتيين " انطلقوا في كتابة المؤلفات المطوّلة عن الرؤى التوراتية التي تعطي اليهود** (والذين ينظر إليهم على أنهم أعداء تقليديون للكنيسة) **موقعاً متميزاً في الفكر المسيحي،** فبعد (الإصلاح) أصبح المسيحيون الأوروبيون أكثر اهتماماً باليهود، وغيّروا اتّجاههم نحوهم" [2] .

"لذلك لم يكن مستغرباً أن تجد عناوين الكتب والمقالات التي نُشرت في أمريكا وبعض الدول الأوروبية في أعقاب حرب 1967م تحمل طرازاً دينياً مستمداً من النصوص التوراتية، مثل: (وانتصروا في اليوم السابع)، و(حرب إسرائيل المقدّسة)، و(داود وجالوت)، و(اضربي يا صهيون)، وغيرها " [3].

وأخيراً، فإنه من العسير سرد أو حتى إيجاز جميع مظاهر الدعم الغربي للكيان الصهيوني، لكنّ رسالة الدعم الغربي – والأمريكي خاصةً– واضحة القصد والهدف، فقد أعلن ذلك الرئيس الأمريكي الحالي (أوباما)، قائلاً لليهود المحتلين لفلسطين: " ولكن فلتعلموا علم اليقين، أن أولئك الذين يتشبثون بعقيدة رفض حق (إسرائيل) في البقاء قد يحلو لهم أيضًا أن يرفضوا الأرض الراسية تحت أقدامهم أو السماء فوقهم، **لأن (إسرائيل) لن تذهب أدراج الرياح، واليوم أود أن أقول لكم** – لا سيما الشباب– **أنه ما من خطأ هنا طالما ظلت هناك ولايات أميركية متحدة، أنتم لستم وحدكم** (قالها أوباما باللغتين الإنجليزية والعبرية)"**!** [4] .

---

1) انظر: الحرب بين الكنائس الأمريكية والعربية، مجلس كنائس الشرق الأوسط، (ص 76 – 77) .

2) النبوءة والسياسة، جريس هالسل، (ص 103) .

3) الصليبيون الجدد، يوسف العاصي الطويل، (ص 83)– بتصرف يسير .

4) موقع وزارة الخارجية الأمريكية، www.iipdigital.usembassy.gov/st/arabic، بتاريخ 2013/06/18م.

" ولو استمررنا في تتبع سياسات الرؤساء الأمريكيين تجاه الصراع العربي الصهيوني، فإننا سنجد على الدوام أنّ خلفياتهم الدينية لعبت دوراً حاسماً في تشكيل سياستهم المنحازة للدولة اليهودية" [1].

إنّ هذا الدعم الغربي – بكل صوره السابقة وغيرها– أثلج صدور اليهود المحتلّين لفلسطين، وحقق لهم الظهير الذي طالما حلمت به الصهيونية، لذلك فليس غريباً أن يقف سفير الكيان الصهيوني في الأمم المتّحدة (بنيامين نتنياهو) في فبراير من عام 1985م أمام جمعٍ من النصارى الصهاينة، مديناً لهم بالفضل، ومعترفاً لهم بالدور الحاسم في وجود كيان صهيوني على أرض فلسطين، قائلاً: "... **لقد كان هناك شوق قديم في تقاليدنا اليهودية للعودة إلى أرض (إسرائيل)، وهذا الحلم الذي يراودنا منذ 2000 سنة، تفجّر من خلال المسيحيين الصهيونيين**" [2] .

خلاصة المطلب:

أولاً: إنّ الغرب النصراني يدعم بكلّ قوّته المادّية (العسكرية والاقتصادية والسياسية والإعلامية) الكيان الصهيوني في فلسطين، وسعى ولا يزال يسعى لتثبيت وجوده بكلّ السبل، على خلفيةٍ دينيةٍ واضحة، إذ إنّ وجود هذا الكيان مرتبط – بزعمهم– بتحقيق النبوءات التوراتية حول نهاية التاريخ.

ثانياً: إنّ الدعم النصراني الغربي لليهود، بتلك الدعاوى الدينية هو تناقضٌ كبير، إذ إنّ هؤلاء الغربيين الذين يدّعون تقديس مفاهيم الحياة والبناء، باتوا يدفعون بكل قوّتهم إلى نهاية التاريخ، والخراب القادم، و"هرمجدون" ذات الصبغة التدميرية الهائلة!، وهذا يدل على التخبط والاضطراب في هذه المفاهيم، ويعكس مدى الاختراق اليهودي العميق للنصرانية، وجرّها عنوةً باتّجاه تحقيق مآرب اليهود.

---

1) الصليبيون الجدد، يوسف العاصي الطويل، (ص 85) .

2) النبوءة والسياسة، جريس هالسل، (ص 107) .

ثالثاً: إنّ الولايات المتّحدة تتولى كبر جريمة دعم الصهاينة منذ إنشائهم لدولتهم على أرض فلسطين، وتقف في مقدمة الداعمين لهم في كافة المجالات، وإنّ بقاء الكيان الصهيوني مرهون ببقاء هذا الدعم.

رابعاً: إنّ كل المبررات التي يمكن أن تذكر في سياق تبرير الدعم الغربي لليهود، لا تستطيع أن تُغفل الناقد البصير عن حقيقة كون هذا الدعم هو دعم عقائدي بالدرجة الأولى، ثم يتبع ذلك ما يتبعه من لغة المصالح المشتركة، وبالتالي فإنّ فهم حقيقة هذا الدعم يجعل المرء مدركاً لطبيعة المعركة الدائرة على هذه الأرض.

الفصل الثالث

عقيدة المسلمين في الأرض المقدّسة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مصادر عقيدة المسلمين في الأرض المقدّسة

المبحث الثاني: عقيـدة المسلميـن في الأرض المقدّســـة

المبحث الثالث: آثار عقيدة المسلمين في الأرض المقدســة

المبحث الأول:

مصادر عقيدة المسلمين في الأرض المقدّسة

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: مصادر الحق الديني للمسلمين في الأرض المقدّسة

المطلب الثاني: مصادر الحق التاريخي للمسلمين في الأرض المقدّسة

تمهيد:

تبيّن للباحث من خلال دراسة عقائد كلّ من اليهود والنصارى في الأرض المقدّسة، وآثارها، بأنّ مرتكز هذه العقائد هي مصادر الفكر والديانة لدى كلّ من الفريقين.

وهذا يدلّ على خطورة المصدر الديني في تثبيت عقيدة التقديس، إذ إنّ نصوص (الكتاب المقدّس) عند اليهود والنصارى، باتت مرجعاً في كل ما آلت إليه عقيدة اليهود في الأرض المقدّسة.

وقد اتّضح أنّ العامل الديني والعامل التاريخي قد اختلطا إلى حد كبير، فيما يتعلق بالعقيدة اليهودية والنصرانية تجاه فلسطين، فكلا العاملَين تعرضا للتزييف والخلط الكبيرين.

وبما أنّه بات من المقرّر واليقيني بأنّ مصادر العقيدتين اليهودية والنصرانية قد وقعت تحت سيف التبديل والتحريف منذ عهود طويلة، فإنّ من البديهي، عند النظر في عقيدة المسلمين في هذه الأرض، النظر في مصادرهم التي أرست أصول هذا الاعتقاد.

فللمسلمين – كما سيأتي بإذن الله– منهجٌ راسخ في مسألة أصول الاعتقاد والديانة، وهذا المنهج هو الفيصل في الحكم النهائي بين الملل الثلاث.

وسيعرض الباحث في المبحث الأول من هذا الفصل لمحات عن أصول الدين الإسلامي الحنيف، وهذه الأصول هي المرتكز لما سيأتي بعدها في نظرة المسلمين إلى فلسطين، كما سيعرّج الباحث على أصول الاعتقاد بالحق التاريخي، للتمييز بينا وبين ما زعمه أهل الملّتين السابقتين حول هذا الحقّ.

المطلب الأول:

مصادر الحق الديني للمسلمين في الأرض المقدّسة

ترجع كل اعتقادات المسلمين، وعباداتهم، وأفكارهم، إلى أصلين عظيمين، لا خلاف عليهما، **وهما: القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهّرة .**

أولاً: القرآن الكريم:

" القرآن كلام الله، منه بدا بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله ﷺ وحياً، وصدّقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنّه كلام الله ﷻ بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنّه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله، وعابه، وأوعده بسقر، حيث قال ﷻ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾(المدثر/26) ، فلما أوعد الله بسقر لمن قال: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾(المدثر/25)، علمنا وأيقنا أنّه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر "[1] .

وهو الكتاب الخاتم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد وصفه الله ﷻ- وهو كلامه- بما يؤهله للمكانة السامية التي لا تدانيها مكانة، في أي كتاب على وجه الأرض، منذ نزوله وإلى قيام الساعة.

إذ إنّ من خصائص هذا القرآن العظيم – مما تفتقده كتب اليهود والنصارى اليوم- ما ورد فيه من كلامه ﷻ واصفاً هذا الكتاب، ما يلي:

1) أنّه من عند الله بلا ريب:

قال الله ﷻ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ **وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ** لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء/82) .

وقال ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ **وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ**

---

1) شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد/ السعودية، ط1، 1418هـ، (ص 127 – 128) .

﴿مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (يونس/37) . وقال ﷻ : ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (النمل/6) . وقال ﷻ: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (السجدة/2) .

وهذه الخاصية للقرآن العظيم، لم تتوفر لأي كتابٍ آخر من الكتب التي تقدّسها الملل الأخرى، أي التي بين أيديهم اليوم، إذ تعرضت –كما تقرر– للتبديل، وباتت مملوءة بكلام البشر وتدجيلهم.

2) أنّه متكَفّلٌ بحفظه من التحريف:

حيث نسب الله ﷻ إلى ذاته العليّة حفظ القرآن، وأكّده –أي الحفظ– بكل المؤكّدات التي يعرفها العرب، فقال ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر/9) .

قال سفيان بن عيينة[1] – رحمه الله: " قال الله تبارك وتعالى في التوراة والإنجيل: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾ (المائدة/ 44) ، فجعل حفظه إليهم فضاع، وقال ﷻ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ، فحفظه الله ﷻ علينا فلم يضع" [2] .

3) أنّه معجز لا يشابهه قول بشر:

قال الله ﷻ: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة/23)، وقال ﷻ : ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء/88) .

---

1) سفيان بن عيينة (107– 198هـ): سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، الإمام الكبير، حافظ العصر، شيخ الإسلام، أبو محمد الهلالي، الكوفي، ثم المكي، طلب الحديث وهو غلام، ولقي الكبار، وحمل عنهم علمًا جمًا، وأتقن، وجود، وجمع، وصنف، وعمر دهراً، وازدحم الخلق عليه، وانتهى إليه علو الإسناد، ورُحل إليه من البلاد، وألحق الأحفاد بالأجداد [سير أعلام النبلاء، الذهبي، (8/ 455– 456)– بتصرف يسير] .

2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (6/10)– بتصرف يسير .

ومن قدر الله ﷻ أن تأتي هذه الآية في سورة الإسراء، التي لها شأنٌ عظيم في إرساء عقيدة المسلمين في الأرض المقدّسة، فيدخل المدّعون بالحق في هذه الأرض، اليهود والنصارى، ضمن هؤلاء من الإنس والجن الذين عجزوا عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن، فأتوا من عند أنفسهم بكتبٍ منقوصة كذبوا فيها على الله ﷻ، فكانت كتباً هدّامة – بعد تحريفها– بخلاف القرآن المعصوم، والله أعلم.

وقال الله ﷻ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (يونس/38) .

4) أنّه جاء تبياناً لكل شيء:

قال الله ﷻ: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (الأنعام/114) ، وقال الله ﷻ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل/89) .

قال الإمام الشافعي[1] –رحمه الله: " **والبيان اسم جامع لمعاني مجتمعة الأصول متشعبة الفروع**، فأقلّ ما في تلك المعاني المجتمعة المتشعبة أنها بيان لمن خوطب بها ممن نزل القرآن

---

1) الإمام الشافعي (150– 204هـ): محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هشام بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، الإمام، عالم العصر، ناصر الحديث، فقيه الملة، أبو عبد الله القرشي، ثم المطلبي، الشافعي، المكي، الغزّي المولد، نسيب رسول الله ﷺ وابن عمه، فالمطلب هو أخو هاشم والد عبد المطلب، اتفق مولد الإمام بغزة، ومات أبوه إدريس شابًا، فنشأ محمد يتيمًا في حجر أمه، فخافت عليه الضيعة، فتحولت به إلى محتده وهو ابن عامين، فنشأ بمكة، وأقبل على الرمي، ثم أقبل على العربية والشرع، فبرع في ذلك، وتقدم، ثم حبب إليه الفقه، فساد أهل زمانه [سير أعلام النبلاء، الذهبي، (10/ 6– 7)– بتصرف] .

بلسانه، متقاربةُ الاستواء عنده، وإن كان بعضها أشدّ تأكيدَ بيانٍ من بعض، ومختلفةٌ عند من يجهل لسان العرب"[1] .

5) أنّه كامل كمالاً مطلقاً:

قال الله ﷻ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ **وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا**﴾ (الكهف/1) ، وقال ﷻ: ﴿قُرآنًا عَرَبِيًّا **غَيْرَ ذِي عِوَجٍ** لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الزمر/28) ، وقال تعالى واصفاً كتابه العزيز: ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ** مِن بَيْنِ يَدَيْهِ **وَلَا مِنْ خَلْفِهِ** تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت/42) .

قال ابن عباسرضي الله عنه: " ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ﴾ لم يخالفه التوراة والإنجيل والزبور وسائر الكتب، ﴿مِن بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ من قبله ﴿وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ ولا يكون من بعده كتاب فيخالفه، ويقال: لا تكذّبه التوراة والإنجيل والزبور وسائر الكتب من قبله، ولا يكون من بعده كتاب فيكذّبه"[2] .

6) وضوحه التام، وتيسيره للناس:

قال الله ﷻ في كتابه العظيم: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ** لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (القمر/17) .

وأين كتب اليهود والنصارى من هذه الخاصية العظيمة للقرآن، إذ تلك الكتب –كما بيّن الباحث سابقاً– تمتلئ بالمعاني الغامضة، والرؤى والأحلام، والرموز والطلاسم، مما يشتبه فيه كلّ إنسان، خاصةً في أصول الاعتقاد.

7) أنّه الفيصل في الخلاف:

وهذه الخاصية هي من أهمّ خصائص القرآن، تجد ذلك في قوله ﷻ: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ **إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ** وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (النحل/64) .

---

1) الرسالة، الإمام محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي/مصر، ط1، 1358هـ/1940م، (ص 21) .

2) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، الفيروز آبادي، (ص 404) .

والذين تنكّروا لهذه الخاصية من اليهود والنصارى، واختلفوا في الكتاب، وصفهم الله ﷻ بالضلال والانحراف، إذ قال ﷻ: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ **الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ** ﴾ (البقرة/176) ، " أي: إنما استحقوا هذا العذاب الشديد، لأن الله ﷻ أنزل على رسوله محمد ﷺ وعلى الأنبياء قبله كتبه بتحقيق الحق وإبطال الباطل، وهؤلاء اتخذوا آيات الله هزوا، فكتابهم أمرهم بإظهار العلم ونشره فخالفوه وكذبوه، وهذا الرسول الخاتم يدعوهم إلى الله ﷻ، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، وهم يكذّبونه، ويخالفونه، ويجحدونه، ويكتمون صفته، فاستهزئوا بآيات الله المنزلة على رسله، فلهذا استحقوا العذاب والنكال"[1] .

8) هيمنته على الكتب السابقة:

وهذه الخاصية للقرآن العظيم هي التي ينبني عليها الفصل في ادّعاءات اليهود والنصارى واحتجاجهم بما في كتبهم من باطل مشوب ببعض الحق، إذ يفصل الله ﷻ في ذلك في قوله: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ **مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ** فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ (المائدة/48) .

وقيل في معنى ﴿ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ ﴾ : " **أميناً**، **وشاهداً**، **وحاكماً**، وجميعها منقولة عن ابن عباس رضي الله عنه، و كذا عن غيره، وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى، فإنّ اسم المهيمن يتضمن هذا كله، فهو **أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله ﷻ هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها أشملها وأعظمها وأكملها حيث جمع فيه محاسن ما قبله،** وزاده من الكمالات، ما ليس في غيره، فلهذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلها وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة"[2] .

---

1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (258/1) .

2) المصدر السابق، (82/2)– بتصرف .

والإسلام الذي جاء به القرآن، هو دين الله الذي ارتضاه للعالمين، قال ﷻ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (آل عمران/19) .

هذه بعض خصائص القرآن العظيم التي اجتهد الباحث في تمييزها عن غيرها من خصائص لا تُحصى لكتاب الله ﷻ، وأنّى لمثله أن يحصيها، وفيما مضى آنفاً من خصائص، يتراءى لكلّ ذي لب حداً فاصلاً بين كتب اليهود والنصارى المقدّسة عندهم، وبين كتاب الله الخالد، الذي أعطاه ﷻ هذه الأفضلية على سائر الكتب.

وحاصل الأمر: " **أنّ القرآن الكريم يأتي في مقدّمة المصادر التي يستقي منها المسلمون مسائل الاعتقاد وغيرها من مسائل الأحكام**، وأنّ الله ﷻ هو الذي تكلّم به، وأنزله على رسوله ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام، وقد تكفّل الله ﷻ بحفظه، وصيانته عن الزيادة والنقصان، وهو الآن على ما كان عليه يوم أنزل أول مرة، لا زيادة ولا نقصان"[1] .

الوعد بالأرض (للمسلمين) في القرآن الكريم:

إنّ أصحاب الأرض المقدّسة (أو الموعودين بها)، من منظور القرآن الكريم، ينطلقون في أحقّيتهم الدينية في الأرض من منطلق استخلاف الله ﷻ لهم فيها، والمقياس في ذلك هو التزامهم أوامره ﷻ وتحقيقهم للتقوى، **إذ أنزل الله ﷻ في كتابه قواعد محكمة[2] في هذا الأمر، لا بد من تدبّرها والوقوف عند معانيها، وأهمّها:**

1) **قاعدة المُلك المطلق:**

والمُلك المطلق ليس لأحدٍ إلا الله ﷻ، وهذه قاعدة مبسوطة في القرآن الكريم بكثرة ووفرة ..

1) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، عثمان بن علي حسن، مكتبة الرشد/الرياض، ط2، 1413هـ/1993م، (77/1)- بتصرف يسير.

2) استنبط الباحث عناوين ومضامين هذه القواعد من خلال منطوق ومفهوم الآيات القرآنية الكريمة، التي تحتوي على هذه القواعد.

قال الله ﷻ: ﴿**قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ** قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (المؤمنون/84-85)، " فهو سؤال عن ملكية الأرض، ومن فيها : ﴿سَيَقُولُونَ: لِلَّهِ﴾ ،ولكنهم مع ذلك لا يذكرون هذه الحقيقة وهم يتوجهون بالعبادة لغير اللّه" [1] .

وهذه القاعدة تقرر ابتداءً أنّ (الأرض ومن فيها، كلّها لله ﷻ)، وهذا ما يعتقده المسلمون، خلافاً لليهود والنصارى، الذين أشركوا مع الله غيره في العبادة، ثمّ قسّموا أرض الله ﷻ بأهوائهم!.

والملاحظ أنّ المولى ﷻ قد ربط بين ملكه المطلق للأرض وما فيها، وبين فساد عقيدة اليهود والنصارى، وكأنّ الله ﷻ يحذّرهم بأن لا ملك ولا وعد ولا استخلاف لهم على أرضه، ما داموا على هذا الفساد في الاعتقاد والسلوك، والله أعلم بمراده.

تدبّر قول الله ﷻ – واصفاً فساد النصارى: ﴿**وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ**﴾ (البقرة/116)،وقوله أيضاً: ﴿ . . . وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ **إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ** وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً﴾ (النساء/171) ، وقوله أيضاً: ﴿ **قَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ**﴾ (يونس/68) .

وقوله ﷻ – ناعياً على اليهود والنصارى معاً: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ** قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ **وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾ (المائدة/18) .

2) قاعدة وراثة الأرض:

وهذه قاعدة مبنية على القاعدة الأولى؛ ذلك أنّ المَلك ﷻ، مالك الأرض، يورثها لمن يشاء من عباده، لكنّ هؤلاء الوارثين، لهم صفةٌ ينبغي أن تلازمهم حتى يرثوا أرض الله ﷻ، التقوى.

---

1) في ظلال القرآن، الشيخ الشهيد سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق/بيروت–القاهرة، ط17، 1412هـ، (2478/4).

قال الله ﷻ: ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (الأعراف/128) .

يقول الشهيد سيد قطب[1] – رحمه الله: " وإنّ الأرض لله ... والله يورثها من يشاء من عباده– وفق سنته وحكمته– فلا ينظر الداعون إلى ربّ العالمين، إلى شيءٍ من ظواهر الأمور التي تخيّل للناظرين أنّ الطاغوت مكينٌ في الأرض غير مزحزح عنها .. **فصاحب الأرض ومالكها هو الذي يقرر متى يطردهم منها! وإن العاقبة للمتقين.. طال الزمن أم قصر..** فلا يخالج قلوب الداعين إلى رب العالمين قلق على المصير، ولا يخايل لهم تقلب الذين كفروا في البلاد، فيحسبونهم باقين "[2] .

وبما أنّ ملك الأرض المطلق هو لله ﷻ، فإن مآلها النهائي إلى خالقها، هي ومن عليها، قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ (مريم/40)، " أي: نميت سكانها فنرثها، ﴿ وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ يوم القيامة فنجازي كلاً بعمله"[3] .

---

1) سيد قطب (1906– 1966م): الأستاذ الأديب الناقد الكبير سيد قطب إبراهيم، ولد في أسيوط بصعيد مصر، عمل مدرّساً في مصر منذ 1933م، ألف أول كتاب إسلامي له عام 1945م وهو (التصوير الفني في القرآن)، عاش داعية إلى الإصلاح، وفي عام 1947م اتّجه إلى الإسلام، وغدا مصلحاً إسلامياً، ثم صار أحد ابرز رواد الفكر الإسلامي المعاصر، عقيدته عقيدة السلف الصالح وفكره كذلك، كتب في الجاهلية المعاصرة وواجهها، ألّف عدداً كبيراً من المؤلفات أبرزها: في ظلال القرآن– هذا الدين – معالم في الطريق– الإسلام ومشكلات الحضارة– معركتنا مع اليهود – مقومات التصور الإسلامي، وغيرها، اعتُقل في زمن جمال عبد الناصر مرات عديدة، وكان آخرها عام 1965م ثم حُكم عليه بالإعدام في أغسطس من العام 1966م، ونفذ فيه الحكم فجر الاثنين 1966/08/29م **[انظر:** من أعلام الدعوة الإسلامية في مصر، المستشار عبد الله العقيل، مركز الإعلام العربي/مصر، ط4، 1432هـ/2011م، (1/ 93– 100) **]** .

2) في ظلال القرآن، سيد قطب، (1355/3)– بتصرف يسير.

3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (109/11) .

3) قاعدة الاستخلاف والتمكين:

وهي أيضاً مترتبة على قاعدة الوراثة؛ **ذلك أنّ الله ﷻ إذا أورث أرضه أحداً من عباده، فهو مستخلفه فيها، وعمله هو الفيصل في استمرار هذا الاستخلاف.**

قال الحق ﷻ: ﴿قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ **وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**﴾ (الأعراف/129).

والاستخلاف لا يكون إلا بمشيئة الله ﷻ وإرادته وحكمته، ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ **وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ** قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (النمل/62) .

وقد يكون هذا الاستخلاف في المال أو الأرض أو ما سواهما، وهذا المعنى مفصّل في القرآن في غير موضع، إذ قال الملكﷻ: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ **وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ** كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ (الأنعام/133)، وقال أيضاً: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا **جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ** فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (الحديد/7) .

أما (شروط الاستخلاف والتمكين) فهي: الإيمان، والعمل الصالح، وطاعة أوامر الله ﷻ، وعبادته، وعدم التولي عن طريقه المستقيم، واتّباع رسله–عليهم السلام–، وهذه المعاني وردت ضمن قاعدة الاستخلاف في القرآن.

إذ قال الحق ﷻ في شروط (الوعد) بالاستخلاف والتمكين: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ** وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً **يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً** وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور/55) ، وقال أيضاً: ﴿الَّذِينَ **إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ** وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج/41) ، وقال أيضاً: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا

لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ ﴾ (هود/61)، وقال أيضاً: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ (الأنبياء/105) .

وأما عواقب نقض هذه الشروط، فهي: (الاستبدال، والإهلاك، والعذاب) فقال ﷻ: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّونَهُ شَيْئاً إِنَّ رَبِّي عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ (هود/57) ،وقال أيضاً: ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاء عَلَيْهِم مِّدْرَاراً وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ ﴾ (الأنعام/6) ، وقال أيضاً: ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً ﴾ (مريم/59) ، وقال أيضاً: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ (محمد/38) .

وانسجاماً مع قاعدة الاستخلاف، والأفضلية بالتقوى والإيمان، يقرر القرآن العظيم من هم خلفاء أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، فيقول ﷻ: ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران/68) .

يقول سيد قطب– رحمه الله: " ذلك وعد الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات من أمة محمد ﷺ، أن يستخلفهم في الأرض، وأن يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وأن يبدلهم من بعد خوفهم أمنا.. **ذلك وعد الله، ووعد الله حق، ووعد الله واقع، ولن يخلف الله وعده ... فما حقيقة الاستخلاف في الأرض؟ إنها ليست مجرد الملك والقهر والغلبة والحكم.. إنما هي هذا كله على شرط استخدامه في الإصلاح والتعمير والبناء، وتحقيق المنهج الذي رسمه الله** ﷻ **للبشرية**، كي تسير عليه وتصل عن طريقه إلى مستوى الكمال المقدر لها في الأرض، اللائق بخليقة أكرمها الله ﷻ"(1).

1) في ظلال القرآن، سيد قطب، (2528/4– 2529) .

4) قاعدة التداول:

إذ أشار القرآن الكريم في الكثير من المواضع إلى مداولة الله أرضه بين خلقه، بحسب أعمالهم، فلا بقاء إلا لصالح العقيدة، أما المفسدون والضالّون فمآلهم إلى الهلاك أو الاستبدال.

قال ﷻ: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ **خَلَائِفَ الْأَرْضِ** وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الأنعام/165) ، " ﴿ جَعَلَكُمْ **خَلَائِفَ الْأَرْضِ** ﴾ ، أي: جعلكم تعمرونها جيلاً بعد جيل، وقرناً بعد قرن وخلفاً بعد سلف ... ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ ، أي: ليختبركم في الذي أنعم به عليكم وامتحنكم به"[1] .

وقال ﷻ: ﴿ **وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء** مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ **وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ** ﴾ (الأعراف/74)، وقال أيضاً: ﴿ **أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاء أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ** وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ ﴾ (الأعراف/100) . وقال أيضاً: ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ** فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم **لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ** ﴾ (يونس/14) .

وجعل الله ﷻ **سكنى المؤمنين الأرض من بعد الكافرين منحةً لهم لإيمانهم**، جزاءً وفاقاً، إذ قال ﷻ: ﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ **ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ** ﴾ (إبراهيم/14) .

وقال ﷻ – واصفاً **حال انتقال الأرض من المفسدين إلى المصلحين:** ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * **كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ * فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ** ﴾ (الدخان/25-28) .

---

1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (244/2) .

بل توعّد الله ﷻ كلّ جبار متسلّط على أرض المؤمنين أنّه سيرحل عنها ولو بعد حين: ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الإسراء/76).

ما سبق من قواعد محكمة من كتاب الله ﷻ ينطبق – بلا شك– على الأرض المقدّسة، فلسطين، ويضع حداً للنزاع عليها من منظور القرآن المهيمن على سائر الكتب.

وإذا أراد المرء –في فهم الباحث– أن يقيس الأمم على مقياس الخالق ﷻ الذي وضعه للخلافة في الأرض، **فأمة الإسلام –بلا شك– هي صاحبة الاستخلاف منذ مبعث النبي محمد ﷺ، إذ هي الأمة الوحيدة التي تُحقق التوحيد الصحيح من بين الملل، وتؤمن بخاتم النبيين ﷺ، والتوحيد هو أساس الإيمان، وبالتالي هو أساس الوراثة والاستخلاف والتمكين.**

لكن القرآن والذي من خصائصه –كما سلف– تبيان كل شيء، اعتنى بأرض فلسطين والأقصى عنايةً خاصة، فجاء ذكرها في القرآن في مواطن المدح والمباركة، وهذه المكانة لفلسطين في الإسلام سيستعرضها الباحث – بإذن الله – في المبحث الثاني من هذا الفصل.

ثانياً: السنة النبوية:

والمقصود بالسنّة النبوية " ما أضيف إلى النبي ﷺ، قولًا، أو فعلًا، أو تقريرًا، أو صفةً "[1] .

ونُقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– قوله:" والحديث النبوي ينصرف عند الإطلاق إلى ما حُدث به عنه ﷺ بعد النبوّة، من قوله، وفعله، وإقراره، فإن سنّته ثبتت من هذه الوجوه الثلاثة، فما قاله، إن كان خبرًا، وجب تصديقه به، وإن كان تشريعًا إيجابًا أو تحريمًا أو إباحةً وجب اتّباعه فيه، فإنّ الآيات الدالة على نبوّة الأنبياء، دلّت على أنّهم معصومون فيما

1) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، دار الكتب العلمية/بيروت، ط (بدون)، (ص61)، **انظر أيضاً**: توجيه النظر إلى أصول الأثر، طاهر بن صالح بن السمعوني الجزائري، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية/ حلب، ط1، 1416هـ/1995م، (1/1).

يخبرون به عن الله ﷻ، فلا يكون خبرهم إلا حقًّا، وهذا معنى النبوة، وهو يتضمن أنّ الله ينبئه بالغيب وأنّه ينبئ الناس بالغيب، والرسول مأمور بدعوة الخلق وتبليغهم رسالات ربه"[(1)] .

وعلماء الأصول إنّما بحثوا عن رسول الله ﷺ المشرّع، الذي يضع القواعد للمجتهدين من بعده، ويبين للناس دستور الحياة، فعُنوا بأقواله وأفعاله وتقريراته التي تثبت الأحكام وتقرّرها[(2)] .

وأصل أهمّية السنّة البالغة، هو –في فهم الباحث– كون النبي ﷺ هو خاتم الأنبياء، ورسالته هي خاتمة الرسالات، قال ﷻ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ **وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ** وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾ (الأحزاب/40) .

والسنّة لها مكانة عظيمةٌ في دين الإسلام، تجعلها المصدر الثاني لأصول الاعتقاد والتشريع في الدين الإسلامي، بعد القرآن الكريم، وذلك من وجوه:

1) مكانة السنّة في القرآن:

أرشد القرآن العظيم إلى مكانة السنّة النبوية، إذ قرن الله ﷻ طاعته بطاعة نبيه ﷺ، فقال ﷻ: ﴿ مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً ﴾(النساء/80)، وقال ﷻ: ﴿ قُلْ **أَطِيعُواْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ** فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾ (آل عمران/32)، وقال أيضاً: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ **آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ** وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي **شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ** إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (النساء/59) .

ويأمر الله ﷻ باتّباع الرسول ﷺ، فيما يأمر وينهى، ﴿ وَمَا آتَاكُمُ **الرَّسُولُ فَخُذُوهُ** وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ **فَانتَهُوا** وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (الحشر/7) .

---

1) قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، محمد جمال الدين القاسمي، (62/1) .

2) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى بن حسني السباعي، المكتب الإسلامي/ دمشق– بيروت، ط3، 1402هـ/1982م، (ص 49) .

بل إنّ طاعة الرسول ﷺ هي مقصد الرسالة، قال ﷻ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (النساء/64) . لذلك كان: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ (الأحزاب/6) .

ويحذّر القرآن من مخالفة النبي ﷺ ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النور/63) .

2) السنّة متمّمة للقرآن:

فرسول الله ﷺ هو المبلّغ عن ربّه ﷻ، ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (المائدة67) ، ﴿ مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ (المائدة/99) .

وقد بيّن الله ﷻ الوظيفة التكاملية بين القرآن والسنّة النبوية، إذ قال ﷻ: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل/44) .

" والمسلمون في حاجة إلى معرفة بيان رسول الله ﷺ، مع حاجتهم إلى معرفة كتاب الله ﷻ، **ولا يمكن أن يُفهم القرآن على حقيقته وأن يعلم مراد الله من كثير من آيات الأحكام فيه إلا بالرجوع إلى رسول الله** ﷺ، الذي أنزل الله ﷻ عليه الكتاب ليبيّن للناس ما نزّل إليهم من ربهم، ومن هنا اتفق المسلمون قديمًا وحديثًا – إلاّ من شذّ من بعض الطوائف المنحرفة – على أن سنة رسول الله ﷺ من قول أو عمل أو تقرير، هي من مصادر التشريع الإسلامي الذي لا غنى لكل متشرع عن الرجوع إليها في معرفة الحلال والحرام"[1] .

---

1) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى السباعي، (ص 376) .

3) السنّة وحي محفوظ:

السنّة النبوية هي وحيٌ من الله ﷻ، بنصّ القرآن العظيم: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (النجم3-4) .

قال الشافعي – رحمه الله: " **وما سنّ رسول الله فيما ليس لله فيه حكم، فبحكم الله سنَّهُ** ... وكل ما سنّ فقد ألزمنا الله اتباعه وجعل في اتباعه طاعته، وفي العُنود عن اتّباعها معصيته التي لم يعذر بها خلقا" (1) .

وقال ابن حزم– رحمه الله: " فصح لنا بذلك أنّ الوحي ينقسم من الله ﷻ إلى رسوله ﷺ على قسمين: **أحدهما وحي متلو** مؤلف تأليفًا معجز النظام وهو القرآن، **والثاني: وحي مروي منقول** غير مؤلف ولا معجز النظام ولا متلو لكنه مقروء، وهو الخبر الوارد عن رسول الله ﷺ، وهو المبين عن الله ﷻ مراده منا ... فصح بذلك أن كلامه ﷺ كله محفوظ بحفظ الله ﷻ، مضمون لنا أنه لا يضيع منه شيء، إذ ما حفظ الله ﷻ فهو باليقين لا سبيل إلى أن يضيع منه شيء، فهو منقول إلينا كله" (2) .

وقال ﷻ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ **وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ** وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (آل عمران/164) .

قال الشافعي– رحمه الله: " سمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله ﷺ، وهذا يشبه ما قال والله أعلم، لأن القرآن ذكر وأتبعته الحكمة، وذكر الله منّه على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة، فلم يجز – والله أعلم – أن يقال الحكمة ها هنا إلا سنة رسول الله ﷺ، وذلك أنها مقرونة مع كتاب الله، وأن الله ﷻ افترض طاعة رسوله ﷺ، وحتم على الناس اتباع

1) الرسالة، الشافعي، (ص 88) .

2) الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الأندلسي، مطبعة العاصمة/القاهرة، ط(بدون)، (1/87-88) .

أمره فلا يجوز أن يقال لقوله: فرض إلا لكتاب الله ﷻ ثم سنة رسولهﷺ، لما وصفنا، من أنّ الله ﷻ جعل الإيمان برسوله مقرونًا بالإيمان به" [1] .

4) بشرى كل الرسالات بمحمد ﷺ:

قال الله ﷻ : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف/157) .

يقول سيد قطب- رحمه الله: "إنّه لنبأٌ عظيم، يشهد بأن بني إسرائيل قد جاءهم الخبر اليقين بالنبي الأمي، على يدي نبيهم موسى ونبيهم عيسى- عليهما السلام- منذ أمدٍ بعيد، جاءهم الخبر اليقين ببعثه، وبصفاته، وبمنهج رسالته، وبخصائص ملّته، فهو (النبي الأمي)، وهو يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر، وهو يحلّ لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث، وهو يضع عمن يؤمنون به من بني إسرائيل الأثقال والأغلال التي علم الله أنها ستفرض عليهم بسبب معصيتهم، فيرفعها عنهم النبي الأمي حين يؤمنون به ... وبذلك البلاغ المبكر لبني إسرائيل- على يد نبيهم موسى عليه السلام- كشف الله تعالى عن مستقبل دينه، وعن حامل رايته، وعن طريق أتباعه، وعن مستقر رحمته، فلم يبق عذر لأتباع سائر الديانات السابقة، بعد ذلك البلاغ المبكر بالخبر اليقين"[2].

5) موثوقية نقل السنّة:

إنّ حفظ السنّة لم يكن عبثاً، بل إنّ الله تعالى هيّأ لهذه الأمة من الأسباب ما جعلها قادرة على حفظ سنة رسول الله ﷺ، " ومن هذه الأسباب ما يتعلق به ﷺ، من طريقته في تثبيت السنّة في نفوس أصحابه، ومنها ما يتعلق بالصحابة -رضوان الله عليهم- وشدة عنايتهم بحديث رسول الله

---

1) الرسالة، الشافعي، (ص 78) .

2) في ظلال القرآن، سيد قطب، (1378/3)- بتصرف يسير .

ﷺ، وقد شاركهم التابعون لهم بإحسان في كثير من ذلك، ومنها ما يرجع إلى ما وضعه العلماء من القواعد والمناهج لحفظ السنّة من الدخيل والموضوع"[1] .

وباتت طرق ومناهج وقواعد أهل الحديث من علماء المسلمين بعد عصر رسول الله ﷺ مفخرةً ونموذجاً في دقّة النقل والتمحيص للروايات، إذ اعتنوا بالإسناد والمتن عناية كبيرة، واهتمّوا بعلم الجرح والتعديل، واشترطوا في الراوي شروطاً لقبول روايته، وعُنوا بالبحث عن التصحيف والتغيير في الألفاظ، وقسّموا الأحاديث وصنّفوها من جهة قوّتها وضعفها، إلى غير ذلك مما هو مبسوط في كتب علم الحديث، مما يؤكّد على مدى الاهتمام البالغ الذي لاقته السنة النبوية من علماء المسلمين حتى صانوها من الدخيل والموضوع، تحقيقاً لحفظ الله ﷻ لوحيه[2] .

والمقصود من هذا الاستعراض لعدد من خصائص السنة النبوية ومكانتها العظيمة في الإسلام؛ كمصدر ثانٍ من المصادر الأساسية للعقيدة والتشريع الإسلامي، بيان أهمية سلامة المصدر، كأساسٍ يبنى عليه أخذ العقائد أو ردّها.

و اتّضح للباحث أنّ **ما ورد في السنّة النبوية المطهّرة من بيان لمكانة الأرض المقدّسة بالنسبة للمسلمين، هو مبنيٌ على الأسس والقواعد القرآنية سالفة الذكر حول وراثة الأرض والوعد بها وتقديسها**، ولا غرابة في ذلك إذ تقرر أنّ السنة النبوية هي متممة ومصدّقة للقرآن الكريم، فضلاً عن كونها الشطر الثاني من الوحي الإلهي، فلا يُتصوّر إذاً أن تتعارض السنة مع القرآن في هذه القواعد أو غيرها.

هذا وسيعرض الباحث –بإذن الله– في المبحث الثاني من هذا الفصل مكانة الأرض المقدّسة في السنة النبوية.

---

1) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد، عثمان بن علي حسن، (90/1)– بتصرف يسير .

2) انظر: المصدر السابق، (1/ 98– 102) .

خلاصة المطلب:

أولاً: إنّ مصادر الفكر الإسلامي الأصيلة (مصادر العقائد والتشريع)، تعود إلى أصلين عظيمين، وهما كتاب الله ﷻ، وسنة نبيه ﷺ .

ثانياً: تميّزت مصادر العقيدة والفكر الإسلامي بأنّها مصادر ربانية، تعتمد على الوحي المحفوظ، ولم تطلها أيدي البشر بالعبث والتحريف، إذ تكفّل الله بحفظها، فالقرآن مروي كله بالتواتر، والسنة منها المتواتر وغير المتواتر لكنها محفوظة بحفظ الله تعالى.

ثالثاً: وضعت مصادر المسلمين قواعد ومفاهيم أساسية حول وعد الله ﷻ بملكية الأرض، والاستخلاف فيها ووراثتها، وحاصل هذه القواعد أنّ التوحيد والإيمان والتقوى هي مناط التمييز بين البشر في استخلاف الله ﷻ لهم في أرضه.

رابعاً: إنّ أمّة الإسلام – وفق القواعد المحكمة للقرآن والسنّة – هي الأمّة المؤهلة لحمل أمانة استخلاف الله لهم في أرضه، وذلك لتحقيقهم التوحيد من بين سائر الملل، وهذا التوحيد (بما يتضمنه من طاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ) هو المعوّل عليه في مسألة وراثة الأرض.

خامساً: إنّ دراسة وتمحيص المصدر الديني هي أمر جوهري وقاطع للحكم على عقائد الأمم والملل وأفكارها نحو قضيةٍ ما، فإذا استقام الأصل (وهو المصدر)، استقام الفرع (وهو الفكر)، والعكس صحيح.

المطلب الثاني:

مصادر الحق التاريخي للمسلمين في الأرض المقدّسة

استعرض الباحث في الفصل الأول ادّعاءات اليهود بالحق التاريخي في فلسطين[1]، وكذا النصارى في الفصل الثاني[2]، ومن خلال مناقشة ادّعاءات الفريقين حول هذا الحق، اتّضحت كثيرٌ من معالم الحقّ التاريخي للمسلمين في الأرض المقدّسة، وبناءً على ذلك فلن يلجأ الباحث إلى تكرار ما سبق، فيراجع في موضعه.

وإضافة إلى ما سبقت مناقشته، فإنّ الحق التاريخي للمسلمين في فلسطين ينطلق –في فهم الباحث– من **مصدرين هما أساس حصول الوراثة للأرض، مصدرٌ تاريخي رباني، ومصدرٌ تاريخي بشري، وبيانهما فيما يلي:**

أولاً: المصدر التاريخي الرباني:

وهذا المصدر هو المقدّم، وهو الأولى بالاهتمام، ويقصد الباحث بالمصدر التاريخي الرباني، أي: كون الحق التاريخي للمسلمين في هذه الأرض مبنياً على تاريخ الدّيانات، إذ إنّ هذه الأرض هي أرض الرسالات السماوية، وأرض الأنبياء، **وإذا كان الحق التاريخي مبني على وراثة الأرض من الأجداد بحسب دينهم، فهذا يؤكد حقّ المسلمين في الأرض المقدّسة.**

إذ " إنّ فضل البقعة التي وجد فيها بيت المقدس ثابتٌ تاريخياً، وفي نصوص القرآن والسنّة الكثيرة، **ولا شكّ أن هذا الفضل يعود لأحقاب ضاربة في القدم، ففي هذه البقعة نشأ ومات كثيرٌ من الأنبياء والرُسُل، وكانت مهبطاً لكثيرٍ من الرسالات والوحي،** وبها جرت أعظم أحداث التاريخ القديم"[3] .

---

1) **انظر:** هذا البحث الذي بين يديك، (ص 190 – 197) .

2) **انظر:** هذا البحث الذي بين يديك، (ص 385– 410) .

3) فلسطين التاريخ المصور، د. طارق سويدان، (ص 16) .

وقد استطرد كثيرٌ من الباحثين المسلمين – فيما اتّضح للباحث– في ذكر الحق التاريخي للعرب (أجداد المسلمين) في هذه الأرض على أساس عرقي وقومي، إذ ساقوا مئات الأدلة التاريخية، وعرضوا نتائج المكتشفات الأثرية، مدلّلين على كون هذه الأرض عربية كنعانية الأصل، وهذا لا شك فيه، ولكنّ بعض هؤلاء الباحثين تعرّضوا لأنبياء الله – عليهم الصلاة والسلام– بشيء من القدح – ربما من دون قصد– بدعوى نقض الحق التاريخي لليهود في فلسطين، وكأنّ هؤلاء الأنبياء هم من اليهود!، وهذا الأمر يتعارض مع مفهوم الإسلام، ومع ركنٍ من عقيدة المسلمين.

قال الله ﷻ: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (البقرة/285) .

قال القرطبي: " يعني: يقولون آمنا بجميع الرسل، ولا نكفر بأحد منهم، ولا نفرّق بينهم كما فرقت اليهود والنصارى"[(1)] .

إذاً، فاليهود والنصارى هم الذين فرّقوا بين الأنبياء في الإيمان، وجاء الإسلام ليصحح هذا الانحراف في التفريق، فكيف يجوز بعد ذلك أن يقدح مسلمٌ في نبي من أنبياء الله ﷻ ليردّ على اليهود والنصارى!

ولقد تبيّن– كما سبق إيضاحه– أنّ يهود اليوم مثلاً لا سند لهم في انتسابهم إلى إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى –عليهم الصلاة السلام– من ناحية العرق والنسل، وإنما يبنون حقّهم التاريخي على الادّعاء بالانتساب، بينما ثبت قطعاً أنّ العرب (الذين أصبحوا مسلمين) هم من نسل إبراهيم عليه السلام، فحقّهم فيه أوجب وأسبق.

ومع هذا فالمنهج القرآني الذي يقرر الحق الديني للمسلمين في وراثة الأرض لا يقوم على الأنساب والأعراق والقوميات، كما تم بيانه في المطلب السابق، وعلى فرض أنّ الاختلاف قائمٌ في الأنساب، لبعد الزمان، فليكن الاحتكام إلى دين (الآباء) المتنازع عليهم.

---

1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (3/ 425) .

وإذا كان اليهود والنصارى يعتبرون كتابهم المقدّس مستندهم التاريخي الأعظم –إذ اختلط عندهم اللاهوت بالتاريخ – كما تقدّم– فإن القرآن الكريم هو الدستور التاريخي والمستقبلي للمسلمين.

" فالجانب الإخباري – وهو قسم كبير من القرآن– لا يماري عاقل في أنّه لا يعتمد إلاّ على التلقّي والتعلّم، **وقد ذكر القرآن أنباء من سبق من الأمم والجماعات والأنبياء والأحداث التاريخية بوقائعها الصحيحة الدقيقة كما يذكر شاهد العيان**، مع طول الزمن الذي يضرب في أغوار التاريخ إلى نشأة الكون الأولى، بما لا يدع مجالاً لإعمال الفكر ودقّة الفراسة"[1] .

يقول الشيخ محمد رشيد رضا– رحمه الله[2]: " فثلاثة أرباع القرآن تقريباً قصص، وتوجيهٌ للأنظار إلى الاعتبار بأحوال الأمم، في كفرهم وإيمانهم، وشقاوتهم وسعادتهم، ولا شيء يهدي الإنسان كالمثلات والوقائع، فإذا امتثلنا الأمر والإرشاد، ونظرنا في أحوال الأمم السالفة، ... كان لهذا النظر أثرٌ في نفوسنا يحملنا على حسن الأسوة والاقتداء بأخبار تلك الأمم فيما كان سبب السعادة والتمكن في الأرض، واجتناب ما كان سبب الشقاوة أو الهلاك والدمار، ومن هنا ينجلي للعاقل شأن علم التاريخ وما فيه من الفوائد والثمرات ، وتأخذه الدهشة والحيرة إذا سمع أن كثيرًا من رجال الدين من أمّةٍ هذا كتابُها يعادون التاريخ باسم الدين ويرغبون عنه، ويقولون: إنه لا حاجة

---

1) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مؤسسة الرسالة/بيروت، ط35، 1419هـ/1998م، (ص 43) .

2) محمد رشيد رضا (1282 – 1354هـ): محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب، أحد رجال الإصلاح الإسلامي، من الكتاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، ولد ونشأ في القلمون (من أعمال طرابلس الشام) وتعلم فيها وفي طرابلس، وتنسك، ونظم الشعر في صباه، وكتب في بعض الصحف، ثم رحل إلى مصر سنة 1315هـ فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له، ثم أصدر مجلة (المنار) لبث آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي، مات ودفن بالقاهرة. أشهر آثاره مجلة (المنار)، و(تفسير القرآن الكريم) و (تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده)، و (الوحي المحمدي) و (يسر الإسلام وأصول التشريع العام)، و (شبهات النصارى وحجج الإسلام) وغيرها **[** الأعلام، الزركلي، (125/6– 126)– بتصرف **]** .

إليه ولا فائدة له، وكيف لا يدهش ويحار والقرآن ينادي بأنّ معرفة أحوال الأمم من أهم ما يدعو إليه هذا الدين؟ "[1] .

" ومن أنواع الأخبار القرآنية قصص الأنبياء –عليهم السلام–، والذي يتضمن دعوتهم لقومهم، والمعجزات التي أيّدهم الله ﷻ بها، وموقف المعاندين منهم، ومراحل الدعوة وتطورها، وعاقبة المؤمنين والمكذبين"[2] .

وهذا الجانب الإخباري القرآني القطعي يقرر حقيقة يقينية تاريخية محكمة، لا جدال فيها، وهي: أنّ جميع أنبياء الله ورسله – عليهم الصلاة والسلام– هم مسلمون، وبُعثوا بالإسلام على صورته التي جاء بها محمد ﷺ **(أي في أصول الاعتقاد).**

وحقّ المسلمين التّاريخي في الأرض المقدّسة – في فهم الباحث– ينعقد من وجوه كثيرة أهمّها أنّ جميع الأنبياء بُعثوا بدين الإسلام، وأنّهم بشّروا بمحمد ﷺ، والمستند التاريخي في ذلك هو كتاب الله الخالد، القرآن الكريم..

قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلَامُ ﴾ (آل عمران/19) .

فنوحٌ عليه السلام بعث برسالة الإسلام، مخاطباً قومه: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ **وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ (يونس/72) .

وهذا إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء وخليل الرحمن، الذي سكن الأرض المقدّسة ودُفن فيها[3]، والذين تنازع أهل الكتاب في الانتساب إليه، جاء القرآن مقرراً حقيقة دينه وخلفائه بشكل قاطع، إذ قال ﷻ: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * هَا أَنتُمْ

---

1) تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب/القاهرة، ط (بدون)، 1990م، (1/ 56)– بتصرف يسير.

2) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، (ص 306)– بتصرف.

3) انظر: قصص الأنبياء، ابن كثير، (ص 115، 149) .

هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ* **مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ*** إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران 65 – 68) .

" ينكر تعالى على أهل الكتاب من اليهود والنصارى في دعوى كل من الفريقين، كون الخليل على ملّتهم وطريقتهم، فبرّأه الله منهم، وبيّن كثرة جهلهم وقلّة عقلهم في قوله: ﴿وَمَا أُنزِلَتِ التَّورَاةُ وَالإنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ﴾ ، أي: فكيف يكون على دينكم وأنتم إنما شرع لكم ما شرع بعده بمدد متطاولة؟ ولهذا قال: " ﴿أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ إلى أن قال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، فبيّن أنه كان على دين الله الحنيف، وهو القصد إلى الإخلاص، والانحراف عمداً عن الباطل إلى الحق الذى هو مخالف لليهودية والنصرانية والمشركية"[1].

بل إنّ الله ﷻ **أكّد حقيقة انتساب جميع أنبياء بني إسرائيل من بعد إبراهيم** عليه السلام **إلى الإسلام، ووصية إبراهيم** عليه السلام **ويعقوب** عليه السلام **لأبنائهما بدين الإسلام،** حيث قال ﷻ: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ* إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ **أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ*** وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ **فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ***أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي **قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ***تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ* وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ* قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ **لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ (البقرة/ 130 – 136) .

1) قصص الأنبياء، ابن كثير، (ص 139) .

ثم يزيد القرآن الأمر وضوحاً؛ ليستيقن المؤمنون: ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة/140) .

يقول سيد قطب – رحمه الله: " ويبدأ هذا الشوط بمواجهة أهل الكتاب– اليهود والنصارى– بسخف موقفهم وهم يحاجون في إبراهيم عليه السلام، فيزعم اليهود أنه كان يهودياً، ويزعم النصارى أنه كان نصرانياً، على حين أنّ إبراهيم عليه السلام سابقٌ لليهودية والنصرانية، سابقٌ للتوراة والإنجيل، والحجاج فيه على هذا النحو مراء لا يستند إلى دليل.. **ويقرر حقيقة ما كان عليه إبراهيم** عليه السلام.. **لقد كان على الإسلام.. دين الله القويم، وأولياؤه هم الذين يسيرون على نهجه، والله ولي المؤمنين أجمعين.. ومن ثم تسقط ادعاءات هؤلاء وهؤلاء، ويتبين خط الإسلام الواصل بين رسل الله والمؤمنين بهم على توالي القرون**"[1] .

ويحكي القرآن خبر دعاء إبراهيم وإسماعيل –عليهما السلام– أن يثبّتهما الله ﷻ على الإسلام، وأن تكون ذرّيتهما مسلمة، فكان من دعائهما: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة/128) .

وقد استجاب الله ﷻ دعاء خليله إبراهيم عليه السلام وابنه نبي الله إسماعيل عليه السلام، وكان محمد ﷺ هو تأويل تلك الاستجابة"[2] .

ويبيّن الله ﷻ خلفاء إبراهيم عليه السلام . . ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران/68) .

---

1) في ظلال القرآن، سيد قطب، (409/1).

2) الرسل والرسالات، د. عمر سليمان الأشقر، دار النفائس/ الأردن، ط1، 1429هـ/ 2008م، (ص 162) .

أما بيت لوط ﷺ، **فقد وصفه الله** ﷻ **بالإسلام** فقال: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا **غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ (الذاريات/36) .

أما سليمان ﷺ **-الذي يكثر اليهود من ذكره الانتساب إليه وإلى هيكله المزعوم-** فيقول في رسالته لملكة سبأ : ﴿ . . . بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ **وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**﴾ (النمل/30-31) .

أما موسى ﷺ **- الذي يعتبره اليهود زعيمهم الأعظم ويتسمّون باسمه** وهو منهم براء- فقد كان أمره لبني إسرائيل بالإسلام لا بغيره، قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ **تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ**﴾ (يونس/84) ، لذلك كان قول سحرة فرعون عندما آمنوا: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً **وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ**﴾ (الأعراف/126) .

فإذا كان اليهود يبنون حقّهم التاريخي جملةً على كون (آبائهم) -بزعمهم- قد سكنوا الأرض المقدّسة ووُعدوا بها، فقد جاء القرآن المحكم بالردّ على اليهود، **وهذا النصّ المقدّس- في فهم الباحث- هو المستند التاريخي الأعظم، الذي ينبغي أن يستمسك به المسلمون، مستيقنين بانتسابهم إلى كل هؤلاء الأنبياء، وأنّهم ورثتهم الحقيقيون .**

أما عيسى ﷺ **- الذي خاض فيه النصارى واعتقدوا فيه ما اعتقدوا فأشركوا-** فحواريوه أشهدوه على إسلامهم، قال الله ﷻ: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ **آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ (آل عمران/52) .

وكانت بشارة المسيح عيسى ﷺ بمحمدٍ ﷺ صريحةً بنص القرآن: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ **وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾ (الصف/6) .

وحاصل الأمر: إذا ما أعمل المرء قواعد القرآن في وراثة الأرض والاستخلاف فيها، كحقيقة دينية راسخة، مع ما بيّنه القرآن من الحقيقة التاريخية بأنّ الأنبياء جاؤوا بدعوة الإسلام أجمعين، وبشّروا بمحمد ﷺ خاتم المرسلين، **فإنّ هذا المنهج القرآني يعطي نتيجة حتمية بحقّ المسلمين في الأرض المقدّسة، وأنّها أرضهم، إذ هي مهبط دين الله ﷻ الحقّ الوحيد (الذي هو دين الإسلام) .**

ثانياً: المصدر التاريخي البشري:

والمقصود بهذا المصدر التاريخي، أي ما ذكرته كُتب التاريخ حول من سكن الأرض المقدّسة منذ قديم الزمان، ومدى أحقّية كلّ طرف من الأطراف المتنازعة على هذه الأرض فيها، من الناحية التاريخية البشرية المحضة.

ومع أهمية المصدر التاريخي الرباني وأولويته في إثبات الحق التاريخي، فسيتعرض الباحث بإيجاز إلى المصدر التاريخي الذي يثبت أحقّية المسلمين في أرض فلسطين، **مع أهمية أن ينضبط الأخذ بالمصدر التاريخي –في فهم الباحث– بقواعد المنهج القرآني سابقة الذكر.**

فلا يجوز – مثلاً – التعصّب لوثنية لأنها عربية، أو الانتقاص من مكانة أنبياء الله ﷻ المرسلين إلى بني إسرائيل، ولا ينبغي أن يؤثّر الأخذ بالمصدر التاريخي على عقيدة المسلم في الولاء والبراء، وهكذا[1] .

وتبرز أهمّية المصدر التاريخي البشري – فيما يتّضح للباحث– في أمور عدّة، من أهمّها:

الأول: كون اليهود المحتلين لأرض فلسطين كافرين بالقرآن الكريم، وبنبي الله للعالمين محمد ﷺ، وعليه فتجب مجابهتهم أمام محكمة التاريخ، إذ فيها من البراهين ما ينقض كلّ دعوىً لهم بالحق التاريخي في هذه الأرض، فلا يُتصور محاجّة اليهود بالقرآن وحده.

---

1) انظر: عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين عرض ونقد، محمد بن علي آل عمر، مجلة البيان/ الرياض، ط1، 1424هـ/2003م، (240) .

الثاني: مخاطبة الحضارة الغربية المادّية، والتي تسود في كثير من أوساطها النظرة العلمية المحضة، وهؤلاء تجدر مخاطبتهم بلغتهم التي يفهمون، أي الدلائل العلمية والتاريخية المستقلة والموضوعية، والتي تتضافر بإثبات حق المسلمين والعرب في هذه الأرض دون غيرهم.

الثالث: إنّ في إسقاط القول بالحق التاريخي من مصادر التاريخ البشري تضييع لمعنى من معاني الجهاد بالعلم والقلم والكلمة، إذ إنّ إثبات هذا الحق للناس – خاصة غير الخاضعين لمفاهيم وقوانين القرآن والسنة– فيه محاصرة لأكاذيب اليهود ومَن وراءهم، وتفنيد لدعاواهم وتزييفهم الممنهج للتاريخ.

وينقسم حق المسلمين في فسطين من الناحية التاريخية البشرية – في فهم الباحث– إلى قسمين، وبيانهما فيما يلي:

أولاً: أسبقية العرب في سكنى فلسطين:

حكى العهد القديم المقدّس عند اليهود والنصارى – بوضوح وتصريح– أسبقية الكنعانيين في سكنى أرض فلسطين، فهذا مصدرٌ من المصادر البشرية (ذلك أنّ يد البشر طالته بالتحريف) التي تعترف بهذه الحقيقة[1] .

" **و تروي كتُب التاريخ القديم وتعضدها مكتشفات الآثار الحديثة، بأنّ أول من سكن القدس وما حولها هم اليبوسيون**، إذ هم البناة الأولون للقدس، والتي كانت تسمّى في عهدهم (يبوس)، وهم بطنٌ من بطون العرب الأوائل الذين نشأوا في قلب الجزيرة العربية، ثم نزحوا مع من نزح من القبائل الكنعانية إلى هذه البلاد، وذلك منذ نحو 3000 عام قبل الميلاد" [2] .

---

1) انظر: هذا البحث الذي بين يديك، (ص 225، وما بعدها)، من خلال النصوص التي ساقها الباحث من العهد القديم، والمتضمنة للتصريح بوجود الكنعانيين السابق لوجود بني إسرائيل في الأرض المقدّسة.

2) تاريخ القدس، عارف العارف، (ص11)– بتصرف.

ولا غرابة في ذلك، إذ إنّ "جميع الأقوام التي خرجت من الجزيرة العربية هي شعوب عربية تعود أصولها الجنسية واللغوية والمعاشية إلى الأمّة العربية، التي تفرّعت، واتّخذت هجراتها أسماء مختلفة، (ومنها الكنعانيون)"[1] .

" وأول إشارة إلى (كنعان) وردت في حفريات "تل العمارنة"[2] **التي يرجع عصرها إلى خمسة عشر قرناً قبل الميلاد،** إذ أشارت هذه الحفريات بهذا الاسم إلى الأرض الواقعة غربي نهر الأردن، بما فيها سوريا"[3].

" أما اسم (بالستين) الذي عرّبه العرب فنطقوه (فلسطين) فهو مشتق من اسم الشعب الذي كان يسكن السهول الشمالية والجنوبية من فلسطين، ويسمى (الفلستينيون)" [4] .

" وقد استخدم اليهود اسم (فلستيني) حتى جعلوه مرادفاً للسكير والعربيد، ولكن الحقيقة التاريخية تقول بأن الفلستينيين – السابقين لوجود (الإسرائيليين) القدماء يقيناً– كانوا على درجة كبيرة من الحضارة تفوق حضارة (الإسرائيليين)" [5] .

وقد أشار المؤرخ الإنجليزي هـ.ج ويلز، – في كتابه: موجز تاريخ العالم – إلى أنّ العرب الساميين قد استوطنوا أرض سوريا (ومنها أرض فلسطين) في عصور سحيقة تعود إلى أكثر من 3000 عام قبل الميلاد[6] .

---

1) موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم، د. نعيم فرح، دار الفكر/بيروت، ط(بدون)، (ص 5)– بتصرف يسير .

2) تل العمارنة: يطلق هذا الاسم على مجموعة الأطلال والقبور الواقعة على بعد 300 كم جنوب القاهرة على الضفة الشرقية لنهر النيل، عُثر في هذا المكان سنة 1887م على ألواح من الطين كُتبت بالخط المسماري، تعدّ مصدراً تاريخياً هاماً لسورية وفلسطين فيما بين (1385– 1355 ق.م) **]** الموسوعة الفلسطينية الميسّرة، (ص 474) **[** .

3) تاريخ فلسطين القديم، ظفر الإسلام خان، (ص 16)– بتصرف .

4) المصدر السابق، (ص 18) .

5) المصدر نفسه، (ص 25)– بتصرف .

6) انظر: موجز تاريخ العالم، هـ.ج ويلز، (ص 143– 144) .

وسبق أن أشار الباحث إلى أنّ التوراة (التي يؤمن بها اليهود والنصارى) شهدت نصاً وصراحةً بوجود ملك ومملكة لسكّان الأرض الفلسطينيين، حتى قبل هجرة نبي الله إبراهيم عليه السلام إليها[1] .

إذاً، " فالكنعانيون شعبٌ ساميٌّ عربيٌ، وأحياناً يطلق اسمهم على كل القبائل (غير الإسرائيلية) في فلسطين، **وقد صمد الكنعانيون في أرض فلسطين على مرّ القرون ولم تستطع أي قوة غازية لهذه البلاد أن تقتلعهم منها، وعليه فلا مجال للشك في أن عرب فلسطين اليوم هم أخلاف أسلافهم من الكنعانيين واليبوسيين والفلستينيين الذين صمدوا في الأرض رغم كل الطغيان اليهودي والغزوات الخارجية المستمرة** " [2] .

ويشير العلم الحديث بأنّ " أول آثار معروفة في فلسطين تعود للكنعانيين والأموريين، وهما شعبانِ هاجرا من الجزيرةِ العربية إلى الشمال، واستقرا في بلاد الشام، وتحديداً في فلسطين، وهذا ثابتٌ وواضحٌ في تاريخ فلسطين، وأجمع عليه كلّ المؤرخين الشرقيين والغربيين، وعليه فأوّل تاريخ مدوّن يعود لأوّل ساكني فلسطين هم من العرب الكنعانيين والأموريين"[3] .

وقد تركت هذه الشعوب – التي سكنت فلسطين وما حولها– بصماتها في التاريخ؛ حيث احتكت بالشعوب المجاورة، وتأثرت بها وأثرت فيها من الناحية الحضارية[4] .

ويكفي أن يشير الباحث إلى حقيقة دوّنها المؤرّخون، وهي: " أن الكنعانيين (الذين سمّاهم اليونان بالفينيقيين) **كانوا أول أمة بحرية في التاريخ**، إذ أخذوا يجوبون البحار ويؤسسون الطرق البحرية بين الشرق والغرب، وأنشئوا المستعمرات **ونشروا حضاراتهم وحضارات غيرهم بين مختلف الجهات**، وكانوا تجارًا نموذجيين ألفت الشعوب القديمة رؤية سفنهم ... ومن أهم ما قاموا به الدوران

---

1) **انظر**: هذا البحث الذي بين يديك، (ص 195) .

2) تاريخ فلسطين القديم، ظفر الإسلام خان، (ص 29– 30)– بتصرف.

3) فلسطين التاريخ المصور، د. طارق سويدان، (ص 25)– بتصرف يسير .

4) معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، محمد أبو المحاسن عصفور، دار النهضة العربية/بيروت، ط2، (بدون تاريخ)، (ص 274).

حول إفريقيا ... كما ينسب إليهم أنهم وصلوا إلى بريطانيا وكانوا يتاجرون معها؛ إذ كانوا يحصلون منها على القصدير في نظير الخزف والملح والأواني النحاسية"[1] .

كما كان للكنعانيين دور كبير في تاريخ الحضارة الإنسانية؛ وخاصة في مجال صناعة المعادن المتقدمة، والصناعات الحديدية والخشبية، والزراعة، والفنون الحربية، والأعمال الهندسية المتعلقة بشبكات المياه باستخدام الأنفاق، **وكان أعظم ما قدمته الحضارة الكنعانية للبشرية هو اختراع الأبجدية الهجائية**[2] .

والحديث عن حضارة الكنعانيين يطول جداً[3]، وإنما المقصود هنا بيانٌ موجز عام لهوية أول ساكني أرض فلسطين المعروفين، وحضارتهم.

ثانياً: فلسطين في ظل الإسلام:

وبعد أن دخل العرب في دين الله أفواجاً، وأخرجهم النبي الأمّي العربي ﷺ ﴿ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (إبراهيم/1) ، **ترسّخ الحقّ التاريخي للعرب والمسلمين في فلسطين، وتعاضد الحق التاريخي البشري بالحق التاريخي الرباني.**

فبات انطلاق البعثة النبوية للعالمين نقطة تحوّل في تاريخ هذه الأرض المباركة، إذ أصبحت نقطة الالتقاء بين الأرض والسماء (حيث الإسراء والمعراج).

وكان هذا الحدث مما آثر الله ﷻ به نبيه الكريم ﷺ ليرقى إلى ملأ عظيم في ليلةٍ عظيمة، ولو لم يحدث في زمن النبوة حدثٌ يُشرّف ذاك المكان إلا هذا الحدث لكفاه، ولكنّ عناية النبي ﷺ

---

1) معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، محمد أبو المحاسن عصفور، (ص 279)- بتصرف.

2) انظر: العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة، (ص 10- 16) .

3) للاستزادة راجع: تاريخ فلسطين القديم، ظفر الإسلام خان، **أيضاً:** العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة، **أيضاً:** موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم، د. نعيم فرح، **أيضاً:** بلادنا فلسطين، مصطفى الدباغ، الجزء الأول.

توجّهت إلى الأرض المقدّسة، استعداداً وعملاً على تطهيرها من أدران الشرك الروماني النصراني[1].

وهنا إشارة إلهية إلى بدء مرحلةٍ جديدة من تاريخ هذه الأرض وعلاقة المسلمين بها إلى الأبد، فليس عبثاً أن يقدّر الله المعراج إلى السماوات العلى من بيت المقدس، وحقّ للقدس والأقصى أن تفتخر بفتح رسول الله ﷺ لها، فتحاً روحياً قبل الفتح العملي فيما بعد[2].

ولم تكن حادثة الإسراء والمعراج –مع عظمتها– هي الإشارة الوحيدة في حياته ﷺ إلى التاريخ الجديد الذي بدأت كتابته، بل إنّ هناك تاريخاً عملياً ووقائع جرت في عهده ﷺ أسّست لما تلاها من فتوحات في عهد خلفائه –رضي الله عنهم.

ومن أهمّ هذه الوقائع: إرساله ﷺ **غزوة مؤتة**[3] نحو الشام، سنة ثمانٍ للهجرة، **وغزوة تبوك**[4] التي قادها بنفسه ﷺ سنة تسع للهجرة، إلى نفس الوجهة، ثم **بعثه لجيش أسامة بن زيد** رضي الله عنه قبل وفاته نحو الشام، **وهو آخر بعثٍ له**ﷺ [5] .

ثم حمل صحابة رسول الله ﷺ الراية من بعده، " فكانت أول وقعة واقعها المسلمون الروم في خلافة أَبِي بكر الصديق رضي الله عنه أرض فلسطين"[6]، " إذ لمّا فرغ أبو بكر رضي الله عنه من أمر أهل الردة رأى **توجيه الجيوش إلى الشام،** فكتب إلى أهل مكة، والطائف، واليمن، وجميع العرب بنجد، يستنفرهم

---

1) انظر: قبل الكارثة نذير ونفير، عبد العزيز كامل، (ص 117).

2) انظر: خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، عبد الله التل، (ص 123) .

3) مؤتة: قرية من قرى البلقاء في حدود الشام، وبها كانت تطبع السيوف وإليها تنسب المشرفية من السيوف، وهي موضع الغزوة التي أرسلها رسول الله ﷺ واستشهد فيها قادة الجيش المسم الثلاثة، زيد بن حارثة رضي الله عنه، وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه –وفيها قبره– وعبد الله بن رواحة رضي الله عنه **[** معجم البلدان، الحموي، (5/ 220)– بتصرف **]** .

4) تبوك: موضع بين وادي القرى والشام، وقيل بركة لأبناء سعد من بني عذرة، وتبوك بين الحجر وأول الشام على أربع مراحل من الحجر نحو نصف طريق الشام، وهو حصن به عين ونخل وحائط ينسب إلى النبيﷺ ويقال إن أصحاب الأيكة الذين بعث إليهم شعيب، عليه السلام، كانوا فيها **[** معجم البلدان، الحموي، (2/ 14)– بتصرف **]**.

5) انظر: السيرة النبوية، عبد الملك ابن هشام المعافري، تحقيق: جمال ثابت وَ محمد محمود وَ سيد إبراهيم، دار الحديث/القاهرة، ط (بدون)، 1427هـ/2006م، (4/ 218، 397، 468)

6) فتوح البلدان، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري، دار ومكتبة الهلال/ بيروت، ط(بدون)، 1988م، (ص140) .

للجهاد ويرغبهم في غنائم الروم، **فسارع الناس إليه من بين محتسب وطامع، وأتوا المدينة من كل أوب، فعقد ثلاثة ألوية لثلاثة رجال**" [1] .

إلا أنّ أبا بكر الصديق ﷺ قضى نحبه قبل أن يتم فتح فلسطين، **ثمّ تمّت النعمة على المسلمين باستكمال فتح فلسطين وبيت المقدس في خلافة عمر بن الخطاب** ﷺ[2] . .

" وكانت معارك المسلمين وفتوحاتهم المتوالية للشام وفلسطين، وانتصاراتهم في معاركهم ذات أهمية خطيرة لمستقبل العالم والتاريخ "[3] .

فبالفتح الإسلامي المجيد وضع المسلمون أيديهم النقية على ذلك المكان " الذي كان عبر التاريخ مثار صراعات وحروب، حتى إنّ التاريخ لم يعرف مدينة تواردت عليها الجيوش من مختلف شعوب الأرض كما تواردت على بيت المقدس، **وظلّوا – أي المسلمون– يحكمون هذه البقعة المقدّسة على مدار ثلاثة عشر قرناً متوالياً** "[4] .

وأي حقٍ يثبت لأمّةٍ أعظم من حقّ أمة الإسلام في أرض فلسطين، إذ عاشت هذه الأرض تحت حكم المسلمين أكثر من ثلاثة عشر قرناً من الزمان، وهي مدّة لم تدم لأحد غيرهم.

وبالإضافة إلى رسالة الفتح الإسلامي التي هي في الأساس نشر دين الله ﷻ في أرضه، فإنّ هناك بُعداً تاريخياً مشروعاً للفتوحات الإسلامية للشام وفلسطين، يرِدُ لدى بعض الكتاب والمؤرخين، إذ " بالمقارنة بين الفتوحات الإسلامية والفتوحات السابقة لها في ذلك الزمان، أي الفارسية واليونانية والرومانية، **فالفتوحات العربية الإسلامية هي الوحيدة التي يحقّ لها الاستناد**

---

1) الخراج وصناعة الكتابة، قدامة بن جعفر، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد/بغداد، ط1، 1981م، (ص 284).

2) انظر: المصدر السابق، (ص 289، 299) .

3) تاريخ فلسطين القديم، ظفر الإسلام خان، (ص 136) .

4) قبل الكارثة نذير ونفير، عبد العزيز كامل، (ص 11، 15)– بتصرف.

إلى وجود سابقٍ لأمّتها، عبر الموجات المهاجرة من قرون وقرون، من الجزيرة إلى العراق والشام وفلسطين وأفريقيا " [1] .

خلاصة المطلب:

أولاً: إنّ المصدر التاريخي الأساس واليقيني في إثبات الحق التاريخي للمسلمين في فلسطين، هو القرآن الكريم، فهو أوثق تاريخٍ منزلٍ من العليم الخبير ﷻ ، وهذا الحقّ يقوم على أساس أنّ دعوة الإسلام هي دعوة كلّ الأنبياء الذين سكنوا ودخلوا فلسطين، وعليه فإنّ فلسطين هي مهبط دين الإسلام على كافة الأنبياء – عليهم السلام، وأولى الناس بوراثتها تاريخياً هم المسلمون الذين أوصى بهم كافة أنبياء الله ﷻ، وبشّروا بنبيهم ﷺ .

ثانياً: إنّ التاريخ المعروف لدى كلّ مؤرخي البشر **يثبت بالإجماع** بأنّ العرب الكنعانيين – والقبائل المنبثقة عنهم– **هم أول نسل معروف سكن هذه الأرض**، قبل أكثر من **5000** سنة.

ثالثاً: إنّ الفتح الإسلامي لفلسطين كان نقطة الالتقاء بين تاريخ العرب القديم والتاريخ المشرق الجديد على هذه الأرض المقدّسة، الذي بدأ بدخول الإسلام (ميراث الأنبياء) إلى فلسطين مرةً أخرى على يد المسلمين العرب.

---

1) فلسطين، بيان الحوت، (ص 81)– بتصرف .

المبحث الثاني:

عقيدة المسلمين في الأرض المقدسة

ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم القدسيــة والبركــة عنــد المسلميــن

المطلب الثاني: مكانة الأرض المقدّسة في العقيدة الإسلامية

المطلب الثالث: الأرض المقدّســة وملاحــم آخر الزمـــان

المطلب الأول:

مفهوم القدسية والبركة عند المسلمين

لقد نظّم الإسلام مسألة القدسية والتقديس، وضبطها وقوّمها من زلل الجاهلية، وفوضى اليهودية والنصرانية، فلا اعتبار بعد هذا التنظيم والضبط لكلّ المقدّسات المصطنعة من البشر، ولا قيمة لما لم يصحّ به الخبر.

وقد أشار الباحث في بداية الفصل التمهيدي إلى مفهوم القدسية والبركة من الناحية اللغوية والاصطلاحية عند أهل اللغة والعلماء من المسلمين، فيراجع هناك[1].

وتبيّن من خلال هذه التعريفات أنّ القدسية والبركة عند المسلمين، هي معانٍ راقية تشتمل على الطهر والنقاء والرخاء، والتعظيم والإجلال والتبجيل، والخير والنماء والزيادة.

وإذا ما نظرت إلى النبع الصافي لعقيدة المسلمين، ستجد الفرق بين مفهوم الإسلام القويم حول القدسية، ومفهوم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، فثمّ شتّان، كيف لا وقد تقرر أنّ عقائد المسلمين مستقاة من النبع الأصيل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه[2].

القدوس هو الله ﷻ:

اختص الله ﷻ بهذا الاسم العظيم، الذي يحوي كل معاني التعظيم والتنزيه، إذ قال ﷻ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ **الْقُدُّوسُ** السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا

---

1) انظر: هذا البحث الذي بين يديك، (ص 4 – 17) .

2) مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ هذه المسألة (أي التقديس والبركة ونحوها)، قد ضلّت فيها طوائف من المسلمين، فعظّموا القبور والمقامات، وقدّسوا الأولياء والصالحين بما لا يليق إلاّ برب العالمين، وهؤلاء ليسوا حجّةً على الإسلام، بل قد ردّ عليهم علماء المسلمين الموثوقين بما يجلي كل غموض، ويبيّن موقف السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين [**راجع** في ذلك مثلاً: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب النجدي الحنبلي، مكتبة الصفا/القاهرة، ط1، 1424هـ/2003م، (ص 233– 241) **]**.

يُشْرِكُونَ﴾ (الحشر/23) ، وقال أيضاً: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ **الْقُدُّوسِ** الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (الجمعة/1) .

قال الإمام الغزالي[1] رحمه الله: " **القدوس: هو المُنَزَّه عن كل وصف يدركه حسّ، أو يتصوره خيال أو يسبق إليه وهم، أو يختلج به ضمير، أو يقضي به تفكير**"[2] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: **(إنّ رسولَ الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: سبّوحٌ قدّوسٌ ربُّ الملائكةِ والرّوح)**[3] .

" فالتقديس مضمن في صريح التسبيح، والتسبيح مضمن في صريح التقديس، لأن نفي المذامّ إثباتٌ للمدائح ... وقد جمع الله تعالى بينهما في سورة الإخلاص فقال ﷻ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ﴾، فهذا تقديس، ثم قال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، فهذا تسبيح، والأمران راجعان إلى إفراده وتوحيده ونفي الشريك والشبيه عنه" [4] .

---

1) **الغزالي (450- 505هـ)**: الشيخ الإمام البحر، حجة الإسلام، أعجوبة الزمان، زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، صاحب التصانيف، والذكاء المفرط، تفقه ببلده أولا، ثم تحول إلى نيسابور، فلازم إمام الحرمين، فبرع في الفقه في مدة قريبة، ومهر في الكلام والجدل، حتى صار عين المناظرين، وأخذ في تأليف الأصول والفقه والكلام والحكمة، قال ابن النجار: " أبو حامد إمام الفقهاء على الإطلاق، ورباني الأمة بالاتفاق، ومجتهد زمانه، وعين أوانه، برع في المذهب والأصول والخلاف والجدل والمنطق، وقرأ الحكمة والفلسفة، وفهم كلامهم، وتصدى للرد عليهم، وكان شديد الذكاء، قوي الإدراك، ذا فطنة ثاقبة، وغوص على المعاني"، من مصنفاته: "البسيط" و "الوسيط" و "الوجيز" و "الإحياء"، و"المستصفى" في أصول الفقه، و "تهافت الفلاسفة" و "شرح الأسماء الحسنى" و "مشكاة الأنوار" **[** سير أعلام النبلاء، الذهبي (19/)- بتصرف **]** .

2) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، دار السلام/ القاهرة، ط1، 1429هـ/2008م، (ص 85).

3) **صحيح مسلم**، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، برقم: 977، (ص 233).

4) الأسماء والصفات، البيهقي أحمد بن الحسين أبو بكر، تحقيق : عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي/ جدة، ط1، (بدون تاريخ)، (1/ 106- 108) .

يقول الشهيد سيد قطب– رحمه الله: " **القدوس اسم يشع القداسة المطلقة والطهارة المطلقة**، ويلقي في ضمير المؤمن هذا الإشعاع الطهور، فينظف قلبه هو ويطهره، ليصبح صالحاً لتلقي فيوض الملك القدوس، والتسبيح له والتقديس"[1] .

روح القدس جبريل عليه السلام:

روح القدس في مفهوم الإسلام لا يحلّ على الأقوام، ويدخل ويخرج، ويتكلّم على أفواه المؤمنين، كما هو الحال عند النصارى – كما سبق بيانه في عقيدتهم[2]– بل إنّ معنى روح القدس منضبط بما بيّنه الله ﷻ ونبيه الكريم ﷺ.

وقد جاء ذكر (الروح القدس) في القرآن – بهذا اللفظ– في أربعة مواضع، ثلاثة منها في الحديث عن عيسى عليه السلام، وواحدة في الحديث عن نزول القرآن على محمد ﷺ .

قال الله ﷻ: ﴿ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ **وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ** ﴾ (البقرة/87، 253)، وقال أيضاً: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ **إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ**﴾ (المائدة/110)، وقال أيضاً: ﴿ قُلْ **نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ** بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل/102) .

قال الطبري – رحمه الله: " روح القدس جبريل عليه السلام ... وإنما سمى الله ﷻ جبريل (روحاً) وأضافه إلى (القدس)؛ لأنه كان بتكوين الله ﷻ له روحاً من عنده، من غير ولادة والد ولده، فسماه بذلك (روحاً)، وأضافه إلى (القدس)، والقدس هو الطهر"[3] .

وقال القرطبي– رحمه الله في آية سورة النحل: " روح القدس: يعني جبريل عليه السلام، نزل بالقرآن كلّه، ناسخه ومنسوخه"[4] .

---

1) في ظلال القرآن، سيد قطب، (6/ 3533) .

2) **انظر**: هذا البحث الذي بين يديك، (ص 372– 379) .

3) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (2/321– 322)– بتصرف .

4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (10/ 177) .

" وجبريل عليه السلام هو (الروح الأمين) المذكور في قوله ﷻ: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾ (الشعراء/193)، وهو الروح المعني في قوله ﷻ: ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ (القدر/4)، كما أنّه هو الروح الذي أرسله إلى مريم ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ (مريم/17) " [1] .

وإيمان المسلمين بالروح القدُس عليه السلام، هو فرعٌ عن إيمانهم بالملائكة الأبرار، لا يزيدون عن ذلك ولا يُنقصون.

قال البيهقي[2] – رحمه الله: " والإيمان بالملائكة ينتظم في معانٍ **أحدها:** التصديق بوجودهم، **والثاني:** إنزالهم منازلهم، وإثبات أنهم عباد الله، وخلقه كالإنس والجن، مأمورون مكلّفون لا يقدرون إلا على ما قدرهم الله ﷻ عليه، والموت عليهم جائز، ولكن الله ﷻ جعل لهم أمداً بعيداً، فلا يتوفاهم حتى يبلغوه، ولا يوصفون بشيء يؤدي وصفهم به إلى إشراكهم بالله ﷻ، ولا يدعون آلهة كما ادّعتهم الأوائل، **والثالث:** الاعتراف بأنّ منهم رسل الله يرسلهم إلى من يشاء من البشر، وقد يجوز أن يرسل بعضهم إلى بعض، ويتبع ذلك الاعتراف بأن منهم حملة العرش، ومنهم الصافون، ومنهم خزنة الجنة، ومنهم خزنة النار، ومنهم كتبة الأعمال، ومنهم الذين يسوقون السحاب، وقد ورد القرآن بذلك كله أو بأكثره"[3] .

---

1) عالم الملائكة الأبرار، د. عمر سليمان الأشقر، دار النفائس/ الأردن، ط1، 1429هـ/ 2008م، (ص 21) .

2) البيهقي (384– 458هـ): هو الحافظ العلامة، الثبت، الفقيه، شيخ الإسلام، أبو بكر، أحمد ابن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي، الخراساني، (وبيهق: عدة قرى من أعمال نيسابور) ... بورك له في علمه، وصنّف التصانيف النافعة، انقطع بقريته مقبلا على الجمع والتأليف، كان البيهقي على سيرة العلماء، قانعا باليسير، متجملاً في زهده وورعه، واحد زمانه في الحفظ، وفرد أقرانه في الإتقان والضبط، من كبار أصحاب الحاكم، ويزيد على الحاكم بأنواع من العلوم، كتب الحديث، وحفظه من صباه، وتفقه وبرع، وأخذ فن الأصول، وارتحل إلى العراق والجبال والحجاز، ثم صنف، وتواليفه تقارب ألف جزء مما لم يسبقه إليه أحد **[** سير أعلام النبلاء، الذهبي، (164/18، 167)– بتصرف **]** .

3) شعب الإيمان، الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد/الرياض، ط1، 1423هـ/2003م، (296/1) .

وحاصل الأمر أنّ روح القدس هو ملكٌ من ملائكة الله ﷻ، بل أعظم ملائكته، وهو جبريل عليه السلام، وهو رسول الله ﷻ إلى رسله في الأرض، لا ينزل إلا بأمر الله جل جلاله، **فانضبط المعنى بنص كلام الله ﷻ، ولم يبق لبشر ادّعاء امتلاكه لروح القدس.**

مصدر القدسية والبركة:

مصدر التقديس والبركة في الإسلام **هو الله ﷻ** ولا أحد سواه، إذ يتبيّن إنّ جميع الألفاظ الواردة بالتقديس في القرآن العظيم، مرتبطة لفظاً ومعنىً بالله ﷻ .

فمصدر قدسية مكّة المكرّمة، ليس بشرياً، بل إنّ الله ﷻ هو الذي قدّسها وباركها، إذ يقول جل جلاله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ **لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا** وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران/96) .

" فالكعبة المشرّفة هي أول بيت وضع في الأرض للعبادة وخصص لها، مذ أمر اللّه ﷻ إبراهيم عليه السلام أن يرفع قواعده، وأن يخصصه للطائفين والعاكفين والركع السجود، **وجعله مباركاً وجعله هدى للعالمين** "[1] .

" ولم يشأ الله أن يجعل القبلة إلى الكعبة أول الأمر، لأنهم كانوا يقدّسونها على أنها بيت العرب، وكانوا يضعون فيها أصنامهم، ووضع الأصنام في الكعبة شهادة بأنّ لها قداسة في ذاتها، فالقداسة لم تأت بأصنامهم، بل هم أرادوا أن يحموا هذه الأصنام فوضعوها في الكعبة"[2] .

كما أنّ **قدسية أرض فلسطين، أو أية أرض أخرى في قرآننا الكريم ليست من صناعة البشر ولا من أفكارهم،** بل إنّ الله ﷻ وصفها بذلك، فلا تجد لفظ التقديس والمباركة **(في القرآن)** إلّا منسوباً لله جل جلاله.

قال ﷻ: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ **الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ** وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (المائدة/21)، وقال أيضاً: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ **مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي**

---

1) الجامع لأحكام القرآن، (1/ 435) .

2) تفسير الشعراوي–الخواطر، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم/القاهرة، ط(بدون)، 1997م، (624/1).

بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ (الأعراف/137)، وقال أيضاً: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ﴾ (الإسراء/1)، وقال أيضاً: ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ (طه/12) ، وقال أيضاً: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً ﴾ (سبأ/18) ،وقال أيضاً: ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴾ (فصلت/10) .

والبركة في **الأشخاص** لا تحدث إلا بأمر الله ﷻ ومنه، قال ﷻ:﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (هود/48) ،وقال أيضاً: ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ (هود/73)، وقال أيضاً: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾ (مريم/31)، وقال أيضاً: ﴿ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ (الصافات/113) .

لذلك، فإنّ **تعظيم المسلمين لرسول الله** ﷺ ليس من تلقاء أنفسهم، إنما هو بأمر الله ﷻ، وبتعظيم الله إياه ﷺ .

قال ﷻ:﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف/157)، "فأخبر أنّ الفلاح إنّما يكون جُمع إلى الإيمان به وتعزيره، ولا خلاف في أنّ التعزير ها هنا هو التعظيم، وقال: ﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ (الفتح/9)، فأبان أنّ حق رسول الله ﷺ في أمته أن يكون معززاً موقراً مهيباً، ولا يعامل بالاسترسال والمباسطة كما يعامل الكفار بعضهم بعضاً"[1] .

ومعنى التعظيم لرسول الله ﷺ يتّضح من قطعية وجوب طاعته والتسليم لأمره، وذلك بيّنٌ في قوله ﷻ:﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾

---

1) المنهاج في شعب الإيمان، الإمام أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، دار الفكر/بيروت، ط1، 1399هـ/1979م، (2/ 125)– بتصرف يسير.

(الأحزاب/36)، " فلم يجعل لأحد من المخاطبين خيارٌ في طاعة رسوله ﷺ إذا أمر، لكنّه ألزمهم إلزاماً، ولا سبب أدعى إلى التعظيم من وجوب الطاعة "[1] .

حتى في سياق **الدعاء**، فإنّ طلب البركة لا تكون من أحد سوى الرحمن ﷻ، ﴿ وَقُل رَّبِّ **أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا** وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ (المؤمنون/29) .

والتحية[2] **لا تكون مباركة إلا من عند الله** ﷻ، ﴿ فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ **تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً** طَيِّبَةً ﴾ (النور/61) .

كما أن الأشياء والجمادات لا تكون مباركةً إلا بمعية الله ﷻ .. ﴿ **وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا** فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴾ (ق/9) .

وتأمّل قوله ﷻ: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا **لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ** وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (الأعراف/96) .

جاء في تفسير المنار: " لفتحنا عليهم أنواعاً من بركات السماء والأرض لم يعهدوها مجتمعة ولا متفرقة، فإذا أريد ببركات السماء معارف الوحي العقلية، وأنوار الإيمان الروحانية، ونفحات الإلهامات الربانية، فالمعنى: أنّ فائدة الإيمان واتّباع الرسل – عليهم السلام– تكون تكميل الفطرة البشرية روحًا وجسدًا، وغايته سعادة الدارين – الدنيا والآخرة –، وإذا أريد ببركات السماء المطر، وببركات الأرض النبات، كما قيل، فالمعنى : أنها أبواب نعم لا تكون بركات لهم غير التي عهدوها في صفاتها ونمائها وثباتها وحالتهم فيها وأثرها فيهم، وبذلك تكون بركات"[3] .

---

1) المنهاج في شعب الإيمان، الحليمي، (2/ 126) .

2) قارن ذلك بالتحية المقدّسة والقُبلة المقدّسة! التي أشار إليها الباحث عند الحديث عن أنواع القدسية عند النصارى، (هذا البحث ص 383).

3) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (23/9) .

والأزمان لا يباركها إلا الله ﷻ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي **لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ** إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (الدخان/3) .

قال سيد قطب –رحمه الله– في ظلال هذه الآية: " والقرآن لم ينزل كلّه في تلك الليلة كما أنه لم ينزل كله في رمضان، ولكنه بدأ يتصل بهذه الأرض، **وكانت هذه الليلة موعد هذا الاتصال المبارك، وهذا يكفي في تفسير إنزاله في الليلة المباركة، وإنها لمباركةٌ حقاً تلك الليلة التي يفتح فيها ذلك الفتح على البشرية** "[(1)] .

والقرآن العظيم كلام الله، مباركٌ ومقدّس، كيف لا وهو كلام الملك القدوس ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ **أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ** مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (الأنعام/92)،وقال أيضاً: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ **أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ** فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأنعام/155) . وقال أيضاً:﴿**وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ** أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ (الأنبياء/50) ، وقال أيضاً:﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ** لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ (ص/29) .

وتتجلى قدسية القرآن في قَسم الرحمن ﷻ في كتابه العزيز: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ* وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ* **إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ* لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ*** تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الواقعة/ 75– 80) .

وقد فهم المسلمون قدر قرآنهم وعظمته وقدسيته منذ أول نزوله، فعمدوا إلى رفعه إلى منزلته السامية التي تليق بكلام الربّ ﷻ، وتعهّدوا بحفظه وصيانته من أي عبثٍ، ومن ذلك ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنه أنّه قال: **(نهى رسول الله ﷺ أن يسافَر بالقرآن إلى أرض العدوّ؛ مخافة أن يناله العدو)**[(2)] .

---

1) في ظلال القرآن، سيد قطب، (5/ 3208) .

2) شعب الإيمان، البيهقي، باب في تعظيم القرآن، فصل في صيانة المسافر بمصاحف القرآن إلى أرض العدو، برقم: 2091، (544/3)، وصححه الألباني **[** صحيح الجامع، برقم: 6825، (1153/2) **]**

وجاء في شعب الإيمان: " ومن تعظيم القرآن أن يستشفي قارئ القرآن بما يحسنه منه، ويتبرك بقراءته على نفسه وعلى غيره مريضاً وحزيناً وخائفاً ومقيماً ومسافراً، رقيةً وغير رقية، ويتبعه بالدعاء والمسألة، ومنها أن يفرح بما أتاه الله ﷻ من القرآن فرح الغني بغناه وذي السلطان بسلطانه، ويستعظم نعمة الله ﷻ عليه به، ويحمده عز اسمه عليه"[1] .

" **ولا شك أنّ هذه القداسة للقرآن** تلفت الأنظار إليه، وتخلع همم المؤمنين به عليه، فيحيطون به علماً ويخضعون لتعاليمه عملاً، وذلك ما حدا المسلمين في كل عصر ومصر أن يعنوا بحفظ كتاب الله ﷻ حتى عصرنا الذي نعيش فيه، فما بالك بعصر الصحابة، وهو عصر العلم والنور والتقوى والهداية والنشر والدعوة" [2] .

نتائج الفهم الإسلامي للقداسة:

بحسب فهم الباحث، فإنّ هذا المفهوم الإسلامي الصحيح والمتّزن للقدسية والبركة، يؤدّي بالضرورة –**حال تطبيقه والالتزام به– إلى نتائج كلّها خير للبشرية، وأهمّها، والله أعلم:**

1. الانعتاق من قيود الظلم والتسلط البشري الناشئ عن تعظيم الأشخاص وإحاطتهم بهالات من التقديس.

2.الشعور بهيبة المقدّسات وتقدير مكانتها وإنزالها منزلتها، وذلك أنّها مقدّسات محدودة ومنضبطة بالنقل اليقيني، وشتّان بين هذا وبين فوضى المقدّسات المبنية على وضع البشر وتخاريفهم وأساطيرهم.

3.فتح الآفاق أمام الناس لإعمال الفكر والعقل فيما يُصلح شأن دنياهم، على أساس فهم صحيح للإسلام ومقدّساته، وعدم تقييدهم بقيود التقديس للأشخاص والأشياء، أو الانزواء بحجّة عدم انتهاك المقدّسات.

---

1) شعب الإيمان، البيهقي، (329/3) .

2) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي/ بيروت، ط1415،1هـ/1995م، (1/ 255)– بتصرف يسير.

إنّ عدم الالتزام بنهج الله القويم في تقديسه ﷻ، والخضوع له ولشرعه ولأنبيائه دون سائر البشر، هو الذي أنشأ الانحراف في تعظيم المخلوقات.

" فأول خطوة في هذا الانحراف كانت تعظيم ذكرى الفئة المؤمنة القليلة التي حملت في السفينة مع نوح! ثم تطور هذا التعظيم جيلاً بعد جيل، فإذا أرواحهم المقدّسة تتمثل في أشجار وأحجار نافعة، ثم تتطور هذه الأشياء فإذا هي معبودات، وإذا وراءها كهنة وسدنة يعبّدون الناس للعباد منهم– باسم هذه المعبودات المدعاة – في صورة من صور الجاهلية الكثيرة، ذلك أن الانحراف خطوة واحدة عن نهج التوحيد المطلق – الذي لا يتجه بشعور التقديس لغير الله وحده ولا يدين بالعبودية إلا لله وحده– الانحراف خطوة واحدة لا بد أن تتبعه مع الزمن خطوات وانحرافات لا يعلم مداها إلا الله "[1] .

وكمثال على الفهم الإسلامي للقداسة، " فإنّ الفقه الإسلامي – وإن كان مجموعة آراء لبعض العلماء– **إلا أن هذه الآراء لا بد أن تكون معتمدة على نص شرعي** من كتاب الله ﷻ أو سنة رسول الله ﷺ، حتى إن الآراء المعتمدة على الإجماع والقياس وغيرها من الأدلة المساندة، لا بد أن ترجع –أخيرا– إلى الكتاب والسنّة، **ومن هنا يتبين لنا أنّ وجه القداسة في الفقه الإسلامي هو بالنظر إلى مصادره،** ولذا رأينا الفقهاء – على مدى العصور – يرفضون كل رأي لا تشهد له الشريعة مهما كان قائله، **فأين هذا من الفقه الوضعي الذي بنيت أكثر أحكامه على الأهواء والأغراض وترضية أصحاب النفوذ،** والذي يلبس في كل حين لباساً جديداً" [2] .

يقول الشيخ محمد رضا: " فالإيمان بالله يرفع النفوس عن الخضوع والاستعباد للرؤساء الذين استذلوا البشر **بالسلطة الدينية، وهي دعوى القداسة والوساطة عند الله،** ودعوى التشريع والقول على الله بدون إذن الله، **أو السلطة الدنيوية وهي سلطة الملك والاستبداد،** فإن العبودية لغير الله تعالى تهبط بالبشر إلى دركة الحيوان المسخر، أو الزرع المستنبت، والإيمان باليوم الآخر وبالملائكة يعلّم الإنسان أن له حياة في عالم غيبي أعلى من هذا العالم، فلا يرضى لنفسه أن يكون

---

1) في ظلال القرآن، سيد قطب، (1896/4)– بتصرف يسير .

2) الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في الكويت، دار السلاسل/الكويت، ط2، 1404هـ/1983م، (21/1)– بتصرف.

سعيه وعمله لأجل خدمة هذا الجسد خاصةً; لأن ذلك يجعله لا يبالي إلا بالأمور البهيمية، ولا يرضى لنفسه بالأولى أن يكون عبداً ذليلاً لبشر مثله للقب ديني أو دنيوي، وقد أعزه الله بالإيمان، وإنما أئمة الدين عنده مبلِّغون لما شرع الله ﷻ، وأئمة الدنيا منفّذون لأحكام الله ﷻ، وإنما الخضوع الديني لله ﷻ ولشرعه، لا لشخوصهم وألقابهم"[1] .

ويقارن الشهيد سيد قطب – رحمه الله– بين آثار الفهم الإسلامي للقداسة، والفهم النصراني الأوروبي فيقول: " **ولم تقم في تاريخ الإسلام سلطة مقدسة تحكم (بالحق الإلهي)، زاعمةً أنّ حقّها في الحكم والتشريع مستمدّ من قرابتها أو تفويضها من الله!** بينما ظلَّ (الحق المقدس)– للكنيسة والبابوات في جانب؛ وللأباطرة الذين زعموا لأنفسهم حقاً مقدساً كحق الكنيسة في جانب– ظل هذا الحق أو ذاك قائماً في أوربا باسم (الابن) أو مركب الأقانيم، حتى جاء (الصليبيون) إلى أرض الإسلام مُغِيرين، فلمّا ارتدّوا أخذوا معهم من أرض الإسلام بذرة الثورة على (الحق المقدس)، وكانت فيما بعد الثورات المسماة بحركة الإصلاح، على أساس من تأثير الإسلام، ووضوح التصور الإسلامي، ونفي القداسة عن بني الإنسان؛ ونفي التفويض في السلطان، لأنه ليست هنالك إلا ألوهية وعبودية في عقيدة الإسلام"[2] .

خلاصة المطلب:

أولاً: جعل الإسلام القداسة والبركة مسألةً توقيفية لا مجال فيها للاجتهاد، ولا سبيل إلى توزيع القدسيات والبركات، ولا اعتبار فيها للتوسع والإفراط، بخلاف ما فعله اليهود والنصارى من شطط في هذا الجانب المهمّ؛ عقيدةً وممارسةً .

ثانياً: إنّ مصدر القداسة والبركة الوحيد في الإسلام هو الله العظيم القدوس ﷻ، الذي يهب البركة لمن يشاء، ويقدّس ما يشاء، لا ينازعه في ذلك أحدٌ من عباده، وكلّ ما لم ينزل به وحيٌ (من قرآن أو سنة) على أنّه مقدّس ومعظّم، فلا اعتبار بتقديسه أو تعظيمه، أو ادّعاء لذلك فيه.

ثالثاً: إنّ الفهم الصحيح لمسألة القدسية والتقديس والبركة والتعظيم، تقي من الزلات والشطحات البشرية، وتنشر الطمأنينة، وتنزع عوامل التخبط والاضطراب في توابع هذا الاعتقاد.

1) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (2/91 – 92) .

2) في ظلال القرآن، سيد قطب، (2/ 819)– بتصرف .

المطلب الثاني:

مكانة الأرض المقدّسة في العقيدة الإسلامية

إنّ الإسلام قد جعل لأرض الشام، وفلسطين وبيت المقدس، مكانة عظيمةً سامية، فلها في كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ وأقوال علماء الأمة نصيبٌ وافر من المدح والثناء والرفعة، وفي الصحيح الصريح من الوحي ما يغني عن الكثير من الضعيف أو المشكوك فيه.

1. أرض الإسراء والمعراج:

خلّد الله ﷻ أرض فلسطين المقدّسة بآية في كتابه الكريم، فقال ﷻ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ (الإسراء/1) .

قال القرطبي- رحمه الله: " فجعل المسجد الأقصى غاية الإسراء ... وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه كان إسراءً بالجسد وفي اليقظة، وأنه ركب البراق بمكة ووصل إلى بيت المقدس وصلى فيه ثم أُسري بجسده"[1] .

قال الطبري: " وقوله:﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى ﴾ يعني: مسجد بيت المقدس، وقيل له: الأقصى، لأنه أبعد المساجد التي تزار، ويُبتغَى في زيارته الفضل بعد المسجد الحرام"[2].

" فلو لم يكن للأقصى والأرض المقدّسة من الفضيلة غير هذه الآية لكانت كافيةً فيه، لأنه إذا بورك حوله فالبركة فيه مضاعفة" [3].

وفي حديث الإسراء: قال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: (**أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ ... فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ**

1) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (208/10) .

2) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (333/17) .

3) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مجير الدين الحنبلي، (226/1)- بتصرف يسير.

خَرَجْتُ، فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عليه السلام بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ ... الحديث)[1] .

ويأذن الله لمحمد ﷺ بقيادة البشرية في هذه الرحلة المعجزة، فيلتقي بالأنبياء، ويصلّي بهم إماماً في الأرض المقدّسة، لتكون الإمامة له ولأمّته، إذ جاء في بعض أحاديث الإسراء، عنه ﷺ قال: (لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، **فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ... وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ ... فَحَانَتْ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ** ...)[2] .

" وهذه منقبةٌ شريفةٌ عظيمة لهذا المسجد المشرّف، باجتماع هذا الجمع الكبير، والجمّ الغفير من الأنبياء، إذ ظاهر هذا اللفظ أنّ المذكورين في هذا الحديث المتقدّم صلوا به مأمومين ، يؤمُّهم المصطفى ﷺ، آدم فما دونه، وهذا لم يتفق في سائر الأرضين، ثم اختلف العلماء في صلاته ﷺ بالأنبياء ليلتئذ، أهي صلاةُ دعاءٍ وذكر، أم الصلاة المعروفة، والثاني أصحّ و أرجح"[3]

ثم إنّ ما يزيد أمر الأقصى وفلسطين تكريماً هو فرض الصلاة – الركن الأعظم من أركان الإسلام– ليلة الإسراء، وفي ذلك قال القرطبي: " وأما فرض الصلاة وهيئتها حين فرضت فلا خلاف بين أهل العلم وجماعة أهل السير أن الصلاة إنما فرضت بمكة ليلة الإسراء حين عرج به إلى السماء وذلك منصوص في الصحيح وغيره"[4]، ويشير الباحث إلى أنّ قصة فرض الصلاة قد وردت في تتمة الحديث الأخير الوارد أعلاه، فيُنظر في الصحيحين وغيرهما.

فأيُّ فضيلةٍ ومكانةٍ للمسجد الأقصى أعظم من ربط الله ﷻ له بالبيت الحرام، وبنبي العالمين ﷺ، وبالسماوات العلى، **في حادثة واحدة وآية واحدة ومعجزة خالدة! .**

---

1) متفق عليه: البخاري: كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، برقم: 349، (ص 51)، **مسلم**: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، برقم: 163، (ص 101) .

2) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، برقم: 172، (ص 106) .

3) مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، شهاب الدين أبي محمود بن تميم المقدسي، تحقيق: أحمد الخطيمي، دار الجيل/بيروت، ط1، 1415هـ/1995م، (ص 268)– بتصرف يسير.

4) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (210/10) .

2. أرض بارك الله ﷻ فيها:

ذكر القرآن أرض بيت المقدس وأكنافه بالقدسية والبركة في كثير من آيات الذكر الحكيم، وقد أشار الباحث إلى بعضها فيما سبق.

أ- قال ﷻ: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ **الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ** وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (المائدة/21)، وقد قال جمهور المفسرين بأنّ الأرض المقدّسة هي بيت المقدس وما حوله[1] .

ب- وقال ﷻ: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ **مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا**﴾(الأعراف/137)، " التي باركنا فيها: في قول الجمهور: هي أرض الشام"[2]، وقال الفرّاء: "والأرض هي أرض الشأم ومصر، ومشارقها ومغاربها جهات الشرق والغرب بها"[3] ، واستبعد الطبري مصرَ، مبيّناً أن ذلك بعيد من المفهوم في الخطاب، مع خروجه عن أقوال أهل التأويل والعلماء بالتفسير ... **ثم نقل اتّفاق جمعٍ كبيرٍ من العلماء على أنّها بلاد الشام**[4] .

ت- وقال ﷻ:﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الأَرْضِ الَّتِي **بَارَكْنَا** فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء/71)، قال السمعاني[5]- رحمه الله: " **يعني: الشام، وبركتها كثرة مياهها وأشجارها، وعموم الخصب بها،** حتى يعيش فيها الفقير والغني بعيش طيب، ويقال: **بركتها كثرة الأنبياء بها**، وفي الآية قول آخر: هو أن المراد من الأرض التي بارك فيها هي مكة، وقيل: مصر، **والأصح هو الأول (أي الشام)**؛

---

1) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (48/2) .

2) المصدر السابق، (296/2) .

3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (272/7).

4) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (76/13- 77).

5) السمعاني (426- 489هـ): أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي، السمعاني، المروزي، الإمام، العلامة، مفتي خراسان، شيخ الشافعية، قال عبد الغافر في (تاريخه):هو وحيد عصره في وقته فضلا وطريقة، وزهدا وورعا، من بيت العلم والزهد، تفقه بأبيه، وصار من فحول أهل النظر، من مؤلفاته: التفسير، والأمالي، والبرهان، والاصطلام، تعصب لأهل الحديث والسنة والجماعة، وكان شوكاً في أعين المخالفين، وحجة لأهل السنة **[** سير أعلام النبلاء، الذهبي، (114/19- 116)- بتصرف **]** .

لأنه مشهور أنه خرج وامرأته – يعني: إبراهيم عليه السلام – إلى حران، ثم من حران إلى الشام، وأما لوط عليه السلام فإنه ابن أخي إبراهيم، وكان خرج معه"[1] .

ث– وقال تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي **بَارَكْنَا** فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾ (الأنبياء/81)، قال القرطبي: " ﴿ الَّتِي **بَارَكْنَا** فِيهَا ﴾: **يعني الشام**، يروى أنها كانت تجري به وبأصحابه إلى حيث أراد، **ثم تردّه إلى الشام** "[2].

ج: وقال ﷻ: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى **الَّتِي بَارَكْنَا** فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً ﴾ (سبأ/18) ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " ﴿ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ بالماء والشجر، **يعني الأردن وفلسطين** "[3] .

ح: وقد جاء في القرآن إشارات أخرى إلى عظم مكانة أرض فلسطين والشام وبيت المقدس، ومنها قسمه ﷻ: ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴾ (التين/1-3) ، جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في ﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾: " أقسم الله بالتين، تينكم هذا، والزيتون، زيتونكم هذا، ويقال: هما مسجدان بالشام، ويقال: هما جبلان بالشام، ويقال: التين هو الجبل الذي عليه بيت المقدس، والزيتون هو الجبل الذي عليه دمشق"[4] ، " وقال قتادة: التين هو الجبل الذي عليه دمشق، والزيتون هو الجبل الذي عليه بيت المقدس"[5] .

" وقال بعض الأئمة: هذه مَحالٌّ ثلاثة بعث الله ﷻ في كل واحد منها نبياً مرسلاً من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار، (فالأول) محلة التين والزيتون، وهي بيت المقدس التي بعث الله ﷻ

---

1) تفسير القرآن، السمعاني، (392/3) .
2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (11/ 322).
3) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، الفيروز آبادي، (ص 360) .
4) المصدر السابق، (ص 514)– بتصرف يسير .
5) تفسير القرآن، السمعاني، (253/6) .

فيها عيسى ابن مريم عليه السلام، (والثاني) طور سينين، وهو طور سيناء الذي كلّم الله ﷻ عليه موسى ابن عمران عليه السلام، (والثالث) مكّة، وهو البلد الأمين، وهو الذي أرسل فيه محمداً ﷺ "[1].

خ: قال الله ﷻ: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ (الأنبياء/105)، " **قال بعض العلماء: إنّها الأرض المقدّسة،** يرثها أمّة محمد ﷺ "[2].

وحاصل مجموع هذه الآيات: أنّها تتحدث عن مكانة الأرض المقدّسة وما حولها، أي بلاد الشام ومنها فلسطين، فهي أرض مباركةٌ ومقدّسة، أقسم الله ﷻ بها وجعلها محلاً لدعوات أنبيائه ورسله، والله أعلم.

3. **القبلة الأولى**:

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً **وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ**﴾ (البقرة/143).

وفي الصحيح عن البراء بن عازب رضي الله عنه: (**أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: صَلَّى إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا،** وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوْ صَلَّاهَا صَلَاةَ الْعَصْرِ وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ صَلَّى مَعَهُ ، فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ الْمَسْجِدِ وَهُمْ رَاكِعُونَ، قَالَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قِبَلَ مَكَّةَ، فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَكَانَ الَّذِي مَاتَ عَلَى الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ قِبَلَ الْبَيْتِ رِجَالٌ قُتِلُوا لَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة/14))[3].

---

1) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (643/4)– بتصرف يسير .

2) مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، شهاب الدين المقدسي، (ص 73) .

3) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة/142)،برقم 4486، (ص 539) .

وقد اختلف العلماء هل كانت الصلاة إلى المسجد الأقصى المبارك قبل التحويل اجتهاداً من النبي ﷺ، أو بوحي قرآني من الله ﷻ، ثم نُسخ، على قولين[1] .

" ومجموع الروايات المتعلقة بهذا الحادث يمكن أن يستنبط منها – بالإجمال – أن المسلمين في مكة كانوا يتوجهون إلى الكعبة منذ أن فرضت الصلاة، وأنهم بعد الهجرة وجهوا إلى بيت المقدس بأمر إلهي للرسول ﷺ، ثم جاء الأمر القرآني الأخير: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (البقرة/144، 150)، فنسخه" [2].

4. **ثاني مسجدٍ في الأرض**:

جاء في الصحيح، من حديث أبي ذر ﷺ قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، **أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلَ؟ قَالَ: (الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ، قَالَ: الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى،** قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً، ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ بَعْدُ فَصَلِّهْ فَإِنَّ الْفَضْلَ فِيهِ) [3].

قال ابن حجر[4]– رحمه الله: " الإشارة إلى أول البناء ووضع أساس المسجد، وليس إبراهيم عليه السلام أول من بنى الكعبة ولا سليمان عليه السلام أول من بنى بيت المقدس، فقد روينا أن أول من بنى الكعبة آدم ثم انتشر ولده في الأرض، **فجائز أن يكون بعضهم قد وضع بيت المقدس، ثم بنى**

---

1) **انظر**: صحيح مسلم بشرح النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي/ بيروت، ط2،1392م، (9/5) .

2) في ظلال القرآن، سيد قطب، (125/1)– بتصرف .

3) **متفق عليه، البخاري**: كتاب حديث الأنبياء، برقم: 3366، (ص408)، **مسلم**: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، برقم: 520، (ص245).

4) **ابن حجر العسقلاني (773–852هـ)**: أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر، من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان (بفلسطين)، ومولده ووفاته بالقاهرة، ولع بالأدب والشعر ثم أقبل على الحديث، ورحل إلى اليمن والحجاز وغيرهما لسماع الشيوخ، وعلت له شهرة فقصده الناس للأخذ عنه، وأصبح حافظ الإسلام في عصره، قال السخاوي: (انتشرت مصنفاته في حياته وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر) وكان فصيح اللسان، راوية للشعر، عارفا بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين، صبيح الوجه. وولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل. أما تصانيفه فكثيرة جداً وجليلة [الأعلام، الزركلي، (178/1)– بتصرف] .

إبراهيم الكعبة بنص القرآن، وكذا قال القرطبي: إنّ الحديث لا يدل على أن إبراهيم وسليمان لمّا بنيا المسجدين ابتدآ وضعهما لهما، بل ذلك تجديدٌ لما كان أسسه غيرهما"[1] .

5. الحثّ على شدّ الرّحال إلى الأقصى:

حثّ الإسلام على شدّ الرحال إلى المسجد الأقصى المبارك، وجعله من نوادر المقصودات بالزيارة من الأماكن المقدّسة، وعلّق الإسلام قلوب المسلمين بهذا البيت العظيم من بيوت الله ﷻ.

جاء في الحديث الصحيح الذي رواه جمع كبير من الصحابة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **(لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرّسُولِ ﷺ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى)**[2] .

وفي روايةٍ مرفوعةٍ أنّه ﷺ قال: **(لا تُعْمَلُ الْمَطِيُّ إلا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ: إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَإِلَى مَسْجِدِي هَذَا، وَإِلَى مَسْجِدِ إِيلِيَاءَ، أَوْ مَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ)**، شكّ الراوي أيّهما [3] .

قال ابن حجر: " ترجم (البخاري[4] –رحمه الله–) بفضل الصلاة وليس في الحديث ذكر الصلاة، ليبين أنّ المراد بالرحلة إلى المساجد قصد الصلاة فيها، لأنّ لفظ المساجد مشعر بالصلاة"[5] .

---

1) فتح الباري، ابن حجر، (6/ 408 – 409) .

2) متفق عليه: البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكّة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكّة والمدينة، برقم: 1189، (ص 144)، **مسلم:** كتاب الحج، باب "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد"، برقم: 1397، (ص 648).

3) صحيح ابن حبان، محمد بن حبان، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة/بيروت، ط2، 1414هـ/ 1993م، برقم: 2772، (7/7)، وصححه الألباني، **[** السلسلة الصحيحة، ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف/الرياض، ط1، 1415هـ/1995م، برقم: 997، (697/2) **]** .

4) البخاري (194– 256هـ): أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه، صاحب الصحيح، هو أعلى الكتب الستة سندا إلى النبي ﷺ في شيء كثير من الأحاديث، وذلك لأن أبا عبد الله أسن الجماعة، وأقدمهم لقيا للكبار، طلب العلم منذ صغره، وكان كفيفاً وأبرأه الله، أخرج الصحيح من زهاء ست مائة ألف حديث، وصنّفه في ست عشرة سنة، كتب عن ألف شيخ وأكثر، عن كل واحد منهم عشرة آلاف وأكثر، وأحواله في العلم والحفظ والفهم عجيبة، وأثنى أئمة الإسلام عليه أيما ثناء، وصار كتابه مقبولاً لكل المسلمين بعده، رحمه الله تعالى **[انظر:** سير أعلام النبلاء، الذهبي، (391/12–407) **]** .

5) فتح الباري، ابن حجر، (63/3) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله: " **وهذا الحديث اتّفق الأئمة على صحته والعمل به،** فلو نذر الرجل أن يصلّي في مسجدٍ أو مشهدٍ أو يعكف فيه أو يسافر إليه غير هذه الثلاثة لم يجب عليه ذلك باتّفاق الأئمة ... ولو نذر أن يأتي المسجد الأقصى لصلاة أو اعتكاف وجب عليه الوفاء بهذا النذر "[1] .

وقال في موضعٍ آخر: " **أما السفر إلى بيت المقدس للصلاة فيه والاعتكاف، أو القراءة، أو الذكر، أو الدعاء فمشروعٌ مستحبٌ باتّفاق علماء المسلمين**"[2] .

وعموماً، ففي أحاديث شدّ الرحال دلالة على أنّ الإسلام لا يُجيز الرحلة والسفر إلى مسجدٍ بقصد الصلاة فيه إلا في هذه المساجد الثلاثة، وفيه ربطٌ للأقصى مجدداً بالحرمين الشريفين، وهو مصدّقٌ لآية الإسراء، والله أعلم.

6. **ثواب زيارة الأقصى والصلاة فيه**:

جاءت أحاديث كثيرةٌ في فضل الصلاة في المسجد الأقصى، وكذا في زيارته وخدمته، والتبرع بالمال لصيانته وإعماره وإضاءته، وفي كثير من هذه الأحاديث – فيما اتّضح للباحث– مقالٌ عند علماء الحديث، تعليقاً وتضعيفاً ونحو ذلك، وليس إلى ذكرها من حاجة، فما عُلم يقيناً من آيات الكتاب وصحيح السنّة يغني عن ذكرها، ولا بأس بالرجوع إليها للاستئناس أو الدراسة.

ومن الأحاديث الصحيحة في باب ثواب قصد المسجد الأقصى للصلاة فيه، ما رواه عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﵄، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ ﷺ **لَمَّا بَنَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ سَأَلَ اللَّهَ ﷿ خِلَالًا ثَلَاثَةً:** سَأَلَ اللَّهَ ﷿ حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ فَأُوتِيَهُ، وَسَأَلَ اللَّهَ ﷿ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ

1) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، (289/5).

2) المصدر السابق، (175/1).

فَأُوتِيَهُ، وَسَأَلَ اللَّهَ ﷻ حِينَ فَرَغَ مِنْ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ أَنْ لَا يَأْتِيَهُ أَحَدٌ لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ فِيهِ أَنْ يُخْرِجَهُ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ) [1] .

وفي هذا الحديث فائدةٌ عظيمةٌ، وهي ارتباط المؤمنين أوّلهم وآخرهم برباط الدين والتوحيد، إذ إنّ سليمان عليه السلام دعا الله ﷻ دعاءً مطلقاً للمؤمنين أن يغفر لهم إذا أتوا بيت الله الأقصى، وفيه أيضاً عظم فضل الأقصى، إذ شابهَ إتيانه الحجَّ إلى بيت الله الحرام، والله أعلم.

وقد كان شأن المسجد الأقصى يشغل صحابة رسول الله ﷺ، حتى إنهم كانوا يتدارسون أيّ المسجدين أعظم قدراً، المسجد النبوي أم المسجد الأقصى، ويجلّي لهم رسول الله ﷺ الأمر .

فعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: (تَذَاكَرْنَا وَنَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ: مَسْجِدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَوْ مَسْجِدُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " **صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَرْبَعِ صَلَوَاتٍ فِيهِ، وَلَنِعْمَ الْمُصَلَّى، وَلَيُوشِكَنَّ أَنْ لَا يَكُونَ لِلرَّجُلِ مِثْلُ شَطَنِ**[2] **فَرَسِهِ مِنَ الْأَرْضِ حَيْثُ يَرَى مِنْهُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا – أَوْ قَالَ: خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**") [3] .

---

1) **مسند الإمام أحمد** بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وَ عادل مرشد وَ آخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421 هـ/2001م، مسند عبد الله بن عمرو، برقم: 6644، (11/ 219 – 220)، **سنن النسائي**، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، دار المعرفة/بيروت، ط5، 1420هـ، كتاب المساجد، باب فضل المسجد الأقصى والصلاة فيه، برقم: 692، (364/2)، **وقال الألباني**: صحيح، [صحيح الجامع، برقم: 3853، (1/ 420)] .

2) **الشطن**: الحبل، وقيل: الحبل الطويل الشديد الفتل، يستقى به وتشد به الخيل، والجمع أشطان [لسان العرب، ابن منظور، (2264/4)] .

3) **المعجم الأوسط**، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وَ عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين/القاهرة، ط(بدون)، 1415هـ، برقم: 6983، (103/7)، **المستدرك على الصحيحين**، الحاكم النيسابوري، (مع تعليقات الذهبي)، كتاب الفتن والملاحم، برقم: 8553، (554/4)، قال الحاكم: هذا حديثٌ صحيحُ الإسناد، ولم يُخْرِجاه، ووافقه الذهبي.

وهذا الحديث نصّ بأنّ الصلاة في الأقصى تساوي في الأجر ربع الصلاة في المسجد النبوي في المدينة، وإذا علمنا أنّ الصلاة في المسجد النبوي بألف صلاة، لقوله ﷺ: **(صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ إلاَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ)**(1) .

وبذلك يكون أجر الصلاة في المسجد الأقصى يفوق أجر **(مائتين وخمسين صلاةً)** فيما سواه، ويزيد ﷺ الفضل فضلاً فيقول: **(وَلَنِعْمَ المُصَلَّى)**.

7. فضائل الشام عامّةً:

وما دامت البركة قد عمّت الأقصى وما حوله، فليس غريباً أن تتواتر أحاديث فضائل الشام عن رسول الله ﷺ، إذ الأقصى وفلسطين هما درّة الشام، **فالشام أقسام خمسة، تأتي فلسطين في مقدمتها جميعاً، على ذلك تواطأ الأقدمون**(2) .

وقد جاء في الأحاديث النبوية المطهّرة من فضائل هذه الأرض الطيبة ما يدفع المسلمين دفعاً إلى حبّ هذه الأرض وسكناها والرباط على ثغورها، والدفاع عنها كميراث للنبوات والمسلمين عبر القرون والدهور.

عن زَيدِ بن ثابِت ﷺ قَالَ: (كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نُؤَلِّفُ الْقُرْآنَ مِنْ الرِّقَاعِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**طُوبَى لِلشَّامِ**" **فَقُلْنَا: لِأَيٍّ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:** "**لِأَنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَنِ بَاسِطَةٌ أَجْنِحَتَهَا عَلَيْهَا**")(3) .

---

1) **متفق عليه، البخاري:** كتاب الصلاة، باب فضل الصلاة في مسجد مكّة والمدينة، برقم: 1190، (ص 144)، **مسلم:** كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة، برقم: 1394، (ص 646) .

2) **انظر:** مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، شهاب الدين المقدسي، (ص 85) .

3) **سنن الترمذي**، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وَ محمد فؤاد عبد الباقي وَ إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي/ مصر، ط2، 1395هـ/1975م، أبواب المناقب، بابٌ، برقم: 3954، (734/5)، وقال الترمذي: حديث حسن، وصحّحه الألباني **[** السلسلة الصحيحة، برقم: 503، (21/2) **]** .

ومن بركة الله ﷻ لهذه الأرض الطيبة أن جعلها مأوىً لأفئدة المؤمنين، وحثّ على سكناها رسولُه الكريم ﷺ، فعن عبد الله بن حوالة[1]ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(سَتُجَنَّدُونَ أَجْنَادًا: جُنْدًا بِالشَّامِ، وَجُنْدًا بِالْعِرَاقِ، وَجُنْدًا بِالْيَمَنِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اخْتَرْ لِي، قَالَ: عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ، فَمَنْ أَبَى فَلْيَلْحَقْ بِيَمَنِهِ، وَلْيَسْقِ مِنْ غُدُرِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ تَكَفَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ)** [2] .

بل لقد وصف رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **طائفةً من أهل الشام بالرباط والمصابرة على أمر الله ﷻ إلى قيام الساعة، ووصفهم بأنّهم هم المنصورون، ورتّب على فساد أهل الشام تناقص الخيرية في العالم**، فقال ﷺ: **(إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ، لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ)** [3] .

وفي رواية أخرى بهذا المعنى وزيادة، **ربط ﷺ بين الشام والجهاد والمرابطة**، وجعلها عقر دار المؤمنين، فقال ﷺ: **(لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ، يَرْفَعُ اللَّهُ قُلُوبَ أَقْوَامٍ فَيُقَاتِلُونَهُمْ وَيَرْزُقُهُمْ اللَّهُ مِنْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ ﷻ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، أَلَا إِنَّ عُقْرَ دَارِ الْمُؤْمِنِينَ الشَّامُ، وَالْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)** [4] .

وإجمالاً، فإن مكانة الأرض المقدّسة في الإسلام – وبخاصة بيت المقدس وما حوله – "**تستند إلى ثلاث مرتكزات رئيسة وهي:** أنّ بيت المقدس هو البيت الذي بنته وعمرته الأنبياء، وأنه

---

1) **عبد الله بن حوالة:** (ت: 80 هـ)، نسبه الواقدي في بني عامر بن لؤي، وقيل: هو من الأزد، وهو الأشهر، يكنى ﷺ بأبي حوالة، نزل الشام، روى عنه من أهلها أبو إدريس الخولاني، وجبير بن نفير، ومرثد بن وداعة، وغيرهم، وقدم مصر فروى عنه من أهلها ربيعة بن لقيط التجيبي، وروى في فضل الشام أحاديث، وتوفي بالشام [الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن الأثير، (894/3)– بتصرف] .

2) **المستدرك على الصحيحين** (بتعليقات الذهبي)، الحاكم النيسابوري، كتاب الفتن والملاحم، برقم: 8556، (555/4)، قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرّجاه، ووافقه الذهبي.

3) **مسند أحمد**، مسند المكيين، برقم: 15596، (362/24)، **سنن الترمذي**، أبواب الفتن، باب ما جاء في الشام، برقم: 2192، (485/4)، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححّه الألباني [السلسلة الصحيحة، برقم: 403، (760/1)].

4) **مسند أحمد**، مسند الشاميين، برقم: 16965، (164/28)، **سنن النسائي**، كتاب الخيل، برقم: 3563، (524/6)، **صحيح ابن حبان**، باب الحجاز واليمن والشام وفارس وعمان، برقم: 7307، (296/16)، قال الألباني: إسناده صحيح على شرط مسلم [السلسلة الصحيحة، برقم: 1935، (571/4)] .

هو القبلة الأولى التي اتّجه المسلمون إليها بالصلاة، وأنّه المكان الذي أسري بمحمد ﷺ إليه، ومنه كان معراجه إلى السماء"[1]، وعن هذه المرتكزات العظيمة تتفرع كافة الفضائل والمحاسن المنصوص عليها في الأرض المقدّسة.

خلاصة المطلب:

أولاً: تميّزت الأرض المقدسة بمكانة سامية في مصادر الإسلام الأصيلة، فكانت – بوحي الله ﷻ– أرضاً مباركةً طيبة، ولها شأن عظيم في ديانة المسلمين وفكرهم، منذ مهد الإسلام الأول، وحتى قيام الساعة وآخر الزمان.

ثانياً: تجسّد في أرض فلسطين الانتقال النهائي (النظري) لميراث الأنبياء إلى أمّة محمدٍ ﷺ من خلال معجزة الإسراء والمعراج، تمهيداً للانتقال العملي (الفتح والحكم) والذي بدأ في عهده ﷺ، وأوصى به، وأتمّه خلفاؤه من بعده.

ثالثاً: احتلّ المسجد الأقصى المرتبة الثالثة في مساجد الإسلام المقدّسة، فهو ثالث ثلاثة من أقدس مقدّسات المسلمين في الأرض، وحظي بعناية المسلمين منذ عهد النبوة وما بعدها، وخلّده الله ﷻ في كتابه العزيز، بآية تصرّح ببركته وما حوله، وآياتٍ كثيرة تشير إليه.

رابعاً: الأقصى والشام والأرض المقدسة، هي وصية رسول الله ﷺ لأمته، " **عليكم بالشام، طوبى للشام، عقر دار الإسلام الشام، لا تزال طائفة من أمتي على الحق، إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم... إلخ** " .

1) مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، شهاب الدين المقدسي، (ص 12)– بتصرف .

المطلب الثالث:

الأرض المقدّسة وملاحم آخر الزمان

جاء الإسلام بالقول الفصل في علاقة الأرض المقدّسة بملاحم[1] آخر الزمان، وكذا ما يتعلق بعلامات الساعة، متجاوزاً كلّ الخرافات والأساطير التي جاء بها اليهود والنصارى في هذا الشأن، وقاطعاً التناقضات بالوحي الحقّ الذي لا مجال فيه لخرافة أو خطأ أو وهم.

وسيقتصر الباحث على بعض ما صحّ من آثارٍ في هذه القضية، وذلك لأنّها من قضايا الاعتقاد التي لا يجوز فيها الأخذ بالضعيف والمظنون.

إفساد اليهود في الأرض المقدّسة:

لقد ربطت سورة الإسراء في مطلعها بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى، وخلّدت معجزة الإسراء والمعراج، وكان هذا إيذاناً بالنهاية الأبدية لأية سلطة دينية غير إسلامية على الأرض المقدّسة.

لكن القرآن ذكر بعد هذا المطلع إفسادتين لبني إسرائيل في هذه الأرض، فقال ﷻ: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ **لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا** * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا * إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾ (الإسراء/4-7) .

أما عن مكان هذا الإفساد اليهودي، فقد اتّفق جمع كبيرٌ من العلماء على أنّ مكانه هو الأرض المقدّسة.

---

1) **الملاحم**: جمع ملحمة: وهي: الوقعة العظيمة القتل، وقيل: موضع القتال، وألحمتُ القومَ، إذا قتلتهم حتى صاروا لحما، وألحم الرجل إلحاماً واستلحم استلحاما، إذا نشب في الحرب فلم يجد مخلصاً. **[** لسان العرب، ابن منظور، (5/ 4012) **]** .

قال السمعاني: "والأرض المذكورة: **أرض الشام، وأرض بيت المقدس**"[1]، ومثل هذا القول بيّنٌ في تفسير الطبري وابن كثير لآيات سورة الإسراء[2]، وقال القرطبي: " ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ﴾، **يريد أرض الشام وبيت المقدس** وما والاها"[3].

" فبمناسبة المسجد الأقصى يذكر الله ﷻ كتاب موسى عليه السلام وما قضى فيه لبني إسرائيل، من نكبة وهلاك وتشريد مرّتين؛ بسبب طغيانهم وإفسادهم، مع إنذارهم بثالثة ورابعة، ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ "[4] .

وقد اختلف العلماء –فيما اتّضح للباحث– قديماً وحديثاً حول تفسير هاتين الإفسادتين، على أقوالٍ كثيرة، ومنشأ هذا الاختلاف – والله أعلم– كثرةُ إفساد اليهود، حتى بات لا يُعلم أيّ إفسادة لهم تلك التي عناها القرآن الكريم!.

فنقل ابن كثير عن جمع من الصحابة والتابعين والعلماء أنّ المسلّطين على بني إسرائيل أولاً هم جالوت وجنوده, وقيل: ملك الموصل سنحاريب[5] وجنوده، وقيل: (بختنصر) ملك بابل وجنوده[6].

وقال بعض العلماء المعاصرين أن المرّة الأولى في إفساد بني إسرائيل كانت في عهد النبوة بعد بعثة محمد ﷺ، وهم يهود المدينة والجزيرة العربية، وإفسادهم هو كيدهم وبغيهم على رسول الله

---

1) تفسير القرآن، السمعاني، (3/ 218) .

2) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (355/17)، **أيضاً**: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (35/3).

3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (214/10) .

4) في ظلال القرآن، سيد قطب، (2209/4) .

5) سنحاريب (705– 688 ق.م): ملك آشور، ابن سرجون الثاني، قضى أيام ملكه محاولاً تثبيت دعائم الإمبراطورية، قام بست حملات عسكرية ضد الكلدانيين والآراميين والعيلاميين والمصريين، حاصر بابل ثم دمرها بعد أن سقطت في يده عام 689 ق.م، ثم أخمد ثورة قامت ضده في فلسطين بتأييد من مصر، وأسقط ستاً وأربعين مدينة لم تكن القدس من بينها، وسبى عدداً كبيراً من الأسرى **[** موسوعة اليهود، المسيري، (93/4)– بتصرف **]** .

6) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (35/3).

ﷺ وأصحابه، وأنّ العباد المسلّطون عليهم بالتالي هم المسلمون آنذاك، وأما الإفسادة الثانية فهي ما يقومون به اليوم من طغيان وعلو وانتهاك للمحرّمات وسفك للدماء وغيرها[1] .

غير أن الشيخ د. يوسف القرضاوي[2] استبعد هذا القول وضعّفه، وذكر في ذلك أسباباً، وخلص إلى أنّ الإفسادتين قد وقعتا بالفعل، ونقل إجماع المفسّرين القدامى على ذلك، ورأى بأنّ يهود اليوم إنما يقعون تحت القانون الإلهي ﴿وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَا﴾ (الإسراء/8) [3] .

وبما أنّ الخلاف في التفسير قد وقع بين الأقدمين والمتأخرين؛ فلا سبيل – في فهم الباحث– إلى الجزم بمراد الله ﷻ في إفسادتي بني إسرائيل، لكنّ الثابت المقطوع به هو أنّ الله ﷻ توعّدهم بإعادة الكرة عليهم في كلِّ مرّة يعودون فيها إلى الإفساد، وهذا يعني أنّهم في إفسادهم في الأرض المقدّسة واقعون لا محالة تحت سيف غضب الله ﷻ وتسليطه عباده عليهم، حتي يأتي وعد الله ﷻ بتتبيرهم النهائي.

انتصار المسلمين على اليهود آخر الزمان :

إنّ إفساد اليهود وطغيانهم قد جلب عليهم ما لا يطيقه بشر، فقد كتب عليهم الملك العدل ﷻ عذاباً دنيوياً متواصلاً إلى يوم الدّين، فضلاً عن العذاب الأشد والأنكى يوم الحساب، إذ قال ﷻ: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ (الأعراف/167) .

---

1) **انظر:** فقه الجهاد، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة/القاهرة، ط1، 1430هـ/2009م، (1102/2) .

2) **يوسف القرضاوي:** يوسف عبد الله علي القرضاوي، ولد في مصر بتاريخ 1926/9/9م، ونشأ فيها، حفظ القرآن الكريم وجوّده وهو دون العاشرة، أتم تعليمه في الأزهر الشريف، اشتغل بالدعوة منذ فجر شبابه، وشارك في الحركة الإسلامية، وأوذي في سبيلها كثيراً، وهو علمٌ من أعلام العصر الحديث، علماً ودعوةً وفقهاً، وهو رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين **[** موقع القرضاوي: تحت عوان: نبذة عن القرضاوي، رابط: www.qaradawi.net، بتاريخ 2013/06/27م– بتصرف**]** .

3) **انظر:** فقه الجهاد، القرضاوي، (1103/2– 1104) .

وزيادةً في بيان آيات التتبير وتسليط الله ﷻ عباده على اليهود آخر الأمر، فإنّ البشارة جاءت في الشطر الثاني من الوحي الإلهي، على لسان الصادق المصدوق ﷺ الذي بيّن نتيجة المعركة النهائية بين المسلمين واليهود في هذه الأرض.

جاء عن ابن عمر رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: (**تُقَاتِلُكُمُ الْيَهُودُ فَتُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ، حَتَّى يَقُولَ الْحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ، هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي فَاقْتُلْهُ**) [1] .

قال ابن حجر: "وفي الحديث: ظهور الآيات قرب قيام الساعة، من كلام الجماد من شجرة وحجر، وظاهره أنّ ذلك ينطق حقيقةً، ويحتمل المجاز؛ بأن يكون المراد أنهم لا يفيدهم الاختباء، والأوّل أولى، وفيه: أن الإسلام يبقى إلى يوم القيامة، وفي قوله ﷺ: (تقاتلكم اليهود)، جواز مخاطبة الشخص والمراد من هو منه بسبيل؛ لأنّ الخطاب كان للصحابة، والمراد مَن يأتي بعدهم بدهرٍ طويل، لكن لما كانوا مشتركين معهم في أصل الإيمان، ناسب أن يُخاطبوا بذلك الحديث" [2] .

وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه تصريحٌ بأنّ هذه المعركة من أمارات الساعة، إذ قال رسول الله ﷺ: (**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ المسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فيَقْتُلُهُمُ الْمسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئ اليهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الحجَرُ، أوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ، يَا عبد اللهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إلا الْغَرْقَدَ**[3]**؛ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ**) [4].

وفهِم الباحث من هذا الحديث النبوي أموراً: **الأول:** أنّ هذا الحديث العظيم يفسّر جانباً من جوانب إعادة الكرّة على اليهود، والواردة في فواتح الإسراء، **والثاني:** أنّ هذا الحديث ليس دعوة للانتظار حتى يأذن الله ﷻ بدنوّ الساعة وقتال اليهود، بل هو من أمارات النبوة، (لذلك وضعه البخاري –رحمه الله –في باب علامات النبوة)، فصورة المعركة النهائية ستكون على هذا النحو،

---

1) **صحيح البخاري**، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، برقم: 3593، (ص 434) .

2) فتح الباري، ابن حجر، (610/6) .

3) **الغرقد:** نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس، وهناك يكون قتل الدجال واليهود، وقال أبو حنيفة الدينوري: إذا عظمت العوسجة صارت غرقدة [صحيح مسلم بشرح النووي، (45/18)] .

4) **صحيح مسلم**، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، برقم: 2922، (ص 1429) .

ولكن قد يسبقها معارك وملاحم أخرى، كما هو حاصل بالفعل عبر التاريخ إلى يومنا هذا، **والثالث:** في هذا الحديث تحريضٌ للمؤمنين على قتال اليهود المفسدين، إذ لا يجلبُ معيّةَ الله ﷻ إلا العمل والجهاد، لا القعود والتخلف عن مقارعة يهود.

الأرض المقدّسة موطن الخلافة قبيل الساعة:

إنّ عودة الخلافة على منهاج النبوّة الأولى هي بشرى رسول الله ﷺ لهذه الأمّة، وهي واقعة لا محالة، لقوله ﷺ: (تَكُونُ **النُّبُوَّةُ** فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ **خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ**، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ **مُلْكًا عَاضًّا**، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ **مُلْكًا جَبْرِيَّةً**، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، **ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ)**[1].

وقد أخبر نبينا الصادق المصدوق ﷺ بأنّ أرضنا المقدّسة ستكون مركزاً للخلافة في آخر الزمان، وبعدها سيقع في الأرض إرهاصات الساعة الأخيرة .

فقد جاء عن عبد الله بن حوالة ﷺ محدّثاً عن النبي ﷺ: (... ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِي أَوْ هَامَتِي فَقَالَ: " يَا ابْنَ حَوَالَةَ، **إِذَا رَأَيْتَ الْخِلَافَةَ قَدْ نَزَلَتْ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ، فَقَدْ دَنَتْ الزَّلَازِلُ وَالْبَلَايَا وَالْأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ إِلَى النَّاسِ مِنْ يَدِيْ هَذِهِ مِنْ رَأْسِكَ**")[2] .

وفيه تصريحٌ بأنّ الخلافة تقوم في الأرض المقدّسة قبل قيام الساعة بفترة ليست بالكبيرة، وهذه من البشارات النبوية العظيمة، والله أعلم.

---

1) مسند أحمد، مسند الكوفيين، برقم: 18406، (30/ 355) ، وصححه الألباني **[** السلسلة الصحيحة، برقم: 5، (34/1) **]** .

2) مسند أحمد، حديث عبد الله بن حواله، برقم: 22487، (151/37)، **المستدرك على الصحيحين**، كتاب الفتن والملاحم، برقم: 8309، (471/4)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه، وصححه الألباني **[**صحيح الجامع، برقم: 7838، (1293/2– 1294) **]** .

الأرض المقدّسة والعلامات الكبرى:

ارتبطت الأرض المقدّسة خصوصاً، وأرض الشام عموماً بالعلامات الكبرى للساعة، وجاءت الكثير من الأحاديث موحية برابطة وثيقة بين هذه الأرض وبين نهاية العالم، وهي – أي الأحاديث– يصدّق بعضها بعضاً، ويفسّر بعضها بعضاً، وما يستخلصه المستعرض لأحاديث الفتن والملاحم وأمارات القيامة هو أنّ الأرض المقدّسة وما حولها لها شأن خطير وعظيم في آخر الزمان.

وقد سُبقت العلامات الكبرى بعلامة صغرى، وهي: فتح بيت المقدس، إذ بيّن الرسول الكريم ﷺ أنّ فتحه من علامات الساعة فقال ﷺ: (**اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ** ... الحديث) [1] .

ومن الأحداث الكبرى والملاحم التي تعدّ من علامات الساعة الكبرى، **معركة كبيرة تدور رحاها على أرض الشام**، بين المسلمين والغرب، مصداقاً لحديث رسول الله ﷺ: (**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقَ**[2] فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتِ الرُّومُ خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لاَ وَاللَّهِ لاَ نُخَلِّى بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا، فَيُقَاتِلُونَهُمْ، **فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لاَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لاَ يُفْتَنُونَ أَبَدًا**، فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطُنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ في أَهْلِيكُمْ، فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ، **فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ، فَيَنْزِلُ**

---

1) **صحيح البخاري**، كتاب الجزية والموادعة، باب "ما يحذر من الغدر وقوله الله ﷻ: ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ ﴾(الأنفال/62)"،برقم: 3176، (ص 385) .

2) **الأعماق ودابق:** هما موضعان بالشام، بقرب حلب **[** صحيح مسلم بشرح النووي، (21/18) **]** .

عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِى الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لاَنْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِى حَرْبَتِهِ) [1] .

وهذا الحديث يجمع بين **المعركة الكبرى** بين الروم والمسلمين على أرض الشام، **وخروج الدجّال، ونزول عيسى ابن مريم** عليه السلام.

وفي الحديث فوائد جمّة و إشارات وتوجيهات لزمن الملحمة الكبرى، **من أهمّها** – فيما فهِم الباحث: أنّ ملاحم آخر الزمان يلزمها الإعداد العقائدي والثبات الذي لا سبيل معه إلى تراجع أمام أعداء الله، وهذا واضحٌ من قوله: **(فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لاَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا)، ومنها:** أنّ معارك آخر الزمان تتميّز بالحشد والاصطفاف والتحالفات، وهذا مفهوم من قوله: **(فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ ... فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتِ الرُّومُ خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ ... لاَ وَاللَّهِ لاَ نُخَلِّى بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا)، ومنها:** التحذير من الفتن العظيمة غير المعهودة، كخروج الدجال.

" و يتوجّه عيسى عليه السلام – بعد نزوله – **إلى بيت المقدس في الأرض المقدّسة المباركة – لأن الملاحم كلّها ستكون في هذه الأرض في قلب بلاد الشام**– يتوجه إلى بيت المقدس للدجّال ليقتله، وهناك يلتحم مع الطائفة المنصورة التي استعدّت لقتال الدجّال"[2].

فيقتل عيسى عليه السلام الدجّال في الأرض المقدّسة، وقد حددّ نبينا ﷺ مكان قتل الدجّال، إذ جاء في الحديث: (... **فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ**[3] **فَيَقْتُلُهُ**، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِى الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى: إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لاَ يَدَانِ لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عبادِي إِلَى الطُّورِ، **وَيَبْعَثُ اللَّهُ**

---

1) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب "في فتح القسطنطينية وخروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم"، برقم: 2897، (ص 1417) .

2) أحداث النهاية ونهاية العالم، الشيخ محمد حسان، مكتبة فياض/مصر، ط1، 1428هـ/2007م، (ص 451، 465)– بتصرف .

3) باب لد: بلدة قريبة من بيت المقدس **[** صحيح مسلم بشرح النووي، (68/18) **]** .

يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ[1]**، فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا**، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ! ... الحديث)[2] .

وفي هذا الحديث أيضاً طرفٌ من خبر قوم يأجوج ومأجوج الذين أخبر عنهم الله ﷻ في كتابه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا **فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ** وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء/96] ، فبيّن الحديث أيضاً أنّهم سيمرّون بالأرض المقدّسة وسيكون لهم فيها إفساد.

وإذا ربطتَ نزول عيسى عليه السلام بالطائفة المنصورة التي أخبر عنها رسول الله ﷺ في الأرض المقدّسة وبلاد الشام، ستجد أنّه ينزل ولا شكّ في زمن تلك الطائفة المرابطة المتمسكة بشريعة الإسلام على الأرض المقدّسة، وسينزل عليه السلام حاكماً بهذه الشريعة الغراء.

قال ﷺ: (لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِى يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، **قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ** ﷺ **فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ لاَ، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ**، تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الأُمَّةَ) [3] .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أنّه ﷺ قال: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، **لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ**) [4] .

بل إنّ زمن عيسى ﷺ هو الزمن الذهبي الأخير لدين الإسلام على أرض الله ﷻ، فهو زمن سيادة تامة لدين الإسلام، وزمن أمن مطلق وعيش رغيد، فقد جاء في الصحيح وصفٌ لزمن نزول

---

1) **بحيرة طبرية:** هي كالبركة، تحيط بها الجبال ويصبّ فيها فضلات أنهر كثيرة تجيء من جهة بانياس والساحل والأردنّ الأكبر، وينفصل منها نهر عظيم فيسقي أرض الأردن الأصغر، وهو بلاد الغور، ومدينة طبرية في لحف الجبل مشرفة على البحيرة [معجم البلدان، الحموي، (352/1)- بتصرف يسير] .

2) **صحيح مسلم،** كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، برقم: 2937، (ص 1438) .

3) **صحيح مسلم،** كتاب الإيمان، باب "بيان نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ"، برقم: 156، (ص 94) .

4) **متفق عليه: البخاري**، كتاب البيوع، باب قتل الخنزير، برقم: 2222، (ص 261)، **مسلم**، كتاب الإيمان، باب "نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ"، برقم: 155، (ص 93) .

المسيح ﷺ، جاء فيه: (**وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ،** وَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، ثُمَّ تَقَعُ الْأَمَنَةُ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى تَرْتَعَ الْأُسُودُ مَعَ الْإِبِلِ، وَالنِّمَارُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذِّئَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبَ الصِّبْيَانُ بِالْحَيَّاتِ، لَا تَضُرُّهُمْ، فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، **ثُمَّ يُتَوَفَّى، وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ)** [1] .

أرض المحشر والمنشر:

قال القرطبي: " الحشرُ الجمع؛ وهو على أربعة أوجه: حشران في الدنيا وحشران في الآخرة؛ أما الذي في الدنيا فقوله ﷻ: ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ **لِأَوَّلِ الْحَشْرِ** ﴾ (الحشر/2)، قال الزهري: كانوا من سبط لم يصبهم جلاء، وكان الله ﷻ قد كتب عليهم الجلاء؛ فلولا ذلك لعذبهم في الدنيا، وكان أول حشر حشروا في الدنيا إلى الشام، قال ابن عباس: **من شك أن الحشر في الشام فليقرأ هذه الآية، وأن النبي ﷺ قال لهم: (اخرجوا) قالوا: إلى أين؟ قال: (إلى أرض المحشر)**، قال قتادة: هذا أول المحشر، قال ابن عباس: هم أول من حشر من أهل الكتاب وأخرج من دياره ... وأما الحشر الثاني: فحشرهم قرب القيامة، قال قتادة: تأتي نارٌ تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا، وتأكل منهم من تخلف، وهذا ثابت في الصحيح" [2] .

وجاء في تفسير هذه الآية بالسنّة: " وقوله: ﴿ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ﴾، **يعنى: الشام،** الذى جلا أكثرهم إليه؛ لأنّه روى في الحديث أنه تجيء نارٌ تحشر الناس إلى الشام، **ولذلك؛ قيل في الشام أنها أرض المحشر**" [3] .

---

1) **مسند أحمد**، مسند المكثرين من الصحابة، أبو هريرة، برقم: 9270، (15/ 154)، وصححه الألباني [السلسلة الصحيحة، برقم: 2182، (214/5)] .

2) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (18/2-3)- بتصرف يسير .

3) شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد/الرياض، ط2، 1423هـ/2003م، (353/6).

وقد صحّ في الحديث عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ أنّه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(الشَّامُ أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ)** [1] .

وقد صحّ عنه ﷺ إخباره بنارٍ تحشر الناس إلى جهة الشام والأرض المقدّسة، فقال ﷺ: (... **أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ** ...) [2] .

وجاء عنْ أبي هُرَيْرَةَ ﷺ، عنِ النبيِّ ﷺ قال: (**يُحْشَرُ النَّاسُ عَلى ثَلاَثْ طرائِقَ، راغِبِينَ وراهِبِينَ، واثْنان عَلى بَعيرٍ، وثَلاثَةٌ عَلى بَعِيرٍ، وأَرْبَعَةٌ عَلى بَعِيرٍ، وعَشَرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، ويَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ، تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قالُوا، وتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ باتُوا، وتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أصْبَحُوا، وتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أمْسَوْا)** [3] .

جاء في عمدة القاري: " قالوا: هذا الحشر في آخر الدنيا قبيل القيامة، كما يجيء في الحديث الذي بعده: (**إِنَّكُمْ مُلَاقُو اللهِ حُفَاةً عُرَاةً مُشَاةً غُرْلًا)**[4]، ولما فيه من ذكر المساء والصباح، ولانتقال النار معهم، وهي نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب... **هذا الحشر قبيل قيام الساعة، يحشر الناس أحياء إلى الشام**، وأما الحشر من القبور إلى الموقف فهو على خلاف هذه الصورة من الركوب على الإبل والتعاقب عليها" [5] .

وقد جاء التصريح بتوجيه رسول الله ﷺ المؤمنين بلزوم الشام في وقت خروج هذه النار الحاشرة للناس، إذ جاء عن ابن عمرﷺ، قال: سمعت رَسُول اللَّه ﷺ يقول: **(سَتَخْرُجُ نَار مِنْ**

---

1) **مسند البزار = البحر الزخّار**، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وَ عادل بن سعد وَ صبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم/المدينة المنورة، ط1، (1988م حتى 2009م)، مسند أبي ذر الغفاري، برقم: 3965، (382/9)، وصحّحه الألباني **[** صحيح الجامع، برقم: 3726 ، (693/1) **]** .

2) **صحيح البخاري**، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذرّيته، برقم: 3329، (ص 401).

3) **متفق عليه: صحيح البخاري**، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، برقم: 6522، (ص 782)، **صحيح مسلم**، كتاب الجنّة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، برقم: 2861، (ص 1402).

4) **صحيح البخاري**، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر، برقم: 6524، (ص 782).

5) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي/بيروت، ط (بدون)، (بدون تاريخ)، (104/23- 105)- بتصرف .

حَضْرَمَوْت[1] – **أَوْ بِحَضْرَمَوْت– قَبْل يَوْم الْقِيَامَة تَحْشُر النَّاس، قُلْنَا: يَا رَسُول اللَّه، فَمَا تَأْمُرنَا؟ قَالَ: عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ)**[2].

" **(تَحْشُر النَّاس)**، أي: تجمعهم النارُ وتسوقهم على ما في النهاية، **(فَمَا تَأْمُرنَا؟)**، أي: في ذلك الوقت **(قَالَ: عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ)**، أي: خذوا طريقها والزموا فريقها؛ فإنها سالمةٌ من وصول النار الحسّية أو الحُكمية إليها حينئذ، لحفظ ملائكة الرحمة إيّاها " [3] .

وهاك حديث عَبد اللَّه بنِ عمرو ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنَّ عَمُودَ الْكِتَابِ انْتُزِعَ مِنْ تَحْتِ وِسَادَتِي، فَأَتْبَعْتُهُ بَصَرِي فَإِذَا هُوَ نُورٌ سَاطِعٌ عُمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ، أَلَا وَإِنَّ الْإِيمَانَ إِذَا وَقَعَتِ الْفِتَنُ بِالشَّامِ)**[4] .

فيا لها من كرامةٍ، وشهادة فخرٍ من نبي العالمين ﷺ لأرض الشام المباركة، إذ هي موطن الإيمان وملاذ المؤمنين إذا وقعت الفتن والملاحم في آخر الزمان، وهي محطّ الأنظار وبؤرة الصراع التي لن يستقرّ فيها حال حتى يسودها الإسلام وتدخل في كنف عباد الله ﷻ المنصورين، وأين هذه المكانة القدسية – التي أصلها وفرعها توحيد الله والعبودية له وإقامة حكمه وتطبيق شرعه– من أساطير اليهود في (ماشيّحهم) المنتظر، أو النصارى في إلههم المزعوم؟!

---

1) **حَضرَمَوت:** هو اسم موضع واسم قبيلة، وحضرموت: ناحية واسعة في شرقي عدن بقرب البحر، وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف، وبها قبر هود ﵇ [معجم البلدان، الحموي، (270/2)– بتصرف يسير] .

2) **مسند أحمد**، مسند المكثرين من الصحابة، برقم: 4536، (135/8)، **سنن الترمذي**، أبواب الفتن، باب "ما جاء: لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من قبل الحجاز"، برقم: 2217، (498/4)، وقال الترمذي: وهذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني [السلسلة الصحيحة، برقم: 2768، (636/6)] .

3) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلاء محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، تحقيق: عبد الوهاب بن عبد اللطيف، المكتبة السلفية/المدينة المنورة، ط2، 1383هـ/1963م، (464/6) .

4) **المستدرك على الصحيحين** (بتعليقات الذهبي)، كتاب الفتن والملاحم، برقم: 8554، (555/4)، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرّجاه، ووافقه الذهبي، و صححه الألباني [تخريج أحاديث فضائل الشام لأبي الحسن علي بن محمد الربعي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف/الرياض، ط1، 1420هـ/2000م، (ص 12)] .

خلاصة المطلب:

أولاً: ارتبطت الأرض المقدّسة بنهاية العالم وقيام الساعة والوعد الحقّ، فهي مسرح المشهد الأخير في الكون، قبل فصل القضاء والحشر إلى ربّ العباد ﷻ.

ثانياً: إنّ الطائفة المنصورة التي يهيئها الله ﷻ للقيام بأمره والجهاد في سبيله في الملاحم الكبرى في الأرض المقدّسة هي قطعاً طائفة المسلمين، التي يلتحم بها عيسى عليه السلام، ويأتي ملتزماً بشرعتها –أي الإسلام– وتكون وقتئذ السيادة على الأرض لدين الله ﷻ، لا لأي دين أرضي.

ثالثاً: إنّ أخبار الملاحم والفتن في الأرض المقدّسة ينبغي أن تدفع المسلمين إلى العمل في سبيل الله ﷻ، والاستعلاء على الباطل، والإعداد والاستعداد ليوم الملحمة، والاستعاذة بالله من الفتن العظيمة، والاتّصاف بصفات الفئة المنصورة الظاهرة على أمر الله ﷻ .

رابعاً: إنّ أحداث آخر الزمان تنطوي على البشارة والتخويف معاً، وهذا ينسجم مع طبيعة رسالة الإسلام،﴿ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾(يونس/2)، فمع كون هذه الآيات والأحداث مبشّرة بمستقبل الإسلام، فهي تدعو إلى الاستمساك بحبل الدين والثبات عند الفتن وإلا فإنّ **(الْأَرْضَ لَا تُقَدِّسُ أَحَدًا وَإِنَّمَا يُقَدِّسُ الْإِنْسَانَ عَمَلُهُ)** [1] .

---

1) **الموطأ**، مالك بن أنس، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان/ الإمارات، ط1، 1425هـ/2004م، كتاب الأقضية، باب جامع القضاء وكراهيته، برقم: 2842، (1117/7) .

المبحث الثالث:

آثار عقيدة المسلمين في الأرض المقدسة

ويتضمن أربعة مطالب:

المطلب الأول: الفتح الإسلامي للأرض المقدّسة

المطلب الثاني: وقفيّة فلسطين في الإسلام

المطلب الثالث: وجوب الجهاد لاسترداد الأرض المقدّسة

المطلب الرابع: حكم الإسلام في التفريط بشيء من الأرض المقدّسة

المطلب الأول

الفتح الإسلامي للأرض المقدّسة

إنّ الفتح الإسلامي للأرض المقدّسة كان من الثمار الأولى لعقيدة المسلمين في أرض فلسطين، فقد أخذ الصحابة – رضوان الله عليهم– ينزلون هذا الاعتقاد منزلته على الأرض، فلم يعد مقبولاً عند الصحابة بعد الإسراء والمعراج، وبعد وصية رسول الله ﷺ، أن يتركوا ميراث الأنبياء في الأرض المقدّسة بيد النصارى والوثنيين من الرومان، أو في يد أيّة ملّة أخرى لا تدين لله ﷻ بالتوحيد الخالص.

وبدأت –كما سلف– محاولات واستعدادات فتح الأرض المقدّسة منذ عهد رسول الله ﷺ، ثم في عهد خليفته الصدّيق ﷺ، وتمّت المنّة والنعمة في عهد فاروق الأمة ﷺ .

وكانّ من أبرز الوقائع التي كتبت تاريخاً جديداً لهذه الأرض، معركة أجنادين، ومعركة اليرموك، والفتح العمري للقدس، **وفيما يلي إيجاز لهذه الأحداث ونتائجها:**

بدايات الفتح:

بعد انتهاء أبي بكرﷺ من حروب الردّة، اتّجه نحو الشام فوراً، فعقد ثلاثة ألوية لثلاثة رجالٍ هم: يزيد بن أبي سفيان[1]ﷺ، وشرحبيل بن حسنة[2]ﷺ، وعمرو بن العاصﷺ، وأمر أبو بكرٍﷺ عَمراً أن يتوجّه إلى فلسطين مباشرةً، ويزيداً وشرحبيل أن يأخذا طريق تبوك، وكان مع كل أمير

---

1) **يزيد بن أبي سفيان:** بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ﷺ، كان أفضل بني أبي سفيان، كان يقال له يزيد الخير، أسلم يوم فتح مكة، وشهد حنينا، وأعطاه رسول الله ﷺ من غنائم حنين مائة بعير وأربعين أوقية، واستعمله الصديق ﷺ، وأوصاه وخرج يشيعه راجلاً، قيل مات في طاعون عمواس سنة 18 هـ، وقيل سنة 19هـ بعد أن افتتح قيسارية [الاستيعاب، ابن عبد البر، (1575/4– 1576)– بتصرف] .

2) **شرحبيل بن حسنة:** وهو شرحبيل بن عبد الله بن المطاع بن عبد الله ﷺ، من كندة، حليف لبني زهرة، نسب إلى أمه حسنة، وكانت مولاة لمعمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح، كان شرحبيل من مهاجرة الحبشة، معدود في وجوه قريش، وكان أميراً على ربع من أرباع الشام في الفتح، توفي في طاعون عمواس سنة 18هـ، وهو ابن سبع وستين سنة [الاستيعاب، ابن عبد البر، (698/2– 699)– بتصرف] .

منهم سبعة آلاف وخمسمائة رجل، ثم تمّ جمعهم بعد ذلك أربعة وعشرين ألفاً، وولّى أبو بكر عمراً فلسطين، وشرحبيل الأردن، ويزيد دمشق[1] .

ولعلّ من أعظم ما وقف عليه الباحث من قوة الدافع لدى الصحابة –رضوان الله عليهم– ورغبتهم في إنجاز ما همّ به رسول الله ﷺ من فتح الأرض المقدّسة، ما أورده الطبري في تاريخه، من رسائل بين الخليفة أبي بكر ﵁ وعمرو بن العاص ﵁، جاء في إحداها من عمرو إلى الخليفة: **(إنِّي سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الإِسْلامِ، وَأَنْتَ بَعْدَ اللَّهِ الرَّامِي بِهَا، وَالْجَامِعُ لَهَا، فَانْظُرْ أَشَدَّهَا وَأَخْشَاهَا وَأَفْضَلَهَا فَارْمِ بِهِ شَيْئًا إِنْ جَاءَكَ مِنْ نَاحِيَةٍ مِنَ النَّوَاحِي)** [2] .

وتتجلى أخلاق الإسلام وعظمته في وصية الصدّيق ﵁ لجيشه عند خروجه إلى الشام، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ ﵁، قَالَ: (بَعَثَ أَبُو بَكْرٍ ﵁ يَزِيدَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ إِلَى الشَّامِ، وَمَشَى مَعَهُمْ نحواً من مِيلَيْنِ، فَقِيلَ: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ، لَوِ انْصَرَفْتَ، فَقَالَ: لا، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " **مَنْ أُغْبِرَتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَرَّمَهَا اللَّهُ عَلَى النَّارِ**[3]"، ثُمَّ بَدَا لَهُ الانْصِرَافُ، فَقَامَ فِي الْجَيْشِ، فَقَالَ: **أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، لا تَعْصُوا، وَلا تَغُلُّوا، وَلا تَجْبُنُوا، وَلا تَهْدِمُوا بِيْعَةً، وَلا تُغْرِقُوا نَخْلا، وَلا تَحْرُقُوا زَرْعًا، وَلا تَقْطَعُوا شَجَرَةً مُثْمِرَةً، وَلا تَقْتُلُوا شَيْخًا كَبِيرًا وَلا صَبِيًّا صَغِيرًا**، وَسَتَجِدُونَ أَقْوَامًا حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ لِلَّذِي حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ، فَذَرُوهُمْ وَمَا حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ لَهُ، وَسَتَرِدُونَ بَلَدًا يَغْدُو عَلَيْكُمْ وَيَرُوحُ فِيهِ أَلْوَانُ الطَّعَامِ، فَلا يَأْتِيكُمْ لَوْنٌ إِلا ذَكَرْتُمُ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ)[4] .

فأين هذه التعليمات الإسلامية الراقية من تعليمات التوراة المزعومة، والتلمود المصنوع، والتي تأمر بذبح كل ما نفخ فيه الروح!

---

1) **انظر**: الخراج وصناعة الكتابة، قدامة بن جعفر، (285/1) .

2) تاريخ الطبري، (389/3).

3) **صحيح البخاري**، كتاب الجهاد والسير، باب من اغبرت قدماه في سبيل الله، برقم: 2811، (ص 342).

4) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا وَ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية/بيروت، ط1، 1412هـ/ 1992م، (115/4-116).

" ولما صار عمرو بن العاص ﷺ إلى أول عمل فلسطين، كتب إلى أبي بكر ﷺ، يعلمه كثرة عدد العدو وعدتهم، وسعة أرضهم، ونجدة مقاتلتهم؛ فكتب أبو بكر ﷺ إلى خالد بن الوليد ﷺ – وهو بالعراق– **يأمره بالمسير إلى الشام** "[1] .

" وأول وقعة كانت بين المسلمين وعدوهم بقرية من قرى غزّة، يقال لها داثن[2]، فاقتتلوا فيها قتالاً شديداً، ثم إنّ الله ﷻ أظهر أولياءه، وهزم أعداءه، وفضّ جمعهم، وذلك قبل قدوم خالد عليهم، ثم بلغهم أنّ ستة قواد من الروم نزلوا العربة[3]، فسار إليهم أبو أمامة الباهلي[4]ﷺ في كثف المسلمين، فهزمهم، وقتل أحد القوّاد، ثم اتّبعهم، فهزمهم، وغنم المسلمون غنماً حسناً، ولم يمر المسلمون منذ فصلوا من الحجاز بشيء من الأرض إلى موضع الوقعة إلا غلبوا عليه بغير حرب وصار في أيديهم" [5] .

معركة أجنادين:

ذكر الباحث في الفصل التمهيدي أنّ هذه المعركة الهامة وقعت في منطقة أجنادين بفلسطين، عام 13هـ بقيادة خالد بن الوليد ﷺ زمن الخليفة الصدّيق ﷺ .

وكانت هذه الموقعة غير مسبوقة في تاريخ الإسلام، إذ كان الانتصار فيها – في فهم الباحث– يعني الكثير بالنسبة للطرفين، المسلمين والروم.

---

1) الخراج وصناعة الكتابة، قدامة بن جعفر، (285/1) .

2) داثن: ناحية قرب غزّة بأعمال فلسطين بالشام، وبها أوقع المسلمون بالروم، وهي أول حرب بينهم **[** معجم البلدان، الحموي، (417/2) **]** .

3) العربة: موضع في أرض فلسطين بها أوقع أبو أمامة الباهلي بالروم لما بعثه يزيد بن أبي سفيان **[** معجم البلدان، الحموي، (96/4) **]** .

4) أبو أمامة الباهلي: صدي بن عجلان بن وهب، أبو أمامة الباهلي ﷺ، غلبت عليه كنيته، كان يسكن حمص، (ت: 81هـ)، قال سفيان بن عيينة: كان أبو أمامة الباهلي آخر من بقى بالشام من أصحاب رسول الله ﷺ، كان أبو أمامة الباهلي ممن روى عن النبي ﷺ فأكثر، وروى عنه جماعة من التابعين، **[** الاستيعاب، ابن عبد البر، (736/2)– بتصرف **]** .

5) الخراج وصناعة الكتابة، قدامة بن جعفر، (286/1)– بتصرف .

لذلك فقد حشدت لها الروم زهاء مائة ألف مقاتل، فقاتلهم المسلمون قتالا شديداً، وأبلى خَالد ﷺ يومئذ بلاءً حسنًا، ثُمَّ إنّ الله ﷻ هزم أعداءه ومزقهم وقُتل منهم خلق كثير، ولما انتهى خبر هذه المعركة العظيمة إلى هرقل انخلع قلبه، وسُقط في يده، وملئ رعباً، فهرب من الشام[1] .

" وكتب خالدُ ﷺ إلى أبي بكرﷺ: (... **وإنّا لقينا جموعهم بأجنادين، وقد رفعوا صلبانهم، وتقاسموا بدينهم أن لا يفرّوا ولا ينهزموا، فخرجنا إليهم واستعنّا بالله** ﷻ، **متوكلين على الله خالقنا، فرزقنا الله الصبر والنصر، وكتب الله على أعدائنا القهر**، فقاتلناهم في كل واد، وجملة من أحصيناهم ممن قتل من المشركين خمسون ألفاً)، فما إن وصل كتاب خالد ﷺ وقرأه الصدّيق حتى خرّ ساجداً لله ﷻ، وكذا فعل المسلمون في المدينة معه" [2] .

ولم يستوعب الروم هذه الهزيمة المدوّية، فجمعوا جمعهم في منطقة "الياقوصة"[3]، فلقيهم المسلمون هناك فكشفوهم وهزموهم وقتلوا كثيراً منهم، ولحق فلولهم بمدن الشام، وتوفي أبو بكر ﷺ أثناء وجود المسلمين في الياقوصة[4].

وكان من أبرز المعارك بعد أجنادين – وقبل اليرموك وبيت المقدس– معركة فتح دمشق، والتي كانت من المعارك الحاسمة في تاريخ الشام، إذ اشتدّ فيها حصار المسلمين على دمشق شهوراً، ودارت معارك كبيرة بينهم وبين عدوّهم من النصارى ومن عاونهم من اليهود، ثم لما أيس الروم من النصر لجأوا إلى الصلح، فدخلها المسلمون، حرباً ثم صُلحاً[5] .

---

1) انظر: فتوح البلدان، البلاذري، (116/1– 117) .

2) فتوح الشام، الواقدي، (1/ 60 – 61)– بتصرف .

3) الياقوصة = الواقوصة: واد بالشام في أرض حوران نزله المسلمون أيام أبي بكر الصديق ﷺ، على اليرموك لغزو الروم، وكان فيه انكسار عظيم للروم في معركة كبرى هلك فيها جمع غفير منهم **[** معجم البلدان، الحموي، (355/5)– بتصرف **]** .

4) انظر: فتوح البلدان، البلاذري، (117/1– 118) .

5) انظر: فتوح الشام، الواقدي، (1/ 63 – 71) .

معركة اليرموك[1]:

في موقعة أجنادين وما قبلها وبعدها من فتوحات عظيمةٍ للمسلمين في الأرض المقدّسة، بات وجود الروم في فلسطين على خطرٍ كبير، فحاولوا استدراك ما فات، فكانت موقعة اليرموك العظيمة سنة 13 هـ، التي سُجّلت كأحد أهمّ معارك المسلمين في التاريخ.

وكان أبرز قادة المعركة من المسلمين في اليرموك: أبو عبيدة بن الجراح، وخالد بن الوليد، ويزيد بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة، رضي الله عنهم أجمعين[2].

وكانت معركةً فاصلة، ظهرت فيها روح الجهاد واليقين بنصر الله ﷻ، فهذا معاذ بن جبل ؓ يقف في الناس قائلاً: " **يا أهل القرآن ومستحفظي الكتاب، وأنصار الهدى والحق،** إن رحمة الله ﷻ لا تنال وجنته لا تدخل بالأماني، ولا يؤتي الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا الصادق المصدق، ألم تسمعوا لقول الله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ﴾ (النور/55)، **فاستحيوا من ربكم أن يراكم فرّاراً من عدوكم وأنتم في قبضته، وليس لكم ملتحد من دونه، ولا عزّ بغيره**" [3] .

ويقف فيهم أيضاً عمرو بن العاص ؓ خطيباً، وكان مما قاله يومئذٍ: " **فو الذي يرضى الصدق ويثيب عليه، ويمقت الكذب، ويجزي بالإحسان إحساناً، لقد سمعتُ أنّ المسلمين سيفتحونها كَفرا كَفرا، وقَصرا قَصرا، فلا يهولنّكم جموعُهم ولا عددُهم** " [4] .

ويكفي أنّه كان في ذلك الجمع المبارك على أرض اليرموك أكثر من ألف مجاهدٍ من صحابة رسول الله ﷺ; منهم نحو مائة من أهل بدر[5].

---

1) هناك خلاف حول كون هذه المعركة قبل فتح دمشق أو بعده **[انظر:** البداية والنهاية، ابن كثير، (545/9) **]**، ولا يؤثر هذا الخلاف في المقصود .

2) انظر: المنتظم في تاريخ الملوم والأمم، ابن الجوزي، (120/4) .

3) البداية والنهاية، ابن كثير، (555/9)- بتصرف يسير.

4) المصدر السابق، (555/9) .

5) انظر: المنتظم في تاريخ الملوم والأمم، ابن الجوزي، (119/4) .

أما عن سير المعركة ونتيجتها، فقد " جمع هرقل جموعًا كثيرة منَ الروم وحلفائهم، فكانوا زهاء مائتي ألف[1]، وولّى عليهم رجلاً من خاصته، وعزم عَلَى محاربة المسلمين، واجتمع المسلمون فرجعوا إليهم، فاقتتلوا عَلَى اليرموك أشدّ قتالٍ وأبرحه، وكان المسلمون يومئذ أربعة وعشرين ألفاً، وتسلسلت الروم وأتباعهم يومئذ لئلاّ يطمعوا أنفسهم في الهرب، فقتل اللَّه منهم زهاء سبعين ألفاً وهربت فلولهم "[2] .

وقد سجّل التاريخ بطولات عظيمة للمسلمين تفوق الوصف، ومشاهد وملاحم يعجز المرء أمامها إلا أن يعترف بعظيم الفضل لصحابة رسول الله ﷺ – رضوان الله عليهم– الذين فتحوا هذه البلاد المباركة بدمائهم وافتدوها بأرواحهم، وقارعوا فيها أعداء الله أشدّ المقارعة، ولولا ثباتهم وجهادهم، وسهرهم على حراسة هذه الأرض لالتهمها عباد الصليب منذ فجر التاريخ الإسلامي.

إذ استشهد في يوم اليرموك من المسلمين نحو ثلاثة آلاف مجاهد، فيما رواه أهل المغازي والسير[3].

وكانت أول فتح فتحه الله ﷻ على عمر ﷺ بعد عشرين ليلة من متوفى أبي بكر ﷺ[4].

قال الواقدي[5] – رحمه الله– بعد ذكر جملةٍ من بطولات الصحابة في فلسطين: " والله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ما اعتمدت في أخبار هذه الفتوح إلا الصدق وما نقلت أحاديثها إلا عن ثقات، وعلى قاعدة الحق، **لأثبت فضائل أصحاب رسول الله ﷺ وجهادهم... إذ لولاهم**

---

1) ذكر الواقدي في فتوح الشام بأنّ جيوش هرقل (الخمسة) بلغت ستمائة ألف مقاتل، ورئيس هذه الجيوش جميعاً هو "ماهان" [**انظر:** فتوح الشام، الواقدي، (149/1)] .

2) فتوح البلدان، البلاذري، (136/1– 137)– بتصرف.

3) البداية والنهاية، ابن كثير، (565/9)– بتصرف .

4) المنتظم في تاريخ الملوم والأمم، ابن الجوزي، (123/4) .

5) الواقدي: محمد بن عمر بن واقد الأسلمي مولاهم، الواقدي، المديني، القاضي، (ت: 207هـ)، وهو صاحب التصانيف والمغازي، العلامة، الإمام، أبو عبد الله، أحد أوعية العلم، على ضعفه، المتفق عليه، سمع من صغار التابعين فمن بعدهم، بالحجاز، والشام، وغير ذلك، وقال الخطيب: هو ممن طبق ذكره شرق الأرض وغربها، وسارت بكتبه الركبان في فنون العلم من المغازي، والسير، والطبقات، والفقه، وكان جواداً، كريماً، مشهوراً بالسخاء، قال محمد بن سلام الجمحي: الواقدي عالم دهره [سير أعلام النبلاء، الذهبي، (454/9–457)– بتصرف] .

بمشيئة الله ﷻ لم تكن البلاد للمسلمين، وما انتشر علم هذا الدين، فلله درهم، لقد جاهدوا في الله حق جهاده، ونصروا دينه، وثبتوا للقاء الأعداء، وبذلوا جهدهم، ونصروا الدّين حتى زحزحوا الكفر عن سريره، وتقهقر لا جرم، وقد قال فيهم الملك المقتدر ﷻ: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ (الأحزاب/23) " [1] .

الفتح العمري للقدس:

واستمرّت فتوحات المسلمين في فلسطين وبوتيرة متسارعة، فأتمّ الله ﷻ لجنود المسلمين في السنة الخامسة عشرة من الهجرة فتح قيسارية، وبيسان[2]، وغزة، وبيت المقدس، فيما ذكره الطبري[3].

" وكان في السنة الخامسة عشرة من الهجرة أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أمر عمرو بن العاص رضي الله عنه بمناجزة صاحب إيلياء، فنزل على الروم وهم في حصونهم، وعليهم الأرطبون، وكان أدهى الروم وأبعدهم غوراً، وكان قد وضع بالرملة جنداً عظيماً وبإيلياء جنداً عظيماً، وأقام عمرو رضي الله عنه على أجنادين لا يقدر من الأرطبون على شيء، ثم أقبلوا على أجنادين، فانهزم أرطبون، فأوى إلى إيلياء، وكتب إليه الأرطبون: لا تتعب فإنّما صاحب الفتح رجل اسمه على ثلاثة أحرف، فعلم أنه عمر رضي الله عنه، فكتب إليه عمرو يعلمه بأنّ الفتح يذخر له، فنادى في الناس وخرج حتى نزل الجابية[4] " [5] .

---

1) فتوح الشام، الواقدي، (179/1)- بتصرف يسير.

2) **بيسان:** مدينة بالغور الشامي، ويقال هي لسان الأرض، وهي بين حوران وفلسطين **[** معجم البلدان، الحموي، (91/2)- بتصرف **]** .

3) **انظر:** تاريخ الطبري، (603/3- 607) .

4) **الجابية:** قرية من أعمال دمشق، من ناحية الجولان، قرب مرج الصفّر في شمالي حوران، وبالقرب منها تلّ يسمى تلّ الجابية **[** معجم البلدان، الحموي، (91/2)- بتصرف **]** .

5) فضائل القدس، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: الدكتور جبرائيل سليمان جبور، دار الآفاق الجديدة/ بيروت، ط2، 1400هـ/1980م، (ص 122) .

جاء في تاريخ الطبري: " فبينا عمر معسكراً بالجابية، فزع الناس إلى السلاح، فقال: ما شأنكم؟ فقالوا: ألا ترى الخيل والسيوف! فنظر، فإذا كردوس[1] يلمعون بالسيوف، فقال عمر: مستأمنة، ولا تراعوا وأمنوهم، فأمنوهم، وإذا هم أهل إيلياء، فأعطوه واكتتبوا منه على إيلياء وحيّزها، والرملة[2] وحيزها، فصارت فلسطين نصفين: نصف مع أهل إيلياء، ونصف مع أهل الرملة، وهم عشر كور[3]، وفلسطين تعدل الشام كله ... وكان الذي صالح عمر ﷺ في فلسطين العوامّ من أهل إيلياء والرملة" [4] .

وكتب ﷺ لأهل بيت المقدس: " إني قد أمنتكم على دمائكم وأموالكم وذراريكم وصلاتكم وبيعكم، ولا تكلفوا فوق طاقتكم، ومن أراد منكم أن يلحق لأمنه فله الأمان، وأنّ عليكم الخراج كما على مدائن فلسطين" [5] .

ثمّ توجّه عمر ﷺ من الجابية إلى بيت المقدس، وفُتحت إيلياء وأرضها كلّها على يديه، ودخل المسجد من الباب الذي دخل منه رسول الله ﷺ ليلة الإسراء، ويقال: إنه لبى حين دخل بيت المقدس، فصلى فيه تحية المسجد بمحراب داود عليه السلام، وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد، فقرأ في الأولى بسورة "ص" وسجد فيها والمسلمون معه، وفي الثانية بسورة " الإسراء" [6].

ثم وضع عمر حجر الأساس للمسجد الأقصى من جديد، بما يليق بقدسيته ومكانته، وأخذ من فوره ينظّف مكان الصخرة ويرفع عنها الأوساخ التي نجمت عن الصراع اليهودي النصراني،

---

1) الكردوس: الخيل العظيمة، وقيل: القطعة من الخيل العظيمة [لسان العرب، ابن منظور، (3850/5)] .

2) الرملة: مدينة عظيمة بفلسطين، وكانت رباطاً للمسلمين، وقد سكنها جماعة من العلماء والأئمة فنسبوا إليها، جدّد بناءها سليمان بن عبد الملك، وبنى مسجدها وأصبحت عامرة في عهده [**انظر:** معجم البلدان، الحموي، (69/3)] .

3) الكورة: اسم يقع على جهة من الأرض مخصوصة، كالشام وفلسطين والعراق، ونحو ذلك [جامع الأصول في أحاديث الرسول، ابن الأثير، (339/7)] .

4) تاريخ الطبري، (608/3)– بتصرف.

5) فضائل القدس، ابن الجوزي، (ص 123) .

6) انظر: تاريخ الطبري، (610/3– 611)، **أيضاً:** البداية والنهاية، ابن كثير (656/9).

وقام المسلمون ينظّفون معه ويصدحون بالتكبير والتهليل، وليصدح الأذان من جديد في أرجاء بيت المقدس وما حوله، ويقف الصحابة يستمعون الأذان، فتخشع منهم القلوب، وتذرف العيون [1] .

نظرة إلى الفتح الإسلامي لفلسطين:

بهذا الفتح العمري العظيم، تدخل فلسطين تاريخاً جديداً، وتعود إلى حضن العرب من جديد، وتستقر في حوزة الإسلام بعد زمن مديد؛ تعود إلى جذورها العربية الضاربة في عمق التاريخ، وإلى أصالة دين آبائها وعمّارها من الأنبياء والمرسلين على مرّ التاريخ.

لا ظلم اليوم، لا سفك للدماء، ولا إكراه في الدين، ولا انتقام من أهل الذمّة والمعاهدين؛ فكانت العهدة العمرية، التي دخل اسمها التاريخ، وباتت مرجعاً في تسامح الإسلام وفضله على كل الملل التي سكنت الأرض المقدّسة.

يقول رجاء جارودي: "**والواقع أن ذلك لم يكن فتحاً، ولا انتصاراً حربياً، بل كان تحريراً**، ذلك أنّه في عام 638م (أي عام فتح فلسطين)، لم يكن الذين وصلوا إلى فلسطين هم العرب؛ ولكنه الإسلام، فقد كان العرب فيها منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام، منذ الهجرة السامية الأولى القادمة من الجزيرة العربية"[2] .

وفي فهم الباحث: بل هو فتحٌ وانتصارٌ حربي وتحرير؛ **فتحٌ:** لأنّه جاء بدافع إدخال الناس في دين الله ﷻ، على خلفية مقاصد الإسلام، وهذا بيّنٌ في مجريات الفتح ووقائعه وعرض الإسلام والصلح على الناس قبل القتال، وقد شارك (بعض العرب) المتنصّرة في قتال المسلمين الفاتحين[3]، **وهو انتصارٌ حربي:** لأنّ المسلمين خاضوا وقائع كثيرة قبله في فلسطين، كما سبق بيانه، بل وحاصروا القدس وأوشكوا على قتالها، **وتحريرٌ:** للسبب الذي ذكره الأستاذ جارودي آنفاً.

---

1) انظر: تاريخ الطبري، (611/3– 612)، **أيضاً:** فتوح الشام، الواقدي، (230/1) .

2) فلسطين أرض الرسالات الإلهية، رجاء جارودي، (ص141)– بتصرف يسير.

3) انظر: فتوح الشام، الواقدي، (1/ 155) .

ومع مشاركة بعض نصارى الشام المستعربة في قتال المسلمين (كمرتزقة في جيوش الروم، أو حميّة لدين المسيح المزعوم[1])، إلا أنّ التاريخ يروي أنّ مجموع السكّان العرب الذين كانوا في فلسطين يقعون تحت سطوة الظلم البيزنطي، استقبلوا العرب المسلمين الفاتحين باستبشار وفرح، فهم – وإن لم يكونوا مسلمين بعد– يثقون بملّة الإسلام على أنّها الوحيدة القادرة على حمايتهم من البطش والطغيان، وهذا التعاطف – مع غيره من العوامل – هو الذي يفسّر كيف أنّ مصير فلسطين تقرر وظهرت ملامحه الجديدة بعد معركة واحدة، وهي اليرموك [2] .

" وعلى خلاف ما أبداه أباطرة بيزنطة من عدم تسامحٍ، فقد بدا وصول الإسلام إلى فلسطين محرراً لليهود والنصارى (المهرطقين)، ولجميع سكّان المنطقة، باستثناء المحتلين" [3] .

إنّ المتأمّل في وقائع فتح بيت المقدس – التي هي درّة الأرض المقدّسة– يبدو له جلياً حماس المسلمين وشدّة تعلّقهم بموعود الله ﷻ في دخول المسجد الأقصى؛ إذ كانوا يتوقون لإنفاذ وصية رسول الله ﷺ، والوصول إلى نقطة الالتقاء بين الأرض والسماء، معراج نبيهم الأكرم ﷺ .

قال الواقدي – رحمه الله: " ولقد بلغني أنّ المسلمين باتوا تلك الليلة كأنهم ينتظرون قادماً يقدم عليهم من شدّة فرحهم بقتال أهل بيت المقدس، وكلّ أميرٍ يريد أن يُفتح على يديه؛ **فيتمتع بالصلاة فيه والنظر إلى آثار الأنبياء،** قال: فلمّا أضاء الفجر أذّن، وصلّت الناس صلاة الفجر، قال: فقرأ يزيد رضي الله عنه لأصحابه: ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (المائدة/21)، **فيقال: إنّ الأمراء أجرى الله ﷻ على ألسنتهم في تلك**

---

1) ومن هؤلاء النصارى المستعربة: جيش جبلة بن الأيهم؛ الذي وضعته الروم كحامية لعسكرهم، ومقدّمة لجيوشهم الجرارة، في معركة اليرموك، وكانت الروم تعوّل على أن تكسر العرب بالعرب، فكسر الله شوكتهم بسيف الله المسلول وأبطال المسلمين معه، فهُزم جيش ابن الأيهم، وفرّ أمام طلائع المسلمين، وكانت ضربةً قاصمة لمعنويات جيش الروم، وحصل في هذه المعركة الكثير من الكرامات للمسلمين، وكان فيها أحوال عجيبة من بطولاتهم وصبرهم [**انظر**: فتوح الشام، الواقدي، (1/ 155– 165)] .

2) انظر: فلسطين أرض الرسالات الإلهية، رجاء جارودي، (ص 142) .

3) المصدر السابق، (ص 142)– بتصرف يسير.

الصلاة أن قرأوا هذه الآية، كأنّهم على ميعادٍ واحد، فلمّا فرغوا من الصلاة نادوا: النفير النفير، يا خيل الله اركبي " [1] .

وبنفس الفهم لرسالة المسلمين تجاه الأرض المقدّسة جرى الحوار بين أبي عبيدة بن الجراح ﷺ وبين بطارقة النصارى على أسوار بيت المقدس، " إذ قال له زعيمهم: **ما الذي تريدون منا في هذه البلدة المقدسة ومن قصدها يوشك أن الله يغضب عليه ويهلكه،** فقال أبو عبيدة ﷺ: **نعم إنها شريفة ومنها أسرى بنبينا ﷺ إلى السماء، ودنا من ربه كقاب قوسين أو أدنى، وإنّها معدن الأنبياء، وقبورهم فيها، ونحن أحق منكم بها،** ولا نزال عليها أو يملّكنا الله ﷻ إياها، كما ملّكنا غيرها " [2] .

" وبعد أن دخل عمر ﷺ المدينة المقدّسة، أخذ يتجوّل في أنحائها، ويتنقل بين آثارها وعجائبها، ويذكر نعمة الله ﷻ عليه؛ حيث فتح مدينة الأنبياء على يديه، ليضمّها إلى المقدّسات الإسلامية، فها هي ذي الكعبة المشرفة الرابضة في قلب مكة المكرمة تلتقي منذ عهد ليس بالبعيد بالمسجد النبوي في المدينة المنورة، ثم هي اليوم ترتبط بالمسجد الأقصى القائم في مدينة القدس مجتمع النبيين، وبذلك يكون المسلمون – وقد فتحوا القدس وضموها إلى الأمجاد الإسلامية– قد جمعوا الأديان كلها في صعيد واحد، وأوضحوا أن الإسلام هو الدين الوريث لكل ما سبقه من الأديان" [3].

فليس غريبا بعد هذا أن يصبح دخول الفاروق ﷺ تاريخاً وعلامة بارزة في تاريخ هذه البقعة المقدّسة، تتحدث بها الأجيال إلى يومنا هذا، بل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

1) فتوح الشام، الواقدي، (1/ 222) .

2) المصدر السابق، الواقدي، (1/ 224– 225)– بتصرف .

3) جولة في عصر الخلفاء الراشدين، د. محمد السيد الوكيل، دار المجتمع/جدة، ط5، 1416هـ/1995م، (ص 204)– بتصرف يسير.

خلاصة المطلب:

أولاً: كان الفتح الإسلامي لفلسطين، وبيت المقدس خاصةً من أهم فتوحات المسلمين؛ إذ كانت له دلالاته المرتبطة بالعقيدة الإسلامية والقدسية الخاصة للمكان، وكان نقطة فارقة في تاريخ الدولة الإسلامية، وبه – أي بالفتح– اكتمل مثلث القداسة الإسلامية (المكّي المدنيّ القدسي) .

ثانياً: لقد بذل صحابة رسول الله ﷺ – رضي الله عنهم– الدماء الزكية الغزيرة من أجل فتح فلسطين والقدس، وشهدت أرض فلسطين من الملاحم والبطولات ما يؤكّد حرص المسلمين الشديد على السيادة التامة على هذه الأرض لدين ربّ العالمين.

ثالثاً: ظهرت سماحة الإسلام وأهليته التامّة لقيادة البشرية، من خلال أخلاق المسلمين في فتوحاتهم، وترتيبهم لأولوياتهم، فتعبيد الناس لربّهم هو هدفهم الأول والأسمى، ثم إنّهم لا يقاتلون إلا من قاتلهم أو حال بينهم وبين نشر دين الله ﷻ الذي ارتضاه لعباده أجمعين، وهم في قتالهم منضبطون بما فرضه الإسلام من كرامة الإنسان، وبعد انتصارهم فإنّهم لا يعرفون الانتقام والحرق والسلب، ولا يقدمون على استفزاز الناس في ديانتهم ومقدّساتهم، حتى أصحاب الديانات الباطلة! وشعارهم في ذلك: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ (البقرة/256) .

المطلب الثاني:

وقفية فلسطين في الإسلام

عندما فتح المسلمون أرض فلسطين المباركة، كان فتحهم إيّاها بإحدى طريقتين، إما صُلحاً، أو عنوةً ، ويؤكّد التاريخ وعلماء الإسلام – فيما اتّضح للباحث– بأنّ معظم أرض فلسطين فتحت عنوةً لا صُلحاً، وعلى هذا ترتّب حكم فقهي يتعلق بملكية هذه الأرض المفتوحة، وإلى من تؤول، وما مدى جواز التصرّف فيها، وما حدوده، و من هذه الأحكام المتعلقة بأرض فلسطين، وغيرها من أراضي الفتح الإسلامي، ما عرف بأرض الوقف، أو أرض الخراج[1] كما سيأتي.

مفهوم الأرض الوقفية:

جاء في لسان العرب: " يقال وقف فلان أرضه مؤبداً، إذا جعلها حبيسًا لا تباع ولا تورث"[2].

وقال ابن فارس: " وقف: أصلٌ واحد يدلُّ على تمكُّثٍ في شيءٍ ثمّ يقاس عليه"[3] .

---

1) الخراج: هو ما وضع على رقاب الأرضين من حقوق تؤدى عنها، **والأرضون كلها تنقسم أربعة أقسام، أحدها:** ما استأنف المسلمون إحياءه، فهو أرض عشر لا يجوز أن يوضع عليها الخراج، **والقسم الثاني:** ما أسلم عليه أربابه، فهو أرض عشر، لا يجوز أن يوضع عليها خراج، **والقسم الثالث:** ما أخذ عنوة وقهراً، ففيه روايتان: الأولى: يكون غنيمة تقسم بين الغانمين، وتكون أرض عشر، لا يجوز أن يوضع عليها خراج، والثانية: الإمام بالخيار بين أن يقسمها بين الغانمين، فلا يكون فيها خراج، وبين أن يقفها على جماعة المسلمين، فتصير وقفاً على مصالح المسلمين ويضرب عليها خراجاً، **والقسم الرابع:** ما أخذ صلحاً، فهي على ضربين: أحدهما: ما جلا عنه أهله حتى خلصت بغير قتال فيكون وقفاً على مصالح المسلمين، ويضرب عليها خراج يكون أجرةً يقر على الأبد، الضرب الثاني: ما أقام فيه أهله، وصالحونا على إقراره في أيديهم بخراج فهذا على ضربين: الأول: أن ينزلوا عن ملكها لنا عند صلحنا، فتصير هذه الأرض وقفاً على المسلمين، والثاني: أن يستبقوها على أملاكهم، ويصالحونا عنها بخراج يوضع عليها، فهذا جزية **[** الأحكام السلطانية، القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية/بيروت، ط2، 1421هـ/2000م، (ص 162– 164)– بتصرف **]** .

2) لسان العرب، ابن منظور، (5/1) .

3) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (135/6) .

والوقف في الشرع: " حبس العين على ملك الواقف والتصدق بالمنفعة، أو: حبس العين عن التمليك، مع التصدق بمنفعتها، فتكون العين زائلة إلى ملك الله ﷻ من وجهٍ "[1] .

" وكان رسول الله ﷺ قد **وقف بعض ما ظهر عليه من الأرضين فلم يقسّمها**، وقد قسم بعض ما ظهر عليه " [2] .

وقد أطلق علماء الإسلام على الأرضِ التي فُتحت عنوةً بأنها أرض فيء[3] للمسلمين، وكذا أرضُ وقفٍ وأرضُ خراج، إذ جاء في الأحكام السلطانية عن الإمام أحمد[4] – رحمه الله: " كل أرضٍ جلا عنها أهلها بغير قتال فيه فيء"، (ومعناه وقف)، وقال: " ما فتح عنوةً فهو فيء للمسلمين"، وقيل:" الأرض الخراج ما فتحها المسلمون فصارت فيئًا لهم، ثم دفعها إلى أهلها وأضافوا عليها وظيفة، فتلك الوظيفة جارية للمسلمين أبداً "، فقد سميت أرض الخراج العنوة فيئًا"[5].

" أما الأرض التي يُستولى عليها صلحًا على أن تقرّ في أيديهم بخراج يؤدّونه عنها، فهذا على ضربين: أحدهما: **أن تصالحهم على أن ملك الأرض لنا، فتصير بهذا الصلح وقفًا من دار الإسلام، لا يجوز بيعها ولا رهنها، ويكون الخراج أجرة لا يسقط عنهم بإسلامهم**، ويؤخذ خراجها

---

1) التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي/ بيروت، ط1، 1405هـ، (ص 328)– بتصرف .

2) كتاب الخراج، أبو زكريا يحيى بن آدم بن سليمان، تحقيق: حسين مؤنس، دار الشروق/القاهرة، ط1، 1987م، (ص 59) .

3) الفيء: ما أورده الله ﷺ على أهل دينه من أموال من خالفهم في الدين بلا قتال، إما بالجلاء، أو بالمصالحة على جزية، أو غيرها، والغنيمة أخصّ منه، والنّفل أخصّ منها **[** التعريفات، علي الجرجاني، (ص 217) **]** .

4) الإمام أحمد (164– 241هـ): هو الإمام حقًا، وشيخ الإسلام صدقًا، أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل ابن هلال الشيباني المروزي ثم البغدادي، أحد الأئمة الأعلام، طلب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة، وعدة شيوخه الذين روى عنهم في " المسند " مئتان وثمانون ونيف، وقال عبد الرزاق: ما رأيت أحدا أفقه ولا أورع من أحمد بن حنبل، وقال قتيبة: لولا الثوري، لمات الورع، ولولا أحمد لأحدثوا في الدين، أحمد إمام الدنيا، وقال حرملة: سمعت الشافعي يقول: خرجت من بغداد فما خلفت بها رجلا أفضل، ولا أعلم، ولا أفقه، ولا أتقى من أحمد بن حنبل **[انظر:** سير أعلام النبلاء، الذهبي، (11/ 177 – 195)– بتصرف **]** .

5) الأحكام السلطانية، أبو يعلى الفراء ، (ص 148)– بتصرف .

إذا انتقلت إلى غيرهم من المسلمين، وقد صاروا بهذا الصلح أهل عهد، فإن بذلوا الجزية عن رقابهم جاز إقرارهم فيها على التأبيد، وإن منعوا الجزية لم يجبروا عليها، ولم يقروا فيها سنة بغير جزية"[1].

وقد قال أحمد في رواية: " ما فتح عنوة فهو فيء للمسلمين، وما صولحوا عليه فهو لهم يؤدون إلى ما صولحوا عليه، ومن أسلم منهم تسقط عنه الجزية، والأرض فيء للمسلمين"، فقد بين أن الأرض فيء، وهذا محمول على أنّ الأرض لنا [2].

" وقد ذهب كثير من أصحاب الشافعي – رحمه الله– **إلى أنّ الأرض التي فُتحت عنوةً قد أوقفها عمر** ﷺ **على كافة المسلمين، وأقرّها في أيدي أربابه بخراج ضربه على رقاب الأرضين يكون أجرة لها تؤدى في كل عام،** وإن لم تتقدر مدّتها لعموم المصلحة فيها، **وصارت بوقفه لها في حكم ما أفاء الله على رسوله** ... ويكون المأخوذ من خراجها مصروفا في المصالح، ولا يكون فيئا مخموساً؛ لأنه قد خمس، ولا يكون مقصوراً على الجيش؛ لأنه وقف على عامة المسلمين، فصار مصرفه في عموم مصالحهم التي منها أرزاق الجيش وتحصين الثغور وبناء الجوامع والقناطر، وكراء الأنهار، وأرزاق من تعم بهم المصلحة من القضاة والشهود والفقهاء والقراء والأئمة والمؤذنين، فهذا يمنع من بيع رقابها، وتكون المعارضة عليها بالانتفاع، والانتقال لأيد، وجواز التصرف لا لثبوت الملك، إلا على ما أحدث فيها من غرس وبناء " [3] .

موقف عمر بن الخطاب ﷺ :

" وقد سأل الصحابة – رضوان الله عليهم– عمر بن الخطاب ﷺ قسمة ما أفاء الله ﷻ عليهم من العراق والشام، وقالوا: اقسم الأرضين بين الذين افتتحوها كما تقسم غنيمة العسكر؛ فأبى

---

1) الأحكام السلطانية، أبو يعلى الفراء، (ص 148) .

2) المصدر السابق، (ص 148) .

3) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة/الكويت، ط1409،1هـ/1989م، (ص 226)– بتصرف يسير.

عمر ﷺ ذلك عليهم، وقال: قد أشركَ اللهُ الذين يأتون من بعدكم في هذا الفيء؛ فلو قسمته لم يبق لمن بعدكم شيء" [1] .

" و شاور عمر ﷺ أصحاب رسول الله ﷺ في قسمة الأرضين التي أفاء الله على المسلمين من أرض الشام؛ فتكلم قوم فيها، وأرادوا أن يقسم لهم حقوقهم وما فتحوا، فقال عمر ﷺ: **فكيف بمن يأتي من المسلمين فيجدون الأرض بعلوجها**[2]**، قد اقتسمت وورثت عن الآباء وحيزت، ما هذا برأي... فإذا قسمت أرض العراق والشام بعلوجها، فما يسدّ به الثغور**؟، وما يكون للذرية والأرامل بهذا البلد وبغيره من أرض الشام والعراق؟ " [3] .

" وأصرّ عمر ﷺ على وقف الأرض، رغم جدال بعض المسلمين له، قائلين: **أتقف ما أفاء الله علينا بأسيافنا على قوم لم يحضروا ولم يشهدوا، ولأبناء القوم ولأبناء أبنائهم ولم يحضروا؟ فكان عمر** ﷺ **لا يزيد على أن يقول: هذا رأي**، قالوا: فاستشر، قال: فاستشار المهاجرين الأولين، فاختلفوا فأرسل إلى عشرة من الأنصار: خمسة من الأوس، وخمسة من الخزرج[4] من كبرائهم وأشرافهم؛ فشاورهم، وكان مما قاله ﷺ: **وقد رأيت أن أحبس الأرضين بعلوجها وأضع عليهم فيها الخراج وفي رقابهم الجزية، يؤدّونها فتكون فيئا للمسلمين؛ المقاتلة والذرية، ولمن يأتي من بعدهم**" [5] .

---

1) الخراج، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد وَ سعد حسن محمد، المكتبة الأزهرية للتراث/ مصر، ط (بدون)، (بدون تاريخ)، (ص 34) .

2) العلوج: جمع "علج"، والعلج: الرجل من كفار العجم [لسان العرب، ابن منظور، (3065/4)] .

3) الخراج، لأبي يوسف، (ص 35)- بتصرف .

4) الأوس والخزرج: وهم بنو الأوس والخزرج، ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو مزيقياء بن مازن بن الأزد، ويقال لكلتا القبيلتين بنو قيلة، لهم ملك يثرب قبل الإسلام، نزلوها حين خرج الأزد من اليمن، ولم يزالوا بها إلى حين هاجر النبي ﷺ فآمنوا به ونصروه، فسمُّوا: الأنصار، وتفرع منهم أفخاذ كثيرة، وانتشروا في الفتوحات الإسلامية في الآفاق شرقاً وغرباً، [قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري- دار الكتاب اللبناني، ط2، 1402هـ/1982م، (ص 93)- بتصرف] .

5) الخراج، لأبي يوسف، (ص 36)- بتصرف .

وذكر عمر ﷺ مبرراته لهم – إضافة إلى ما سبق– وأبدى قلقه على ثغور المسلمين، وحرصه على بقاء هذه الأرض في أيديهم، وتحت سلطتهم، فقال: " **أرأيتم هذه الثغور لا بد لها من رجال يلزمونها، أرأيتم هذه المدن العظام لا بد لها من أن تشحن بالجيوش، وإدرار العطاء عليهم؛ فمن أين يعطى هؤلاء إذا قسمت الأرضين والعلوج؟**، فقالوا جميعاً: الرأي رأيك؛ فنِعم ما قلتَ وما رأيتَ، وإن لم تشحن هذه الثغور وهذه المدن بالرجال، وتجري عليهم ما يتقوون به رجع أهل الكفر إلى مدنهم؛ فقال: قد بان لي الأمر " [1] .

وجاء عن عمر ﷺ في رواية صريحةٍ قلقه على المسلمين أن يركنوا إلى الأرض ويتركوا الجهاد، " إذ لما كثر المسلمون، استشار عمر بن الخطاب ﷺ في السواد[2] فاختلفوا عليه، فقال قائلهم: اقسمهم وأرضِهِم، وقال قائل: دعهم على حالهم، فقال عمرﷺ: **قد اختلفتم، فأنا أرى غير ذلك، إنكم إن اتّكلتم على الأرض والزرع تركتم الجهاد** " [3] .

وكان يستشعر ﷺ حقّ الأجيال القادمة في هذه الأرض، فقال: " **لولا أن يترك آخر الناس لا شيء لهم، ما فتح الله على المسلمين قرية إلا قسمتها سهاماً، كما قُسمت خيبر[4]، ولكنّي أخشى أن يبقى آخر الناس لا شيء لهم** "[5] .

واستدلّ عمر ﷺ على موقفه من عدم توزيع البلاد وقسمتها بالقرآن الكريم بعد تأمّل، فقال: " إني قد وجدت حجةً، قال الله ﷻ في كتابه: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الحشر/6) ، حتى فرغ من شأن

---

1) الخراج، لأبي يوسف، (ص 36) .

2) السواد: يراد به – في الغالب– رستاق العراق وضياعها التي افتتحها المسلمون على عهد عمر بن الخطّاب ﷺ، سمي بذلك لسواده بالزروع والنخيل والأشجار لأنّه حيث تاخم جزيرة العرب التي لا زرع فيها ولا شجر كانوا إذا خرجوا من أرضهم ظهرت لهم خضرة الزروع والأشجار فيسمونه سواداً **[** معجم البلدان، الحموي، 272/3 **]**.

3) الأموال، حميد بن زنجويه، تحقيق: شاكر ذياب فياض، مركز الملك فيصل/الرياض، ط(بدون) (1/ 211) .

4) خيبر: الموضع المذكور في غزاة النبي ﷺ، وهي ناحية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام، يطلق هذا الاسم على الولاية وتشتمل هذه الولاية على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير **[** معجم البلدان، الحموي، 409/2 **]**.

5) الخراج، يحيى بن آدم (ص 82)– بتصرف يسير .

بني النضير[1]، فهذه عامةٌ في القرى كلّها، ثم قال: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الحشر/7)، ثم قال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحشر/8)، ثم لم يرض حتى خلط بهم غيرهم؛ فقال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر/9)، فهذا فيما بلغنا والله أعلم للأنصار خاصة، ثم لم يرض حتى خلط بهم غيرهم فقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحشر/10)، فكانت هذه عامة لمن جاء من بعدهم؛ فقد صار هذا الفيء بين هؤلاء جميعا؛ فكيف نقسمه لهؤلاء وندع من تخلف بعدهم بغير قسم؟! فأجمع على تركه وجمعِ خراجه" [2] .

قال القاضي أبو يوسف[3] – رحمه الله: " والذي رأى عمر ﷺ من الامتناع من قسمة الأرضين بين من افتتحها عند ما عرفه الله ﷻ ما كان في كتابه من بيان ذلك، توفيقاً من الله كان له فيما صنع، وفيه كانت الخيرة لجميع المسلمين، وفيما رآه من جمع خراج ذلك وقسمته بين المسلمين عموم النفع لجماعتهم؛ لأن هذا لو لم يكن موقوفاً على الناس في الأعطيات والأرزاق، لم

---

1) **بني النضير:** هم طائفة من اليهود، كانت منازلهم ونخلهم بناحية المدينة فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أنّ لهم ما أقلّت الإبل من الأمتعة والأموال لا الحلقة يعني السلاح، فأنزل الله فيهم أول سورة الحشر [فتح الباري، ابن حجر، (330/7)– بتصرف] .

2) الخراج، لأبي يوسف، (ص 37) .

3) **القاضي أبو يوسف (113– 182هـ):** هو الإمام المجتهد، العلامة المحدث، قاضي القضاة، أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن حبيش بن سعد بن بجير بن معاوية الأنصاري الكوفي، حدّث عن الإمام أبي حنيفة النعمان وصحبه سبع عشرة سنة، وحدّث عنه الإمام أحمد بن حنبل، وقال الذهبي: " بلغ أبو يوسف من رئاسة العلم ما لا مزيد عليه، وكان الرشيد يبالغ في إجلاله" [**انظر:** سير أعلام النبلاء (8/ 535– 538)] .

تشحن الثغور، ولم تقو الجيوش على السير في الجهاد، ولما أمن رجوع أهل الكفر إلى مدنهم إذا خلت من المقاتلة والمرتزقة، والله أعلم بالخير حيث كان" [1] .

" والجدير بالذكر أنّ الحوار الذي دار بين عمر ﷺ وبعض الصحابة حول تقسيم الأرض **إنّما يدل على شدّة حرصه على مصالح المسلمين، ووحدتهم، وإشعارهم بمدى المسؤولية الجماعية**، وهذا ينطبق استتباعاً على أرض فلسطين، ومسؤولية جماعة المسلمين عنها وليس أفراد بعينهم، وأن رفضه تقسيم الأرض فيه إنصاف لهم ولإخوانهم الذين يأتون من بعدهم" [2].

أرض فلسطين خراجيّة:

بالقياس على أقسام الأرضين التي ذكرها العلماء فيما بيّن الباحث آنفاً، **فإنّ أرض فلسطين تصنّف عند هؤلاء العلماء، بأنّ معظمها فُتح عنوةً لا صلحاً.**

إذ كانت المدن هي التي أخذت صلحاً، وهي قليلة ومحدودة داخل الحصون، غير أنّ معظم الأرض أخذت عنوةً، " وعلى هذا فمدن الشام كانت كلّها صلحاً، دون أرضها ... **لأن أرض الشأم كلّها عنوة، إلا المدن خاصة**، فإنها صلحٌ كلّها"[3] .

ونقل الطبري عن جمع من العلماء بأنّ: " البلدان كلها أخذت عنوة إلا حصوناً قليلة"[4] .

وحتّى عندما فتح عمر ﷺ بيت المقدس، وإنْ كان دخل المدينة صلحاً، إلا أنّ ذلك كان بعد قتال ومناوشة، وكانت النتيجة أن أعطوه عَلى ما أحاط به حصنهم شيئًا يؤدّونه، ويكون للمسلمين ما كان خارجاً، فقدِم عمر ﷺ فأجاز ذلك، ثم رجع إلى المدينة [5] .

---

1) الخراج، لأبي يوسف، (ص 38) .

2) ملكية أرض فلسطين من الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الرابع الهجري، د. رياض شاهين، مجلة الجامعة الإسلامية/غزة، المجلد الثامن، العدد الثاني، الجزء الأول، 2000م، (ص 318- 319) .

3) الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: أبو أنس سيد بن رجب، دار الهدى- دار الفضيلة/ مصر- السعودية، ط1، 1428هـ/2007م، (189/1، 399).

4) تاريخ الطبري، (587/3) .

5) انظر: فتوح البلدان، البلاذري، (140/1- 141)- بتصرف .

" وبما أن أرض فلسطين داخلة في الأرض التي فتحت عنوة، فتكون داخلة بالقرار الذي اتّخذه عمر بن الخطاب ﷺ وصحابته[1] ضمناً، أي أنّ فلسطين أصبحت أرضاً خراجية، وقفاً على الأمة الإسلامية "[2] .

" ويبدو أن عمر بن الخطاب ﷺ أراد بوقفه للأرض على الأمة الإسلامية إلى يوم القيامة الحفاظ على وحدتها، وهويتها الإسلامية، وإبراز المسئولية الجماعية للأمة في الحفاظ على الأرض وتحصينها من أن تكون عرضة للمساومة الفردية وتنازل الفرد عنها للغير ... لذا أراد عمر ﷺ بتحويله الأرض المفتوحة عنوة إلى أراضي وقفية إظهار وحدة الأمة، من خلال تمسكها بالأرض، وإرجاع تلك المسئولية عن الأرض لجماعة المسلمين بأكملها، دون وضع هذه المسئولية بيد فردٍ أو جيلٍ يمكن لهم استغلال هذه المسئولية فيما بعد والتلاعب بها، وبالتالي التلاعب بمصير الأمة بأجمعها" [3] .

حكم التصرف في أرض الوقف الخراجية:

جاء فيما سلف من كلام أمير المؤمنين الفاروق عمر ﷺ ما يدلّ على **عدم جواز التصرّف في أرض الخراج، أرض الوقف التي أوقفها عمر والمسلمون**، في زمنه وبعده، ولكنّ تداول هذه الأرض بالبيع والشراء، جاء فيه أقوال عن الفقهاء، وتفصيل كبير، ليس هنا محلّ ذكره.

لكن إجمالاً " **وإن اختلف الفقهاء في حكم الأرض المفتوحة وما يُعمل بها، فإنّ الذي لا خلاف فيه بين الأئمة أن كلّ بلد صولح أهله على الخراج لا يجوز تغيير ما استقرّ عليه**، والأمر الذي لم يكن فيه خلاف أيضاً أن أرض الشام اعتبرت وقفاً، ووضع عليها الخراج، وهي أرض

---

1) إنّ قرار وقفية الأرض الخراجية ليس قرار عمر بن الخطاب ﷺ منفرداً، بل إنّ جمعاً من الصحابة – رضوان الله عليهم– ممن كان منهم حاضراً في وقته ومن أتى بعده رأوا نفس الأمر، وهو رأي أشار به عليه علي بن أبي طالب ﷺ، و معاذ بن جبل ﷺ، و به كان يأخذ سفيان بن سعيد، و ذلك رأي من جعل الخيار إلى الإمام في تصيير أرض العنوة غنيمة و فيئًا [**انظر**: الخراج وصناعة الكتابة، قدامة بن جعفر، (ص 206)] .

2) ملكية أرض فلسطين، د. رياض شاهين، (ص 321) .

3) المصدر السابق، (ص 320)– بتصرف .

خراجية طوال العهد الإسلامي، ففي العهد العثماني، نص القانون الخاص بولاية الشام، والذي وضع سنة (955 هـ/1548م) على أنّ جُلّ أراضي الشام هي أراضٍ خراجية" [1] .

وقد كان الصحابة والتابعون وسلف المسلمين يمنعون ولا يجيزون أن تباع أرض الخراج وتشترى، ويُتصرّف فيها، جاء في الأحكام السلطانية: " أرض الخراج، لا يجوز إقطاع رقابهم تمليكاً؛ لأنها تنقسم على ضربين: ضربٌ يكون رقابهم وقفًا وخراجها أجرةً، فتمليك الوقف لا يصح بإقطاع ولا بيع ولا هبة، وضرب يكون رقابها ملكاً وخراجها جزيةً، فلا يصح إقطاع مملوك تعيّن مالكوه"[2].

فتجد – مثلاً– فيما روي في هذا الشأن أنّ رجلاً " اشترى أرضاً من أرض الخراج، ثم أتى عمر ﷺ, فأخبره، فقال: ممن اشتريتها؟ قال: من أهلها، قال: فهؤلاء – للمسلمين – أبعتموه شيئا؟ قالوا: لا، **قال: فاذهب, فاطلب مالك حيث وضعته** " [3] .

و جاء عن عمر بن الخطاب ﷺ: أنه نهى أن يشتري أحدٌ من أرض الخراج أو رقيقهم شيئًا، وقال: "**لا ينبغي لمسلم أن يُقرّ بالصّغار في عُنقِه** "[4] .

وكذا كان فعل الخلفاء من بعد عمر ﷺ، " فقد كان مذهب عمر بن عبد العزيز[5] في أرض السواد ومثلها، أنّها أرض فيء، ولهذا كان يمنع أهلها من بيعها، وجاء عنه أنّه كان يكتب إلى

---

1) ملكية أرض فلسطين، د. رياض شاهين، (ص 321)– بتصرف يسير .

2) الأحكام السلطانية، الماوردي، (ص 289) .

3) الخراج، يحيى بن آدم (ص 93) .

4) المصدر السابق، (ص 93) .

5) عمر بن عبد العزيز (63– 101هـ): ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، الإمام، الحافظ، العلامة، المجتهد، الزاهد، العابد، السيد، أمير المؤمنين حقاً، أبو حفص، القرشي الأموي المدني ثم المصري، ولي عمر المدينة في إمرة الوليد 86– 93هـ، وحجّ بالناس مراراً، وتولى الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك، وكان من أئمة الاجتهاد، ومن الخلفاء الراشدين، وكان ثقة مأمونا، له فقه وعلم وورع، وروى حديثا كثيراً، وكان إمام عدل **[** سير أعلام النبلاء، الذهبي، (5/ 114– 116)– بتصرف **]** .

بعض عمّاله: أما بعد، **فحُلْ بين أهل الأرض وبينَ بيعِ ما في أيديهم، فإنّهم إنّما يبيعون فيءَ المسلمين**" [1] .

" يتضح إذاً، أن عمر بن عبد العزيز –رحمه الله– سار على نهج سلفه الفاروق ﷺ والصحابة، **واعتبر الأرض الخراجية وقفاً على الأمة**، وأنّ أهل الذمّة يزرعون الأرض وينتفعون بها، مقابل دفع الخراج، ولكن، لا يحقّ لهم بيعها"[2].

وبقيت فلسطين تدفع الخراج – كأرض وقف خراجية– منذ الفتح الإسلامي لها حتى أواسط القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[3].

وصار مألوفاً في تاريخ المسلمين من بعد الفتح الإسلامي **أنّ أرض فلسطين هي أرض وقف – وإن لم تكن كلّها فمعظمها– أرضٌ خراجية موقوفة**، وإن توقف أخذ الخراج من أهلها أزماناً، وتغيّرت الأحوال وتبدّلت الدول، فإنّ أهلها والمسلمين درجوا على وقف مساحات كبيرة منها على مصالح المسلمين، وعلى سبيل المثال لا الحصر، فقد عُثر حديثاً على وثائق عثمانية تثبت أنّ مساحات شاسعة من فلسطين هي أرض وقف، يعود تثبيت وقفها إلى العصر المملوكي، وهذه الوثائق تثبت حجم انتشار واتّساع المساحة الجغرافية الموقوفة من أرض فلسطين[4] .

والاستنتاج الأهم من هذه الوثائق، هو أنّ الاستيطان اليهودي في أرض فلسطين – في العصر الحديث– قد غيّر المعالم الجغرافية والسكّانية لهذه الأراضي الوقفية، فتبدّلت أسماؤها، وتغيّرت معالمها، بهدف تهويدها، ونزع هويتها العربية والإسلامية[5] .

---

1) الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام، (179/1) .

2) ملكية أرض فلسطين، د. رياض شاهين، (ص 324)– بتصرف .

3) المصدر السابق، (ص 331).

4) **انظر**: وثائق الوقفيات القديمة في سجلات القدس، د. إبراهيم ربايعة، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي (الأوقاف في بلاد الشام)، الجامعة الأردنية/عمّان، ط (بدون)، 2006م، (ص 7) .

5) **انظر**: المصدر السابق، (ص 7) .

خلاصة المطلب:

أولاً: أرض فلسطين أرض وقف على جميع المسلمين منذ فتحها إلى يوم القيامة، أوقفها عمر بن الخطاب ﷺ، وأقره على ذلك الصحابة –رضوان الله عليهم–، وسار على ذلك من بعدهم التابعون، وسلف الأمة.

ثانياً: ربط فاروق الأمة عمر ﷺ بين وقف أرض فلسطين وأرض السواد عموماً وبين الحفاظ على جذوة الجهاد وحفظ الثغور، وملازمة الأرض والرباط فيها، وكان هذا الأمر استشرافاً منه ﷺ للمستقبل، إذ إنّ حفاظ المسلمين على وقفية الأرض – فضلاً عن قدسيتها الأصلية الثابتة– سيدفع المسلمين ولا ريب للحفاظ عليها والقتال دونها، وبذل كل الأثمان من أجل صيانتها.

ثالثاً: إنّ وقفية أرض فلسطين تعني عدم جواز التصرّف في أرضها أو بيعها أو تسليمها أو المساومة عليها، ومن فعل ذلك فهو خائن لأمانة المسلمين وناقضٌ لعهدهم.

رابعاً: إنّ هذا الحكم الشرعي المتعلّق بكون فلسطين أرض وقف للمسلمين إلى قيام الساعة، يضع أمانةً جديدة ومسئولية عميقة على كافة المسلمين وأولي أمرهم، تضاف إلى مسئولياتهم نحو مسرى نبيّهم ﷺ وسائر أرض فلسطين، وهي مسئولية الحفاظ على إرث الصحابة الشرعي والتاريخي، الذي سقوه بدمائهم، ومهروه بأرواحهم، ووضعوه أمانة في أعناق المسلمين اللاحقين.

خامساً: إنّ اليهود المغتصبين لأرض فلسطين اليوم يستبيحون هذه الأرض الموقوفة على المسلمين، بل يستبيحون أخصّ تلك الأوقاف من مساجد ومقابر وأراض، فضلاً عن استباحة الدماء وانتهاك الأعراض التي حرمتها عند الله ﷻ أشدّ وأعظم.

المطلب الثالث:

وجوب الجهاد لاسترداد الأرض المقدّسة

إنّ جهاد المسلمين في الأرض المقدّسة له ارتباط وثيق في كلّ ما سبق من حديث حول مكانة فلسطين والقدس والأقصى، وعلاقتها بملاحم آخر الزمان، والفتح الإسلامي المجيد لها، ووقفيتها، إذ إنّ كلّ ما سبق يدفع المسلمين دفعاً إلى الجهاد في سبيل الله على هذه الأرض، وتثبيت سلطة الإسلام والمسلمين عليها، مهما كلّفهم ذلك من ثمن.

كيف وقد أضاف الإسلام إلى كل ما سبق فريضة الجهاد من أجل الأرض والمقدّسات، ولتكون كلمة الله هي العليا! هذا ولا شك أدعى لمزيد من حرص المسلمين على الجهاد والتضحية من أجل هذه الأرض المباركة، وأحرى أن يجعلهم مستمسكين بالجهاد حتى تنعم هذه الأرض بالسلامة والإسلام.

إنّ المسلمين – في فهم الباحث– انطلقوا إلى الجهاد تحت رعاية الدّين والتاريخ، فالإسلام يأمرهم بالجهاد ويحثّهم عليه، والتاريخ يعلّمهم أنّ القتال في سبيل الأرض والمقدّسات والإنسان هو الضامن الوحيد للاستقرار والأمن.

والجهاد في الإسلام له مكانةٌ سامية ومنزلة عظيمة، ولا تستوعب هذه السطور إحاطة هذه المنزلة، غير أنّ الباحث سيكتفي بذكرِ طرفٍ من محكم الوحي في فضل الجهاد ومكانته وحثّ الإسلام عليه لأهداف عظيمة ومقاصد جليلة.

الجهاد في القرآن الكريم:

1. ذكر الله ﷻ في كتابه مكانة المجاهدين العظيمة وأفضليتهم على المتخلّفين عن الجهاد فقال ﷻ: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى **وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا**﴾ (النساء/95) .

2. وجعل الله ﷻ الجهاد طريقاً للفلاح والفوز فقال ﷻ: ﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ (آل عمران/195)، وقال ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (المائدة/35) ، وقال ﷻ: ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (التوبة/20) .

3. وربط الله ﷻ بين الإيمان الحقيقي والجهاد في سبيل الله فقال ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (الأنفال/74)، ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ (الحجرات15) .

4. وجعل الله ﷻ الجهاد في سبيله خيراً من خدمة الحجاج وعمارة المسجد الحرام، فقال ﷻ: ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (التوبة/19) .

5. وأمر الله ﷻ بالجهاد، وجعل فيه الخيرية، فقال ﷻ: ﴿ انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة/41) ، وقال ﷻ: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ (الحج/78) .

6. وتعهّد ﷻ بهداية المجاهدين فيه، فقال ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت/69) .

7. وجعل الله ﷻ الجهاد دليلاً على النجاح في الابتلاء، فقال ﷻ: ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ** وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ (محمد/31) .

8. وجعل الله ﷻ الجهاد – مقروناً بالإيمان– خيرَ تجارةٍ مع الرحمن ونجاةٍ من النيران، فقال ﷻ: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ** وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة/111)، وقال ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا **هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ** تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ **وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الصف/10-11) ، وقال ﷻ: ﴿ **فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ** وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً ﴾ (النساء/74) .

9. وبيّن الله ﷻ مقاصد الجهاد، من حمايةٍ للدين، وكفٍّ لبأس الكافرين، وحمايةٍ للمستضعفين، وردٍ لكيد المعتدين، فقال ﷻ: ﴿ **وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ** إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (البقرة/190)، وقال ﷻ: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ **وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ** فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة/193)، وقال ﷻ: ﴿ وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ **وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ** الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً ﴾ (النساء/75)، وقال ﷻ: ﴿ **فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ **عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ** وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنكِيلاً ﴾ (النساء/84) ،وقال ﷻ: ﴿ أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ **وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ** أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (التوبة/13)، وقال ﷻ: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ **بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا** وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (الحج/39) .

10. كما توعّد الله ﷻ مفضّلي الدنيا ومباهجها على الجهاد في سبيله، وتوعّد ﷻ المتخلفين والمرتدّين عن دينه بالاستبدال بقوم مجاهدين، فقال ﷻ: ﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُم

وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا **أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا** حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (التوبة/24)،

وقال ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا **مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (المائدة/54) .

11. وأمر الله ﷻ المؤمنين ببذل الوسع في إعداد العدة للجهاد في سبيل الله، فقال ﷻ: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ** وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (الأنفال/60) .

إنّ في هذه الآيات المحكمات كفاية في حثّ المؤمنين على الجهاد وتحريضهم على القتال في سبيل الله ﷻ، لتكون كلمة الله هي العليا، وللحفاظ على الدين، ولتحرير الأرض والإنسان.

الجهاد في السنّة النبوية:

جاءت السنّة مصدّقةً ومفصّلةً لفريضة الجهاد في القرآن الكريم، وجاءت أحاديث رسول الله ﷺ متواترة تحضّ على الجهاد وتبيّن منزلته عند الله ﷻ، وتفصّل ما أجمله القرآن، ويورد الباحث جملةً اختارها، من أهمّ ما صحّ عن النبيّ ﷺ في الجهاد والمرابطة في سبيل الله ﷻ .

1) عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: (**انْتَدَبَ اللهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ- لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيمَانٌ بِي، وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي- أَنْ أَرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، أَوْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ**، وَلَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ)[1].

---

1) متفق عليه، **البخاري:** كتاب الإيمان، باب الجهاد من الإيمان، برقم: 36، (ص 14)، **مسلم:** كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، برقم: 1876، (ص 953) .

2) وعنه ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الْجِهَادَ، (**قَالَ: لَا أَجِدُهُ، قَالَ: هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ؛ فَتَقُومَ وَلَا تَفْتُرَ، وَتَصُومَ وَلَا تُفْطِرَ؟)** قَالَ: وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؟ (1) .

3) وعنه ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **(مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ – وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ– كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْخَاشِعِ الرَّاكِعِ السَّاجِدِ)** (2) .

4) وعن أَبي أُمامة ﷺ: أنَّ رجلاً قَالَ: يَا رسولَ اللهِ، ائْذَنْ لي في السِّيَاحَةِ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: **(إنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي الجِهَادُ في سَبيلِ اللهِ ﷻ)** (3) .

5) وعنه ﷺ أنّ رَسُولِ اللهِ ﷺ **قال: (عَلَيكُم بِالجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ فإنَّهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الجَنّةِ، يُذهبُ اللهُ بِهِ الهَمَّ وَالغَمَّ)** (4) .

6) وقال رَسُولِ اللهِ ﷺ (**أَيُّمَا رَجُلٍ مُسْلِمٍ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ ﷻ فَبَلَغَ مُخْطِئًا أَوْ مُصِيبًا فَلَهُ مِنَ الْأَجْرِ كَرَقَبَةٍ أَعْتَقَهَا مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ)** (5) .

7) وقال رسول الله ﷺ: (مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، **وَلَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا)**(6) .

---

1) متفق عليه، البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير، برقم: 2785، (ص339)، **مسلم:** كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، برقم: 1878، (ص 954) .

2) سنن النسائي، كتاب الجهاد، باب مثل المجاهد في سبيل الله ﷻ، برقم: 3127، (326/6)، وصححه الألباني **[** صحيح الجامع، برقم: 5850، (1018/2) **]** .

3) المستدرك على الصحيحين، كتاب الجهاد، برقم: 2398، (83/2)، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه، ووافقه الذهبي، و صححه الألباني **[** صحيح الجامع، برقم: 2093، (421/1) **]** .

4) المعجم الأوسط للطبراني، برقم: 8334، (181/8)، وصححه الألباني **[** صحيح الجامع، برقم: 4063، (750/2) **]** .

5) مسند أحمد، مسند الشاميين، حديث عمرو بن عبسة، برقم: 17023، (248/28)، وصححه الألباني **[**صحيح الجامع، برقم: 2739، (531/1) **]** .

6) متفق عليه، البخاري: كتاب الرقاق، باب مثل الدنيا في الآخرة، برقم: 6415، (ص 771)، **مسلم:** كتاب الإمارة، باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله، برقم: 1881، (ص 955) .

8) وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **(مَوْقِفُ سَاعَةٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ عِنْدَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ)** [1] .

9) وعن معاذ بن جبل ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **(مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ فُوَاقَ نَاقَةٍ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ سَأَلَ اللهَ الْقَتْلَ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ صَادِقًا ثُمَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ فَلَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ، وَمَنْ جُرِحَ جُرْحًا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ نُكِبَ نَكْبَةً، فَإِنَّهَا تَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَغَرِّ مَا كَانَتْ، لَوْنُهَا كَالزَّعْفَرَانِ وَرِيحُهَا كَالْمِسْكِ، وَمَنْ جُرِحَ جُرْحًا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَعَلَيْهِ طَابَعُ الشُّهَدَاءِ)**[2].

10) وعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (يَا أَبَا سَعِيدٍ، مَنْ رَضِىَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ... **ثُمَّ قَالَ: وَأُخْرَى يُرْفَعُ بِهَا الْعَبْدُ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ،** قَالَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ **قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)** [3] .

وفي فضائل الجهاد ومكانته في الإسلام –غير ما تقدّم– ما لا يكاد يحصى من الأحاديث والآثار، وكذا في سيرة النبي ﷺ وأصحابه وخلفائه – رضي الله عنهم .

الجهاد في فلسطين خاصةً:

خصّ الإسلام أرض فلسطين بالجهاد والرباط، فعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(أولُ هذا الأمرِ نبوةٌ ورحمةٌ، ثمَّ يكونُ خلافةٌ ورحمةٌ، ثمّ يكون مُلكاً ورحمةً، ثمّ يتكادمون عليه تكادُم الحُمُرِ، فعليكُم بالجهادِ، وإنّ أفضلَ جهادِكم الرِّباطُ، وإن أفضلَ رباطِكم عسقلانُ)**[4] .

---

1) شعب الإيمان للبيهقي، بابٌ في المرابطة في سبيل الله ﷻ، برقم: 3981، (140/6)، وصححه الألباني [صحيح الجامع، برقم: 6636، (1127/2)] .

2) مسند أحمد، مسند الأنصار، حديث معاذ بن جبل، برقم: 22014، (342/36)، **سنن النسائي،** كتاب الجهاد، باب ثواب من قاتل في سبي الله فواق ناقة، برقم: 3141، (333/6)، وصححه الألباني [صحيح الجامع، برقم: 6416 ، (1095/2)] .

3) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان مَا أَعَدّه ﷻ للمجاهد في الجنّة من الدَّرجات، برقم: 1884، (ص956)

4) المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، دار ابن تيمية/القاهرة، ط2، 1404هـ/1983م، برقم: 11138، (88/11)، وقال الألباني: إسناده جيد وللحديث شاهد بنحوه من حديث حذيفة [السلسلة الصحيحة، برقم: 3270، (802/7)] .

وهذه الأفضلية للجهاد والرباط على أرض فلسطين بيّنةٌ في الأحاديث الكثيرة التي جاءت عن الطائفة المرابطة المنصورة الظاهرة، كقوله ﷺ: (**إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ، لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**) [1] .

وكقوله ﷺ: (**سَتُجَنَّدُونَ أَجْنَادًا: جُنْدًا بِالشَّامِ، وَجُنْدًا بِالْعِرَاقِ، وَجُنْدًا بِالْيَمَنِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اخْتَرْ لِي، قَالَ: عَلَيْكُمْ بِالشَّامِ... فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ تَكَفَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ**)[2] .

كل هذه الأحاديث وغيرها مما روي في فضائل الأرض المقدسة والشام، واضحةٌ في فضل الرباط على هذه الأرض والجهاد فيها، إذ كيف تكون الطائفة ظاهرة على الحق وهي لا تجاهد لأجل استرداد هذه الأرض من مغتصبيها من الكفار، ولا ترابط على ثغور هذه الأرض المقدّسة المباركة؟! .

قال ابن قدامة المقدسي[3] – رحمه الله: "**وأفضل الرباط المقامُ بأشدّ الثغور خوفاً; لأنّهم أحوج، ومقامه به أنفع،** وقال أحمد: أفضل الرباط أشدهم كلباً، وقيل لأبي عبد الله: فأين أحبّ إليك أن ينزل الرجل بأهله؟ قال: كل مدينة معقل للمسلمين، مثل دمشق، وقال: أرض الشام أرض المحشر" [4] .

قيل لأبي عبد الله (أي الإمام أحمد)، فهذه الأحاديث التي جاءت: (إنّ الله تكفل لي بالشام) ونحو هذا، ما هي؟ قال: ما أكثر ما جاء فيه، وقيل له: إنّ هذا في الثغور، فأنكره، وقال: أرض القدس أين هي؟ " [5] .

---

1) سبق تخريجه .

2) سبق تخريجه.

3) ابن قدامة المقدسي (541– 620هـ): الشيخ الإمام القدوة العلامة المجتهد شيخ الإسلام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، رحل إلى بغداد لطلب العلم، وطلبه في دمشق، وغيرها، وكان عالم أهل الشام في زمانه، قال ابن النجار: كان ثقة حجة نبيلاً، غزير الفضل، ورعاً، عابداً، على قانون السلف، عليه النور والوقار، ينتفع الرجل برؤيته قبل أن يسمع كلامه، وقال عمر بن الحاجب: هو إمام الأئمة، ومفتي الأمة، خصه الله بالفضل الوافر... لم نر مثله **[انظر:** سير أعلام النبلاء، الذهبي، (165/22– 167) **]** .

4) المغني شرح مختصر الخرقي، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، دار إحياء التراث العربي/بيروت، ط1، 1405هـ/1985م، (168/9).

5) المغني، ابن قدامة المقدسي، (168/9) .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله: " **المقام في ثغور المسلمين؛ كالثغور الشامية، والمصرية، أفضل من المجاورة في المساجد الثلاثة،** وما أعلم في هذا نزاعاً من أهل العلم، وقد نصّ على ذلك غيرُ واحدٍ من الأئمة؛ وذلك لأنّ الرّباط من جنس الجهاد، والمجاورة غايتها أن تكون من جنس الحجّ " [1] .

الجهاد عند علماء الإسلام:

نصّ علماء المسلمين على أنّ الجهاد (وخاصة جهاد دفع العدو والقتال دون أرض المسلمين)، واجبٌ بإجماع الأمة، كيف لا وقد تقدّم فضل الجهاد في سبيل الله ﷻ في القرآن والسنة، وإذا لم يكن الجهاد واجباً عند استباحة ديار المسلمين وسرقة أرضهم، فمتى يكون واجباً إذاً، **وفيما يلي يستعرض الباحث طرفاً مما وقف عليه من أقوال العلماء في الجهاد.**

جاء عن **الإمام أحمد** – رحمه الله– قوله: " **ليس يعدل الجهاد عندي والرباط شيء، والرباط دفع عن المسلمين; وعن حريمهم، وقوةٌ لأهل الثغر ولأهل الغزو،** فالرباط أصل الجهاد وفرعه، والجهاد أفضل منه للعناء والتعب والمشقة " [2] .

وقال **ابن حزم** – رحمه الله: " ولو أن إماماً نهى عن قتال أهل الحرب لوجبت معصيته في ذلك, لأنّه أمر بمعصيةٍ، فلا سمع ولا طاعة له، وقال: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ (النساء/84)، **وهذا خطاب متوجّه إلى كلّ مسلمٍ, فكلّ أحدٍ مأمورٌ بالجهادِ، وإن لم يكن معه أحد**"[3] .

---

1) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، (531/3).

2) المغني، ابن قدامة المقدسي، (167/9)– بتصرف .

3) المحلّى، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، دار الفكر/ بيروت، ط(بدون)، (بدون تاريخ)، (351/7) .

ويقول أيضاً: " ولا يجوز الجهاد إلا بإذن الأبوين، **إلا أن ينزل العدو بقوم من المسلمين؛ ففرض على كل من يمكنه إعانتهم أن يقصدهم مغيثاً لهم،** أذن الأبوان أم لم يأذنا" [1] .

وقد وُجد من العلماء العاملين المجاهدين على أرض الشام وفلسطين من خطّ بعلمه وضرب بسيفه في سبيل الله ﷻ، حفاظاً على أمجاد أمة الإسلام، وطرداً للغزاة المحتلين، وكان منهم: **نور الدين محمود**[2] الذي بلغ من الشجاعة وحبّ الجهاد مبلغاً عظيماً، وفتح الله على يديه، وأذاق الصليبيين الويلات، " حتى قيل له: بالله عليك، لا تخاطر بنفسك وبالإسلام والمسلمين، فإن أُصبت في معركة لا يبقى من المسلمين أحد إلا أخذه السيف، فقال نور الدين: ومن محمود حتى يقال له هذا؟ من قبلي من حفظ البلاد والإسلام؟ ذلك الله الذي لا إله إلا هو " [3] .

وكان حريصاً أشد الحرص على ثغور المسلمين، فعندما ضربت الزلازل أرض الشام عام 552هـ، هبّ لمقارعة الصليبيين والإغارة عليهم لإشغالهم عن ديار الإسلام، وقطع طمعهم فيها؛ واستمر على ذلك إلى أن بنى المسلمون جميع أسوارهم وحصونهم المتهدّمة من الزلازل"[4] .

قال ابن قدامة المقدسي – رحمه الله: " والجهاد فرض على الكفاية .... ومعنى فرض الكفاية، الذي إن لم يقم به من يكفي، أثم الناس كلهم، وإن قام به من يكفي، سقط عن سائر الناس ... فالجهاد من فروض الكفايات، في قول عامة أهل العلم ... **ومعنى الكفاية في الجهاد أن ينهض للجهاد قوم يكفون في قتالهم;** إما أن يكونوا جندا لهم دواوين من أجل ذلك، أو يكونوا قد

---

1) المصدر السابق، (292/7) .

2) نور الدين محمود (511– 569هـ) : الملك العادل، نور الدين، أبو القاسم، محمود بن الاتابك قسيم الدولة أبي سعيد زنكي بن الأمير الكبير آقسنقر، التركي السلطاني الملكشاهي، وكان نور الدين حامل رايتي العدل والجهاد، قل أن ترى العيون مثله، حاصر دمشق، ثم تملكها، وبقي بها عشرين سنة، وافتتح حصونا كثيرة، وهزم البرنس صاحب أنطاكية، وقتله في ثلاثة آلاف من الفرنج، وأظهر السنة بحلب وقمع الرافضة، وفتحت جيوشه مصر وطردت منها الرافضة، وقال ابن الجوزي: جاهد، وانتزع من الكفار نيفاً وخمسين مدينة وحصنًا، وقد طالعت سير الملوك المتقدمين، فلم أر فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز أحسن من سيرته، ولا أكثر تحريا منه للعدل. **[** الكامل في التاريخ، ابن الأثير، (394/9)، **أيضاً:** سير أعلام النبلاء، الذهبي، (531/20– 535)– بتصرف **]** .

3) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، (395/9)– بتصرف يسير .

4) انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، (237/9).

أعدوا أنفسهم له تبرعاً، بحيث إذا قصدهم العدو حصلت المنعة بهم، ويكون في الثغور من يدفع العدو عنها "[1] .

وقال أيضاً: " ويتعيّن الجهاد في ثلاثة مواضع; **أحدها:** إذا التقى الزحفان، وتقابل الصفان، حرم على من حضر الانصراف، وتعيّن عليه المقام، **والثاني:** إذا نزل الكفار ببلد، تعيّن على أهله قتالهم ودفعهم، **والثالث:** إذا استنفر الإمام قوماً لزمهم النفير معه"[2] .

ومن علماء الأمّة الذين بيّنوا مكانة الجهاد وأعلوا شأنه، سلطان العلماء، **العزّ بن عبد السلام**[3] –رحمه الله– إذ يقول: " فإن أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله ﷻ: الجهاد في سبيل الله؛ لما فيه من محق أعداء الله ﷻ وتطهير الأرض منهم، واستنقاذ أسرى المسلمين من أيديهم، وصون دماء المسلمين وأموالهم، وحرمهم وأطفالهم ... ولذلك عظّم الله ﷻ فيه أجر الطالب من المسلمين المطلوب، والغالب والمغلوب، والقاتل والمقتول، وأحيا القتلى فيه بعد مماتهم، وعوضهم عن حياتهم التي بذلوها لأجله بحياة أبدية سرمدية، لا يصفها الواصفون ولا يعرفها العارفون "[4] .

---

1) المغني، ابن قدامة المقدسي، (162/9)– بتصرف .

2) المغني، ابن قدامة المقدسي، (163/9)– بتصرف .

3) العز بن عبد السلام (577– 660هـ): عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، عز الدين، الملقب بسلطان العلماء: فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد، ولد ونشأ في دمشق، وزار بغداد سنة 599هـ فأقام شهراً، وعاد إلى دمشق، فتولى الخطابة والتدريس بزاوية الغزالي، ثم الخطابة بالجامع الأموي، ولما سلم الصالح إسماعيل ابن العادل قلعة "صفد" للفرنج اختيارا أنكر عليه ابن عبد السلام ولم يدع له في الخطبة، فغضب وحبسه، ثم أطلقه فخرج إلى مصر، فولاه صاحبها الصالح نجم الدين أيوب القضاء والخطابة ومكنه من الأمر والنهي، ثم اعتزل ولزم بيته، وتوفي بالقاهرة، من كتبه: التفسير الكبير وَ الإلمام في أدلة الأحكام، وَ ترغيب أهل الإسلام في سكن الشام، وغيرها **[** الأعلام، الزركلي، (21/4)– بتصرف**]** .

4) أحكام الجهاد وفضائله، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، تحقيق: نزيه كمال حماد، مكتبة دار الوفاء/جدة، ط1، 140هـ/1986م، (ص 53) .

ويقول أيضاً: " ولما كانت الأنفس والأموال مبذولة في الجهاد؛ جعل الله ﷻ من بَذَل نفسه في أعلى رتب الطائعين وأشرفها؛ لشرف ما بذله، مع محو الكفر ومحق أهله، وإعزاز الدين، وصون دماء المسلمين" [1] .

ويبيّن **شيخ الإسلام ابن تيميّة** –رحمه الله– أنّ جهاد الدفاع – كما هو حال أهل فلسطين اليوم– هو أوجب الواجبات، وبكل السبل والإمكانات، فقال رحمه الله: " وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين، **فواجبٌ إجماعاً، فالعدوّ الصائلُ الذي يفسدُ الدين والدنيا لا شيء أوجبَ بعد الإيمان من دفعه،** فلا يشترط له شرط بل يدفع بحسب الإمكان، وقد نص على ذلك العلماء، أصحابنا وغيرهم، فيجب التفريق بين دفع الصائل الظالم الكافر وبين طلبه في بلاده، والجهاد منه ما هو باليد، ومنه ما هو بالقلب، والدعوة، والحجة، واللسان، والرأي، والتدبير، والصناعة، فيجب بغاية ما يمكنه، ويجب على القعدة لعذر أن يخلفوا الغزاة في أهليهم ومالهم" [2] .

ويقول أيضاً:" **وإذا دخل العدو بلاد الإسلام، فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب؛** إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة، وأنّه يجب النفير إليه بلا إذنِ والدٍ ولا غريم" [3].

ويقول **سيد قطب** –رحمه الله– مبيّناً مقصد الجهاد: "يجب على الجماعة المسلمة أن تحطّم كل قوة تعترض طريق الدعوة وإبلاغها للناس في حرية، أو تهدد حرية اعتناق العقيدة وتفتن الناس عنها، وأن تظلّ تجاهد حتى تصبح الفتنة للمؤمنين بالله ﷻ غير ممكنة لقوةٍ في الأرض، ويكون الدين لله ﷻ، لا بمعنى إكراه الناس على الإيمان، ولكن بمعنى استعلاء دين الله ﷻ في الأرض، بحيث لا يخشى أن يدخل فيه من يريد الدخول، ولا يخاف قوة في الأرض تصده عن دين الله ﷻ أن يبلغه، وأن يستجيب له، وأن يبقى عليه، وبحيث لا يكون في الأرض وضع أو نظام يحجب نور الله ﷻ وهداه عن أهله ويضلّهم عن سبيل الله ﷻ بأية وسيلة وبأية أداة"[4] .

---

1) أحكام الجهاد وفضائله، العز بن عبد السلام، (ص 54) .

2) الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، (538/5).

3) المصدر السابق، (539/5).

4) في ظلال القرآن، سيد قطب، (187/1) .

ويقول الشيخ **يوسف القرضاوي**: " **أول أنواع الجهاد الواجب على الأمّة في هذا العصر، هو جهاد التحرير للأمة من بقايا الاستعمار**، الذي لا يزال ينشب أظفاره في أجزاء منها، ومناطق من دار الإسلام التي يجب أن تخلو للمسلمين، وتتحرر من كل سلطان أجنبي، وفي مقدمة هذه المناطق: أرض الإسراء والمعراج، وأرض المسجد الأقصى ... ومن المقرر فقهاً أن على المسلمين في فلسطين أن ينفروا خفافاً وثقالاً لطرد العدو الكافر الذي احتلّ ديارهم فهذا فرض عينٍ على جميعهم، كل بما يقدر عليه، وتسقط هنا الحقوق الفردية، حتى إن المرأة لتخرج للجهاد بدون إذن زوجها، والابن بغير إذن أبيه ... فإن عجز أهل فلسطين عن طرد العدو وتحرير الأرض – أو تقاعسا عن ذلك وجبنوا– كان على أقرب الجيران إليهم أن يقاتلوا بجوارهم – أو يحلوا محلّهم عند قعودهم– حتى يطردوا العدو الغازي الكافر" [1] .

هذا غيضٌ من فيضٍ، وفيه إشارة إلى الكثير من أشباه وأمثال هذه الأقوال لعلماء الإسلام.

خلاصة المطلب:

أولاً: الجهاد من أعظم الأعمال عند الله بعد الإيمان، وهو ذروة سنام الإسلام، وسياحة أمّة محمد ﷺ، وفيه الخير والمنزلة العظيمة عند الله ﷻ وعند الناس، وفي تركه المذلة والصغار.

ثانياً: الجهاد في فلسطين فرض عين على أهلها ثم من يلونهم، حتى تتحرر كاملة من الكفار المغتصبين لها، ولن تتحرر إلا بإنفاذ هذه الفريضة والعمل بها، لا بسواها.

ثالثاً: حثّ سلف الأمة وعلماؤها الأقدمون والمتأخرون على الجهاد، وأجمعت الأمّة على فرضيته ووجوبه، خاصة في دفع العدو الصائل، واستنقاذ أرض المسلمين وأسراهم.

---

1) فقه الجهاد، يوسف القرضاوي، (2/ 1183– 1184) .

المطلب الرابع:

حكم الإسلام في التفريط بشيء من الأرض المقدّسة

ما دامت أرض فلسطين المقدّسة قد احتلّت في عقيدة المسلمين وفكرهم وتاريخهم هذه المكانة الدينية السامية، وترسّخ في وجدان كلّ مسلمٍ يعرف دينه حقّ المعرفة بأن أرض فلسطين هي آية في كتاب الله الخالد، وهي ميراث الأنبياء والمرسلين، وهي وصية رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين، وهي موضع الجهاد والمجاهدين إلى يوم الدين، وهي ملاذ المؤمنين وطائفة المنصورين، فذلك يكفي تأصيلاً شرعياً لحكم الإسلام في التفريط بأرض فلسطين المباركة.

فهل يجوز لمسلمٍ بعد إيمانه بربه ﷻ وبرسوله ﷺ وبالقرآن العظيم، أن يشكّ لحظةً أنه يجوز له التفكير في التفريط بذرة تراب من هذه الأرض المقدّسة؟!

إنّ المسلمين الذين استقرّت مصادر دينهم على وحي سماوي صحيح يقيني لا جدال فيه ولا أثر ليد البشر عليه، ينبغي أن يكونوا أحرص البشرية على مسرى نبيّهم ﷺ وما حوله، ولا يجوز بحال أن يكون اليهود والنصارى أحرص منهم على هذه الأرض، وهم الذين تلطّخ تاريخهم بالخيانة لله ﷻ ولأنبيائه الأكرمين؛ بتحريفهم كتاب ربّهم، وبقولهم عليه زوراً وبهتاناً عظيماً.

ومن لوازم فرضية الجهاد عينياً – في فهم الباحث– أن يكون التفريط بشيء من فلسطين – قلّ أو كثر– حرام شرعاً؛ إذ كيف يكون الجهاد فيها فرض عين، تبذل فيه النفوس والأموال، وتستنفر فيه الأمة بعدتها وعتادها، ثم يجوز لها أو لبعضها أن يتنازل عن جزء منها لعدوّها!

فتاوى العلماء في حكم التنازل عن فلسطين:

بعد أن وقع البلاء على الأرض المقدّسة في العصر الحديث، باحتلالها من شذاذ الآفاق وأعداء الله اليهود، انبرى علماء المسلمين منذ بوادر الاحتلال اليهودي وحتى يومنا هذا، يدافعون بعلمهم وفتواهم عن أرض فلسطين، ويبيّنوا للناس حرمة هذه الأرض، وعدم جواز التفريط بذرة من ترابها، أو الصلح مع اليهود على أساس تقسيمها، أو الاعتراف لهم بأيّ حقّ فيها.

فتاوى قبل الاحتلال:

اجتمع في القدس عدد كبير من **علماء فلسطين** يوم العشرين من شوال عام 1353هـ، الموافق السادس والعشرين من يناير عام 1935م، **وأفتوا بالإجماع بحرمة بيع الأراضي في فلسطين لليهود**، مبيّنين أنّ من شأن ذلك أن يفتن المسلمين في دينهم وأرضهم، وأن يحقق للصهيونية الكافرة مقاصدها، وجرّم العلماءُ السماسرةَ والوسطاءَ العرب الذين يبيعون أراضٍ في فلسطين لليهود، واعتبروا أنّ هؤلاء موالون لليهود ومانعون لمساجد الله أن ترفع ويذكر فيها اسم الله ﷻ، وأنّ في بيع الأرض خيانة لله ﷻ ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، واعتبر العلماء استحلال بيع الأرض لليهود كفرٌ، وأن فاعله لا يصلّى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، وتجب منابذته ومقاطعته ولو كان من أولي القربى، وأنّ السكوت عنه أو الرضا بما يفعل حرامٌ قطعاً [1] .

وفي العام التالي، وتحديداً في 1936/02/14م، عقد مؤتمر ثانٍ لعلماء فلسطين في القدس أيضاً، وخلص المؤتمر إلى **تحريم السماح بالهجرة اليهودية، وتحريم بيع الأرض لليهود، و دعم تشكيل نواة الجيش الفلسطيني للدفاع عن الأرض والمقدّسات**[2] .

ويبدو أن مثل هذه المؤتمرات جوبهت بالواقع على الأرض، إذ كان اليهود قد بدأوا في السيطرة على فلسطين بالقوة والسلاح بمساعدة الاحتلال، في زمن الضعف الإسلامي، لكن هذه المواقف للعلماء بقيت خالدة لتؤكّد مبدأ حرمة الأرض المقدّسة وموقف الإسلام الراسخ منها.

وقد أفتى **الشيخ محمد رشيد رضا** قبل احتلال اليهود أرض فلسطين بأكثر من ثلاثة عشر عاماً حول حرمة تمكين اليهود أو غيرهم من الأرض المقدّسة فقال: " **إن من يبيع شيئًا من أرض فلسطين وما حولها لليهود أو للإنكليز فهو كمن يبيعهم المسجد الأقصى، وكمن يبيع الوطن كله؛** لأن ما يشترونه وسيلة إلى جعل الحجاز على خطر، فرقبة الأرض في هذه البلاد هي كرقبة

---

1) انظر: فتوى علماء المسلمين بتحريم التنازل عن أي جزء من فلسطين، جمع من العلماء، دار الفرقان/ عمّان، ط1، 1990م، (ص 66- 76) .

2) انظر: فتاوى علماء المسلمين في حرمة التفريط بأرض فلسطين، د. سالم سلامة، رابطة علماء فلسطين/ غزة، ط1، 2007م، (ص 24- 25) .

الإنسان من جسده، **وهي بهذا تعد شرعًا من المنافع الإسلامية العامة، لا من الأملاك الشخصية الخاصة، وتمليك الحربي لدار الإسلام باطل،** وخيانة لله ﷻ ولرسوله ﷺ ولأمانة الإسلام، لا أذكر هنا كل ما يستحقه مرتكب هذه الخيانة، وإنما أقترح على كل من يؤمن بالله ﷻ، وبكتابه، وبرسوله خاتم النبيين ﷺ، أن يبثّ هذا الحكم الشرعي في البلاد مع الدعوة إلى مقاطعة هؤلاء الخونة– الذين يصرون على خيانتهم – في كل شيء من المعاشرة والمعاملة والزواج والكلام حتى رد السلام" [1] .

وفي عام 1937م رفض **علماء نجد** قطعياً فكرة تأسيس دولة لليهود في فلسطين أو تقسيم فلسطين، فأرسلوا للملك في حينه فتوى شرعيةً، جاء فيها: "فقد بلغنا أنّه يراد جعل فلسطين حكومة يهودية وحكومة عربية إسلامية، ولا يخفى عليك –سلّمك الله– **أنّ جعل ولاية لليهود في أرض الإسلام أمرٌ باطل ومحرّم، لأنه يعود على الإسلام وأهله والحرمين الشريفين والبلاد المقدّسة بأكبر الخطر وأعظم الضرر،** وكل من عنده غيرة دينية وهمّة عربية يأنف ذلك ويأباه ويشمئز منه أعظم اشمئزاز، ويغار الله ﷻ ولدينه ولحرمته أعظم غيرة ... ونحن علماء المسلمين لا نجيزه ذلك، ولا نقرّه، ولا نقبله بأي طريق" [2] .

كما صدرت فتوى في يوليو عام 1937م عن علماء العراق، أكّدوا فيها **وجوب مقاومة إنشاء دولةٍ يهودية في فلسطين،** وأنّ هذا هو واجب كل مسلم[3] .

وجاء نداء علماء الأزهر الشريف[4] سنة 1947م إلى العرب والمسلمين بوجوب الجهاد لإنقاذ فلسطين والمسجد الأقصى بعد قرار تقسيم فلسطين، وجاء في هذا النداء: " إنّ الخطب جلل

---

1) مجلّة المنار، محمد رشيد بن علي رضا، ذو القعدة 1353هـ/1935م، (34/ 612) .

2) تذكير النفس بحديث القدس "واقدساه"، د. سيد حسين العفاني، دار العفاني/القاهرة، ط1، 1421هـ/2001م، (4/ 13– 14)– بتصرف يسير، **عن:** مجلة الفتح، العدد 563، الصادر بتاريخ 1356/06/12هـ

3) انظر: فتاوى علماء المسلمين في حرمة التفريط بأرض فلسطين، د. سالم سلامة، (ص 51) .

4) الأزهر الشريف: من أهم المساجد في مصر وأشهرها في العالم الإسلامي، وهو جامع وجامعة منذ أكثر من ألف عام، أنشئ لغرض نشر المذهب الشيعي عندما تم فتح مصر على يد جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله أول الخلفاء الفاطميين بمصر، إلا أنّه سنّي المذهب، وقد اختلف المؤرخون في أصل تسمية هذا الجامع، ويبدو أن الفاطميين سموه بالأزهر تيمنا بفاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ وإشادة بذكراها **[** موسوعة ويكيبيديا الحرة، **رابط:** الجامع_الأزهر/wikipedia.org/wiki، بتاريخ: 2013/07/06م– بتصرف **]** .

وإن هذا يوم الفصل، فليبذل كلّ عربي وكلّ مسلم في أقصا الأرض وأدناها من ذات نفسه وماله ما يردّ عن الحمى كيد الكائدين وعدوان المعتدين ... وأعدّوا فيما بينكم كتائب الجهاد، وقوموا بفرض الله عليكم، **واعلموا أنّ الجهاد أصبح اليوم فرض عينٍ على كلّ قادر بنفسه أو ماله، وأنّ من يتخلّف عن هذا الواجب فقد باء بغضب من الله وإثمٍ عظيم**" [(1)] .

فيا ليت العرب والمسلمين أنصتوا لهذا النداء، و يا ليتهم عملوا بحكم الله ﷻ وأعلنوه جهاداً خالصاً، وطردوا اليهود من أرض الإسلام، لكنّهم – إلا قليلا منهم– اتّخذوا لأنفسهم راياتٍ هي أبعد ما تكون عن الإسلام، وتدثّروا بعروبةٍ وقوميةٍ وعصبيةٍ لم تخلّف للأجيال سوى الهزيمة والهوان**!**

فتاوى بعد الاحتلال:

أفتى ثلاثة وستون عالماً من علماء الأزهر عام 1956م بحرمة الصلح مع اليهود أو الاعتراف لهم بشيء من فلسطين، وجاء في فتواهم: " ونحن نعلم بما أخذ الله ﷻ علينا من عهد وميثاق في بيان الحق أن الجهاد هو السبيل الوحيد لتحرير فلسطين، **وأنّه لا يجوز بحال من الأحوال الاعتراف لليهود بشبر من أرض فلسطين، وليس لشخص أو جهة أن تقرّ اليهود على أرض فلسطين، أو تتنازل لهم عن أي جزء منها، أو تعترف لهم بأي حق فيها** "[(2)] .

وفي شهر فبراير عام 1968م صدرت فتوى عن علماء المؤتمر الدولي الإسلامي المنعقد في باكستان جاء فيها: " **إن الصلح مع اليهود (المحاربين المحتلين لفلسطين وبعض بلاد الإسلام والمسجد الأقصى خاصة) لا يجوز شرعاً**، لما فيه من إقرار الغاصب على غصبه، والاعتراف بحقية يده على ما اغتصبه، فلا يجوز للمسلمين أن يصالحوا هؤلاء اليهود المعتدين، لأن ذلك يمكّنهم من البقاء كدولة في أرض هذه البلاد الإسلامية المقدّسة، **بل يجب على المسلمين جميعاً أن يبذلوا قصارى جهودهم لتحرير هذه البلاد، وإنقاذ المسجد الأقصى وسائر المقدّسات الإسلامية من أيدي الغاصبين** " [(3)] .

---

1) واقدساه، د. سيد العفاني، (4/ 17)– بتصرف يسير.

2) الطريق إلى بيت المقدس، جمال عبد الهادي، دار الوفاء/ القاهرة، ط5، 2001م، (3/ 214) .

3) فتاوى علماء المسلمين في حرمة التفريط بأرض فلسطين، د. سالم سلامة، (ص 56)– بتصرف يسير .

وقد بيّن العالم **المجاهد الشهيد عبد الله عزام**[1]– رحمه الله– أهمّية قضية فلسطين ووجوب الجهاد فيها وحرمة التنازل عنها حتى طرد آخر يهودي منها، وكان مما قاله: " **إنّ إثم تقاعس جيلنا عن النفير في القضايا المعاصرة – كقضية فلسطين– أشد من إثم سقوط الأراضي الإسلامية السابقة، والتي عاصرتها أجيال مضت** ... ومن استطاع من العرب الجهاد في فلسطين فعليه أن يبدأ بها ... ففلسطين قضية الإسلام الأولى، وقلب العالم الإسلامي، وهي الأرض المباركة " [2] .

ويقول أيضاً: " لا يجوز أن تتضمن أية معاهدة اعترافاً أو إقراراً للكفار بشبر من أراضي المسلمين، لأن أرض الإسلام ليست لأحد، فلا يحقّ لأحد أن يفاوض عليها، فالأرض لله ﷻ ثم للإسلام، **فلا يجوز لأحد أن يتصرف في ملك غيره، ولا بيع لابن آدم فيما لا يملك، فلا يجوز التفاوض مع اليهود أبداً على فلسطين، فإذا تعيّن الجهاد بطل الصلح**" [3] .

إنّ هذا الفهم الشرعي لحرمة أرض فلسطين الذي فهمه الشيخ عزام، وقاتل من أجله في أقاصي بلاد الإسلام، واستشهد في سبيله، هو أشدّ ما يحتاج إليه ساسة اليوم الذين يتصدّرون لقضايا الأمّة وقد خوت جعبتهم من هذا الفهم وامتلأت بالحسابات المادية والمقاييس الدنيوية، فخلّفت هزائم وتنازلات ومبادرات واستجداءات، حتى وصل حال المسلمين إلى ما وصل إليه.

---

1) عبد الله يوسف عزام (1941– 1989م): العالم المجاهد الجسور الداعية المصلح أمير المجاهدين العرب في أفغانستان، ولد في سيلة الحارثية بجنين، حصل على ليسانس الشريعة من جامعة دمشق عام 1966م، وغادر إلى الأردن عام 1967م، والتحق بكتائب المجاهدين من الإخوان المسلمين بالأردن، حصل على الدكتوراه في الشريعة من القاهرة عام 1973م، وعمل مدرّساً للشريعة في جامعات الأردن والسعودية وباكستان، و انتقل منذ عام 1982م للجهاد في أفغانستان ضد الروس وكان له فيه دور بارز مشهور، واستشهد مع ولديه في عملية اغتيال بتفجير سيارته أثناء توجهه لخطبة الجمعة في مسجدٍ بمدينة بيشاور الباكستانية في 1989/11/24م **[انظر:** من أعلام الدعوة الإسلامية في فلسطين والأردن، المستشار عبد الله العقيل، مركز الإعلام العربي/مصر، ط2، 1432هـ/2011م، (ص 117– 121) **]** .

2) موسوعة الذخائر العظام فيما أثر عن الإمام الهمام الشهيد عبد الله عزام، مركز الشهيد عزام الإعلامي/بيشاور– باكستان، ط1، 1417هـ/1997م، (1/ 127)– بتصرف .

3) المصدر السابق، (137/1) .

واستمراراً لدور علماء الأمّة، وعلماء الأرض المقدّسة خاصةً، فقد عُقد **مؤتمرٌ لعلماء المسلمين** في المسجد الأقصى المبارك، في 1991/11/01م، بعد حديث العالَم عن اقتراب عقد صلح وسلام دائم بين بعض ساسة فلسطين وبين اليهود المحتلّين!، إذ هبّت ثلّةٌ من علماء المسلمين في بيت المقدس وما حوله، **وأفتوا بالإجماع بحرمة عقد الصلح والسلام مع اليهود ولا المشاركة في مؤتمرٍ لهذا الغرض، لأنّ في ذلك إسباغ شرعيّة على اليهود في وجودهم على أرض فلسطين المباركة**، وعدوانهم على الديار والمقدّسات والأموال، وهذا باطلٌ شرعاً، وعليه فيجب الجهاد ويتعيّن في فلسطين حتى طرد اليهود من آخر شبرٍ منها[1] .

وخلص هذا المؤتمر إلى قول العلماء : " **فعقد الصلح مع اليهود باطل شرعاً، ثم أخلاقاً، ثم عرفاً دولياً، والأمّة غير ملزمة به، ولا تتحمل مسئولياته**، ولها الحق في التعامل معه بالوجه الذي تراه مناسباً، حاضراً ومستقبلاً " [2] .

وقد أفتى الشيخ عبد العزيز بن باز[3] –رحمه الله– بوجوب استنقاذ فلسطين من أيدي اليهود وطردهم منها، فقال: " إن القضية الفلسطينية قضية إسلامية أولاً وأخيراً, ولكن أعداء الإسلام بذلوا جهودا جبارة لإبعادها عن الخط الإسلامي, وإفهام المسلمين من غير العرب, أنها قضية عربية... وأرى أنه لا يمكن الوصول إلى حل لتلك القضية, إلا باعتبار القضية إسلامية, **وبالتكاتف**

---

1) **انظر**: واقدساه، د. سيد العفاني، (4/24– 26) .

2) المصدر السابق، (4/ 27)– بتصرف يسير.

3) **عبد العزيز بن باز (1330– 1420هـ)**: عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن باز، ولد عام 1330هـ بمدينة الرياض، كان بصيراً ثم أصابه مرض في عينيه عام 1346هـ وضعف بصره ثم فقده عام 1350هـ، حفظ القرآن الكريم قبل سن البلوغ، ثم جد في طلب العلم على العلماء في الرياض، ولما برز في العلوم الشرعية واللغة عين في القضاء عام 1350هـ، لازم البحث والتدريس ليل نهار ولم تشغله المناصب عن ذلك، مما جعله يزداد بصيرة ورسوخا في كثير من العلوم [الموقع الرسمي للشيخ ابن باز، رابط: www.binbaz.org.sa/life، بتاريخ: 2013/07/06م] .

بين المسلمين لإنقاذها, وجهاد اليهود جهاداً إسلامياً, حتى تعود الأرض إلى أهلها, وحتى يعود شذاذ اليهود إلى بلادهم التي جاءوا منها " [1].

وقال الشيخ ابن باز أيضاً: " **أنصح الأغنياء وولاة الأمور بأن يمدوا يد العون لإخوانهم في فلسطين المجاهدة لاسترداد بلادهم والنصر على الأعداء إن شاء الله**"[2] .

وفي 2000/07/22م صدرت فتوى عن "**دار الإفتاء في القدس والديار الفلسطينية**" حول حكم التعويض عن الأرض الفلسطينية، جاء فيها: " **إنّ التعويض عن الأرض الفلسطينية كبيعها، سواءً بسواء، ولا يجوز مطلقاً شرعاً ... لأنّ الأرض الفلسطينية ليست سلعةً للبيع والشراء، فهي وقفية مباركة مقدّسة،** وهناك فرقٌ شاسع بين التعويض عن الأرض، وبين التعويض عن الأضرار التي لحقت باللاجئين الذين هجّروا من ديارهم بغير حق ... **فعبارة (حقّ العودة والتعويض معاً) جائزٌ شرعاً، أما عبارة (العودة أو التعويض) فلا تجوز** " [3] .

وقد أصدرت **رابطة علماء فلسطين**[4] في 2007/01/25م فتوى تحكم **بكفر من اعتقد حلّ التنازل عن أي جزء من فلسطين لليهود،** وجاء في الفتوى: " إن التنازل عن حق عودة الشعب الفلسطيني إلى أرضه فلسطين، يعني التنازل عن ملكية المسلمين للأرض، وتبعيتها للوقف الإسلامي، فإذا كان بيع الأراضي المقدسة في بلاد الشام لغير المسلمين لا يجوز، ويحرِّمه الشارع الحكيم، وقد سبق أن أفتى علماء المسلمين في جميع أنحاء المعمورة بتجريم من فعله وكفّروا من اعتقد حلّه، فكيف بمن تنازل عن الأرض عبر التنازل عن حق عودة شعبنا الفلسطيني المسلم إلى

---

1) مجموع فتاوى ومقالات ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء/ الرياض، ط(بدون)، (بدون تاريخ)، (346/1)- بتصرف يسير .

2) مجلة البحوث الإسلامية، (121/32) .

3) فتاوى علماء المسلمين في حرمة التفريط بأرض فلسطين، د. سالم سلامة، (ص 93)- بتصرف.

4) رابطة علماء فلسطين: رابطة جامعة لعلماء فلسطين قام بتأسيسها كوكبة من علماء فلسطين, انطلاقاً من المسجد الأقصى المبارك, وذلك عام 1412هـ/1992م، برئاسة الشيخ حامد سليمان البيتاوي -رحمه الله- , ولما كان من الضروري أن توجد الرابطة حيث يوجد الفلسطينيون فقد تم تأسيس فروع لها في قطاع غزة ولبنان واليمن والسودان وغيرها **[انظر:** الموقع الرسمي للرابطة، رابط: www.rapeta.org/Rapta/ar/?page=about، بتاريخ: 2013/07/07م **]** .

أرضه المقدسة؟!، **فالقول فيه – وفي من رضي بفعله، أو قوله، أو سكت عنه، عربياً كان أم أعجمياً، صادراً من عالم بنتيجته راض بها– فهو مستلزم الكفر والارتداد عن دين الإسلام باعتقاد حلّه** "[1].

وجاء في الفتوى أيضاً: " **إن المتنازل عن حق العودة** يلغي وقف أمير المؤمنين لأرض الشام على ذراري المسلمين... ويظاهر على إخراج المسلمين من ديارهم ... وهو ظالم ومانع لمساجد الله – وعلى رأسها الأقصى قبلة المسلمين الأولى – أن يذكر فيها اسمه وساع في خرابها ... وهو متخذ اليهود أولياء ... وهو مؤذٍ وخائن لله ولرسوله وللمؤمنين ... **وهو كافر ومرتدٌ عن دين الله ، وبذلك يصبح أحد الثلاثة الذين يحلّ دمهم** " [2] .

وقد سئل **الدكتور يوسف القرضاوي** بتاريخ 2011/07/12م عن حكم الشرع في التنازل عن (القدس الشريف)، فقال: " **لا يجوز لمسلم – مسؤولاً كان أو غير مسؤول – أن يتنازل عن أي جزء من أرض الإسلام، فأرض الإسلام ليست ملكًا لرئيس ولا لأمير ولا لوزير ولا لجماعة من الناس، حتى تتنازل عنها تحت أي ضغط أو ظرف**، وإنما الواجب على الأفراد والجماعات الجهاد والنفير والمقاومة لتحرير أي أرض احتلها الأعداء، أو لاستعادتها إذا اغتصبها مغتصب، والأمة كلها مسؤولة بالتضامن عن ذلك، لا يملك حاكم ولا محكوم التفريط في هذا الأمر، **وإذا عجز جيل من أجيال الأمة أو تقاعس، فلا يجوز له أن يفرض عجزه أو تقاعسه على كل أجيال الأمة القادمة إلى يوم القيامة، فيتنازل عما لا يجوز له التنازل عنه**" [3].

وأفتى القرضاوي **بالتحريم القطعي لقبول اللاجئين الفلسطينيين التعويض المالي مقابل التنازل عن أرض فلسطين**، فقال: " ولهذا أصدرنا فتوانا بتحريم قبول التعويض عن أرض فلسطين بالنسبة للاجئين المشردين في أنحاء العالم، ولو بلغ مئات المليارات، فأوطان الإسلام لا تقبل البيع

---

1) فتاوى علماء المسلمين في حرمة التفريط بأرض فلسطين، د. سالم سلامة، (ص 94)– بتصرف.

2) المصدر السابق، (ص 95)– بتصرف.

3) موقع منبر الأقصى الإلكتروني، رابط: www.minbaralaqsa.com، بتاريخ: 2013/07/06م.

ولا التنازل أو التعويض عنها بحال من الأحوال، وإذا كان هذا الحكم في شأن أي أرض إسلامية، فكيف إذا كانت هذه الأرض هي القدس الشريف" (1) .

خلاصة المطلب:

أولاً: حرّم علماء الإسلام التنازل عن أي شبر من أرض فلسطين، كونها أرض وقف إسلامي، وأرض مباركة مقدّسة، هي ملك لجميع المسلمين منذ فتحها وحتى قيام الساعة، ولا يجوز لأي شخص أو جهة مهما بلغت من امتلاك القرار أن تتنازل أو تفرط أو تبيع أو تساوم أو تفاوض على حبّة تراب من أرض فلسطين.

ثانياً: انبرى علماء المسلمين في العالم العربي والإسلامي، وفي فلسطين خاصة بالدفاع عن حرمة ووقفية أرض فلسطين، وأصدروا الفتاوى المجرّمة لبيع فلسطين أو التنازل عنها، قبل الاحتلال الصهيوني وبعده، وحتى يومنا هذا، وحرّضوا الأمة ولا زالوا على الجهاد من أجل استرداد أرض فلسطين.

ثالثاً: إنّ الصلح مع اليهود وعقد السلام الدائم معهم، أو الاعتراف لهم بسيادة على أرض فلسطين، أو قبول التعويض المادي بدلاً عن أرض فلسطين أو جزءٍ منها، اعتقاداً بحلّ ذلك وحق اليهود فيه، هو ردّة عن الإسلام وخيانة لله ورسوله وللمؤمنين، وفاعله مرتكب لأفظع المحرمات وأشدّ الجنايات في حق الدين والأرض وأجيال المسلمين.

---

1) موقع منبر الأقصى الإلكتروني، رابط: www.minbaralaqsa.com، بتاريخ: 2013/07/06م- بتصرف يسير.

النتائج والتوصيات

أولاً: **نتائج البحث**

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضل جوده تنعم الموجودات، وكما حمدته سبحانه وتعالى في المقدمة أحمده سبحانه في الخاتمة، وأشكره على توفيقه.

وأصلي وأسلم على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، والسراج المنير، وعلى الآل والصحب الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

وضعَ الباحث استنتاجاته المباشرة في نهاية كلّ مطلب من مطالب البحث **تحت عنوان: (خلاصة المطلب)**، وفي تقدير الباحث، فإنّ مجموع هذه الخلاصات يعطي نتائج البحث، في جزئياته المختلفة.

ومع ذلك؛ سيفرد الباحث هنا في نهاية هذا البحث مجموع النتائج العامة، التي توصل إليها من خلال طرقه لهذا الباب الخطير؛ والذي يمسّ جوهر قضية فلسطين، التي تشكّل بؤرة الصراع الأكثر أهمية وحساسية، على مستوى العالم اليوم.

وأهمّ هذه النتائج التي توصّل إليها الباحث ما يلي:

أولاً: إنّ الصراع الدائر على أرض فلسطين يلخّص الصراع الكامن بين الملل الثلاث الكبرى في عالم اليوم، **الإسلام، والنصرانية، واليهودية**، وإنْ كان الصراع الأبرز في العصر الحديث – على ثرى الأرض المقدّسة– هو بين المسلمين واليهود أساساً، فإنّ النصارى (وخاصة نصارى الغرب من البروتستانت المتصهينين) لا شكّ أنّهم يقفون في خلفية الصراع بكلّ قوّة وحضور؛ إذ لولا الدعم النصراني الغربي لما قامت لليهود قائمة في أرض فلسطين المباركة.

ثانياً: الصراعُ على أرض فلسطين ذو خلفية دينية موغلة في العمق، وهو صراع عقائدي جوهراً ومظهراً، حتى وإن كانت مظاهره تتلون وتتخفّى وراء المسمّيات الحديثة، والظروف السياسية، والخداع اليهودي المعتاد، فلا مجال البتّة لإنكار حقيقة أنّ خلفيات الصراع الأساسية هي خلفيات عقائدية؛ **وهذه الحقيقة يترتب عليها أمورٌ هامة وخطيرة وهي بإيجاز:**

أ) ضرورة وعي أبناء الأمة الإسلامية وأجيال المسلمين بأنّ الهجمة على فلسطين عقائدية، فالردّ عليها يكون باستنفار طاقات الأمة بكل أشكالها؛ من أجل حسم الصراع لصالح الإسلام، ليس ذلك سياسةً وقوميةً وعروبيةً، بل ديانةً وتعبّداً، وحفاظاً على أمانة استخلاف الله ﷻ للأمة، وعملاً بوصية رسول الله ﷺ وخلفائه وسلف الأمّة، وصيانةً لموروث الأمّة الحضاري الممتد عبر القرون.

ب) وجوب مجابهة العقيدة اليهودية والنصرانية (الباطلة) فيما يتعلق بالأرض المقدّسة، بعقيدة الإسلام الصافية النقية الصحيحة، وإذا غاب استحضار هذه المواجهة، فالنتيجة المؤلمة ستكون تفوّق الكفرة على المسلمين؛ بفضل تمسّكهم بعقيدتهم (المحرّفة)، كأداة لاستمرار اغتصاب فلسطين، في حين يلهث المسلمون وراء سراب الحلول البعيدة عن منهج الله ﷻ، وهذا عين الضياع والهزيمة.

ت) هذا الفهم لطبيعة الصراع يعطي المسلمين ترجمات سريعة لسلوك اليهود المحتلين ومن وراءَهم فيما يخصّ أرض فلسطين المقدّسة، فالمجازر، والحروب، والاستيطان، والجدران، وتهويد القدس، وتدنيس المقدّسات، والتضييق على المسلمين، والتدمير الممنهج للمسجد الأقصى، **كلّها لها سندٌ دينيٌ توراتيٌ وتلمودي، فمجابهته تحتاج إلى السند القرآنيّ النبويّ الإسلاميّ،** ولا شيء غيره من المستندات الأرضية الهزيلة.

ث) إنّ أي سياسي أو دبلوماسي عربي مسلم، (وفلسطيني خاصّةً)، لا يعترف بخلفيات هذا الصراع وحقيقته العقائدية هذه، فهو يسير قدماً إلى تضييع الأرض والمقدّسات؛ إذ إنّ قواعد الدبلوماسية الحديثة، ونظريات السياسة والمصالح المعاصرة، يجب أن تتوقف ملياً أمام قضية فلسطين، ويجب أن يكون البعد العقائدي حاضراً وإلاّ سقط الساسة في مستنقع الغدر والخيانة اليهودية والصليبية الغربية، وبناءً على ذلك، فالسياسيّ الذي يخاطب أعداء الأمّة أو خصومها وهو خالي الوفاض من العقيدة الصحيحة والفهم السليم للصراع، فتمثيله لقضية فلسطين كارثةٌ وجريمة لا يجوز للمسلمين السكوت عليها.

ثالثاً: **<u>اتّفق المسلمون واليهود والنصارى في عقيدتهم في الأرض المقدّسة في ما يلي:</u>**

أ) اعتماد أهل الملل الثلاث على مصادرهم الدينية الأساسية في إثبات حقّ كلّ منهم في الأرض المقدّسة.

ب) تقديس الملل الثلاث لأرض فلسطين، وإعطائها مكانة سامية ومنزلة رفيعة، وفضلاً عظيماً، يفوق كلّ بقاع الأرض (إلا الحرمين الشريفين عند المسلمين) .

ت) ارتبطت أرض فلسطين عند الملل الثلاث بأحداث النهاية وملاحم آخر الزمان، والمسيح المنتظر، وغيرها من قضايا الآخرة ونهاية العالم .

ث) وجود أماكن مقدّسة لأهل الملل الثلاث في فلسطين، وخاصة في مدينة القدس.

رابعاً: **<u>اختلف المسلمون واليهود والنصارى في عقيدتهم في الأرض المقدّسة في ما يلي:</u>**

أ) ثبوت تحريف وعدم صدقية المصادر التي يعتمد عليها **اليهود والنصارى** في تقريرهم لعقيدتهم في الأرض المقدّسة وحقّهم فيها، إذ طال التلاعب البشري هذه المصادر باتّفاق المنصفين، وتناقضت مصادرهم وتضاربت مع بعضها، ومع صحيح العلم، و سليم العقل، في حين سلمت مصادر **المسلمين** (من قرآن وسنّة نبوية صحيحة) من التحريف والتبديل، إذ تكفّل الله ﷻ بحفظها، وبناءً عليه فإنّ اعتقادهم –أي المسلمين– حول هذه الأرض مستنده الوحي، ومصدره سماوي سليم من العبث البشري.

ب) اعتقد اليهود بأفضلية جنسهم، و أنّهم (شعب الله المختار)، لذا فالعاقبة في هذه الأرض–في زعمهم– لهم دون غيرهم من أجناس أو أديان، في حين **عدّ النصارى** أنفسهم أبناء الله وأحباؤه**!** وخلفاء الربّ المسيح –بزعمهم– وعليه فهم ورثة الحقّ في هذه الأرض كمهدٍ للمسيح ﵇ ونهاية له، والذي يعدّونه إلهاً مع الله ﷻ، **أماّ المسلمون** فيعتقدون بأنّ الأفضلية ليست في الجنس أو الانتساب؛ إنّما في التوحيد والإيمان، والتقوى والإتّباع، وهم ورثة هذه الأرض بناءً على أفضلية دينهم وأنّه دين الله الخاتم للعالمين، لا بأفضلية جنسهم أو عرقهم أو قوميتهم، أو غير ذلك.

ت) اعتقادات **اليهود والنصارى** حول أحداث النهاية التي ستدور على الأرض المقدّسة، هي اعتقادات مفرطة في الخيال والأساطير، ومقطوعة السند، ومصدرها رؤىً وتنبؤات وخيالات بشرية، وتتضمن نزعةً عنصرية واضحة، **أما المسلمون** فجاءت اعتقاداتهم توقيفية، مستندة إلى وحي الله ﷺ، ولا مجال فيها لاجتهادات بشرية على الإطلاق.

ث) اتّسم سلوك **اليهود** مع أعدائهم ومخالفيهم عبر التاريخ في هذه الأرض بالقسوة والعنف وسفك الدماء وإزهاق الأرواح، **وكذا النصارى** في فترات غزوهم لهذه الأرض، أياً كان المخالفون والأعداء، **أمّا المسلمون** فقد عاش اليهود والنصارى في كنف دولتهم لقرون طويلة في أمن وسلام، وكانت فترات عيشهم تحت ظلّ دولة الإسلام هي الفترات الذهبية في تاريخهم على هذه الأرض.

خامساً: **أعمل اليهود تخريبهم وكيدهم ومكرهم في الديانة النصرانية، منذ فجر بزوغها،** وكانت لهم معها صولات وجولات، حتى تركوها ديانة أقرب إلى اليهودية المصنوعة بأيدي البشر، واستطاعوا نقل قسم كبير من النصرانية من أعداءٍ تاريخيين إلى أصدقاء ودعاةٍ لليهودية وعقائدها الباطلة، وصولاً إلى الاعتراف النصراني الغربي خاصة بحقّ اليهود في فلسطين، بل والاعتراف بأفضليتهم على البشرية!

سادساً: **تبيّن للباحث مدى أهمّية موضوع التقديس واعتقاد القداسة في الأماكن والأشياء والأشخاص وغيرها،** ودور هذا التقديس في صياغة العقائد والأفكار، وبالتالي السلوكيات والممارسات، ومن الأهمية بمكان التعرّف على مفاهيم التقديس والقدسية والبركة وأنواعها عند الملل المختلفة، لتفسير ممارساتهم وأفعالهم المبنيّة على هذه الاعتقادات، وبالتالي الحكم عليها.

سابعاً: **لا مجال لفهم العقائد وتفسيرها، ودراسة الممارسات المترتبة عليها، إلا بدراسة المصادر الدينية والفكرية التي يستقي منها الناس اعتقاداتهم،** والغوص في أعماق كتبهم، والوقوف على النصوص التي يتعبّد بها الناس، ويقدّسونها ويعتبرونها دستورهم، فمن المصدر الديني وحده يمكن الحكم على اعتقادات الفرقة أو الملة أو الديانة، وبها يمكن إلزام الخصوم، وهي موضع النظر والتفكّر والتحليل لكل باحثٍ عن خلفيات الأديان، وتفاصيل الاعتقادات، لدى أهل هذه الأديان والملل.

ثامناً: كلّ دعاوى الحق الديني والتاريخي **لليهود أو النصارى** في فلسطين، هي دعاوى ساقطة باطلة، ولا سند لها في دينٍ أو تاريخ، **والمسلمون هم أصحاب الحقّ الديني والتاريخي في هذه الأرض**، ولا يجوز لهم أو لأحدهم أن يتنازل عن هذا الحق أو ينكره أو يتهاون فيه، بل وجب على المسلمين وجوباً شرعياً أن يحموا هذا الحق بالجهاد والقتال حتى يستردّوا أرض فلسطين من أية قوة غازية لها، وإن قصّروا في ذلك فهم آثمون تاركون لتطبيق شرع الله ﷻ والتزام أمره.

ثانياً: التوصيات

وفي ختام هذا البحث المتواضع، فللباحث جملة من التوصيات، يوجزها في النقاط التالية:

1) ضرورة التركيز في التربية والتعليم لشباب الأمة الإسلامية – وخاصةً أجيال فلسطين الصاعدة – على إبراز حقيقة المعركة بين المسلمين وأعدائهم المغتصبين للأرض المقدّسة، وعدم الوقوع في وحل الثقافة السياسية المشوّهة، التي تختزل قضية فلسطين في نزاع على حدود عام 1967م، وتوحي بإمكانية التفاوض على أجزاء من أرض فلسطين، والاعتراف لليهود بحقّ السيادة على جزء منها، أو التعايش، والسلام، وحل الدولتين، وغيرها من الشعارات الدخيلة الخطيرة.

2) أوصي طلبة العلم والباحثين، المتخصصين في العقيدة والمذاهب والأديان، بمزيد من البحث في النصوص المقدّسة عند اليهود والنصارى، فهي أرضٌ خصبةٌ للبحث والاحتجاج ضدّ مقدِّسيها؛ بما تحتويه من تناقضات ومخالفات للعلم والعقل والشرائع، وفي تقديري، فإنّ ثمّة عدداً من الموضوعات التي تحتاج إلى دراسة وبحث، وقفت عليها أثناء هذا البحث، **ومن أهمّها:**

أ. مواضع التحريف في القصص المتشابه بين القرآن والعهد القديم.

ب. التناقضات والاختلافات في مواضع التكرار للأخبار في العهد القديم.

ت. مواطن التباين والتشابه في مفهوم الربوبية والألوهية بين العهد القديم والعهد الجديد.

ث. التنافر والتناقض بين الأناجيل الأربعة وبين بقية أسفار العهد الجديد.

3) وجوب العمل بكلّ الإمكانات على امتلاك الإعلام المؤثر من قبل الحريصين على قضية فلسطين، من جماعات، وجمعيات، وأحزاب، وهيئات، ورجال أعمال، وغير ذلك، وكذا استغلال

وسائل الإعلام القائمة، في سبيل نشر حقيقة الصراع على أرض فلسطين، والحرص على تدعيم هذه الحقيقة بما يناسبها من مصطلحاتٍ ومخرجاتٍ إعلامية، وأن لا تترك الساحة بحالٍ للعابثين المفرّطين بالأرض والقضية؛ وذلك لِما أثبته العصر الحديث من أهمّية بالغة للإعلام ووسائطه المختلفة؛ كالفضائيات، والإذاعات، وشبكة الإنترنت، والصحف، والمجلات، والوسائط الذكيّة، وغيرها.

4) أهمية اضطلاع الدعاة والخطباء بالدور المنوط بهم في تبصير الناس بحقيقة الصراع التاريخي الدائر على أرض فلسطين، وهذا الدور المنوط بالخطباء والدعاة وطلبة العلم لا بد أن يكون مسبوقاً بتحصين الدعاة والخطباء (بالثقافة العقائدية والسياسية) المتعلقة بأرض فلسطين؛ ليتمكّنوا من نقل هذا الفهم الدقيق إلى عامّة الناس بالطريقة المناسبة، تصحيحاً للثقافات الوافدة عبر الإعلام المضلِّل، الذي يغزو بيوت المسلمين باستمرار على مدار الأيام.

5) ضرورة أنْ يتحمّل السياسيون، والمثقّفون الحريصون، والصحفيون المخلصون، والمتحدّثون باسم حركات الجهاد والمقاومة، والمعلّمون، وجميع أصحاب الرسالة النبيلة، أن يتحمّلوا جميعاً مسئولياتهم في الخطاب السياسي والإعلامي والتربوي المنسجم مع إرث المسلمين وتاريخهم وحقّهم في هذه الأرض، وأن يجتهدوا في بيان موقف الإسلام والمسلمين، والعرب والفلسطينيين، في قضية فلسطين، انطلاقاً من مفهومهم السليم المتين حول طبيعة الصراع، وهذا يستدعي – في فهم الباحث– الابتعاد عن تقزيم القضية الفلسطينية، ودراسة التاريخ الصحيح الموثوق، والحذر من المصطلحات الغريبة عن مفاهيم وثقافات المسلمين، والتي تغزو عالم اليوم، وينساق وراءها بعض المخلصين للأسف.

هذه أهم النتائج وأبرز التوصيات التي توصلت إليها في هذا البحث المتواضع، واللهَ أسأل أن يعلمني ما ينفعني، وينفعني بما علمني، وأن يزيدني علماً وعملاً، إنّه سميع قريب مجيب الدعاء، ومع ما بذلت من جهد ومشقة كبيرين في إعداد هذا البحث، إلا أنني أعترف أنّ هذا الجهد لا يعطي الموضوع حقّه تماماً، فخيره كله من الله ﷻ ، لأنّ الكمال المطلق لله وحده، وشرّه وخطؤه من نفسي والشيطان، والنقص من صفات خلقه.

أحمد الله العظيم أن وفقني لإنجاز هذا البحث، الذي تكبدت فيه قدراً غير يسير من العناء والجهد، لكنه جهد المقل، وبضاعة الطالب المبتدئ، لا ادّعاء لي فيه بفضل إلا بتوفيق ربي ﷻ، فله الحمد والشكر كثيراً أولاً وأخيراً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلي اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباحث: حذيفة سمير الكحلوت

الفهارس

أولاً: **فهرس الآيات القرآنية**

ثانياً: **فهرس الأحاديث النبوية**

ثالثاً: **فهرس الأعلام**

رابعاً: **فهرس الأماكن**

خامساً: **فهرس الفِرق والمصطلحات**

سادساً: **فهرس المصادر والمراجع**

سابعاً: **فهرس الموضوعات**

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

م	اسم السورة / نص الآيـة	رقم الآية	الصفحة
	سورة الفاتحة		
1	﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾	7	184
	سورة البقرة		
2	﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ . . .﴾	23	465
3	﴿ونحن نُسَبِّحُ بحمدك ونُقَدّس لك﴾	30	10،5
4	﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ . . .﴾	49	32
5	﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾	50	32
6	﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾	51	107
7	﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ . . .﴾	58	34
8	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ . . .﴾	62	22
9	﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ . . .﴾	75	115،103
10	﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ . .﴾	79	116
11	﴿أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ . . .﴾	87	322
12	﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾	253، 87	9
13	﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ . . .﴾	112	20
14	﴿وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾	116	470
15	﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا . . .﴾	128	487
16	﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا . . .﴾	136-130	486
17	﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	131	486،21
18	﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي . . .﴾	133	486،31

19	﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطَ كَانُواْ هُوداً . . . ﴾	140	487
20	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ . . . ﴾	143	513
21	﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾	144، 150	514
22	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾	176	468
23	﴿ وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ ﴾	190	559
24	﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ . . . ﴾	193	559
25	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا . . . ﴾	246-247	36
26	﴿ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ . . . ﴾	251	186
27	﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾	256	545
28	﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ . . ﴾	285	483
	سورة آل عمران		
29	﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ مِن قَبْلُ . . . ﴾	2-3	117، 319
30	﴿ شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ . . . ﴾	18-19	20
31	﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ . . . ﴾	19	469
32	﴿ قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾	32	476
33	﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ﴾	48	319
34	﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ . . . ﴾	52	322، 488
35	﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّورَاةُ وَالإنجِيلُ إِلاَّ مِن . . ﴾	65-68	485
36	﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً . . . ﴾	67	28، 134، 486
37	﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	68	473، 486، 487
38	﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	71	335
39	﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾	85	20
40	﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ . . ﴾	93	28

41	﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين﴾	96	502،80
42	﴿ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾	135	353
43	﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته . . .﴾	164	478
44	﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا . . .﴾	181	187
45	﴿فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا . . .﴾	195	558
	سورة النساء		
46	﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه﴾	46	115
47	﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم . . .﴾	59	476
48	﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله﴾	64	477
49	﴿فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله . . .﴾	74	559
50	﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان . .﴾	75	559
51	﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا﴾	80	476
52	﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾	82	464
53	﴿فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين . . .﴾	84	559
54	﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله . . .﴾	95	557
55	﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه . . .﴾	158-157	365
56	﴿. . . ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه . . .﴾	171	470
	سورة المائدة		
57	﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت . . .﴾	3	20
58	﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم . . .﴾	13	115،84
59	﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾	17	356
60	﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم . .﴾	18	470،138
61	﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم﴾	19	23

62	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ . .﴾	20-26	33
63	﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا . . .﴾	21	9، 502، 511
64	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	35	558
65	﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾	41	186
66	﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ . . .﴾	43-44	84
67	﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ . . .﴾	46	319
68	﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾	47	51
69	﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ . . .﴾	48	468
70	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ . .﴾	54	560
71	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾	64	187
72	﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ . . .﴾	64	244
73	﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ . . .﴾	67	477
74	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ . . .﴾	68	342
75	﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ . . .﴾	69	22
76	﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾	82	187، 244
77	﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾	99	477
78	﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ . . .﴾	110	10، 500
	سورة الأنعام		
79	﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ . . .﴾	6	473
80	﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾	92	505
81	﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً . . .﴾	114	466
82	﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ . .﴾	133	472
83	﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	155	505

84	﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾	164	353
85	﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ . . .﴾	165	474
	سورة الأعراف		
86	﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ . .﴾	74	474
87	﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ . . .﴾	96	504،17
88	﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ . . .﴾	100	474
89	﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ . . .﴾	103	32
90	﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾	126	488
91	﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ . . .﴾	127	32
92	﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾	128	471 ،186 ،57، 17
93	﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ . . .﴾	129	472
94	﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا . . .﴾	137	511 ،502
95	﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ . . .﴾	138	108
96	﴿إنا هدنا إليك﴾	156	24
97	﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ . . .﴾	157	479
98	﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	157	503 ،479
99	﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾	167	523
	سورة الأنفال		
100	﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ . . .﴾	60	560
101	﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ . . .﴾	66-65	253
102	﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ . .﴾	74	558
	سورة التوبة		
103	﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ . . .﴾	13	559

104	﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ . . .﴾	19	558
105	﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً . .﴾	20	559
106	﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ . . .﴾	24	560
107	﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾	30	187
108	﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ . . .﴾	31	91
109	﴿انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . . .﴾	41	558
110	﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . .﴾	111	559
	سورة يونس		
111	﴿أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾	2	532
112	﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾	14	474
113	﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ . . .﴾	37	464
114	﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ . . .﴾	38	466
115	﴿قَالُواْ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾	68	470
116	﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ . . .﴾	72	485
117	﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾	84	488
	سورة هود		
118	﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً﴾	17	117
119	﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ . . .﴾	48	17، 503
120	﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾	49	186
121	﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْماً . . .﴾	57	473
122	﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ . . .﴾	61	472
123	﴿قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ . . .﴾	73	503
124	﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ . . .﴾	123	167

	سورة يوسف		
125	﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ ﴾	100	31
126	﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾	101	21
	سورة إبراهيم		
127	﴿ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾	1	493
128	﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾	14	474
129	﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا . . . ﴾	37	75
	سورة الحجر		
130	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾	9	465
	سورة النحل		
131	﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	44	477
132	﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً . . . ﴾	64	467
133	﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾	89	466
134	﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾	102	500
	سورة الإسراء		
135	﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى . . . ﴾	1	16، 503، 509
136	﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ . . . ﴾	4-7	521
137	﴿ مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ . . ﴾	15	135
138	﴿ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾	55	37
139	﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	76	475
140	﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ . . . ﴾	88	465
	سورة الكهف		
141	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾	1	467

	سورة مريم		
142	﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً ﴾	17	501
143	﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ ﴾	31	17
144	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾	40	471
145	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ . . . ﴾	58	28
146	﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً ﴾	59	473
147	﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً ﴾	64	167
	سورة طه		
148	﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾	12	503،10
	سورة الأنبياء		
149	﴿ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾	50	505
150	﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾	71	511
151	﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا . . . ﴾	81	512
152	﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾	91	372
153	﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾	96	528
154	﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾	105	513،473
	سورة الحجّ		
155	﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾	39	559
156	﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ . . ﴾	41	472
157	﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ . . . ﴾	78	558
	سورة المؤمنون		
158	﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكاً وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾	29	504
159	﴿ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾	85-84	470

سورة النور			
160	﴿ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ﴾	35	17
161	﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ . . . ﴾	55	538،472
162	﴿ فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾	61	504
163	﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	63	477
سورة الفرقان			
164	﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ﴾	1	16
سورة الشعراء			
165	﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴾	193	501
166	﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾	195	12
سورة النمل			
167	﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾	6	465
168	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ . . ﴾	15	37
169	﴿ . . . بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾	31-30	488
170	﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾	52	186
171	﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ . . . ﴾	62	472
سورة العنكبوت			
172	﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾	69	558
سورة الروم			
173	﴿ الم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . . . ﴾	6-1	55
سورة السجدة			
174	﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	2	465
سورة الأحزاب			
175	﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾	6	477

176	﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾	23	540
177	﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ . . .﴾	36	503
178	﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ . . .﴾	40	476
سورة سبأ			
179	﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً﴾	18	512،503
سورة الصافات			
180	﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾	113	503
سورة ص			
181	﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾	17	37
182	﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾	29	505
183	﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾	30	37
سورة الزمر			
184	﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾	28	467
سورة فصلت			
185	﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٍ . . .﴾	10	503
186	﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾	42	467،117
سورة الدخان			
187	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾	3	505
188	﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ . . .﴾	28-25	474
سورة محمد ﷺ			
189	﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾	31	559
190	﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾	38	473
سورة الفتح			
191	﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾	9	503

192	﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ . . .﴾	29	335
	سورة الحجرات		
193	﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾	13	186
194	﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾	14	21
195	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ . . .﴾	15	558
	سورة ق		
196	﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾	9	504
197	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾	38	154
	سورة الذاريات		
198	﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾	36	488
	سورة النجم		
199	﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى* وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾	4-2	79
200	﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى* وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى* أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى . . .﴾	23-19	77
201	﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ* وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ* وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾	61-59	79
202	﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾	62	79
	سورة القمر		
203	﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾	17	467
	سورة الواقعة		
204	﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ* وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ* إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ . . .﴾	80-75	505
	سورة الحديد		
205	﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ . . .﴾	7	472
	سورة الحشر		
206	﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾	2	529
207	﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ . . .﴾	6	550

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية

26	(عَلَيكُم بِالجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ فإنَّهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، يُذهِبُ اللهُ بِهِ الهَمَّ وَالغَمَّ)	561
27	(فَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ عَنْ طَعَامِكُمْ، اجْتَمِعُوا عَلَيْهِ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ يُبَارَكْ لَكُمْ)	17
28	(... فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ ...)	527
29	(قَالَ: لَا أَجِدُهُ، قَالَ: هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ؛ فَتَقُومَ ...)	561
30	(كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نُؤَلِّفُ الْقُرْآنَ مِنْ الرِّقَاعِ فَقَالَ ﷺ: "طُوبَى لِلشَّامِ ...)	518
31	(لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ، يَرْفَعُ اللَّهُ قُلُوبَ أَقْوَامٍ ...)	519
32	(لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِى يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قال ...)	528
33	(لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ ...)	515
34	(لا تُعْمَلُ الْمَطِيُّ إلا إِلَى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ: إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَإِلَى مَسْجِدِي ...)	515
35	(لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ المسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمسْلِمُونَ، حَتَّى...)	524
36	(لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالأَعْمَاقِ أَوْ بِدَابِقَ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ ...)	526
37	(لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ) يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا	79
38	(لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ ...)	510
39	(مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ – وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ– كَمَثَلِ ...)	561
40	(مَنْ أُغْبِرَتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَرَّمَهَا اللَّهُ عَلَى النَّارِ)	535
41	(مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ فُوَاقَ نَاقَةٍ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، ...)	562
42	(مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللهَ عَزَّ وَجَلّ)	ث
43	(مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ ...)	561
44	(مَوْقِفُ سَاعَةٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ عِنْدَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ)	562
45	(نهى رسول الله ﷺ أن يسافَر بالقرآن إلى أرض العدوّ؛ مخافة أن يناله العدو)	505
46	(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرَ ...)	528
47	(.. وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ،...)	529
48	(يَا أَبَا سَعِيدٍ، مَنْ رَضِىَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلاَمِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ...)	562
49	(يُحْشَرُ النَّاسُ على ثَلَاث طرائِقَ، راغِبِينَ وراهِبِينَ، واثْنان على بَعيرٍ، وثَلاثَةٌ ...)	530

ثالثاً: فهرس الأعلام

52.	ثيوداس	299
53.	ثيودور هرتزل	46
54.	جورج بوش الابن	169
55.	جوستاف لوبون	194
56.	جولدا مائير	189
57.	جوليان	53
58.	جيري فولويل	454
59.	الحاكم العبيدي	73
60.	حاييم وايزمن	232
61.	الحرالي	13
62.	حزقيا	258
63.	حزقيال	151
64.	الحسين بن الفضل	16
65.	حلقيا	120
66.	الخليل	8
67.	دانيال	153
68.	داود الرائي	300
69.	ديفيد بن جوريون	47
70.	راشي	289
71.	الراغب	15
72.	رجاء جارودي	222
73.	رحبعام	38
74.	رمسيس الثاني	32
75.	رونالد ريغان	441
76.	ريمون تولوز	427
77.	الزجّاج	5
78.	زلمان ملميد باروخ	167
79.	سرجون الثاني	25

80.	سفيان بن عيينة	465
81.	السلطان عبد الحميد الثاني	45
82.	سمسون هيرش	202
83.	سمعان	324
84.	السمعاني	511
85.	السموأل	110
86.	سنحاريب	522
87.	سيجموند فرويد	245
88.	سيد قطب	471
89.	سيرجي نيلوس	98
90.	سيسل روديس	217
91.	الشافعي	466
92.	شاهين مكاريوس	42
93.	شاؤول	36
94.	شبتاي زيفي	300
95.	شرحبيل بن حسنة	534
96.	شمعون	35
97.	الشهرستاني	22
98.	الشيرازي	74
99.	الصالح إسماعيل	60
100.	صلاح الدين الأيوبي	58
101.	صموئيل	35
102.	صموئيل لانداو	232
103.	صموئيل موهيليفر	231
104.	الضحاك	13
105.	الظاهر بيبرس	61
106.	عاموس	152
107.	عبد العزيز بن باز	574

رابعًا: فهرس الأماكن

.52	حوريب	169
.53	حيفا	48
.54	خلقيدونية	316
.55	خوارزم	70
.56	خيبر	550
.57	دابق	526
.58	داثن	536
.59	دمشق	6
.60	ربلة	173
.61	الرملة	541
.62	روما	54
.63	زفرون	172
.64	سجستان	70
.65	سيناء	33
.66	شفام	172
.67	شكيم	38
.68	شيراز	74
.69	شيزر	7
.70	صدد	172
.71	صفد	286
.72	الصين	70
.73	طور زيتا	402
.74	طوس	70
.75	العربة	536
.76	عصمون	172
.77	عقبة عقربيم	171
.78	عكا	61
.79	عين	173
.80	غزة	40
.81	غوش عتصيون	266
.82	الفاتيكان	435
.83	فارس	70
.84	الفرات	27
.85	قاديش برنيع	172
.86	القسطنطينية	315
.87	قيسارية	61
.88	كربلاء	72
.89	كشمير	71
.90	كنعان	27
.91	كنيسة الجيسمانية	402
.92	كنيسة بيت لحم	402
.93	لوكسمبورغ	452
.94	مدخل حماة	172
.95	مديان	237
.96	معلولا	73
.97	موآب	160
.98	مؤتة	494
.99	مونتريال	201
.100	الناصرة	50
.101	نهر العاصي	7
.102	نهر الغانغ	71
.103	نيقية	314
.104	الهيمالايا	71
.105	يافا	61
.106	الياقوصة	537
.107	اليرموك	56

خامساً: فهرس الفِرق والمصطلحات

سادساً: فهرس المصادر والمراجع

✓ **القرآن الكريم ...**

أولاً: الكتب المطبوعة:

1. أبحاث في اليهودية والصهيونية، د. أحمد سوسة، دار الأمل/الأردن، الطبعة الأولى، 2003م.

2. أحداث النهاية ونهاية العالم، الشيخ محمد حسان، مكتبة فياض/مصر، الطبعة الأولى، 1428هـ/2007م.

3. أحكام الجهاد وفضائله، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، تحقيق: نزيه كمال حماد، مكتبة دار الوفاء/جدة، الطبعة الأولى، 140هـ/1986م.

4. الأحكام السلطانية والولايات الدينية، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة/الكويت، الطبعة الأولى،1409هـ/1989م.

5. الأحكام السلطانية، القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية/بيروت، الطبعة الثانية، 1421هـ/2000م.

6. الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الأندلسي، مطبعة العاصمة/القاهرة، ط (بدون)، (بدون تاريخ).

7. اختلافات في تراجم الكتاب المقدّس، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة/ القاهرة، ط(بدون)، (بدون تاريخ).

8. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: علي البجاوي، دار الجيل/بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ.

9. إسرائيل فتنة الأجيال- العصور الحديثة، إبراهيم خليل أحمد، مكتبة الوعد العربي/مصر، الطبعة الأولى، 1390هـ/1970م.

10. إسرائيل فتنة الأجيال- العصور القديمة، إبراهيم خليل أحمد، مكتبة الوعي العربي/مصر، الطبعة الأولى، 1969م.

11. إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، أبكار السقاف، مكتبة مدبولي/القاهرة، الطبعة الثانية، 1997م.

12. الأسفار المقدّسة في الأديان السابقة للإسلام، د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر/القاهرة، الطبعة الأولى، 1384هـ/1964م .

13. الأسماء والصفات، البيهقي أحمد بن الحسين أبو بكر، تحقيق : عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي/ جدة، الطبعة الأولى، (بدون تاريخ) .

14. أصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني، دار التعارف/بيروت، ط(بدون)، 1411هـ/1990م.

15. الأصولية اليهودية في إسرائيل، إسرائيل شاحاك و نورتون ميزفينسكي، ترجمة: ناصر عفيفي، مكتبة الشروق الدولية/ القاهرة، الطبعة الثانية، 2004م.

16. إظهار الحق، محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي ، دراسة وتحقيق وتعليق: د. محمد أحمد ملكاوي، نشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد/الرياض، الطبعة الأولى، 1410هـ/1989م.

17. اعترافات جولدا مائير، ترجمة: عزيز عزمي، دار التعاون/مصر، الطبعة الأولى، 1979م،

18. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين/بيروت، الطبعة الخامسة عشر، 2002م .

19. إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل، السموأل بي يحيى المغربي، تحقيق: د. محمد الشرقاوي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد/الرياض، الطبعة الثانية،1407هـ/1987م.

20. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد/المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1418هـ.

21. الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: أبو أنس سيد بن رجب، دار الهدى- دار الفضيلة/ مصر -السعودية، الطبعة الأولى، 1428هـ/2007م.

22. الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: أبو أنس سيد بن رجب، دار الهدى- دار الفضيلة/ مصر -السعودية، الطبعة الأولى، 1428هـ/2007م.

23. الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، مجير الدين الحنبلي العليمي، تحقيق: عدنان نباتة، مكتبة دنديس/عمان، 1420هـ/1999م.

24. أهداف إسرائيل التوسعية في البلاد العربية، محمود شيت خطّاب، دار الاعتصام/القاهرة، الطبعة الثالثة، 1390هـ /1970م.

25. البابية عرض ونقد، إحسان إلهي ظهير، دار ترجمان السنة/باكستان، الطبعة الثالثة، 1981/1401م.

26. البحث عن السراب.. الحفريات تحت المسجد الأقصى ومحيطه، إعداد: عبد الله ابحيص، ترجمة: مريم عيتاني، مؤسسة القدس الدولية/ بيروت، الطبعة الأولى، أغسطس 2012م.

27. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر/الجيزة، الطبعة الأولى، 1417هـ/1997م.

28. بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي/بيروت، ط(بدون)، (بدون تاريخ) .

29. البروتوكولات واليهودية والصهيونية، د. عبد الوهاب المسيري، دار الشروق/ القاهرة، الطبعة الثالثة، 2003م.

30. بلادنا فلسطين، مصطفى الدباغ، دار الهدى/ كفر قرع- فلسطين المحتلة، ط(بدون)، 1991م.

31. البلدانيات، الإمام الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: حسام القطان، دار العطاء/السعودية، الطبعة الأولى، 1422هـ/2001م .

32. بنو إسرائيل في القرآن والسنة، د. محمد سيد طنطاوي، الزهراء/مصر، الطبعة الأولى، 1407هـ/1987م.

33. بنو إسرائيل، محمد بيومي مهران، دار المعرفة الجامعية/مصر، الطبعة الأولى، 1999م.

34. بولس وتحريف المسيحية، هيم ماكبي، ترجمة: سميرة عزمي الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، الطبعة الثانية، 1991م.

35. بين الإسلام والمسيحية، أبي عبيدة الخزرجي، تحقيق: د. محمد شامة، مكتبة وهبة/ القاهرة، الطبعة الثانية، 1395هـ/1975م.

36. تأثّر المسيحية بالأديان الوضعية، د. أحمد علي عجيبة، دار الآفاق العربية/القاهرة، الطبعة الأولى، 2006م.

37. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، دار الهداية/الرياض، ط(بدون)، (بدون تاريخ) .

38. تاريخ الإسرائيليين، شاهين مكاريوس، مطبعة المقتطف/القاهرة، الطبعة الأولى، 1904م.

39. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي/ بيروت، الطبعة الأولى، 1407هـ/1987م.

40. تاريخ الخلفاء، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة/مصر، الطبعة الأولى، 1371هـ/1952م.

41. تاريخ الدولة العلية العثمانية، محمد فريد بك، دار النفائس/بيروت، الطبعة الأولى، 1401هـ/1981م.

42. تاريخ الديانة اليهودية، د. محمد خليفة حسن أحمد، دار قباء/ القاهرة، الطبعة الأولى، 1998م.

43. تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة الأولى، 1407هـ.

44. تاريخ القدس المعروف بتاريخ أورشليم، خليل سركيس، مكتبة الثقافة الدينية/بور سعيد، الطبعة الأولى، 1421هـ/2001م.

45. تاريخ القدس، عارف باشا العارف، دار المعارف/ القاهرة، الطبعة الثانية، 1951م.

46. تاريخ الكتاب المقدّس، كارين أرمسترونج، ترجمة: د. محمد صفار، مكتبة الشروق الدولية/ القاهرة، الطبعة الأولى، 1431هـ/2010م.

47. تاريخ المسيحية الشرقية، عزيز سوريل عطية، ترجمة: إسحاق عبيد، المجلس الأعلى للثقافة/مصر، الطبعة الأولى، 2005م.

48. تاريخ اليهود وآثارهم في مصر، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي، دراسة وتحقيق: د. عبد المجيد دياب، دار الفضيلة/القاهرة، ط(بدون)، (بدون تاريخ) .

49. التاريخ اليهودي العام، صابر طعيمة، دار الجيل/بيروت، الطبعة الثالثة، 1411هـ/1991م.

50. تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، محمد عزة دروزة، مطابع الإعلانات الشرقية/مصر، الطبعة الأولى، (بدون تاريخ) .

51. تاريخ فلسطين الحديث، د. عبد الوهاب الكيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر/بيروت، الطبعة العاشرة، 1990م.

52. تاريخ فلسطين القديم منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي، ظفر الإسلام خان، دار النفائس/ بيروت، الطبعة الثالثة، 1401هـ/1981م.

53. تاريخ فلسطين، عمر البرغوثي وَ خليل طوطح، مكتبة الثقافة الدينية/مصر، الطبعة الأولى، 2001م.

54. تاريخ وعقائد الكتاب المقدّس بين إشكالية التقنين والتقديس، د. يوسف الكلّام، دار صفحات/ دمشق، الطبعة الأولى، 2009م.

55. تثبيت دلائل النبوة، القاضي عبد الجبار، دار المصطفى/القاهرة، الطبعة الأولى، 1386هـ/1966م.

56. التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة، د. سارة العبّادي، دار طيبة الخضراء/مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1424هـ/2003م.

57. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلاء محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، تحقيق: عبد الوهاب بن عبد اللطيف، المكتبة السلفية/المدينة المنورة، الطبعة الثانية، 1383هـ/1963م.

58. تخريج أحاديث فضائل الشام لأبي الحسن علي بن محمد الربعي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف/الرياض، الطبعة الأولى، 1420هـ/2000م.

59. تذكير النفس بحديث القدس "واقدساه"، د. سيد حسين العفاني، دار العفاني/القاهرة، الطبعة الأولى، 1421هـ/2001م.

60. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق : إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي/ بيروت، الطبعة الأولى، 1405هـ.

61. تفسير الشعراوي–الخواطر، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم/القاهرة، ط(بدون)، 1997م.

62. تفسير القرآن "اختصار النكت للماوردي"، الإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي، تحقيق: عبد الله الوهبي، دار ابن حزم/ بيروت، الطبعة الأولى، 1416هـ/1996م.

63. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: محمود حسن، دار الفكر/ بيروت، ط (بدون)، 1414هـ/1994م.

64. تفسير القرآن، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وَ غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن/الرياض، الطبعة الأولى، 1418هـ/1997م.

65. التفسير الكبير أو (مفاتيح الغيب)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين القرشي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية/بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ/2000م.

66. تفسير النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، تحقيق: مروان محمد الشعار، دار النفائس/بيروت، 2005م.

67. التقرير الاستراتيجي الفلسطيني لعام 2011م، تحرير: د. محسن صالح، مركز الزيتونة للدراسات/بيروت، الطبعة الأولى، 1433هـ/2012م.

68. تقرير الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، المستعمرات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية، التقرير الإحصائي السنوي، إعداد: محمد المصري، مطبوعات الجهاز المركزي للإحصاء/ رام الله، 1433هـ/2011م.

69. تقرير حال القدس"3"، خلال الفترة من يوليو حتى سبتمبر 2012م، براءة درزي، دراسة، مؤسسة القدس الدولية/لبنان، الطبعة الأولى، 2012م.

70. تكملة معجم المؤلفين، محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف، دار ابن حزم/بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ/1997م .

71. التلمود تاريخه وتعاليمه، ظفر الإسلام خان، دار النفائس/بيروت، الطبعة الثامنة، 1423هـ/2002م.

72. التلمود شريعة بني إسرائيل حقائق ووقائع، محمد صبري، مكتبة مدبولي/ القاهرة، الطبعة الأولى، 2011م.

73. التلمود كتاب اليهود المقدّس، أحمد ايبش، دار قتيبة/دمشق، الطبعة الأولى، 2006م.

74. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية/ لبنان، ط(بدون)، (بدون تاريخ) .

75. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري الهروي، تحقيق: عبد السلام هارون وآخرون، الدار المصرية/القاهرة، الطبعة الأولى، 1384هـ/1964م.

76. توجيه النظر إلى أصول الأثر، طاهر بن صالح بن السمعوني الجزائري، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية/ حلب، الطبعة الأولى، 1416هـ/1995م.

77. التوراة السامرية، النص الكامل للتوراة السامرية باللغة العربية، ترجمة الكاهن السامري: أبو الحسن إسحاق الصّوري، نشر وتقديم: د. أحمد جازي السقا، دار الأنصار/مصر، الطبعة الأولى، 1398هـ/1978م.

78. التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها، د. إسرائيل فنكلشتاين وَ نيل اشر سيلبرمان، ترجمة: سعد رستم، دار صفحات للدراسة والنشر، ط (بدون)، (بدون تاريخ) .

79. التوراة تاريخها وغاياتها، ترجمة وتعليق: سهيل ديب، دار النفائس/بيروت، الطبعة الأولى، 1397هـ/1977م.

80. التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، موريس بوكاي، ترجمة: الشيخ حسن خالد، المكتب الإسلامي/بيروت، الطبعة الثالثة، 1411هـ/1990م.

81. جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، دار البيان/الكويت، الطبعة الأولى، 1389هـ/1969م.

82. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة/بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ/2000م.

83. الجامع لأحكام القرآن، شمس الدين القرطبي، تحقيق: هشام البخاري- دار عالم الكتب، الرياض، ط(بدون)، 1423هـ/2003م.

84. الجدار العازل في الضفة الغربية، إعداد: حسن ابحيص و خالد عايد، تحرير: د. محسن صالح، مركز الزيتونة للدراسات/ بيروت، الطبعة الأولى، 1431هـ/2010م.

85. جدار الفصل العنصري حول مدينة القدس الدوافع والآثار السياسية، دراسة، د. صالح الرقب، مقدم لـ: مركز القدس للبحوث والدراسات/ غزة، ط(بدون)، 1431هـ/2010م.

86. جدار الفصل العنصري: حقائق وأرقام، د. صقر الجبالي، مركز المعلومات الوطني الفلسطيني/ تقارير ودراسات، رابط: www.wafainfo.ps/atemplate.aspx?id=4981 .

87. جذور الاستعمار الصهيوني بفلسطين، علي المحجوبي، دار سراس للنشر/تونس، الطبعة الأولى، 1990م.

88. جمان من فضة- قاموس أعلام الكتاب المقدّس، مكرم مشرقي، مكتبة الأخوة/مصر، الطبعة الأولى، 2000م.

89. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، 2011م ، كتاب القدس الإحصائي السنوي "رقم 13"، رام الله/فلسطين، ط(بدون) .

90. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: علي سيد صبح المدني، دار العاصمة/الرياض، الطبعة الثانية، 1419هـ/1999م.

91. جولة في عصر الخلفاء الراشدين، د. محمد السيد الوكيل، دار المجتمع/جدة، الطبعة الخامسة، 1416هـ/1995م.

92. حاشية رد المختار على الدر المختار، ابن عابدين، دار الفكر/بيروت، الطبعة الثانية، 1412هـ/1992م.

93. الحرب بين الكنائس الأمريكية والعربية (تقرير مجلس كنائس الشرق الأوسط عن الحركات الإنجيلية الغربية الجديدة حيال الشرق الأوسط)، دار الوحدة/ بيروت، الطبعة الأولى، 1988م.

94. حرب صليبية بكل المقاييس، د. زينب عبد العزيز، دار الكتاب العربي/دمشق- القاهرة، الطبعة الأولى، 2003م.

95. الحركات الباطنية في العالم الإسلامي- عقائدها وحكم الإسلام فيها، د. محمد أحمد الخطيب، مكتبة الأقصى/عمان، الطبعة الثانية، 1406هـ/1986م .

96. الحركة الصهيونية طبيعتها وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي، د. محمد خليفة حسن، دار المعارف/القاهرة، الطبعة الأولى، 1981م.

97. الحروب الصليبية هل انتهت؟، عبد الوهاب زيتون، دار المعرفة/دمشق، الطبعة الأولى، 1412هـ/1992م.

98. الحقائق الأربعون في القضية الفلسطينية، د. محسن محمد صالح، تقديم: د. محمد عمارة، الطبعة المنقحة (بدون رقم)، 2003م.

99. حول موثوقية الأناجيل، محمد السعدي، جمعية الدعوة الإسلامية/ طرابلس الغرب، الطبعة الأولى، 1985م.

100. حياة المسيح، عباس محمود العقاد، دار نهضة مصر/القاهرة، الطبعة الأولى، 1996م.

101. حياة بن جوريون السياسية، موريس إديلمان، ترجمة: علي رمضان فاضل، مكتبة النافذة/ مصر، الطبعة الأولى، 2009م.

102. الخراج وصناعة الكتابة، قدامة بن جعفر، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد/بغداد، الطبعة الأولى، 1981م.

103. الخراج، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد وَ سعد حسن محمد، المكتبة الأزهرية للتراث/ مصر، ط (بدون)، (بدون تاريخ) .

104. الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة: محمد خليفة التونسي، تقديم: عباس العقاد، دار الكتاب العربي/بيروت، الطبعة الثانية،(بدون تاريخ) .

105. خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، عبد الله التل، دار القلم/بيروت، الطبعة الأولى، 1384هـ/ 1964م.

106. خلفية عن الجدار الفاصل، بتسيلم - مركز المعلومات (الإسرائيلي) لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة، تحت رابط: http://www.btselem.org/arabic/separation_barrier.

107. داود وسليمان في العهد القديم والقرآن، د. أحمد عيسى الأحمد، مطبعة حكومة الكويت/ الكويت، الطبعة الأولى، 1410هـ/1990م.

108. دراسات في الصهيونية وجذورها، سيد فرج راشد، دار المريخ/ الرياض، الطبعة الأولى، 1412هـ/1992م.

109. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية/صيدر أباد- الهند، الطبعة الأولى، 1392هـ/1972م.

110. دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري، دار الكتب العلمية/بيروت، الطبعة الأولى، 1421هـ/2000م.

111. دلائل تحريف الكتاب المقدّس، د. شريف سالم، الناشر (بدون)، الطبعة الأولى، 1426هـ/2005م.

112. الدم المقدّس والكأس المقدّسة، ميشيل بيجنت وَ هنري لنكولن وَ ريتشارد لي، ترجمة: محمد الواكد، دار الأوائل/ دمشق، الطبعة الثانية، 2008م.

113. الديانات والعقائد في مختلف العصور، أحمد عبد الغفور عطار، دار(بدون)/ مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1401هـ/1981م.

114. ذئاب في ثياب حملان، مختصر قصة الأصولية الأمريكية، إميل أمين، دار المريخ/القاهرة، الطبعة الأولى، 1427هـ/2006م.

115. رسالة في الأصولية البروتستانتية والسياسة الخارجية الأمريكية، سمير مرقس، مكتبة الشروق/القاهرة، الطبعة الأولى، 1422هـ/2001م.

116. رسالة في اللاهوت والسياسة، باروخ سبينيوزا، ترجمة: د. حسن حنفي، الهيئة العامة للكتاب/القاهرة، الطبعة الأولى، 1972م.

117. الرسالة، الإمام محمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي/مصر، الطبعة الأولى، 1358هـ/1940م.

118. الرسل والرسالات، د. عمر سليمان الأشقر، دار النفائس/ الأردن، الطبعة الأولى، 1429هـ/ 2008م.

119. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، دار إحياء التراث العربي/بيروت، ط(بدون)، (بدون تاريخ) .

120. الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحِميري، تحقيق: إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة/بيروت، الطبعة الثانية، 1980م.

121. زعماء صهيون، مجدي كامل، دار الكتاب العربي/ دمشق–القاهرة، الطبعة الأولى، 2008م.

122. السلسلة الصحيحة، ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف/الرياض، الطبعة الأولى، 1415هـ/1995م.

123. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى بن حسني السباعي، المكتب الإسلامي/ دمشق– بيروت، الطبعة الثالثة، 1402هـ/1982م.

124. **سنن الترمذي**، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وَ محمد فؤاد عبد الباقي وَ إبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي/ مصر، الطبعة الثانية، 1395هـ/1975م.

125. **سنن النسائي**، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، دار المعرفة/بيروت، الطبعة الخامسة، 1420هـ.

126. السياسة الصهيونية تجاه مدينة القدس، عدنان أبو عامر، مركز البيان للبحوث والدراسات/ الرياض، الطبعة الأولى، 1430هـ/2009م.

127. سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة/بيروت، الطبعة الثالثة، 1405هـ/1985م .

128. السيرة النبوية، عبد الملك ابن هشام المعافري، تحقيق: جمال ثابت وَ محمد محمود وَ سيد إبراهيم، دار الحديث/القاهرة، ط (بدون)، 1427هـ/2006م.

129. شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد/ السعودية، الطبعة الأولى، 1418هـ.

130. شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد/الرياض، الطبعة الثانية، 1423هـ/2003م.

131. شعب الإيمان، الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد/الرياض، الطبعة الأولى، 1423هـ/2003م.

132. الشيعة والتصحيح- الصراع بين الشيعة والتشيع، موسى الموسوي، الطبعة الأولى، 1408هـ/1988م.

133. صحيح ابن حبان، محمد بن حبان، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة/بيروت، الطبعة الثانية، 1414هـ/ 1993م.

134. صحيح البخاري، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، ترتيب وترقيم: د. محمد فؤاد عبد الباقي، شركة مكتبة ألفا/ مصر، الطبعة الأولى، 1429هـ/2008م.

135. صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)، الإمام الألباني، المكتب الإسلامي/ بيروت، الطبعة الثالثة، 1408هـ/1988م.

136. صحيح مسلم بشرح النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي/ بيروت، الطبعة الثانية، 1392م.

137. صحيح مسلم، الإمام الحافظ أبي الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار الفكر/ بيروت، الطبعة الأولى، 1424هـ/ 2003م.

138. الصليبيون الجدد الحملة الثامنة .. دراسة في أسباب التحيز الأمريكي والبريطاني (لإسرائيل)، يوسف العاصي الطويل، مكتبة مدبولي/القاهرة، الطبعة الأولى، 1997م .

139. الصليبيون في الشرق، ميخائيل زابوروف، ترجمة: الياس شاهين، دار التقدم/موسكو، الطبعة الأولى، 1986م .

140. الصهيونية العالمية والرد على الفكر الصهيوني المعاصر، د. محمود دياب، مطبوعات الشعب/ مصر، الطبعة الأولى، 1976م .

141. الصهيونية العالمية، عباس محمود العقاد، دار المعارف/مصر، ط(بدون)، 2001م.

142. الطريق إلى بيت المقدس، جمال عبد الهادي، دار الوفاء/ القاهرة، الطبعة الخامسة، 2001م .

143. عالم الملائكة الأبرار، د. عمر سليمان الأشقر، دار النفائس/ الأردن، الطبعة الأولى، 1429هـ/ 2008م .

144. العبر في خبر من غبر، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط (بدون)، (بدون تاريخ) .

145. العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة، العربي للإعلان والنشر والطباعة/ دمشق، الطبعة الثانية، 1973م .

146. العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، عبد الحميد بن باديس، تحقيق: محمد الصالح رمضان، دار الفتح/الشارقة، الطبعة الأولى، 1416هـ/1995م .

147. العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، محمد بن طاهر التنير البيروتي، تحقيق: د. محمد الشرقاوي، دار الصحوة/ القاهرة، الطبعة الأولى، 1408هـ/1988م .

148. عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين عرض ونقد، محمد بن علي آل عمر، مجلة البيان/ الرياض، الطبعة الأولى، 1424هـ/2003م .

149. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي/بيروت، ط (بدون)، (بدون تاريخ) .

150. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي، تحقيق: د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة/ بيروت، الطبعة الأولى، 1965م .

151. فتاوى الحاخامات رؤية موضوعية لجذور التطرف في المجتمع الإسرائيلي، د. منصور عبد الوهاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب/القاهرة، الطبعة الأولى، 2010م .

152. الفتاوى الكبرى، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: حمد عبدالقادر عطا- مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية/بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ/1987م .

153. فتاوى علماء المسلمين في حرمة التفريط بأرض فلسطين، د. سالم سلامة، رابطة علماء فلسطين/ غزة، الطبعة الأولى، 2007م .

154. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة/بيروت، الطبعة الأولى، 1379هـ .

155. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب النجدي الحنبلي، مكتبة الصفا/القاهرة، الطبعة الأولى، 1424هـ/2003م .

156. فتوح البلدان، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري، دار ومكتبة الهلال/ بيروت، ط(بدون)، 1988م .

157. فتوح الشام، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي، دار الكتب العلمية/بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ/1997م.

158. فتوى علماء المسلمين بتحريم التنازل عن أي جزء من فلسطين، جمع من العلماء، دار الفرقان/ عمّان، الطبعة الأولى، 1990م .

159. فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وموقف الإسلام منها، د. غالب بن علي عواجي، دار لينة للنشر والتوزيع/مصر، الطبعة الثالثة، 1418هـ/1997م .

160. الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، نهاد خياطة، دار الأوائل/ دمشق، ط (بدون)، (بدون تاريخ) .

161. الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، سعد رستم، دار الأوائل/دمشق، الطبعة الثانية، 2005م .

162. الفرق والمذاهب اليهودية منذ البدايات، عبد المجيد همو، دار الأوائل للنشر/ دمشق، الطبعة الثانية، 1425هـ/ 2004م .

163. الفروق بين التوراة السامرية والعبرانية في الألفاظ والمعاني، د. أحمد حجازي السقا، تقديم: أسعد سيد احمد، دار الأنصار/ مصر، الطبعة الأولى، 1398هـ/1978م .

164. الفصل في الملل والأهواء والنحل، الإمام أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري، تحقيق: د. محمد إبراهيم نصر وَ د. عبد الرحمن عميرة، دار الجيل/ بيروت، الطبعة الثانية، 1416هـ/1996م .

165. فضائل القدس، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: الدكتور جبرائيل سليمان جبور، دار الآفاق الجديدة/ بيروت، الطبعة الثانية، 1400هـ/1980م .

166. فقه الجهاد، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة/القاهرة، الطبعة الأولى، 1430هـ/2009م .

167. الفكر الديني الإسرائيلي أطواره ومذاهبه، د.حسن ظاظا، معهد البحوث والدراسات العربية/ جامعة الدول العربية، قسم البحوث والدراسات الفلسطينية، ط(بدون)، 1971م .

168. فلسطين .. القضية الشعب الحضارة، بيان نويهض الحوت، دار الاستقلال/ بيروت، الطبعة الأولى، 1991م .

169. فلسطين أرض الرسالات الإلهية، رجاء جارودي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار نهضة مصر/القاهرة ، الطبعة الثالثة، 2010م .

170. فلسطين التاريخ المصور، د. طارق سويدان، الإبداع الفكري/الكويت، الطبعة الخامسة، 1426هـ/2005م .

171. فلسطين بين الوعد الإلهي الحق والوعد اليهودي المفترى، د. صالح الرقب، الطبعة الأولى، 1418هـ/1998م .

172. في ظلال القرآن، الشيخ الشهيد سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق/بيروت– القاهرة، الطبعة السابعة عشر، 1412هـ .

173. في مقارنة الأديان .. بحوث ودراسات، د. محمد عبدالله الشرقاوي، دار الجيل/بيروت، الطبعة الثانية، 1410هـ/1990م .

174. قاموس الكتاب المقدّس، الموقع الرسمي لكنيسة الأنبا تكلاهيمانوت القبطية الأرثوذكسية/ مصر، رابط: http://st-takla.org .

175. قاموس الكتاب المقدّس، جورج بوست، المطبعة الأميركانية/بيروت، ط(بدون)، 1894م .

176. قبل الكارثة .. نذير ونفير، عبد العزيز بن مصطفى كامل، مركز البيان للبحوث والدراسات/ الرياض، الطبعة الأولى، 1421هـ/2000م .

177. القدس بين مخططات التهويد الصهيونية ومسيرة النضال والتصدي الفلسطينية، نواف الزرو، دار الخواجا/ الأردن، الطبعة الأولى، 1991م .

178. القدس دراسات فلسطينية إسلامية ومسيحية، جريس خوري وَ عدنان مسلّم وَ موسى درويش، مركز اللقاء للدراسات الدينية والتراثية/القدس، الطبعة الأولى، 1996م .

179. القدس عربية إسلامية، د. سيد فرج راشد، دار المريخ/الرياض، الطبعة الأولى، 1406هـ/1986م .

180. القدس مدينة الله أم مدينة داود، د. حسن ظاظا، مطبعة جامعة الإسكندرية/مصر، الطبعة الأولى، 1970م .

181. القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث، كارين أرمسترونج، ترجمة: د. فاطمة نصر وَ د. محمد عناني، دار سطور/ القاهرة، الطبعة الأولى، 1998م .

182. القرى المدمّرة في قضاء القدس، دراسة، أحمد الباش، تجمع العودة الفلسطيني (واجب)، قسم الأبحاث والدراسات، تحت رابط: www.wajeb.org .

183. قصة الحروب الصليبية، د. راغب السرجاني، مؤسسة اقرأ/القاهرة، الطبعة الثانية، 2009م.

184. قصة الحضارة، ويليام جيمس ديورَانت، ترجمة: د. زكي نجيب محمُود وآخرين، دار الجيل/ بيروت، ط(بدون)، 1408هـ/1988م .

185. قصص الأنبياء، الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير، دار ابن الجوزي/القاهرة، الطبعة الأولى، 1426هـ/2005م .

186. قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري- دار الكتاب اللبناني، الطبعة الثانية، 1402هـ/1982م .

187. قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، دار الكتب العلمية/بيروت، ط (بدون)، (بدون تاريخ) .

188. كارثة فلسطين- مذكرات عبد الله التل، دار الهدى، الطبعة الأولى، 1378هـ/1959م .

189. الكامل في التاريخ، "ابن الأثير"، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة الثانية، 1415هـ .

190. كتاب الخراج، أبو زكريا يحيى بن آدم بن سليمان، تحقيق: حسين مؤنس، دار الشروق/القاهرة، الطبعة الأولى، 1987م .

191. **الكتاب المقدّس** بعهديه القديم والجديد، النسخة العربية، دار الكتاب المقدّس في الشرق الأوسط، طبعة عام 1996م .

192. الكتب المقدّسة في ميزان التوثيق، عبد الوهاب عبد السلام طويلة، دار السلام/ القاهرة، الطبعة الثانية، 1423هـ/2002م .

193. الكنز المرصود في فضائح التلمود، د. محمد الشرقاوي، مكتبة الوعي الإسلامي/مصر، الطبعة الأولى، 1410هـ/1990م.

194. كنوز التلمود، س. ليفي، ترجمة: محمد خليفة التونسي، مكتبة دار البيان/الكويت، الطبعة الأولى، 1409هـ/1989م .

195. اللاجئون الفلسطينيون بين الترانسفير ويهودية الدولة، دراسة، إبراهيم العلي، تجمع العودة الفلسطيني (واجب)، قسم الأبحاث والدراسات، تحت رابط: www.wajeb.org .

196. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وَ علي معوض، دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة الأولى، 1419هـ/1998م .

197. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، تحقيق: عبد الله الكبير وَ محمد حسب الله وَ هاشم الشاذلي، دار المعارف/القاهرة، ط (بدون)، (بدون تاريخ) .

198. لمحات عن أديان العالم، ترجمة وتعليق: صادق عبد علي الركابي، مكتبة مدبولي/القاهرة، الطبعة الأولى، 2007م.

199. ماهية الحروب الصليبية، د. قاسم عبده قاسم، عالم المعرفة، سلسلة صادة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب/الكويت، الطبعة الأولى، 1990م.

200. مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مؤسسة الرسالة/بيروت، الطبعة الخامسة والثلاثون، 1419هـ/1998م .

201. مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، شهاب الدين أبي محمود بن تميم المقدسي، تحقيق: أحمد الخطيمي، دار الجيل/بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ/1995م .

202. المجازر الإسرائيلية بحق الشعب الفلسطيني، ياسر علي، مركز الزيتونة للدراسات/ بيروت، الطبعة الأولى، 1430هـ/2009م .

203. المجزرة الصهيونية عقيدة وممارسة، دراسة، أحمد الباش، تجمع العودة الفلسطيني (واجب)، تحت رابط: www.wajeb.org .

204. مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد/ الرياض، ط(بدون)، (بدون تاريخ) .

205. مجموع فتاوى ومقالات ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء/ الرياض، ط(بدون)، (بدون تاريخ) .

206. محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي/ القاهرة، الطبعة الثالثة، 1381هـ/1961م .

207. المحلّى، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، دار الفكر/ بيروت، ط(بدون)، (بدون تاريخ) .

208. المدخل إلى الكتاب المقدس، حبيب سعيد، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية/القاهرة، ط(بدون)، (بدون تاريخ) .

209. مذكرات وايزمان، ترجمة: هشام خضر، مكتبة النافذة/مصر، الطبعة الأولى، 2009م .

210. **المستدرك على الصحيحين،** أبوعبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية/ بيروت، الطبعة الأولى، 1411م/1990م .

211. **مسند الإمام أحمد** بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وَ عادل مرشد وَ آخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421 هـ/2001م .

212. **مسند البزار = البحر الزخّار،** أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وَ عادل بن سعد وَ صبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم/المدينة المنورة، الطبعة الأولى، (1988م حتى 2009م) .

213. المسيح اليهودي ونهاية العالم، رضا هلال، مكتبة الشروق/ القاهرة، الطبعة الأولى، 1421هـ/2000م .

214. المسيح في مصادر العقائد المسيحية، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة/القاهرة، الطبعة الثانية، 1408هـ/1988م .

215. المسيحية (النصرانية) دراسة وتحليل، ساجد مير، دار السلام/الرياض، الطبعة الأولى، 1423هـ/2002م .

216. المسيحية البروتستانتية وعلاقتها بالصهيونية في الولايات المتحدة، راجح إبراهيم السباتين، رسالة ماجستير، إشراف: د. محمد أحمد الخطيب، الجامعة الأردنية/ عمّان، 2007م، (غير مطبوعة).

217. المسيحية الرابعة، د. رؤوف شلبي، مكتبة الأزهر/ القاهرة، الطبعة الأولى، 1980م .

218. المسيحية المتهوّدة في خدمة الصهيونية العالمية، عيسى اليازجي، الدار الوطنية الجديدة/ دمشق، الطبعة الأولى، 2004م .

219. معالم التنزيل "تفسير البغوي"، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد النمر وَ عثمان ضميرية وَ سليمان الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، 1417هـ/1997م .

220. معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، محمد أبو المحاسن عصفور، دار النهضة العربية/بيروت، الطبعة الثانية، (بدون تاريخ) .

221. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وَ عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين/القاهرة، ط(بدون)، 1415هـ .

222. معجم البلدان، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، دار صادر/بيروت، الطبعة الأولى، 1397هـ/1977م .

223. معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، 1412هـ .

224. المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، دار ابن تيمية/القاهرة، الطبعة الثانية، 1404هـ/1983م .

225. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1399هـ/1979م .

226. المغني شرح مختصر الخرقي، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، دار إحياء التراث العربي/بيروت، الطبعة الأولى، 1405هـ/1985م .

227. مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، دار القلم/ دمشق، ط(بدون)، (بدون تاريخ) .

228. مقارنة الأديان "2"– المسيحية، د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة/القاهرة، الطبعة العاشرة، 1998م.

229. مقارنة الأديان، دراسة في عقائد ومصادر الأديان السماوية والأديان الوضعية، د. طارق خليل السعدي، دار العلوم العربية/بيروت، الطبعة الأولى، 1425هـ/2005م .

230. المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، دار السلام/ القاهرة، الطبعة الأولى، 1429هـ/2008م .

231. مكان بين الأمم، بنيامين نتنياهو، ترجمة: محمد عودة الدويري، دار الجيل/ عمان، الطبعة الثانية، 1996م .

232. مكايد اليهود عبر التاريخ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم/دمشق–بيروت، الطبعة الثانية، 1398هـ/1978م .

233. ملف إسرائيل– دراسة للصهيونية السياسية، روجيه جارودي، ترجمة: مصطفى كامل فودة، دار الشروق/القاهرة، الطبعة الثانية، 1404هـ/1984م .

234. ملكية أرض فلسطين من الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الرابع الهجري، د. رياض شاهين، مجلة الجامعة الإسلامية/غزة، المجلد الثامن، العدد الثاني، الجزء الأول، 2000م .

235. الملل والنحل، الإمام الشهرستاني، تحقيق: محمد بن فتح الله بدران، مطبعة الأزهر– أضواء السلف/مصر، الطبعة الأولى، 1366هـ/1947م .

236. مماحكات التأويل في مناقضات الإنجيل، أحمد فارس الشدياق، تحقيق: محمد أحمد عمايرة، دار وائل/عمّان، الطبعة الأولى، 2003م .

237. من أعلام الدعوة الإسلامية في فلسطين والأردن، المستشار عبد الله العقيل، مركز الإعلام العربي/مصر، الطبعة الثانية، 1432هـ/2011م .

238. من أعلام الدعوة الإسلامية في مصر، المستشار عبد الله العقيل، مركز الإعلام العربي/مصر، الطبعة الرابعة، 1432هـ/2011م .

239. من هو اليهودي؟، د. عبد الوهاب المسيري، دار الشروق/القاهرة، الطبعة الثالثة، 2003م.

240. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي/ بيروت، الطبعة الأولى،1415هـ/1995م .

241. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا وَ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية/بيروت، الطبعة الأولى، 1412هـ/ 1992م .

242. المنهاج في شعب الإيمان، الإمام أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، دار الفكر/بيروت، الطبعة الأولى، 1399هـ/1979م .

243. منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، عثمان بن علي حسن، مكتبة الرشد/الرياض، الطبعة الثانية، 1413هـ/1993م .

244. المواقع الجغرافية في فلسطين.. الأسماء العربية والتسميات العبرية، شكري عراف، مؤسسة الدراسات الفلسطينية/بيروت، الطبعة الأولى، 2004م.

245. موجز تاريخ الحروب الصليبية، مصطفى وهبة، مكتبة الإيمان/المنصورة، الطبعة الأولى، 1418هـ/1997م .

246. موجز تاريخ الشرق الأدنى القديم، د. نعيم فرح، دار الفكر/بيروت، ط(بدون)، (بدون تاريخ) .

247. موجز تاريخ العالم، هـ.ج ويلز، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، دار كتب عربية/مصر، ط(بدون)، 1958م .

248. موجز تاريخ اليهود والرد على مزاعمهم الباطلة، د. محمود بن عبد الرحمن قدح، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد 107 .

249. مؤسسة القدس الدولية، القدس 2012م.. قراءة في مسارات الأحداث والمآلات، دراسة، زياد الحسن، 2013م، عن موقع المؤسسة الإلكتروني، رابط: www.alquds-online.org .

250. موسوعة الأديان الحية في العالم، عبد الرحيم ماريديني، دار المحبة/دمشق، الطبعة الأولى، 2008- 2009م .

251. موسوعة الذخائر العظام فيما أثر عن الإمام الهمام الشهيد عبد الله عزام، مركز الشهيد عزام الإعلامي/بيشاور- باكستان، الطبعة الأولى، 1417هـ/1997م .

252. الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في الكويت، دار السلاسل/الكويت، الطبعة الثانية، 1404هـ/1983م .

253. الموسوعة الفلسطينية الميسرة، هيئة جائزة سليمان عرار للفكر والثقافة، رئيس التحرير: ناصر الدين الأسد، أروقة للدراسات والنشر/ الأردن، الطبعة الأولى، 1433هـ/2012م .

254. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق/القاهرة، الطبعة الأولى، 1999م .

255. **الموطأ**، مالك بن أنس، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان/ الإمارات، الطبعة الأولى، 1425هـ/2004م .

256. النبوءة والسياسة، جريس هالسل، ترجمة: محمد السماك، دار الشروق/ القاهرة، الطبعة الثانية، 1424هـ/2003م .

257. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي بردي، تحقيق ونشر: وزارة الثقافة الإرشاد القومي/مصر، ط(بدون)، (بدون تاريخ) .

258. نصارى القدس، أحمد حامد القضاة، مركز دراسات الوحدة العربية/بيروت، الطبعة الأولى، 2007م .

259. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية/بيروت، الطبعة الثانية، 1424هـ/2002م.

260. نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، دار الكتب العلمية/بيروت، الطبعة الأولى، 1424هـ/2004م .

261. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي (ابن قيم الجوزية)، تحقيق: محمد علي أبو العباس، مكتبة القرآن/القاهرة، الطبعة الأولى، 1409هـ/1989م .

262. الهرطقة في المسيحية، ج. ويتلر، ترجمة: جمال سالم، دار التنوير/بيروت، ط(بدون)، 2007م .

263. هرمجدون ونهاية أمريكا وإسرائيل .. قراءة في نبوءات الكتب المقدّسة، منصور عبد الحكيم وَ الحسيني الحسيني معدي، دار الكتاب العربي/دمشق، الطبعة الأولى، 2007م .

264. والدي السلطان عبد الحميد الثاني، الأميرة عائشة عثمان أوغلي، ترجمة: د. صالح سعداوي صالح، دار البشير/الأردن، الطبعة الأولى، 1411هـ/1991م .

265. وثائق الوقفيات القديمة في سجلات القدس، د. إبراهيم ربايعة، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي (الأوقاف في بلاد الشام)، الجامعة الأردنية/عمّان، ط (بدون)، 2006م .

266. وثيقة الصهيونية في العهد القديم، جورجي كنعان، دار النهار/بيروت، الطبعة الثانية، 1982م .

267. الوحي ونقيضه.. بروتوكولات حكماء صهيون في القرآن، د. بهاء الأمير، مكتبة مدبولي/القاهرة، الطبعة الأولى، 2006م .

268. ورقة سياسية حول المساعدات العسكرية الأمريكية (لإسرائيل)، بقلم: جوش روبنر، مدير المبادرة القومية في الحملة الأمريكية لإنهاء الاحتلال (الإسرائيلي)، **عن:** المركز الفلسطيني في واشنطن، **عنه:** مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، رابط: www.alzaytouna.net.

269. يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، د. رؤوف شلبي، دار ثابت/القاهرة، الطبعة الأولى، 1410هـ/1989م.

270. اليهود تاريخاً وعقيدة، د. كامل سعفان، دار الاعتصام/القاهرة، الطبعة الثانية، 1988م.

271. اليهود في العالم القديم، د. مصطفى كمال عبد العليم و د. سيد فرج راشد، دار القلم/دمشق و الدار الشامية/بيروت، الطبعة الأولى، 1416هـ/1995م .

272. اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، جوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، دراسة وتعليق: د. محمود النجيري، دار طيبة/مصر، الطبعة الأولى، 2009م.

273. اليهود وأكاذيبهم، مارتن لوثر، دراسة وتعليق: محمود النجيري، مكتبة النافذة/مصر، الطبعة الأولى، 2007م.

274. اليهودية والمسيحية في الميزان، د.عماد الدين الشنطي، الطبعة الأولى، 1425هـ/2004م.

275. اليهودية، د. أحمد شلبي، النهضة المصرية/القاهرة، الطبعة الثامنة، 1988م.

276. يوميات هرتزل، ترجمة: علي رمضان فاضل، مكتبة النافذة/مصر، الطبعة الأولى، 2010م .

ثانياً: **المواقع الإلكترونية والصحف والمجلات**:

277. صحيفة الأهرام المصرية، العدد الصادر بتاريخ 2008/07/01م.

278. صحيفة القدس العربي/ لندن، العدد (7459)، الصادر بتاريخ 2013/06/12م.

279. صحيفة القدس العربي، العدد (5379)، الصادر بتاريخ 2006/09/13م .

280. مجلّة المنار، محمد رشيد بن علي رضا، ذو القعدة 1353هـ/1935م .

281. مجلّة فلسطين "السفير العربي"، دار العروة الوثقى/بيروت، العدد 18، الصادر في: 2011/10/15م .

282. موقع الدكتور عبد الوهاب المسيري الرسمي: www.elmessiri.com .

283. موقع الشبكة الإسلامية: www.islamweb.net .

284. موقع الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي الرسمي: www.qaradawi.net .

285. موقع الشيخ عبد العزيز بن باز الرسمي: www.binbaz.org.sa/life .

286. موقع الموسوعة العربية العالمية، شركة أعمال الموسوعة للإنتاج الثقافي: www.mawsoah.net.

287. موقع بتسيلم – مركز المعلومات (الإسرائيلي) لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة: http://www.btselem.org/arabic/separation_barrier .

288. موقع تجمع العودة الفلسطيني (واجب): www.wajeb.org .

289. موقع رابطة علماء فلسطين: www.rapeta.org/Rapta/ar/?page=about .

290. موقع صحيفة الأهرام المصرية (الرقمي): digital.ahram.org.eg/articles .

291. موقع صحيفة العرب اليوم، قسم الندوات، ضمن دراسة: أرض (إسرائيل) الكاملة حسب التفسيرات الصهيونية: www.alarabalyawm.net .

292. موقع كنيسة الأنبا تكلاهيمانوت القبطية الأرثوذكسية: http://st-takla.org .

293. موقع مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات: www.alzaytouna.net .

294. موقع مركز المعلومات الوطني الفلسطيني: www.wafainfo.ps .

295. موقع مكتبة المهتدين: www.al-maktabeh.com/ar/open .

296. موقع منبر الأقصى الإلكتروني: www.minbaralaqsa.com .

297. موقع مؤسسة القدس الدولية الرسمي: www.alquds-online.org .
298. موقع موسوعة ويكيبيديا الحرة: wikipedia.org/wiki .
299. موقع نبض الوعي العربي : www.arabianawareness.com .
300. موقع وزارة الخارجية الأمريكية: www.iipdigital.usembassy.gov/st/arabic .
301. موقع وكالة رويترز للأنباء: http://ara.reuters.com/article/topNews .

سابعاً: فهرس الموضوعات

ملخص البحث

تناول الباحث بالمقارنة والتحليل عقائد كلّ من اليهود والنصارى والمسلمين في الأرض المقدّسة، إذ وقع البحث في أربعة فصول، أولها فصلٌ تمهيدي بيّن فيه الباحث المفهوم العام للقدسية والبركة لغة واصطلاحاً، وعلاقتهما بالاعتقاد عند أهل الملل المختلفة، كما تضمّن الفصل التمهيدي إيجازاً عاماً بتاريخ كلّ ملة من الملل الثلاث موضع البحث في الأرض المقدسة، أي أرض فلسطين.

وناقش الباحث في الفصل الأول عقيدة اليهود في التقديس وفي الأرض المقدّسة، في أربعة مباحث؛ تفصّل هذه المباحث العوامل المؤثرة على العقيدة اليهودية، ثم اعتقادهم الخاص بأرض فلسطين، ثم الصهيونية وعلاقتها بهذه العقيدة، وختم الفصل بالآثار المترتبة على عقيدة اليهود في الأرض المقدّسة.

وجاء الفصل الثاني مبيناً لعقيدة النصارى في الأرض المقدّسة، مقسّماً إلى ثلاثة مباحث؛ أوضح فيها الباحث العوامل المؤثرة على العقيدة النصرانية بوجه عام، ثم فصّل في اعتقاد النصارى في أرض فلسطين، وختم الفصل ببيان آثار عقيدة النصارى في الأرض المقدّسة.

أما الفصل الثالث، فخصصه الباحث لآخر الملل زماناً وأعظمها قدراً ومكاناً، وهي ملّة الإسلام الخاتمة، وقسّم الباحث الفصل إلى ثلاثة مباحث، بيّن في أوّلها مصادر عقيدة المسلمين في الأرض المقدّسة، وفي ثانيها فصّل في عقيدة المسلمين في أرض فلسطين المباركة، وفي المبحث الأخير أوضح الباحث آثار عقيدة المسلمين في هذه الأرض.

وختم الباحث هذا البحث بجملة من النتائج والتوصيات التي خلص إليها.

والحمد لله رب العالمين

Abstract

The researcher compares & analyzes doctrines of Jews, Christians & Muslims in the Holy Land. The research is divided into four chapters, the first chapter is introductory, the researcher clarifies the general concept of sacredness and blessing & their relationship with the religions, the introductory chapter also included a briefing on the history of each religion in the Holy Land (Palestine).

The first chapter explains the doctrine of Jews in sanctification in the Holy Land. This chapter is divided into four sections; the sections explain the factors that affecting the Jewish doctrine, their doctrine in land of Palestine & the Zionism & its relationship to this doctrine. The end of the chapter discusses the implications of the Jews doctrine in the Holy Land.

The second chapter explains the doctrine of Christians in the Holy Land. This chapter is divided into three sections; the researcher explains the factors affecting the Christian doctrine in general, the doctrine of Christians in the land of Palestine & the effects of Christian doctrine in the Holy Land.

The third chapter discusses the last & greatest religion, which is the religion of Islam. The researcher divided the chapter into three sections. In the first section, he clarifies the doctrine of Muslims in the Holy Land. In the second section, he explains the doctrine of Muslims in the land of Palestine. In Section last section, he explains the effects of Muslims' doctrine in this land.

The researcher ends his research with conclusions & recommendations.